

الطبعة الأولى

كتاب في تاريخ الدين الإسلامي

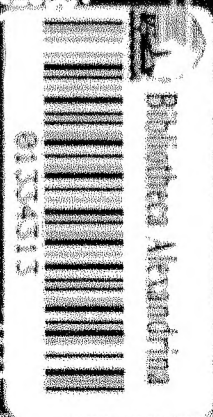
الجامع المفصل

في تاريخ المواقف الموحدة

إشراف
نظير عبود

راجعة ودقته
الدكتور مارون رعد

كتاب في تاريخ



تاريخ الموارد

المطران يوسف الدبس

الجامع المفصل

في تاريخ الموارنة المؤصل

الجزء التاسع

إشراف
نظير عبود

رأجه وطققه
الدكتور مارون رعد

ولر نظير عبود

فهرس

صفحة

عدد

المقالة الأولى

القديس مارون وتلاميذه

١٧ القديس مارون الناسك	١
٢٢ تلامذة القديس مارون	٢
	انتشار رهبان القديس مارون في سورية في القرن السادس وتسمية	٣
٢٥ متابعيهم موارنة نسبة إليهم	
	مناضلة الرهبان الموارنة عن الايمان الكاثوليكي وما عانوه من	٤
٣٠ الاضطهاد	
٣٥	رسالة رهبان القديس مارون إلى رؤساء اليعاقبة وجواب هؤلاء لهم .	٥

مقالة ثانية

تاريخ الموارنة في القرن السابع

الفصل الأول

حالة الموارنة الدنيوية في هذا القرن

٤٢ سطوة المردة أي الموارنة في هذا القرن	٦
----	--	---

٤٧	هل المردة موارنة	٧
٥٢	أمرأء الموارنة والاثني عشر ألفاً المجلولين منهم	٨
٥٨	حرب الموارنة وعسكر الملك يوستينيانس الأخرم	٩
٦١	الانقسام بين الموارنة والملكية	١٠

الفصل الثاني

منشأ القديس يوحنا مارون وأسقفيته وبطريركيته وتآليفه

٦٥	منشأ القديس يوحنا مارون	١١
٦٧	أسقفية القديس يوحنا مارون	١٢
٧٠	بطريركية القديس يوحنا مارون	١٣
٧٨	مؤلفات القديس يوحنا مارون	١٤
٧٨	نافور أي رتبة القديس	
٧٩	كتاب ايضاح الايمان	
٨٤	كتابه في رد مزاعم اليعاقبة والنساطرة	
٨٤	رسالة في التريصاجيون	
٨٥	كتابه في الكهنوت	
٨٦	كتابه في شرح رتبة القديس	
٩١	هل كتب يوحنا مارون شيئاً في بدعة المشيئة الواحدة	١٥
٩٦	قداسة يوحنا مارون	١٦

الفصل الثالث

براءة المارونيين والموارنة من بدعة المشيئة الواحدة

١٠٣	براءة القديس مارون الناسك من هذه البدعة	١٧
١٠٩	إثبات البابا بناديكتوس الرابع عشر قداسة القديس مارون	١٨
١١٦	براءة القديس يوحنا مارون من بدعة المشيئة الواحدة	١٩
١٢٤	براءة الموارنة من بدعة المشيئة الواحدة	٢٠
١٣٧	تفنيد ما يعزى إلى تيموتاوس القسطنطيني من اتهام الموارنة	٢١

مقالة ثالثة

تاريخ الموارنة في القرن الثامن

٢٢	حالة الموارنة الدنيوية في هذا القرن	١٣٩
٢٣	بطاركة الموارنة في القرن الثامن	١٤١
٢٤	توافيلس الرهاوي الماروني	١٤٣
٢٥	ردّ ما يعزى إلى الدمشقي من الطعن على الموارنة	١٤٥
٢٦	الردّ على ما يعترض به على الموارنة بشهادة تيموتاوس بطريرك النساطرة	١٥٠

مقالة رابعة

تاريخ الموارنة في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر

٢٧	بطاركة الموارنة إلى آخر القرن الحادي عشر	١٥١
٢٨	قيس الماروني	١٥٣
٢٩	ردّ مزاعم من اتهموا الموارنة بالضلال في القرن العاشر	١٥٥
٣٠	المطران داود الماروني	١٥٧

مقالة خامسة

تاريخ الموارنة في القرن الثاني عشر

٣١	حالتهم الدنيوية في هذا القرن	١٦٢
٣٢	بطاركة الموارنة في القرن الثاني عشر	١٦٥
٣٣	ما نعرفه من أديار الموارنة وكنائسهم إلى آخر القرن الثاني عشر	١٧٣
٣٤	تفنيد زعم غوليلمس الصوري أنّ الموارنة ارعوا عن الضلال	١٧٨
	سنة ١١٨٢	

مقالة سادسة

تاريخ الموارنة في القرن الثالث عشر

١٨٦	فتح المسلمين جبة بشري	٣٥
١٨٨	حروب كسروان	٣٦
١٩٣	بطاركة الموارنة في القرن الثالث عشر	٣٧
١٩٦ ...	ردّ ما يحتجّ به على الموارنة من كلام البابا اينوشنسيوس الثالث	٣٨

مقالة سابعة

تاريخ الموارنة في القرن الرابع عشر

٢٠١	ما نعلمه من حالة الموارنة الدنيوية في هذا القرن	٣٩
٢٠٢	بطاركة الموارنة في القرن الرابع عشر	٤٠
٢٠٦	من عرفناهم من أساقفة الموارنة بهذا القرن	٤١

مقالة ثامنة

تاريخ الموارنة في القرن الخامس عشر

٢٠٩ .	بعض مقدمات الموارنة في القرن الخامس عشر وما كان في أيامهم	٤٢
٢١٢	بطاركة الموارنة في القرن الخامس عشر	٤٣
٢٢١	من عرفهم من مطارين الموارنة في القرن الخامس عشر	٤٤
	تفنيد رأي من زعم أنّ الموارنة وأسقفهم الياس مطران قبرص	٤٥
٢٢٣	رجعوا إلى الايمان في أيام البابا أوجانيوس الرابع	

مقالة تاسعة

تاريخ الموارنة في القرن السادس عشر

٢٣٣	بعض حكاهم وأعيانهم في هذا القرن	٤٦
-----------	---------------------------------	----

٤٧	بطارقة الموارنة في القرن السادس عشر	٢٣٩
	البطريك موسى العكاري	٢٣٩
٤٨	البطريك ميخائيل الرزي	٢٤٤
٤٩	البطريك سركيس الرزي	٢٤٩
٥٠	البطريك يوسف الرزي	٢٥١
٥١	المجمع الطائفي الذي عقد في أيام البطريك ميخائيل الرزي	
	سنة ١٥٨٠	٢٥٣
٥٢	المجمع الطائفي الذي عقده البطريك سركيس الرزي سنة ١٥٩٦ ..	٢٥٧
٥٣	أساقفة الموارنة في القرن السادس عشر	٢٦٠
	المطران جبرائيل اللحفدي	٢٦٠
٥٤	باقي أساقفة الموارنة في هذا القرن	٢٦٢
٥٥	المشاهير الدينيون الموارنة في القرن السادس عشر	٢٧١

مقالة عاشر

تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر

الفصل الأول

أعيان الموارنة في القرن السابع عشر

٥٦	بعض أعيانهم في هذا القرن	٢٧٦
٥٧	أبو رزق البشعلاني وابنه يونس	٢٨٦
٥٨	أعيان موارنة آخرين	٢٩١

الفصل الثاني

بطارقة الموارنة في القرن السابع عشر

٥٩	البطريك يوحنا مخلوف	٢٩٣
----	---------------------	-----

البطريك جرجس عميره	٢٩٦	٦٠
البطريك يوسف العاقوري	٢٩٨	٦١
البطريك يوحنا الصفراوي وجرجس السبعلي	٣٠٠	٦٢
العلامة البطريك اسطفانوس الدويهي	٣٠٣	٦٣

الفصل الثالث

أساقفة الموارنة في القرن السابع عشر

الأساقفة الذين رقاهم البطريك كان يوسف الرزي ويوحنا مخلوف	٣٠٨	٦٤
أساقفة الموارنة إلى أيام الدويهي	٣١٣	٦٥
أساقفة الموارنة الذين رقاهم البطريك الدويهي	٣١٦	٦٦

الفصل الرابع

المشاهير من علماء الموارنة وفضلائهم في القرن السابع عشر

بطرس المطوشي القبرصي ونصرالله شلق العاقوري	٣١٨	٦٧
القس جبرائيل الصهيوني الاهدني	٣٢٠	٦٨
العلامة ابراهيم الحاقللي	٣٢١	٦٩
مرهج بن نيرون الباني	٣٢٣	٧٠
مشاهير آخرون بالغيرة والنسك	٣٢٥	٧١

الفصل الخامس

الأديار والكنائس التي أنشئت للموارنة في هذا القرن

الأديار	٣٣٠	٧٢
ما نعرفه من كنائس الموارنة التي بنيت في هذا القرن	٣٣٤	٧٣

ذيل

المجمع الذي عقده البطريك يوسف العاقوري في دير حراش

المقالة الحادية عشرة

تاريخ الموارنة في القرن الثامن عشر

الفصل الأول

أعيانهم الدنيويون في هذا القرن

المشايع آل خازن وآل حبيش في هذا القرن	٣٤١	٧٤
بطرس الشدياق وابن أخيه منصور وأولاده	٣٤٣	٧٥
الشيخ سعد الخوري وابنه الشيخ غندور	٣٤٥	٧٦
المشايع آل الضاهر	٣٤٩	٧٧
المشايع آل الدحاح	٣٥٠	٧٨
مشايخ جبة بشري وطردهم المتأولة منها	٣٥١	٧٩
المشايع أبناء اده وغيرهم	٣٥٤	٨٠

الفصل الثاني

بطارقة الموارنة في القرن الثامن عشر

البطريك جبرائيل البلوزاوي	٣٥٩	٨١
البطريك يعقوب عواد الحصري	٣٦٠	٨٢
البطريك يوسف ضرغام الخازن	٣٦٥	٨٣
البطريك سمعان عواد	٣٦٧	٨٤
البطريك طوبيا الخازن	٣٧٢	٨٥
البطريك يوسف اسطفان	٣٧٣	٨٦
البطريك كان ميخائيل فاضل وفيلبوس الجميل	٣٨٤	٨٧

الفصل الثالث

مشاهير العلم الموارنة في القرن الثامن عشر

٣٨٦ القس يوسف الباني الحلبي	٨٨
٣٨٧ المطران جرمانوس فرحات	٨٩
٣٩٠ الأب بطرس مبارك	٩٠
٣٩٢ المطران جرجس بنيمين والخورى اندراوس اسكندر	٩١
٣٩٤ العلامة الشهير الخوري بطرس التولاوي	٩٢
٣٩٦ ترجمة العلامة يوسف سمعان السمعاني	٩٣
٣٩٨ مؤلفات السمعاني	٩٤
٤٠٤ اعتبار الأبحار الأعظمين للعلامة السمعاني	٩٥
٤٠٨ المطران اسطفانوس عواد السمعاني	٩٦
٤٠٩ يوسف لويس السمعاني وابن اخيه القس سمعان السمعاني	٩٧
٤١٠ غير هؤلاء من علماء الموارنة	٩٨
٤١٠ الخوري ميخائيل الغزيري	
٤١١ اسطفانوس ورد ابن الخوري ابراهيم	
٤١١ الخوري انطون القياي	
٤١١ القس عيسى الجمامتي	
٤١١ القس يوحنا البازنجاني	

الفصل الرابع

المجامع التي عقدها رؤساء الموارنة في هذا القرن

٤١٢ المجمع اللبناني	٩٩
٤١٥ مجمع بقعاتا	١٠٠
٤١٥ مجمع غوسطا	١٠١
٤١٧ مجمع ميفوق	١٠٢
٤٢١ مجمع عين شقيق	١٠٣
٤٢٣ مجمع بكركي الأول	١٠٤

الفصل الخامس

١٠٥	بعض أديار الموارنة ومدارسهم وكنائسهم المنشأة في القرن الثامن عشر	٤٢٧
١٠٦	مدارس الموارنة المنشأة في هذا القرن	٤٣٤
١٠٧	كنائس الموارنة المنشأة في هذا القرن	٤٣٩

المقالة الثانية عشرة

تاريخ الموارنة في القرن التاسع عشر

الفصل الأول

حكام الموارنة وأعيانهم

١٠٨	حكام الموارنة في هذا القرن	٤٤١
١٠٩	يوسف بك كرم	٤٤٥

الفصل الثاني

بعض المشاهير بالعلم من الموارنة

١١٠	المعلم بطرس البستاني	٤٥١
١١١	فارس الشدياق	٤٥٣
١١٢	الكونت رشيد الدحداح	٤٥٦
١١٣	ابراهيم بك النجار	٤٥٨

الفصل الثالث

بطارقة الموارنة ومن رقوهم إلى الأسقفية في هذا القرن

١١٤	البطريك يوسف التيان	٤٥٩
١١٥	البطريك يوحنا الحلو	٤٦٢
١١٦	البطريك يوسف حبيش	٤٦٥
١١٧	البطريك يوسف الخازن	٤٦٧
١١٨	البطريك بولس مسعد	٤٦٨
١١٩	البطريك يوحنا الحاج	٤٧٣
١٢٠	البطريك الياس الحويك	٤٧٥

الفصل الرابع

ما عقده أساقفة الموارنة من المجامع في القرن التاسع عشر

١٢١	مجمع لوزة	٤٧٧
١٢٢	مجمع بكركي الأخير	٤٨٠

الفصل الخامس

الأديار والمدارس والكنائس التي أنشأها الموارنة في القرن التاسع عشر

١٢٣	الأديار مساكن البطريك والأساقفة	٤٨٢
٤٨٢	دير الكرسي البطريكي	٤٨٢
٤٨٣	الأديار كراسي المطارين	٤٨٣
٤٨٤	كرسي طرابلس	٤٨٤
٤٨٤	كرسي أبرشية قبرص	٤٨٤
٤٨٤	كرسي أبرشية بيروت	٤٨٤
٤٨٥	كرسي أبرشية صور وصيدا	٤٨٥

٤٨٦	كرسي أبرشية بعلبك	
٤٨٦	كرسي أبرشية دمشق	
٤٨٧	المدارس التي أنشأها الموارنة في هذا القرن	١٢٤
٤٨٧	مدرسة عين ورقة	
٤٨٨	مدرسة مار يوحنا مارون	
٤٨٨	مدرسة مار مارون الرومية	
٤٨٨	مدرسة مار عبدا هرهريا	
٤٨٩	مدرسة ريفون	
٤٨٩	مدرسة الحكمة	
٤٩١	مدرسة قرنة شهوان ومدرسة غزير	
٤٩١	مدرسة المحبة في عرمون ومدرسة العريمة	
٤٩٢	المدرسة الوطنية	
٤٩٢	المدارس الرهبانية	
٤٩٣	مدرسة المرسلين اللبنانيين	
٤٩٣	أديار الرهبان اللبنانيين المنشأة بهذا القرن	١٢٥
٤٩٥	أديار الرهبان الأنطونيين المنشأة بهذا القرن	١٢٦
٤٩٨	الأديار التي أنشأها الرهبان الجلبليون وغيرهم في هذا القرن	١٢٧
٤٩٩	بعض الكنائس التي أنشأها الموارنة في هذا القرن	١٢٨
٥٠١	ذيل في زيادات عثرنا عليها أو انتبهنا إليها بعد الطبع	١٢٩

المقالة الأولى

القديس مارون وتلاميذه

عد ١

القديس مارون الناسك

نروي خبر القديس مارون عن توادوريطوس أسقف قورش الذي كان معاصراً ومجاوراً له ولا يبعد أن يكون عشيراً له. فإن توادوريطوس قال في مقدمة كتابه في النساك حيث تكلم في القديس مارون: «وكان يلدّ لي أن أطوف في براري قورش وأنعم عيناً بهذه الأزهار العجيبة التي يزري عرفها بأفخر الطيوب». ومن المؤكد أنّ توادوريطوس رقي إلى كرسي أسقفية قورش سنة ٤٢٣م والقديس مارون كان كاهناً في أوائل القرن الخامس كما يظهر من رسالة فم الذهب إليه من منفاه وسنأتي على ترجمتها. وفم الذهب توفي سنة ٤٠٧م وإذا كان القديس مارون لقي ربه نحو سنة ٤٣٣م على قول بعضهم فيكون عاشر توادوريطوس أسقفاً، وإن كانت وفاته سنة ٤١٠م على قول آخرين فيكون عاشره كاهناً. فشهادة توادوريطوس للقديس مارون إذاً لا مرد لها ولا معترض عليها، لأنهما كانا في عصر واحد وبلد واحد وتوادوريطوس ثقة. وإليك ترجمة ما قاله في كتابه في النساك فصل ١٦ .

«سبيلي أن أذكر بعد هذا (أي شبسيماس) مارون، فإنّ هذا أيضاً جمل عقد القديسين الإلهي، فإنه عزم على أن يصرف حياته في البرية لا يأوي منزلاً، فتسلّق إلى قمة جبل (في قورش)، وكان هناك هيكل للوثنيين يعبدون فيه الأبالس فكرّسه لله، وكان يتردد إليه. ونصب لنفسه مظلة حقيرة قلّ ما أوى إليها. وكان يجهد نفسه في الاعمال اليدوية التي اعتادها النساك، بل استنبط زيادة عليها حاشداً ثروة الحكمة واثقاً بأنّ المجاهد يزداد نعمة ما ازداد عملاً. فمنّ عليه الله الجود بموهبة

شفاء الأمراض سابعة، حتى ذاعت شهرته في كل قطر، واستأنت إليه الزائرين من كل فج. فكان يحقق خبرهم الخبر، وكنت ترى الحمى تزول بظلّ بركته والأبالس ينهزمون من الممسوسين والمبتلين بأي نوع كان من المرض بعلاج واحد. فللأطباء في كل داء دواء وأما القديسون فلهم دواء واحد في كل الأدواء، وهو الصلاة. ولم يكن يشفي الأمراض الجسدية فقط بل كان يرى أيضاً النفوس المعتلة فيشفي هذا من داء البخل، وذلك من مرض الغضب، معلماً هذا القناعة وشارحاً لذلك وصايا العدل والبرّ حاثاً البعض على العفاف والطهارة ومحرضاً غيرهم على الدعة والتواضع. وقد انكبّ على الحراثة الروحية فغرست يداه اغراساً كثيرة مونة فيها ثمار الحكمة، وهذه اللجنة المحضلة المزهرة الآن في قورش إنما هي الله من صنع يديه. ومن ثمار هذه الحراثة يعقوب الكبير (يريد يعقوب تلميذ مارون الآتي ذكره) الذي حقّ له أن يخصّ به القول النبوي. «الصديق كالنخل يزهر ومثل أرز لبنان ينمي» وغيره ممن سنأتي على ذكر كل منهم ان شاء الله. وبينما كان منصباً على هذه الحراثة في كرم الرب شافياً النفوس والاجساد، دهمه مرض خفيف فقضى به منتقلاً إلى ربه. فكان نزاع شديد بين مجاوريه على جثته، ولما كان أهل البلد الاقرب إليه أكثر عدداً وقد أتوا جميعهم هزموا الباقين واختطفوا هذا الكنز النفيس وبنوا له هيكلاً عظيماً وينتفعون إلى اليوم بمعونته، ويكرمون هذا البطل الظافر بحفلات عامة، وأما نحن فننعم ببركاته وإن كنا بعيدين عنه، ويغنيننا ذكره عن قرب ضريحه إلينا» انتهى مترجماً عن كتاب توادوريطوس في النساك الموسوم بالتاريخ الديني عن طبعة الأب مين (مجلد ٨٢ من مكتبة الآباء الشرقيين).

وكان القديس مارون صديقاً صدقاً للقديس يوحنا فم الذهب، يجمعهما ولاء مستديم وحب قديم، تدل على ذلك رسالة كتبها إليه فم الذهب في منفاه وهي السادسة والثلاثون من رسائله التي نشرها الأب مين (في المجلد ٥٢ من مكتبة الآباء الشرقيين) وإليك ترجمتها بما أمكن من الدقة.

«إلى مارون الكاهن الراهب»

أما بعد، فإنّ علاقات المودة والمعروف التي تضمنا إليك تجعل أبصارنا شاخصة إليك كأنك قائم هنا، فإنّ آواصر المحبة من طبعها أن لا يحجبها بعد المسافات ولا

يوهنا طول الزمان. وكان في ودنا أن تكون مكاتباتنا إليك متتالية، ولكن يحول دون ذلك مشقة الاسفار وندور المسافرين. والآن نهدي إليك طيب السلام ونسألك أن تتيقن أننا نذكرك كل حين وأن لك في فؤادنا منزلة أينما حللنا. فاهتم أنت إذا بأن تواتر إلينا أنباء عافيتك، فإن أخبار صحتك على بعدنا بالجسد تولينا عظيم السرور وتخولنا تعزية كبرى في غربتنا ووحدتنا، ويلد لنا كثيراً أن نعلم أنك متعافٍ وجل ما نسألك إياه أن تصلي وتبتهل لله من أجلنا.

وهذه الرسالة لم تكن مؤرخة، ولكن لا بد من أنها كتبت في إحدى السنين من سنة ٤٠٤ إلى سنة ٤٠٧م التي كان فيها فم الذهب في المنفى. وقد أنبأنا العلامة البطريرك اسطفانس الدويهي الأهدني (في كلامه في تاريخ الموارنة على القديس مارون) أن هذا القديس لم يقتصر على الإلمات والتقشف والعكوف على الصلوات وهو منتصب على قدميه، بل باشر أعمال الرسالة. فإنه كان يجول أحياناً متجهداً النساء والمجاهدين حاضاً لهم على تحمّل مشاق سيرتهم وعلى التقدّم في الكمال والحكمة الروحانية، ويطوف في القرى والمدن مستملاً الكفرة والأثمة إلى سواء السبيل، حاثاً المؤمنين على مجانبة الرذائل والجد في السير في طريق الفضيلة، داعياً الموسرين إلى مباشرة أعمال الرحمة معزياً البائسين إلى غير ذلك من أعمال الرسالة.

أما سنة وفاة القديس مارون فلم يذكرها توادوريطوس ولم نعثر في كتب القدماء على ما يعينها. والذي رواه العلامة البطريرك بولس مسعد (في كتابه الدر المنظوم صفحة ١٣١) أنه لقي ربه سنة ٤١٠م. وجاء في المعجم التاريخي الجغرافي ليوليا (في طبعته الحادية والثلاثين التي صححها وهذبها عمدة من العلماء) «القديس مارون ناسك ورع كان في سورية في القرن الخامس رقي إلى درجة الكهنوت سنة ٤٠٥م وأدركته الوفاة سنة ٤٣٣م، وقد نسك على جبل قريب من قورش، واستدعى إليه جمعاً كبيراً من التلامذة، فأنشأوا أدياراً عديدة. ويعتد لذكره في ٩ و ١٤ شباط». وحذا لو كان مؤلف هذا المعجم أو مصححوه أنبأونا عمن من القدماء أخذوا رواية تاريخهم لترقي القديس مارون إلى الكهنوت ولوفاته. أما المعبد الذي أقيم على ضريحه ثم صار ديراً لرهبانه فلم يذكر توادوريطوس محله ولا اسم البلد الذي أهله اختطف جثة القديس مارون لأن ذلك كان معلوماً عند ذلك الجيل. والذي عليه المحققون، أن المعبد والدير كانا على شاطئ العاصي بين حماة

وحمص كما حقق السمعاني (في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٤٩٧) مفسراً كلام توادوريطوس، ومستشهداً باجيوس (في تاريخ سنة ٤٠٠ عد ١٩) الذي قال: «إنّ هذا الدير نزله الجميع منزلة أول الأديار في سورية الثانية كما يتبين من أعمال المجمع الخامس المسكوني الذي شهده بولس الشماس ويوحنا الكاهن ووقعاً على رسائل رهبان ذلك الاقليم إلى يوستينيانس الملك، وإلى متا بطريك قسطنطينية بمنزلة نواب دير القديس مارون أولى أديار سورية الثانية».

وقد أخذ المؤمنون يعيدون للقديس مارون بعد وفاته كل سنة بحفلات عامة كما رأيت في كلام توادوريطوس. وتعيد الكنيسة الرومانية له في ١٤ شباط ومثل ذلك كنيسة الروم وتسميه 'مارونيوس' بحسب صيغة نهاية الاسماء اليونانية. وكان الموارنة قديماً يعيدون له في الخامس من كانون الثاني وهو اليوم الذي كرّس فيه القديس يوحنا مارون كنيسة دير كفرحي باسمه في أواخر القرن السابع. قال العلامة البطريك اسطفانوس الدويهي (في تاريخ الموارنة) تشهد للتعديد للقديس مارون في الخامس من كانون الثاني نسخ الشحيم المخطوطة احداها خطها الشماس الياس بن داود من بلاد اطرابلس سنة ١٨٠٥ يونانية توافق سنة ١٤٩٤م، وأخرى خطها جرجس البردوط ابن يوحنا بن بشارة التحومي سنة ١٥٣٣م في قبرص بقرية قرباسية. وكان الموارنة يعيدون للقديس يوحنا مارون البطريك في ٩ من شباط وصاروا يحتفلون لذكر القديس مارون ويوحنا مارون في يوم واحد كما يظهر من فهرست أعيادنا المطبوع في روما. وفي سنة ١٧٨٧م نقل البطريك يوسف اسطفان عيد القديس يوحنا مارون إلى الثاني من آذار واستمر عيد القديس مارون في ٩ شباط إلى اليوم (ملخص عن الدر المنظوم وتاريخ الأهدني).

وأما الأديار التي بُنيت على اسم القديس مارون- فكثيرة، منها الدير المذكور الذي بُني في محل مدفنه بين حماه وحمص بالرسن. ويقال أنه كان فيه ثمانمائة راهب، وكان يسمى دير البلور. ومنها دير قريب من مخرج نهر العاصي ويسميه أبو الفدا مغارة الراهب، وقد نُقرت مخادعه كلها في صخرة صماء. ومنها دير على مقربة من دمشق قال الدويهي فيه: قد استدللنا برسوم وأطلاله الباقية إلى الآن على عظمتة وحسن رونقه. وقد ذكره ابن الحريري المؤرخ في كلامه على الملك الحاكم بأمر الله في تاريخ سنة ٣٨٦ للهجرة الموافقة لسنة ٩٩٥ م حيث قال: «إنّ الملك كان ينزل بمكان يقال له الدكة بين نهر يزيد وتورا، وقيل هي فوق نهر يزيد قرب

دير مارون». ومن أدياره الشهيرة دير بناء القديس يوحنا مارون في بلاد البترون في شرقي قرية كفرحي، فإنّ هذا البطريك لما فرّ من وجه جيش يوستينيانس الأخرم سنة ٦٩٤م سار على ما قيل من انطاكية إلى دير الرستن، فأخذ هامة القديس مارون ولما استقرّ في كفرحي بنى هيكلًا وديرًا على اسم القديس مارون ووضع هامة هنالك. وسمي ذلك الدير ريش مارو **وَمَهَا جَدَا** أي راس مارون أو **وَمَهَا دَكِي** (ريش مَارَن) أي راس سيدنا. وأمر أن يعيّد للقديس مارون في الخامس من كانون الثاني كما مرّ ذكرًا لنقل هامته إلى هذا الدير.

قال العلامة الدويهي (في تاريخ الموارنة) روى لودوفيكس بن يعقوب في كتاب له جمع فيه تراجم القديسين الموجودة ذخائرهم في مدينته فولينيو بايطاليا أنه في سنة ١١٣٠م قدم الشام أحد رهبان القديس مبارك وطاف في الأماكن المقدسة، وبعد أن أتمّ زيارته جال في لبنان وظفر بهامة القديس مارون، ففرح بها فرحاً عظيماً وأخذها إلى وطنه، وطفق يخبر الشعب بفضائل هذا القديس وبالمعجزات التي أجراها الله على يده والأئمة المنتمة إليه، فبنى له أهل فولينيو كنيسة ووضعوا فيها هامة القديس مارون في ١٨ آب، فانتشر ذكره في تلك الأصقاع وكثر عداد من يحجون إلى كنيسته، وفرضوا عيداً سنوياً له. ومنح أحد الاحبار الرومانيين غفران مئتي يوم لمن زار كنيسته يوم عيده. ثم إنّ لوقا أسقف فولينيو نقل سنة ١١٩٤م راس القديس مارون من هذه الكنيسة إلى كنيسة الاسقفية وعمل له المؤمنون صواناً من فضة ويعيّدون له كل سنة في العاشر من آذار، ويطوفون به أمام الشعب بالتجلّة والاحتفاء.

هذا ما رواه العلامة الدويهي ونقله عنه العلامة البطريك بولس مسعد، وقد تسنى لي مدة اقامتي في روما سنة ١٨٨٧م أن قابلت أسقف فولينيو وحدثته في هذا الشأن، فحقق لي أنّ التقليد عندهم ينطبق على ما رويته. وإنه ما برح في كنيستهم شيء من هامة القديس مارون يعطون منه المؤمنين ذخائر، فسألته أن يتحفني بشيء منها فأهدى إليّ خمساً منها، فكنت له شاكرًا لهدية أثمن عندي من الذهب والجواهر.

وقد تعطّف الحبر الأعظم الروماني البابا اكليمنضس الثاني عشر ومنح في براءته المؤرخة في ١٥ نيسان سنة ١٧٣٤م، وفي براءة أخرى مؤرخة في ٢١

كانون الثاني سنة ١٧٤٠م غفراناً كاملاً يغنمه من اعترف بخطاياها، وتناول القربان الأقدس، وزار احدى كنائس الرهبان أو الراهبات اللبنانيين أو رهبان القديس أشعيا في ٩ شباط الذي يعيد به الموارنة للقديس مارون. ثم عَمَّم العلامة البابا بناديكْتس الرابع عشر في براءته المؤرخة في ١٢ آب سنة ١٧٤٤م هذا الغفران الكامل لكل من يزور أَيْة كنيسة كانت من كنائس الطائفة المارونية المبنية وقتئذٍ، والتي سوف تُبنى يوم عيد القديس مارون في ٩ شباط. ومن شاء الاطلاع على هذه البراءة فليراجعها في كتاب الدرّ المنظوم للمثلث الرحمة البطريرك بولس مسعد صفحة ١٣٣.

عد ٢

تلامذة القديس مارون

قد أشار توادوريطوس في كلامه في القديس مارون إلى أنه الغارس والحارث لجنّة الله في قورش كما رأيت. وإنه قد أُنِع من هذه الجنّة ثمار شهية ذكر منها يعقوب معيناً، وقال إنه سيأتي على ذكر الباقيين مفصلاً. وعليه فيظهر أنّ أكثر النساك الذين ذكرهم بعد مارون إنما هم بأجمعهم تلاميذه أو متابعوه في طريقته. وقد صرّح توادوريطوس في كلامه على كثيرين منهم بأنهم من تلاميذ القديس مارون، أخصّ هؤلاء أولاً يعقوب الناسك الذي وصفه توادوريطوس بالكبير. وقل إنه زاره وقد كان مضى على جهاده نحو من ثماني وثلاثين سنة، فرأى منه ما يُدهش العقول، وإنه يُروى عنه لا ما رواه له غيره بل ما رآه بنفسه من جهاده وتقشفه ولبسه المسيح، واثقاله نفسه بالحديد، وتعرّضه لحرّ الشمس صيفاً، وللبرد القارس والعواصف والثلج والجليد شتاءً، واقتياته بقليل من العدس المبلول، وصرفه أكثر نهاره وليله بالصلوة والتأمل. وإنّ الله قد منّ عليه بموهبة صنع المعجزات. وقصّ توادوريطوس أخبار كثير منها، وفي جملتها اقامته ابن فلاح من الموت. وقال هذا المؤرخ عند ذكره هذه الآية: «لاني رأيت بنفسي هذا الغلام وسمعت أباه يخبر بهذه الآية الرسولية، وذكرتها لكثيرين عالماً بما يكون من الفائدة من هذا الخبر. وجاء في سنكسار طائفتنا في ٢٠ شباط أنّ هذا القديس أقام ابنة فلاح من الموت. ولا شك في أنّ ذلك زلّة من قلم الناسخ لأنّ توادوريطوس المعزو خبر الآية إليه قال

إنَّ المنبعث ابن لا ابنة. ومن آيات القديس يعقوب التي رواها هذا المؤرخ العلامة الثقة مساعدته له في مضايقه بنوع عجيب، وبراؤه كثيرين من المرضى أمراضاً عضالة، وإخراج الأبالس من المسوسين وطرده الشيطان إذ تراءى له بصورة وحش ليخرجه من الجبل الذي كان ناسكاً عليه، وإذ تراءى لأحد تلاميذه بهيئة معلمه وكان يأخذ من يده الماء الذي استقاه له، ويريقه على الأرض ليعذب القديس بالظماً. فتقاطر الناس إليه من كل صوب حتى أنَّ الجبل الذي كان خامل الذكر قبل نسكه عليه أصبح يؤمه الناس من كل طبقة، ويأخذون من ترابه ويتهادون به تبركاً وطلباً للشفاء.

ومن تلامذة القديس مارون القديس تلاميوس المسمى ليميناوس أيضاً، وقد كتب توادوريطوس ترجمته في الفصل ٢٢ من كتابه المذكور قائلاً إنَّ ما رواه عنه رآه بنفسه، إذ اجتمع به وأنس بحديثه العذب مرات. وإنه أتى إلى مارون العظيم إذ كان عنده يعقوب المار ذكره. ثم نسك في جبل قورش قريباً من القرية المدعوة جرجلة أو ترجلة، وأقام له حظيرة من حجر وحبس نفسه فيها لا يخرج منها ولا يُدخل أحداً إليها. بل يخاطب الناس من كوة في جدارها، ولم يفتح بابها لأحد إلا لتوادوريطوس عند زيارته له. وقد شابه الرسل بآياته فكان يُرى المرضى، ويشفي المسوسين. وقد اعتراه المرض المعروف بالقولنج، فلم يعالجه إلا بالصلوة. وداس في طريقه أرقم فلدغه عشر لدغات في يديه ورجليه فتحمل من ذلك آلاماً مبرحة صابراً. وسمح الله بمصابه تبياناً لصبره الجميل، ولم يتداو إلا بطلبه محال اللدغات بمزهر الصليب والصلوة. ورأى كثيرين من العمي يستعطون الصدقة فابتنى لهم مخادع حوله، وكان يُنفق عليهم من صدقات المؤمنين ويعلمهم التسبيح لله. واستمر على جهاده كيعقوب ثمانين وثلاثين سنة. ويعتد لذكره في ٢٢ شباط.

وذكر توادوريطوس بعد هذين يوحنا الناسك الذي انفرد في جبل شمالي قورش وأقام به خمساً وعشرين سنة غطاؤه الجو وفراشه الأرض وطعامه الخبز والملح ولباسه المسح مسترة به صفائح من حديد ثقيلة. ثم موسى الناسك الذي صرف سنين متطاولة في قمة جبل شامخ حذاء قرية تدعى راماص. ثم انطيوخس وانطونينوس اللذين زهدا في شيخوختهما وعكفا على الصلاة والسهر والصوم المديد. ثم زابينا الشيخ الذي كان القديس مارون يحبه حباً شديداً ويجلّه لتقدمه عليه سنناً، ويدعوه أباً ومعلماً له. وكان يرسل إليه من يقصدونه ليستمدوا البركة

منه. حتى أرسل إليه تلميذه يعقوب المار ذكره ليلبسه اللباس الشعري. ولما كان زابينا توفي قبل مارون، أوصى مارون تلاميذه أن يدفنه في قبر زابينا. ومن هؤلاء أيضاً بوليكرونيوس، وموسى آخر، ودميانس، ويعقوب آخر، ذكر جميعهم توادوريطوس، وأخذ عنه العلامة الدويهي (في تاريخ الموارنة) موجز تراجهم.

ومن مشاهير هؤلاء بردات ويسميه السريان ܒܪܕܬܐ (بَارْ هُدْ) ذكره توادوريطوس في الفصل السابع والعشرين. ووصف جهاده ونسكه العجيب، وقد اشتهر هو ويعقوب الكبير المار ذكره بفضائلهما بل بعلمهما أيضاً. حتى أنبأنا افاغريوس (ك ٢ من تاريخه فصل ٩): «إنَّ الملك لاون كتب رسائل عامة إلى جميع أساقفة المسكونة وإلى مَنْ تساموا في السيرة الرهبانية يسألهم عما يرون في شأن الجمع الخلكيدوني وترقية بطرس الأثغ إلى كرسي اسكندرية». ومن هؤلاء سمعان العمودي... وبردات الراهب ويعقوب السريانيان. وروى كذلك توفان في تاريخ سنة ٤٥٢م قائلاً: «إنَّ الملك لاون كتب أيضاً إلى القديس سمعان العمودي وبردات الراهب ويعقوب صانع العجائب، واستحلفهم ليجيبوا كأنهم يؤدون لله حساباً عما يرون في هذه المسائل المختلف فيها. وقد ذكرهما أيضاً افرام البطريرك الانطاكي، كما أثبت فوتيوس (في مكتبته ك ٢٢٨) حيث قال أنَّ افرام هذا كتب رسالة ومما قاله فيها: «إنه يلزم الاقتداء بسمعان (العمودي) وبردات ويعقوب الدائع صيت فضائلهم في المسكونة كلها. وقد صرفوا حياتهم برمتها في السيرة الرهبانية». وقال (في ك ٢٢٩) في افرام أيضاً «إنَّ هذا كان مبشراً باسلاً بالجمع الخلكيدوني الذي أثبتته ثلاث مئة وسبعون أسقفاً بتوقيعهم، وأيد هذا الايمان سمعان ويعقوب وبردات العجيبة سيرتهم». ونرى رسالة بردات الجواب للملك معلقة في ذيل الجمع الخلكيدوني عدد ٦١. طالع المكتبة الشرقية (مجلد ١ صفحة ٢٥٥ و صفحة ١٩).

ولم يكن للقديس مارون تلاميذ فقط بل كانت له تلميذات أيضاً، منهنَّ مارانا وكورة، فهاتان كانتا من حلب من أسرة شريفة فتركتا مجد العالم وزهوه وحبستا نفسيهما في غرفة حجرة، ولم تتركا منفذاً فيه إلا كوة صغيرة تتناولان الطعام منها. وعكفتا على الورع والتهجد والصلوة، واقتدتا بايليا النبي بصومهما أربعين يوماً. ولم تكونا تكلمان أحداً إلا في الخميسين يوماً من أحد القيامة إلى أحد العنصرة، بل مارانا وحدها كانت تكلم الزائرين والمسترشدين، وكورة لم يسمعها أحد تتكلم. وكان لباسهما خشناً وثقلانه بالحديد حتى حذبت كورة لضعف جسمها. وقال

توادوريطوس أنه زارهما وقد قصدتا زيارة الأماكن المقدسة ومضيفتا ماشيتين لم تذوقا زاداً في سفرهما. ولما أتمتا زيارتهما تناولتا قوتاً ثم عادتا صائمتين إلى حلب. هذا ما وجدته في نصّ توادوريطوس (في طبعة الأب مين)، وأراه أصحّ مما روي في تاريخ الدويهي المطبوع حديثاً، وفي سنكسار طائفنا في ٢٨ شباط من أنهما لم يأكلا شيئاً في سفرهما ذهاباً وإياباً. وقال العلامة الدويهي «لأنّ منزلهما في حلب كان معروفاً إلى أيامه بدار كورة».

ومن هؤلاء التلميذات دمنينا قال توادوريطوس فيها (فصل ٣٠) إنها اقتدت بالقدّيس مارون في نسكها، وكانت ابنة والدين حسييين غنيين. ولما توفيا ضربت كوخاً من هشيم الذرة في بستان أمها، وكانت تقضي يومها كله مصليّة باكية على ذنوبها وتبّل فراشها الشعري بدموعها. وكان طعامها العدس النقيع. وكانت تنفق من مال أمها على من ذكر من النساك والمعوزين. قال توادوريطوس إنّ كثيرات من النساء أحببن هذه الطريقة فأثر بعضهنّ السيرة المنفردة، وبعضهنّ العيشة المشتركة حتى ربا عدادهنّ إلى نحو مئتين وخمسين عابدة يأكلن طعاماً واحداً، ويرقدن على الحصر، ويغرلن الكتان، وأفواههنّ تترنم بالتسايح لله. انتهى

عد ٣

انتشار رهبان القديس مارون في سورية وتسمية متابعيهم موارنة نسبةً إليهم

قد مرّ قبلاً ذكر توافر عدد تلاميذ القديس مارون والأديار التي بُنيت على اسمه. فأولئك النساك المتوحدون في حياة القديس مارون قد انضوا بعده إلى رهبانية واحدة يضمها قانون واحد، وأقاموا لهم أدياراً كثيرة يعيشون فيها العيشة المشتركة، ومحابس للمتوحدين، ومدارس لاقتباس العلوم، ومنازل يأوي إليها الغرباء والفقراء. واقتنوا حقولاً ومزارع لتقوم بأود الرهبان والمتنسكين والمتعلمين والزائرين، حتى يظهر أنه كان لهم دير في قسطنطينية عاصمة الملك نفسها. فإنّ الرسائل التي رفعها مريان رئيس دير القديس دلماتيوس وغيره من رؤساء دير قسطنطينية إلى الملك يوستنيانوس، ومثا البطريرك القسطنطيني سنة ٥٣٦م تشفعاً بالرهبان الذين قدموا من سورية للتشكي على ساويرس بطريرك انطاكية، يتبيّن منها أنه كان في ضواحي

قسطنطينية دير على اسم القديس مارون، ونعلم أنّ رئيس هذا الدير شهد المجمع الخامس المسكوني، وقد دُوّن توقيعه في الرسائل المذكورة (توادورس القس برحمة الله رئيس دير القديس مارون وقعت وتضرعت (رواه البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخ الموارنة). وقد ذكرنا قبلاً أنّ ديرهم الأكبر كان على ضفة العاصي بين حمص-وحماه، وأنه كان فيه نحو من ثمان مئة راهب، وأنه كان له الرئاسة على أديار سورية الشمالية كلها، وإنهم كان لهم دير عند منبع العاصي وآخر في جوار دمشق. ويظهر من رسالتهم الآتية ذكرها أنهم أخذوا دير القديس سمعان العمودي ووسعوا مبانيه حتى كان يسع مئآت من الرهبان، كما يدل ما بقي من أطلاله التي ذكرها دي فوكواي في كتابه في آثار سورية (مجلد ١). ولا مرأ في أنه كان لهم أديار أخرى لنجهل مواقعها ولا نشكّ في وجودها إذ نرى في رسالتهم المذكورة توقيع خمسة وعشرين رئيساً.

إنّ رهبان دير القديس مارون لم يكونوا يقتصرون على النسك والتكامل بالفضيلة وتخليص نفوسهم فقط، بل كانوا يباشرون الرسالة والاهتمام بخلاص الآخرين أيضاً، فيطوفون المدن والقرى منادين بكلام الله ومحرضين الشعب على اقتفاء الفضائل والتحاشي عن الرذائل، ولا سيما الكفر بالدين، ويناصبون أصحاب البدع والآراء الفاسدة ولا سيما النساطرة والساويريين والاطاخيين بخطيئهم ومكاتباتهم وجدالهم، فكان رؤسائهم كقادة جيش يدافعون عن الدين القويم، ورهبانه جنوده الباسلون وكماته الظافرون، وأديارهم كقلاع حصينة يلجأ إليها كل من ضايقه المارقون، ويؤمها كل من عازه سلاح العلم الصحيح لمناوأة الجاحدين، يستعين بهم الاساقفة والرعاة على حفظ خرافهم في حظيرة الدين القويم، ويستنجدهم الكهنة وأولو الغيرة لارشاد الضالين وتقوية الضعفاء. وقد كان في المشرق من أقدم الأيام ما نراه إلى اليوم أنّ عامة الشعب يتبعون آثار رؤسائهم الروحيين وينتمون إليهم، ويسترشدونهم ويكلون إليهم أمورهم الدينية والدنيوية، وكأنه رسخ في طبعهم الميل إلى الشيوكراسي أي الانقياد إلى السلطة الروحية. وعلى هذا النحو كان جميع المنتسبين بالدين الكاثوليكي في ذلك العصر ينقادون إلى رهبان القديس مارون، ويصغون لتعليمهم وينتمون إليهم، وهم يقيمون بنصرهم ويدافعون عنهم، وما جرى عليهم من الاضطهاد بحرق أديارهم وقتل جم غفير منهم كما سترى زاد الشعب علاقةً بحبهم واجلالاً لهم ذلك حظ كل مضطهد

ظلماء، فأخذ خصومهم ازدراء بهم يسمونهم مارونيين أو مواردنة نسبةً إلى هؤلاء الرهبان، وإلى القديس مارون أبيهم على نحو ما يسمي بعض السفهاء والمارقين في هذا العصر يسوعيين من ينقادون إلى ارشاد الآباء اليسوعيين الأفاضل. فهذا كان أصل هذه التسمية وبداءتها وهم لم يكونوا يأنفون منها، وتمكنت فيهم وجعلوها شعاراً لهم بعد أن انفصلوا عن اولي البدع، وأقيم لهم القديس يوحنا مارون من رهبان القديس مارون بطريقاً عليهم.

ولنا على قولنا هذا الأخير أدلة جلية قاطعة أولها أنّ كثيرين من الأخبار الرومانيين سمو القديس مارون الرئيس أبا الطائفة المارونية، منهم بناديكتس الرابع عشر في براءته في ١٢ آب سنة ١٧٤٤م التي بها «منح غفراناً كاملاً لكل من يزور كنيسة من كنائس الطائفة المارونية في اليوم التاسع من شهر شباط الذي يحتفل فيه المواردنة كل عام بعيد القديس مارون أبي طائفتهم الخصوصي من مساء مدخل العيد إلى مغرب الشمس يوم العيد». وقال هذا الخبر العلامة في رسالته إلى البطريرك سمعان عواد في ١٢ آذار سنة ١٧٥٥م: «لا شك في أنّ قاصدنا الأب ايسيدورس حقق لاختوتك كم لنا من الغيرة والمحبة لك أيها الأخ المحترم وللإخوان المطارين الموقرين وسائر الأبناء الأعزاء بني ملتك الجليلة والطائفة المارونية كلها التي تفتخر باقرارها بأنها أخذت عن القديس مارون بالخصوص الايمان الكاثوليكي، وإنّ ثباتها فيه ونموه فيها من نتائج تشفعه بهم». وقد سمي القديس مارون أبا الطائفة المارونية في رسالته أيضاً إلى نيوقولاوس لركاري في ١٨ ايلول سنة ١٧٥٣م. ونرى مثل ذلك في براءات غيره من الأخبار الرومانيين. ثم إنّ المحققين من العلماء أثبتوا أنّ المواردنة سمو بهذا الاسم نسبةً إلى القديس مارون. تقتصر منهم على ذكر لكويان في كتابه الموسوم بالمشرك المسيحي في الفهرست الملحق بالمجلد الثالث حيث قال: «إنّ المواردنة سمو بهذا الاسم في القرنين الرابع والخامس نسبةً إلى مارون الكلي القداسة، ومن البعيد عن الصواب أن يكون هذا الاسم مشعراً ببذعة بل إنه دال على المعتقد الكاثوليكي خلافاً لبذعتي نسطور واولي الطبيعة الواحدة في المسيح، إذ كان كل من يهمهم حفظ الايمان الكاثوليكي يتقاطرون إلى دير القديس مارون فيرشدتهم رهبانه إلى الايمان الصحيح والثبات فيه. وعليه فكانوا يسمون مواردنة كأنهم تابعون أخصاء لايمان رهبان القديس مارون». ونذكر أيضاً شهادة الأب بريسيوس الكبوشي في مختصر تاريخ بارونيوس في الحاشية على تاريخ سنة

٤٠٧م حيث قال: «وقد سُمي باسم هذا القديس مارون لا أبناؤه الرهبان فقط بل جمهور وافر العدد أيضاً قد اتبعوا في تلك الاصقاع دين الحق وتشبثوا بقوانين المجامع الستة التي انتصر لها تلاميذه الرهبان». وتحرير هذا المبحث أنّ اسم موارنة أطلق على الرهبان الذين تتلمذوا للقديس مارون أو طرّقوا طريقته، كما سُمّي انطونيون من تتلمذوا للقديس انطونيوس أو عملوا بدستوره، إلى غيرهم من الرهبانيات التي تنسب إلى واضعي طريقها. ثم أطلق خصوم رهبان القديس مارون هذا الاسم على من رأى رأي هؤلاء الرهبان في الايمان الصحيح من عامة الناس فسموهم موارنة نسبةً إلى هؤلاء الرهبان وإلى أبيهم القديس مارون. وهم لم يأنفوا من هذا الاسم بل تمكن ورسخ فيهم عندما انفصلوا عن اولي البدع واختار أساقفتهم بطريركاً على ملّتهم يوحنا مارون الذي اتخذ اسم مارون لأنه كان من رهبان القديس مارون. فمرجع هذه التسمية إذاً إلى القديس مارون لا إلى مارون اراتيكي كما وهم افثيشيوس المعروف بسعيد بن بطريق بطريرك الملكيين الاسكندري عن حسد وضمينة. وانتحل كلامه غوليلمس أسقف صور اللاتيني، وتابعهما على وهمهما جمهور من العلماء مغترين بشهادتهما، وخالفهم كثيرون من العلماء المحققين المدققين، بل كثيرون من الأحرار الرومانيين الأعظمين. ونكتفي الآن لرد هذا الهم بقول سعيد بن بطريق نفسه فهو قال: «كان في عصر موريق ملك الروم راهب اسمه مارون قال إنّ لسيدنا يسوع المسيح طبعين ومشيفة واحدة وأفسد مقالة الناس ... فسمي التابعون لدينه مارونيّين نسبةً إلى مارون. ولما مات مارون بنى أهل حماه ديراً سموه دير مارون... وقورش بطريرك الاسكندرية وسرجيوس وبيرس أسقف قسطنطينية ومكدونيوس ومكاريوس أسقفا انطاكية وانوريوس بابا رومية وهرقل الملك كانوا مارونيّين». فكل من له أقل المام بالتاريخ يهيجّه هذا الكلام للضحك ويزدريه. فمما لا يمتري فيه أحد المؤرخين أنّ القديس مارون الذي بنى أهل حماه الدير على اسمه كان في عهد توادوسيوس الكبير واركاديوس ابنه الذي رقي سدة الملك سنة ٣٩٥م وتوفي سنة ٤٠٨م، وإنّ موريق استوى على أريكة الملك سنة ٥٨٢م وتوفي سنة ٦٠٢م، فبين موريق ومارون نحو من قرنين. وما أجمع عليه المؤرخون أيضاً أنّ بدعة المشيفة الواحدة في المسيح نشأت في قسطنطينية سنة ٦٢٨م فكيف ابتدعها مارون وقد مضى إلى ربه قبل ظهورها بنيف وقرنين، وإن قال أنه عني يوحنا مارون فيكذبه قوله أنّ أهل حماه بنوا ديراً على

اسمه، ولا جرم أنّ الذي بُني الدير على اسمه هو القديس مارون لا القديس يوحنا مارون، فضلاً عن أنّ يوحنا مارون لم يكن وُلد عند ظهور بدعة المشيئة الواحدة سنة ٦٢٨م أو كان حدثاً ليس في مقدوره أن يبدع بدعة، فقد أجمعوا على أنه رقي إلى أسقفية البترون نحو سنة ٦٧٥م، وإلى بطركية انطاكية سنة ٦٨٥م وتوفي سنة ٧٠٧م. فإن كان قد بلغ الثمانين من عمره فيكون مولده سنة ٦٢٧ أو سنة ٦٢٨م سنة ظهور هذه البدعة. ولا خلاف في أنّ قورش وسرجيوس وبيرس ومكدونيوس ومكاريوس هم مبدعو هذه البدعة وأنصارها، ولم ينسبها إلى مارون إلا ابن البطريق. ومن لا يسخر من قوله أنّ انوريوس بابا روما وهرقل الملك كانا مارونيين وهو لم يسند قوله إلى أحد، ولا ترى خطة تشير إليه في كل ما كتب مدة ثلاثة قرون (أي مذ نشأة هذه البدعة إلى أيامه)، ولا في المجامع التي عُقدت لتحريرها، ولا في كتب العلماء الذين ناصبوها أو دافعوا عنها، ولا في آثار المؤرخين الذين تقدموه، فرعمه إذاً مردود بنفسه ويقضي كل عالم أنه هذيان. وأما قول غوليلمس الصوري فيفنده قوله نفسه في مقدمة تاريخه: «وقد اعتمدنا خاصة على شهادة الرجل المحترم سعيد بن بطريق البطريك الاسكندري» فقوله مبني إذاً على باطل، وكل مبني على باطل فهو باطل وكذا قل في كل من تابعهما على قولهما.

وسنعود إلى رد هذه التهمة في ما بعد بأكثر اسهاب. فنكتفي الآن ببرهان آخر هو أننا إذا سلمنا بقول ابن البطريق وغوليلمس ومن تابعهما وردت علينا معضلة أكثر اشكالاً من هذا التسليم، فالأخبار الرومانيون اثبتوا أنّ مارون قديس، وقد أفرد بناديكتس الرابع عشر رسالته إلى نيقولاوس ليركاري المار ذكرها لاثبات قداسته، ومنح البابا اكليمنضس الثاني عشر غفراناً كاملاً لمن يزور كنيسة من كنائس رهبان الموارنة يوم عيده في ٩ شباط. ثم عمم بناديكتس الرابع عشر هذا الغفران إلى زيارة جميع كنائس الموارنة. وقد ترك الأخبار الرومانيون كلهم الموارنة يسمون بهذا الاسم بل هم سموهم به كلما أتوا بذكرهم، فهل سموهم باسم مبتدع؟ ونراهم لم يتركوا السريان الكاثوليكين يسمون يعاقبة ولا الكلدان ليسموا نساطرة ولا الأرمن ليسموا براصمة فإذاً تسليمنا بقول ابن بطريق يضطرنا إلى أحد أمرين: إما أن نقول أنّ الأخبار الرومانيين ضلّوا أو غلطوا، وإما أنّ ابن البطريق ضلّ أو غلط، وأي عالم منصف يؤثر أن يصم بالضلال الأخبار الاعظمين على أن يصم به ابن البطريق الذي شحن تاريخه بالأقاصيص والخرافات، وتعقبه بها كثير من العلماء الاعلام،

وسوف نبيّن بعضها وليت كتاب هذا العصر عصر الانتقاد ولا سيما الاورباويين منهم يتدبرون هذين البرهانين اللذين اقتصرنا الآن عليهما كيلا يتهافتوا إلى رشق الموارنة بأسهم الاتهام مغترين بما كتبه سعيد بن بطريق أو غوليلمس أسقف صور أو غيرهما من المتابعين لهما، كبرجياه في معجمه اللاهوتي وكايتانس موروني في معجمه التاريخي، ويوليا في معجمه للتاريخي الجغرافي وغيرهم، ولو أكثروا من المطالعة كما يلزم كتاب التاريخ خاصة لوجدوا كثيرين من المحققين الاورباويين أنفسهم، منهم: يوحنا منسي، ويوحنا بلما، ورنكاليا، وباجيوس، أثبتوا ما يخالف زعمهم ولوقوا أنفسهم من الخطأ والموارنة من الاتهام.

عد ٤

مناضلة الرهبان الموارنة عن الايمان الكاثوليكي وما عانوه من الاضطهاد لذلك لا نرى أجدر بهذا المقام من ايراد الرسالة التي رفعها هؤلاء الرهبان إلى الحبر الروماني البابا هرمزدا الذي تبوأ السدة الرسولية من سنة ٥١٤ إلى سنة ٥٢٣م، وأنفذوها إليه مع يوحنا وسرجيوس من اخوتهم، وقد أثبتها لاهاي (في مجموعة المجامع مجلد ٤) ونقلها عنه روهربخر في تاريخه (ك ٤٣) ورواها البطريرك اسطفانس الدويهي الأهدني في تاريخ الموارنة (صفحة ٤١) وهذه هي الرسالة مترجمة عن ترجمتها الافرنسية.

«إلى بطريك المسكونة كلها الحبر هرمزدا الكلي القداسة والطوبى الجالس على كرسي بطرس زعيم الرسل تضرع وخشوع يرفعهما إليه أحقر رؤساء الأديار في سورية الثانية وغيرهم من رهبانها. أما بعد، فلما كانت نعمة الله مخلص جميعنا تدعونا أن نلجأ إلى طوباويتكم كما يلجأ إلى مرفأ لدن مهاب العواصف، فأتيناكم موقنين أننا ننجو مما يحف بنا من المخاطر، فإننا وإن قاسينا الاضطهاد فنتحملة مسرورين، ولما كان المسيح إلهنا قد أقامك رئيساً للرعاة ومعلماً للنفوس وطيباً لها، أنت وملكك الصالح كان لازماً أن نرفع إليك شرح ما حلّ بنا من الاضطهاد ونعلمك بالذئاب التي تفترس رعية المسيح لتقصيهم عن الخطيرة بعضا سلطانك، وتبرئ النفوس بكلمة تعليمك، وتضمد جراحها ببلسم صلواتك، فهؤلاء المضطهدون المفوقون أسهمهم علينا إنما هم ساويرس وبطرس اللذان لا يعدان

في عداد المسيحيين لأنهما يحرمان كل يوم علانية المجمع الخلكيدوني المقدس، وأبانا لاون الحبر الأقدس غير مبالين بدينونة الله المرهبة، بل قد وطأا قوانين الآباء ورقيا إلى الاسقفية بسطوة الملك، وأذاقانا أعذبة مبرحة ليكرهانا على الاحتقار للمجمع المقدس المنوّ به. فبعض الناس ماتوا بتعذيبهم لهم، وقد قتلوا جمّاً غفيراً منا لأننا بينما كنا ذاهبين إلى دير القديس سمعان (العمودي) قد أكنّ لنا في طريقنا بعض الخبثاء الأشرار ووثبوا علينا وقتلوا منا ثلاث مئة وخمسين راهباً، وأثخنوا الجراح في كثيرين وأبسلوا في جانب المذبح من لجأوا إليه، وأحرقوا أديارنا وأرسلوا ليلاً جماعة من الأشرار ورشوهم بدراهم فنهبوا ما بقي ولم يبقَ إلا شيء يسير. ويتيسر لطلوبائكم أن توقف على تفصيل هذه الأمور بمطالعة المذكرة التي يرفعها اليكم أخوانا المحترمان يوحنا وسرجيوس اللذان كنا قد أرسلناهما إلى قسطنطينية أمّلين انصافنا ومنع هذا الجور عنا فلم يتنازل الملك إلى سماع شكواهما بل أمر بطردهما فعلمنا ما كان يلزمنا أن نعلمه من ذي قبل أنه هو علّة كل هذه الشؤون والأمر بها. فنبتهل إليك أيها الأب الأقدس أن تأخذك الشفقة على كلوم الجسد فإنك أبوا الجميع، وأن تتأثر للايمان والقوانين والآباء والمجمع، فقد أولاك الله سلطان الربط والحل فهلّم أيها الأب الأقدس لخلاصنا، واقتديّ بربنا الذي نزل من السماء إلى الأرض ناشداً الحروف الضال وتأمل ببطرس زعيم الرسل الذي تشرف كرسيه وبولس الاناء المختار فقد طافا المسكونة لينيراها، والكلوم الكبيرة تحتاج إلى أدوية عظيمة. إنّ المستأجرين إذا رأوا الذئب مقبلة تركوا الخراف لكنك أنت الراعي الحقيقي الذي سلّمت إليه الخراف، فإذا نجت الخراف من الوحوش الضارية مشت قدامك وعرفت راعيها وأتبعته صوته، كما قال ربنا إنّ خرافي تعرف صوتي وأنا أعرفها وهي تتبعني. فلا تهملنا إذا أيها الأب الأقدس نحن الذين تسطو علينا الوحوش الضارية في كل يوم، وبارشاد ملكك القدوس نحرم باستغاثتنا هذه منزلينها منزلة دستور الايمان لك من ينبذهم كرسيك الرسولي، ونحرمهم أي نستطو واطيخا وديوسقورس وبطرس الالغ وبطرس القصار واكاشيوس وكل من يدافع عن أحد من هؤلاء الهرطقة». وقد ذكر البطريرك اسطفانس الدويهي في ذيل هذه الرسالة تواقع من وقّعوا عليها بخط أيديهم كمايلي:

١ أنا اسكندر برحمة الله قسيس ورئيس دير القديس مارون أتضّرّع

٢ شمعون برحمة الله قسيس ورئيس

- ٣ يوحنا برحمة الله قسيس ووكيل
- ٤ بروكوب برحمة الله قسيس ورئيس
- ٥ بطرس برحمة الله قسيس
- ٦ اوجان برحمة الله قسيس
- ٧ جيلاد برحمة الله قسيس
- ٨ بسوس برحمة الله قسيس
- ٩ رامولس برحمة الله قسيس
- ١٠ اورشال برحمة الله قسيس
- ١١ ملخس برحمة الله قسيس

وبعد هؤلاء توابع كثيرين وجملتهم مئتان وعشرة، منهم مئة واثنان وخمسون قسيساً وثلاثة وثلاثون شماساً وخمسة وعشرون رئيساً وهؤلاء الرؤساء ستة قسوس وثمانية شمامسة والباقيون دونهم درجة.

فلما وقع البابا على رسالتهم هذه أجابهم في ١٠ شباط سنة ٥١٨م برسالة ذكر روهريخر ملخصها في تاريخه (ك ٤٣)، وذكره أيضاً البطريرك اسطفانس الدويهي (في تاريخ الموارنة صفحة ٤٤) عن لاباي (في مجموعة المجامع مجلد ٥)، وكلامه في هذه الرسالة المنفذة إليهم شامل جميع الكاثوليكين في المشرق، فيشجعهم على الثبات في الايمان القويم قائلاً إنّ هلاك الأبدان في سبيل الايمان لا يُعدّ خسراناً بل ربحاً وافراً بالنظر إلى الثواب الأبدي، وإلى أنّ المسيح يزيدهم في هذه الحياة أيضاً أبداً بنعمته. ويذكرهم بمثل المكابيين قائلاً إنّ كانوا قاسوا ما قاسوه حباً بظل الحقيقة فكم يكون أولى بنا أن نتحمل الاضطهاد حباً بالحقيقة نفسها، وإنه يلزمهم أن يتجنبوا مخالطة ذوي الضلال ويرعوا أوامر الجمع الخلكيدوني ورسائل القديس لاون البابا، وأن ينبذوا لا مبدعي البدع فقط بل متابعيهم عليها أيضاً. وأشار إلى الملك انسطاس فقال إنّ سلطة الناس شيء وخدمة الأخبار شيء آخر، فلو اقتصر عوزيا على تدبير المملكة لما أصابه البرص الذي اعتراه لأنه أراد أن يجمع بين الملك والكهنوت خلافاً لارادة خادمي الهيكل فخر الملك والكهنوت معاً. ولم تغفل نحن عن شيء مما هو لازم في هذه الحن، فأرسلنا وفدين واستخدمنا التضمرات الدليلة وإيراد البراهين المعقولة والتصريح بالأوامر الخلاصية،

ولا يوقفنا الاصرار عن السلوك في جادة العدل فمن لا يرفعون عن طريق الاثم سوف يهلكون دون أن يمسونا بضرر.

وبعد أن قضى الله على انسطاس الملك سنة ٥١٨م وخلفه الملك يوستينس، وأمر بأن يرجع الاساقفة المنفيون إلى كراسيهم، واستمر بطرس أسقف أباميا على عيته واضطهاده الكاثوليكين، أخذ رؤساؤهم في انطاكية ورهبان القديس مارون يرفعون الرسائل إليه وإلى يوحنا بطريرك قسطنطينية متشكين من بطرس المذكور واتباع ساويرس. فعقد البطريرك القسطنطيني مجمعا في هذه المدينة شهده ثلاثة وأربعون أسقفاً، فحرموا ساويرس وبطرس المذكورين وأرسلوا رسالة مجمعية إلى بطريركيتي انطاكية وأورشليم، فعقد في أورشليم وصور المجمعين اللذين ذكرناهما في كلامنا على المجمع، وأرسل اكليرس انطاكية وصور إلى يوحنا البطريرك القسطنطيني ومجمعه رسالة مسهبة ذكرها البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخ الموارنة (صفحة ٤٥) وقد اشتملت على عبارات كثيرة من العبارات الواردة في رسالة رهبان القديس مارون السالف ذكرها إلى البابا هرمزدا. وفي جملة تواقيعها تواقيع كثيرين من رهبان القديس مارون، وذكر الدويهي منهم يوحنا راهب دير القديس مارون. يعقوب راهب دير الرجل الصالح. قسطنطين راهب وقاصد دير استيرس ذي الذكر الصالح. نونيس شماس دير القديس بولس. سليمان راهب دير القديس اغاييطس. سرجيوس راهب دير القديس سمعان. حلفى راهب دير القديس يعقوب. سعيد راهب دير القديس يوحنا. سمعان راهب دير القديس بولس. بولس راهب دير القديس ليسيكس. عبد الأحد راهب دير القديس دوروثاوس. فلما علم الملك يوستينس بهذه الرسالة ألقى بطرس أسقف أباميا وأخسنيا أسقف منبج في السجن، وسمع ساويرس بذلك فوّلّى هارباً كما مرّ في كلامنا عليه.

وتوجد رسائل معلّقة في ذيل المجمع الخامس من رهبان القديس مارون وهي ناطقة بما كان لهم من الحمية والغيرة على الايمان الكاثوليكي والمجمع الخلكيدوني، وما كان لهم من الاجلال للبابا لاون القديس الذي أمر بعقد هذا المجمع. ويتبين منها أيضاً أنه لما قدم البابا اغاييطس إلى قسطنطينية أنفذوا إليه وفدًا من أخوتهم ليرفعوا إليه فروض الطاعة والشكر لعزله انتميس بطريرك قسطنطينية عن كرسيه لزيغانه عن الايمان الصحيح. ولما عقد منّا خليفة انتميس المذكور مجمعا سنة ٥٣٦م كتب إليه رهبان القديس مارون رسالة وأنفذوها مع يوحنا القسّ سفيرهم ويرى توقيعه هكذا: «يوحنا برحمة الله القسيس الراهب سفير دير القديس مارون المترس

على جميع الأديار والرهبان في سورية الثانية، والمتكلم عن جميع رؤساء الأديار والرهبان الذين في سورية هذا كتبت» ورفعوا رسالة أخرى إلى الملك يوستينيانس وأوفدوا إليه بها بولس الشماس وتوقيعه: «بولس الشماس برحمة الله سفير دير القديس مارون المقدم على جميع الأديار الموقرة في سورية الثانية والمتكلم عن جميع رؤساء الأديار التي في سورية المذكورة تضرعت وقدمت» (عن تاريخ البطريك اسطفانس الدويهي صفحة ٤٩).

إن دير القديس مارون على العاصي الذي أشار رهبانه في رسالتهم المثبتة آنفاً إلى حرقه في أيام الملك انسطاس ودك أسواره، قد جدده الملك يوستينيانس الكبير كما أنبأنا بروكوب الكبادوكي (في مؤلفه في ابنية يوستينيانس ك ٥ فصل ٩). وكان بروكوب في دولة يوستينيانس وكاتباً لباليصار وقائد جيشه، ثم والياً في العاصمة كما رأيت آنفاً، فهو شاهد عيان. فعاد هذا الدير مزهراً برهبانه ومنازلتهم عن الايمان والجمع الخلكيدوني إلى سنة ٦٩٤م التي فيها دخلت جنود يوستينيانس الثاني الملقب بالأخرم إلى سورية فدكوه دكاً وجعلوه قاعاً صفصفاً انتقاماً من رهبانه الذين لم ينقادوا إليه في الاعتقاد بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح (طالع الدر المنظوم للمثلث الرحمة البطريك بولس مسعد صفحة ١٣١).

ويظهر ان هذا الدير جدده رهبان دير القديس مارون بعد انتفاضه فقد أفادنا الأب نو العالم الافرنسي بأنه طالع كتاباً سريانياً مخطوطاً في المتحف البريطاني في عدد ١٧١٦٧ فوجد معلقاً عليه ان هذا الكتاب كتبه رجل اسمه سركيس سنة ٥٨١ واشتره راهب من دير القديس مارون ووضعه في مكتبة هذا الدير سنة ٧٤٥ إذ كتب عليه حاشيتان الأولى ترجمتها: «فليكن ذكر صالح أمام الله الأب القديس على كل شيء وأمام سيدنا يسوع المسيح وأمام الروح القدس المحيي للكاهن مار متى من قرية قولاب في بلاد الصوفانيين الساكن بدير الطوباوي مار مارون ولتلاميذه الذين شروا هذا كتاب يوحنا الراهب مع عدة كتب غيره للانتفاع بها وقد دخل إذاً هذا الكتاب إلى مكتبة دير مار مارون سنة ١٠٥٦ (لاسكندر الموافقة لسنة ٧٤٥) في زمان الرئيس مار جرجس من خربة مارويا وكان حافظ المكتبة اتناسيوس من (الكلمة غير مقروءة في الأصل) ومار سركيس من ديلام ومار قزما من معرة منشرين (لعلها قنسرين) ومار زكريا من «متا» فدير القديس مارون كان قائماً إذاً سنة ٧٤٥.

ولكن يظهر أنّ هذا الدير خرب في القرن التالي أي في القرن التاسع واستدل الأب نو على ذلك بالحاوية الثانية المعلقة على هذا الكتاب أيضاً في القرن التاسع أو العاشر إذ قيل فيها: «إنّ هذا الكتاب وهبه اخوان متى و ابراهيم راهبان من تكريت لكنيسة السيدة والدة الله كنيسة السريان في برية لاسقيط واستدل الأب نو من انتقال هذا الكتاب من دير مار مارون مع انه معلق عليه أنّ من أخذه يكون محروماً أنّ الدير خرب واتصل الكتاب المذكور ليد الراهبين للذين وهباه لكنيسة الاسقيط. انتهى وقد أخذ هذا الكتاب من كنيسة الاسقيط رجل رومي اسمه باخوس وباعه سنة ١٨٤٥ للمتحف البريطاني حيث عثر عليه الأب نو.

عد ٥

رسالة رهبان القديس مارون إلى رؤساء إيعاقبة وجواب هؤلاء لهم

عثر الأب نو العالم المذكور في المتحف البريطاني في الكتاب المخطوط السرياني في عدد ١٢١٥٥ صفحة ١٦٣ على رسالة سريانية كتبها رهبان القديس مارون إلى رؤساء إيعاقبة بانطاكية وعلى جواب هؤلاء الرؤساء لهم ونشر ترجمة افرنسية للرسالة وجوابها في جريدة الجمعية المعروفة بجمعية القديس لويس للموارنة في نشرتها السابعة والتسعين في شهر كانون الثاني والثامنة والتسعين في شهر نيسان من سنة ١٩٠٣ ثم طبع ذلك الأثر بالسريانية طبعاً فوتوغرافياً وأهدى إلينا عدة نسخ منه راغباً إلينا أن نترجمه إلى العربية وننشره وسنجيب إلي رغبته إن شاء الله ونقتصر الآن على ما يأتي:

فمن رأي الأب نو أنّ هذا الأثر خط في القرن الثامن للميلاد وأنّ الرسالة والجواب عليها كتبها في أواخر القرن السادس وأوائل السابع وقد أنبأنا العلامة السمعاني (مجلّد ثانٍ من المكتبة الشرقية صفحة ٧٢) نقلاً عن ديوانسيوس التلموس أنّ العالمين بربوس ويوحنا بعد أن عضدا بسورية ومصر بطرس القالينيقي بطريرك إيعاقبة قلبا له ظهر المجن واعتقدا ما علمه الجمع الخلكيدوني وأحدثا قلقاً بين إيعاقبة في بلاد انطاكية. ولما توفي البطريرك المذكور سنة ٥٩١ طلبا من البطريرك انسطاس خليفته (كان من سنة ٥٩٥ إلى سنة ٥٩٩) أن يستدعي جميع

الرهبان إلى انطاكية ليبحثوا في الايمان وليثبتوا أنّ إنكار بطرس المذكور الطبعيتين في المسيح إنما هو أمر محدث في الكنيسة، فدعا الرهبان إلى انطاكية بنوع من الإكراه أيضاً وأمسكهم فيها ستة أشهر ويظهر أنه بهذا المعرض كانت كتابة رهبان القديس مارون لليعاقبة وجواب هؤلاء عليها.

ويظهر من الرسالة وجوابها أنّ رهبان القديس مارون كانوا رؤساء الحزب الكاثوليكي وأنّ هذا الحزب الذي قهره اليعاقبة في أوائل القرن السادس قد تغلب على اليعاقبة بعد ذلك وكان للرهبان المذكورين سيطرة على المسيحيين إذ ترى في جواب اليعاقبة أنهم يقولون لأهل هذا الحزب الكاثوليكي «إنكم تحملون العصي فتضربون وتضطهدون وتطهرون وتهينون الكهنة المؤمنين بالمسيح الذين لا يرضون أن يتابعوكم على عتوكم فتشبهون اللصوص وقطّاع الطرق العائثين في الجبال والبراري. ونرى ابن العري يصرّح بحصول شيء من ذلك في تاريخ سنة ٦٣٠ إذ قال في تاريخه السرياني: «إنّ رهبان مارون في منبج وحمص أبدوا قسوة شديدة فأخربوا كثيراً من الكنائس والأديار التي لليعاقبة. ولما كان جماعتنا يتشكون إلى هرقل الملك لم يكن يجيبهم على أنّ إله النعمة أرسل العرب لكي يخلصنا من الروم ومع ذلك لم ترد علينا كنائسنا بل بقي لكل فريق ما كان بيده ولا أقل من أننا نجونا من ظلم الروم وبغضهم لنا».

وفي سنة ٦٥٩ جادل الموارنة بعض رؤساء اليعاقبة بحضرة الخليفة معاوية وأفحموهم ففرض عليهم الخليفة تأدية عشرين ألف دينار كل سنة ليعمهم من خصومهم وكل ما مرّ يثبت إثباتاً قاطعاً أنّ الموارنة كانوا مخالفين لليعاقبة قبل ظهور بدعة المشيعة الواحدة سنة ٦٢٨ وحين ظهورها وبعده. ومما يعرفه الجميع أنّ منشئي هذه البدعة إنما هم رؤساء اليعاقبة وهي نتيجة لازمة من بدعتهم الطبيعة الواحدة ينتج من ذلك نتجاً يبيّن أنّ الموارنة براء لا من بدعة اليعاقبة فقط بل من بدعة المشيعة الواحدة أيضاً. ذكرنا ذلك استطراداً ولنعد إلى الغرض.

فهذه ترجمة رسالة رهبان القديس مارون عن أصلها السرياني:

«مباحث رهبان بيت مارون التي هي حكم على حزب بطرس (بطريك اليعاقبة) المنشقين وهم فرقة من فرق اوطاخي وساويروس وقد قبحوا أسماءهم

وجعلوا مساكنهم أشبه بمغاور السرقة واللصوص من رهبان بيت مارون المستقيمي
الايان أبناء البيعة المقدسة الكاثوليكية.

قال الكتاب الإلهي يكونون خزيًا لآبائهم ولا يتعلمون الأدب فقد صدق
عليكم وتحقق فيكم هذا الكلام لأن لكم وجوهاً من نحاس فلا تدخلون ولا
فكنتم تقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا فإننا من خمسة أيام نتوقع
الجواب منكم على المسائل الخمس التي سقطتم بها وما استطعتم أن تجابوا ومع
ذلك اهتمنا بكم وأنفدنا إليكم رسالة مشهورة على يد مار قسطنطين الجليل حفظه
الله وعلى هذه الرسالة أيضاً لم تجيبوا والتقرير الذي طلبناه منكم بمدينة الله
(انطاكية) نطلبه الآن منكم برسالتنا هذه ونستشهد عليكم الله والناس فأجيبونا إن
استطعتم أو يئونا لنا عذراً مقبولاً إن كان لكم في المسائل الخمس التي حجبناكم
بها أمام أهل المدينة كلهم وأمام غرباء عنهم شهدوا ما كان بيننا وبينكم فأجيبوا
بخوف الله وبالاتماد على علماء مشهود لهم بالفضل والقداسة ولا خلاف بيننا
وبينكم وبين أحد المسيحيين على صدق أقوالهم والأولى من المسائل الخمس هي
أيصح القول إن المسيح مضاعف (أي إله وإنسان) والثانية أيقال إن في المسيح
طبيعة مركبة والثالثة هل الطبيعة والأقنوم والقوام هي شيء واحد في المسيح والرابعة
هل حرم ديوسقورس معلمكم اوطاخي بعد أن قبله في شركته والخامسة هل
تحرمون كل من يقول إن في المسيح طبيعتين قبل الاتحاد وحين الاتحاد وبعده. هذه
هي المسائل الخمس.

أما المحامون الذين أتيت بهم فإن أخذوا على أنفسهم أن يدافعوا عن الأضاليل
التي تسكعتم بها فليجيبوا أولاً على المسائل الخمس المذكورة آنفاً وإن كان لهم بعد
ذلك ما يقولون أو يحتجون به فليجأوا به دون خوف وإن لم يصوبوا أن يدافعوا
عن هذه الخزعبلات فليحرموا القضايا الأربع المار ذكرها ويوقعوا على حرهم بها
ويبينوا أن ديوسقورس حرم اوطاخي. وبعد ذلك نذهب نحن إليكم فنتباحث معاً
دون مواربة ولا التباس ليتبين هل يلزم أن يقال إن في المسيح طبيعتين أو طبيعة
واحدة ومن دون أحد الأوجه المذكورة لا نقبل نحن البتة أن نخاطبكم أو نسمع
كلامكم ونستحلفكم بالثالوث الأقدس المتساوي جوهرًا وبإسكيمكم الموقر إن كنتم
توقرونه أن تطلعوا على رسالتنا هذه جميع الأساقفة القريين منكم في جهة المشرق
وتجيبونا عليها كما تقدم.

وهذه ترجمة رسالة اليعاقبة عن أصلها السرياني :

«جواب وحل موجز للمسائل الخمس التي أرسلها رهبان بيت مارون من قرية ارماز بعد ذهابهم من انطاكية إلى الرهبان الأرثوذكسيين المقيمين بالأديار المقدسة في ما بين النهرين.

إلى غض الجفنة الخلكيونية وفرع جرثومة لاون وأصل الحمض الذي نبغ في كرم توادوريطوس وبالإجمال إلى أبناء الشقاق الكبير الذي كان في الكنيسة وبذد أعضاء المسيح وقسم جسده إلى أقسام شتى إذ لم يأل أصحابه جداً في أن يبطلوا إيمان الحق الذي علمه الرسل القديسون بما أمكنهم من الجسارة إلى فيلبوس وتوما واهبي بيت مارون المستسيرين سيرة الله يعلمها والناس لا يجهلونها بسوق الكلام توادورس أحقر أبناء الكنيسة التي أنشأتها يد الله وجعلت أسوارها الصخور المنتخبة أعني بطرس السليح وخلفاءه والرسل والأنبياء والملأفة قاصداً أن يبين بطلان زعمهما (أي زعم فيلبوس وتوما) في ما يخالفان به الحق وأنصاره.

لما بلغتنا رسالتكم المشتملة على الإهانات لنا وتصفّحنا كلامكم المتضمن الافتراء علينا لم نغتم لذلك بل يمكننا أن نقول إنه أوعب قلبنا سروراً لأنه أفصح لنا عن ضعف أفكاركم ووهن آرائكم وأبان لنا أنكم ليس لكم حجة كافية للدفاع عن بدعتكم السيئة إلا ما أحدثتموه قاصدين به الفرار من الحق والتستر من العار بحسب ما قال اللاهوتي (القديس غريغوريوس الزينزي) عندما تكلم في بعض السفستيين في خطبته على وصوله الأساقفة حيث قال: «يعدون أبحاثاً غامضة ليتستروا بها عن أن يفحموا ويتعسر لذلك إقناعهم». فأنتم أشبه بهؤلاء إذ لم تقدروا أن تجيئوا ببنت شفة على ما سألكم إياه تلاميذ الحق في انطاكية خطأ وشفهاً بل تريدون تستير عاركم بالكلام المهين وتحاولون الفرار من الحق المبين ولم تكتفوا بهذا بل تقولون إنَّ الرب «الذي غرس الأذن لا يسمع أم الذي جبل العين لا يبصر أم الذي يؤدب الأمم لا ييكت (مزمور ٩٣ عد ٩٠) فتطوفون كل محل مسرورين بالباطل وتعلقون آمالكم على الخداع وتسترون بالكذب فتضلون السدج وتذيعون الأحلام الافكية كما قال عنكم وعن أمثالكم النبي أنكم تتكلمون وتكتبون بالكذب... ثم يأخذ كاتب الرسالة يحاول الرد على المسائل الخمس التي ذكرها رهبان القديس مارون فيقول في الرد على المسألة الأولى وهي أبصح القول

إنّ المسيح مضاعف «إنني لمتعجب من جهلكم كيف تجهلون هذا وأنتم علماء افرام (يريد افرام البطريرك الانطاكي الذي كان عدوّاً للدّ لأصحاب الطبيعة الواحدة) فأشبهتم بهذا إنساناً يسأل نوراً في الثالثة أو السادسة أو التاسعة من النهار ونور الشمس ساطع ومع ذلك إذا ابغيتهم بياناً لما هو بينّ وواضح فهذا القديس كيرلس لا خلاف على شهادته وهو يقول في رسالته التي كتبها إلى نسطور عدو الله حيث قال إنّ كلمات الإنجيل الذي كتب لخلاصنا لا تؤذّن لنا بأن نقسم المسيح إلى أقنومين أو قوامين فليس هو مضاعفاً من هو واحد أحد وإن تركب من شيئين فقد اجتمعا بالوحدانية».

فاليعاقبة يتخذون آيات الكتاب وأقوال الآباء الدالة على أنّ للمسيح أقنوماً واحداً ليدعموا ضلالهم بأنّ فيه طبيعة واحدة.

ثم يأخذ الكاتب بالرد على المسألة الثانية وهي هل في المسيح طبيعة مركبة؟ فيقول: وأما مسألتكم الثانية فيظهر أنه ربما كان لكم نفع منها مع من يتابعكم على ضلالكم وأما من كان اعتمادهم على الصخرة الصلدة التي هي المسيح فيسخرّون من هذه الخزعبلات ويظهر أنكم لا تفهمون ما تكتبون ولا تطالعون الكتب. فإذا كان مقصدكم أن تقولوا طبيعة متجسدة كما عبّر عنها الملائكة وأوجبوا أنّ في المسيح طبيعة متجسدة فذلك صحيح، وأما إن كان مقصدكم بذلك أن تقولوا طبيعة مركبة أي مؤلفة من شيئين فيخالفكم بذلك القديس كيرلس إذ قال في خطبته الثالثة ما نصه: «إذا كانت بعض الأشياء التي لا تشابه بينها طبعاً تعاون على الوحدة في التركيب فلا ينبغي فصلها وجعلها اثنين ولو بقي شيء في كل منهما في المركب لأنّ اجتماعهما لقيام الوحدة لا يمكنه أن يطل طبعها ولو ساغ لنا أن نسمي كل واحد من الأشياء المتحدة باسم لأنّ المجموع من شيئين». إنّ كلام القديس كيرلس هنا أيضاً هو في وحدانية أقنوم المسيح لا في طبيعته كما هو واضح خاصة من قوله إنّ اجتماع الشيئين لقيام الوحدة لا يمكنه أن يطل طبعها فإذا اجتماع الطبيعتين في المسيح لا يمكنه أن يطل طبع كل منهما.

وأما في المسألة الثالثة وهي هل الطبيعة والأقنوم والقوام في المسيح هي شيء واحد فقال: أنا أسألكم: «أتقولون إنّ الطبيعة والأقنوم والقوام هي شيء واحد في المسيح أم تقولون إنها مدلولات مختلفة؟ فإن قلتم إنها شيء واحد أثبتتم أنّ

أبحاثكم باطله ولا محل لها في هذا الموضوع وإن قلتم إنها ليست شيئاً واحداً نتج من قولكم إنكم تعترفون بثلاثة أشياء في المسيح هي: الطبيعة والأقنوم. والقوام، بل إن فيه أشياء أخرى كثيرة لكونه ابناً وسيداً وكلمة الله إلى غير ذلك من الأسماء الواردة في الأسفار الملهمه. وعلى ذلك يلزمكم أن تقولوا بطبيعتين وأقنومين بحسب تجديفكم وتجديف علمائكم إلى الآن ولا أن تعتقدوا الرابع عوضاً عن الثالث بل يجركم ذلك إلى ما هو أعظم... فاعلموا أننا لا نعتقد أن عمانوئيل ذو قوامين كما لا نعتقد أنه ذو طبيعتين أو أقنومين متبعين في ذلك القديس كيرلس الجليل الذي كتب في رسالته إلى نسطور: «لا يلزم أن نجري سيدنا يسوع المسيح الوحيد إلى ابنين».

إن منع ضلال اليعاقبة هو عدم تفرقتهم بين الطبيعة والأقنوم فيعتقدون طبيعة واحدة لأن فيه أقنوماً واحداً والتعليم الكاثوليكي أن الطبيعة غير الأقنوم فنعتقد أن في الله ثلاثة أقانيم وطبيعة واحدة ونعتقد أن في الخلص أقنوماً واحداً وطبيعتين إلهية وبشرية.

وفي المسألة الرابعة قال كاتب رسالة اليعاقبة: أما مسألتكم الرابعة وهي هل حرم ديوسقورس معلمكم اوطيخا بعد أن قبله في شركته فهي باردة تفهه لا ذوق فيها ولا يليق إيرادها بأولاد يلعبون في الشوارع فاسألوا قبلنا آباءكم الذين هم عمدة مذهبكم فيجيئونكم أن انطوليوس بطريرك القسطنطينية صاح بأعلى صوته أمام كل آباء الجمع: إننا لا نخط ديوسقوروس بسبب الايمان بل لأنه يخالف رسالة البابا لاون ولأنه دعي ثلاث مرات فلم يحضر. فديوسقوروس لم يأتهم ضد الايمان ونحن وديوسقوروس وتيموتاوس ونحرم اوطاخي ونسطور والجمع الخلكيدوني لأنهم مخالفون للدين على حد سواء وهم عندنا بمنزلة غير مؤمنين وعندنا إلى الآن رسالة لاوونكم الذي يسمى اوطاخي ابنه الروحي وابن مذهبه وشريكه في الايمان ويحرضه على أن يصلح ما يميل إلى تعليم نسطور». وأورد الكاتب بعض أقوال ديوسقوروس التي يظهر منها أنه حرم اوطاخي وكلاهما يعتقدان الطبيعة الواحدة وهذا ما قصد رهبان القديس مارون أن يبينوه.

وأما في المسألة الخامسة وهي: هل تحرمون كل من يقول إن في المسيح طبيعتين قبل الاتحاد وحين الاتحاد وبعده؟ فيقول إن جميع الذين يحبون الحق

يعلمون أنكم تعتقدون هذه القضايا الثلاث أي إنَّ في المسيح طبعين قبل الاتحاد وفي حينه وبعده وتلعنون كل من لم يعتقد بها. ويورد شهادات من القديس كيرلس ويوليوس الحبر الروماني وغريغوريوس نيصص وغيرهم تأييداً لزعمهم أنَّ في المسيح طبيعة واحدة. لكن الكلام في كل منها على أنَّ في المسيح أقنوماً واحداً وأنه مسيح واحد وابن واحد لله لكنهم لا يفرقون بين الطبيعة والأقنوم فيتوهمون أنَّ تلك الشواهد تؤيد رأيهم وأساس ضلالهم هو عدم التفريق.

ويختتم الكاتب يعقوبي رسالته بقوله: «لما كنتم استحلقتُمونا أن نطلع آباءنا على أفكاركم المنقوضة التي أرسلتموها من أرماز على يد اسحق وسمعان قد أتممنا ما سألتُمونا رغبة في خلاصكم ولذلك عهدوا إليَّ أنا الأخ توادورس من دير ماراباس بأن أجابكم فأتممت ذلك على ما بي من ضعف القوة فأستحلفكم أنا أيضاً بالثالوث الأقدس أن تقرأوا رسالتنا الحاوية التنفيذ لتجديفكم على جماعة بيت مارون كلها عليكم تستفيدون منها وأستحلفكم بإسكيمكم الموقر وأنا أعلم أنكم لا توقرونه ولا تظهرون نفسكم أهلاً له إذ كنتم تحملون العصي فتضربون بها وتطردون وتضطهدون وتهينون الكهنة والمؤمنين بالمسيح الذين لا يتابعونكم على عشوكم فأنتم أشبه باللصوص وقطّاع الطرق الذين يسكنون الجبال والبراري. فهذا ختام الجواب على مسائل بيت مارون المقيمين ببلاد اهاميا.

لا بد أن يكون رهبان القديس مارون أجابوا اليعاقبة على هذه الرسالة ولعله يأتي يوم يسعدنا الحظ فيه بالاطلاع على هذا الجواب.

مقالة ثانية

تاريخ الموارنة في القرن السابع

الفصل الأول

حالة الموارنة الدنيوية في هذا القرن

عد ٦

سطوة المردة أي الموارنة في هذا القرن

ذكرنا في تاريخ الموارنة - في القرنين الخامس والسادس - القديس مارون وتلامذته ، وتكاثر رهبانهم ، وأديارهم ، وتوافر الجمهور المنتمي إليهم والمسمى باسمهم . ونذكر في هذا العدد طورهم الدنيوي في هذا القرن ؛ وذلك درس نلقيه إلى أبناء ملتنا وجميع مواطنينا نحذّره به من التهور في مهواة المناوأة للسلطة السائدة. فيهم بوسوسة أصحاب الأغراض البعيدين عنهم . فمن المعلوم أن الخلفاء الراشدين صرفوا اهتمامهم عند أخذهم سورية وطردتهم ملوك الروم منها إلى فتح مدنها ، ولم يكثرثوا لسكان جبالها لقلة أهميتها وعدم المنفعة منها، ولتعسر مسالكها وأن ملوك الروم ما انقطعت مطامعهم في استردادها، وظلوا يوسوسون لسكانها ليلبكو أمرها ولا تستقيم حالها، ليتيسر لهم العود إليها كما حاولوا مرات فلم يظفروا . فمن ذلك أنهم وسوسوا للموارنة وكانت مساكنهم حينئذ في الجبال من جبال الجليل إلى جبال انطاكية، فلبكوا حكومتهم وتوافرت غزواتهم في السهول حتى اضطرب بعض الخلفاء أن يعقد صلحاً مع ملوك الروم على شرائط سيأتي

ذكرها؛ ومنها أن يكتوا الموارنة الذين تلقبوا عندئذ مرده، ويصدّوهم عن غزواتهم. وكانت النتيجة حينئذ أن هؤلاء الملوك البيزنطيين أنفسهم الذين وسوسوا للموارنة وهيجوهم على مخالفة رضى حكومتهم انقلبوا على المردة وأذاقوهم الأُمُرَين ومكروا بهم، فسبوا اثني عشر ألفاً من نخبة شبّانهم وأبعدوهم عن أوطانهم وجيشوا عليهم وأخربوا أكثر بلادهم، وحرّقوا أديارهم، وعمدوا إلى القبض على بطريركهم. واتصلوا إلى طرابلس على مقربة منه. ولو لم يتدارك الله أمرهم بالنصر على الجيش البيزنطي لأبادوهم عن آخرهم. فهذه هي الأمثلة التي نريد أن يتمثل بها أبناء ملّتنا ومواطنونا ليخلصوا في الطاعة للحكومة السائدة عليهم. وإليك تفصيل هذه الأحداث.

قد روى كثيرون من علماء أمتنا أنه كان للموارنة في القرن السابع سطوة وصوله حتى ضبطوا كل ما كان من انطاكية إلى أطراف الجليل، على أننا نؤثر أن نزوي أخبار هذه الأحداث عن كتب المؤرخين القدماء التي أخذ علماءنا عنها هذه الأخبار، لأنها أبعد مجالاً عن مظنة الغرض والغلو والتعصّب لأمتهم. قال توفان المؤرّخ الشهير (في تاريخ السنة التاسعة للملك قسطنطين اللحياني): «في هذه السنة خرج المردة من لبنان^(١) فضبطوا كل ما كان من الجبل الأسود (المعروف اليوم بالجبل الأقرع فوق السويدية) إلى المدينة المقدسة (أورشليم) واستحوذوا على قمم لبنان، وانضمّ إليهم كثيرون من العبيد والأسرى والوطنيين حتى أصبح عددهم في مدة وجيزة ألوفاً كثيرة، وسمع معاوية وأصحاب مشورته بذلك فخشوا جداً من عاقبته حتى فكروا بأنّ الله محامٍ عن مملكة الرومانيين، وأرسلوا وفداً إلى قسطنطين الملك يطلبون الصلح ويعدون بوفاء جزية كل سنة. فتقبّل الملك وفدهم بالإعزاز والتكريم وأجابهم إلى سؤالهم، وأوفد معهم إلى سورية البطريرك يوحنا المسمّى بتسيكود وكان من رجال الندوة في حكومته، ومتّصفاً بالخبرة والحكمة وبحسن التعاطي والمداولة مع العرب ليتفق معهم على شرائط الصلح. ولما بلغ سورية قابله معاوية بالترحاب وعقد ديوان مشورته. وبعد المداولة بشروط الصلح قرّر رأيهم على كتابة عهده موثقة باليمين على أن يدفع العرب كل سنة إلى الرومانيين ثلاثة آلاف

(١) قال العالم يعقوب كوار محشى تاريخ توفان في حاشية علقها على هذا المحل ان ابراهيم الحاقلي الماروني يتفاخر بأنه لبناني ومن نسل هؤلاء المردة.

ذهب، وثمانية آلاف أسير، وخمسين جواداً من الخيل الجياد. وأبرم الصلح بين الرومانيين والعرب على هذه الشروط إلى ثلاثين سنة، ودوّنت العهدة ووقع على نسختين منها لكل فريق نسخة. وعاد ذاك الرجل الشهير البطريق يوحنا المتواتر ذكره إلى الملك بهدايا نفيسة جداً». وقال توفان أيضاً في تاريخ السنة الأولى لعبد الملك بن مروان: «في هذه السنة حدثت مجاعة شديدة وطاعون في سورية، وولّى عبد الملك في أمته، وتواترت غارات المردة في جوار لبنان، وثقلت وطأة الطاعون. فطلب عبد الملك تجديد عهدة الصلح التي كانت قد أبرمت في أيام معاوية، وأرسل وفوداً إلى الملك واعداداً أن يدفع كل سنة ثلاث مئة وخمسة وستين ديناراً. وكذلك من العبيد، وليس بأقل من ذلك من الخيل الجياد»^(١). وقال في تاريخ السنة الأولى ليوستينيانوس الملك: «في هذه السنة أرسل عبد الملك رسلاً إلى الملك لإبرام عهدة الصلح فعقد الصلح على الشروط الآتية: وهي أن الملك يمنع غارات عسكر المردة من لبنان ويصدّ غزواتهم، وعبد الملك يدفع إليه في كل يوم ألف دينار وفساً ومملوكاً، وأن الملكين يقتسمان بينهما خراج قبرص وأرمينيا وإيباريا قسمة عادلة سوية. وأرسل الملك بولس ماجيستيريانس إلى عبد الملك لإبرام عهدة الصلح فكتب صكّها ووقع عليه أمام الشهود. وعاد ماجيستيريانس مكرماً إلى الملك. وأبرز الملك أمراً بإبعاد اثني عشر ألفاً من المردة عن أوطانهم، وقد أضعف بذلك قوة المملكة الرومانية لأنّ جميع المدن المجاورة لبنان من المصيبة إلى أرمينيا الرابعة كانت ضعيفة وكانت خالية من السكان بسبب غارات المردة الذين كبتهم الملك. وقد توالى من ذلك اليوم إلى الآن الحن والمصائب في المملكة الرومانية بسبب سطو العرب». وقال في تاريخ السنة الثانية ليوستينيانس: «إنّ الملك مضى في هذه السنة إلى أرمينيا فقابل هناك عسكر المردة الذي كان قبلاً في لبنان بمنزلة سور نحاسي لمملكته فدكّه بيده». وقال في تاريخ السنة الخامسة للملك المذكور: «في هذه السنة نقض الملك يوستينيانس لطيشه عهدة الصلح المبرمة مع عبد الملك». وذكر ما رويناه في الكلام على عبد الملك من أمره بنقل سكان قبرص وتعتته في قبول الدنانير الحديثة التي صكّها عبد الملك إلى أن قال ما ملخصه:

(١) قد لاحظ محشي تاريخ توفان المذكور ان عدد ثمانية الآلاف اسيراً في الفقرة الاولى كثير جداً وعدد الثلاثمائة والخمسة والستين ديناراً في هذه الفقرة قليل جداً فلا بد من غلط من النساخ في ذكر هذه الاعداد. وسترى ان المؤلف يخالف ذلك في الفقرة التالية.

« ولما بلغ ذلك عبد الملك أرسل يسأل يوستينيانس أن لا ينقض العهدة المبرمة بينهما فظنَّ يوستينيانس أن عبد الملك يخاف سطوته ولم ينتبه إلى أنَّ العرب يتطلَّبون بعد كبت المردة علة لنقض عهدة الصلح، فكتب يوستينيانس إليهم أنه لا يريد العمل بالشروط المتفق عليها فأجابوه هم أنهم متشبِّثون بها وأنه إذا نقضها وأرغمهم على الحرب فيكون هو علة لنقضها. والتقى جيش الملك وجيش العرب في الكبدوك، فأرسلوا يسألونه أن لا يخالف العهد الوثيق الإبرام بينهما باليمين، وإلا فينتقم الله من المخالف فأعارهم أذنأ صمَاء واقتحم جيشهم فعلقوا الصحيفة المكتوبة عليها عهدة الصلح على رمح بمنزلة راية لهم. فدارت الدوائر على يوستينيانس وجيشه » - كما رأيت قبلاً. فهذا ما ترجمناه بما أمكن من الدقة عن تاريخ توفان .

واليك ما قاله شدرانس في موجز تاريخه: « في السنتين الثامنة والتاسعة (لقسطنطين اللحياني) دخل المردة لبنان فاستحوذوا على كل ما كان من الجبل الأسود (الجبل الأقرع) إلى المدينة المقدسة، وضبطوا أعالي لبنان، وتألَّب إليهم كثيرون من العبيد والأسرى والوطنيين حتى أصبحوا في مدة وجيزة ألوفاً كثيرة. فوجس منهم معاوية ومن معه وفكروا بأنَّ الله يحمي بعونه مملكة الرومانيين، فأرسلوا رسلاً إلى قسطنطين الملك يطلبون الصلح فأرسل الملك بيساكود إلى السراكسة واتفق معهم على الصلح ودوَّنوا صكّه في صفائح على شريطة أن يدفع السراكسة كل سنة إلى الرومانيين عشرة آلاف ذهب. (وفي كتاب زوناراس ثلاثة آلاف) ومائة عبد وخمسين جواداً أصيلاً. ولما علم ذلك سكان المغرب طلبوا هم أيضاً الصلح. وقال في تاريخ السنة الأولى ليوستينيانس: « في السنة الأولى للملك أرسل إليه عبد الملك رسلاً لإثبات الصلح واتفقا على أنَّ الملك يحصر عسكر المردة في لبنان ويمنعهم عن الغارات، ويدفع العرب إلى الرومانيين في مقابلة ذلك في كل يوم ألف دينار وجواداً وعبدًا، فأرسل الملك بولس ماجستريانوس إلى عبد الملك لإبرام العهد فوقع على العهدة أمام الشهود، وأرسل الملك قائداً فأبعد اثني عشر ألفاً من المردة فأضُرَّ ذلك بمصلحة المملكة الرومانية. فكل ما يستحوذ عليه العرب الآن من المصيصة إلى أرمينيا الرابعة كان واهناً لا قوة فيه وخالياً من السكان بسبب غزوات المردة، فكبتهم أنزل بالمملكة الرومانية مضارَّ كبيرة إلى اليوم. فيوستينيانس لم يكن حينئذٍ أكمل السادسة عشرة من عمره فتصرفه كان على غير هُدى ». وقال في تاريخ السنة السادسة ليوستينيانس: « في هذه السنة نقض يوستينيانس بحماقة عهدة

الصلح مع عبد الملك لأنه أراد أن يأخذ جالية من قبرص لغير داع ، وأنف من أن يأخذ من عبد الملك الدنانير التي صكّها حديثاً ، ولاعتماده على عسكر اختاره من الصقلية (من اسكلافونيا) نقض المعاهدة المذكورة وزحف بهذا العسكر بكتائب من الفرسان إلى آسيا الصغرى ، وأكره العرب بطيشه على نقض المعاهدة . ولما التقى الجيشان أقام العرب الحجة عليه ودعوا إلى الله أن ينتقم ممن نقض العهد ، فلم يقف الملك بل سارع إلى تسعير نار الحرب ، فعلق العرب صفيحة المعاهدة على علمهم ووثبوا على الجيش الروماني . وكان قائدهم يسمّى محمداً فتقهقر العرب أولاً ثم تغلبوا على الجنود الرومانيين وقتلوا كثيرين منهم ، وقرض الملك من بقي من الصقلية مع أطفالهم ونسائهم »

وقال زوناراس (في ك ١٤٤ من تاريخه في كلامه على يوستينيانس) : « قد استوى يوستينيانس على منصبة الملك وعمره ست عشرة سنة ، وكان يدبّر جميع مهام المملكة على هواه . فأوقع المملكة في مهالك كثيرة ؛ منها أنّ شعباً يلقّب بالردة كان قد استحوذ على مشارف جبل لبنان في أيام قسطنطين اللحياني ، وكان العرب يخشون صولتهم حتى حملوهم على طلب الصلح من ملوك الرومانيين كما مرّ . (كان زوناراس قد ذكر عقد هذا الصلح قبيل كلامه هذا كما رويناه عن غيره) . ولما كان معاوية قد توفي وخلفه عبد الملك أرسل رسلاً إلى الملك الذي ولي حديثاً سائلاً إياه تجديد الصلح وأن يعيد المردة عن لبنان . وإذا رضي هذا الشرط يدفع هو إلى الرومانيين في كل يوم ألف دينار ومملوكاً وجواداً من الجياد . ولما أبرم هذه العهدة أبعد الملك اثني عشر ألف مقاتل من المردة عن لبنان ، فاطمأنّ العرب ، ولم يبقَ ما يخشونه فأنزلوا بالمملكة الرومانية مصائب شتى . وأرسل يوستينيانس لأنتيوس بجيش فأخضع إيبيريا والبانيا وغيرها لسلطته ونقض عهده مع البلغار ، ولم يرضَ أن يفوه الجزية بل غزا الأمصار الغربية وألب منها جيشاً من ثلاثين ألفاً من نخبة الشبان ، وأعزّهم وسّاهم الشعب المختار فعظم سروره بهم . واعتماده عليهم حتى أراد أن ينقض عهده للعرب أيضاً ؛ متمحلاً لذلك سبباً بأنهم يؤدونه مال العهدة دنانير ليست عليها صورة الملوك الرومانيين بل دنانير عربية حديثة ، مدّعيّاً أنه لا يسوغ صكّ الدنانير إلا وعليه صورة الملك الروماني ، وأعلن عليهم الحرب معتمداً لا على جيش الرومانيين بل على شعبه المختار الحديث . وسأله العرب بالحاح أن لا ينقض العهد ويخالف صكّ

الموثق باليمن بالله وهو ينتقم لمن يتسبب بشبوب نار الحرب فصمّ أذنيه عن سماعهم، وأقدم على الحرب فعلق العرب صفيحة العهد على رايتهم وألحموا القتال فأنجاز عشرون ألفاً من أولئك المسّمين بالشعب المختار إلى العرب فتغلبوا على الرومانيين وتتبّعوا آثارهم وقتلوا منهم كثيرين، وفزّ الملك بنفر قليل مدحوراً، وأمر بقتل من بقي من أولئك الجنود وإلقاء جثثهم في البحر وعاد إلى بيزنطية خجلاً». وروى ذلك أيضاً انسطاس المكتبي في تاريخ السنين الأولى والسابعة والثامنة ليوستينيانس. وروى الاهدني أنّ بولس الشماس قال ما قاله هؤلاء وذكر مقاله فإذا هو مطابق لما رويناه. ولم نعثر على كتابه لكن الاهدني ثقة في كل ما نقل، بل أشار ابن خلدون إلى ذلك (جزء ٣ صفحة ٧٠) إذ قال: «اشتدّ القتال أيام عبد الملك واجتمعت الروم واستجاشوا على أهل الشام، فصالح عبد الملك صاحب قسطنطينية على أن يؤدي إليه كل يوم جمعة ألف دينار خشية منه على المسلمين». وذكر ذلك ابن العبري أيضاً في تاريخ الدول (صفحة ١٩٤ من طبعة بيروت) فقال: «استجاش يوستينيانس ملك الروم على من بالشام من المسلمين فصالحهم عبد الملك على أن يؤدي إليه كل يوم جمعة ألف دينار وقيل كل يوم ألف دينار وفرساً ومملوكاً». هذا ما ذكره هؤلاء المؤرخون القدماء وقد تابعهم عليه كثيرون من الحداثاء منهم بارونيوس إمام المؤرخين في تاريخ السنين المذكورة، وديلارو في موجز تاريخ الملك السافل في كلامه على قسطنطين اللحياني ويوستينيانس الأخرم، ونطاليس اسكندر في كلامه عليهما في تاريخ القرن السابع، وروهر بخر في الكتاب الخمسين من تاريخه العام وكثيرون غيرهم.

عد ٧

هل المردة موارنة

إن سطوات الموارنة المازّ ذكرها وحربهم مع عساكر يوستينيانس التي سنروي أخبارها أكسبتهم لقب مردة الذي ستمهم به المؤرخون القدماء المذكورون. وهذا مما لا يمتري فيه عالم بالتأريخ أو مطالع لأقوال المؤرخين التي رويناها مترجمة بحروفها، إذ صرّحوا بأنّ المردة سكان لبنان خرجوا من لبنان فاستحوذوا على ما جاوره وضبطوا مشارف وأعالي لبنان إلى غير ذلك مما يدلّ صراحة على أنّ هؤلاء

المردة إنما هم الموارنة سكان لبنان وجواره، وإلا فمن أين أتى هذا الشعب النفير الباسل إلى لبنان ومتى هاجر إليه ولم لا نرى في كتب المؤرخين القدماء والحدثاء خبطة تشير إلى مهاجرة شعب أوطانه وتوطنه في لبنان وجواره مكان أولئك المسيحيين المنتمين إلى القديس مارون ورهبانه، أو تنبئنا بأن أحد الملوك جلا شعباً غفيراً فأحلّه في لبنان وتغلّب على سكانه الأصليين. على أنّ الحدثاء من المؤرخين ولاسيما من ذكرناهم آنفاً وهم بارونيوس وديلاروك ونطاليس اسكندر وروهر بخر يسمون هؤلاء المردة الموارنة ويصوّحون بأنهم إنما لقّبوا مردة لتمردهم على الحكومات المارّ ذكرها ومحاربتهم عساكر يوستينيانس الأخرم. ونقتصر من إيراد أقوالهم على ذكر قول ديلاروك في كلامه على قسطنطين اللحياني قال: «إنّ الأئمة المارونية أشبه بالمواد الخفيفة. فلم يكن لتيار القبائل التي غشت سورية أن يغرقها وما برحت كذلك إلى اليوم ومساكنها لبنان العسر المسالك، وأهلها شديدو الحرص على دينهم وشرفهم وكانوا جنوداً كما أنّهم يحسنون الرمي وتفويق السهام، وفرسانهم أحسن الفرسان ورجالهم أشجع رجال المشرق. وقد أخذوا (في أيام قسطنطين اللحياني) يشتون الغارات على الأعمال المجاورة لهم واستحوذوا على قسم كبير من سورية وأنزلوا العرب بالسكان من جهة إلى أورشليم، ومن أخرى إلى دمشق وتخوم بلاد العرب. وكانت أهم أعالي لبنان قلاعاً حصينة وابتنوا فيها مدناً كبيرة فوجس معاوية من غزواتهم وغاراتهم» إلى آخر كلامه. إلا أنّ هذه الغارات والسطوات التي كان ملوك الروم يحملونها عليها كانت عليهم وبالأحرار بمكر هؤلاء الملوك كما رأيت. فإنّ يوستينيانس الأخرم أبعد اثني عشر ألفاً من نخبة رجالهم. وسترى تفصيل ذلك في العدد التالي وترى في ما يليه إنفاذ جيشه إليهم وحرق أديارهم وتدمير قسم كبير من بلادهم.

هذا ما سطرته في تاريخ سورية ولكن ظهر في إحدى المجلات العلمية سنة ١٩٠٢ فصل لأحد العلماء اهتم كاتبه أن يجعل هذه المسألة محللاً للريب وجل ما قاله إنه يتعجب من ظهور المردة من أول أمرهم جاثمين فوق مشارف لبنان ضابطين مضائقه ثم خرجوا منه بغتة دون أن يبقى لهم أثر وأسند زعمه هذا إلى قول بعض المؤرخين إنّ المردة دخلوا إلى لبنان ونتج أنهم لم يكونوا من سكانه الموارنة وأورد آراء مختلفة في أصل المردة بين إن كانوا من آسيا الصغرى أو من بلاد العرب أو

الأرمن أو الكلدان. وقال إنهم بعد خروجهم من لبنان توطنوا في بلاد الأرمن أو جوار اضااليا وكان لهم نظام مخصوص وولاة على حدة.

فأجبتة على ذلك في المجلة المذكورة مبيّناً بطلان ما ادعم عليه في بحثه ومثبتاً أن ليس المردة إلا اسم للموارنة في القرن السابع وصفوا به لتمردهم وأن تعجبه من ظهورهم بغتة في لبنان وخروجهم منه دون أن يتركوا فيه أثراً يزول قطعاً إذا نظر في الأمر على بساطته، أي إن المردة هم الموارنة وكانوا يسكنون لبنان وما جاوره شمالاً وجنوباً وعند ثورتهم تحصّنوا به وجعلوه مركزاً لغزواتهم وأثارهم به باقية إلى الآن. ثم أوردت لإثبات هذه الحقيقة عدة براهين: الأول مأخوذ عن التقليد العام والثابت عند الموارنة والحال أنه في كل بلاد وعند كل أمة يعتمد في تواريخها على تقاليداتها مفضلة على غيرها فإذا يلزم الاعتماد على تقليد الموارنة في تاريخهم. الثاني أن اسمي مردة وملكية لشعبين في لبنان في القرن السابع اسمان تغلباً معاً على أمتين مقابلاً أحدهما الآخر وما من قائل إن الملكية أتوا من خارج لبنان إليه فكذلك المردة كانوا من سكانه وهم هم الموارنة. الثالث لما كان العالم المذكور عند كثيرين من العلماء الذين أيدوا رأينا المذكور وذكر ثلاثة شهود أو أربعة مخالفين لهذا الرأي أبنت له عظمة ثبوت شهادة من أيدوا رأي الموارنة وكثرة عديدهم وأن شهادة المخالفين ساقطة وهو أسقط بعضهم. والرابع أنه لو ثبت أن توفان قال إن المردة دخلوا لبنان وتحصّنوا به وأنه ضوى إليهم أسرى ووطنيون فلا ينتج من ذلك أن المردة غير الموارنة لأن هؤلاء كانوا منبثين في السهول والمدن المجاورة لبنان وحين ثورتهم دخلوا إليه معتمدين به وضوى إليهم أسرى وعبيد ومن كانوا بلبان وليسوا موارنة. الخامس أن ما ذكره توفان وغيره من أن المردة المجلولين من لبنان أقاموا بأضااليا أو أرمينيا منفصلين عن باقي السكان بنظام مخصوص لهو بيّنة قاطعة على أن المردة لم يكونوا من آسيا أو أرمينيا ولا عسكر أرسله أحد ملوك الروم وإلا لما كان موجب لهذا الانفصال وهذا الامتياز. السادس أن توفان وغيره من مؤرخي الروم نصوا على عهدة صلح وقع عليها معاوية وقسطنطين اللحياني ومعاينة أخرى وقع عليها عبد الملك بن مروان ويوستينيانس الأخرم وفي كلتا العهدين شرط الخليفان منع إغارات المردة وصدّ غزواتهم. فلو كانوا شعباً دخل حديثاً إلى لبنان أو عسكراً أرسله الملك الروميان لشرط جلاء هذا العسكر أو الشعب الغريب عن لبنان لا صدّ غزواته. ثم إنه بعد الصلح الأول بقي هؤلاء الغزاة على سطوهم كما

أثبت المؤرخون المذكورون ولو كانوا عسكرياً لملك الروم لجلالهم حالاً بحكم الصلح وما كانت حاجة إلى أن يحتال ملك الروم بعد الصلح الثاني على سحب اثني عشر ألف منهم فإذا المردة كانوا من سكان لبنان وجواره وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا في تلك الظروف إلا من الموارنة. وزد على ذلك أن اختلاف من يضاد هذه الحقيقة في أصل المردة وعدم اتفاقهم على قول هو مما يبين بطلان زعمهم ويؤيد ما يخالفه.

إن العالم المذكور بعد اطلاعه على ردنا الذي لخصناه عاد إلى البحث دون أن يرد دليلاً واحداً من أدلتنا بل زعم أن المردة هم الجراجمة نسبةً إلى مدينة اسمها جرجومة في جبل اللكام واستند إلى أقوال رواها البلاذري فيها ما يشبه ما ذكره توفان عن المردة وانتصر له عالم آخر باسطاً رأيه فأجبنهما بمقالة أثبتتها المجلة المذكورة منكبين عليهما أن ما ذكره من فقر البلاذري مطابق لما ذكره توفان عن المردة. وبيننا كثيراً من الفرق بين أقوال المؤرخين العربي والرومي وأبنا أن التشابه بين أمرين ليس بحجة للحكم بأن الأمرين واحد.

ثم قام بيننا عالم آخر يبين أن ما جاء به العالمان المذكوران من الشواهد والأدلة والنائج هو أضعف من أن يردّ براهين علماء الموارنة. وأورد أدلة راهنة على أن سكان جبل اللكام والجراجمة أو أكثرهم كانوا في ذلك العصر موارنة كسكان لبنان. ومن هذه الأدلة أن رهبان دير القديس مارون كانوا حينئذ أنصاراً للإيمان الكاثوليكي والجمع الخلكيدوني مستشهداً بالأثر الذي وجد في المتحف البريطاني وهو رسالة هؤلاء الرهبان إلى اليعاقبة وجواب هؤلاء عليها وبالأثر الآخر الدال على جدالهم مع اليعاقبة بحضرة معاوية وبشهادة عالم يعقوبي في القرن السابع دالة على أن بدعة الموارنة ظهرت في أيام قسطنطين اللحياني ويراد بها انفصالهم عن باقي سكان البطركية الأنطاكية بإقامتهم يوحنا مارون السرومي من جبل اللكام مطراناً على البترون ثم بطريكاً. وبالجملية إن أكثر سكان جبل اللكام المسمون جراجمة كانوا موارنة كسكان لبنان.

وقال هذا العالم في النتيجة (إذا صحّ هذا التقدير المسند إلى الحقائق التي بين أيدينا ألا يصحّ أن يكون مردة توفان وجراجمة البلاذري وأصحاب بدعة الموارنة التي ذكرها، المؤلف اليعقوبي شيئاً واحداً وإن تعددت الأسماء؟ وأجاب على هذا

بقوله: (عندنا إنّ هذا أقرب إلى الصواب ولنا عليه أدلة شتى. وأورد من هذه الأدلة أنّ يوحنا مارون ولد ونشأ بسروم إحدى قرى جبل اللكام حيث الجراجمة. ومن تقليد الموارنة واليعاقبة أنّ الأمير ابراهيم ابن أخت هذا البطريك أتى إلى لبنان بزمرة الأبطال. وقد روى البلاذري أنّ أمر الجراجمة كان في أيام استيلاء الروم إلى بطريق انطاكية وواليتها.

فشهرنا نحن مقالة صادقا بها على رأي هذا العالم مبيّتين أنّ ما ذكره توفان والبلاذري وابن العبري عن غزوات المردة وسطوهم على كل ما كان من جبل اللكام إلى جبل الجليل وعن بقائهم على ذلك سنين وإكراه معاوية وعبد الملك على عقد صلح مع ملوك الروم يقضي على كل متبصر أن يسلم بهذا الرأي بل لا يمكن من دون ذلك أن يفهم كيف يمكن شعب محصور بلبنان أن يسطو أو تمتد صولته إلى جبلي اللكام والجليل.

على أننا لا نعلم ما الذي حمل هذا العالم أن يعدل عن رأيه هذا الصائب إلى رأي لم يسبق إليه وهو أنّ المردة خيل أرسلهم الملك قسطنطين اللحياني إلى سورية لصعد فتوحات العرب وأسند رأيه هذا إلى قول للبلاذري قال به: (خرجت خيل الروم إلى جبل اللكام وعليها قائد من قوادهم ثم سارت إلى جبل لبنان وقد ضوى إليها جماعة كثيرة من الجراجمة وأنباط وعبيد وأباق واضطر عبد الملك أن يصالحهم على ألف دينار في كل جمعة. ووضع عبد الملك على قائد الروم سحيم بن المهاجر فكاد عليه وقتله مع أصحابه وأمن من ضووا إليه). فأجبنا نحن هذا العالم أنّ هذه الغزوة يراد بها أحدث غزوات المردة لا كلها ولا ينتج منها أنّ خيل الروم هم المردة لأنّ اسم الروم كان يطلق حيثل على كل من كان من أنصار ملوك الروم وأنّ ابن الأثير الذي ذكر هذه الحادثة كالبلاذري قال: خرجت خيل الروم من الضواحي إلى جبل اللكام أي من ضواحي انطاكية وأصحاب هذه الغزوة قتلهم عسكر عبد الملك والمردة كانوا من أيام معاوية واستمروا بعد ذلك يحاربون.

وأورد العالم المذكور شهادة من السمعاني قال فيها إنّ المردة أقيموا بعد إبعادهم في بمفيليا ولهم حكام وقضاة مخصصون ونظام مخصص وكل يرى أنّ هذا القول هو حجة لنا لأنه إن كان المردة خيلاً لملك الروم فما الحاجة إلى أن يكون لهم حكام على حدة ونظام مخصص. وأورد أيضاً شهادتين لابن العبري قال

فيهما إنّ هؤلاء المردة يسميهم السريان جراجمة وإنهم استحوذوا على كل ما هو من جبل اللكام إلى جبل الجليل وإنّ عبد الملك لما رأى الحرب تحيط به من كل جهة خاصة من مردة الروم الذين بلبنان عقد صلحاً مع يوستينانس الذي أخرج من المردة اثني عشر ألفاً وكل متبصر يرى أنّ هذه الأقوال تؤيد رأينا لا رأي العالم المذكور.

لكنه اثنتي مordاً حججاً لم أرها صالحة مع ذلك أجبتة مordاً هذين البرهانين الأول أنّ خيل الروم الذين ذكرهم البلاذري صرّح بأنهم كانوا في أيام عبد الملك والمردة الذين ذكرهم توفان كانوا بلبنان منذ أيام معاوية وأكرهوه على عقد صلح مع الملك قسطنطين اللحياني قبل تسع سنين من خلافة عبد الملك فإذا لا يمكن خيل الروم هؤلاء أن يكونوا المردة إلا أن يقال إنهم كانوا قبل أن يكونوا. والثاني أنّ البلاذري صرّح بأنّ خيل الروم وضع عليهم عبد الملك ابن المهاجر فكاد على قائدهم وقتله مع أصحابه. والحال أنّ المردة على ما صرّح توفان استمروا يغزون إلى أن أكرهوا عبد الملك على صلح مع يوستينانس فإذا هؤلاء المردة لا يمكن أن يكونوا خيل الروم إلا أن يقال إنهم انبعثوا من قبورهم وعادوا إلى الحرب.

وسنداً إلى كل ما مرّ نقول إنّ المردة هم الموارنة حقيقة وإنّ الجراجمة كانوا أيضاً موارنة. ولما كان من يخالفوننا بذلك لم يردّوا براهيننا ولم يتفقوا على أصل للمردة حقّ لنا أن نبقي على رأينا ونعتقده مؤكداً إلى أن ترد براهيننا ونحتج بغيرها بما لا يمكن ردّه.

عد ٨

امراء الموارنة والاثني عشر ألفاً المجلوون منهم

قد روى العلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٠١) نقلاً عن البطريرك اسطفانس الدويهي الاهدني عن كتاب سرياني تحطّ سنة ١٦١٦ يونانية الموافقة سنة ١٣١٥م، ترجم الدويهي ما استشهد به من هذا الكتاب إلى العربية هكذا: «في بداية دولة العرب كان يوسف ملكاً على جبيل، وكسرى على الداخلة التي من اسمه تكثت كسروان، ثم في خلافة عمر بن ابي طالب (هنا سهو

من الكاتب والصحيح عمر بن الخطاب) كان أيوب متولي قيسارية فيلبس وبيت المقدس وبعد أيوب تخلف الياس . ولما توجه هرقل الملك إلى بلاد الشام كان ينجده بجيشه، ثم أنّ بعد هؤلاء تولى الملك يوسف تدبير جبيل وجبل لبنان وبعد وفاته تخلف عليه الملك يوحنا . إنّ العرب والسريان اعتادوا غالباً أن يسموا كل متول ملكاً ومن ذلك تسمية هؤلاء ملوكاً والمراد وال أو أمير كما كان قديماً لكل قبيلة أو فصيلة أمير يدبر مهامها، وله الكلمة النافذة فيها، وتنقاد إلى أمره. فالظاهر من العبارة المذكورة أنّ يوسف وكسرى كانا يليان جبيل وكسروان عند استفحال دولة العرب في العربية، ولما أخذوا يغالبون ملوك الروم على سورية في خلافة ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب . كان أيوب في خلافة عمر متولياً على قيسرية فيلبس ، وهي بانياس إلى القدس ، فقتل ايوب في الحروب الاولى في فلسطين أو توفي في أثنائها ، فخلفه الياس في الامارة على الموارنة ، فساعد هرقل في الحروب الأخيرة في خلافة عمر بن الخطاب ، ثم توفي ، فخلفه في هذه الامارة يوسف آخر (على ظاهر العبارة) . كان يلي جبيل وجبل لبنان ، وبعد وفاته خلفه الامير يوحنا ؛ وأما يوحنا هذا فقال السمعاني (في المحل المذكور) نقلاً عن الاهدني عن الكتاب السرياني المذكور ما ترجمته: « وقام بعد يوسف ملك (أمير) اسمه يوحنا واستحوذ على الأرض المقدسة (فلسطين) وخرج من لبنان ماضياً إلى الكرمل ومعه جم غفير، وأراد أن يمضي إلى أورشليم فخرج عليه لصوص كثيرون من محل الرغيزين (لم يبيّن السمعاني ولا الاهدني من المراد بهؤلاء فيظهر أنهم ينتسبون إلى محل اسمه رغيز في تلك النواحي، أو الكلمة كناية عن اناس أشرار لأنّ معناها اللغوي المغضوب عليهم) ، وأحاقوا به فوق برج الغرباء فقتلوا من جماعته ثلاثة آلاف بالسيف، فجمع شمل قومه ووثب على الرغيزين وبلدهم ، وقتل منهم تسعة آلاف، وغنم منهم مالاً وحيوانات ونساء وأطفالاً، وعاد إلى محله وسكن في بسكتنا وتوفي شيخاً » . وروى الاهدني أنّ في جملة أعمال الامير يوحنا هذا أنّه جهز اثني عشر الف فارس وذهب بهم إلى البقاع فحلوا في قب الياس ، وشرعوا يغزون الجبل الشرقي ويشنون الغارات، فقطعت الطرق وسدت المسالك، فكان من ذلك ضيق شديد وصحبه طاعون وغلاء .

فهذه التعديات وما أشبهها حملت معاوية على مراسلة الملك قسطنطين اللحياني بطلب الصلح، فعقد بينهما كما رأيت من أقوال المؤرخين التي اثبتناها آنفاً، ولم ينفك هؤلاء الامراء وجماعتهم عن السطو والغزو وشن الغارات بوسوسة

ملوك الروم أنفسهم أملاً بأن يستردوا سورية إلى ولايتهم، حتى أكرهوا الخليفة عبد الملك ابن مروان أن يكشف يوستينيانس الثاني الملقب بالآخرم طالباً إليه منع هؤلاء الجماعة الذين سموهم لذلك مردة عن غزواتهم وصولاتهم، ومتعهداً أن يدفع له كل يوم ألف دينار ومملوكاً وجواداً إن جلا عسكر هؤلاء المردة عن بلادهم لإيهان قوتهم، فانقاد يوستينيانس لطيشه وحادثة سنه فجلا من الموارنة اثني عشر ألفاً من نخبة شبانهم، كما تبين من أقوال المؤرخين المذكورين. على أنّ هؤلاء المؤرخين لم يفصلوا كيف توصل يوستينيانس إلى ابعاد هؤلاء الشبان عن مواطنهم ولا بأية وسيلة توصل إليه فجلاً ما ذكره بعضهم أنه توصل إلى ذلك بمكر ومكيدة وأنه أضرم مملكته يابعد هؤلاء على أنّ علماءنا قد نقبوا عن هذه الأمور وانبأونا بما علموه من تفاصيل هذه الاحداث فنرويه عنهم .

وروى العلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٠٢) عن البطريك اسطفانس الدويهي الاهدني (فصل ٩ في تاريخ الموارنة) أنّ يوستينيانس جهز جيشاً وسيره إلى سورية وأشاع أنه حامل على العرب، ودفع إلى قائد جيشه خلعاً سلطانية ورسالة مشرفة ليسلمها إلى أمير لبنان، وأمره أن يقابل هذا الامير منفرداً وإذا سنحت له الفرصة قتله . وعند بلوغ القائد إلى البقاع مضى إلى يوحنا أمير المردة بنفر قليل إخفاءً لمكيدته، وقابله في قب الياس ودفع إليه الرسالة والخلع السلطانية ولم يُلقِ متحذراً، بل قابله الامير يوحنا بالترحاب والإجلال، وأخذ القائد يستشير في محاربة العرب ويستنجد عليهم ثم دعاه إلى مؤاكلته . وبينما هم على المائدة أشار القائد إلى جنوده فوثبوا على الأمير وقتلوه. ودرى بذلك عسكر المردة فسعر نار الحرب على القائد وجيشه فاقتتلوا طويلاً وظهرت جيوش القائد المستعد للقتال على عسكر الامير الذي اندفع إليه بغتة. وإلى ذلك أشار الاسقف جبرائيل اللحفدي المعروف بابن القلاعي في ازجاله في كسروان حيث قال :

سكن الامير في بسكنتا وارسل عساكر في بغتة
نهب البقاع بفرد نكته وقتل رجاله مع النسوان
طلع سكن في قب الياس وارسل عساكر مع حراس
والبقاع تحت حوافر خيله انداس طلع خبره للسلطان

بعث له خلعة مع قصاد تظمن واكل معهم زاد
عساكر وراهم تتجرد كبسوه في ساعة اطمئنان
قتلوه وانقتل معه العسكر وانقتل كثير من الاوחר

وجاء في تاريخ الموارنة المطبوع حديثاً في بيروت (صفحة ٧٤) بأثر ما مرّ من تاريخ الدويهي: « ولما قتل أمير المردة أمّروا عليهم سمعان ابن أخت المقتول ، وكان رجلاً شجاعاً فمشى في اثني عشر ألفاً إلى جهة أرمينية وهدم السد النحاسي ومن هناك اجتاز إلى بلاد تراكية ». فهذه الرواية غير صحيحة ولا تلتحم مع ما تقدّمها وكلمة هدم السد النحاسي مأخوذة من كلام المؤرخين أنّ يوستينيانس بإيعاده عسكر المردة نقض بيده السد النحاسي الذي كان للمملكة في لبنان . ولا أشك في أنّ النسخة التي اعتمد عليها المعلم رشيد الشرتوني طابع الكتاب المذكور غير صحيحة، بل يظهر أنّ العلامة البطريك بولس مسعد قد اغترّ أيضاً بهذه النسخة غير الصحيحة حتى قال مثل هذا القول في درّه النظم صفحة ٩٦ . والصحيح ما رواه السمعاني (في المحل المذكور أنفاً) من كلام الدويهي وهو: « اما جيش الملك فمن بعد هذه المقاتلة أخذ يخمد جذوة غيظ سكان لبنان ويعامله ويعتذر عن سوء صنيعه، ويقول إنّ قسطنطينية محفوفة بمخاطر شديدة من جراء حملات العرب والفرس عليها، وهي في أقصى الحاجة إلى المجاهد، ومعاونتهم وأنّه يلزم تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، واكثر من الوعود بأنّ الملك يجزل المكافآت الملكية لمن يطيعه وينجده ، وبعد العناء الشديد، المديد حملهم على أن يقيموا سمعان ابن أخت الامير يوحنا القتيل قائداً لهم، فمضى قائد يوستينيانس به وبائني عشر ألفاً منهم إلى ارمينيا (حيث قابلهم الملك يوستينيانس كما رأيت في كلام توفان الذي رويناه أنفاً) ثم إلى تراكية ». فهذا ما رواه السمعاني من كلام الدويهي وعليه الاعتماد. ويظهر من ذلك ما أشرنا إليه أولاً من أنّ ملوك الروم كانوا يوسوسون للمردة ليخرجوهم عن طاعة الدولة السائدة بهم حتى صار للمردة ضلع مع هؤلاء الملوك، ولولا ذلك لما صدقوا وعود قائدهم ولما أغضوا على قتل أميرهم. ويتبين لي أنهم راعوا من جهة اسخاطهم لدولتهم بتعدياتهم، ومن جهة أخرى أنهم إذا عصوا ملوك الروم أيضاً لم يكن لهم طاقة على معاندة الدولتين معاً، فأثروا مطاوعة القائد والمسير معه على بقائهم في أوطانهم عرضة لتتكيل الدولتين بهم، وكانوا يرجون أنّ

يوسطينيانس ينتفع بخدمتهم ويعيدهم إلى وطنهم، ولم يدروا باتفاق الدولتين على ابعادهم إلا بعد حلول المصائب بهم. ولا غرو ان عيالهم لحقت بهم ويظهر أنّ ذلك كان سنة ٦٨٥ أو سنة ٦٨٦م، إذ روى المؤرخون المذكورون أنّ ذلك كان للسنة الثانية ليوسطينيانس الاخرم، وحينئذٍ أُمّر الموارنة عليهم ابراهيم ابن أخت بطريركهم القديس يوحنا مارون كما سيأتي .

وأما ما كان للثاني عشر ألفاً المجلولين بعد مضيهم إلى ارمينيا ثم إلى تراكية وأين هي تراكية التي حلوا فيها ؟ فقد كان لعلمائنا في ذلك أقوال مبناها على الحدس والتخمين ولم ينبئنا السمعاني بشيء من ذلك في المكتبة الشرقية التي تتداولها أيدينا، ولما كنت في روما سنة ١٨٦٧م بخدمة المثلث الرحمة العلامة البطريرك بولس مسعد لحضور حفلات العيد القرني للقديسين الرسولين بطرس وبولس ولتطويب بعض القديسين، وكنت مهتماً بتأليف كتابي الموسوم بسفر الاخبار في سفر الاحبار، أخذت اتفقد بعض كتب مكاتبتها لالتقط منها ما أضمنت كتابي المذكور، فعثرت في مكتبة مجمع انتشار الايمان على كتاب العلامة السمعاني الموسوم بمكتبة الناموس الديني والمدني وهو نادر ولا يوجد إلا في اوروبا في بعض المكاتب الشهيرة، ولا أعلم أنّ في الشرق نسخة منه فأخذت عنه بعض تعليقات ضمنتها كتابي سفر الاخبار ودونك خلاصتها .

قال العلامة السمعاني في المجلد الرابع من المؤلف المذكور المطبوع في رومة سنة ١٧٦٤م (فصل ٣٥ صفحة ٦٢٠) ما ملخصه : « إنّ توفان المؤلف الرومي الذي ذكر خبر ابعادهم لم ينبئنا أين اقاموا وجلّ ما قاله أنّ يوسطينيانس إذ سافر إلى ارمينيا التقى هناك بعسكر المردة الذي أمر بإخراجه من لبنان، ودكّ بذلك السور النحاسي الذي كان لمملكته، إلا أنّ قسطنطين بروفيروجنات (هو قسطنطين السابع أحد ملوك الروم في قسطنطينية وبروفيروجنات لقب كان أبناء هؤلاء الملوك الذين يولدون لهم في مدة ملكهم يلقبون به وتأويل الكلمة المولود بالبرفير، إذ كانت القابلة تقبل الطفل بالبرفير أو تفرش غرفة الولادة بالبرفير ». ابن لاون الحكيم (هو لاون السادس أحد الملوك المذكورين) قال في كتابه الموسوم بتدبير الملك المطبوع في باريس (فصل ٥٠ صفحة ١٣٧) أنّ المردة نقلوا إلى بمفيلية، وقام قائدهم في مدينة اضاليا. وذكر في كتابه الاول في اعمال المملكة (فصل ١٤) عمل بمفيلية وفيه المردة الذين جلوا من لبنان يليهم قائد لهم وقد استمروا هناك من عهد يوسطينيانس إلى أيام المؤلف

الذي كان في منتصف القرن العاشر. وقد أسهب هذا المؤلف الكلام فيهم في الفصل الخمسين من كتابه المذكور، ومما قاله ان ملك قسطنطينية كان يُنصب للمردة والياً منهم في اضايا يسمى قبطاناً، وأنّ الملك أباه نصّب لهم والياً اسمه استوراشيوس بلاتين، وادرف السمعاني كلام قسطنطين بقوله يظهر مما قيل أنّ المردة كانوا في بمفيلية في عهد الملك لاون الحكيم وأخيه اسكندر وابنه قسطنطين صاحب التأليف المذكور - أي في سنة ٩٥٠م إلى أن قال كان الملك ينصب لهم قاضياً يسمى قاضي اضايا. وفي سنة ١٠٧٤م في أيام الملك ميخائيل السابع من ملوك الروم كان أحد هؤلاء القضاة اسمه ميخائيل الف كتاباً في التاموسين الديني والمدني طبع في فرنكفورت سنة ١٥٩٦م، وكان في قسطنطينية مرتبة لكبير المردة من ايام الملك ميخائيل المذكور إلى أن أخذت قسطنطينية من ملوك الروم سنة ١٤٥٣م. ويستشهد السمعاني لصحة ذلك كتاباً لفرغوريوس كودونيوس كوروبالات الذي كان حياً عند افتتاح العثمانيين قسطنطينية حيث ذكر كبير المردة في قسطنطينية، ومما قاله إنّه كان يحمل عكازاً من فضة مموهاً بالذهب. واستشهد أيضاً متى جاتر الراهب الكاهن في كتابه في مراتب القصر القسطنطيني حيث روى أنّ الرتبة السابعة عشرة بعد الملك كانت لكبير المردة. واستشهد أيضاً كتاباً آخر مجهول المؤلف. فالنتج من كل ذلك أنّ الموارنة المجلون استمروا في بمفيلية ولهم ممثل في قسطنطينية إلى أن أخذت الدولة العثمانية قسطنطينية سنة ١٤٥٣م .

وأما تراكية التي أقاموا فيها فالصحيح أنّها قسم من كيليكيا وهي الآن ولاية ادنه، ومن المعلوم أن كيليكيا مقسومة إلى قسمين سهلية وجبلية فالسهلية قاعدتها ادنه وترسيس، والجبلية من مدنها سلوقية كيليكيا، وكان القدماء يسمونها تراكية أي الحجرية أو الحجر، والآن يعبرون عنهما بكيليكيا الاولى وكيليكيا الثانية. وبمفيلية متاخمة لتراكية غرباً. وهذا يؤيد ما رواه السمعاني وليست تراكية تراسة أي الروملي كما فسر بعض علمائنا .

وأما ما كان من أمرهم بعد ذلك فلم نطلع إلى الآن على شيء أكيد منه قال بعضهم: ان المرديت المقيمين الآن في البانيا هم المردة الموارنة ارتحلوا من بمفيلية إلى هناك وروى بعضهم أنّ بعض هؤلاء المرديت حقق أنّ عندهم تقليداً يؤيد ذلك .

حرب الموارنة وعسكر الملك يوستينيانس الاخرم

إن يوستينيانس الآخرم لم يقصر على تدبير مملكته بطيشه وسوء تصرفه بل أراد أن يدبر كنيسة الله كذلك، فعني بعقد مجمع بقصره وهو المعروف بمجمع قصر الملك دون أن يعلم الخبر الروماني به، وأدخل الأساقفة في ذلك المجمع قوانين لا تسلم بها الكنيسة الكاثوليكية، وطلب الملك إلى البابا أن يثبت ذلك المجمع فلم يجبه إلى سؤاله، وتسكع يوستينيانس ببدعة المشيئة الواحدة وطفق يؤيد أصحابها ويضطهد الكاثوليكين، فناصره البابا سرجيوس الخبر الروماني، وناضل البطريرك يوحنا مارون وشعبه الموارنة عن المعتقد الكاثوليكي بالمشيئين، فبلغ من حمق يوستينيانس أن ارسل قائداً من قادة جيشه إلى رومة ليشخص البابا سرجيوس إلى قسطنطينية وقائداً آخر إلى سورية لينكل الموارنة ويأتي إليه ببطريركهم. أما إرساله الجيش إلى رومة ليأتي إليه بالبابا فقد أثبتته كثير من المؤرخين، ودونك ملخص ما رواه أحدهم روهريخر (في ك ٥٠ من تاريخه) نقلاً عن أنسطاس المكتبي في كلامه على البابا سرجيوس وعن بولس الشماس (في ك ٢ من تاريخه فصل ١١) قال: «إن الملك ارسل زكريا أحد أعوانه ليشخص البابا إلى قسطنطينية فاستشاط أهل إيطاليا والمغرب عند سماع هذا الخبر، فزحف الجنود من رافنا وغيرها تبعاً إلى رومية غيرة على دينهم ورئيسه، وشعر زكريا بدنوهم من المدينة ففزع إلى البابا يسأله أن يوصد أبواب المدينة ويقيم الحراس لئلا يقتلوه، ولم يعبأ الجنود بتوصيد الابواب ولا بالحراس وانتهوا إلى قصر لاتران حيث كان البابا، فأسرع زكريا مرتعداً إلى مخدع البابا يسأله بدموع سخينة ان ينجيه من الموت، واختبأ تحت سرير البابا مرتعشاً مضيقاً رثده، فسكن البابا روعه وأشرف على الجنود والشعب الغفير المتألب هناك فجاملهم وأسكن جيشانهم ولم ينفكوا حتى طردوا زكريا من رومة مدعوراً مسبوباً.

وأما يوحنا مارون البطريرك فقد أنبأنا البطريرك إسطفانس الدويهي أن الملك عزم أولاً أن يرسل إليه لاون قائداً جيشه ليأتي به مكبلاً، فأحجم القائد عن المسير معتذراً بأن البطريرك معزز بقومه فلا يمكن الإتيان به إلا بعد حرب شديدة. وكان هذا القائد يحب الموارنة وقد أنجدوه في حربه للعرب. فسخط الملك على لاون وطرحه في السجن، وأمر موريق ومريقيان أن يسيرا بجيش إلى سورية، وأشاع أنه سيرهم

لقتال العرب ودرى البطريك بما دبره الملك فاستدعى ابن اخته الأمير إبراهيم فأتاه باثني عشر ألف مقاتل، فنقلوا البطريك من دير القديس مارون على العاصي إلى سمر جبيل. وإليك ما رواه السمعاني (مجلد من المكتبة الشرقية صفحة ٤٠٥) نقلاً عن الدويهي في تاريخ الموارنة في شأن هذه الحملة عليهم: «لما كانت سنة ٦٩٤ بلغ جيش الملك في أواخر الربيع إلى سورية فوثبوا أولاً على دير القديس مارون لأنه علة هذه الحرب وقتلوا من رهبانه خمسمائة راهب، وجعلوا الدير قاعاً صفصفاً وتحولوا من هناك إلى قنسرين والعواصم وضربوا هذين البلدين المهمين في ذلك العمل، وقرض أصحاب المشيئة الواحدة سكانهما عن آخرهم، وتركوا كل ما فيهما غنيمةً للجنود، ولم يتوقفوا عن قتل أحد من اصحاب الإيمان القويم إلى ان انتهى مريق ومرقيان إلى مدينة طرابلس وخرجوا منها، فضرب جيشهما أطناب خيامه في السهول المجاورة المدينة، فالتقاهم سكان الكورة واعدن أنهم يصنعون ما أمر الملك به إذا أعطوهم الامان، فاعطوه بطيبة خاطر بعد أن أقروا بالضلال (أي بدعة المشيئة الواحدة)، فحلّ الجيش في السهل الذي بين قرية أميون وقرية الناس الواقعة في سفح جبل لبنان، فقدم لهم سكان القرى المجاورة ما يحتاجون من الزاد وغيره. وسأل بعض أعيان تلك البلاد مريق ومرقيان القائدين ان يعطيهم هدنة واعدن ان يحملوا قومهم في تلك المدة على الطاعة والخضوع لمولاهم، فهادنوهم وأرسلوا إلى أمراء المردة رسائل يحضونهم بها على العمل بمقتضى أوامر الملك، واستحوذ الرعب على السكان الكاثوليكين لدنو العدو إليهم، وأيقنوا انهم لم يعد لهم منجاة إلا بالالتجاء إلى الله بصلوات خاشعة ودموع هامة، فاستجاب الرب صلواتهم وعزاهم بحدوث حدث لم يكن في حساباتهم، فقد وردت حينئذ رسائل من قسطنطينية من لاون (أولانتس) القائد المذكور آنفاً إلى البطريك يوحنا وإلى سمعان أمير لبنان يبشرهما فيها بخلع يوستينيانس من الملك وترقيته هو (أي لاون) إلى منصبه، ويأمرهما بضرب الجيش الذي أرسل إلى سورية بمنزلة عدو للملك، وذاع هذا الخبر بين الكاثوليكين فحمدوا الله وشكروه على هذه المنة واستبشروا بنصر مبين وارتأوا أنه لا يلزم انتظار العدو ليقدم إليهم فاندفقوا من أعالي الجبال اندفاق الماء المنهمر ووثبوا على جيش يوستينيانس وثبة الاسود، حتى ان كثيرين من الاعداء ولوا الفرار قبل وصول الواثين إليهم، وتفرقت صفوف العدو وأحاق بهم الموارنة من ورائهم ومن جانبيهم فاثخنوا فيهم وابسلوا كثيرين منهم، ووقع موريق

قتيلاً فأخذ أهل الكورة جثته ودفنوها في أميون». وقال السمعاني بعد ذلك أن الدويهي استكمل خبر انتصار الموارنة مستشهداً بكتاب تعليم اليعاقبة وإشعار البطريك يوسف العاقوري واليك ما أشار السمعاني إليه من مقال الدويهي: «وهكذا أخبر اليعاقبة في كتاب معتقدهم» ولما انتهت الملكية إلى قرية اسمها أميون تميز مويرين (بالتصغير تحقيراً) وابن اخته بريهم من الملكية ولحقوا سمر جبيل وحملوا أهلها من أداء الجزية التي فرضها الملكية على من لا يتبع مذهبهم ووافق مارون كل السريان الذين في جبل لبنان ونجوا مما كانوا يخشون». وإلى ذلك أشار الخوري يوسف العاقوري (الذي صار بطريكاً على الموارنة بعد ذلك) في زجلياته التي أخبر بها عن قدوم عسكر الروم إلى لبنان في الميصر الذي الفه سنة ١٦٢٠م.

خرجوا من اسطنبول متفقين مع جوقة أعداء شياطين والسيوف على الموارنة مسلولين خالفوا لمارون وطاعوا الملكية فيهم من طاع ومن خالف والسيوف فوق رأسه مؤلف والبعض من الفزع تخلف وطاعوا إلى الملكية داموا في الشر مصطدمين حتى نزل الأمير مسعود والمقدمين والعساكر في أميون مجتمعين والقتل وقع في الملكية انقتلوا القواد في أميون وانتصر جماعة مارون والروم على موريق إبتون كنيسة لليوم مسمية

هذا ما أشار السمعاني إلى أن الدويهي استكمل به خبر إنتصار الموارنة وأردفه بقوله إن الدويهي قال في مريق ومريقان عند تفنيده مزاعم سعيد بن بطريق بطريك الإسكندرية: «من البين أن مريق قتل في الحرب التي ذكرناها، ودفنه الملكية في قرية أميون، وأقاموا على مدفنه كنيسة وجعلوا عيداً لذكره في اليوم ٢٦ من تموز وهو من الأعياد المشهورة عندهم. وأما مريقان فخرج في وقعة الحرب فحمل إلى قرية شويطة في عكار ومات بعد قليل من الزمان، وأقام الملكية له هيكلاً وعيداً» وقد ورد مثل ذلك في مقالة مرهج بن نمرون الباني في أصل الموارنة. انتهى كلام السمعاني وقد أشرنا أن ننقل عنه كلام الدويهي مترجماً عن

اللاتينية من ان ننقل كلام الدويهي العربي ؛ أولاً: لأن نقل العلامة السمعاني له يريده قوة وثباتاً ولا سيما أنّ السمعاني قد انتقد الدويهي في كل ما كان من كلامه محلاً للنقد كما ستري ، وشرح كل ما كان مبهماً أو غامضاً فيه ثانياً، لأن نسخ تاريخ الدويهي التي اعتمد عليها السمعاني في رومة أصبح من النسخ العربية التي تتداولها ايدينا في سورية ، وقد رأيت آنفاً ما أنباه من الخطأ في النسخة التي اعتمد عليها العلامة البطريك بولس مسعد وطابع كتاب تاريخ الدويهي، ثالثاً لأننا نظن السمعاني لم يرو ما رواه عن الدويهي إلا معارضاً بنسخ كتابه العربية التي كانت في رومة وبترجمته إلى اللاتينية. وقد أنبأنا (مجلد ١ من مكتبة الشرقية صفحة ٤٠٥) أن العلامة الآخر الاب بطرس مبارك اليسوعي الماروني قد ترجم هذا الكتاب من العربية إلى اللاتينية، وهذا ايضاً مما يزيد شهادة الدويهي ثبوتاً وثقة بصدقها .

واقول ان ارسال يوستينيانوس عساكره في الدفتين لجلاء عسكر المردة من لبنان والقبض على بطيريكهم لا بد ان كان بقوة المعاهدة المنعقدة بينه وبين عبد الملك ابن مروان وإلا فكيف تمكن دخول عساكر ملك الروم إلى سورية وهي بحوزة الخلفاء وان اوهت سلطتهم عليها غزوات المردة وعليه فارسل هذه العساكر إلى سورية هو مما يؤيد المعاهدة المذكورة التي لا ينكرها المؤرخون المسلمون .

عد ١٠

الإنقسام بين الموارد والملكية

يشهد الله ، ويعلم كل من عاشرني وأطلع على دخيلتي ، أنني والحمد لله منزّه عن كل تعصّب طائفي لغير الحق وهائم بالإلفة والوفاق بين كل اصحاب المذاهب الدينية أيها كان ، كلفاً بالراحة والتضافر على كل ما به الخير العام والخاص والنجاح والقوة التي لا تقوم إلا بالاتحاد والخضوع للسلطة الشرعية . وعليه فما ذكرته في الفصل السابق ، وما سأذكره الآن ، لا يحملني عليه وآيم الله إلا بيان الحق كما يحصحص لي ويتجلى عليّ ، ولا أشاء ان انتقص ملة أو أحداً أيّا كان بل ان اكشف عن وجه الحقيقة التاريخية كما أراها في كتب القدماء الموثوق بصدقهم .

روى الدويهي في تاريخه ان بدء الإنقسام بين الموارنة والملكية إنما كان بسبب التحامل على يوحنا مارون وبسبب الواقعة التي كانت بين جيش الروم وأهل الكورة وبين مجاورهم الموارنة . فالذين تبعوا جيش الروم وانقادوا لرأيهم سموا ملكية نسبة إلى الملك الذي كان من أهل البدعة، والذين ثبتوا على الإيمان وطاعة البطريك يوحنا مارون استمروا يسمون موارنة. وقد أورد السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٥٠٧) . قول الدويهي كما ذكرناه وقول ابن نمر بن النعمان الماروني إلا أن بعضهم رأى أن تسمية الملكية أقدم من ذلك العصر وقال انهم ينتسبون إلى الملك مرقيان والمجمع الرابع (الخلكيدوني) . وأول من قالوا بهذا القول من السريان على ما اعلم إنما هو ديونيسيوس بن صليبا سنة ١١٦٠م (في الفصل الاول من شرحه رتبة القديس) وهاك قوله « إنما سموا ملكية لانهم تركوا إيمان الآباء واتبعوا رأي الملك مرقيان ». وقال مثل ذلك من اليونان نيكوفور كالستس الذي كان مشهوراً في سنة ١٣٣٠م (في تاريخه ك ١٨ فصل ٥٢) وهاك قوله « ظهر في سورية شقاق عظيم في أيام يعقوب (البردعي) هذا الذي كان يدعو إلى بدعة الطبيعة الواحدة، فمن تشبهوا بالإيمان القويم سموا ملكية لأنهم اتبعوا المجمع الرابع المقدس والملك لان ملكو عند السريان تأويلها ملك ». ولا أذكر أحداً من المؤرخين اليونان والعرب واللاتينيين الذين كانوا بعد نيكوفور وابن صليبا كساويرس أسقف الاشمونيين ، وابن الراهب مؤلف التاريخ الشرقي وجيورجيوس بن العميد الذين اتبع بارونيوس رأيهم لأنهم انتحلوا كلام ابن صليبا ونيكوفور، ولا أحفل بذكر سعيد بن البطريق البطريك الإسكندري وان كتب في القرن العاشر، وذكر الملكية متواتراً (مجلد ٢ صفحة ١٦ و ٣٣، ٧٩ و ٩٥ و ١٠٠ و ١٠٣) ولم يذكر اصل هذا الاسم بل يتبين من كلامه انه كان مستعملاً قبل مرقيان الملك مراداً به اصحاب الإيمان القويم لأنه قال (صفحة ١٠٠) : « وكان مرقيان الملك حسن الامانة وكان يدين ويقاثل عن امانة الملكية » ولا اعبأ ايضاً بقول توما الحارقي اسقف كفرطاب من اصحاب بدعة المشيئة الواحدة الذي كانت محاوره بينه وبين يوحنا بطريك الملكية سنة ١٠٨٩م، في ان في المسيح مشيئة واحدة اثبت فيها ان الملكية سموا بهذا الاسم لأنهم اتبعوا يارشاد القديس مكسيمس المعترف الملوك : مرقيان وأخاه وموريق سلفاء هرقل، وإليك قوله (عن كتابه الذي هو الرابع عشر من كتب الحاقلي في المكتبة الواتيكانية) . « ان مكسيمس مضى إلى الملكيين مرقيان وأخيه وإلى

موريق الذي خلفهما في قسطنطينية فرخصوا له أن ينذر بمشيئتي المسيح في سورية، فمن امتثلوا أوامرهم سموا ملكية». قلت لا أعبا بهذا القول لانه لا شاهد له بل هو مخالف لجميع آثار التاريخ الكنسي التي نصت على ان الملك مرقيان كان قبل موريق الملك بمئة سنة ونيف وانه لم يكن أخ يشاركه في الملك ولم يكن في أيامه ولا في ايام موريق الملك بحث في مشيئتي المسيح بل نشأ هذا البحث في ايام الملك هرقل خليفة فوقا وموريق لنحو سنة ٦٢٨ م .

والذي أراه راجحاً أنّ اسمي الملكية والمردة كانا في عصر واحد وأحدهما يخالف الآخر، ولم يكونا يدلان في أول استعمالهما على دين أو طقس كما ارتأى بعض العلماء الموارنة، بل على غرض أو حزب مدني، وإن دلاً على ذلك بعداً أعني لما افترق كل فريق منهما عن الآخر بطوقه ورعائه ومذهبه، لان من عصوا الملك بسورية سموا مردة اي عصاة ومن استمروا على طاعة الملك سموا ملكية، وإنما كان هذا في أيام الملك قسطنطين اللحياني لما استحوز المردة على كل ما كان من الجبل الأسود (المعروف بالجبل الاقارع) إلى مدينة أورشليم المقدسة كما أثبت توفان وشدرانس. ويؤيد ذلك صمت جميع الآباء والمؤرخين القدماء عن ذكر الملكية، فقلب ما شئت كتب الآباء في القرون الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع فلا تجد ذكراً للملكية، ودقق في مطالعة تواريخ بروكوب وأفاغريوس وتوفان وشدرانس وزوناراس وتوافيلكتس، فلا تلقى أثراً لهذا الاسم في كتبهم بل لا نجد ذكراً للملكية في كتب اولي البدع ايضاً كبطرس القصار، وفيلوكسينس المنبجي، وساويرس، وبطرس الالغ، ويوحنا فيلوبون، والداراوي وغيرهم، بل تراهم سموا الكاثوليكين متواتراً خلكيديونيين او مجمعيين ولم يستعملهم قط ملكيين. وبمعكس ذلك ترى توفان وشدرانس صراحة مرات بذكر المردة ولم يصماهم ببدة وهذا دليل واضح على ان اسمهم دال على غرض أو حزب مدني لا على زيغان عن الدين، ولذلك سمي اعداء المردة ملكيين بلغة موطنهم. ولو أشعرت هذه التسمية ببدة لكان من كتبوا تاريخ تلك الايام والبدع التي نشأت فيها بسورية وصفوا إحدى الفرقتين باراتيكية ثم ان هذين الاسمين سريانين واول استعمالهما كان في سورية، ويؤيد ذلك اللفظ نفسه، وإقامة المردة والملكية قديماً وإلى الان في سورية. وقد ندر او انقطع وجود الامتين في غيرها، ولهذا لا يعبا بقول باجيوس (في تاريخ سنة ٦٢٢م) ان اسم ملكية وضع في ايام

مرقيان في مصر . . . إذ لم نر مؤرخاً قبل سعيد بن بطريق عزا اسم ملكية إلى مرقيان ولو وضع هذا الاسم في مصر لما سمي الكاثوليكيون ملكية، وهو لفظ سرياني أو عربي بل باسيلين عن لفظ ملك في اليونانية، أو بلفظ آخر من لغة المصريين والامر بيّن كالنور. فالمصريون لم يستعملوا السريانية قط ولم يتكلموا بالعربية إلا بعد مرقيان، والمجمع الخلكيدوني بقرنين لما فتح عمر بن الخطاب مصر. وأما تسمية العلماء الحدباء الروم المصريين ملكية فلا يحفل بها لأن اسم اليعاقبة لا مراء في انه منسوب إلى رجل سرياني، ووضع في سورية، وقد سمي به بعد ذلك اصحاب بدعة الطبيعة الواحدة في مصر. فإن هذه الاسماء عرضة لتغير مدلولها، يؤيد ذلك اسم الملكية فقد كان أولاً دالاً على السريان الكاثوليكين والآن هو عبارة عن الروم المتحدين وغير المتحدين وعن المصريين اصحاب الطقس اليوناني، واللبنانيون كانوا يسمون في القرن السابع مردة، والآن يسمون موارنة نسبة إلى القديس مارون الذي بني له الدير على العاصي في جانب أهاميا، وفيه نشأ يوحنا بطريركهم وقد سمي لذلك مارون». انتهى كلام السمعاني مترجماً بحروفه ولا يتسنى لي أن أزيده بياناً. فعمدة برهان هذا العلامة أنّ اسميّ مردة وملكية يقابل أحدهما الآخر وقد كانا في عصر واحد ونشأ في بلاد واحدة وهي سورية وجل الخلاف في نسبة الملكية إلى مرقيان الملك. وهذه النسبة غير ثابتة إذ لا تجد لها ذكراً في كتاب من جميع كتب العلماء والمؤرخين من القرن الرابع إلى القرن العاشر كاثوليكين كانوا أو هراطقة. وأول من ذكرها هو رجل هائم أن يشرف امته ومعروف بطيشه وكثرة اغلاطه وهو سعيد بن البطريق البطريرك الاسكندري الملكي ومن أخص قواعد الانتقاد أنّ الاحداث الهامة إذا لم يذكرها مؤرخو القرن الذي حدثت فيه فلا يركن إلى صحتها ومن قالوا كسعيد بن البطريق بصحة هذه النسبة إلى مرقيان الملك يحمل كلامهم على انتحاله عنه أو على المتابعة له على زعمه ولا تصلح شهادتهم لتأخرها قروناً عن هذه التسمية ولم يعزوها إلى مؤرخ معاصر فلا أساس راهن لها، وعليه فهي ساقطة ولو كثر عدد القائلين بها من المتأخرين ولو صدقت هذه التسمية على من اتبعوا المجمع الخلكيدوني والملك مرقيان لكان رهبان القديس مارون أحق بها من سواهم؛ إذ ناضلوا عن هذا المجمع وسفك كثيرون منهم دمهم في الدفاع عنه كما روى كثيرون من القدماء والمتأخرين، وكما تشهد الكنيسة الرومانية بتعيينها لهم، ولا نرى أحداً دعاهم ملكية. والحق أقول أني لم

أجد أنا أيضاً في مطالعاتي (وان لم تقس على شيء من مطالعات العلامة السمعاني) قولاً واحداً من أقوال العلماء قبل القرن العاشر يثبت هذه النسبة، واحسبني سعيداً ان ظفرت بشيء من ذلك لأغثير رأيي هذا.

الفصل الثاني

منشأ القديس يوحنا مارون واسقفيته وبطيريكته وتأليفه

عد ١١

منشأ القديس يوحنا مارون

نعتمد في ترجمة القديس يوحنا مارون على ما دونه العلامة السمعاني (في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٤٩٦ وما يليها) نقلاً عن الكتاب العربي الذي خطه سنة ١٤٩٥م جبرائيل اللحفدي المعروف بابن القلاعي اسقف نيكوسيا بقبرص إلى القس جيورجيوس بن بشاره رداً على البعاقبة، وقد اذاعه الأب فرنسيس كوراسمس مترجماً إلى اللاتينية سنة ١٦٣٩م في مؤلفه وصف الارض المقدسة (ك ١ فصل ٢٧ صفحة ٩٦)، ونقلاً عن العلامة البطريك اسطفانس الدويهي الاهدني في كتاب محاماته عن الموارنة (ك ١ فصل ٧ وما يليه).

قال السمعاني في المحل المذكور ولد يوحنا في قرية تسمى سرور موقعها في جبل السويدية على مقربة من مدينة انطاكية، وقد استشهد لصحة ذلك افاغريوس (في ك ٤ من تاريخه فصل ٣٨) وكاتب ترجمة يعقوب البردعي بالسريانية على ما روى الاهدني (في الفصل السادس من تاريخ الموارنة) حيث يقول: «اشتهر يعقوب بحفظ ايمان الرسل الذي تلقيناه من يعقوب أسقف أورشليم الاول، وملاً الكنيسة بأسرها بأعماله الحسنة، وإذ يلتقي الآن الهراطقة وأصحاب الايمان القويم فيسألهم الهراطقة من أنتم ومن تتبعون، فيجيبهم الارثوذكسيون اننا نتبع ايمان

يعقوب اول الرسل الذي سمي اخا الرب بالجد وهذا الايمان قد أرشدنا إليه يعقوب هذا الإلهي (أي البردعي) . واما المخالفون فيقولون نحن نتبع افرام الآمدي (بطريك انطاكية الذي ذكرنا ترجمته) أو يوحنا السرومي وهو البطريك المخالف لله . ولا مراء في أنّ كاتب هذه الترجمة اليعقوبي يريد بيوحنا السرومي يوحنا مارون الذي كان يناصب اليعاقبة في سورية لا يوحنا السرومي الآخر الذي خلف افثيشيوس بطريك قسطنطينية في أيام يوستينيانس الملك كما روى افاغريوس في المحل المذكور، لأنّ هذا السرومي لم تكن له علاقة أو بحث مع سكان لبنان وسورية بل ربما لم يعرفوه ولم يسموا باسمه .

وقد جاء في تاريخ البطريك اسطفانس الدويهي أنّ ابا يوحنا مارون كان اسمه اغاتون، وكان اسم أمه انوهاميا، وأنهما كانا حسيين شريفيين من نسل ملوك فرنسا. وقد اعتمد في ذلك على كتاب قديم كرشوني كان في كنيسة السيدة بدمشق قيل فيه: « كان رأس الأمة المارونية رجل اسمه يوحنا فاضل عالم مستقيم كثير الفضائل وهو من أصل شريف، اسم أبيه اغاتون واسم أمه انوهاميا واسم جده اليديس ابن أخت ملك فرنسا » وجاء مثل ذلك في ترجمة يوحنا مارون التي كتبها جبرائيل اللعدي اسقف نيكوسيا إلى القس جرجس بن بشاره سنة ١٤٩٥م كما مرّ. وارتأى الدويهي وابراهيم الحاقلي (في شرحه قصيدة عبد يشوع الصوباوي) أنّ يوحنا مارون هو المراد بقول عبد يشوع **مَلِكُ فَرَنْسَا** أي يوحنا ابن الافرنج. على أنّ هذه الرواية لا يمكن تحقيقها ولا القطع بصحتها وان كنا لا ننكر أنّ كثيرين من الافرنج كانوا يسكنون وقتئذ في سورية للتجارة وللهرج الذي أحدثه الغطط والبندالة وغيرهم في اوربا في القرنين الخامس والسادس، بل قد اثبت القديس ايرونيوس أنه كان من أيامه كثيرون من الاوروبيين في سورية، وإن كان الدويهي بعد ان زوى ان اليديس جد يوحنا مارون كان ابن أخت كارلس الكبير ملك فرنسا، انتبه إلى ما يرد على ذلك من ان هذا الملك كان بعد يوحنا مارون بسنين متطاولة، وحل هذا المشكل بأنّ كثيرين من ملوك فرنسا سمو باسم كارلس وأنّ كارلس المذكور لم يكن ملكاً بل كان أميراً في انطاكية، ودعي ملكاً. جرياً على عادة السريان والعرب أن يسموا كل حاكم أو متول ملكاً إلا أنّ كل ذلك لا يبلغ هذه الرواية إلى درجة التحقيق بل إلى درجة احتمال الصحة فقط، وقد أثبت العلامة السمعاني (مجلد ٢ صفحة ٣٠٦) أنّ الدويهي والحاقلي قد

انخدعا برواية عبد يشوع الصوباوي وصحيح كلامه . **سورة حزقيال**
أي يوحنا ابن الفخارين لا ابن الافرنج، فمن ذكره عبد يشوع إذاً ليس يوحنا مارون
فلا يثبت قوله أنه كان افرنجياً .

إنّ والذي يوحنا سلماه مذحدثه إلى المدارس لاقتباس العلوم في انطاكية أولاً
ثم في دير القديس مارون، فنبغ في العلوم اللغوية والرياضية والآلهية، ولشدة هيامه
بالعلم سار إلى قسطنطينية فاتقن تعلم اليونانية بفنونها، والفلسفة، وانكبّ على
مطالعة كتب الآباء القديسين وتفسيراتهم، وبلغه نعي والديه فعاد إلى انطاكية
وكانت له شقيقة لها ابنان يسمى احدهما ابراهيم والآخر قورش، وكان ابراهيم
فطناً أديباً شجاعاً فسلم إليه تدبير البيت والأملك وساد بعد ذلك في قومه وأخذ
يوحنا قورش أخاه وصعد به إلى دير القديس مارون الذي على ضفة العاصي زاهداً
في العالم ومجده وكرامته، فلبس هو وابن اخته قورش زي الرهبان ونذر يوحنا
نفسه لله ورقى إلى درجة الكهنوت وسمي يوحنا مارون نسبة إلى القديس مارون أو
إلى دير، وتفانى في حب خلاص النفوس وإرشاد الناس إلى الإيمان القويم
والفضائل مناضلاً اولي البدع ومناصباً الأشرار، فصنّف كتباً كثيرة ووضع مقالات
شتى سنّاتي على ذكرها، وكان ينمو بالحكمة والنعمة كل يوم ويعظم ثوابه لدى
الله ويرتفع قدره لدى الناس ولم نظفر بما ينبتا بسنة مولده وقد أجمعوا على أنه
توفاه الله سنة ٧٠٧م، فإن قدير أنه عاش ثمانين سنة كان مولده سنة ٦٢٧م .

عد ١٢

أسقفية القديس يوحنا ماررون

جاء في ترجمة يوحنا مارون التي ذكرها السمعاني (مجلّد ١ من المكتبة
الشرقية صفحة ٤٩٩) أنّ يوحنا مارون هدى كثيرين إلى الإيمان القويم، وكان
كثيرون يأتون إليه ويعملون بما يشير عليهم به . ولذلك رأى أوجان البرنس (أي
أمير أنطاكية) وجميع الإفرنج المقيمين في أنطاكية أن يقدموا يوحنا إلى الكردينال
سفير الكرسي الرسولي الروماني ليرقيه إلى درجة الأسقفية على مدينة البترون، ليقى
أهل جبل لبنان من الضلال ويشبّهم في إيمان الكنيسة الرومانية . وقد صرّح اليعاقبة
بإقرارهم بذلك في كتاب معتقدهم الذي كان في العربية بمكتبة مدرسة الموارنة

برومة حيث يقول مؤلف هذا الكتاب : « أنتم كلكم سريان وكان كرسي بلدكم لانطاكية السريان إلّا لما جارت ملوك الروم على السريان وقتلوهم قام مارون ووافق ملك الإفرنج الذي في أنطاكية وكان اسمه أوجان برنس، وقال له يا ملك الزمان نخاف على جبل لبنان أن تستميله أمة الملكية إلى معتقدهم فقل للكردينال الذي عندك وألزمه يكرسني مطراناً حتى أمسك بعض الناس على أمانة الفرنجية، إلّا أمانة يعقوب فلا أذكرها فكرسه مطراناً على البترون » انتهى كلام مؤلف كتاب تعليم اليعاقبة ولا شك في أنه يريد بمارون يوحنا مارون راهب دير القديس مارون .

ولم نر السمعاني تصدى في المكتبة الشرقية لشرح هذه الفقرة من ترجمة يوحنا مارون، لكننا رأينا شرحها بإسهاب في الكتاب الرابع من مكتبته في الناموس الديني والمدني في ثلاثة فصول هي : الثامن عشر، والتاسع عشر، والعشرون من الكتاب المذكور حيث أطل وأجاد في ذكر إقامة يوحنا الفيلاذلفي (أسقف فيلاذلفيا وهي المعروفة اليوم بعمان في عبر الأردن) نائباً للكرسي الرسولي في بطريركيي أنطاكية وأورشليم كما ذكرنا في كلامنا على بطاركتهما في القرن السابع إذ لم تمكن الحال من إقامة بطريركين فيهما، وأورد البراءة التي نصب فيها البابا مرتينس يوحنا الفيلاذلفي في هذه النيابة ومما قاله فيها: « ونحرضك على أن تكون نائباً لنا في هذه الأمصار الشرقية في جميع المقتضيات البيعية فأسرع إلى إصلاح كل ما كان إصلاحه لازماً، وإلى إقامة أساقفة وكهنة وشمامسة في جميع المدن التابعة بطريركيي أنطاكية وأورشليم، إننا نأمرك بذلك بالسلطان الرسولي الذي أولانا الله إياه بواسطة بطرس زعيم الرسل (عن براءة البابا مرتينس التي أثبتها لاباي في مجلد ٦ من مجموعة المجامع صفحة ٢٠). وقد أنفذ البابا مرتينس أيضاً رسالة أخرى عامة إلى جميع الكهنة والأساقفة والشمامسة ورؤساء الأديار في بطريركيي أنطاكية وأورشليم قال فيها إنه بالسلطان الذي أولاه الله إياه قد أقام يوحنا الفيلاذلفي نائباً له في المشرق، ويناشدهم أن يحسنوا الطاعة له وأن يجانبوا الأراطقة ولاسيما مكدونوس الذي غصب كرسي أنطاكية وبطرس الذي تدخل على كرسي اسكندرية وأعلمهم بحرمة بدعة المشيئة الواحدة في مجمع لاتران، وأنه أرسل إلى يوحنا الفيلاذلفي نسخة من أعمال هذا المجمع ليطلعهم عليها. وقد ذكر هذه الرسالة أيضاً لاباي في مجموعة المجامع (مجلد ٦ صفحة ٢٩) والسمعاني في مكتبة الناموس (في المحل المذكور آنفاً) .

فأتم الفيلادلفي ما عهد إليه به البابا مرتينس رغماً عن تشييع الملك قسطنس بن هرقل وبطاركة قسطنطينية لأصحاب بدعة المشيئة الواحدة ، وتيسر له العمل بنيابته بعد موت قسطنس وخلافة ابنه قسطنطين اللحاني له ، إذ كان حسن المعتقد كثير الغيرة على الإيمان الكاثوليكي ؛ وقد رأيت ما كان من السطوة حينئذ لسكان لبنان وقد كان مكدونوس ومكاريوس بطريركا انطاكية حينئذ متشبهين بدعة المشيئة الواحدة مقيمين في قسطنطينية . فسأل الكاثوليكيون في أنطاكية ولبنان يوحنا الفيلادلفي أن يرقى القس يوحنا مارون الذي كان اشتهر بعلمه وفضيلته ومناضلته أصحاب البدع إلى أسقفية البترون فرقاه إليها سنة ٦٧٥ أو سنة ٦٧٦ م .

حقق ذلك السمعاني في ك ٢ فصل ٢ من مكتبته في الناموسين وفي مجلد ٢ في مؤلفي تاريخ إيطاليا ، والبطريك يوسف أسطفان قسم ٣ فصل ٦ في قداسة يوحنا مارون ، والخوري أنطون قيالة البيروتي في رده كلام القس يوحنا عجمي الملكي الكاثوليكي وروهر بخر في تاريخه لسنة ٦٦٨ م حيث قال : « إنَّ يوحنا الفيلادلفي الذي أقامه البابا مرتينس نائباً للكرسي الرسولي في المشرق سر بما بلغه من امتداد سطوة الموارنة ، ولعلا يفتقروا إلى المساعدات الروحية أقام لهم أسقفاً يوحنا مارون راهب دير القديس مارون » . روى كل ذلك البطريك بولس مسعد في الدر المنظوم صفحة ١٤١ .

وجاء في الترجمة التي أثبتها السمعاني في المجلد المذكور من المكتبة الشرقية أنَّ يوحنا مارون بعد ترقيته إلى أسقفية البترون انتقل من دير القديس مارون إلى فينيقية أي إلى أبرشيته ، وتفانى في حراثة كرم الرب ، وردَّ إلى الإيمان القويم كثيرين من أصحاب بدعتي الطبيعة الواحدة أو المشيئة الواحدة من رعيته وغيرها ، فنما شعبه وكثر عديدهم ، وانبسطت مساكن كثيرين منهم حتى أورشليم وبلاد الأرمن وكان بعضهم بكثرة الكهنة ورؤساء الكهنة لخلاص نفوسهم ، بل أقام لهم أمراء وقادة لجيشهم يذبّون عن جماعتهم ويحمون حماهم من كل معتد وكان من أمراء جيشهم ابراهيم ابن اخته الذي مؤبنا ذكره ، وكانت لهم السطوة والغزوات التي روينها عن توفان وشدرانس وزوناراس وغيرهم حتى ألجأوا معاوية وعبد الملك بن مروان إلى الإنفاق مع ملوك الروم عليهم بشرط أن يصدّوا غزواتهم ويجلوا عسكرهم كما مؤ .

وأما دعوى القس يوحنا عجمي الملكي الكاثوليكي برسالته المنفذة إلى الخواجه الياس عبدو الحلبي بأن يوحنا مارون رقاہ إلى الأسقفية مكاريوس بطريرك أنطاكية المتسكع بيدعة المشيئة الواحدة فهي دعوى باطلة لم ينورها صاحبها بدليل راهن أو حجة قاطعة ولم يقل بها مؤرخ صادق، بل هي مخالفة لأقوال المؤرخين المحققين ومضادة لتصريح الأخبار الأعظمين ولاسيما البابا بناديكتس الرابع عشر العلامة، وقد فُتد الخوري أنطون القيلة البيروتي تلميذ مدرسة الموارنة في رومة رسالة القس يوحنا عجمي المذكورة، وأثبت هذا التفنيد المطران ارسانيوس شكري أسقف حلب الماروني وقد طبع في بيروت هذه السنة ١٨٩٩م في كتاب المحاماة عن الموارنة وقديسيهم، فمن شاء زيادة بيان في هذا الشأن فليطالع الكتاب المذكور.

عد ١٣

بطريركية القديس يوحنا مارون

جاء في ترجمة يوحنا مارون التي أثبتها السمعاني في المحل المذكور من المكتبة الشرقية أنه في السنة الثانية للملك يوستيناس (الأخرم وهي سنة ٦٨٥م) قضى أجل توافان الذي أقامه آباء الجمع السادس بطريركاً على أنطاكية فاجتمع الرؤساء ليختاروا رجلاً صحيح المعتقد ليخلفه، وبعناية الله أجمعوا على انتخاب يوحنا الأسقف بطريركاً على أنطاكية وقلدوه رئاسة الكرسي الأنطاكي. وروى البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخ الموارنة أنه سار مع قاصد البابا من طرابلس إلى رومة إلى البابا سرجيوس فأحسن استقباله لأنه كان أنطاكي الأصل، ووشحه بدرع الرئاسة ودفع إليه التاج والخاتم والعصا وخوَّله كل ما كان لأسلافه من المنح وعاد إلى أنطاكية، فأرغمه أصحاب البدع أن يفرّ أولاً إلى دير القديس مارون ومنه انفذ إلى اللبنانيين كتابه الموسوم بإيضاح الإيمان، ثم لم ينجح هناك أيضاً من اضطهاد الملك يوستيناس الآخر وأولي البدع ففرّ إلى لبنان وأقام أولاً في سمر جبيل، ثم في كفرحى حيث بنى ديراً على اسم القديس مارون ووضع فيه هامته التي كان قد نقلها من ديرها على العاصي.

على أن السمعاني ذيل كلام البطريرك اسطفانس الدويهي بحاشية قال فيه ما ملخصه: «اعتمد اسطفانس الدويهي في بطريركية يوحنا مارون على التقليد العام

عند الموارنة ، وعلى إقرار اليعاقبة الذي مرّ ذكره ، وعلى مقدّمة كتاب يوحنا مارون الموسوم بإيضاح الإيمان الذي دوّنه وأنفذه إلى سكان لبنان حيث قيل: « ورأى (يوحنا) مارون أنّ الأولى به أن يغير مقام كرسیه ولا يغير الإيمان القويم الذي علمه الآباء الذين اجتمعوا في نيقية وأثبتته باقي المجامع ففر من أنطاكية وأتى إلى دير في جهة اباميا على ضفة العاصي (وهو دير القديس مارون) وكان في ذلك الدير ثمان مئة راهب أطهار قديسون فأقام كرسیه بينهم، وكتب ثمّ هذا الكتاب وأنفذه إلى سكان لبنان المقدس». وهذه المقدمة تراها في الكتاب الرابع عشر من كتب الحاقلي في المكتبة الواتيكانية مدونة بالسريانية والعربية كما رويناها إلّا في تغيير يسير، وهذا الكتاب قد خط سنة ١٧٠٣ يونانية الموافقة لسنة ١٣٩٢ للميلاد علي أنّ انتخاب يوحنا مارون بطريركاً في مجمع أساقفة في أنطاكية لم يقل به إلّا الإهدني ولو انتخب بطريركاً في أنطاكية باجتماع أصوات الأساقفة لذكر المؤرخون الروم واللاتينيون اسمه في سلسلة بطاركة أنطاكية سواء كان كاثوليكياً أو أرثوذكسياً كما ذكروا أسماء جميع بطاركة أنطاكية الكاثوليكين وغير الكاثوليكين ممن كانوا قبله أو صيروا بعده . ولهذا أظن أنّ الأمثل أن يقال إنّ لم ينتخبه أساقفة الكرسي الأنطاكي الذين كانوا طوع يدي يوستينانوس ملك الروم ، بل انتخبه بطريركاً أساقفة المردة أي الموارنة . ويظهر لي أنّه يؤيد هذا اعتياد الموارنة إلى اليوم أن يقيموا لأنفسهم بطاركة بالإنفصال عن الروم واليعاقبة والنساطرة، ولا يصدق أنّ جمهوراً كبيراً من الناس وقد استحوذوا على كلّ ما كان من الجبل الأسود إلى أورشليم كان خليلاً من رئيس وراع، وانضوى إلى أمة واحدة تخالف غيرها في طقوسها وعوايدها دون أن يكون لهم رئيس يجمع شملهم، ولهذا لا ترى المؤرخين الروم واللاتينيين ذكروا أعمال يوحنا مارون لأنّها كانت في جبل لبنان ولم يذكر المؤلفون الروم بطريركيته لأنّ رعيته جميعها كانت من السريان وهم لا يذكرون إلى الآن خلفاء يوحنا مارون من بطاركة الموارنة في عداد البطاركة الأنطاكيين . أما ما رواه كوارسمس في ترجمة يوحنا مارون من أنّه أتى إلى رومة وأقامه البابا سرجيوس بطريركاً على أنطاكية فأظن مصدريه أنّ يوحنا مارون والموارنة تشبثوا بعري الكرسي الرسولي الروماني خلافاً لباقي السريان انتهى كلام السمعاني .

وقد انتحل لكويان (في مجلّد ٣ من المشرق المسيحي صفحة ٤٩ في بطاركة الموارنة) كلام السمعاني برمته ولم يزد عليه إلّا فقرة من كتاب يوحنا سافريوس في

رحلته إلى أورشليم (فصل ٢٧) نقلها عن مقالة نيرون الباني في الموارنة (صفحة ٣١) وهي: «أنَّ الموارنة لوجودهم بين أصحاب البدع الكثيرة في سورية التمسوا من الحبر الروماني أن يقيم عليهم بطريكاً خاصاً بهم فأجاب سؤالهم وأقام (يوحنا) مارون في المقام البطريركي ... فعاش مجملاً بالقداسة ومذ ذاك الحين أخذ الموارنة يختارون لأنفسهم دائماً بطريكاً خاصاً».

والحاصل مما مرَّ أنَّ ترقية يوحنا مارون إلى البطريركية اختلفت فيها الأقوال فمن قائل إنَّ القاصد الرسولي في سورية أخذه بعد موت توفان إلى رومة وكان وقتئذ أسقفاً على البترون فأقامه البابا سرجيوس بطريكاً على أنطاكية. ومن قائل: إنَّ الأساقفة اجتمعوا في أنطاكية وأقاموه بطريكاً واضطروا أن يهرب منها إلى دير القديس مارون ثم إلى لبنان كما روى الاهدني. ومن قائل أنَّ أساقفة الموارنة اجتمعوا في لبنان واختاروه بطريكاً أنطاكياً عليهم كما روى السمعاني. وكل هذه الأقوال نراها محتملة الصحة ولا يتسنى لنا أن نرجح أحدها على الآخر ولا سيما أنَّ العلامة السمعاني لم يقطع بصحة قوله بل عبَّر عنه بكلمة أظن، ولم يقم عليه دليلاً إلَّا صمت المؤرخين اليونان واللاتين عن ذكر يوحنا مارون وخلفائه في سلسلة بطاركة أنطاكية. وكلَّ يعلم أنَّ هذا الدليل وحده ليس بقاطع ولكن بأيِّ هذه الأقوال قلنا تبين أنَّ الأخبار الرومانيين أقرروا ليوحنا مارون بالبطريركية على أنطاكية ولا سيما أنَّ توفان أثبت (في تاريخ سنة ٧٤٣م) أنَّ كنيسة أنطاكية لم يقم فيها راع مدة أربعين سنة، وتوافيلكتس روى أنَّها استمرت حينئذ خمسين سنة خالية من بطريك وتابعه على ذلك إدوار برنردس في سلسلة بطاركة أنطاكية واعتمد لكويان هذه الأقوال (في المشرق المسيحي في بطاركة أنطاكية) ولم يحقق وجود بطريك يقيم في أنطاكية إلَّا أسطفانس أقيم سنة ٧٤٢م (طالع عد ٦٩٢) ولا تسه عما كانت عليه حال سورية في تلك الأيام من الحروب والتشيع للبدع وما كان للمردة أي الموارنة من السطوة والصولة واستحواذهم على كل البلاد من الجبل الأسود إلى أورشليم. فهل يخطر على بال أنَّ الأخبار الرومانيين تركوا أنطاكية وسورية خلواً من رئيس يعني بأمر المؤمنين وقيهم الضلال ويشتهم في الإيمان الكاثوليكي، ويكفيها مؤونة البرهان في ذلك قول العلامة البابا بناديكتس الرابع عشر بخطبته بكرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م حيث قال: «لا يفوتكم أنَّه في أواخر القرن السابع عندما فشلت بدعة القائلين بمشيئة واحدة في المسيح وأفسدت سكان

البطيركية الأنطاكية ، جزم الموارنة حينئذ رغبةً في وقاية طائفتهم سالمة من ذلك الفساد أن يختاروا لهم بطيريكاً يثبت من الخبر الروماني . وقد أجمع كل من ذكروا هذه الأحداث أن البطيريك الذي اختاره الموارنة حينئذ إنما هو البطيريك يوحنا مارون .

وقد ورد في تاريخ أنسطاس المكتبي أنه كان في السنة الأولى ليوستينيانس الملك توادورس البطيريك القسطنطيني ، واسكندر البطيريك الأنطاكي . ولكن اسكندر هذا قل من ذكره ممن كتبوا تاريخ بطاركة أنطاكية ، وأثبت العلامة السمعاني في مكتبة الناموس (مجلد ٥ صفحة ٢٧) أن اسكندر هذا إنما هو جيورجيوس الآتي ذكره وكذلك سماه كثيرون جيورجيوس أو اسكندر وعن لكويان (في المشرق المسيحي في بطاركة أنطاكية) أن ابن البطريق لم يذكر اسكندر بل ذكر توما ، وقال إنه استمر في البطيركية عشرين سنة وقام بعده جيورجيوس في السنة الأولى لخلافة عبد الملك بن مروان ، فقال لكويان هذا عن التاريخ الصحيح بمراحل . وإنما جيورجيوس فقد جاء اسمه في جملة توقيعات الأساقفة على مجمع قصر الملك الذي عقده يوستينيانس الأخير سنة ٦٩٢م وقال فيه لكويان (في المحل المذكور) إنه يظهر من أعمال المجمع السادس المسكوني أن جيورجيوس هذا كان راهباً كاهناً في سبسطية (السامرة) بفلسطين وكان في جملة نواب بطيركية أورشليم في هذا المجمع ، ويظهر من توقيعه على مجمع قصر الملك ان صير بعد ذلك بطيريكاً على أنطاكية ، ولكن يتبين من توقيعه أنه زيد بعد انحلال المجمع من يد كاتب حديث . وقال السمعاني (في مكتبة الناموس مجلد ٥ صفحة ٣١) ان توقيعه على هذا المجمع ، كان على الهامش بهذه الصورة : « الحقير جيورجيوس أسقف أنطاكية وقعت حاكماً بما رسم » وأنه هو الذي سماه مكاريوس البطيريك الملكي في فهرست بطاركة أنطاكية ، اسكندر وأوجب أنه شهد مجمع قصر الملك لكنه أثبت أن البطاركة الأنطاكيين مكدونئوس ومكاريوس وتوفان وجيورجيوس هذا ارتقوا إلى بطركية أنطاكية في قسطنطينية ، واستمروا فيها إلى يوم وفاتهم إلا مكاريوس فإنه توفي في رومة بعد أن عزله المجمع السادس ، وحضور جيورجيوس في مجمع قصر الملك الذي نبذه الكرسي الرسولي إلى الآن والذي كان فيه الأساقفة طوع ידי يوستينيانس الأخير لا يدل البتة على أن جيورجيوس كان صحيح العقيدة ، ويظن أنه كما اختار

قسطنط الملك مكدونيوس ومكاريوس بطريركي أنطاكية لتشيعهما لبدعة المشيئة الواحدة كما حقق السمعاني (مجلد ٤ من مكتبة الناموس فصل ٢٠) هكذا اختار يوستينيانس الأخرم جيورجيوس هذا وأقام في قسطنطينية كأسلافه . والحاصل ممّا مرّ أنّ جيورجيوس يشكّ في صيرورته بطريكاً أنطاكياً إذ لا يستدلّ على ذلك إلّا بتوقيعه وتوقيعه يشكّ في صحته على ما رأيت من كلام لكويان والسمعاني ويرجح أنّه لم يكن صحيح العقيدة وإنّ يوستينيانس أقامه بطريكاً إن صحّت بطريكته، ومن المؤكّد أنّه لم يقيم في أنطاكية كما رأيت وقد فرغت بطريركية أنطاكية من بطريك بعد ذلك أربعين سنة أو خمسين كما أثبتنا وقد حققه السمعاني (في مكتبة الناموس مجلد ٥ صفحة ٢٧ و ٥٠٠ و ٥٠١) وفي مقاله في بطاركة اليعاقبة المعلقة على ترجمته لتاريخ ابن الراهب صفحة ١٧١).

فإذاً الخليفة الشرعي والكاثوليكي لتوفان الذي أقامه الجمع السادس بطريكاً لأنطاكية إنّما هو القديس يوحنا مارون، وفي مدّة أربعين أو خمسين سنة بعد ذلك لم يقيم بطريك على أنطاكية، ولم يكن بطريكها الكاثوليكي إلّا القديس يوحنا مارون، ومن بعده قورش ابن اخته وخلفاؤهما كما سترى. نعم إنّ كان بطريكاً خاصاً على الموارنة ولكن لم يكن في تلك الحقبة بطريك أنطاكي كاثوليكي سواه وكان الموارنة السواد الأعظم من سكان هذه البطريركية الكاثوليكين، وكانوا محتازين كل ما كان من الجبل الأقرع إلى أورشليم كما رويناه عن ثقة من المؤرخين، وكان باقي السكان إما يعاقبة ولهم بطريك خاص بهم ينسب إلى أنطاكية، وإما متسكعين ببدعة المشيئة الواحدة إتباعاً لأكثر ملوك قسطنطينية ورؤسائها، وإما كاثوليكين ولكنهم مشتتون في أصقاع كثيرة ويمنع الخلفاء من إقامة بطريك في أنطاكية، ولما رخصوا للنصارى بذلك اختاروا أسطفانس المارّ ذكره في أواسط القرن الثامن لكنه لم يكن بطريكاً عاماً لأنّ النساطرة أنشقوا عن بطريركية أنطاكية وأقاموا لهم بطريركية في بابل . واليعاقبة بعد موت ساويرس أخذوا يختارون بطاركة خاصين بهم يسمونهم أنطاكيين والموارنة اعتادوا إقامة بطريك خاص بهم يشته الكرسي الرسولي ويوليّه حقوق بطريركية أنطاكية كما رأيت وسترى، فلم تكن أهمية للبطريك المقيم في أنطاكية، ولم يكن يلي إلّا الكاثوليكين القلائل المشتتين عدا الموارنة ولم يكن جميع هؤلاء البطاركة كاثوليكين، ولم يمضِ زمان طويل إلّا عمّ انفصال كنيسة الروم المشرق وأخذوا

يقيمون بطاركة في أنطاكية إلى اليوم، ولما زحف الإفرنج إلى هذه البلاد أقاموا بطاركة على أنطاكية وغيرها ولكن على اللاتينيين وحدهم ولما طردوا من هذه البلاد لم يبق لمن سمي بطريكاً إلا الشرف. وعلى هذا المتوال استمر خلفاء القديس يوحنا مارون البطاركة الشرعيين الكاثوليكين وحدهم لأنطاكية قروناً كثيرة. وفي القرن السابع عشر ارتد بعض الملكية المنفصلين إلى الإيمان القديم فرخص لهم الحبر الروماني في القرن الثامن عشر أن يقيموا بطريكاً خاصاً بهم وأن يسمى أنطاكياً وارتد بعض السريان عن اليعقوبية إلى الإيمان الكاثوليكي فرخص لهم الحبر الروماني أن يقيموا بطريكاً خاصاً بأمتهم وأن يسمى أنطاكياً أيضاً. فقد كانت هذه البطريكية أشبه بشجرة فصمت بعض أغصانها القديمة ونبت في موضعها فروع حديثة واستمر غصن فيها متمسكاً بالأصل مزهراً مثمراً والحاصل من ذلك أن القديس يوحنا مارون وخلفاءه إلى اليوم هم البطاركة الشرعيين الكاثوليكين لكنسي أنطاكية خلفاء توفان خليفة بطرس في الكرسي الأنطاكي. وإليك إثبات هذه الحقيقة بأقوال الأحرار الأعظمين أنفسهم والقول ما قالوا.

قال البابا أينوشنسيوس الثالث في رسالته إلى بطريك الموارة وأساقفتهم وشعبهم سنة ١٢٠٧م ما ترجمته: «إننا نثبت أيها الأخ البطريك لكنيستك على اسم العذراء يمانوح كراسي المطارنة والأساقفة الآتي ذكرها الخاضعين بحق الرئاسة لك ولخلفائك؛ أي مطرانية مار اسيا تربل المنيطرة ورشعين وكفرو وعرقا وتأخذ باليوم درع ملء الخدمة الحبرية بحسب العادة فيسلمه إليك بطريك أنطاكية اللاتيني وكان البابا قد أرسل باليوم معه إليك) من غير ما صعوبة ونثبت لك العوايد الجارية التي كانت لك ولمن سلفوا قبلك في الكنيسة الأنطاكية إلى الآن ونهبها لك ولخلفائك بالسلطان الرسولي». وإن كانت حالة القرون الوسطى لم تؤذن لنا بإيراد أقوال من الأحرار الأعظمين أسلاف أينوشنسيوس الثالث فلنا الغنى عنها بقوله نثبت لك العوايد الجارية التي كانت لك ولمن سلفوا قبلك في الكنيسة الأنطاكية ولا نغفل عن أن براءات الأحرار الأعظمين الخمس عشرة التي كان الأسقف جبرائيل القلاعي يذكر البطريك بأنها موجودة في كرسيه بختومها ورصاصها ما برحت محفوظة في الكرسي البطريكي الماروني وجميعها نسجت على منوال براءة أينوشنسيوس الثالث، ومنها براءة من البابا اسكندر الرابع يثني فيها على البطريك لقبوله في جملة رعيته من تخلفوا في سورية من اللاتين بعد

طرد الصليبيين منها ويسميه بطريكاً أنطاكياً كما صرح بذلك بناديكتس الرابع عشر في خطبته بكرادلة الكنيسة الرومانية المكرر ذكرها والبابا لاون العاشر في رسالته إلى البطريك سمعان الحداثي في ١ آب سنة ١٥١٥م حيث يقول «لأننا اطلعنا في براءتي أينوثنسيوس (الثالث) واسكندر (الرابع) الصالحين الذكر أن أرميا الذي يسمى بطريكاً أنطاكياً (هو بطريكنا أرميا العمشيتي) أدى الطاعة كما اعتاد البطارقة تأديتها للكرسي المقدس في مدينة طرابلس بحضرة المطارنة والأساقفة على يد بطرس الكردينال ... قاصد الكرسي الرسولي». وكتب البابا أدريانس السادس إلى البطريك المذكور في ٢٢ تشرين الأول سنة ١٥٢٢م: «أدريانس الأسقف عبد، عبيد الله إلى الأخ الموقر (سمعان) بطرس البطريك الجالس على كرسي أنطاكية». وكذا كتب البابا بولس الخامس إلى البطريك يوحنا مخلوف في ١٠ آذار سنة ١٦١٠م، والبابا غريغوريوس الخامس عشر في براءته إلى هذا البطريك في ١ تموز سنة ١٦٢٢م، والبابا أوربانس الثامن في ٣٠ آب سنة ١٦٢٥م وفي رسالته إلى البطريك جرجس عميرة في ٣ آذار سنة ١٦٣٥م وأينوثنسيوس العاشر في رسالته إلى البطريك يوسف العاقوري في ٢٠ أيلول سنة ١٦٤٦م، وفي رسالته إلى البطريك يوحنا الصفراوي في ١٣ أيلول سنة ١٦٤٩م ومثلهم كتب البابا اسكندر السابع إلى البطريك جرجس السبعلي في ٩ آذار سنة ١٦٥٩م حيث قال «لأن الكنيسة البطريركية الانطاكية التي تخص طائفة الموارنة وكان يدبرها يوحنا الصفراوي بطريك أنطاكية أضاعت تعزيتها براعيها لوفاة البطريك يوحنا المذكور اذ قضى دين الطبيعة». وكذا كتب البابا اكليمنطس العاشر إلى البطريك الدويهي في ٦ آب سنة ١٦٧٢م. وفي ١٢ كانون الأول من السنة المذكورة وفي ٢٠ أيار سنة ١٦٧٣م وأينوثنسيوس الحادي عشر في ٢٣ تشرين الآخر سنة ١٦٨٠م والبابا أكليمنطس الثاني عشر في رسالته ١ نيسان سنة ١٧٣٢م إلى البطريك يعقوب عواد. وفي رسالته في ٢٩ تشرين الآخر سنة ١٧٣٥م إلى البطريك يوسف درغام الخازن وكل هؤلاء الأحرار الأعظمين كانوا قبل البابا بناديكتس الرابع عشر الذي يدعي خصوم الموارنة أنه أول من سمي بطريكهم أنطاكياً.

ولا حاجة مع شهادة الأحرار الأعظمين إلى شاهد آخر، لكننا نورد شيئاً من شهادات العلماء مقتصرين على قول الأب فرنسيس سوريانس نائب اسكندر

السادس في الأرض المقدسة من رسالته في ٢٥ تشرين الآخر سنة ١٤٩٤م إلى البطريرك سمعان الحداثي: «إلى الأب الموقر (سمعان) بطرس الحداثي الرابع من استحق بنعمة سابعة أن يُدعى بطريرك أنطاكية ومدبر كرسياها من الخادم الحقير فرنسيس سوريانس رئيس أديار الإفرنج ومدبر الإخوة الصغار في أورشليم ونائب قداسة سيدنا البابا اسكندر في جميع الأرض المقدسة». وقول باجيوس في تاريخ سنة ٦٣٥م: «إن بطريرك الموارنة يسميه الأبحار الأعظمون في براءتهم الرسولية منذ أيام أينوشنسيوس الثالث بطريرك الموارنة الأنطاكي». وقول ديلاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان (مجلد ٢ صفحة ٢٣٢) وهو «إن هذه الكنيسة (المارونية) يمكن أن تسمى الكنيسة الأولى في المشرق لكاثوليكيبتها وللبطيركية: الانطاكية التي هي كرسياها». وقول دومينيكس ماكري في اسم بطيركية وهو «إن في رومة أربع كنائس بطيركية تعين للبطاركة الأربعة إذا عقد مجمع عام في رومة وهي كنيسة مار يوحنا لاتران للبابا، وكنيسة القديس بطرس لبطيرك قسطنطينية وكنيسة القديس بولس لبطيرك اسكندرية، وكنيسة مريم الكبرى لبطيرك أنطاكية وهو وحده الآن كاثوليكي يرؤس ويدبر الطائفة المارونية الشديدة التعلق بالكنيسة المارونية الشديدة التعلق بالكنيسة الرومانية». طالع كتابنا روح الردود المطبوع مع ترجمته اللاتينية في بيروت صفحة ٢٧٣ إلى صفحة ٢٩٠.

وأما أعمال القديس يوحنا مارون في مدة بطيركيته فقد جاء ذكرها بإيجاز في ترجمته التي أثبتتها السمعاني في الحل المذكور فقال إنّه بعد أن فرّ إلى دير القديس مارون على العاصي أمّر ابن أخته ابراهيم على جماعته واستدعى إليه سمعان من لبنان، وسار بجيش وافر من دير القديس مارون إلى قلعة سمر جبيل فوق البترون، وقد ذكر ذلك مؤلف كتاب معتقد اليعاقبة إذ قال: «لما وصل تملك الملكية إلى قرية اسمها أميون ارتفع مويرين (مصغراً للتحقير) وابن اخته بريهم إلى سمر جبيل وحماهم من الجزية التي فرضها الملكية على من لا يتبع دينهم ووافقه كل السريان والذين في جبل لبنان وتبعوا مارون». وبعد أن ظفرت جماعة البطريرك بجيش مريق ومرقيان كما مرّ واستراح من عواصف الإضطهاد وأخذ يعجول في أعمال لبنان مجاهداً فيثبت المؤمنين ويعني برد المخالفين إلى حظيرة الحياة، وينبش كنائس وأدياراً ويقم لها كهنة وخداماً وينصب أساقفة ويهتم بحالة كراسيهم ويجعل لهم أوقافاً تتكفل بحاجات معاشهم. ولما رأى أنّ جيش

موريق ومريقان ذلك دير القديس مارون وقتل رهبانه وضبط أملاكه « ليستأصل ذكره، أنشأ ديراً آخر على اسمه في شرقي قرية كفرحي من عمل البترون . ويقال : إنه نقل إليه هامة القديس مارون من ديره على العاصي ، وفرض عيداً في الخامس من كانون الثاني الذي كرس في الكنيسة على اسمه ولما أتم جهاده ودبر قومه تدبير الرعاة الصالحين انتقل من دار الشقاء إلى دار البقاء لينال ثواب أعماله الصالحة ومبراته الجزيلة ممن لا يضيع أجر التبعين في كرمه الروحي، وكان انتقاله في التاسع من شباط (سنة ٧٠٧) في دير مارون بقرية كفرحي، فاجتمع الأساقفة والكهنة والرهبان وجمع لا يحيطه العدد من كل بلاد الموارنة ليتباركوا بجسده الطاهر، وحملوه بالمصاييح والبخور والترانيم ودفنوه في الدير المذكور كما جاء في ترجمته أنه مات قديساً ودفن في كفرحي وقال الأسقف جبرائيل اللحفدي في قصيدته في المجامع : « في كفرحي مات ذا المختار » .

عد ١٤

مؤلفات القديس يوحنا مارون

لما كان البطريك أسطفانس الدويهي وابراهيم الحاقلي الماروني قد ظنا أن يوحنا حنانيا (ابن الإنج) والصحيح حنانيا (ابن الفخارين) الذي ذكره عبد يشوع في قصيدته هو يوحنا مارون عزوا إلى هذا البطريك الكتب السبعة التي عزاها عبيد يشوع إلى يوحنا المذكور وأطال في شرحها، ولما كان العلامة السمعاني قد أثبت أنهما انخدعا بهذا الاسم وأن يوحنا ابن الفخاري هو كاتب نسطوري لا يوحنا مارون اقتصر على ذكر مؤلفات يوحنا مارون التي روى السمعاني أنها في المكتبة الواتيكانية وأولها .

نافور أي رتبة القداس

إن فاتحة هذا النافور هي صمدو صلاوا و صلاوا صلاوا ١٢٥ أمامك يا ملك الملوك وسيد السادات وهو مثبت في الكتاب الخامس من كتب الحاقلي

في المكتبة الواتيكانية صفحة ١٠٠، وقد خط في كمبليني بقبرص سنة ١٨٤٦ لاسكندر وهي سنة ١٥٣٥ للميلاد وقد ذكره الدويهي في كتابه المناير العشر (فصل ٢ في مؤلفي النوافير الكاثوليكية) حيث قال «يوحنا المسمى مارون الذي ارتقى بعد توفان بطريرك أنطاكية إلى ذلك الكرسي في سنة ٦٨٥م صنف النافور الذي بدؤه ~~هو صمدو صلدو~~ وقد نبذ رينودوسيوس (في مجلد ٢ من تأليفه في الليتورجيات الشرقية صفحة ١٥) هذا النافور مع غيره من مؤلفات يوحنا مارون ولم يورد سبباً لنبذه إلا قوله: «لا وجود له في مكتبة وإن توافرت فيها الكتب الشرقية» فكأنه أطلع على جميع المكاتب أو قلب كل الكتب في كل منها أو لم يبق في المشرق أثر لأحد المؤلفين إلا أتى به إلى مكاتب أوروبا. وقد احتج بعضهم على هذا النافور، بحجتين فقال إنّه مجموع من نوافير اليعاقبة الكثيرة. كما يظهر لمن يقابل وإن من طبعوا كتاب قداس الموارنة سنة ١٥٩٤م لم يطبعوا فيه هذا النافور فأجبنّا في كتابنا روح الردود على الحجة الأولى أن كلّ النوافير التي يستعملها السريان قل ما يختلف أحدهما عن الآخر ولا يمكن من يعارضها أن يقول إن أحدها لا يشبه الآخر، ولم يبينّ المعارض أي فقرات هذا الكتاب انتحلت إليه، ومن أي النوافير جمعت فيه، فلا سبيل إلى الإسهاب برد حجته القاصرة. واجبنا على الحجة الثانية بأنّ النوافير الكاثوليكية التي نعتقد صحتها خمسة وعشرون نافوراً ولم يطبع منها في كتاب قداسنا المذكور إلا أربعة عشر نافوراً فلا يستدل بعدم طبعه مع عشرة نوافير أخرى كاثوليكية على أنّه مجموع من نوافير اليعاقبة ولا على أنّه كان غير معلوم لأنّ الكتاب الواتيكاني المذكور المثبت فيه هذا النافور قد خط قبل إحدى وستين سنة من طبع كتاب قداسنا الذي اتّخذ حجة.

كتاب إيضاح الإيمان

قال العلامة السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٥١٣) إن هذا الكتاب أنفذه يوحنا مارون إلى اللبنانيين من دير القديس مارون وهو مثبت بالسريانية مع ترجمته العربية في الكتاب الرابع عشر من كتب الحاقلي في المكتبة الواتيكانية، وقد خط سنة ١٣٩٢م كما يتبين من الدليل المعلق على آخره وهو: «كان الفراغ

من نسخ هذا الكتاب كتاب إيمان الكنيسة المقدسة سنة ١٧٠٣ (يونانية توافق سنة ١٣٩٢ للميلاد) بيد رجل حقير خاطي اسمه الشماس يوسف غريب من قرية اسمها ثمانية ومئة وثلاثين (يريد. **مهلا** بالسريانية وهي حافل موطن ابراهيم الحاقلي) من عمل جبيل ساكن بقرية بان من جبة بشرّي وكان الفراغ منه في ٢٠ شهر شباط « وقد عثر الأب نوا العالم أحد كهنة باريس الفقهاء على نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الأمة في باريس في ٢٠٣ منها خطت سنة ١٤٧٠م ونشرها بالسريانية مع ترجمتها إلى الفرنسية في هذه السنة في القسم الأول من كتابه الموسوم بكتب مارونية وأهدى إلينا هذا الكتاب. وفي مكتبة بطريركيتنا نستختان منه إحداهما خطها الشدياق موسى وأخوه عيسى أبناء الخوري يوسف من قرية حافل وقد أطلع عليها الأسقف جبرائيل اللحفدي المعروف بابن القلاعي وكتب عليها بعض تعليقات بخطه سنة ١٥٠٣م وقد طالعته مرات، والثانية قدمها بيّن لكتّنها خلت من تاريخ نسخها لتمزق أولها وآخرها وفاتحته مترجمة عن السريانية: « بسم الله نأخذ في تدوين كتاب الإيمان المقدس الذي ألفه مارون المدعو يوحنا وكان بطريكاً على مدينة الله أنطاكية وسائر الشام وسورية وكان تأليفه بدير القديس مارون الطوباوي المنشع بالله ». وفاتحة ترجمته العربية « بسم الله نبتدي نكتب إيضاح الإيمان المقدس اعتقاد البيعة الرسولية الذي كتبه القديس يوحنا بطريك أنطاكية في دير مارون على نهر العاصي بلد حماه وحمص وأورد ذلك إلى جبل لبنان ولأجل يسموا أهل الجبل المذكور موارنة على اسم الدير، ويسمى يوحنا المذكور مارون هو أيضاً على اسم الدير ».

قد علّق الناسخ السرياني على هذا الكتاب مقدّمة قال فيها ما ترجمته: « لما أنشأ نسطور وأوطيخا الأبله المعتقد الذي فصم وحدة ربنا وجعل اختلاطاً وامتزاجاً بين طبيعتي ربنا المجدتين والمتحدتين وطفق تلاميذ هذين المبتدعين يدافعون عن ضلالهما أخذ حينئذ يوحنا الذي سمي مارون يؤنبهم توبيخاً متصلاً ويرد زعمهم بالشهادات القاطعة الآتي ذكرها، وكذلك فعل برده مزاعم تلاميذ أنتميس (وعلى الهامش قورش وهو بطريك اسكندري من أصحاب بدعة المشيئة الواحدة كأنتيمس) الذين كانوا يعتقدون مشيئة واحدة تبعاً للملك ذلك الزمان ويوحنا نفسه أرسل هذا الكتاب إلينا ». وقال السمعاني بعد ذكره هذه المقدّمة: « لا امترى في أنّ العبارة، وكذلك فعل برده مزاعم تلاميذ أنتميس الخ قد أدخلها المترجم العربي

على الاصل لأنَّ يوحنا بطريركنا هذا لم يدافع عن بدعتهم كما جسر هذا المترجم أن يقول في ترجمته العربية ما نصَّه بحروفه: «وعندما نهضت مقالة نستور الجاعل في تأنس ربنا أقنومين ومن آخر يسمى أوطيخا قال إنَّ خاصَّتِي لاهوت الابن وناسوته تبلبلت واختلطت وصارت واحدة وعندما انقبل قولهم من كثيرين جعل يوحنا مارون يوضح بالبرهان ويردهم إلى الصدق من شهادات الكتب المقدَّسة الأنبياء والآباء. وأيضاً جعل شهادات ترد كثرة مقالات إخوتنا الملكيين أهل الراهب مكسيمس تلك المقالة التي جعلها على يد الملكيين مرقيان وأخيه باعتقاد مشيئتين» فقال السمعاني بعد إيراد هذا القول «ما هذه إلا أضغاث أحلام توما الكفرطابي فليس في كتاب يوحنا مارون كلمة في البحث عن مشيئتي المسيح بل هو برمته في رد مزاعم النساطرة وبدعة الطبيعة الواحدة مثبتاً أنَّ في أقنوم المسيح الواحد طبيعتين كاملتين وقد شهد البطريرك أسطفانس الدويهي الإهدني (في ك ٢ من محاماته عن الموارنة) أنَّ توما الكفرطابي إنما هو الذي ترجم هذا الكتاب إلى العربية وحرفه وأدخل عليه هذه العبارة وذلك بيِّن من النفس فإنَّ هذه العبارة هي بنفسها في كتاب توما المقسوم إلى عشر مقالات منفذاً إلى يوحنا بطريرك الملكيين، وهو معلق في آخر كتاب إيضاح الإيمان ليوحنا مارون، وقد أفرغ جهده بإيراد حجج واهنة ليؤيد بها بدعة المشيئة الواحدة طالع ما كتبه في شأنه نيرون الباني في كتابه افولبيا (سلاح) الإيمان صفحة ٦٩ ولا عجب من أنَّ توما المغوي ببدعة المشيئة الواحدة يحرف كلام يوحنا مارون ليخدع الموارنة باسمه، وقد بلغ من جهله أن يزعم خلافاً لكل تاريخ صحيح أنَّ مكسيمس المعترف ابتدع بدعة المشيئتين في المسيح في أيام مرقيان وأخيه الملكيين (ومرقيان لم يكن له أخ شاركه في الملك وكان قبل ظهور بدعة المشيئة الواحدة بنحو من قرنين) وقد عزا الكفرطابي إلى سفيانوس أسقف جبلة أيضاً كلاماً لم يقله ليخدع الناس ببذعته «انتهى كلام السمعاني وقد تابعه عليه لكويان (في مجلد ٣ من الشرق المسيحي صفحة ١٨) مبيناً تحريف الكفرطابي ومكره وترى في النسخة القديمة لهذا الكتاب في مكتبة بطريركيتنا أنَّ الأسقف جبرائيل اللحفدي ضرب بقلمه تلك العبارة وهي جعل شهادات كثيرة ترد مقالات إخوتنا الملكيين أهل الراهب مكسيمس» الخ. وكتب بخط يده «من هنا تبرهن أنَّ توما يعقوبي».

أما توما الكفرطابي هذا فقد روى لنا خبره البطريرك اسطفانس الدويهي (فصل

١٦ من كتاب تاريخ الموارنة ورد التهم) فقال إنَّ توما مطران كفرطاب الأراتيكي أتى لبنان سنة ١١٠٤م وأقام فيه ست سنين مجدداً في إضلال الموارنة ببدعة المشيئة الواحدة كما يظهر من تأليفه الموسوم بالمقالات العشر رداً على يوحنا بطريك الملكية الأنطاكي ولرغبته في خدعة الموارنة سمى نفسه مارونياً. وقد ذكره الأسقف جبرائيل اللحفدي القلاعي بقوله وهو بحروفه :

تبعهم توما من حاران من قصته الصدق يبان
في كورة حلب كان مطران وكرسیه ليس هو سمعاني^(١)
قلت لي أنه من مردين زدني به رغبة ذا الحين
مردين مسكن الشياطين نسطور ويعقوب سكاني
قلت إنه جاء لجبل لبنان شهدت أنه جاب الطغيان

وقال الإهدني أيضاً إنَّ القلاعي عثر سنة ١٥٠٣م على كتاب المقالات العشر للكفرطابي فكتب عليه بخط يده : « إنَّ توما هذا ما كان مارونياً ولا كان للموارنة أسقف في كفرطاب وأنَّ جماعته البعاقبة نفوه فصار إلى لبنان وأقرَّ بالطبعيتين خدعة للموارنة ليضلَّهم ببدعة المشيئة الواحدة » (وقد طالعت بنفسي ما خطَّه القلاعي فإنَّ هذا الكتاب ما زال محفوظاً في خزانة بطريركيّتنا) إلى أن يقول الإهدني إنَّ البطريرك يوسف الجرجسي والمطران أرسانيوس أسقف العقورة ناصبا الكفرطابي فلم يغو بضلاله إلَّا الخوري فرشح في بلاد جبيل ونفراً قليلاً فعاد بخفي حنين نادياً سوء المنقلب، لكنَّه ترجم في مدَّة إقامته في لبنان كتاب الإيمان ليوحنا مارون فحرَّف بعض عباراته وأدخل الزيادة المحكي، عنها وكذا فعل في كتاب القوانين للأسقف داود الماروني الذي سوف يأتي ذكره .

وقد ضمَّن القديس يوحنا مارون كتابه هذا شهادات نحو من ثلاثين أباً من آباء الكنيسة الكاثوليكية وبعضهم شهادتين وثلاثاً وأكثر واستشهد أيضاً بأقوال الجامع ولاسيما الأربعة الأولى المسكونية لكنَّه لم يستشهد بالجمعين الخامس والسادس، أمَّا الخامس فلأنَّه لم يكن فيه ما يستعين به على إثبات مقصده لأنَّ كلَّ ما كان في

(١) أي ليس هو ببطرسي أو كاثوليكي .

هذا المجمع إنما هو تحريم الفصول الثلاثة وليس ثم ما يؤيد غرضه، وأما عدم استشهاده بالمجمع السادس فالأظهر فيه عند العلامة السمعاني أنَّ يوحنا مارون كتب كتابه هذا قبل انعقاد هذا المجمع إذ كان أسقفاً أو كاهناً وتسميته بطريركاً في عنوان الكتاب المذكور إنما كتبها الناسخ لا المؤلف الذي لا إشارة في كتابه هذا إلى أنَّه كان بطريركاً عندما كتبه .

أما نظراً إلى قدم هذا الكتاب فقد مرَّ أنَّ نسخة الفاتيكان كتبت سنة ١٣٩٢ للميلاد ونسخة مكتبة الأمة بباريس خطَّت سنة ١٤٧٠ على أنَّ العلامة المستشرق الاب نو الافرنسي وجد دليلاً يبيِّن منه أنَّ كتاب يوحنا مارون هذا كتب في نحو القرن السابع للميلاد . ففي جملة الشهادات التي أوردها يوحنا مارون في هذا الكتاب أربع شهادات من أقوال القديس افرام السرياني إحداها مأخوذة عن ميمر هذا القديس في التجسد يقول فيها إنَّ في المسيح طبيعتين . إلهية وبشرية . وقد نشر هذا الميمر المونسنيور لامي أحد أساتذة كلية لوفان بالبلجيكا مأخوذاً عن كتاب في المتحف البريطاني خطَّ في القرن العاشر وعن كتب مؤتى بها من الموصل فإذا ما استشهد به يوحنا مارون من هذا الميمر ساقط منه في نسخة المونسنيور لامي لكن المونسنيور لامي قد نبّه إلى أنَّ هذا الميمر لعبت له أيدي اليعاقبة فأسقطوا منه كل ما يضاد بدعتهم ثم عثر الأب نو على رسالة من القديس يعقوب الرهاوي إلى شماس اسمه جرجس مصنونة في المتحف البريطاني في عد ١٢١٧٢ فنشر الاصل السرياني مع ترجمته الافرنسية في المجلة الموسومة بالمشرك المسيحي سنة ١٩٠١ فالرهاوي يستشهد القديس افرام في ميمره في الميلاد طبق ما استشهده يوحنا مارون في كتابه ايضاح الايمان . ولما كانت رسالة الرهاوي هذه كتبها في أواخر القرن السابع أو أوائل الثامن وأورد بها قول القديس افرام كما أورده يوحنا مارون نحو ذاك الزمان نفسه . ولما كانت نسخ هذا الميمر المخطوطة بعد ذلك الحين تجدها محرفة ساقطاً منها كل ما يخالف اليعاقبة نتج الأب نو من ذلك النتائج الآتية : الأولى أنَّ اليعاقبة حَرَفُوا هذا الميمر أو حذفوا منه ما يضادهم . الثانية أنَّ يوحنا مارون عاش وكتب قبل تحريف الميمر المذكور بل إذ كان سالماً كاملاً كما استشهد به يعقوب الرهاوي ويوحنا مارون . الثالثة أنَّ يوحنا مارون كان يستخدم كتباً لم يحرفها القائلون بالطبيعة الواحدة بل كانت تخص جماعة كاثوليكية . وبالجمله إنَّ يوحنا مارون وأتباعه كانوا كاثوليكين .

قد خمن الأب نو أنّ اليعاقبة عاثوا بميمر القديس افرام المذكور بعد إفحام رهبان القديس مارون لهم بحضرة معاوية سنة ٦٥٩ كما سيجيء، إذ يظهر أنّ الرهبان الموارنة حتّجّوهم بقول القديس افرام إنّ في المسيح طبيعتين إلهية وإنسانية وهو نص صريح في نقض بدعتهم فعمدوا بعد ذلك إلى إسقاط هذا القول من ميمره المذكور.

كتابه في رد مزاعم اليعاقبة والنساطرة

أمّا كتابه في ردّ مزاعم أصحاب الطبيعة الواحدة فهو مثبت في الكتاب الرابع عشر من كتب الحاقلي بالمكتبة الواتيكانية بعد كتاب إيضاح الإيمان المذكور من صفحة ١٠٣ فصاعداً وفاتحته: « ثم نكتب شيئاً من الأبحاث رداً على أصحاب بدعة الطبيعة الواحدة في المسيح وهم من يزعمون أنّ طبيعة كلمة الله البسيطة قد امتزجت واختلطت بطبيعة ناسوته فكانت فيه طبيعة واحدة » إلى أن يقول: « قولوا لنا أيّها الإخوة الأبرار أنّ هذه الطبيعة التي تعتقدونها برّنا من بعد الإتحاد أهي مساوية للأب جوهرأ أم غير مساوية » أمّا كتابه في رد مزاعم النساطرة فهو مثبت في كتب الحاقلي المذكور أيضاً صفحة ١١٤ وفاتحته « ثم نكتب قليلاً من كثير في رد مزاعم النساطرة » إلى أن يقول: « قال بولس الرسول إنّ الله رضي عنا بموت ابنه ».

رسالة في التريصاجيون

ويعزى إلى يوحنا مارون رسالة في التريصاجيون أي التقديسات الثلاثية قدوس الله ، قدوس القوي ، قدوس الذي لا يموت، عنوانها جواب على من يزعمون أنّنا نعزو الصلب إلى الثالوث الأقدس، إذ نزيد على التقديسات يا من صلبت لأجلنا. وهذه الرسالة مثبتة في كتاب الحاقلي المذكور صفحة ١٢٥ لكنها مكتوبة بخط يختلف عن خط باقي أجزاء هذا الكتاب. ولذلك ارتاب السمعاني في صحة نسبتها إلى القديس يوحنا مارون لوجهين: الأوّل لأنّ الكتاب أردفها بمحاوراة بين رجل سرياني ورجل رومي على هذه الزيادة ومؤلف تلك المحاوراة غير معروف في

كتاب الحاقلي لأنه ممزق أو لأنه لم يكتب اسمه ، ولكن قد أنبأنا ابن العبري في كتاب ادبياته ان مؤلف هذه المحاوره إنما هو داود بن بولس من أساقفة اليعاقبة ، والبراهين الواردة في رسالة يوحنا مارون هي البراهين نفسها الواردة في المحاوره. والثاني أن بعض ورقات الرسالة ساقط من الكتاب المذكور وفتحة المحاوره ساقطة أيضاً فأدمج الكاتب الأثرين معاً، ثم إن الغرض من الرسالة والمحاوره واحد والنتيجة واحدة هي أن يثبت الكاتب أن السريان بزيادتهم يا من صلبت لأجلنا على التقديسات لا يعنون أقانيم الثالوث الأقدس بل أقنوم الابن الذي وحده تأنس وصلب، كما لا يعتقدون أن الأقانيم الثلاثة تجسدت هكذا لا يعتقدون أنها صلبت وإذا زادوا على التقديسات يا من صلبت يختصون بهذه الزيادة أقنوم الابن الذي تجسد. وقد نشر الأب نو الإفرنسي هذه المحاوره في جملة ما أشهره السنة ١٨٩٩م معنوناً كتب مارونية آخذاً إياها عن كتاب قديم في مكتبة باريس في عد ٢٠٣. ومهما يكن من أمر هذه الرسالة فليوحنا مارون فقرة من كتابه بهذا المعنى في شرح رتبة القديس (فصل ١٩) قال فيها: «إننا نبين لسؤالكم أيها الأبناء الأحباء هل ينبغي أن يترنم بالتقديسات مع الزيادة عليها يا من صلبت من أجلنا ومتى يترنم بذلك، فاعلموا أن هذه التسبحة توجه تارة إلى الثالوث الأقدس وتارة إلى أحد الأقانيم الإلهية فقط فإذا وجهت إلى الثالوث المسجود له لم يسغ البتة أن يلحق بها يا من صلبت، فإن هذا إنما هو ضلال بطرس بطريرك أنطاكية الملقب بالقصار الذي زعم أن الثالوث صلب بجملة أقانيمه وأوجب الأثم على طبع أسمى من كل أثم وهذا اثم يرجح على كل اثم ولذا حرم عدلاً وحقاً عن كرسيه على أن التسبحة توجه أحياناً إلى أحد أقانيم الثالوث وهو الابن وذلك بين في نوافير الرسل القديسين وآبائنا الأطهار الذين ذكرناهم آنفاً فمتى وجهت هذه التسبحة إلى الابن فلا مانع أن يزداد عليها ذكر الآلام والصلب والموت والدفن والقيامة وباقي أسرار تدبير مخلصنا إذ لا وراء أن الابن تألم وصلب ومات من أجلنا .

كتابه في الكهنوت

قال السمعاني (في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٥٢٠) في جملة مؤلفات يوحنا مارون : « كتابه في الكهنوت مقسوماً إلى أربعين فصلاً وهو مثبت في

الكتاب ٦٤ من كتب الحاقلي بالمكتبة الواتيكانية وقد خطه يد الحاقلي نفسه ولم يبين عن أية نسخة كتبه . والمحقق عندي أن هذا الكتاب ليوحنا أسقف دارا كما سائين عند الكلام فيه . وقال في المجلد الثاني من هذه المكتبة عند الكلام في الداراي (صفحة ١٢٣) « إن قدم الكتاب (أي كتاب الداراي) الذي أطلعت عليه يثبت إثباتاً كافياً أن ذلك الكتاب هو للدراوي لا ليوحنا مارون ومنه إثبات وثلاثون فصلاً مثبتة في الكتاب الذي خطه الحاقلي بيده وعزاه إلى يوحنا مارون » على أنه في كتابه الموسوم بفهرست الكتب القديمة المخطوطة في المكتبة الواتيكانية الذي شاركه في تأليفه ابن اخته المطران أسطفانس عواد السمعاني ذكر كتاب الكهنوت ليوحنا مارون في عد ١٠١ في جملة الكتب التي عزاها إليه وقال إن يوحنا أسقف دارا وديونيسيوس بن صليبا أسقف آمد انتحلا منه أشياء كثيرة فكأنه رجع عن رأيه الذي قال به في المكتبة الشرقية ويؤيد ذلك قول يوحنا مارون في فاتحة كتابه في شرح رتبة القديس (الذي سنثبت صحة نسبته إليه) « بعد أن كتبنا في الكهنوت البيعي بإسهاب ... بقي علينا أن نكتب في الذبيحة غير الدموية » هذا وقد كان يوحنا الداراي بعد يوحنا مارون وكان من عادة القدماء أن ينتحل المتأخر كلام المتقدم فأى العجب من أن يكون الداراي انتحل كلام يوحنا مارون في كتاب سماه باسم كتابه وأن تكون تلك الفصول التي ذكرها السمعاني انتحلها الداراي عن كتاب يوحنا مارون ولم يأخذها الحاقلي عنه ويعزوها إلى يوحنا مارون .

كتابه في شرح رتبة القديس

قال السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٥٢٠) في جملة تأليف يوحنا مارون « كتاب في شرح رتبة القديس وهو مثبت في الكتاب ٦٤ من كتب الحاقلي بعد كتابه في الكهنوت وقد خطه الحاقلي بيده وهو مقسوم إلى خمسين فصلاً واستشهد به نيرون الباني في كتابه الموسوم بسلام الإيمان، والإهدني في محاماته عن الموارنة وكلاهما أخذاهما عن الحاقلي الذي كثيراً ما استشهد هذا الكتاب في حواشيه على قصيدة عبد يشوع الصوباوي، ولكن قد ظن رينودوسيوس (في مجلد ٢ من كتابه في الليتورجيات الشرقية صفحة ٧٤) إن الصحيح أن هذا الكتاب هو لديونيسيوس بن صليبا وسوف أثبت بأدلة سديدة ظنه نظراً إلى هذه

المقالة الأخيرة عند كلامي في ابن صليبا». على أنه يظهر أن السمعاني عدل عن رأيه هذا لأنه لما تكلم في كتاب ابن صليبا في المجلد الثاني من هذه المكتبة صفحة ١٧٦ لم يأت بشيء من الأدلة السديدة التي وعد بها في المجلد الأول ولم يقل إن كتاب يوحنا مارون في شرح رتبة القداش هو لابن صليبا بل عزا إلى ابن صليبا كتاباً موسوماً بهذا العنوان وقال ذكره الإهدني في فصل ٧ في مؤلفي النوافير من الهراطقة قائلاً: «ديونيسيوس هو يعقوب بن صليبا من ملطيني أسقف آمد له شرح لرتبة القداش أنفذه إلى اغناطيوس مطران بيت القدس سنة ١٤٨٠ يونانية (توافق سنة ١١٦٩ م) ليقاوم به الإفرنج الذين كانوا قد تملكوا الأرض المقدسة». إلى أن يقول السمعاني: «وذكره رينودوسيوس في المجلد ٢ من كتابه في الليتورجيات الشرقية صفحة ٤٥٤ ونيرون في فهرست المؤلفين الذين ذكرهم في كتابه سلاح الإيمان. وفي المكتبة الواتيكانية نسخة له حديثة الخط وهي في عد ٣٦ من كتب الحاقلي، وجزء كبير من هذا التأليف الذي يعزوه السريان إلى ابن صليبا تراه كأنه بألفاظه في المقالة التي عزاها الحاقلي إلى يوحنا مارون كما أشرت في المجلد الأول صفحة ٥٢٠». والمطالع يرى أن لاستشهاد السمعاني بالإهدني والبانى إنما هو ليثبت أن لابن صليبا أيضاً كتاباً في شرح رتبة القداش لا يعزوه إليه كتاب يوحنا مارون، وقوله إن جزءاً كبيراً منه في المقالة التي عزاها الحاقلي إلى يوحنا مارون يحتمل المعنى أن ابن صليبا انتحل كلام يوحنا مارون عن أن الجزء وإن كبيراً لا يطلق على الكتاب كله.

هذا وقد ذكر السمعاني في فهرست المجلد الأول من مكتبته الشرقية صفحة ٥٧٨ في جملة كتب الحاقلي «عد ٣٦ شرح رتبة القداش لابن صليبا موجهاً إلى اغناطيوس أسقف العياقة قاطني أورشليم خطه يوسف الحصري ابن خاطر سنة ١٦٤٦م». وفي صفحة ٥٨٠ «عد ٦٤ كتابان ليوحنا مارون: الأول في الكهنوت والثاني شرح رتبة قداش السريان مقسوماً إلى خمسين فصلاً صفحة ٢٤٩ خطه الحاقلي». وقد صرح بأن كتاب ابن صليبا ينطوي على عشرين فصلاً فقط وذكر خلاصة كل منها مع ذكره أن كتاب يوحنا مارون يُحوي خمسين فصلاً ثم أن الأب بطرس مبارك الماروني اليسوعي علق مقاليتين على ترجمته لكتب القديس أفرام السرياني إلى اللاتينية، واستشهد بكتاب يوحنا مارون هذا مرات منها في صفحة ٨ و ٣٦ و ٤١ و ٤٨ و ٥٠، وكان السمعاني نفسه

الفاحص للمقالتين والمؤذن بطبعهما كما يظهر مما علّقه عليهما وكان بينهما إحاء، فكان على السمعاني لا أقل من أن ينبّه إلى أخطائه بعزوه كتاباً يعقوبياً إلى أوّل بطارقة الموارنة. والمجلّد الأوّل من المكتبة الشرقية طبع سنة ١٧١٩م وإجازة السمعاني طبع مقالتي مبارك كان سنة ١٧٤٠م، ثم إن يوسف لويس السمعاني ابن أخي السمعاني الشهير ألف كتاباً في رتب القديس عنوانه *codex liturgicus* أي كتاب الرتبة، وأثبت كتاب شرح رتبة القديس ليوحنا مارون في المجلّد الرابع من تأليفه المذكور مترجماً من السريانية إلى اللاتينية، وقد أيّد بأدلة قاطعة أنّ هذا الكتاب ليوحنا مارون وطبعه في رومية سنة ١٧٥٢م بحضرة عمّه السمعاني، فلو لم يكن عمّه ارعوى عن رأيه لنهاه عن طبع كتاب لأحد اليعاقبة معزواً إلى بطريك الموارنة. وقد أثبت البطريرك يوسف أسطفان (في كتابه في قداسة يوحنا مارون قسم ٣ فصل ٨) إنّ كتاب شرح رتبة القديس هو ليوحنا مارون حقيقة مورداً لتحقيق ذلك حججاً دامغة.

ولنأت إلى القول الفاصل في هذا الجدل! قد عثرت في مكتبة بطريركيتنا على كتاب شرح رتبة القديس ليوحنا مارون، خطّه الخوري بطرس مخلوف (الذي صار بعداً أسقفاً على قبرص) سنة ١٦٧٠م في رومة فعارضته بالفقرات التي رواها السمعاني في كتاب ابن صليبا فألفت الفرق بينهما أظهر من أن يبين، فكتاب ابن صليبا موجه إلى اغناطيوس أسقف اليعاقبة في أورشليم ولا شيء من ذلك في كتاب يوحنا مارون، وكتاب ابن صليبا ينطوي على عشرين فصلاً وكتاب يوحنا مارون يشتمل على خمسين فصلاً، وفي كتاب يوحنا مارون أمور شتى لا يمكن أن يقولها ابن صليبا وفي كتاب ابن صليبا أمور شتى لا يمكن أن يقولها يوحنا مارون، منها قول يوحنا مارون في فصل ١٦: «وأوحد اللاهوت والنفس والجسد بالأقنوم الإلهي وشوهد بطبيعتين إلهية وبشرية». وقوله في فصل ١٩ في التقديسات: «إذا وجهت إلى الثالوث المسجود له لم يسغ البتة أن يزداد عليها يا من صلبت فإنّ هذا إنّما هو ضلال بطرس بطريك أنطاكية الملقّب بالقصار... ولذا حرم عدلاً وحقاً عن كرسيه» وقوله في هذا الفصل: «كل من لا يعترف بأنّ كلمة الله اتحاد جوهري بالجسد مع حفظ الطبيعتين الإلهية والبشرية خواصهما متحدتين بأقنوم الكلمة الواحد دون اختلاط... فليكن محروماً». وقوله في فصل ٢١ في تباع ديوسقورس «الذين زعموا في ربنا طبيعة واحدة

فكيف يمكن أن يكون بطبيعة واحدة إنساناً وإلهاً مائتاً وغير مائت صانعاً ومصنوعاً خالقاً ومخلوقاً أزلياً وزمناً». وقوله في هذا الرأس أيضاً: «حاشا أن نقول إن ابن الله تألم وصلب ومات بطبعه الإلهي ... لكنه تألم وصلب ومات بالجسد». وأمثال ذلك كثيرة مما لا يمكن ابن صليبا أن يقوله لأنه نقض صريح لمذهبه. ومما قاله ابن صليبا ولا يمكن يوحنا مارون أن يقوله قوله في فصل ٦: «يلزم أن تكون البرشانات وتراً لا شفعا إلا الإثنتين». وقال يوحنا مارون فصل ١٨ مفنداً هذا الضلال: «أمّا نحن فنقول إنه يجوز للكاهن أن يقدم ما أراد من البرشانات وتراً أو شفعا». وقال ابن صليبا في فصل ٦ أيضاً «يتألف خبز الأسرار من القمح سر المياه ومن الخمير سر الهوى ومن الملح سر الأرض ومن الزيت سر النار هاك الإستقصات الأربع». وقال يوحنا مارون في فصل ١٦: «إن الخبز المقدم على المذبح يلزم أن يكون من القمح ولا شيء غيره». وقال ابن صليبا فصل ٧ «رتب الرسل ما كتب في القانون أن القربان يرفع على المذبح يوم خبزه لا بعد يوم فهذا لا يجوز». وأسهب الكلام في فصل ١٤: «إن القديس يتم بكلمات الرب ودعوة الروح القدس». واستشهد في فصل ١٦ «ساويرس البطريرك المسكوني» إلى غير ذلك مما لا يمكن أن يقوله يوحنا مارون أو ممّا صرّح بتفنيده. وعليه فلا يبقى محل للإرتياب في أن كتاب يوحنا مارون غير كتاب ابن صليبا الذي كان في أواخر القرن الثاني عشر قد انتحل بعض كلام يوحنا مارون الذي كان في القرن السابع على عادة القدماء، فلا مرية إذاً في أن كتاب شرح رتبة القداس إنما هو ليوحنا مارون، وإذا ثبت ذلك رجح أن لم نقل ثبت أن الكتاب في الكهنوت أيضاً لهذا البطريرك إذ قال في مطلع كتاب الشرح المذكور: «بعد أن تكلمنا في الكهنوت بقي أن نتكلم في الذبيحة غير الدموية» كما مرّ. طالع كتابنا روح الردود من صفحة ١٨٨ إلى صفحة ٢٠٣ من طبعة بيروت.

وهذا ما جاء به العلامة يوسف لويس السمعاني في إثباته أن هذا الكتاب ليوحنا مارون قال (مجلّد ٥ في المقدمات صفحة ٦١) في المكتبة الواتيكانية: الكتاب الرابع والستون خطّه يد ابراهيم الحاقلي موضوعه الكهنوت مشتملاً على أربعين فصلاً وملحقاً به كتاب شرح رتبة القداس مقسوماً إلى خمسين فصلاً وشرح رتبة القداس هذا ذكره مرهج بن نيرون سالفني (في التعليم بمدرسة السايانسا برومة) في كتابه سلاح الايمان صفحة ١١٦ واستشهد به اسطفانس الدويهي

بطريك الموارنة في ردّ التهم الذي لم يطبع بعد. على أنّ رينودوسيوس ظنّ في المجلد الثاني في الليتورجيات صفحة ٧٤ أنه تأليف ديونيسيوس بن صليبا وجاراه عمي السمعاني على رأيه ناسباً كتاب الكهنوت إلى يوحنا أسقف دارا وكتاب شرح رتبة القديس إلى ابن صليبا (المكتبة الشرقية مجلد ٢ فصل ١٨ و ٣٢) لكنني مع احترامي لهما أقول إنّ براهينهما التي اعتمدا عليها في إنكار كتاب شرح القديس على يوحنا مارون هي واهنة. فبرهان رينودوسيوس هو أنه ما أحد يعرف أنّ هذا الكتاب ألفه يوحنا مارون إلا الموارنة في هذه الأعصار وبرهان السمعاني أنّ كتب الداراي وابن صليبا بعض كلام يوحنا مارون بنفسه.

على أنني لا أرى أنّ هذه البراهين تثبت مدعاهما وإن سلّمت بما أوردها فلا ينتج منه ما قصدنا أن يثبتاه وانتقد أولاً تقدير رينودوسيوس وافترضه فأقول إنّ الصمت عن ذكر كتاب لا يصلح برهاناً لإنكاره إلا أن تؤيد ذلك قرائن قوية تجعل السلب إيجاباً. فبرهان رينودوسيوس السلبي لم يثبت ولن يثبت قطعاً مدعاه وأي عجب من أن يخفي كتاب يوحنا مارون هذا ولا يعرفه إلا الموارنة ولم يكتب ولم يوجه إلا إلى الموارنة وحدهم والسواد الأعظم منهم قاطن بلبنان ولا موجب لنشره على غيرهم وأما تقدير عمي السمعاني فأراه ضعيفاً أيضاً أن يثبت أنه لا يمكن اتفاق مؤلفين على رأي واحد، وهذا لا يمكن إثباته بل كما يمكن اتفاق مؤلفين على رأي واحد يمكن اتفاقهما على التعبير عنه بألفاظ واحدة. والعادة المألوفة عند الشرقيين هي أنّ الكاتب الحديث ينتحل آراء من تقدّمه وألفاظه أيضاً إن لاءمت مقصده. وإذا ثبت ذلك انتقض تقدير عمي الذي هو أعلم الناس بهذه العادة عند المؤلفين الشرقيين وأنا عرفتُها خاصة من الكتب التي جمعها من المشرق وعلّق عليها الشروح الضافية ثم إنّ يعقوب أسقف تكريت جمع شرحاً للرتب والصلوات أشبه بشرح ابن صليبا لرتبة القديس والتكريتي كان بعد ابن صليبا بقرن كامل. وقد طالع عمي بلا بد كتاب الكنوز الذي في المكتبة الواتيكانية. وفي القسم الثاني منه ما هو أشبه بشرح ابن صليبا لرتبة القديس فلم يعبّر أحد هذين الكتّابين إلى ابن صليبا؟

ذكرت ما مرّ مفترضاً أنّ شرح يوحنا مارون وشرح ابن صليبا واحد بألفاظهما لكن هذا الافتراض غير صحيح وعمي يعلم ذلك حقيقة. فإنّ شرح ابن صليبا يختلف عن شرح يوحنا مارون أولاً بأنّ شرح ابن صليبا موجه إلى اغناطيوس

مطران أورشليم من أصحاب الطبيعة الواحدة ليردّ به على الإفرنج الذين كانوا حينئذٍ بيت المقدس وعلى الروم وغيرهم. ويثبت خلافاً لهم بشهادة الليتورجية السريانية وطقوس اليعاقبة (طالع المكتبة الشرقية مجلد ٢ صفحة ١٧٧). والحال أنّ شرح يوحنا مارون لا شيء فيه من ذلك كما ترى في هذا الشرح المعلق على هذا المجلد. ثانياً أنّ شرح ابن صليبا مقسوم إلى عشرين فصلاً وشرح يوحنا مارون يشتمل على خمسين فصلاً. ثالثاً أنّ شرح ابن صليبا يثبت استعمال الخبز الخمير وينبذ الفطير وشرح يوحنا مارون يثبت الخلاف. رابعاً أنّ ابن صليبا ينقض كلامه بكلامه لجهة دعوة الروح القدس ويعزو إليها الفاعلية في التقديس (طالع كلام السمعاني صفحة ١٩٥) ولا شيء من ذلك في شرح يوحنا مارون. فهذه وكثير غيرها تبين جلياً أنّ لكل من الشرحين مؤلفاً وليس المؤلف واحداً.

وزد على ذلك أنه يظهر أنّ الشرحين لم يكتبوا في زمان واحد. فشرح يوحنا مارون يظهر أنه كتب في صدر الإسلام وفيه إشارة إلى ذلك مع أنّ ابن صليبا كان في القرن الثاني عشر ولنا أدلة أخرى على أنّ هذا الكتاب ليوحنا مارون منها: أنّ نسق عباراته وألفاظه تطابق عبارات يوحنا مارون في الكتب التي لا يمتري السمعاني في نسبتها إليه، ومنها أنه يلزم أن يحكم شرعاً بهذا الكتاب ليوحنا مارون لأنه لا يمكن أن يعيّن ليه بتوكيد مؤلف آخر ولا أن يعيّن زمان كتب فيه غير زمان يوحنا مارون. فالكتاب له شرعاً وما قلناه إلى الآن يكفي مؤونة الإثبات لتقليد الموارنة في هذا الشأن.

عد ١٥

هل كتب يوحنا مارون شيئاً في بدعة المشيئة الواحدة

قال السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٥١٠) هل كتب يوحنا مارون شيئاً في مشيئة المسيح؟ لا اجترأ أن أقطع بذلك فإني لم أر له إلى الآن مقالة في هذا الصدد ويظهر في إيضاح الإيمان الذي أنفذه إلى اللبنانيين أنّه لم يتكلم قط في هذا البحث ولو كان قد كتب شيئاً يؤيد هذه البدعة لالفيناها بلا مرأ في هذا الكتاب الذي ترجمه توما الكفرطائي إلى العربية وحرفه، بل لكان توما المذكور استشهد به في كتابه الذي أنفذه إلى يوحنا بطريرك الملكيين (الأنطاكي) ليدافع عن

بدعة المشيئة الواحدة حيث أسهب في كلامه على الموارنة والملكية، وبعكس ذلك أن يوحنا مارون لو كان قد فُتد بدعة المشيئة الواحدة لتعقبه توما وندد به ولا أقل من أن يغتابه كما اغتاب القديس مكسيمس، ولوجد له في إيضاح الإيمان ما يؤنبه عليه لقوله في المسيح مشيئتين، ولو قال شيئاً من ذلك لاستشهد به علماء الموارنة والبابي والحقلي وابن القلاعي وغيرهم من القدماء ليرثوا أمتهم من بدعة المشيئة الواحدة. وبما أنني لم أجد أحداً فعل كذلك أرجح أن يوحنا مارون لم يكتب شيئاً في هذا البحث. وقد أورد البابي في مقالته في أصل الموارنة ودينهم وباجيوس في تاريخ سنة ٦٣٥م فقرة من كتاب يوحنا مارون في شرح رتبة القديس قال فيها: «قد كتبنا بإسهاب في هذه الأمور وأثبتنا بشهادات آبائنا الأولين في كتابنا الذي أنفذناه إلى محبتكم رداً على من خلطوا طبيعتي ربنا ومشيتيه». على أنه وإن ثبت أن هذا الكتاب ليوحنا مارون (وسأبين رأيي فيه) فالأظهر عندي أن هذه الفقرة زادها عليه كاتب حديث لأننا لا نرى يوحنا مارون كتب في إيضاح الإيمان شيئاً يثبت المشيئتين، وقُلْ مثل ذلك في كل ما أورده البابي في مقالته المذكورة من أقوال يوحنا مارون ولم يكتب يوحنا مارون شيئاً في هذه البدعة. فالذي أراه إما أنه كتب قبل انتشارها، وإما أن اللبنانيين الذين كتب إليهم لم يكونوا يبالون بهذه البدعة بل كان كل جدالهم للنساطرة واليعاقبة في وحدة أقنوم المسيح وطبيعته وبدعة المشيئة الواحدة فرع لبدعة الطبيعة الواحدة. (كما مرّ) فاعتقد أن تفنيده بدعة الطبيعة الواحدة هو تفنيد أيضاً لبدعة المشيئة الواحدة وقد يكون كتب إيضاح الإيمان وهو راهب قبل أن تشتهر هذه البدعة ويحرمها المجمع السادس» انتهى كلام السمعاني ملخصاً.

على أن البطريرك يوسف أسطفان قد أثبت (في كتابه في قداسة يوحنا مارون قسم ٣ فصل ٧ وما يليه) رأي السمعاني أن يوحنا مارون لم يدافع عن بدعة المشيئة ولكن تعقبه في قوله إنه لم يكتب شيئاً يدحضها به، مبيناً أن السمعاني لم يقطع بصحة رأيه بل عبّر عن ذلك بقوله يظهر، ولا اجترأ على القطع بذلك وأرجح. ثم أخذ في نقض أدلته وأولها أنه لو كتب يوحنا مارون رداً على بدعة المشيئة الواحدة لهجاه توما الكفرطابي كما هجا القديس مكسيمس، فيجيب البطريرك يوسف أسطفان أن توما الكفرطابي كان يدّعي أنه ماروني ويعزو القول بالمشيئة الواحدة إلى يوحنا مارون، فكان يخالف غرضه أن يهجو يوحنا مارون ويقرعه كما قرع مكسيمس وهذا بين بديهي وثانيها أن ليس من كتاب إيضاح

وقد جاء في فاتحة كتاب إيضاح الإيمان بالسريانية أن يوحنا لم يناصر النساطرة واليعاقبة فقط بل أصحاب المشيئة الواحدة أيضاً إذ قيل هناك: « وكذلك فعل برد مزاعم تلاميذ أفتيمس (أو قورش) بطريك اسكندرية الذين كانوا يعتقدون مشيئة واحدة تبعاً للملك ذلك الزمان ». قلنا إن السمعاني قال إن هذه العبارة أدخلها المترجم العربي على الأصل السرياني لأن يوحنا مارون لم يفهم بكلمة في بدعة المشيئة الواحدة، لكنه قال أيضاً إن الكفرطائي هو الذي ترجم هذا الكتاب إلى العربية وعبث به على أن الكفرطائي لا يدخل هذه العبارة المخالفة لزعمه وهي واردة بالأصل السرياني لا بالترجمة العربية. ولم يؤيد السمعاني كلامه هذا بغير دعواه وهي أن يوحنا مارون لم يكتب شيئاً في هذه البدعة وهو موضع البحث فلا يصلح أن يكون كلامه حجة له. وقد أثبت البطريك يوسف أسطفان أن هذه العبارة مثبتة في نسخ كثيرة غير نسخة السمعاني ولا سيما في الأصل السرياني، وأورد لإثبات رأيه أدلة أخرى كثيرة منها أنه جاء في ترجمة يوحنا مارون في سنكساري الموارنة ما نصّه: « فصبوب الطوباوي يوحنا مارون رأي علماء الكنيسة الرومانية وألف مقالة أثبت فيها المشيئتين والفعلين برنا من الكتب المقدسة والأدلة اللاهوتية ». ومنها أن هذا التقليد كان مستمراً عند الموارنة، ومنها أن يوحنا مارون في كتابه شرح رتبة القديس الذي أثبتناه له في العدد السالف قال في الفصل الحادي والعشرين منه ما ترجمته: « وقد تمصّل بهؤلاء (أي تباع ديسقورس) من بلبلوا مشيئتي ربنا وفعليه وعزوا ما قاله الآباء عن وحدة الإرادة والقوة والسلطان. في الثالث الأقدس إلى سر تديره الخلاص وخلطوا ما بين البسيط والمركب، على أننا لما كنّا كتبنا في هذه الأمور بإسهاب وحققنا بشهادات آبائنا الأطهار التي جمعناها في كتابنا نقضاً لزعم من يبلبلون طبيعتي ربنا ومشيعتي ويخلطون خواصه وأرسلنا كتابنا إلى محبتكم فلنعد الآن إلى ما كنا في صدده » وقال في الفصل التاسع عشر من هذا الكتاب: « كل من لا يعترف ويقول إن ربنا اتحد بالجسد اتحاداً جوهرياً حفظت فيه طبيعتهما بخواصهما الإلهية والبشرية في أقنوم الكلمة الواحد متميزتين بالإتحاد ومتمحدتين بالتمييز بلا اختلاط ولا امتزاج فليكن محروماً، لأنه قاص عن الإيمان القويم وظلوم للحق ». وقال في الفصل الثالث والثلاثين من هذا الكتاب: « حاربها قديماً سيمون الساحر فسقط من الجوّ، حاربها آريوس فأفرت كرشه، حاربها مكدونوس مجدفاً على الروح القدس فطرح من كرسيه، حاربها نسطور

مجدفاً على العذراء والدة الله فتهدأ لسانه وانتن، حاربها ديسقورس الإسكندري وبلبل مع اوطيخا طيبعتي ربنا، وحاربها قورش الإسكندري وأتباعه وبلبلوا مشيئتي ربنا وفعلوه فبادوا وتبددوا كالدخان في ما زالت ثابتة حتى انقضاء العالم لأنها مبنية على صخرة لا تتزعزع كما وعدها ربنا» وذكر البطريك يوسف أسطفان بعض ما ذكرناه في إثبات كتاب شرح رتبة القديس ليوحنا مارون واسترسل هذا البطريك العلامة في كلامه إلى إيراد حجج أخرى عدلنا عن ذكرها حباً بالإيجاز إلى أن قال ماذا يا ترى جرى على كتاب يوحنا مارون في المشيئين والفعلين في المخلص، وأجاب أن تقادم الدهر وما شئ من الحروب وما أصاب الموارد من إتلاف كتبهم وتحريف بعضها وإخفاء بعضها حرمتنا وصول هذا الكتاب إلينا كما حرمتنا من التوصل إلى كتب كثيرين من الآباء مع علمنا بها ولا سيما في الأعصر التي لم تكن فيها المطابع. ومن شاء زيادة في البيان فليطالع كتاب المحاماة عن الموارد المطبوع حديثاً حيث يجد كتاب البطريك يوسف أسطفان المذكور برمته وعندني نسخة من هذا الكتاب قد استنسختها في رومة سنة ١٨٩٣م عن نسخة في مدرسة الرهبان الموارد الحلبين وهي أصح من النسخة المطبوعة ولا سيما في الفقرات السريانية التي انسربت بها أغلاط.

ولأن حق لمثلي أن يدي رأياً في هذا الجدل بين هذين الجبهدين العلامتين السيد السمعاني والبطريك يوسف أسطفان قلت يظهر لي أن حجج البطريك ترجح على ما ذكره السيد السمعاني من الأدلة بل تبطلها ولا أقل من أن تضعفها كثيراً، وليس من المعقول أن يوحنا مارون وقد ناصب بدعتي نسطور وأوطيخا لم يكتب شيئاً في بدعة المشيئة الواحدة وكانت السائدة في أيامه، وقد تسكع بها مكدونينوس ومكارينوس بطريركا أنطاكية وعقد الجمع السادس لنبذها وحرمها، وقد شهد البابا بناديكتس الرابع عشر أن يوحنا مارون أقيم لوقاية الموارد من فسادها ولا سيما إنني موقن اعتماداً على ما قلته آنفاً بأن كتاب شرح رتبة القديس إنما هو ليوحنا مارون، وقد رأيت أقواله فيه وتصريحه بأنه كتب ضد هذه البدعة وأدلة السمعاني الثلاثة سلبية وهي عدم هجوم الكفرطابي ليوحنا مارون، وعدم استشهاد الباني والحاقل بكلامه وعدم وجود ما يستدل به من كتابه بأنه كتب ضد بدعة المشيئة الواحدة وزد البطريك على هذه الأدلة سديد وكأنه قاطع إذ قال في الرد على الأول أن الكفرطابي ادعى أنه ماروني فلا يوافق غرضه أن يهجو يوحنا مارون. وقال في

الثاني إنَّ الباني والحاقل اعتمدا على نسخة حذف الكفرطائي منها كل ما يمكن أن يستشهد به. وقال في الثالث إنَّ السمعاني أيضاً اعتمد على هذه النسخة المعثو بها فلم يجد فيها ما يستدل به. فهذه خلاصة الكلامين وأظنَّ كلَّ متبصِّر منصف يرى ما رأيت وأيّ عجب من علامة كالسمعاني لا يصيب في أمر فله الكمال

ومن ذا الذي ترضي سجايه كلها كفى المرء نبلاً أن تعدَّ معائبه

وما تسامى به العلامة السمعاني نزاهته عن التعصّب فلا يصرفه عما يراه حقاً حب أمته أو وطنه، وأعظم شاهد لذلك اراؤه هنا في كتب يوحنا مارون في الكهنوت وفي شرح رتبة القداس وفي الرسالة وفي التقديسات، ونفيه كتابه في رد بدعة المشيئة الواحدة. فكذا كذا فليكن العالم والكاظم قدردنا الله أن نكون كذلك .

عد ١٦

قداسة يوحنا مارون

قد أفرد، المطران اسطفانس عواد السمعاني (ابن أخت السيد السمعاني الشهير كتاباً لإثبات قداسة يوحنا مارون دونه في اللغة الإيطالية وطبعه في رومة سنة ١٧٦٩م، وترى ترجمة عربية له في الكتاب الموسوم بالحمامة عن الموارنة وقديسيهم والمطبوع هذه السنة ١٨٩٩م. وكذلك أفرد البطريرك يوسف أسطفان كتاباً آخر لهذا الغرض نفسه كنا قد استنسخناه عن نسخة في رومة سنة ١٨٩٣م وقد طبع الآن في كتاب الحمامة المذكور. والداعي لتأليف هذين الكتابين هو ما ذكره مؤلفاهما أنَّ بعض إخواننا الملكيين الكاثوليكين شرعوا سنة ١٨١٥م يذيعون بين العامة أنَّ القديس مارون الرئيس أبا الطائفة المارونية ليس بقديس حقيقة بل تحتل الكنيسة الرومانية الموارنة يعتدونه قديساً، فشق هذا الأمر على الموارنة ورفع بعض رؤسائهم عريضة إلى الكرسي الرسولي يشكون من هذا التجني ويبينون ما لهم من المستندات في قداسة مارون الرئيس، فوكل الكرسي الرسولي إلى بولس ماريا لوشيني (الذي صار بعداً كردينالاً) الفحص عن هذا الأمر فرفع إلى الكرسي الرسولي حكمه بعد الفحص ومما قاله فيه: «إنَّ قداسة القديس مارون ثابتة وإن لم

تكن فيها براءة رسمية ككثيرين غيره من أصفياء الله في القرون الغابرة وإن وضعت قداسته تحت الريب اتسع المجال لإنكار قداسة كثيرين من الآباء والنسك والأبرار» فخدم سعي الخصومة لكنه لم يطفأ فإن بعض الملكيين الكاثوليكين حملوا بطريركهم كيرلس تاناس سنة ١٧٥٠م على تمزيق صورة للقديس مارون مطبوعة في رومة مدعياً تبعاً لزعم سعيد بن البطريق أنه مبتدع. وبلغت أخبار هذه الأحداث البابا بناديكتس الرابع عشر فكتب منشوراً إلى نيقولاوس لاركاري كاتب مجمع نشر الإيمان المقدس مؤخراً في ٢٨ أيلول سنة ١٧٥٣ يثبت به قداسة القديس مارون ويبرئه من تهمة البدعة ويؤنب البطريك كيرلس على فعلته وسوف نثبت ترجمة هذا المنشور برمته. وكان يرجى أن يسد باب المناظرة بحكم الكرسي الرسولي بهذا البحث إلا أن أصحاب تلك الضغائن لما ضاق ذرعهم عن التشبث بآتهام القديس مارون الرئيس وأوا أنهم يعيدون له في ١٤ شباط عدلوا عنه إلى آتهام القديس يوحنا مارون بطريك الموارنة الأول بما كانوا قد آتهموا به القديس مارون وكتب أحد كهنتهم بحلب سنة ١٧٦٥م رسالة باسم طائفته إلى السيد أرسانيوس شكرى مطران الموارنة بحلب. ومما قاله فيها: «إن الملكية لا يريدون أن يكرموا مارون آخر غير مارون الرئيس الذي كتب ترجمته توادريطس، أمّا يوحنا مارون فيعدونه من القائلين بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح ما لم يعترفه الخبر الروماني قديساً ويعلن قداسته بمنشور رسولي، واتبع ذلك بكثير من الطعن على الموارنة وبالغض من كرامة المطران أرسانيوس وكتب مثل ذلك إلى مجمع نشر الإيمان المقدس. وعقد الملكيون مجمعاً في حلب حضره رؤسائهم ورؤساء السريان والأرمن واستدعوا إليه رؤساء المرسلين اللاتينيين واليسوعيين والفرنسيسيين والكرمليين والكبوشيين وبعض علماء الموارنة فقضى من شهدوا المجمع بالإتفاق أن يوحنا مارون قديسٌ يحق له الإكرام الذي يقدمه له الموارنة إلا الملكيين فإنهم كابروا وأبوا الإذعان، وما انفكوا عن مثالبهم فكان هذا الداعي الذي حمل المطران أسطفانس عواد السمعاني وهو في رومة إلى تدوين كتابه في قداسة يوحنا مارون وتبرئته وتبرئة الموارنة من وصمة بدعة المشيئة الواحدة. وكذلك حمل البطريك يوسف أسطفان أن يكتب إلى رئيس مجمع نشر الإيمان رسالة باسمه وباسم أساقفته ويردونها بكتابه في يوحنا مارون. فالكرسي الرسولي بعد التروّي والتحقيق على عادته أثبت رأي الموارنة، وأكبر شاهد لذلك منح البابا بيوس السابع في ٣٠ كانون الثاني

سنة ١٨٢٠م غفراناً كاملاً لجميع المؤمنين الذين يزورون كنيسة القديس يوحنا مارون في مدرسة كفرحي يوم عيده في ٢ آذار كل سنة، ثم مد هذا الغفران إلى جميع كنائس الأمة المارونية في منشوره في ٢٧ أيار سنة ١٨٢١م وسوف نثبت ترجمة المنشورين. وعن الكتاين المذكورين نأخذ نحن ما سنذكره في هذا الصدد بما يمكن من الإيجاز.

فقد استشهد البطريرك يوسف اسطفان لقداسة يوحنا مارون أولاً علماء الموارنة وهم جبرائيل القلاعي أسقف نيكوسية بقبرص الذي أخذ سنة ١٤٩٥م ترجمة يوحنا مارون عن كتاب قديم عثر عليه وضمها إلى كتابه إلى القس جرجس بن بشاره المار ذكره وقد ترجم الأب كواريسمس الفرنسي هذه القصة من العربية إلى اللاتينية، ونشرها في مؤلفه في وصف الأرض المقدسة، ثم البطريرك أسطفانس الديهبي وقد أخذ ترجمة يوحنا مارون عن كتاب قديم أطلعه عليه القس مخائيل المطوشي قيل فيه: «قد كان رأس الأمة المارونية اسمه يوحنا وكان رجلاً فاضلاً عالماً صالحاً مزيناً بكل الفضائل والمحامد». ثم مرهج بن نيرون الباني وقد أخذ ترجمة يوحنا مارون عن كتاب رآه عند الخوري يوحنا الرزي خوري بيروت ثم السمعاني الشهير وقد رأيت ترجمة يوحنا مارون مأخوذة عنه وقد انتحل كلامه برمته الأب مخائيل لكويان في كتابه الموسوم بالشرق المسيحي (مجلد ٣ في بطاركة الموارنة). واستشهد هذا البطريرك لذلك أيضاً بترجمة يوحنا مارون في سنكسارى الموارنة وقال إنَّ منه نسختين قديمتين بالعربية والأحرف الكرثونية في مكتبة الواتيكان في عد ٢٧ و ٢٨ وفيها أخباره التي رويها في ترجمته عن أصله وعلومه وترهبه وأسقفيته وبطيركيته وجهاده ومناضلته المبتدعين ولاسيما أصحاب المشيئة الواحدة، واستشهد أيضاً بالمقدمة المعلقة بالعربية واللاتينية على طبعة كتاب قداس الموارنة سنة ١٧١٦م بعد أن فحصت ورخص بطبعها حيث ثناء وافر على هذا البطريرك وقداسته وحيث طبع نافور القداس الذي ألفه معنواً نافور القديس يوحنا مارون البطريرك الأنطاكي.

ثم أخذ هذا البطريرك في القسم الثاني يخص بيوحنا مارون ما أثبت البابا بناديكتس الرابع عشر في المجلد الثاني من تأليفه في تطويب القديسين أنه لازم في التطويب وهو العيد المشهور الإحتفالي وحفظ صورة المطوب في الكنيسة بين صور القديسين والذكر له في الرتب البيعية والقداس في يوم انتقاله وتعارف الناس إياه طوباً وبواً وقديساً، وأفرد لكل منهما فصلاً فقال في الأوّل إنَّ الكنيسة المارونية قد

عيّنت من أقدم الأيام اليوم التاسع من شهر شباط عيداً للقديس يوحنا مارون كل سنة كما يظهر من فهرست الأعياد السنوية المعلق على كتب القداس وكتب الفروض وخصّ بالذكر الفهرست المعلق على كتاب الشحيم الذي طبع في رومية سنة ١٦٢٤ وسنة ١٦٤٧م بعد أن دقّق النظر فيه بأمر الأحبار الرومانيين بولس الخامس وغريغوريوس الخامس عشر وأدريانس الثامن وجماعة من العلماء منهم الكردينال بلرميلس الشهير. ففي هذا الفهرست « اليوم التاسع من شباط عيد القديس مارون البطريك » ومثل ذلك فهرست في كتاب قديم في كرسي قنوين وهو الآن في بطريكية الموارنة وفي كتاب آخر قديم في مكتبة الواتيكان في عد ٧ خطّ في نيموسية بقبرص سنة ١٨١٩ يونانية توافق سنة ١٥٠٨م. وفي كتب أخرى كان الموارنة يعيدون للقديس مارون في الخامس من كانون الثاني كما يظهر من كتاب للشدياق الياس بن داود الطرابلسي خطّ سنة ١٤٩٤م ومن كتاب لجرجس البرديوط خطّ سنة ١٥٢٣م اعتماداً على التقليد بأنّ يوحنا مارون كرّس في ذلك اليوم كنيسة كفرحي على اسم القديس مارون ووضع فيها هامته ورجّح أن يكون البطريك يوسف العاقوري قرّر أن يكون هذا العيد مفروضاً في مجمع عقده في دير حراش في ٥ تشرين الأوّل سنة ١٦٤٤م، ونسخة من أعمال هذا المجمع في المكتبة الواتيكانية في عدد ٣٣ كتب فيها: « مار يوحنا مارون البطريك في ٩ شباط » وكذلك في الفهرست المعلق على الشحيمة الصغيرة أي كتاب الفرض الأسبوعي المطبوع بأمر البابا أينوشتسيوس بمطبعة مجمع نشر الإيمان سنة ١٦٤٧م وفي طبعاته التالية إلى سنة ١٧١٣م، إلى أن حسن لدى بطاركة الموارنة أن يفرضوا للقديس مارون ويوحنا مارون عيداً واحداً في ٩ شباط مجانبية لكثرة الأعياد كما يرى في كتاب القداس المطبوع برومية سنة ١٧١٦م. وفي مطبعة روتلي سنة ١٧٦٢م حيث قيل: « ٩ شباط عيد القديس مارون رئيس الدير والقديس يوحنا المسمى مارون أيضاً بطرك أنطاكية »، إلى أن أمر البطريك يوسف أسطفان أن يعيد للقديس يوحنا مارون وحده في الثاني من آذار سنداً إلى التقليد القديم أنّ وفاته كانت في ذلك اليوم. والحاصل من كل ذلك أنّ الموارنة كانوا وما برحوا يعيدون عيداً احتفالياً للقديس يوحنا مارون بعلم الكرسي الرسولي ورضاه وإثباته بل قال برتلماوس بياتسا في كتابه السنكساري الروماني الذي طبع في رومة سنة ١٦٧٦م وسنة ١٦٩٠م ما ترجمته: « في ٩ شباط يقام في رومة العظمى في كنيسة القديس يوحنا الإنجيلي كنيسة مدرسة الموارنة عيد احتفالي للقديس يوحنا مارون الذي أقامه الكرسي الرسولي بطريكاً على الأمة

المارونية يوم كانت تفسو البدع في الشرق فأعانه الله حتى صان بحسن تدبيره وحميد مسلكه تلك الأئمة نقية لم يمسه ضر البدعة وقد كابد في سبيل صونها شيئاً كثيراً من العناء والمشاق» .

وقال في الدليل الثاني اللازم للتطويب وهو تعليق صورة المطوب بين صور القديسين في الكنائس إنَّ البطريرك اسطفانس الدويهي حَقَّق في الفصل ٨ من كتابه الثاني في الاحتجاج أنه رأى بعينه صورتين للقديس يوحنا مارون إحداهما في قرية معاد في كنيسة القديس شربل والأخرى في كنيسة بحديدات ببلاد جبيل المبنية على اسم القديس توادورس، وقال إنَّ شكل بناء الكنيستين والنقوش التي فيهما تدلُّ على أنَّ بناءهما كان قبل عصر البطريرك أرميا العمشيتي الذي زار رومة في بدء القرن الثالث عشر. وقال الدويهي لولا تواتر الحروب والنكبات وخراب الكنائس في سورية لكان لنا أدلة أخرى كثيرة. وقد طبعت في رومة في أوائل القرن الماضي صورة القديسين بطرس وورشليس وإلى جانبيهما صورتا القديسين البطريركين يوحنا مارون وأرميا وفي أسفلهما كتابة هذا نصها: «القديس يوحنا مارون البطريرك الأنطاكي» ووزعت هذه الصورة في الآفاق برضى الكرسي الرسولي .

وقال في الدليل الثالث وهو ذكر المطوب في الرتب البيعية إنَّ ذكر القديس يوحنا مارون ورد متواتراً في كتب فروض الموارنة ورتبهم من ذلك ذكره في آخر صلوات المساء أيام الآحاد والأعياد حيث يقال **وَحْمَةُ هَنَّا مَحْمُودَا** **لَحْمُ هَنَّا هَنَّا وَحْمَةُ هَنَّا مَحْمُودَا** أي ليذكر القديس يعقوب مع القديس مارون ويذكر رفاقه وفي صلوة الصباح يوم السبت يقال «يُنْذَر في الكنيسة المقدسة بالإيمان الذي علمنا إياه الآباء القديسون أعمدة البيعة والرعاة الصادقون والمعلمون المحققون ومفندو البدع باسيليوس وجرغوريوس الكبير وأثناسيوس وكيرلسي برج الحق وإوسطانيوس ويوحنا فم الذهب **هَنَّا هَنَّا هَنَّا مَحْمُودَا** أي والقديس أفرام المختار والقديس يعقوب والقديس مارون . قلت وقد أثبت السمعاني (في المجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٢٨٤) إنَّ المراد بمارون هنا القديس يوحنا مارون البطريرك لا القديس مارون الناسك الذي لا تحصيه الكنيسة في جملة علمائها المناضلين عن الإيمان بل في جملة قديسيها الناسك الأفاضل . وهذه الصلوات في كنيستنا من أقدم الأيام بل لا نعرف لها بدءاً لتوغلها في القدم. وذكر مثل ذلك البطريرك يوسف أسطفان وقال

إنّ مثل هذا التذكّار وارد أيضاً في كتاب فروض الأعياد السنوي في صلوة عيد الختانة مع تذكّار القديسين باسيليوس وغريغوريوس وفي كتاب خدمة القديس المطبوع في رومة أربع مرات، وإنّ الموارنة يذكرون في رتبة قداسهم بعد التقديس ستة تذكّارات أي لرعاة الكنيسة الأحياء وجميع المؤمنين الكاثوليكين والملوك المسيحيين والعدّاء مع القديسين والمعلمين الأبرار والموتى المؤمنين واستشهد الدويهي (فصل ٣ من كتاب الإحتجاج) حيث قال إنّهُ عثر على كتاب خدمة قديم ذكر فيه في تذكّار القديسين بولا وأنطونيوس وبخوميوس ومكاريوس وسمعان العمودي ... والقديس مارون الطوباوي». وفي تذكّار المعلمين القديسين « نذكر أيضاً المعلمين القديسين: الذين علموا الإيمان الحقيقي وبثوه في أقاصي العالم وهم الكواكب النيرة في البيعة المقدّسة أي اقليمس وديونيسيوس وأغناطيوس وايريناوس ... وغريغوريوس ... ويوحنا فم الذهب ... وإسحق ومارون ويعقوب السروجي». فمن لا يرى أنّ مارون الوارد ذكره في جملة النساك المتوحدين هو القديس مارون الناسك ومارون الوارد ذكره في جملة ملائكة البيعة هو القديس يوحنا مارون البطريرك. واستشهد أيضاً بعنوان نافور القديس الذي ألفه يوحنا مارون آخذاً إياه عن الكتاب السرياني الذي في المكتبة الواتيكانية في عد ٢٩ وهو « نافور القديس يوحنا بطريرك أنطاكية ومعلّم البيعة المدعو مارون ».

وقال في الدليل الرابع وهو إقامة القديس في يوم انتقال المطوّب ليس عند الشرقيين قداس خاص بكل من القديسين بل في رتبهم طلبات أو أبيات يتلوها الخادم في القديس مدحاً للقديس ففي عيد القديسين مارون ويوحنا مارون في ٩ شباط يترنّم خادم القديس بما يلي : « هلمّ نمدح مرشدنا مارون العظيم الذي صاننا من الضلال والبدع ووساوس المحتال ... ويوحنا مارون الفريد بالقداسة والرأي السديد الذي نرجو بطلباته الرضاء والقبول من الفادي المسؤول » وحقق البطريرك أنّ هذا مدوّن في كتاب الخدمة الذي فحّصه الكرسي الرسولي وأثبتته وأمر بطبعه في رومة ونهى أن لا يستعمل سواه وأنّ فيه ذكراً مبجلاً ليوحنا مارون يقال في كل قداس وإنّ الكاهن يقول في التذكّارات بصوت عال : « ساعدنا وثبتنا في محبتك بصلوات هؤلاء الملائكة الذين حملوا بشارتك مجتهدين في المسكونة وثبتوا بيعتك المقدّسة بإيمان مستقيم لكي نصعد لك المجد معهم وبينهم ». فيجيبه الخادم بما هو مثبت في الخدمة المطبوعة برومة (صفحة ٧٣) « وهو أننا لنذكر أيضاً أولئك الذين

تقدّموا ورقدوا بين القديسين واستراحوا بالقداسة وحفظوا الإيمان الرسولي بغير عيب وإياه سلمونا . . . ونذكر آباءنا ومعلمينا المتوشحين بالله المستقيمي المجد ذلك الرسول يعقوب أخا الرب وذاك الشهيد ورئيس الأساقفة أغناطيوس وديونيسيوس وأثناسيوس وباسيليوس . . . والبار المنتخب القديس مارون الأب الطوباوي المقبول في كنيسة رومة المقدسة الكاثوليكية والبارّ يعقوب والبار أفرام الأفواه الناطقة وأعمدة بيعتنا المقدسة». ولا مرء في أن مارون المذكور هنا في جملة ملائكة البيعة هو القديس يوحنا مارون.

وقال في الدليل الخامس على القداسة وهو أن يتعارف الناس المطوّب بقديس وطوباوي، أن تعارف الخاصة والعامة يوحنا مارون بطوباوي أو قديس مستفيض في المشرق والمغرب، فإنه ينعت بقديس في عنوان كتبه القديمة ولاسيما نافوره المذكور وكتابه إيضاح الإيمان كما ذكرناه في محلّه (في العدد السابق) وفي كثير من كتب الموارنة، وقد أثبتت الكنيسة المارونية اسمه في طلبة القديسين بين الأساقفة والمعلمين القديسين بعد اسمي أثناسيوس وكيرلس كما هو ظاهر في كتاب خط سنة ١٥٨٢م وهو اليوم في مكتبة مدرسة الموارنة وينعت بقديس في الجامع اللبنانية وفي السنكساري وفي كل ما كتبه الأسقف جبرائيل القلاعي ومرهج بن نيرون الباني والبطريك أسطفانس الدويهي والسيّد يوسف السمعاني والأب بطرس مبارك اليسوعي وغيرهم ممن كتبوا بالسريانية أو العبرية أو اللاتينية. وأما من اللاتينيين فنكتفي بأن نذكر منهم الأب كوارسمس الذي طبع ترجمته باللاتينية في الكتاب الأوّل من تأليفه في وصف الأرض المقدسة (صفحة ٣٧) ويوحنا شيواربوس في كتاب رحلته إلى أورشليم وقد ذكرنا قوله آنفاً ومما قاله: «إن يوحنا مارون سلك كل حياته مسلك الفضل والقداسة». ومنهم عبد الأحد ماكري في رحلته إلى لبنان وكيرلس برتلماوس في كتابه في السنكساري الروماني، والبولانديون فإنهم لم يذكروا يوحنا مارون إلا مع وصفه بالقديس كما ترى في المجلّد الرابع لشهر تموز صفحة ٣ ومنهم باجيوس في الحواشي التي علّقها على تاريخ بارونيوس لسنة ٦٣٣م والأب لكويان في المجلّد ٣ من تأليفه الموسوم بالشرق المسيحي (صفحة ١١) حيث قال: «ما أعجب ما فعل يوحنا مارون في سبيل إفادة أمته في أيام بطريكته فقد رقى أساقفة وكهنة وأرسلهم إلى أطراف البلاد ووضع كتباً كثيرة يتألّق فيها سناء علمه الفريد ويتلأّل إيمانه الصحيح الوطيد». إلى أن يقول: «إنه

مات شهيداً بالقداسة ودفن في كفرحي وله في الكنيسة المارونية تذكّار سنوي يقام في ٩ شباط» .

ومن هؤلاء أيضاً الأب إيرونيمس دنديني اليسوعي فقد قال في كتاب بعثته إلى لبنان: «إنَّ يوحنا مارون أرسل إلى الحبر الأعظم رقاہ المقام البطريركي ووكل إليه رعاية أولئك المؤمنين الذين ما برحوا امناء و متمسكين أبداً بعروة الدين الكاثوليكي، ولم ينفكوا منذ حينئذٍ يؤدون الإحترام والطاعة للكرسي الرسولي الروماني ويوحنا المشار إليه سار سيرة الفضلاء والقديسين والموارنة يعدّونه من أصفياء الله وقديسيه وينعتونه بالقديس في مقدمة القداس ويدعون باسمه». ومنهم ديلاروك في رحلته إلى سوريا في المجلّد الثالث المطبوع في أمستردام سنة ١٧٢٣م، ومنهم الكردينال أورسي في تاريخه لسنة ١٦٣٦م في المجلّد ٢١ صفحة ٣٢٢ من طبعة رومة سنة ١٧٦٧م، وقال لولا خشية ملل القارئ لذكرنا كثيرين غير هؤلاء. انتهى كلام البطريرك يوسف أسطفان ملخصاً وجاء مثله في كتاب المطران اسطفان عواد ولا نرى حاجة إلى الزيادة على ذلك.

الفصل الثالث

براءة المارونين والموارنة من بدعة المشيئة الواحدة

عد ١٧

براءة القديس مارون الناسك من هذه البدعة

إنَّ براءة القديس مارون الرئيس من بدعة المشيئة الواحدة أصبحت في هذا العصر حقيقة مقررة يخجل كل من كان له أقلّ إلمام بالتاريخ أن يتَّهمه بهذه البدعة لئلا يثبت جهله بهذا الاتِّهام ولا ينقض من كرامة هذا القديس شيئاً. فمن الحقائق المقررة باجماع المؤرخين أنَّ القديس يوحنا فم الذهب توقّاه الله في أوائل القرن

الخامس ، وفي جملة رسائله الرسالة السادسة والثلاثون منقذة إلى القديس مارون ، وقد ترجمناها بحروفها (في عد ٦٤٢) نقلاً عن أصلها في كتب فم الذهب التي طبعها الأب مين . وفم الذهب كان في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس . ثم من هذه الحقائق المجمع عليها أنَّ توادوريطس أسقف قورش كتب ترجمة القديس مارون في كتابه في النساك ، وقد ترجمنا كلامه بحروفه في العدد المذكور من كتابنا هذا نقلاً عن كتاب توادوريطس في طبعة الأب مين ، ومما لا خلاف فيه أنَّ توادوريطس توفاه الله سنة ٤٥٨م ، ومن البديهي أنَّ مارون كان قبله وممَّا لا خلاف فيه أيضاً أنَّ بدعة المشيئة الواحدة نشأت في نحو سنة ٦٢٨م أي بعد وفاة القديس مارون بقرنين ونصف . فأَي منصف أو أي عالم يَتهِمه ببدعة لم يكن لها عين ولا أثر في الكنيسة إلا بعده بقرنين ؟ نعم وجد من قال بذلك في عصر الجهل وهو سعيد بن البطريق البطريرك الإسكندري الملكي . لكنَّ روايته نفسها كفتنا مؤونة ردها فكانت مما قال فيه أحد خطباء الفرنسيين إنَّ بعض الأقوال يكفي لرُدِّها ذكرها وحده فإنَّ هذا البطريرك قال : « كان في عصر موريق ملك الروم راهب اسمه مارون قال إنَّ لسيدنا يسوع المسيح طبيعة ومشية واحدة وأفسد مقالة الناس . . . فسُمِّي التابعون لدينه موارنة نسبة إلى مارون ولمَّا مات مارون بنى أهل حماه ديراً سموه دير مارون » . وقد أبنا بطلان هذا القول من نفسه في عدد ٦٦٨ ولاسيما أنَّ موريق استوى على أريكة الملك سنة ٥٨٢م وتوفي سنة ٦٠٢م وهذا مجمع عليه والقديس مارون قضى نحبه سنة ٤١٠م فيكون بين ارتقاء موريق إلى منصبة الملك ووفاة القديس مارون مئة واثنان وسبعون سنة ، وبين وفاة موريق سنة ٦٠٢م وظهور بدعة المشيئة الواحدة سنة ٦٢٨م ست وعشرون سنة . فبطلان قول سعيد بن بطريق بيِّن من الوجهين ؛ فلا مارون كان في أيام موريق ولا بدعة المشيئة الواحدة ظهرت في أيامه .

إنَّ مثل هذه الأغلاط في تاريخ سعيد بن بطريق كثير متواتر وقد أشار إلى ذلك كثيرون من العلماء منهم لوقا هلستين في رسالته إلى الكردينال أنطونيوس ، وارينس حيث قال في تاريخ ابن البطريق : « إنَّ هذا الكتاب طبعه السلداني ويخالف في أشياء كثيرة ما كتبه مؤرخو ذلك القرن ، وعندما طالعتُه تبَيَّن لي نصُّه أعجيباً مفعماً بالخرافات . . . ولا فائدة منه البتة بل يبلبل عقول من اعتادوا تصديق الخزعبلات وإيثارها على شهادة المؤرخين المحققين » . وقال الأب فلوري (في مجلِّد

١٣ من تاريخه مقالة ٣ عد ٧): «إنَّ تاريخ سعيد بطريك اسكندرية ... قد كتب فيه أموراً مضحكة، وقد خلا كلامه من التدقيق حتى في ذكره أحداث عصره». وقال الأب لكويان (في الفهرست المعلق بالمجلد ٣ من تأليفه المشرق المسيحي): «من البين أنَّ تاريخ سعيد هذا لا يستحقُّ أقلَّ تصديق، فإنَّ تأليفه طام في كل محل منه بخزعבלات وتزهات شنيعة ويشوش بذلك كل تواريخ القرون التي تقدمته». وقال دومينيكس منسى في حواشيه على تاريخ غرافيزون (مجلد ٤ مقالة ٥ صفحة ٧٠ إنَّ تزهات سعيد في التاريخ الإسكندري لم يفضح بطلانها إلا تيوس فقط في ما كتبه على ما أشهره سلدانوس منها بل السمعاني الشهير أيضاً في مكتبته الشرقية مجلد ١ صفحة ٤٩٨، وقال غرافيزون نفسه في المجلد المذكور إنَّ تاريخ سعيد مشحون بغوايات وحكايات كثيرة. وقال بروكوكيوس الذي ترجم هذا التاريخ إلى اللاتينية وطبعه السلداني في فاتحة ترجمته: «إنَّه يشتمل على خرافات كثيرة في الأخبار القديمة».

على أننا لم نر في كلام هؤلاء العلماء وعلمائنا الموارنة إلا هذه الأحكام العامة، ولم نطلع على أمثلة لهذه التزهات أو الخرافات - كما سموها. وليس لدينا كتاب سعيد بن البطريق لننقده بنفسنا ونورد مثلاً لأغلاطه. فاجتزأنا أن نأخذ مثلاً لذلك من كلام لكويان في بطارقة أنطاكية وأورشليم حيث ذكر ابن البطريق. قال: «إنَّ جيورجوس خلف مكدونوس (في بطريكية أنطاكية) في السنة الثالثة لخلافة عثمان ورقي في قسطنطينية وأقام فيها خمس سنين ولم يأت إلى أنطاكية بل مات في قسطنطينية ودفن فيها». ولم يذكر أحد من المحققين جيورجوس هذا بل لم يذكروا بطريكاً بين مكدونوس ومكاريوس اللذين ذكرهما ابن البطريق والسنة الثالثة لخلافة عثمان توافق سنة ٦٤٨ أو سنة ٦٤٩ لأنه بويج بالخلافة سنة ٢٤ للهجرة وهي سنة ٦٤٥ أو سنة ٦٤٦ للميلاد. وكان مكدونوس حياً سنة ٦٤٩م، والمؤكَّد أنَّه توفي سنة ٦٥٥م وخلفه مكاريوس الذي قال في رسالة: إنَّ مكدونوس سالفه كان في أيام بطرس البطريك القسطنطيني وشهد مجمعه الذي نبد فيه التعليم الكاثوليكي وهذا قوله فيها بطرس الكلي القداسة البطريك المسكوني وسالف حقارتي مكدونوس ذو الذكر السعيد». والمؤكَّد أنَّ بطرس هذا رقي إلى بطريكية قسطنطينية سنة ٦٥٥م واستمرَّ إلى سنة ٦٦٦م. فإذاً مكدونوس كان حياً في كل المدة التي قال ابن البطريق إنَّ جيورجوس كان

فيها بطريركاً فضلاً عن انفراده بذكره بين بطاركة أنطاكية . ولذلك عقب لكويان كلامه في هذا المحل بقوله : « إن تاريخ ابن البطريق لا يوثق به » .

وقال ابن البطريق في مكاريوس المذكور: « في السنة العاشرة لعثمان (وهي سنة ٦٥٥م) صير مكاريوس بطريركاً أنطاكياً وأقام في قسطنطينية ثمانين سنين ولم يأت إلى أنطاكية ومات في قسطنطينية ودفن فيها ». فيظهر من قوله إن مكاريوس توفي سنة ٦٦٣م . وقد أجمع المؤرخون على أن مكاريوس حضر المجمع السادس سنة ٦٨١م وأصر على ضلاله ببدعة المشيئة الواحدة ولذلك حرم وأرسل إلى رومة ومات فيها بعد ذلك مصرّاً على غيّه هذا . ويظهر من رسالة الملك قسطنطين اللحياني إلى البابا دمنس المعلقة في صدر المجمع السادس أن مكاريوس كان في قسطنطينية سنة ٩٧٨ وابن البطريق يحصيه بين الموتى مذ سنة ٦٦٣م . فتأمل . قال بعد ذلك وخلف توما توفان : « ومات بعد أن استمر في البطريركية عشرين سنة وقام بعده جيورجوس في السنة الأولى لخلافة عبد الملك بن مروان » وهي سنة ٦٨٤ أو سنة ٦٨٥ والمجمع عليه أن المجمع السادس بعد أن عزل مكاريوس سنة ٦٨١م أقام توفان مكانه . وهذا بين من أعمال هذا المجمع فمن أين أتى ابن البطريق بتوما هذا . ومن أين العشرون سنة التي استمر فيها توما بطريركاً بعد توفان حتى خلفه جيورجوس سنة ٦٨٥م . فهذه العشرون سنة كان فيها على كرسي أنطاكية مكاريوس وتوفان كما رأيت . ولذلك قال لكويان بعد إيراده قول ابن البطريق هذا عن الصحة بمراحل بالنسبة إلى التاريخ الصحيح . وجيورجوس الذي ذكره لم يؤكد المحققون أنه كان بطريركاً وهبه كان حقيقة فابن البطريق قال إنه استمر بطريركاً أربعة وعشرين سنة ، فتكون نهاية بطريركيته على زعمه سنة ٧٠٩م لأنه صير بطريركاً سنة ٦٨٥م . وقال بأثر ذلك إن كرسي أنطاكية خلا من بطريك خمسين سنة ٧٥٩م . وعاد يقول : إن أسطفانس صير بطريركاً على أنطاكية في السنة الأولى للآون الأيسوري وهي سنة ٧١٧م فمن سنة ٧٠٩م إلى سنة ٧١٧م ثمانين سنين فأين الخمسون سنة فتأمل بهذا الخلط . والصحيح أن كرسي أنطاكية خلا حينئذ من بطريك أربعين أو خمسين سنة وأقيم اسطفانس بطريركاً نحو سنة ٧٤٤م في السنة الثانية لقسطنطين الزبلي وهي سنة ٧٤١م كما حقق توفان في تاريخه .

وقال بعد ذلك إن توادورس الأول صير بطريركاً على أنطاكية في سنة ٢٠

لخلافة أبي جعفر وهي سنة ٧٧١م، وأنه استمر بطيريكاً ثلاثاً وعشرين سنة والصحيح ما رواه توفان أنه صير بطيريكاً سنة ٧٥١م. وقال ابن البطريق بعد ذلك: إن توادوريطس خلف توادورس المذكور في السنة الثامنة لخلافة هرون الرشيد. والمحقق أن هرون الرشيد رقي منصبة الخلافة سنة ١٧٠ للهجرة الموافقة لسنة ٧٨٧ للميلاد. وكان توادوريطس حينئذ بطيريكاً لأنه في هذه السنة كان المجمع النيقاوي الثاني وكان القس توما الراهب نائباً عنه في هذا المجمع. فكيف يصدق قوله إن توادوريطس صير بطيريكاً في السنة الثامنة للرشيد وقوله: إن توادورس سالفه دبر البطيركية ٢٣ سنة وقد زعم أنه صير بطيريكاً سنة ٧٧١م.

وفي تاريخه لبطاركة أورشليم قال في إيليا بطيريكها إنه صير بطيريكاً في السنة السابعة عشرة لهشام وهي توافق سنة ٧٤٠ للميلاد. والصحيح أن توادورس سالفه رقي إلى البطيركية سنة ٧٥٢م واستمر حياً بعد سنة ٧٦٧م لأنه كتب في هذه السنة رسالة إلى البابا بولس الأول. ولا يعلم كم سنة عاش بعد ذلك ورسالته هذه بلغت بعد وفاة البابا بولس الأول إلى البابا قسطنطين الدخيل على الكرسي الروماني سنة ٧٦٧م فأرسلها إلى يبين ملك فرنسا، وذكر خلاصتها البابا أدريانس الأول في رسالته إلى الملك كرلس الكبير وبوأ هذا البابا توادورس مما طعنه به مخالفو المجمع النيقوي الثاني. فإين البطريق إذا ذكر هنا الخلف قبل السلف مشوشاً سنّي التاريخ، وإيليا الذي زعم أنه صير بطيريكاً سنة ٧٤٠م لا شك في أنه كان حياً سنة ٧٨٧م إذ روى البولنديون في ٢٥ شباط أن يوحنا الكاهن أتى إلى نيقية ليشهد المجمع السابع المسكوني نائباً عن إيليا البطريك الأورشليمي وكذا يرى توقيعه على آخر المجلس السابع من هذا المجمع. ورجح لكوريان أن وفاته كانت سنة ٧٩٦ أو سنة ٧٩٧م فإن صحّ زعم ابن البطريق أنه صير بطيريكاً سنة ٧٤٠م كانت مدة بطيريكته سبعة وخمسين سنة وابتلعت بطيركية توادورس سالفه.

وقال بعد ذلك إن جيورجيوس صير بطيريكاً سنة ٢٠ لخلافة أبي جعفر المنصور وهي على زعمه سنة ٧٧٢ (وعن باجيوس أنها سنة ٧٥٤م)، وأنه استمر على البطيركية ثلاثين سنة. وقد مرّ بك أن إيليا سالفه توفي سنة ٧٩٧م. فمن هذه السنة إلى سنة ٨٠٧م التي قام فيها توما خليفته عشر سنين فمن أين العشرون سنة؟ وارتقاء توما سنة ٨٠٧م إلى بطيركية أورشليم ثابت برسائل منه إلى البابا لاون الثالث.

قال ابن البطريق: «إنَّ سلمون صير بطريكاً على أورشليم في السنة العاشرة لخلافة المتوكل على الله واستمرَّ بطريكاً خمس سنين». فالتوكل على الله ارتقى إلى عرش الخلافة في آب سنة ٨٤٦م؛ فتكون ترقية سلمون إلى البطيركية سنة ٨٥٦م وكان قد قال في سالفه سرجيوس إنَّه أقيم سنة ٨٤٣م واستمرَّ ست عشرة سنة؛ فيكون سرجيوس بقي على زعمه في البطيركية إلى سنة ٨٥٩م. فضلاً عن أنَّ الظاهر من المجمع الثامن المسكوني الذي عقد في قسطنطينية سنة ٨٦٩م أنَّ البطريك سرجيوس الأورشليمي كان في جملة من حرّموا فوتيوس في هذا المجمع؛ فيكون خطأ ابن البطريق مضاعفاً أي في تعيينه مدة سرجيوس، وفي قوله إنَّ سلمون رقي إلى البطيركية سنة ٨٥٦م وتوفي بعد خمس سنين أي سنة ٨٦١م.

قال بعد ذلك: «إنَّ إيليا صير بطريكاً على أورشليم في السنة العاشرة لخلافة المهتدي، وإنَّه كان ابن منصور الذي ساعد على فتح دمشق وجلس على الكرسي ٢٩ سنة». قال لكويان: «وأما قول ابن البطريق أنَّه كان ابن منصور الذي ساعد على فتح دمشق فهو من جملة هذياناته. ففتح دمشق كان سنة ٦٣٥م قبل ارتقاء هذا البطريك بمئتين وثلاث وأربعين سنة.

وقال بعد ذلك: «إنَّ لاون (يسميه اللاتينيون لاونتيوس) صير بطريكاً للسنة الثالثة من خلافة المقتدر بالله ابن المقتفي بالله واستمرَّ سبع عشرة سنة».

وقال ابن العميد (في ك ٢ فصل ١٩): «إنَّ جعفر أبا الفضل المقتدر بالله بن المعتضد بالله بويح بالخلافة يوم وفاة أخيه المقتفي بالله». فالمقتدر إذاً أخو المقتفي لا ابنه كما وهم ابن البطريق.

فهذا قليل من كثير من أغلاط ابن البطريق على سبيل المثال ودونك هذا المؤرّخ الثقة المحقّق المدقّق الذي ما برح خصوم الموارنة يحجونهم بحديث خرافة استنبطه وهدي به أنَّ القديس مارون الرئيس أنشأ بدعة المشيعة الواحدة وهو كان قبل إنشائها بقرنين وأكثر كما أثبتنا بينات وحجج دامغة، ولا يريد بعض من هؤلاء الخصوم أن يقفوا عند التواريخ الصادقة وأن يذعنوا للحجج القاطعة أو يصدقوا الأخبار الرومانيين، والقول ما قالوا في أمور الدين، أو أن يلتفتوا إلى أنَّ هذه الخرافة لم يأت بذكرها أحد من كل من كتبوا من أيام مارون إلى أيام ابن البطريق

في القرن العاشر بل يكابرون ويتعتنون بانتحال بعض المؤرخين هذه الخرافة في أعصر الجهل عن سعيد بن البطريق قبل عصر الإنتقاد الذي أصلح كثيراً من التواريخ. وقد فُتد علماء الموارنة وأنا أحقرهم وفي آخرهم هذه التهمة مرات وما برح بعض العدل أو الحسد يعيدون ذكرها دون أن يكلفوا نفوسهم لرد حجج التنفيذ لها وعليه يفضي الجدل إلى ما لا نهاية له. والعقل وقواعد الجدل نقضي عليهم أن ينقضوا ما أتى به علماؤنا، وما أتينا به في هذا الكتاب، وما أوردناه في كتابنا روح الردود بهذا الصدد، قبل أن يحجوننا بهذه الأقوال الساقطة.

عد ١٨

إثبات البابا بناديكتس الرابع عشر قداسة القديس مارون

إننا رغبة في إيكام المتعنتين نثبت هنا منشور البابا بناديكتس الرابع عشر العلامة الذي أثبت قداسة القديس مارون الرئيس بداعي أن البطريك كيرلس تاناس مرق صورة هذا القديس، وعرض أمر هذا التجني على قداسته فأنفذ إلى الأب نيقولاوس لركاري كاتب مجمع نشر الإيمان رسالة بنمط منشور هذه ترجمتها عن كتاب براءته (مجلد ٤ صفحة ٨٦ عن طبعته في رومة سنة ١٧٥٨م) البابا بناديكتس الرابع عشر.

أيها الإبن الحبيب السلام والبركة الرسولية

١- قد وجدنا بين القراطيس التي قدمتها لنا أخيراً عند مثولك لدينا ما يختص بتكريم القديس مارون الرئيس فان ولدنا العزيز الأخ داسيداريوس الراهب الفرنسي من كازاباشيانا الذي كنا قد أرسلناه قاصداً إلى الأخ المحترم بطريك الموارنة كتب إلى مجمع نشر الإيمان أن الأخ المحترم كيرلس بطريك الروم الملكيين مرق صور القديس مارون المطبوعة في رومة، وأعلن أنه لا يجوز إحصاؤه بين القديسين لأنه عاش هراتيكياً، وأن هذا أنشأ مخاصمات ومشاجرات بين الموارنة والروم الملكيين، وأنه يخشى من زيادة هذه الخصومات يوماً فيوماً لأنه لم يستطع إخماد نار المشاجرة بل بعد أن برح المحل الذي كان فيه مجداً في إطفائها قال له بعض الكهنة جهاراً إن لا سلطان له في فصل هذه المسألة. والحكم بأن مارون

كان قديساً أو مبتدعاً ولاسيما أنَّ بطريركهم كان ينذر أنَّه عاش ومات ملطَّخاً بالبدعة ، ولذلك توجَّه إلى دير الخُلص حيث يقيم بطريرك الروم الملكيين ليحدثه في هذه المسألة . فلم يفز بمشاهدته وتعدَّر عليه أن يلحقه .

٢- فنحن لم نتعجَّب فقط بل اغتظنا أشدَّ الاغتياظ مما فعله الأخ المحترم كيرلس البطريرك بجسارة وعلى غير روية ، وكأنَّه أراد أن يتباهى بعلمه وبخبرته ، فلم يصلح ذات البين بل حاول أن يحكم بسلطانه في هذا الجدل كأن أمره مجهول عندنا وعند الجمع . وأقبح من ذلك أنَّه أفرغ جهده في أن يحرم من وصف بالقداسة مذ أجيال كثيرة برضى الكرسي الرسولي وإثباته من أن يوصف بقديس أو أن يُقدَّم له التكريم الذي يُقدَّم للقديسين .

٣- وأنت تعلم أنَّ القديس مارون كان في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس وتوادوريطس الذي يمكن أن يسمَّى معاصراً له (لأنَّه اشتهر في منتصف القرن الخامس) كتب ترجمته ، فأثنى على فضائله السامية ، وأطراً أفعاله الحميدة . فتوادوريطس هذا أسقف قورش ألف كتاباً في تراجم الآباء عنونه بمحبِّ الله أو التاريخ الديني ؛ ولهذا الكتاب ترجمتان لاتينيتان : إحداهما في كتاب تراجم الآباء الذي وضعه رسفيدس ، والأخرى في المجلد الثالث من مؤلفات توادوريطس التي جمعها جنتيانس هروات وطبعها سيرمندس . فتوادوريطس يثني على قداسة القديس مارون في ستة مواضع من تأليفه كما يظهر من طبعة رسفيدس لكتاب تراجم الآباء ؛ أعني فصل ١٦ صفحة ٨٢٧ و ٨٢٨ وفصل ٢١ صفحة ٨٣٢ وفصل ٢٢ صفحة ٨٣٨ وفصل ٢٤ صفحة ٨٤٠ وفصل ٣٠ صفحة ٨٥٠ ، وفي جملة رسائل القديس يوحنا فم الذهب رسالته السادسة والثلاثون إلى القديس مارون الرئيس وقد أطراً فيها فضائله ، واستغاث بصلواته على أنَّ بعضاً من أصحاب التعاليم غير الصحيحة أفرغوا جهدهم في أن يضعفوا شهادة توادوريطس في كتابه تراجم الآباء . ومن هؤلاء : أندراوس ريفيتس في كتابه الرابع الموسوم بالانتقاد المقدَّس فصل ٢١ ، وروبرتس كوكس في كتابه الموسوم بانتقاد بعض المؤلفين القدماء صفحة ٣٩٠ ، وفريدريكس سبانهامبوس في كتابه في التاريخ المسيحي للقرن الخامس فصل ١٠ صفحة ١٠٣٠ . فناصر هؤلاء كثيرون من أصحاب العلم السامي والانتقاد الدقيق ، وسدّوا أفواههم بمدافعهم عن صحة تاريخ توادوريطس وترفعه عن كل شائبة ، وفي جملة هؤلاء لاهاي في مقالته في

توادوريطس المعلقة على تأليف بلرمينس في الكتبة البيعين الذي طبع في البندقية سنة ١٧٢٨م صفحة ١٥٥، ثم كرنيليوس في مقالته الثانية المعلقة على المجلد الخامس من كتب توادوريطس المطبوعة في باريس سنة ١٦٨٤م صفحة ١٩٩، وتلمون في ترجمة توادوريطس فصل ٤٨ مجلد ١٥ صفحة ٣٢٩، ونطاليس اسكندر في تاريخه البيعي للقرن الخامس فصل ٤ جزء ٢٨، ثم الفقيه كليز في تاريخه العام للمؤلفين الملهمين والبيعين مجلد ١٤ فصل ١٤ جزء ٢ صفحة ٩٤

٤- وأهم من كل ذلك أن أدق مؤرخي عصرنا وأوفرهم خبرة وأبعدهم عن الإسراع إلى تصديق كل ما يقال قد اعترفوا بصحة ترجمة القديس مارون التي كتبها توادوريطس، وأثنوا على فضائله، وأطروا أعماله الحميدة كما فعل توادوريطس، وهذا أكبر دليل على اعتقادهم صحة ما كتبه توادوريطس في ترجمة القديس مارون فطالع كتب البولنديين في اليوم الرابع عشر من شباط في المجلد الثاني لهذا الشهر، وبيلايوس في تراجم القديسين في اليوم الرابع عشر المذكور، وتلمون في المجلد ١٢ من تاريخه البيعي في ترجمة القديس مارون صفحة ٤١٢ وما يليها. ولا ينبغي أن نسهو عن أنه لما طبع كتاب قداس الموارنة في أيام حبرية البابا اكليمنطس الثامن وكان الكردينال جبرائيل بليوتس محامياً عن هذه الطائفة طلب الرخصة من الحبر الأعظم في طبع الكتاب المذكور فرخص له على شريطة أن تعلق على صدر الكتاب ترجمة القديس مارون مأخوذة عن تاريخ توادوريطس. فأتم ذلك إذعاناً للأمر كما شهد بذلك الكردينال يعقوب برونيوس الشهير حيث قال: «خاطبت سيدنا الكلي القداسة في شأن طبع كتاب القداس للموارنة الذي كان قد طبع قبلاً فأجاب سؤالي، وأمر أن يعلق في صدر هذا الكتاب ترجمة القديس مارون مأخوذة عن توادوريطس.

٥- ثم إنّه قد كان دير شهير للقديس مارون - كما يظهر في رسالة رؤساء أديار سورية الثانية إلى هرمزدا الحبر الأعظم سنة ٥١٧م موقعاً عليها من اسكندر رئيس دير القديس مارون؛ وهذا ظاهر في المجلد الخامس من مجموعة الجامع للاباي، المطبوعة في البندقية صفحة ٥٩٨، وفي تاريخ بارونيوس لسنة ٥١٧م عد ٥٣. وقد جاء في أعمال الجمع القسطنطيني الذي عقد ٥٣٦ ذكر لهذا الدير، وقد وصف دائماً مارون باسم قديس أو طوباوي - كما يظهر للمطالع في المجلد

الخامس من مجموعة لابي المذكرة صفحة ٩٦٧ وصفحة ٩٧٨ و ٩٩٤ و ٩٩٩ و ١٠٧٥ و ١٠٨٣ و ١٠٩٩ و ١١١١ و ١٢٢٣ ثم إن باجيوس في تنقيحه تاريخ الكردينال بارونيوس لسنة ٤٠٠م عد ١٧ وما يليه قد أثبت على فضائل القديس مارون، ثم فاض في الكلام على ديره، وأطراً كثيراً تشبث رهبانه بعري الإيمان الكاثوليكي، وشبهه بقلعة حصينة للدين الكاثوليكي في المشرق كله لمقاومة أصحاب البدع. وذكر استشهاد ثلاثماية وخمسين راهباً من رهبانه تكللوا بإكليل الشهادة في أيام الملك أنسطاس، مدافعهم عن المجمع الخلكيدوني. وذكر هؤلاء الأبطال في اليوم ٣١ من تموز في السنكساري الروماني حيث نرى شروحاً علّقها عليه الكردينال بارونيوس. ولا تغفل عن أنّ صورة القديس مارون مقامة على المذبح الكبير في كنيسة مدرسة الموارنة في هذه المدينة العظمى، ويقدم لها الإكرام العلني، ويعيد للقديس مارون عيداً احتفالياً.

٦- إن هذه الحجج كلها تثبت إثباتاً قاطعاً قداسة القديس مارون، وتبين إننا تصرفنا تصرفاً محكماً وعادلاً في استجابتنا سؤال الأخ المحترم سمعان عواد بطريك الموارنة الأنطاكي واقتفائنا آثار سلفائنا - ولا سيما سالفنا البابا اكليمنطس الثاني عشر؛ إذ منحنا في براءتنا المبرزة في ١٢ آب سنة ١٧٤٤م غفراناً كاملاً لجميع المؤمنين ذكوراً وإناثاً الذين يعترفون ويتناولون القربان الأقدس في اليوم التاسع من شباط الذي يحتفل به الموارنة بعيد القديس مارون شفيعهم الخصوصي، ويزورون كنيسة من كنائس الرهبان أو الراهبات من جمعية القديس أنطونيوس الكبير أو جمعية القديس أشعيا في جبل لبنان ويصلون من أجل الاتفاق بين الملوك المسيحيين واستتصال البدع وارتفاع شأن الأم الكنيسة المقدسة. فكل واحدة من هذه الحجج تبين صريحاً سوء تصرف الأخ المحترم البطريرك كيرلس في مقاومته غير القانونية لتكريم القديس مارون.

٧- ولا يعسر علينا أن نبحث في الأسباب التي حملت الأخ المحترم البطريرك كيرلس على صنيع هذا الأمر؛ فقد أثبت الموارنة أنّ منشأ تسميتهم عن القديس مارون الرئيس، وأنهم لم ينحرفوا قط عن محبة الدين الكاثوليكي، ولم ينفصلوا عن الكنيسة، وزادوا على ذلك أنّهم إذا كانوا جدّدوا اتحادهم مع الكنيسة الرومانية وقتاً ما فلا ينبغي أن يتأول ذلك بمعنى أنّهم غادروا الدين الكاثوليكي ثم عادوا إليه. على أنّ غيرهم يرون الخلاف ويزعمون أنّ الموارنة برزوا من مدرسة أصحاب

المشيئة الواحدة ، وأنَّ مارون رئيسهم نفسه اتَّبَعَ هذه البدعة ، وأنَّهم لم يرتجعوا عنها إلاَّ في سنة ١١٨٢م على يد اميريكس الثالث بطريك أنطاكية اللاتيني . فكل هذه الأقوال يمكن الإطِّلاع عليها في المعجم العام الافرنسي اللاتيني في المجلد الخامس في كلمة موارنة ، وفي معجم موراريوس طبعة باريس صفحة ١٧٤٧ مجلد ٦ في كلمة موارنة .

٨- ثم إنَّ أصحاب الرأي المضاد يوردون شهادة غويللمس رئيس أساقفة صور الذي روى في كتاب ٢٢ في الحرب المقدسة فصل ٨ ما أشرنا إليه آنفاً على أنَّ شهادة غويللمس ليست بكافية لتأييد الرأي المضاد للموارنة ، ولربَّما عرف غويللمس نفسه ضعف قوله . ولذلك عزاه إلى المجلد الثاني من تاريخ سعيد الإسكندري الذي كتب في صفحة ١٩١ هكذا : « وكان في عصر موريق ملك الروم راهب اسمه مارون كان يقول إنَّ في المسيح طبيعتين ومشية واحدة وفعلاً واحداً وأقنوماً واحداً . ولما مات مارون بنى له سكان مدينة حماه ديراً سموه دير مارون واتَّبَعُوا اعتقاد مارون » .

٩- على أنَّ علماء الموارنة لم يألوا جهداً في تبيان الأغلاط التي تسكَّع بها سعيد المذكور وغويللمس الصوري وسائر من اتَّبَعهما ، وفي تفنيد هذه الأغلاط وهذا بيِّن من مقالة مرهج بن نيرون في أصل الموارنة واسمهم ودينهم . وممَّا أجاد في إباتته بفقاهاة سامية ولدنا العزيز يوسف سمعان السمعاني المقدَّم في بلاطنا في المجلد الأوَّل من مكتبته الشرقية صفحة ٤٩٨ ، وتابَعهما على ذلك باجيوس الافرنسي في تنقيحه تاريخ الكردينال بارونيوس سنة ١١٨٢م . والحق نقول إنَّ بدعة المشيئة الواحدة والفعل الواحد في المسيح إمَّا كان أوَّل ظهورها في أيام هرقل الملك ؛ وهذا قد أجمع عليه العلماء فكيف أمكن أن يشتهر هذا الضلال في أيام موريق الملك ، وكيف يصحَّ ما قاله سعيد من أنَّ الدير أنشئ بعد موت مارون الذي تكلم فيه مع أنَّ هذا الدير قد بني قبل مئتي سنة على اسم القديس مارون الرئيس ، وبروكريوس القيصري أثبت في كتابه الخامس في أبنية يوستينانس الملك أنَّ هذا الملك دُمِّر دير القديس مارون . ومن البيِّن أنَّ الملك يوستينانس توفي سنة ٥٦٥م وموريق توفي سنة ٦٠٢م .

١٠- إمَّا لا نطيق أن يقصِّر شيء من محبة الكرسي الرسولي للموارنة وقد

جمعنا نحن تقارير سلفائنا لهذه الأمة ، وأضفنا إليها ثناءنا عليها في خطبتنا في مجفل كرادلة الكنيسة المطبوعة في حاشية كتاب «بولتنا» مجلد ٢ صفحة ٤٢ . وإذا تركنا جانباً كل استمالة إلى الأمة المارونية ، وأطلقنا لعلماء الموارنة المقيمين في رومة أن يردّوا سهام خصومهم ويثبتوا تشبههم الدائم بعرى الإيمان الكاثوليكي إذا دعت الحاجة (ولا نرى حاجة) ، ويؤيدوا نسبتهم إلى القديس مارون الرئيس ، وافترضنا ما رواه سعيد صحيحاً للحق فلا يمكن أن ينتج من ذلك إلا أنّه كان مارونان: أحدهما قديس ، والثاني هراتيكي . فإنّ الاسم وحده لا يجعل القديس أراتيكيّاً أو الأراتيكي قديساً ، ولا الإكرام المقدم للقديس يحسب مقدماً للمبتدع ومن هذا ينتج نتيجة واضحة أنّ الأخ المحترم البطريرك كيرلس بنهيه عن تقديم التكريم للقديس مارون لم يتخطّ حدود سلطانه فقط بل تصرّف تصرفاً مخالفاً للتقوى في حق رجل حُسيب أجيالاً كثيرة بين مصافّ القديسين ولم يأت الأحرار الرومانيون أن يغفروا الشعب بتقديم الإكرام له بمنحهم الغفرانات المقدم ذكرها .

١١- قد قلنا قبلاً إنّهُ وإن سلمنا بصحة ما رواه سعيد لا ينتج من ذلك إلا أنّه كان مارونان: أحدهما قديس ، والآخر أراتيكي . فالأراتيكي إنّما هو من تكلم فيه سعيد وقال إنّهُ عاش في أيام موريق الملك الذي قلنا أنّهُ توفي سنة ٦٠٢م ، والقديس إنّما هو من اشتهر في أيام الملك أركاديوس الذي دُبر الملك من سنة ٣٩٥ إلى سنة ٤٠٨م ، وقد كتب توادوريطس ترجمته وكان توادوريطس معاصراً له وثقة . وقد أثبتنا أيضاً أنّ الاسم وحده لا يكون سبباً يجعل القديس أراتيكيّاً أو الأراتيكي قديساً ، أو لاحتساب الإكرام المقدم للقديس تكريماً للأراتيكي ؛ وهذا أمر مقرّر وظاهر بالنور الطبيعي ولا حاجة له إلى إثبات . لكننا نورد مثلاً لتسمية اثنين اسماً واحداً . فقد كان اثنان باسم ريمندس لوليوس ، واثنان باسم يوحنا كنتس ؛ وقد تكلمنا على هؤلاء في كتابنا في تطويب القديسين . فأحد المسّمين ريمندس كان شهيداً مشهوراً ، والآخر تعيساً حكم عليه بالموت . وأحد المسّمين يوحنا كنتس هو طوباوي والكرسي الرسولي يثبت الإكرام العلني المقدم له ، والآخر كان من أولي البدعة . ومن ذلك كلّهُ يظهر جلياً أنّ الأخ المحترم البطريرك كيرلس تصرّف تصرفاً مخالفاً للقوانين والتقوى بنهيه عن تقديم التكريم المقدم على زعمه لمارون الأراتيكي الذي ذكره سعيد مع أنّه بالحقيقة قد حرم من هذا الإكرام مارون

الكاثوليكي الذي أثنى عليه توادوريطس ، وأنّ الكرسي الرسولي لم يقصد بمنحه الغفران إلا تكريم ذلك الطوباوي مارون الرئيس الذي كتب توادوريطس ترجمته وأثنى على قداسته ؛ وهذا يظهر جلياً مما ذكرنا آنفاً أنّ البابا اكليمنضس الثامن عمله. فلك إذاً أن تخبر المجمع بكل هذا وتتخذ الوسائل اللازمة والمناسبة وتكتب بأمرنا وأمر المجمع إلى الأخ المحترم البطريرك كيرلس أن يرعوي عما أقدم عليه ولا يجسر من الآن فصاعداً أن يحرم من الإكرام الإحتفالي القديس مارون الرئيس ، ويتمنع عن إلقاء الفتنة بين الروم الملكيين والموارنة . وإن رأيت موافقاً أن تبعث إليه بهذه الرسالة المنفذة إليك ليكون على يقين من معرفة إرادتنا فالإرادة لك بهذا الخصوص ونمنحك في الختام البركة الرسولية .

أعطي برومة حذاء كنيسة القديسة مريم المعروفة الكبرى في ٢٨ أيلول سنة ١٧٥٣م وهي السنة الرابعة عشرة لحبريتنا .

فهذا المنشور المحصّن بهذه الأدلة السديدة والحجج القاطعة لا يزداد تبيناً وتأكيداً بل نذيله بما كتبه البابا بناديكطس الرابع عشر نفسه بعد إبرازه هذا المنشور إلى البطريرك سمعان عواد في رسالته إليه في ١٢ آذار سنة ١٧٥٥م وهو : «إننا لا نرتاب في أنّ الأب ايسيدورس قاصدنا المارّ ذكره حقّق لإخوتك ما لنا من الحلم الرسولي والغيرة والمحبة لك أيّها الأخ المحترم وللأخوان المطارين المكرمين وسائر أبناء أمتك الجليلة العزيزة أي الموارنة كلّهم الذين يتفاخرون بإقرارهم بأنهم تلقوا الاعتقاد بالإيمان الكاثوليكي من القديس مارون بالنوع الأخص وبشفاعته نما وثبت فيهم . ولما كان قلبنا موعباً بهذه المحبة لأمتك قد شقّ علينا أنّ بعض الناس لا يحسنون الرأي في قداسة القديس مارون والإكرام المقدّم له ، فبرأنا قداسته من التهم وأثبتناها بالسلطان الرسولي ، وقد أخبرنا قاصدنا المذكور أنّه كان لذلك وقع حسن ، فسرّ الجميع به ، وقد جرى في وقت ملائم ونافع . فسررنا نحن أيضاً لسرورهم » . ويرى كل منصف أنّه لم يبق من مجال للامتراء في قداسة القديس مارون أو للجدال في براءته من بدعة المشيئة الواحدة بعد حكم الكرسي الرسولي بذلك في المنشور المارّ ذكره وفي مناشير منح الغفران في يوم عيده وبعد كل ما أوردناه من الحجج الدامغة هدى الله المكابرين .

براءة القديس يوحنا مارون من بدعة المشيئة الواحدة

نجزئ كلامنا في إثبات هذه الحقيقة إلى الإستدلال عليها. أولاً. بشهادة الأبحار الأعظمين. ثانياً. بسيرة يوحنا مارون وتأليفه. ثالثاً. بشهادة أعدائه أنفسهم. رابعاً. بشهادة العلماء المحققين. خامساً. ببيان بطلان ما يرد على ذلك.

شهادة الأبحار الأعظمين

قال البابا بناديكتس الرابع عشر في خطبته بكرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م: « لا يخفى عليكم أنه في أواخر القرن السابع عندما فشت بدعة القائلين بمشيئة واحدة بالمسيح وأفسدت سكان البطريركية الأنطاكية جزم الموارنة حينئذ رغبة في وقاية طائفتهم سالمةً من ذلك الفساد أن يختاروا لهم بطريركاً يثبتهم الحبر الروماني ». وقد أجمع كل من ذكروا يوحنا مارون أو سلسلة بطاركة الموارنة أن البطريرك الذي اختاره الموارنة حينئذ إنما هو القديس يوحنا مارون. أيتفق أن يكون يوحنا مارون من أصحاب بدعة المشيئة الواحدة وأن يختاره الموارنة ليقوا طائفتهم من فسادها؟ أو يعرف هذا البابا العلامة أن يوحنا مارون متلوث بهذه البدعة ويقرظ الموارنة على انتخابه ليقبهم فسادها؟

إن البابا بيوس السابع قد منح في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٢٠م غفراناً كاملاً لجميع المؤمنين الذين يزورون كنيسة القديس يوحنا مارون في مدرسة كفرحي ببلاد البترون يوم عيده في الثاني من شهر آذار، ثم عمم نيل هذا الغفران لمن يزور أية كنيسة كانت من كنائس الموارنة في ذلك اليوم. وهذه ترجمة صورة منح الغفران: « إن سيّدنا الكلي القداسة بيوس السابع البابا بعناية الله قد منح بواسطتي أنا المدون اسمي أدناه كاتب مجمع نشر الإيمان المقدّس غفراناً كاملاً مؤبداً يمكن تقديمه إسعافاً للنفوس المعتقلة في المطهر لجميع المؤمنين لإفراداً وإجمالاً رجالاً ونساء الذين يزورون بعبادة كنيسة القديس يوحنا مارون التي بقرية كفرحي في أبرشية البترون في يوم عيد القديس يوحنا مارون المذكور بحيث يكونون

نادمين ندامة حقيقية ويعترفون ويتناولون القربان الأقدس ويستهلون لله خاشعين مدة من ذلك اليوم من مشرق الشمس إلى مغيبها من أجل انتشار الإيمان المقدس . أعطى في رومة من ديوان المجمع المقدس في اليوم والسنة المذكورين أعلاه مجاناً ودون دفع شيء ولو بأية حجة كانت .

كرلس ماريا بيديشيني - كاتب المجمع

طبع في مطبعة مجمع نشر الإيمان المقدس وهذه ترجمة صورة تعميم الغفران في مواجهة سيدنا الكلي القداسة في ١٧ أيار سنة ١٨٢١ م.

إنَّ الغفران الكامل المؤبد الممنوح في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٢٠ م لمن يزورون بعبادة كنيسة القديس يوحنا مارون بطريك الموارنة الأنطاكي يوم عيد هذا القديس في اليوم الثاني من آذار كل سنة من جميع المؤمنين رجالاً ونساءً بحيث يكونون نادمين ندامة حقيقية ويعترفون ويتناولون القربان الأقدس؛ فهذا الغفران قد تعطف قداسة سيدنا البابا بيوس السابع بواسطتي أنا المدون اسمي أدناه كاتب مجمع نشر الإيمان المقدس وجعله عاماً لجميع كنائس الطائفة المارونية ولاسيما الكنيسة التي بنيت حديثاً إكراماً للقديس البطريرك المذكور، ويروم قداسته أن يستمر هذا الغفران موبداً مع حفظ كل شيء بحسب قوة المنح السابق وصورته أعطى برومة من ديوان المجمع المقدس المذكور، في اليوم والسنة المار ذكرهما مجاناً دون دفع شيء بأي حجة كانت .

كرلس ماريا بيديشيني

كاتب المجمع

طبع بمطبعة مجمع نشر الإيمان المقدس

إنَّ خصوم الموارنة يتهمونهم بهذه البدعة سنداً إلى أنَّ مارون أو يوحنا مارون ابتدعها أو تلوثا بها وعليه فجميع شهادات الأحبار الأعظمين التي أثبتوا فيها أنَّ الموارنة استمروا دائماً متشبثين بالإيمان الكاثوليكي ولم يزيغوا عنه البتة ثبت اتباعاً أنَّ هذين القديسين براء خلاء من هذه البدعة، وجمعنا كثيراً من شهاداتهم في

كتابنا روح الردود وسنورد بعضها في العدد التالي وعلى شهاداتهم المعول في أمر الدين ولا يوازيها شاهد أياً كان، ومن قال إنَّ أحدهم منح غفراناً تكممةً لمبتدع أو ضال كان هو من الضالين .

ثم إنَّ تسمية الأحبار الأعظمين من أقدم الأيام هذه الأمة باسم موارنة دليل ناطق على أنَّهم لم يعتدوا مارون ويوحنا مارون هراتيكيين لأننا نراهم لم يسموا اليعاقبة الذين رجعوا إلى الإيمان الكاثوليكي يعاقبة بل سموهم سرياناً كاثوليكيين وكذلك لم يتركوا الكلدان الذين اتبعوا المذهب الكاثوليكي يسمون نساطرة بل كلداناً كاثوليكيين ولا الأرمن براصمة بل أرمناً كاثوليكيين، فلو كان أحد المارونين هراتيكياً لسموا المنتسبين إليهم سرياناً كاثوليكيين لا موارنة . وهذا دليل واضح وقاطع وقد ذكره كثيرون من العلماء اللاتينيين .

الدليل بسيرة يوحنا مارون وتأليفه

إنَّ تاهمي الموارنة يزعمون سنداً إلى اوهام سعيد بن البطريرك أنَّ يوحنا مارون ابتدع بدعة المشيئة الواحدة، وهذا يستحيل عليهم إثباته إذ أجمع العلماء على أنَّ هذه البدعة كان أول ظهورها سنة ٦٢٨ م وأجمل كل من ذكروا يوحنا مارون أنَّه صير بطريركاً سنة ٦٨٥ م وتوفاه الله سنة ٧٠٧ م وقد مرَّ أنَّنا لو فرضنا أنَّه عاش ثمانين سنة لكان مولده سنة ٦٢٧ م قبل ظهور هذه البدعة بسنة واحدة اطفال يبدع بدعة؟ وإن قالوا إنَّه تلوَّث بهذه البدعة وتشبَّث بها بعد بلوغه فإليك رد قولهم . إنَّ كل ما أوردناه في عد ٧٠٩ في قداسة يوحنا مارون من شهادات العلماء والكتب القديمة لإثبات قداسته والتعديد له كسائر أصفياء الله القديسين وعرض صورته في الكنائس كصورهم وذكره في الرتب البيعية في جملة أسماء الملائكة الكاثوليكيين ككيرلس وفم الذهب وأفرام وغيرهم وإقامة القداس يوم عيده وتعازف الناس والعلماء الكاثوليكيين له قديساً وطوباًوياً، فكل هذه بل كل واحدة منها تثبت أنَّ يوحنا مارون براء من كل بدعة ولاسيما بدعة المشيئة الواحدة. وقد مرَّ أنَّ كثيرين من المؤرخين أثبتوا أنَّ الملك يوستينيانس الأخرم المغوي ببدعة المشيئة الواحدة والحامي عنها قد اضطهد يوحنا مارون وأرسل جنوداً للقبض عليه فأحرقوا دير القديس مارون ودكوه وزحفوا إلى هات طرابلس للقبض على البطريرك والتنكيل بقومه، فناصبهم الموارنة حرباً بارشاد

هذا البطريك وبقية ابن اخته الأمير ابراهيم. وقد ذكر كثيرون من أولئك المؤرخين أنَّ هذه الحرب كانت بسبب الدين ويؤيد ذلك حرق الدير ودكه فكيف يوفق هذا مع كون يوحنا مارون ورعيته من أصحاب بدعة المشيئة الواحدة التي كان يوستنيانوس يعنى بنشرها وتأبيدها. ثم إنَّ كلَّ ما أوردناه في عد ٧٠٧ و ٧٠٨ في تأليفات يوحنا مارون من تحقيقنا قوله في كتابه إيضاح الإيمان: «إنَّ للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية ولهما مشيئتان كاملتان وفعالان كاملان» وقوله «إنَّ الذي كان يتألَّم مثلنا كان له كما لنا أفعال خصوصية طبيعية وبشرية». ومن تصحيحنا ما جاء في فاتحة كتابه المذكور من أنَّه: «كان يرد مزاعم تلاميذ قورش بطريك اسكندرية الذين كانوا يعتقدون مشيئة واحدة تبعاً للملك ذلك الزمان. ومن إثباتنا له كتابه في شرح رتبة القداس وقد قال فيه قد تمثل تباع ديوسقورس من بلبلو مشيئتي ربنا وفعليه... وحققنا بشهادات آبائنا الأطهار التي جمعناها في كتابنا نقضاً لزعم من يلبلون طبيعتي ربنا ومشيتي ويخلطون خواصه وأرسلنا كتابنا إليكم». وقال فيه أيضاً: «كل من لم يعترف ويقول إنَّ ربنا اتَّحد بالجسد اتحاداً جوهرياً حفظت فيه طبيعته بخواصهما الإلهية والبشرية... فليكن محروماً». وقال أيضاً: «حاربها (أي الكنيسة) قورش الإسكندري واتباعه وبلبلوا مشيئتي ربنا وفعليه فبادوا وتبدوا كالدخان». فكل هذه الأقوال التي حققنا أنَّ يوحنا مارون كتبها لم تثبت فقط لإثباتاً جلياً براءته من بدعة المشيئة الواحدة بل تفنيده لها ومناضلة أصحابها أيضاً.

شهادة أعداء يوحنا مارون لبراءته من البدعة

إنَّ شهادة الخصم لخصمه لا مرد لها وقد أنبأنا الآثار وكتب اليعاقبة أنفسهم أنَّهم كانوا دائماً أعداء ليوحنا مارون والموارنة فشهادتهم لهذا القديس بينة دامغة فقد جاء في كتاب تعليمهم الذي كان محفوظاً في مكتبة مدرسة الموارنة برومة ما نصَّه بحروفه: «قام مارون (لا شك في أنَّ المراد يوحنا مارون كما هو بيّن من الكلام الآتي) ووافق ملك الفرنج وكان أوجان البرنس وقال له يا ملك الزمان نحن خائفون على جبل لبنان أن تديره طائفة الملكية إلى أمانتهم (يظهر منه أنَّهم كانوا يعتقدون حينئذ المشيئة الواحدة) فقل للكردينال الذي عندك أن يكرّسني مطراناً حتى أملك هؤلاء الناس على الأمانة الفرنجية والأمانة اليعقوبية لا أذكرها فكرّسه

مطرباً على البترون». وكان هؤلاء اليعاقبة يقذفون يوحنا مارون لأنه كان يعتقد طبيعتي المسيح ومشيتيه ويهزأون به كأنه يدّعي أنه أعلم من السيد المسيح فمن أقوالهم عليه في كتابهم المذكور: «إن مارون كان أعلم من السيّد المسيح بذاته وبسرّ اتحادهم متى سمعنا السيد المسيح قال إن لي طبيعتين ومشيتين» ويذكرون اسمه مصغراً تحقيراً له فمن أقوالهم في هذا الكتاب: «عندما وصل تملك الملكية إلى قرية اسمها أميون ارتفع ميورين وابن اخته بريهم عن الملكية إلى سمر جبيل وحماهم من الجزية التي فرضها الملكية». وقالوا في الكتاب المذكور أيضاً «ما رضيت الطوائف أن يؤمنوا حتى قلتهم أنتم يا موارد طبيعتين ومشيتين» طالع كتابي روح الردود ومن صفحة ١٤٧ إلى ١٥٧ في أقوال اليعاقبة هذه في كتاب تعليمهم وفي مؤلف هذا الكتاب الذي أثبتنا أنه ليس ليعقوب البردعي تبعاً لما حققه السمعاني في مجلد ٢ صفحة ٦٨ من مكتبته الشرقية، ثم عزاه في مجلد ٢ من مكتبته الشرقية صفحة ٤٦٨ إلى نوح البقوفاوي اللبناني بطريك اليعاقبة.

شهادة العلماء المحققين

استشهدنا في عد ٧٠٩ لقداسة يوحنا مارون بأقوال الأب كوارسميوس في الكتاب الأوّل من مؤلفه في وصف الأرض المقدّسة وشيواريس في كتاب رحلته إلى أورشليم وكركلس برتلمائوس في كتابه السنكساري الروماني والبولنديين في المجلّد الرابع لشهر تموز والأب لكويان في المجلّد الثالث من كتابه المشرق المسيحي والأب ايرونيوس دنديني في كتاب بعثته إلى لبنان ودي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية والكردينال أورسي في تاريخه لسنة ٦٣٦م وباجيوس في حواشيه على تاريخ بارونيوس لسنة ٦٣٣م. فكل هؤلاء شهدوا لقداسة يوحنا مارون وبأولى حجة براؤه من بدعة المشيعة الواحدة ونزید عليهم أيضاً الأب روهـر بخر في تاريخه لسنة ٦٣٨ حيث قال: «إن يوحنا الفلادلفي الذي أقامه القديس مرتينس البابا نائباً للكرسي البطريركي الرسولي في المشرق سرّه ما بلغه من أن الموارد استحوذوا على جبل لبنان وما كان من أنطاكية إلى أورشليم فلـكي لا يحرموا من المساعدات الروحية أقام له يوحنا مارون راهب دير القديس مارون على العاصي أسقفاً عليهم». وقد برأ

علماء الموارنة يوحنا مارون من هذه التهمة بل أثبتوا قداسته وقد ذكرنا بعضهم آنفاً وأبناً ما اعتمدوا عليه في أقوالهم منهم جبرائيل اللحفدي أسقف نيكوسية بقبرص في محال كثيرة من تأليفه وإبراهيم الحاقلي وجبرائيل الصهيوني الإهدني والبطريك أسطفانس الدويهي في كتاب احتجاجه عن الموارنة ومرهج بن نمرون الباني في كتابه في أصل الموارنة واسمهم ودينهم ويوسف سمعان السمعاني في محال كثيرة من مكتبته الشرقية وفي مجلد ٢ فصل ٢٠ من مكتبته في الناموس ويوسف ولويس السمعاني في كتابهما في الرتب البيعية وأسطفانس عواد السمعاني في كتابه في أعمال الشهداء الشرقيين والغربيين وفي كتابه في قداسة يوحنا مارون والأب بطرس مبارك اليسوعي الماروني والبطريك يوسف أسطفان في كتابه في قداسة يوحنا مارون في فصول شتى والخورى أنطوان قبالة في رده كراسة القس يوحنا عجمي وأخيراً العلامة البطريك بولس مسعد في رده المنظوم. وما أحسن ما قاله البطريك يوسف أسطفان (في قسم ٣ فصل ٤ من كتابه في قداسة يوحنا مارون) في درّه زعم من يقول إنّ الموارنة لا تقبل شهادتهم لبطريك طائفهم فقد قال ما ملخصه «لَمْ يصدق مؤرخو فرنسة وإسبانيا وإيطاليا وأستراليا وبلاد الروم في أخبار بلادهم وقبائلهم ولا يصدق الموارنة في رواية أخبار بلادهم ورؤسائهم، ولو صحّ مبدأ الخصوم لم يبق تاريخ يعتمد عليه. ونرى المحققين يؤثرون الاعتماد في تواريخ كل قبيلة على ما كتبه علماؤها فضلاً على ما كتبه الأجانب عنها لزيادة الخبرة في الوطني على الأجنبي ولا يتصور البتة أنّ علماء كثيرين كمن ذكرناهم من الموارنة ومنهم أساقفة وبطاركة يتواطئون على نشر الكذب وعلى استنباط أخبار لم يتلقوها عن قدامتهم وعليه فشهادة علماء الموارنة في تاريخ بطريركهم هي أهل للتصديق كشهادة غيرهم. ولا سيما أننا ذكرنا شهادة كثيرين من اللاتينيين تطابق شهادتهم. إنّ لنا شهوداً آخرين كثيرين يتبيّن لأوّل نظرة أنّ شهادتهم سلبية وهي بالحقيقة وضعية موجبة، فإذا حدثت مثلاً جريمة وشهد شاهدان عدل أنّ زيداً اقترفها وشهد مئة شاهد على أنّهم لم يروه اقترفها حكم بشهادة الشاهدين وردت شهادات المئة شاهد لأنّها قامت على السلب أو النفي، لكن الحكم على زيد بأنّه الفاعل تبرئة من الجريمة لكل من سواه وتكون هذه التبرئة وضعية موجبة لا سلبية. وكذلك في مبحثنا فقد عقدت مجامع للفحص عن بدعة المشيئة الواحدة ومبتدعيها وكتب تاريخها وغيرها من البدع علماء كثيرون وقضت تلك المجامع وأولئك العلماء أنّ

مبتدعيها إنما هم سرجيوس وبيرس وبولس وبطرس بطاركة قسطنطينية وقورش بطريك اسكندرية ومكدونيوس ومكاريوس بطريكاً أنطاكية وتوادورس أسقف فاران ببلاد العرب وأثناسيوس بطريك اليعاقبة وبعض الكهنة الحازيين لهؤلاء ولا ذكر لمارون أو الموارنة في واحد من كتب تلك المجامع أو أولئك العلماء وهذا تبرئة قاطعة للمارونيين والموارنة .

وليك هذا البرهان مبسوطاً قد عقد لنبد بدعة المشيئة الواحدة مجمع في أورشليم سنة ٦٣٤م عقده البطريرك صفرونيوس ومجمع آخر فيها سنة ٦٤١م ومجمع في قبرص سنة ٦٤٣م وأربعة مجامع في هذه الحقبة في إفريقية اهتم بها القديس مكسيمس لمناسبة بيروس بطريك قسطنطينية ومجمع في رومة سنة ٦٤٦م دعا إليه البابا توادورس ومجمع آخر فيها سنة ٦٤٩م عقده القديس مرتينس البابا ومجمع في مديولان سنة ٦٧٩م ومجمع آخر في رومة سنة ٦٨٠م ثم عقد المجمع السادس المسكوني سنة ٦٨٠ إلى سنة ٦٨١م والمجمع المعروف بمجمع قصر الملك سنة ٦٩٢م ومجمع آخر في قسطنطينية سنة ٧١٢م تاييداً لهذه البدعة ومجمع آخر فيها سنة ٧١٥م دفعاً لها ولا أثر في كتب هذه المجامع كلها كاثوليكية أو غير كاثوليكية لمارون أو الموارنة . وكان من الأخبار الأعظمين مذ نشأت هذه البدعة إلى حين وفاة يوحنا مارون أنوريوس الأول واسفارنيس الثاني ويوحنا الرابع وتوادورس ومرتينس الأول وأوجانيوس وقيتاليوس ودوداتس ودونس وأغاتون الذي عقد المجمع السادس ولاون الثاني الذي أثبتته وبناديكتس الثاني ويوحنا الخامس وقنون وسرجيوس الذي أثبت يوحنا مارون بطريكاً ويوحنا السادس ويوحنا السابع الذي توفي في أيامه البطريرك المذكور ولا نرى أثراً في رسائلهم أو براءاتهم أو كتبهم لمارون أو الموارنة وترى فيها متواتراً ذكر مبدعي هذه البدعة وانصارها كما ذكرناهم .

وكان في زمان ظهور هذه البدعة وانتشارها علماء كثيرون منهم القديس مكسيمس المعتترف البطل الكمي في مقاومتها والقديس صفرونيوس بطريك أورشليم وقد ذكر في تأليفه أصحاب هذه البدعة ثم أندراوس المعروف بواضع القوانين ويوحنا الفيلاذلفي نائب الكرسي الرسولي في بطريكتي أنطاكية وأورشليم وقبله أسطفانس أسقف دورا (الطنطورة) . وبعد انتشار هذه البدعة يوحنا الدمشقي وقد عدد في كتبه البدع والمبدعين، وبولس الشماس وتوفان في القرن الثامن وقد

ذكر غزوات المردة وسطوتهم، وأنسطاس المكتبي في القرن التاسع وقد ذكر غزوات الموارنة ولانسيوس في القرن العاشر وشدرانس في القرن الحادي عشر وزوناراس في الثاني عشر وقد ذكرا صولة الموارنة ونيكوفور كاليستس في الرابع عشر وقد عدد بدع المشرق وغير هؤلاء كثيرون ولا ترى خطية في كتبهم أجمع تشير إلى أن مارون أو الموارنة أبدعوا في بدعة أو تشبثوا بها فيا لأمر عجيب غريب لا يعرف له في التواريخ مثيل أن يبدع مارون أو الموارنة بدعة ولا يظهر لهم أثر يشير إلى ذلك في الجامع أو رسائل الأحرار الأعظمين أو كتب العلماء في قرون كثيرة كما رأيت .

بطلان ما يرد على ذلك

أجل ورد أثر لذلك في كتاب سعيد بن بطريق البطريرك الملبكي الإسكندري في منتصف القرن العاشر وهو قوله الذي ذكرناه أكثر من مرة وابنا بطلانه ولاسيما أنه زعم أن مارون كان في أيام موريق الملك وهو كان في أيام أركاديوس وبينهما نحو من قرنين، وأن مارون ابتدع بدعة المشيعة وهي لم تظهر إلا في سنة ٦٢٨م، فكان مارون قبلها بأكثر من قرنين بل قد فُتد بناديكتس الرابع عشر نفسه قوله كما رأيت في منشوره بالعدد السابق وقد نفعتنا ابن البطريق بقوله بعد موت مارون بنى أهل حماه ديراً له على العاصي فكان كلامه تبرئة ليوحنا مارون لأن هذا الدير بني على اسم مارون قبل يوحنا مارون بأكثر من قرنين كما رأيت ذلك في منشور البابا بناديكتس الرابع عشر. وكذا يصدر الله من الشر خيراً فكلام ابن البطريق في مارون فرية وتهمة وقوله الآخر في بناء الدير تبرئة ليوحنا مارون من تلك التهمة .

وورد قول آخر لغوليلمس أسقف صور (في تاريخ الحرب ك ٢٢ فصل ٨) قال فيه إن الموارنة: « تشبثوا بضلال مارون نحو خمس مئة سنة، ثم أقبلوا عنه بالإلهام الإلهي . . . وكان ضلالهم أن في الخُلص مشيعة واحدة وفعلوا واحداً كما يظهر من الجمع السادس الذي عقد ضدهم وحرّموا فيه » وقد انتحل غوليلمس هذا الكلام عن سعيد بن البطريق بدليل أنه قال في فاتحة كتابه « أُلّفنا تاريخاً ينسب إلى خمس مئة وسبعين سنة . . . واقتفينا بشهادة الرجل المحترم سعيد بن بطريق البطريرك الإسكندري » فكلامه إذاً مبني على شهادة سعيد الباطلة وما بني على الباطل باطل

ويظهر أنَّ غوليلمس التقف كلام سعيد دون ترو أو تحز يدُّنا على ذلك قوله إنَّ المجمع السادس عقد ضد الموارنة وقد حرمهم، ولو طالع أعمال المجمع السادس ولاسيما ترجمتها اللاتينية لأدرك أنَّ المجمع السادس حرم سرجيوس وبيرس إلى آخر من ذكرناهم آنفاً لا مارون أو الموارنة الذين ليس في المجمع المذكور خطة تشير إليهم ويكفيها مؤونة الرد لزعمه قول البابا بناديكتس الرابع عشر في منشوره الذي أثبتناه آنفاً: «لأنَّ أصحاب الرأي المضاد (للموارنة) يوردون شهادة غوليلمس أسقف صور (وعين المحل الذي ذكرناه) على أنَّ شهادة غوليلمس لا تكفي لتأييد الرأي المضاد للموارنة ولربما عرف غوليلمس نفسه ضعف قوله، ولذلك عزاه إلى المجلد الثاني من تاريخ سعيد البطريك الإسكندري، وسوف نسهب الكلام إن شاء الله في رد زعم غوليلمس هذا في تاريخ القرن الثاني عشر. وإلى حينه طالع كتاب الدر المنظوم للعلامة البطريك بولس مسعد صفحة ١٥١ وما يليه. وكتابنا روح الردود من صفحة ١٢٣ إلى صفحة ١٣٢.

قليل إنَّه جاء في ترجمة عربية لأعمال المجمع السادس اسم مارون في جملة من تلوثوا بهذه البدعة؛ فإنَّ صبح هذا القيل كان زيادة من زيادات أعداء الموارنة على بعض الكتب ولا عبرة له البتة لأنَّ الأصل اليوناني والترجمة اللاتينية لا أثر فيها لاسم مارون كما حقَّق البطريك يوسف أسطفان في كتابه في قداسة يوحنا مارون قسم ٣ فصل ١ وكذا لا عبرة لأقوال كثيرين من الحدباء الذين انخدعوا بقول سعيد بن البطريق وغوليلمس الصوري لعدم ترويههم، وقد خالفهم في ذلك كثيرون من الأبحار الأعظمين والعلماء المحققين. راجع ما ذكرناه في تاريخ الموارنة في القرن السادس.

عد ٢٠

براءة الموارنة من بدعة المشيئة الواحدة

لأنَّ كل ما ذكرناه في براءة القديسين مارون ويوحنا مارون من بدعة المشيئة الواحدة هو حجج قاطعة لبراءة الموارنة من هذه البدعة لأنَّ جميع من اتَّهموا الموارنة بها زعموا أنَّهم تابعوا عليها مارون أو يوحنا مارون، فإذا قوض الأساس أصبح بناء هذه التهمة في الجو ولا أساس له فيسقط لا محالة وكان لنا أن نكتفي بهذه

الحجج لكننا لا نكتفي بها بل نزيد عرضنا إثباتاً بشهادة الأبحار الأعظمين والعلماء المحققين وبايراد بعض اعتبارات تاريخية تؤيد هذه البراءة .

شهادات الأبحار الأعظمين

قد جمعنا في كتابنا روح الردود الذي طبع سنة ١٨٧١م بالعربية واللاتينية كل ما تشنى لنا الوصول إليه من شهادات الأبحار الأعظمين المثبتة استمسك الموارنة في كل وقت مذ نشأتهم إلى الآن بعري الإيمان الكاثوليكي وعدم زيغان امتهم عنه، وأوردنا أقوالهم اللاتينية وترجمتها العربية. فنورد الآن بعض هذه الشهادات فمنها رسالة البابا أينوشنسيوس الثالث سنة ١٢٠٧ إلى بطريرك الموارنة التي يثبت له فيها حقوق البطريركية الأنطاكية، ورسالة البابا اسكندر الرابع في منتصف القرن الثالث عشر التي يوصي بها بطريرك الموارنة ان يعتد الإفرنج الذين لبثوا في سورية كشعبه. وقال البابا لاون العاشر في رسالته إلى البطريرك سمعان الحداثي في ١ آب سنة ١٥١٥م: «إلك وشعبك ترون رأياً قوياً في الإيمان بل تجهدون نفوسكم كثيراً بالأصوام والخصال الحميدة والتقشف ومبرة السيرة؛ وهذا قد أطلعنا عليه في رسائلكم التي تولانا بتلاوتها السرور والبهجة وطابت باستماعها نفسنا وملئ فؤادنا فرحاً لا يوصف، فتحتم علينا أن نحمد الله ونشكره ما قدرنا على ما أسبغه عليكم من نعمة إذ اصطفاكم من بين الكنائس الشرقية لتعبده مؤمنين مصونين من الغرق في لجة الكفر والنوائب كما صين الورد من الشوك ليتمجد بذلك اسمه القدوس ولتكونوا عبرة صالحة لرجوع غير المؤمنين بمحافظتكم على عادات الكنيسة الجامعة الرومانية وربها بنقاوة دون خوف ولم تزيغوا عن محبة الإيمان القويم مع تواتر تيار الضنك والإضطهاد المزمجر به غير المؤمنين والهراطقة والمشاقون باغضبو اسم مخلصنا كما علمنا من رسالتكم ورسالة الأب فرنسيس سوريان (قاصده عند الموارنة) المار ذكره، بل تزدادون قوة وثباتاً في تحمّل المصائب والتعبير حباً بالله) ومما قاله له في هذه الرسالة «لأنا فهمنا من براءات اينوشنسيوس (الثالث) واسكندر (الرابع) المذكورين الصالحي الذكر ان أرميا الذي يسمى بطريكاً أنطاكياً أدى فروض الطاعة كما اعتاد البطارقة تأديتها للكرسي المقدس في مدينة طرابلس بحضرة المطارنة

والأساقفة على يد بطرس الكردينال كاهن كنيسة القديس مرسلّس ذي الذكر الصالح» .

وقال البابا بيوس الرابع في براءته إلى البطريرك موسى العكاري في ١ أيلول سنة ١٥٦٢م: «قد علمنا من رسالتكم ما لكم من التوقير السامي والتجلة والتعلق الشديد بكرسي بطرس زعيم الرسل وثباتكم وثبات أمتكم في التشبث بعري الإيمان الذي تعلمه الكنيسة المقدّسة الرومانية فنهنيك وأمتك ونسدي الشكر لرأفة الله من صميم فؤادنا لأنّه استبقى له في هذه الأمصار القاصية ألوفاً كثيرة لم تحنّ ركبها لباعال ولم يرؤعها ثقل نير غير المؤمنين لتبعد عن الإيمان القويم ولم يعثّ بها قربها من الهرطقة والمشايق ولم يستطع أن يفصلها عن الكنيسة الكاثوليكية». وقال البابا غريغوريوس الثالث عشر في براءة إنشائه مدرسة للموارنة في رومة سنة ١٥٨٣م: «إنّ الملة المارونية القاطنة في جبل لبنان ما فتئت مذقرون شتى متمسكة بالإيمان الكاثوليكي مزدانة بصنوف الطاعة والانقياد للكنيسة الرومانية المقدّسة ولو أحدثت بها الملل الأرائيكية وغير المؤمنين». وقال البابا اكليمنضس الثامن في رسالته إلى البطريرك سركيس الرزي في ١ نيسان سنة ١٥٩٥م: «أما أنت أيّها الأخ المحترم فنعانقك وأمتك معانقة مودة خاصة وحب فريد لاتحادكم بنا بوثاق المحبة وقيامكم أمامنا بالروح كل وقت مع بعدكم عنا بالجسد بعداً شاسعاً، وقد استحققتم أن تنزلوا عندنا منزلة الأبناء الأعزاء جداً لثبوتكم في الإيمان الكاثوليكي وخضوعكم الفريد للكرسي الرسولي المقدّس ولم تبحوا على عادة أسلافكم الحميدة تجاهرون بالطاعة المتوجبة لامكم وأم جميع المؤمنين ومعلمتهم الكنيسة الرومانية المقدّسة وتحفظون بنعمة الله السابغة عليكم الإيمان الذي أخذتموه عن الكنيسة الرومانية كاملاً سالماً وان احاطت بكم أمم غير مؤمنة وبدع المشايق». وكذلك قال البابا بولس الخامس في رسالته إلى البطريرك يوسف الرزي في ١٣ كانون الآخر سنة ١٦٠٦م: «نسأل أيّا المراحم الأزلي أن يفيض الخيرات السموية عليكم وعلى سائر الإخوة الأساقفة والأبناء الأعزاء الإكليروس والشعب، لأننا نراكم مزهرين بنعمة الله كالورد بين الأشواك». وقال مثل ذلك في رسالته إلى الموارنة في ٢٨ كانون الأوّل سنة ١٦٠٨م .

وأجاد بمثل هذا التقريظ البابا اوربانس الثامن في رسالته إلى البطريرك يوحنا

مخلوف في ٣٠ آب سنة ١٦٢٥م قائلاً في الموارنة: «لم يذبل جمال الكرمل ولم يذو مجد لبنان ولو مدَّ العدو الباغي إليه يداً». ومشبهاً إياهم: «بجبل صهيون يزدرون الزعازع. إذ وعده الرب أنه لن يتزعزع إلى الأبد». ومثل ذلك قال البابا اكليمنضس الحادي عشر في رسالته إلى البطريرك اسطفانس الدويهي في ٧ شباط سنة ١٧٠٢م وفي رسالته إلى البطريرك جبرائيل البلوزوي في ١٠ حزيران سنة ١٧٠٥م وفي رسالته إلى البطريرك يعقوب عواد في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٧٢١م ومثله كتب البابا اينوشنسيوس الثالث عشر إلى البطريرك المذكور في ١٢ شباط سنة ١٧٢٣م والبابا اكليمنضس الثاني في رسالته إلى البطريرك يوسف ضرغام الخازن في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م مشبهاً الموارنة بوردة بين الأشواك وبصخرة صلدة تزدرى بتيار بحر هذا العالم. وقد أثنى البابا بناديكتس الرابع عشر العلامة على الموارنة في رسائل وبراءات كثيرة نخص منها بالذكر خطبته بكرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م حيث قال: «إنَّ الموارنة كانوا دائماً كما هم الآن كاثوليكيون للغاية مرتبطون بالاتحاد بهذا الكرسي المقدس ومودون الإحترام والطاعة الكاملة لبطريركهم والخبر الروماني». واستطرد إلى ذكر ما قرظهم به أسلافه مما مرَّ بنا ذكر بعضه واجاد بمثل ما مر البابا اكليمنضس الثالث عشر في منشوره إلى الأعيان والإكليرس والشعب الماروني في ١٩ حزيران سنة ١٧٦٧م والبابا اكليمنضس الرابع عشر في رسالته إلى البطريرك يوسف أسطفان في ١٠ تشرين الأوّل سنة ١٧٧٠م والبابا بيوس السادس في رسالته إلى المطارين والأساقفة والإكليرس والأعيان والشعب في ١٧ تموز سنة ١٧٧٩م والبابا بيوس السابع في رسالته إلى البطريرك يوحنا الحلو وأساقفته في ١ تشرين الثاني سنة ١٨١٦م وفي رسالته إليهم في ٢٠ أيار سنة ١٨١٩م والبابا بيوس الثامن في رسالته إلى البطريرك يوسف حبيش في ١١ ك ٢ سنة ١٨٣٠م والبابا غريغوريوس السادس عشر في رسالته إلى البطريرك المذكور في ١٤ تموز سنة ١٨٣٢م. ومثل ذلك كتب البابا بيوس التاسع في رسائل عديدة إلى البطريرك بولس مسعد وقد كتب إلى حقارتي في ٢٩ آب سنة ١٨٧٢م: «إنَّ إيمان طائفتك الذي لم يشبه دنس وطاعتهم المستمرة لهذا الكرسي المقدس التي دافعت عنها بصواب في محل آخر (أي في روح الردود) وبرأتها من الشبهات ... كل ذلك كان له عندنا أحسن قبول». وفريد عصره وزينة دهره البابا لاون الثالث عشر المالك سعيداً في كثير من رسائله

وخطبه، من ذلك ما قاله في خطبته في تثبيت البطريرك يوحنا الحاج وهو: «إنّ الموارد منتشرون في أنحاء لبنان ... وهم أمة اشتهرت بالوقائع الجليلة لكنها امتازت خاصة بالثبات الذي حفظت به الإيمان الكاثوليكي صحيحاً سالماً في بهرة امتحانات ومصاعب كثيرة». وقال في رسالته إليه في ١٧ آذار سنة ١٨٩٥م: «إنّ ما كتبه حديثاً عن إيمانك وإيمان أمتك غير المتزعزع وعن طاعتكم السامية لهذا الكرسي الرسولي قد كان ساراً لنا للغاية فإنّ هذه الأمور وإن كانت واضحة لدينا من ذي قبل لإعادة ذكرها تطربنا كثيراً». إلى أن يقول: «إنّ الإيمان الذي حفظته ملتكم الشريفة سالماً كاملاً غير منثلم لا يدعنا نرتاب في أنكم وإن لم تحضروا في اجتماعاتنا مع الإخوة المحترمين البطارقة الشرقيين تدعون لكل ما رسم في الرسائل الرسولية» وقد كتب إلى حقارتي في ٢٢ آب سنة ١٨٧٨م: «قد سررنا بما ابنته أيها الأخ المحترم عن طاعتك وإجلال الموارد لهذا الكرسي الرسولي فتعلق الموارد بهذا الكرسي الرسولي في كل وقت كان شديداً وما قاسوه من الحن الثقيلة من أجل هذا السبب بمكر أعدائهم كان عظيماً ولكن أعظم من ذلك عدوة لدينا ما يبدونه لنا من مظاهر التكريم».

فشهادة كل هؤلاء الأحرار الأعظمين في بحث ديني بحث لا تقوم أمامها شهادة العلماء والمؤرخين أيّاً كانوا، وهي أكثر من كافية، ومع ذلك لا تقتصر عليها بل نورد شهادة العلماء المحققين.

نؤثر أن نورد أولاً شهادات كرادلة الكنيسة الرومانية لتيقن صدقهم ومخبرتهم قريهم من مركز وحدة الإيمان، فلشهادتهم المحل الثاني بعد شهادة الأحرار الأعظمين. قال الكردينال بنديني في رسالته إلى البطريرك يوحنا مخلوف في ٣٠ تموز سنة ١٦٢٥م مخبراً عن طبع بعض كتبنا البيعية في رومة: «بعد البحث الجهد في هذه الكتب ومطالعة لاهوتين آخرين لها عرضنا نتيجة فحصها على الآب الأقدس فتولاه سرور لا يوصف لأنّ الله تنازل بحنوه الوافر أن يحفظ عندكم إيمان الكنيسة الرومانية كاملاً سالماً من الفساد وإن كنتم بعيدين عنها وبينكم وبينها أصقاع وبحور وإن احدث بكم من كل جانب أعداء كثيرون لهذه الكنيسة». وقال الكردينال يوليوس ماريّ دلا صوماليا رئيس مجمع نشر الإيمان المقدّس في رسالته إلى البطريرك يوسف حبيش في ١٤ آب سنة ١٨٢٤م: «إنّ سرور الآب الأقدس البابا لاون الثاني عشر لدى مطالعته إيضاحات طاعتكم الإبنية وتعلقكم الشديد بكرسيه

ومظاهر البهجة التي أبدىتموها تهنئة له بارتقائه إلى كرسي القديس بطرس كان سامياً وعظيماً كعظمة ثبوت الأمة المارونية على ممر الأيام في حفظ وديعة الإيمان من غير دنس وقيامها على الإتحاد بالكرسي الرسولي الروماني المقدس من دون انفصال في وقت من الأوقات» ورغبة في الإيجاز تقتصر على شهادة أخرى حديثة لكنّها صريحة وقاطعة وهي شهادة الكردينال لودوكسكي رئيس مجمع نشر الإيمان المقدس الآن في رسالته إلى البطريرك يوحنا الحاج في ١٨ شباط سنة ١٨٩٥م حيث قال إنّ رسالتكم إلى الأب الأقدس هي: «على غاية من اللياقة بحبر شريف ورئيس الكنيسة والأمة المارونية المجيدة التي كانت متحدة في كل وقت وبكل إخلاص بكرسي القديس بطرس المعصوم من الغلط وقد عرفت أن تحافظ على الإيمان الكاثوليكي المقدس في المشرق وتدافع عنه في كل عصر من أعصر الكنيسة بل ان تساعد مساعدة فعالة على ارتجاع غيرها من الطوائف الشرقية إليه من ذلك على سبيل المثل مساعدتها على رجوع السريان والروم الملكية في القرن الماضي».

وبعد شهادة الكرادلة نثبت شهادات بعض من أرسلهم الكرسي الرسولي إلى المشرق لمهام دينية أو أدبية وأقاموا سنين متطاولة بين الموارنة فمن هؤلاء الأب فرنسيس سوريانس وقد أقام مدات بين الموارنة قال في عريضة رفعها إلى البابا لاون العاشر سنة ١٥١٤م: «إنّ الموارنة أجمع محافظون بلا ريب على وديعة الإيمان القويم ومتشبهون بعراه ويؤدون كنيسة رومة المقدسة عظيم التكريم كالأبناء الصالحين المتعبدين ولم يزيغوا في وقت من الأوقات عن شيء مما يخص خلاص النفوس». ونسخة من هذه العريضة محفوظة في خزانة بطريركية الموارنة أتى بها من رومة القس بطرس الماروني رسول البطريرك سمعان الحدّثي إلى البابا لاون العاشر.

ومن هؤلاء أيضاً الإلب إيرونيمس دنديني اليسوعي وقد أرسله البابا اكليمنطس الثامن إلى الموارنة وعقد رؤساؤهم بحضرته مجمعهم سنة ١٥٩٥م فهذا قال في فصل ١٩ من كتاب سفارته هذه متكلماً في يوحنا مارون وكان يرى أنّه مضى إلى رومة وهذه ترجمة قوله: «وعاد منها بطريركاً على أولئك المؤمنين الذين ما انفكوا أمناً ثابتين في الدين الكاثوليكي وما فتثوا من تلك الأيام إلى الآن يؤدون الكرسي الرسولي الروماني فروض طاعتهم». وقال في فصل ٢٧ من هذا الكتاب متكلماً عما يتهم الموارنة به: «قد بذلت أعظم الإهتمام باحثاً عن ذلك بنفسي ومتخذاً وسائل أخرى مدققة فلم أجد ما يدل على ذلك البتة...»

وأدركت جيداً أن ما ذلك إلا تهمة رشقوا بها وما نسبة ذلك إليهم إلا من أقطع الكذب» ومن هؤلاء الاب عبد الأحد أنطونيوس دي لوكا من رهبان القديس فرنسيس فإنه قال في خطبته في ٦ نيسان سنة ١٧٦٧م بحضرة البابا اكليمنضس الثالث عشر والكرادلة ولقيف من الطوائف الشرقية بمعرض تثبيت البطريرك يوسف اسطفان وهاك قوله: «أيها الأب الأقدس إن ما أثبته البابا بناديكتس ١٤ سالف قداستكم متكلماً في أصل السريان الموارنة وإيمانهم وهو «إن الموارنة كانوا كل حين كما هم الآن كاثوليكين للغاية ومتحدين أكمل اتحاد بهذا الكرسي المقدس». فهذا يشهد به إخوتنا أيضاً وهم ما زالوا يشغلون بحسب طاقتهم في كرم الرب بسورية وفلسطين منذ زمان أيينا الأقدس فرنسيس حتى اليوم وأشهد به أنا أيضاً وقد باشرت الرسالة الرسولية في تلك الأصقاع سنين متطاولة على أنه ما حاجتنا إلى شهود وقد سمعنا في هذا النهار بطرس الرسول الذي أسس الكنيسة الأنطاكية مجتازاً بها وخلف لهذا الكرسي الروماني الرفيع السلطان الرسولي الذي قبله من الخلف متكلماً بضم قداستكم بتقريظ سام ومشرف ليوسف بطرس المنتدب بطريركاً أنطاكياً ولأتمته الموما إليها» .

ومن شهادات باقي العلماء والمؤرخين نقتصر على إيراد شهادات من يأتي ذكرهم قال الأب يوسف بيسون اليسوعي في كتابه في سورية المقدسة: «إن الأئمة المارونية كلها مسيحية، كلها كاثوليكية منذ اثني عشر قرناً». يريد بذلك من أيام القديس مارون الذي انتقل إلى ربّه في أوائل الخامس إلى القرن السابع عشر الذي كان فيه المؤلف . وقال الأب بريسيسوس الكبوشي في حواشيه على مختصر تاريخ بارونيوس لسنة ٤٠٧م وهذا الكتاب طبع في رومة سنة ١٦٥٣م وهاك قوله ملخصاً: «لا ذكر في التواريخ القديمة للبيعة ولا في المجامع العامة أو الخاصة أنه كان رجل أراتيكي في أحد الأعصار اسمه مارون وليس من عادة المجامع الصمت عن ذكر المبدعين والبدع وحرّمها فقد ذكر فيها الأراطقة فرداً فرداً ولم نجد ذكراً لمارون أراتيكي في مجمع أو تاريخ، وليس من دأب المؤرخين أن يغفلوا عن أمر كهذا فقد عدد نيكوفورس المؤرخ في تاريخه اليوناني المبتدعين الشرقيين كافةً واحداً فواحداً ولم يأت بذكر مارون أو الموارنة وإن قيل أن ذلك ورد في الترجمة العربية للمجمع السادس وفي تاريخ سعيد بن بطريق وغيره من الملكية ومن نقل عنهم قلنا تلك زيادة من زياداتهم على المجامع وكذبها بين أعمال المجامع اليونانية

لم ينحرفوا قط عن محبة الدين الكاثوليكي ولم ينفصلوا عن الكنيسة، وزادوا على ذلك انهم كانوا جددوا اتحادهم بالكنيسة الرومانية وقتاً ما، فلا ينبغي ان يتأول ذلك بمعنى انهم غادروا الدين الكاثوليكي ثم عادوا اليه.

وجاء في كتاب اسطفانوس عواد السمعاني في محاماته عن يوحنا السرومي وهو يوحنا مارون، ان الياس مطران قبرص كان يروم التملص من سلطة بطريرك الموارنة والاستقلال بسلطته محتجاً بما خوله المجمع الافسسي (في عمل ٧ قسم ٢) لمطارنة قبرص من الاستقلال عن بطريرك انطاكية في ترقية اساقفتهم الى الاسقفية، فحسب منشقاً عن بطريركه ومتحداً مع تيموتائوس مطران النساطرة، فالجئ الى ان يتلو دستور ايمانه بحضرة اندراوس رئيس اساقفة رودس. ومهما يكن من امره فهو فرد ورعيته في قبرص فريق يسير من الموارنة، فمن لا يقنعه كلما اوردناه من الادلة لا يسوغ له ان يعيب الملة كلها بعمل بعض افرادها، كما لا تعاب الكنيسة اللاتينية بالكثيرين الذين خرجوا عن طاعتها وعصوها.

لا نشاء ان نختتم هذا الفصل دون ان نذيله بما كتبه العلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٢٣) متكلماً في براءة البابا اوجانيوس الرابع في شأن اقرار تيموتائوس مطران الكلدان واسحق قاصد الياس مطران قبرص على الموارنة بالايمان حيث ذكر السمعاني فقرة من البراءة المذكورة قال فيها البابا: «لا يجسرنَّ احد من الشعب والاكليروس من الآن وصاعداً ان يدعو مطران الكلدان واسقف الموارنة المذكورين وشعبيهما واكليزسهما هراطقة او ان يسمى الكلدان نساطرة، ومن خالف امرنا هذا نأمر اسقفه ان يحرمه الى ان يصنع الترضية الكافية أو يغرم بجزء آخر زمني يراه الاسقف». واردف السمعاني ذلك بقوله: انظر الى الفرق الذي وضعه البابا بين اسمي الموارنة والنساطرة. فلما كان الموارنة لم يأخذوا اسمهم عن مبتدع نهى عن ان يسموا هراطقة فقط. واما النساطرة فلما كانوا اخذوا اسمهم عن نسطور المبتدع نهى عن ان يسموا هراطقة ونساطرة، وهذا ما راعاه باجيوس إذ كتب عن الموارنة في تاريخ سنة ٦٣٥م عد ١٣ «بل ان تسمية هذا الشعب نفسها موارنة ينتج منها انهم لم يسموا بهذا الاسم نسبة الى مارون مبتدع، فإن العادة المستمرة في الشرق والغرب ان الهراطقة الذين يرجعون الى الايمان الكاثوليكي ان كانوا غربيين كاللوتاريين والكلونيين دعوا كاثوليكين، وان كانوا شرقيين فإن كانوا يعاقبة دعوا سرياناً وان نساطرة تسموا كلداناً ويفهم بذلك انهم سريان كاثوليكيون

قال فيها إنَّ المؤلّف صدق جاهلاً حالة المؤلّفين أعداء السريان الموارنة من كلامه الذي ذكره على أنَّ المؤلّف الفقيه صاحب المحاماة عن القديس يوحنا السرومي المسمى مارون أوّل بطاركة السريان الموارنة الأنطاكي المطبوعة في رومة سنة ١٦٦٩م (وهذه المحاماة هي للمطران اسطفان عواد السمعاني) قد أبان بأدلة لا يشوبها ريب وحجج كثيرة قاطعة أنَّ كنيستهم كاثوليكية مذ وجدت ولم تكن مشاقة أو أراتيكية قط في أحد الأوقات بل استمرت متمسكة دائماً بعرى إيمان الكنيسة الرومانية فالإيجاز المندوبون إليه في هذا المعجم لا يؤذن لنا أن نبين كل ما يلزم هنا من الأحداث وأن نكشف عن المكر الذي يستخدمه أعداء كنيسة السريان الموارنة هذه ولا أن نبين مستشعدين بأعمال سامية وفريدة كم للكنيسة الرومانية عند هؤلاء الموارنة من الحرمة والجلال وكم قلوبهم وعقولهم مفعمة بالبساطة المسيحية الحميدة. فنجتزئ بإقامة بعض بينات وثيقة جداً على إيمانهم وهي ثمة الفحص المدقق الذي أجراه الأبحار الرومانيون عن إيمان الموارنة المضطهد والموسع بأقبح التهمات المكربة. فمن هؤلاء البابوات بيوس الرابع في براءته إلى بطريركهم موسى: «ويعدد كثيرين من الأبحار الأعظمين الذين قرظوا إيمان الموارنة إلى أن يقول: «والحاصل إنَّ الأمر المؤكّد جداً والذي لا يشوبه ريب أنَّ كنيسة السريان الموارنة لم تنفصل قط عن الكنيسة الرومانية». وقال مثل ذلك الأب دومينيكس منسى المدقق الشهير في تنقيحه تاريخ نطاليس اسكندر عند ذكره قول تيموتاوس القس القسطنطيني وسنذكر كلامه في الرد على هذا القول، والعلامة يوحنا بلما مدرس التاريخ في مدرسة نشر الإيمان، ومدرسة الاكليروس الروماني في المجلد الثاني من دروس التاريخ البيعي صفحة ١٦٧. ونعدل اختصاراً عن ذكر كثيرين غير هؤلاء منهم كانيسيوس اليسوعي في مؤلفه في التعليم المسيحي وأنطونيوس بيسوين اليسوعي في كتابه الاستعداد للإيمان وباجيوس في كتابه الموسوم بسورية المقدسة وروهر بوخر في تاريخه البيعي للقرن السابع ومن ذكرنا شهاداتهم آنفاً إثباتاً لقداسة يوحنا مارون، وأضاف إلى شهادات كل هؤلاء شهادات العلماء الموارنة الذين ذكرنا أسماءهم وأسماء كثير من مؤلفاتهم في العدد السالف وأبنا أنَّ شهاداتهم لأمتهم ليست أقلّ قدرأً من شهادة غيرهم، وأي بحث تاريخي ورد في إثباته أكثر مما أوردناه من شهادات الأبحار الأعظمين والكرادلة والقصاص وهذا العدد الوافر من العلماء المحققين ونزيد على كل ذلك بعض براهين تاريخية .

براهين تاريخية

أولاً إنّ كل من اتّهموا الموارنة ببدعة المشيئة الواحدة زعموا أنّهم تابعوا على هذه البدعة أحد المارونين أو كليهما والحال أننا قد أثبتنا براءة المارونين منها بكل ما مرّ من الكلام فيهما ولاسيما شهادة الأحرار الأعظمين التي لا ترد فالموارنة إذأ براء خلا من هذه البدعة فكبرى هذا القياس ثابتة بما أوردناه من قولي سعيد بن بطريق وغوليلمس الصوري وهما وكل من شأنوا الموارنة بهذه التهمة لم يسندوها إلّا إلى أنّ مارون كان مبتدعاً ولم يبين أحد المتهمين أصلاً لهذه التهمة إلّا هذا، وهذا غير صحيح . فتهمتهم غير صحيحة .

ثانياً: قد مرّ في عد ٦٩٧ ان ما بدعة المشيئة الواحدة إلّا فرع من بدعة الطبيعة الواحدة أو نتيجة لازمة عنها، فالمشيئة والفعل خاصتان لازمتان للطبيعة فحيث وجدت طبيعة واحدة وجدت مشيئة واحدة وفعل واحد كما في الثالث الأقدس . وحيث وجدت طبيعتان وجدت مشيئتان وفعلان كما في المختص، وقد أثبتنا في العدد المذكور أنّ بدعة المشيئة الواحدة ابتدعها أصحاب الطبيعة الواحدة ولم يكن تسليمهم الموقوت بالطبيعتين إلّا خدعة حتى إذا اعتقد غيرهم المشيئة الواحدة خلعوا ثوب الرياء وعادوا يشبّون ضلالهم القديم بأنّ في المسيح طبيعة واحدة بضلالهم الحديث بأنّ فيه مشيئة واحدة، وقد حققت بينات لا ترد أنّ الموارنة أنفوا دائماً من بدعة الطبيعة الواحدة وانفصلوا عن أصحابها لا سيما السريان منهم أي اليعاقبة وقاسوا الاضطهاد لمدافعتهم عن الطبيعتين والمجمع الخلكيدوني حتى نال إكليل الشهادة ثلاثماية وخمسون راهباً من رهبان القديس مارون كما مرّ. ويوحنا مارون كتب كتابه إيضاح الإيمان رداً على أصحاب الطبيعة الواحدة وهذا الكتاب لا ينكره عليه أحد. وقد رأيت إقوال اليعاقبة عليه وعلى الموارنة وقد ذكر كثيرون من علمائهم أنّ أمة الموارنة تخالف أمتهم منهم ابن صليبا في كتابه في البدع وابن العبري في كتابه تاريخ الدول لسنة ١٦٩ للهجرة وهي سنة ٧٨٥ للميلاد حيث قال إنّ توافيلس الرهاوي كان يدين بدين الموارنة سكان لبنان (صفحة ٢٢٠ من طبعة الآباء اليسوعيين لهذا الكتاب) فلو اعتقد الموارنة المشيئة الواحدة بالمسيح لما أنفوا من اعتقاد الطبيعة الواحدة ولا عاذاهم كل من يقولون بها كل هذه العداوة ويؤيد هذا ما يأتي .

ثالثاً قد عثر الأب نو الافرنسي الذي ذكرناه مرات في لوندرة على كتاب قديم في عد ١٧٢١٦ في التاريخ يعزى إلى قيس الماروني الذي كان في القرن التاسع فأذاعه بالسريانية ثم نشر ترجمته الافرنسية هذه السنة ١٨٩٩م. ومما جاء فيه هذا التاريخ ما ذكرناه قبلاً وهو: « في سنة ٩٧٠ (يونانية توافق سنة ٦٥٩ م) وهي السابعة عشرة لقسطنت الملك ... في شهر حزيران أتى أساقفة اليعاقبة توادورس وسبكوت إلى دمشق وأقاموا جدالاً بحضرة معاوية في الإيمان مع رؤساء بني مارون وأفحم اليعاقبة، فأمر معاوية أن يدفعوا عشرين ألف دينار وأمرهم أن يلزموا الصمت ففجرت هذه العادة على أساقفة اليعاقبة كل سنة فكانوا يدفعون هذا الذهب إلى معاوية كي لا يرخي بهم يده فيضايقهم بنو البيعة. ومن كان يسميه اليعاقبة بطريقاً كان يوزع هذا المبلغ على جميع مساكن الرهبان والراهبات وغيرهم من أبناء مذهبه فيقدمونه كل سنة، وجعل نفسه **مؤلفاً** (وفُسر الكلمة بالعربية مكتوبة بالأحرف الكرثونية والعربية مرتخص) لمعاوية لكي يطيعه كل اليعاقبة خوفاً منه » انتهى مترجماً عن النص السرياني . فهذا الأمر يتبين منه جلياً أنَّ الموارنة كانوا يخالفون اليعاقبة في معتقدهم وانهم أفحموهم بالجدال على مذهبهم وإنَّهم كانوا على الأيمان القويم إذ سماهم المؤلف بني البيعة أي كاثوليكين، فاذاً كان الموارنة كاثوليكين يجادلون الهرطقة في القرن السابع . وقد نشر العالم بروكس في المجلة الأسبوعية الألمانية (سنة ١٨٩٦م صفحة ٢٦٩) كتاب تاريخ لعالم يعقوبي من حران أو الرها مجهول الاسم يتصل تاريخه إلى سنة ٨٤٦م ومما قال فيه: « وبعد أن ملك أبسيمانر ثلاث سنين عاد يوستنيانوس من المنفى في جيش عظيم وقتل جميع رؤساء الروم فقاموا عليه وقتلوه وابنه طييارنوس وملكوا فيهم فيليبك سنة ونصفاً، ولما أراد أن يعقد مجعاً ليؤيد بدعة الموارنة قام عليه الروم وسملوا عينيه وملكوا عليهم أنسطاس (الثاني) ... وقبل هذا في أيام يوستنيانوس (الأخرم) وقسطنطين (الليحاني) التي كانت فيها بدعة الموارنة سنة ٩٩٠ (يونانية توافق سنة ٦٨٩ م) في ٣ نيسان حصل زلزال » الخ. فكلام هذا المؤلف اليعقوبي الذي كان في أواسط القرن التاسع بينة حديثة قاطعة على مخالفة الموارنة لليعاقبة في معتقدهم ولو اعتقد الموارنة حينئذ المشيئة الواحدة كما كان اليعاقبة يعتقدون لما سمي مذهبهم الديني بدعة كما رأيت (طالع مجلة الشرق عدد ١٠ من سنة ١٨٩٩م صفحة ٤٥٧)

وقد حقق السمعاني (في مقالة في المونوفيزيين) أنَّ بدعة المشيئة الواحدة لم تثبت بعد تحريمها في المجمع السادس إلا عند أصحاب بدعة الطبيعة الواحدة .

رابعاً إذا نقبنا عن تاريخ القرون التابعة إلى آخر القرن الثاني عشر الذي يزعم الخصوم أنَّ الموارنة رجعوا فيه عن بدعة المشيئة الواحدة إلى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية وجدنا آثاراً تنبئ بأنهم كانوا في كل هذه القرون كاثوليكين غير ملوثين ببدعة المشيئة الواحدة فسنذكر بطاركتهم الذين كانوا في القرون التابعة وإن لم يمكننا الغموض المستحوذ على تواريخ هذه القرون من الإطّلاع على أعمالهم وأحوالهم وما كان بينهم وبين أخبار رومة من المراسلات ويكفي أن لا يوجد خطة في رسائل الأخبار الرومانيين الذين كانوا في مدة القرون الخمسة وفي أعمال المجمعين العامين السابع والثامن اللذين عقدا فيها تشير إلى أنَّ الموارنة ابتعدوا أو اتبعوا بدعة ولو كان ذلك لما غفلوا عن ذكره، ونعلم من جهة أخرى إنَّه كان من الموارنة في القرن الثامن توافيلس الرهاوي الماروني وذكر ترجمته السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٢١) نقلاً عن أبي الفرج ابن العبري في تاريخ الدول لسنة ١٦٥ للهجرة، وقال إنَّه كان من مذهب الموارنة سكان لبنان المخالفين لمذهبهم . وكان أيضاً صاحب التاريخ المشار إليه آنفاً الذي ذكره المسعودي وسماه قيساً الماروني وحقق الأب نو وقبله العالم نللك الانكليزي (الذي نشر قسماً من هذا التاريخ) إنَّ هذا الكتاب لماروني ويتبين منه أنَّه كاثوليكي . وقد كان في منتصف القرن الحادي عشر المطران داود الماروني وقد ترجم سنة ١٠٥٩م كتاب القوانين ويسمى كتاب الهدى أيضاً وقد ذكره كثيرون من علمائنا وسوف نذكر ترجمته في محلها ومما قاله في هذا الكتاب ما رواه مرهج الباني صفحة ٨٩ من مقالته في أصل الموارنة نقلاً عن نسخة لهذا الكتاب كانت في مكتبة مدرسة الموارنة في رومية وهو: « الملكية يتفقون مع المارونية في نطق المشيئتين وقالت المارونية مشيئتين للجوهريين الإلهي والانساني » ولا عبرة لبعض التحريف الذي أدخله توما الكفرطابي على هذا الكتاب وقد أثبتنا زيفه في كتابنا روح الردود من صفحة ١٠٠ إلى ١٢٢ .

هذا وقد أشرنا إلى أنَّ توما أسقف كفرطاب أتى إلى لبنان سنة ١١٠٤م وأقام فيه ست سنين يفرغ مجهوده في استغواء الموارنة ببدعة المشيئة الواحدة فقاومه

البطريك يوسف الجرجسي الماروني وأرسل ينهائه عن بث هذا الضلال وناصبه ارسانيوس مطران العاقورة الذي كان ساكناً في دير ماري أدنه قريباً من يانوح فأجابه الكفرطابي برسالة يثبت بها ضلاله وكل هذا بين في كتاب الكفرطابي الموسوم بالمقالات العشر حيث يندب سوء حفظه إذ لم يذعن لبدعته إلا خوري قرية فرشح في بلاد جبيل ونفر قليل، وأنه عاد من بلاد الموارنة بخفي حنين وهذه بينة قاطعة فلو كان الموارنة يعتقدون حينئذ المشيئة الواحدة لما أتى توما يستغويهم بها ولا قاومه بطريركهم ومطرانهم ولم يتابعه إلا كاهن واحد ونفر قليل .

وقد حقق الأسقف جبرائيل اللحفدي القلاعي في رسالته سنة ١٤٩٤م إلى البطريك سمعان الحداثي والبطريك أسطفانس الدويهي في كتاب احتجاجه عن الموارنة أن بطريركهم يوسف الجرجسي أرسل وفداً إلى الحبر الروماني طالباً درع التثبيت فأرسله إليه معهم البابا بسكال الثاني الذي رقي إلى الكرسي الرسولي سنة ١٠٩٩م وأن البابا إينوشنسيوس الثاني أرسل إلى المشرق الكردينال غويلمس سنة ١١٣٠م فجدد بطريك الموارنة وأساقفة وأعيان ملته إعلان طاعتهم للحبر الروماني بحضرة الكردينال المذكور في مدينة طرابلس فكل ما مرّ كان قبل سنة ١١٨٢م التي زعم أكثر متهمي الموارنة أنهم رجعوا فيها عن بدعة المشيئة الواحدة .

والحاصل من كل ما أوردناه إلى الآن أن الموارنة كانوا قبل ظهور بدعة المشيئة الواحدة يناضلون عن الإيمان الكاثوليكي والمجمعين الأفسسي والخلكيدوني حتى باراقة دمهم، وعند ظهور بدعة المشيئة الواحدة وانتشارها كانوا يناصرون أصحابها وكان بطريركهم يوحنا مارون يفند مزاعمهم بكتبه وخطبه تحقيقاً لآمال شعبه بأن يقيهم فسادها كما صرح العلامة البابا بناديكتس الرابع عشر وفي الحقبة التي كانت من وفاته إلى سنة ١١٨٢م التي زعم خصومهم أنهم رجعوا فيها عن البدعة كانوا متشبثين دائماً بعري الإيمان الكاثوليكي كما أثبتناه بكل ما مرّ ولا سيما بهذه البراهين الأخيرة، وإن صيغ شيء مما رواه غويلمس عن ارتجاعهم سنة ١١٨٢م يلزم قصره على أفراد منهم كما أثبت العلامة لكويان في المشرق المسيحي وسوف نبين ذلك في محله إن شاء الله. وأمّا الأمة بجملتها فكانت في كل وقت كاثوليكية براء خلاص من كل ضلال يخالف الإيمان القويم وسوف نرد دعوى كل معترض عليهم أو متهم لهم في كلامنا عليهم في تاريخ كل من القرون الذي كان لهم فيه

متهم أو معترض ولما كان بعضهم يورد عليهم قولاً لتيموتاوس القسطنطيني زاعماً أنه كان في هذا القرن السابع رأينا أن نرده هنا .

عد ٢١

تفنيد ما يعزى إلى تيموتاوس القسطنطيني من اتهام الموارنة

إنَّ لتيموتاوس هذا القسطنطيني مقالة في من يقتربون إلى الكنيسة ألَّفها وهو قس ونشرها كميبيسيوس في المجلد الثاني صفحة ٤٥٩ من تأليفه فاذا فيها فقرة هذه ترجمتها: «إنَّ الموارنة الذين ينبذون المجامع الرابع والخامس والسادس ويزيدون الصليب على التقديسات الثلاثة ويقولون بمشيئة واحدة وفعل واحد بالمسيح سموا موارنة من دير مارون في سورية». فحجَّ الموارنة خصومهم بهذه الفقرة وانخدع بها من لم يتروا فيها. وفي العصر الذي كان فيه تيموتاوس ومنهم نطاليس اسكندر في تاريخ القرن السابع وعنه أخذ القديس ليكوري في كتابه تاريخ البدع ودحضها على أنَّ المحققين كشفوا عن بطلان هذا الزعم وفندوه بأدلة كثيرة قاطعة أولها أنَّ تيموتاوس هذا كان قبل ظهور بدعة المشيئة الواحدة بنحو قرن كامل وقبل الجمع بين الخامس والسادس. قال السمعاني (في المجلد الأول من المكتبة الشرقية صفحة ٢٩١ في الحاشية): «إنَّ تيموتاوس هذا كان قساً في كنيسة قسطنطينية الكبرى، ثم خلف مكدونئوس بطريركها سنة ٥١١ كما شهد غوليلمس كافئوس مجلَّد ٢ من تاريخه للعلماء صفحة ١٠١ وتوادورس القاري ك صفحة ٥٦٣ وكتابه المعنون في من يقتربون إلى ديننا الطاهر مثبت في كتب الروم الطقسية وقد ألَّفه وهو كاهن». وجاء في التاريخ الرهاوي في كلامه في الملك أنسطاس: «إنَّه مكدونئوس البطريرك القسطنطيني لأنَّه أبى أن ينبذ الجمع (الخلكيدوني) وأقام تيموتاوس خلفاً له». (ذكره السمعاني في المحل المذكور صفحة ٤٠٨) ومن البين أنَّ الملك أنسطاس كان في بدء القرن السادس وقال كافئوس في المحل المذكور إنَّ تيموتاوس كان في أوائل القرن السادس كما يظهر من رسالة كتبها إليه البابا هرمزدا. ومما لا مرية فيه أنَّ هذا البابا كان في أوائل القرن السادس وقد طبع العلامة كوتيلاريوس كتاب تيموتاوس هذا وقال فيه صفحة ٣٧٧: «أظنه كان قبل أن تظهر بدعة المشيئة الواحدة لأنَّه لم يأت

بذكرها . فظهر من ذلك جلياً أنَّ تيموتاوس كان في القرن السادس قبل ظهور بدعة المشيئة الواحدة بقرن كامل فأنى استطاع أن يثبت أنَّ الموارنة توحدوا فيها فهذه الفقرة إذاً زيدت على كتابه بيد أخرى متأخرة عن أيامه .

الثاني إنَّ كوتيلاريوس طبع كتاب تيموتاوس في الكتاب الثالث من تأليفه في آثار الكنيسة اليونانية صفحة ٣٧٧ عن نسخة كرميزارس الذي أثنى عليه كميبيسيوس كثيراً ولا ذكر فيه للموارنة، ولذلك قال السمعاني في المحل المذكور صفحة ٥٠٩ أنَّ الكلمات المعزوة لتيموتاوس هي مدخلة في كتابه من يد رومي متأخر كما يظهر من نصّه الصحيح الذي طبعه كوتيلاريوس .

الثالث لا مرية في أنَّ العبارة الأولى من الفقرة المذكورة وهي: «إنَّ الموارنة ينبذون المجامع الرابع والخامس» هي كاذبة ولا يدعنا كل ما أوردناه حتى الآن أن نرتاب بكذبها، وهي أس بني عليه ما تلاها فإن سقطت لم يثبت ما بني عليه. وبما لا شك فيه أنَّ خصوم الموارنة أنفسهم لا يشكونهم ببدعة الطبيعة الواحدة أو بالخالفه لرسوم الجمع الخلكيدوني لتشبههم برسومهم بل عيروهم بذلك ودعواهم خلكيدونيين، وكان هذا الجمع محور الجدل بين الموارنة واليعاقبة. وقال فيهم ابن العبري في كلامه في توافيلس الرهاوي إنَّه من الموارنة الذين هم إحدى فرق النصرانية أي من غير أمته ولذلك قال السمعاني (في المحل المذكور صفحة ٥٢١) بأنَّ إيراد قول ابن العبري هذا: «هوذا ما يقوله في الموارنة هذا المؤلف اليعقوبي. وهو دال على كذب تيموتاوس القس أو اياً كان القائل لما رواه كميبيسيوس من أنَّ الموارنة ينبذون المجامع الرابع والخامس والسادس فلو كان هذا صحيحاً لما ميزهم ابن العبري عن ملته ولما جعلهم ملة قائمة بنفسها» .

وقد ذيل الأب منسي المدقق الشهير قول نطاليس اسكندر بحاشية هذه ترجمتها: «إنَّ قول تيموتاوس هذا في الموارنة وإن كان ثابتاً في طبعة كميبيسيوس فلا وجود له في النسخة التي طبعها كوتيلاريوس في آثار الكنيسة اليونانية في المجلد الثالث صفحة ٣٧٧، ولذا يظن أنَّه زيد عليها بيد متأخرة إن صحَّ ظن كوتيلاريوس أنَّ تيموتاوس كان قبل الجمع السادس والنسخ التي يعد فيها الموارنة من أصحاب المشيئة الواحدة يقال فيها: «إنَّ الموارنة الذين ينبذون المجامع الرابع والخامس والسادس ويزيدون الصلب على التقديسات الثلاثة ويقولون بمشيئة واحدة وفعل

واحد في المسيح». فهذه الكلمات مشكوك فيها كما أشرت لأن بدعة المشيئة الواحدة لم تحرم إلا في المجمع السادس ولا عجب إذا وجدنا هذه العبارة في بعض النسخ لأن كتاب تيموتاوس هذا من جملة الكتب الطقسية التي تلحق بها كل كنيسة زيادات كإيثارها على أن السمعاني أثبت في مكتبته الشرقية (مجلد ١ صفحة ٥٢١) أن الموارنة براء من هذه البدعة خاصة». ولما كان القديس الفونس ليكوري اغتر في كتابه تاريخ البدع بقول نطاليس اسكندر المذكور فذيلنا ترجمتنا لكتابه المذكور بحاشية ضمنها بعض ما أوردها هنا .

مقالة ثالثة

تاريخ الموارنة في القرن الثامن

عد ٢٢

حالة الموارنة الدنيوية في هذا القرن

إن أبعاد الملك يوستينيانوس الاخرم اثني عشر ألفاً من شبان الموارنة عن لبنان كما مرّ في تاريخهم في القرن السابع قد اضعف قوتهم وأوهن عزيمتهم وعاد بضرر كبير على مملكة الروم إذ كانوا بمثابة سد من نحاس لها كما قال كثيرون من المؤرخين. الروم أنفسهم على أن هذا لا يخلو من نفع، فقد احكمت التجارب الموارنة وعلمتهم أن لا يصغوا لوساوس الأجانب وأن يؤثروا الطاعة والانقياد للحكومة السائدة بهم على المعاندة والخالفة لها وعلى مرضاة أصحاب السياسة الذين لا يهمهم إلا أغراضهم، فإذا قضوا منهم أوطارهم أحرقوا الآلة نفسها التي استخدموها لنيل تلك الاغراض إذا اقتضت ذلك مصلحتهم فتمثّل الموارنة بهذه الامثولة وكفوا عن تلك الغزوات، وشن تلك الغارات، ولزموا السكينة، واخلصوا في الطاعة لسلطة الخلفاء الأمويين والعباسيين، وتفرغوا لحراثة اراضيهم، وتربية ماشيتهم آمنين، متحصنين بلبنان. ويظهر أن حلم الخلفاء وصعوبة مسالك لبنان،

وتعذر احرار الثروة فيه جعلت الموارد سكانه في مأمن من السطو عليهم ، والمزاحمة لهم في امتلاك اراضيهم وغاباتهم فعاثوا فيه بهذا القرن وما يليه آمنين محافظين على دينهم وشأنهم ، ويظهر أنّ الخلفاء كانوا يولون عليهم رجالاً منهم أو ولاية مسيحيين ، بل حقق العلامة السمعاني في الكتاب الرابع من مكتبة الناموس صفحة ٣٩٤ أنّ الخلفاء أبقوا حيثث والياً على المردة من ابناء ملتهم كما كانوا قد ابقوا بطرس الشريف المسيحي والياً في بلاد العرب الحجرية وبتليون في الارض المقدسة والياً على بعض المدن، وعزز السمعاني قوله بشهادة ابي الفرج بن العبري في القسم الأول من تاريخه السرياني. وذكر بعضهم امراء للموارد بعد ابراهيم ابن اخت القديس يوحنا مارون الذي توفي سنة ٧٢٨م مذ القرن الثامن إلى نهاية القرن الرابع عشر، ولكن لما كنا لا نقدر أن نثبت ذلك بأدلة قاطعة عدلنا عن ذكر هؤلاء الأمراء مقتصرين على انقول اننا لا نجد في لبنان أثراً من تلك الاعصر يدل على اقامة حكام أو رعابا من المسلمين في انحاء لبنان قبل القرن الثالث عشر فلا أثر فيها للجوامع أو مآذن قبل القرن المذكور ومما لا يمتري فيه المؤرخون أنّ المسلمين المقيمين على الشواطئ البحرية من صيدا إلى طرابلس أو في سفح لبنان الغربي إنما كانت إقامتهم بعد أن طرد الملوك المسلمين الصليبيين من هذه الأمصار فاسكنوا عشائر من التركمان وغيرهم من المسلمين في شواطئ البحر ليكونوا حاجزاً بين الافرنج إن عادوا إلى سورية وبين نصارى لبنان فمن هؤلاء من بقي إلى الآن من المسلمين في كورة طرابلس السفلى والبترون وجبيل وآثار الجوامع في المحلات المذكورة وفي ساحل علما وغيرها إلى صيدا .

على أنّه لا يمكننا أن نصحح ما ورد في تاريخ الموارد الذي طبع حديثاً في بيروت من أنّه في سنة ٧٥٢م سار المقدم الياس إلى البقاع فنهب تلك القرى وقتل أهلها فأرسل صاحب الشام إليه رسولاً ليعقد معه صلحاً ثم أرسل فكبسه في حين غفلة وقتله، وبعد رجوع عسكر الشام رجعت القرية تسمى قب الياس أي قبر الياس وأتت أقيم مقدماً على الجيش سمعان ابن أخت المقتول، فثارت عليه عساكر الشام وكانت وقعة بينه وبينهم في قرية المروج ودامت الحرب مدة طويلة فإن صبح خبر هذه الأحداث فنظمتها كانت في أواخر القرن السابع لا في منتصف القرن الثامن هذا وقد روى كثيرون أنّ اسم قب الياس مكسر عن قبر الياس وإن القرية سميت بذلك لقتل أحد أمراء المردة ودفنه فيها. إلا أنّ ذلك لم يكن في منتصف

القرن الثامن، وأكبر شاهد له ورد بعيد ذلك في الكتاب المذكور نقلاً عن تاريخ ابن القلاعي أنَّ قتل الأمير الياس وولاية ابن أخته الأمير سمعان كانا في أيام عبد الملك بن مروان الذي توفي في أوائل القرن الثامن وفي أيام يوستينانوس الأخرم الذي كانت وفاته سنة ٧١١م. ومما يلزم الانتباه إليه الغلط الواقع في خبر الأمير سمعان المذكور إذ بعد أن قيل إنَّه كان في أيام عبد الملك بن مروان قال إنَّه مضى يزور يوسف أمير جبيل فلاقاه البطريك غيغوريوس الحلاتي الذي كان في عهد البابا أينوشنسيوس الثاني الجالس يومئذ سنة ١١٣٠م. فرياسة البطريك غيغوريوس الحلاتي على الموارنة في القرن الثاني عشر لا شك فيها ولكن أين هو من الأمير سمعان الذي كان في أواخر القرن السابع؟ فلا مرأى في أنَّ النسخة التي نقل عنها من طبع تاريخ الموارنة لم تكن صحيحة، فروى الطابع ما رواه عنها على علته ولم يتعرض تأدياً لرد قول رآه معزواً إلى ابن القلاعي، لكننا على يقين أنَّ ابن القلاعي لم يقل ذلك بل الناسخ جمع بين خبر الأمير سمعان وخبر آخر ذكره ابن القلاعي عن أمير جبيل المذكور وبطريك الموارنة في أيامه في القرن الثاني عشر إلى أن نقول إنَّ المراد بالبطريك غيغوريوس لا الحلاتي بل غيغوريوس آخر. فإنَّ الخامس في سلسلة بطاركتنا بعد يوحنا مارون يسمى غيغوريوس أيضاً كما ستري. وحينئذٍ يلزم أن يكون الأمير سمعان لا سمعان الذي كان في أواخر القرن السابع وأوائل الثامن بل سمعان آخر والله أعلم.

عد ٢٣

بطاركة الموارنة في القرن الثامن

قد نظم سلسلة بطاركة الموارنة العلامة البطريك أسطفانس الدويهي في مقالة أفردتها لذلك وترجمها من العربية إلى اللاتينية يوسف عسكر الكاهن الماروني الحلبي وطبعها في باريس سنة ١٧٣٣م، وقد روى البطريك سمعان عواد الذي دوَّن ترجمة الدويهي أنَّ هذا البطريك طاف بنفسه أكثر القرى الكبرى التي يسكنها الموارنة وقلب ما كان في كنائسها أو منازل الوجهاء منها من الكتب القديمة وكانت عادة الناسخ القدماء أن يذيلوا ما ينسخونه من الكتب باسم بطريك الطائفة ومطران الأبرشية في أيامهم فاستعان الدويهي بهذه التعليقات على ما دوَّنه في مقالته المذكورة.

وقد نظّم العلامة السمعاني أيضاً سلسلة بطارقة أنطاكية الموارنة في مقالة كتبها بالعربية وطبعها القس يوحنا نطين الراهب الحلبي اللبناني سنة ١٨٨١م في رومة بمطبعة مجمع نشر الإيمان المقدّس، ثمّ ذكر السمعاني سلسلة هؤلاء البطارقة في كتاب المجمع اللبناني (الذي هو مؤلفه) من القديس يوحنا مارون إلى البطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي عقد المجمع اللبناني في أيامه سنة ١٧٣٦م. وقلّ ما كان من الخلاف بين روايتي الدويهي والسمعاني ونشر المعلّم رشيد الشرتوني الماروني هذه السلسلة فصولاً متتابعة في مجلة «المشرق» في بيروت للآباء اليسوعيين الأفاضل ثمّ ضمّها إلى درج واحد. وقد ذكر العلامة لكويان (في مجلّد ٣ صفحة ٤٩ وما يليها من مؤلفه الموسوم بالشرق المسيحي) سلسلة بطارقة الموارنة معتمداً فيها على مقالة البطريرك أسطفانس الدويهي التي ترجمها يوسف عسكر المذكور إلى اللاتينية ونحن نعتمد هنا رواية لكويان لاعتقادنا إياها أصح وأسلم من النسخ المخطوطة وأقرب إلى الأصل الصحيح وتزيدها شهادة لكويان وعسكر تأييداً وتحقيقاً.

بعد أن توفي الله القديس يوحنا مارون سنة ٧٠٧م اجتمع أساقفة الموارنة فاختروا قورش ابن أخته بطريكاً مكانه فكتب إلى الخبر الروماني يلتمس درع الرياسة والتثبيت فأرسله إليه، وقد جاء في ترجمة القديس يوحنا مارون (في المكتبة الشرقية مجلّد ١ صفحة ٤٩٨) إنّهُ عند مضيه إلى دير القديس مارون أخذ معه ابن أخته قورش فأنشج بالثوب الرهباني. فبعد وفاة خاله جعلوه خليفة له فدبر رعيته تدبير الأبرار المجاهدين إلى حين وفاته التي لا نعلم متى كانت، فاختر الأساقفة خليفة له جبرائيل الأوّل. قال لكويان روى الدويهي أنّهُ بعد وفاة قورش انتخب جبرائيل من جبل لبنان وهذا وجدناه في بعض الكتب القديمة وأنّ الملكية عادوا بعد موت يوستينانس الثاني إلى الاعتقاد بطبيعتين ومشيتين بالمسيح وأنّهم اختاروا في أيام قسطنطين الزبلي بطريكاً جعل إقامته في دمشق.

وبعد وفاة جبرائيل اختير يوحنا الثاني وسُمّي مارون أيضاً لأنّه كان من رهبان القديس مارون وقد كتب عنه ابن القلاعي في قصيدته في الجماع:

وبعد، قام مارون ثانٍ من الدير الرباني. معلم شاطر ملفاني. يدعى يوحنا البار. وجاء ليانوح وبطرك كان. ومسكنه في جبل لبنان. وإيمان مارون ما تغيّر.

وعندما رأى نفسه قريباً من الموت استدعى الأساقفة والكهنة واختار لهم بطريركاً يدعى يوحنا، وهو الثالث بهذا الاسم وكان من قرية دملصا ببلاد جبيل. قال الدويهي وعنه لكويان إنَّ هذا وجد مدوناً في كتاب قديم كتب فيه خبر وفاة يوحنا الثاني المذكور.

قال لكويان (في المحل المذكور) قال الدويهي إنَّ هؤلاء البطارقة لا شك في أنَّهم توطنوا في جبل لبنان وخلف أحدهم الآخر، ويؤيد ذلك رسالة كتبها الأسقف جبرائيل القلاعي إلى القس جرجس بن بشاره فصل ١١ سنة ١٤٩٥م، وقد وجدنا أسماءهم مدونة في صفحة كتبت باللغة السريانية وكانت هذه الصفحة عند سالفنا البطريك جرجس من قرية بسبعل مأخوذة عن كتاب كتبه رجل اسمه داود بن ابراهيم سنة ١٦٢٦ يونانية توافق سنة ١٣١٥ للميلاد، فهو قبل أيام ابن القلاعي بنحو مئة وثمانين سنة واطلعنا أخونا المحترم جرجس حبقوق مطران العاقورة على نسخ كثيرة تذكر هؤلاء البطارقة ولم يتعنَّ بها مدة بطريركيتهم فكتبنا كما وجدنا. اما القس جرجس بن بشاره المذكور فكان مارونياً وانحاز إلى اليعاقبة فكتب له الأسقف جبرائيل القلاعي كتاباً مستقلاً يفنِّد به مذهب اليعاقبة، ويبين له أصل الموارنة وثبوتهم في الإيمان الكاثوليكي.

ولما كنا لا نعلم عدد السنين التي دبر بها كل من هؤلاء البطارقة الأمة المارونية افترضنا أنَّهم كانوا في هذا القرن الثامن تقريباً فوقفنا عند ذكرهم في تاريخ هذا القرن.

عد ٢٤

توافيلس الرهاوي الماروني

قد أخذ السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٢١) ترجمة توافيلس هذا عن أبي الفرج بن العبري في تاريخ الدول لسنة ١٦٥ للهجرة، فقال إنَّه اشتهر سنة ٧٧٠م: «وحكي أنَّه لما همَّ المهدي بالخروج إلى ماسبذان تقدَّم إلى حسنة حظيته أن تخرج معه فأرسلت إلى توفيل بن توما النصراني المنجَّم الرهاوي وهو رئيس منجمي المهدي (يراد بالمنجَّم الخبير بعلم النجوم ولا يخفى ما كان لهم في ذلك العصر من الرغبة في رعي النجوم) قائلة له إنَّك أشرت على أمير المؤمنين بهذا

السفر فجشمتنا سفيراً لم يكن في الحساب فعجل الله موتك وأراحنا منك. فلما بلغته رسالتها قال للجارية التي أتته بها ارجعي إليها وقولي لها إن هذه الإشارة ليست مني، واما دعاؤك عليّ بتعجيل الموت فهذا شيء قد قضى الله به وموتي سريع فلا تتوهمي أن دعوتك استجيبت، ولكن اعدي لنفسك تراباً كثيراً فإذا مت فاجعليه على رأسك. فما زالت متوقعة تأويل قوله منذ توفي حتى توفي المهدي بعد عشرين يوماً وكان توفيل هذا على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى، وله كتاب تاريخ حسن ونقل كتابي أوميرس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانية إلى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة». انتهى كلام ابن العبري.

وذيل السمعاني قوله بأن توفيل كان على مذهب الموارنة بحاشية قال فيها: «هذا ما قاله المؤلف اليعقوبي وهو ناطق بالدلالة على كذب تيموتاوس القس القسطنطيني أو الأولى أن نقول ما كتب باسمه في نسخة كميبيسيوس (مجلد ٢ في المؤلفين صفحة ٤٥٩)» إن الموارنة يبنذون المجامع الرابع والخامس والسادس «فلو صحَّ هذا الزعم ما ميزهم قط أبو الفرج عن اليعاقبة ولا جعلهم فرقة مستقلة عن سواها من فرق النصارى».

على أن لابن العبري قولاً آخر في توافيلس هذا أكثر بياناً فإنه قال في كتاب تاريخه السرياني الذي طبع في باريس (صفحة ١٢٧) ما ترجمته: «وقد اشتهر في هذا الزمان (أي زمان المهدي) توافيلس بن توما الرهاوي المنجم الماهر الذي كان تابعاً لبدعة الموارنة وله في التاريخ كتاب نفيس بالسريانية وإن طعن فيه على مستقيمي الإيمان وقرعهم» يريد بمستقيمي الإيمان اليعاقبة أهل شيعة ابن العبري، ولذلك سمي مذهب الموارنة بدعة وهذه بينة أخرى قاطعة على براءة الموارنة من بدعة الطبيعة الواحدة والمشيمة الواحدة.

وأتم السمعاني ترجمة توافيلس بقوله قد توفاه الله على ما روى ابن العبري سنة ١٦٩ هـ أي نحو سنة ٧٨٥ م وهي السنة التي توفي المهدي بها. وذكر أبو الفرج تاريخ توافيلس في كتابه المذكور أيضاً صفحة ٦٣. ويتبين مما رواه ان رأى توافيلس أنه كان من خلق العالم إلى بدء ملك اسكندر المكدوني ٥١٩٧ سنة (فاذا أضفت إليها ٣١١ من اسكندر إلى الميلاد كانت جملة السنين من آدم إلى الميلاد على رأيه ٥٥٠٨). وقد حقق الحاقلي (في حواشيه على قصيدة عبد يشوع الصوباوي في

المؤلفين (صفحة ١٨٠) إن رأي جمهور العلماء السريان أن توافيلس الرهاوي إنما هو الذي جعل صورة الحركات السريانية الخمس على شبه صورة الحركات اليونانية في ترجمته كتب أوميرس كيلا تختلف الألفاظ السريانية لاسيما الأعلام التي تكتب في اللغتين بأحرف واحدة عن الألفاظ اليونانية. وقد ذكر السمعاني ذلك في محل آخر أيضاً (المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٦٤) متكلماً في الكتاب السرياني القديم وهو الثالث من الكتب التي أتى بها من الشرق إلى المكتبة الواتيكانية مشتملاً على تفسير القديس أفرام السرياني لأسفار العهد القديم، وقد خط سنة ١١٧٢ يونانية وهي سنة ٨٦١ م. حيث قال «ومما يلزم الإنتباه إليه في هذا الكتاب القديم إنما هو أن صورة الحركات الخمس السريانية فيه هي أشبه بصور الحركات اليونانية ويحققون أن مخترع هذه الصور إنما هو توافيلس الرهاوي الماروني... فإنه عند ترجمته أشعار أوميرس من اليونانية إلى السريانية ضبط الألفاظ الملتبسة بالحركات اليونانية فتابعه على كتابة صور هذه الحركات على هذا النحو السريان إلا النساطرة. وكتابة الكتاب المذكور القديم جداً تؤيد هذا الأمر في مواضع كثيرة منه ولاسيما تفسير القديس أفرام لنبوة هوشع في صفحة ١٣٣ و ١٣٤ منه وارد أمثلة لذلك». إلى أن قال «وقد أبتأ أن هذا الكتاب خط في الرها سنة ٨٦١ م أي بعد وفاة توافيلس بنحو من سبعين سنة ومن نظر في الكتاب المذكور علم أن ناسخ هذا الكتاب إنما هو الذي ضبطه بالشكل».

عد ٢٥

رد ما يعزى إلى الدمشقي من الطعن على الموارنة

إن في بعض نسخ كتب القديس يوحنا الدمشقي فقرتين استشهد بهما خصوم الموارنة للطعن فيهم الأولى في رسالته إلى بردانوس الأرشمندريت في التقديسات الثلاثية جاء في بعض نسخها ما يأتي: «إن زيادة يامن صلبت لأجلنا على التقديسات الثلاثة» هي من هذيان بطرس القصار فإنه لم يخجل أن يلحق هذه الزيادة على التقديسات بل أقدم بقحة وجسارة ودون خجل كأنه أعلم من الساروفيم وكأنه ظن ذلك ثوباً متسخاً أراد تنظيفه كقصار، فان ترنمنا بالتقديسات الثلاثة موجهة إلى الابن فلا يبقى التباس ونكون زدنا الصلب على التقديسات كما يصنع الموارنة». وفي اليونانية مارونيزم أي نتمورن.

فنجيب على ذلك أولاً أنَّ في المكتبة الملكية في باريس نسختين من هذه الرسالة إحداهما في عد ١٨٢٩ والثانية في عد ٣٤٤٢ وفي كلتا النسختين لا ترى كلمة «مارونيز من» أي نصنع كالموارنة بل ترى في مكانها «بارونيز من» أي نصنع كما يصنعه السكارى. وقد طبعت هذه الرسالة في بال والكلمة فيها «بارونيز من» لا «مارونيز من». وقد ذكر ذلك الأب ميخائيل لكويان الذي ترجم كتب الدمشقي إلى اللاتينية وذيّلها بحواشٍ فصّرَح في الحاشية التي علقها على الفقرة المذكورة أنَّ الكلمة في نسختي المكتبة الملكية المذكورتين وفي طبعة بال «بارونيز من» لا «مارونيز من». ومع ذلك تراه في حاشيته المذكورة متردداً في هذا البحث بين أن يصحح ما ورد في بعض النسخ على الموارنة وبين أن يرثيهم من الضلال سنداً إلى أنَّ هذه الزيادة تستعمل بمعنى كاثوليكي وقد استعملها الموارنة كذلك، على أنَّه لم يبقَ بعداً على هذا التردد بل أثبت في كتابه الموسوم بالشرق المسيحي بحجج قاطعة وبيّنات دامغة ثبوت الموارنة في كل حين في الإيمان الكاثوليكي كما رأيت في ما أوردناه من كلامه في الباب السابق. وقد طبع لكويان ترجمته لكتاب الدمشقي سنة ١٧١٢م في باريس وكتابه الشرق المسيحي طبع سنة ١٧٤٠م.

ثانياً إنَّ كلمة مارونيز من أي نصنع كالموارنة لا تلتحم بكلام الدمشقي السابق والتابع فهو قد عدد في أحد كتبه جميع المبدعين والبدع من سيمون الساحر إلى بدعة محاربي الصور التي نشأت في أيامه ولم يذكر الموارنة في جملتهم، وتكلم في الجوامع الستة العامة وبين من نبذتهم وحرمتهم ولم يأت بينت شفة تدل على الموارنة. ورد مزاعم اليعاقبة في مقالة أفردتها لذلك ولم يشر بخطّة إلى متابعة الموارنة لهم على بدعتهم أو على زيادة ذكر الصليب على التقديسات، وقد تكلم في الفقرة المعترض بها على قحة بطرس القصار واقدمه على الزيادة المذكورة فلا يلتحم هذا مع قوله مارونيز من بل كان الأولى أن يقول نيافيز من أي نصنع كبطرس القصار المسمى نيافايوس أو ياكوييز من أي نصنع كاليعاقبة.

ثالثاً إنَّ السريان والروم والعرب لم يكونوا يستعملون في أيام الدمشقي الموارنة موارنة بل مرّة كما سماهم توفان وشدرانس وزاناراس وغيرهم وكما حقق السمعاني في مكتبة الناموس (مجلّد ٥ صفحة ٤٩٥) ولا عجب من أن يكون أحد خصوم الموارنة بدل حرف الباء من كلمة بارونيز من بحرف الميم حتى صارت

مارونيز من، وقد رأينا أصحاب البدع والأغراض السيئة حَرَفُوا كثيراً من أقوال الآباء وأدخلوا على بعضها فقرات بل فصولاً برمتها. ونسخة المكتبة الملكية في باريس التي وردت بها كلمة مارونيزمن هي أحدث من النسخ التي وردت فيها كلمة بارنيزمن كما حقق البطريك يوسف أسطفان في كتابه في قداسة يوحنا مارون (فصل ١١).

رابعاً لو سلمنا مجازةً أنَّ الدمشقي كتب مارونيزمن لم ينتج من ذلك أنَّ الموارنة لم يكونوا كاثوليكين إذ لنا بينات قاطعة على أنَّ زيادة ذكر الصלב على التقديسات لم تعتدها الكنيسة دائماً أراثيكية فان القديس أفرام الآمدي البطريك الأنطاكي أثبت في محاماته عن القديس لاون الخبر الروماني والجمع الخلكيدوني أنَّ هذه الزيادة يستعملها الكاثوليك في بطريكية أنطاكية بمعنى كاثوليكي، فيسبحون المخلص بقولهم يا من صلبت لأجلنا ارحمنا وأما أهل بطريكية قسطنطينية والغريون فيوجهون هذه التقديسات إلى الثالوث الأقدس المتساوي جوهرًا فيأنفون من هذه الزيادة، وعليه فالفريقان أرثوذكسيان: « روى كلامه هذا فوتيس في مكتبته كتاب ٢٢٨ ومثل ذلك قال اولوجيوس البطريك الاسكندري على ما روى السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٢٠) والقديس اسحق الكبير في خطبته في الام الكلمة المتجسد والقديس يعقوب السروجي في خطبته في الآلام أيضاً (طالع المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٢٢٣)، وقال القديس يوحنا مارون في كتابه في شرح رتبة القداس الذي اثبتنا نسبته إليه: « نرى أنَّه يلزمنا أن نبين لكم هنا إجابة إلى سؤالكم أيها الأبناء الأعزاء إذا كان يجوز استعمال هذه الزيادة ومتى يجوز ذلك فاعلموا أنَّ هذا الترنيم يوجه تارة إلى الثالوث الأقدس المسجود له فلا يجوز قطعاً أن يلحق بذلك يا من صلبت لأجلنا لأنَّ هذا ضلال بطرس القصار البطريك الأنطاكي الذي كان يزعم أنَّ الثالوث بجملته صلب، وقد عزا الآلام إلى طبع تنزه عن كل ألم وهو اثم يرجع على كل اثم ولذلك حرم وحطَّ عن كرسيه بكل عدل . . . وأما إذا خصَّ هذا الترنيم الابن وحده فلا مانع من أن يزداد على ذلك ذكر الآلام والصليب والموت والدفن وسائر أسرار فداء المخلص لنا لأنَّ ابن الله تألم ومات وصلب حقاً ».

إنَّ الأب نو أستاذ كلية باريس الكاثوليكية عثر على كرايس قديمة وأذاعها

في السنة السالفة في اللغة السريانية ثم ألحقها بترجمتها إلى الفرنسية في كتابه الذي عنوانه «كراسات مارونية» وفي جملتها كراسة عشر عليها بين الكتب السريانية المخطوطة في باريس في عد ٢٠٣ تشتمل على محاوره بين سرياني ويوناني في هذا الموضوع، فال يوناني يسأل السرياني قل لي أيها السرياني لماذا تزدون يا من صلبت لأجلنا عندما تصلون قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت؟ فيجيبه السرياني مبيناً نفع هذه الزيادة إلى أن يقول له اليوناني ألا تعلم أيها السرياني أنك إذ تقول قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت تسبح الثالوث الأقدس، وإذ تريد على ذلك يا من صلبت تصلب الثالوث الأقدس، فأين لي أين وجدتم مكتوباً أن الثالوث صلب، ومن علمكم من آباءكم هذه الزيادة؟ فيجيبه السرياني أتقول إن أحد أقانيم الثالوث تجسّد أم الثالوث كلّهُ؟ فقال اليوناني نقول أحد الأقانيم تجسّد لا الثالوث كلّهُ، فأجابه السرياني إن كان واحد من الأقانيم الثلاثة تجسّد لا الثلاثة تجسّد الثالوث كلّهُ، فنحن نقول إن واحداً من الأقانيم الثلاثة صلب لا الثالوث كلّهُ لأن من لم يتجسّد لم يصلب، ونحن أيها اليوناني لا نقول إن الثالوث صلب كما تزعم، بل نعرف أن أحد أقانيم الثالوث صلب لأجلنا فإذا قلنا: قدوس الله الذي صلب لأجلنا لا نقصد ولا نعني الثالوث كلّهُ بل أحد أقانيم الثالوث وهو ربنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور». فهذا أيضاً برهان صريح على أن السريان الكاثوليكين كانوا يفهمون هذه الزيادة بمعنى كاثوليكي وإذا ثبت أن الموارنة استعملوها بهذا المعنى فلا يؤخذ من ذلك أنهم كانوا غير كاثوليكين ولو ثبت أن الدمشقي قال مارونيزمن مع أن ذلك غير ثابت كما رأيت، على أننا لا ننكر أن هذه الزيادة استعملت وقتاً ما في كتب فروضنا ولكن بالمعنى الكاثوليكي الذي أشار إليه القديس يوحنا مارون والذي أثبتته القديس أفرام البطريرك الأنطاكي وغيرهما كما مرّ. ولذلك لما أمر البابا غريغوريوس الثالث عشر (في رسالته ١٤ شباط سنة ١٥٧٧م) برفع هذه الزيادة من كتبنا البيعية لم يوجب على الموارنة شبهة بدعة بل أثنى عليهم اقتفاءً بآثار سلفائهم وأطراً ثبوتهم كل وقت في الإيمان الكاثوليكي وقال إن هذه الزيادة دخلت في كتبهم دون تعمد وقصد وأمر برفعها ليكونوا متفقين مع الكنيسة الرومانية في كل تقليداتها.

وأما الفقرة الثانية التي يعترض بها على الموارنة من كتب الدمشقي فقد وردت في بعض نسخ كتابه الموسوم بالرأي القويم وقد عنونت بعض نسخه هكذا « كتيب ألفه الدمشقي ليرفعه إيليا الأسقف إلى بطرس ماريبوليت دمشق ». ففي آخر هذا الكتيب يقال في بعض النسخ « أقسم بالثالوث الأقدس المسجود له والمتساوي جوهرأ دون مكر ولا مخالطة، إنَّ هذا ما أراه ولا أعتقد شيئاً يخالفه ولا أشارك مع أحد ممن لا يعتقدون هذا المعتقد ولاسيما الموارنة ». فهذه الفقرة يمكن ردها بما ردت به الفقرة الأولى من البراهين التي ذكرناها آنفاً لأنَّ قوله: « ولاسيما الموارنة » لا وجود له في نسخ كثيرة من هذا الكتاب ولا ينتسق مع كلام الدمشقي الذي لم يذكر الموارنة في جملة أصحاب البدع وقد عدَّ منهم نحواً من مئة بدعة وذكر في هذا الكتاب نفسه الحجاج الستة العامة ومن حرموا فيها ولم يأت بذكر الموارنة فضلاً عن أنَّهم كانوا في أيام الدمشقي يسمون مرددة لا موارنة. وكل ذلك يبين أنَّ قوله ولاسيما الموارنة رقعة أدخلتها يد حديثة على كلامه أو هو تحريف والأصل « ولاسيما المانويين » الذين كان بعضهم قد جدد بدعتهم في ذلك العصر. وكتب الدمشقي محاورة بين مسيحي ومانوي كما رأيت في جدول كتبه وقد رد هذه التهمة المعزوة إلى الدمشقي العلامة السمعاني في مؤلفه مكتبة الناموس (ك ٥ فصل ٢٠) ومرهج بن نبيرون الباني في مقالته في أصل الموارنة وأسمهم ودينهم (صفحة ١٣١) والبطريك يوسف أسطفان في كتابه في قداسة يوحنا مارون (قسم ٣ فصل ١١) والبطريك بولس مسعد في كتابه الموسوم بالدر المنظوم (صفحة ١٤٩)، بل إنَّ الأب ميخائيل لكويان الذي كان قد جنح في ترجمته كتاب الدمشقي إلى رأي خصوم الموارنة قد ارعوى عن رأيه هذا في كتابه الموسوم بالشرق المسيحي وأثبت في مواضع شتى في المجلد الثالث منه براءة الموارنة من كل ضلال، وقد أوردنا كثيراً من أقواله في تاريخ الموارنة في القرن السابع بل نظم سلسلة بطارقة الموارنة من القديس يوحنا مارون إلى البطريك يوسف ضرغام الخازن الذي قال في آخر كلامه إنَّه البطريك الآن على الموارنة إذا لم يكن قد توفي ولم يقل في أحد منهم إنَّه ضلَّ عن الإيمان بل ذكر جميعهم بمنزلة بطارقة كاثوليكيين. طالع أيضاً كتابي روح الردود في الرد على هذه التهمة.

الرد على ما يعترض به على الموارنة بشهادة تيموتاوس بطريرك النساطرة

إنّ بعض من اتهموا الموارنة ببدعة المشيئة الواحدة يقولون إنّ هذا البطريرك كتب رسالة إلى رهبان دير مارون يشترط فيها لقبوله لهم في شركته شروطاً لم يكن منها أن يعترفوا أنّ في المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحداً ونتجوا من ذلك أنّ أولئك الرهبان كانوا يعتقدون المشيئة الواحدة. فنحن ردنا هذه التهمة بإسهاب في كتابنا روح الردود مبينين أنه ولو ثبت أنّ هذه الرسالة موجهة إلى رهبان دير مارون لا ينتج منها أنّ أولئك الرهبان كانوا يعتقدون المشيئة الواحدة لأنه عند النساطرة يباح اعتقاد المشيئة أو المشيئتين. وأوضحنا رينا في توجيه هذه الرسالة إلى رهبان القديس مارون بسورية.

وقد أطلعنا في هذه الأيام الأخيرة على فصل دبحه الأب العالم الفاضل نو الافرنسي في المجلة الموسومة بالمشرق المسيحي في نشرتها الثانية من سنة ١٩٠٤ بحث فيه عن كلمة مارونيا التي ذكرها السمعاني في المجلد الثالث من المكتبة الشرقية مراداً بها عشيرة من النساطرة سكان مرو في خراسان وكلمة مارونيا في السريانية تساوي حروفها كلمة مورونيا المسمى بها الموارنة سكان لبنان. وبعد أن أتم الأب نو كلامه عن المورنيا النساطرة قال إنّ مشابهة هذا الاسم لاسم الموارنة بلبنان جعلت البعض يظنون أنّ رسالة تيموتاوس بطريرك النساطرة الموجهة إلى هؤلاء هي منفذة إلى رهبان دير القديس مارون بسورية وليس الأمر كذلك. وأوضح الأب نو أنه كانت مدينة تسمى مارون بالقرب من الخليج العجمي وأنّ استرابون ذكرها وقال إنّ أهلها بعضهم حضر يحرقون الأرض وبعضهم رحل يأوون إلى الخيم وأنّ السمعاني جعل مساكن هؤلاء في مرو وأنّ رسالة هذا البطريرك الموجهة إلى هؤلاء الرهبان هي متوسطة بالوضع بين رسالة منه إلى رابان سرجيوس من عيلام ورسالة منه إلى رهبان مار جبرائيل في الموصل وأنّ هذا البطريرك كتب تسعة وخمسين رسالة ولا تجد واحدة منها إلى أحد في سورية. فيظهر من ذلك أنّ الرهبان الذين كتب إليهم لم يكونوا من سورية حيث لم يكن لهذا البطريرك من مكاتب وهو عنوان رسالته هكذا إلى الرهبان الساكنين في مपाल مار مارون وكلمة مपाल لم ترد قطعاً بمعنى دير ولم نر البتة مثل هذا التعبير مراداً به الموارنة أو رهبان

القديس مارون في كل ما رأيناه من الآثار واسم مارون مستفاض عند العرب وكذلك اسم مروان.

فإذاً يمكن أن يقال إنَّ المراد بمن كتب إليهم رهبان كانوا ساكنين في مساكن أو خيم رجل اسمه مارون أو كانت هذه المساكن في مدينة مارون عند خليج العجم أو في مروان في ما بين النهرين لأنَّ المكتوبة إليهم باقي الرسائل هم في جهة عيلام والموصل.

مقالة رابعة

تاريخ الموارنة في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر

عد ٢٧

بطاركة الموارنة إلى آخر القرن الحادي عشر

إنَّ البطريرك أسطفانس الدويهي بعد ذكره البطاركة الذين دبروا كنيسة الموارنة إلى يوحنا مارون الثاني كما مرَّ في تاريخ القرن الثامن قال (في كتابه في سلسلة بطاركة الموارنة): «أما باقي بطاركة الموارنة الذين رفقوا إلى الكرسي الأنطاكي وأقاموا في لبنان إلى حين قدوم الافرنج إلى سورية فما أمكننا أن نعرف أخبارهم لقلّة من كتبوا في تلك الأيام ولا تلافٍ غيّر الدهر ما وجد من الكتب واضطّار الناس إلى التنقل متواتراً، وقد حرقت بعض كتبنا وتشتت كثير منها على أُنّا عثرنا من مدّة على كتاب قديم يشتمل على رتبة القداس وقد علقت على آخره الصلوات التي يتلوها الخادم في القداس كل يوم، وفي إحدى هذه الصلوات ذكر البطاركة الذين دبروا رعية المسيح في الكرسي الأنطاكي وإليك ترجمة ما جاء في هذه الصلوات عن اللغة السريانية: «نذكر أيضاً جميع الرعاة المحققين والآباء القديسين من بطرس زعيم الرسل وأول جميع الرعاة. واغناطيوس تلميذه إلى

توافيلس ويشوع وداود وغريغوريوس ودومييط واسحق ويوحنا الذين خدموا مقام رئاسة الكهنوت في البيعة المقدسة الكاثوليكية والرسولية في الكرسي المقدس المجيد كرسي مدينة الله أنطاكية فارحمنا اللهم بصلواتهم المقدسة». ويلي ذلك تذكّار آخر أطول من الأوّل كتب فيه ما ترجمته: «نذكر توافيلس وغريغوريوس وأسطفانس ومرقس وأوسابيوس ويوحنا واسحق ويوحنا وسمعان وأرميا ويوحنا وسمعان. وسمعان هذا حبيب الله الذي يدبرنا الآن فارحمنا اللهم بصلوات هؤلاء جميعاً». قال العلامة الدويهي حصل عندنا رية في البطارقة الأربعة عشر الذين مرّ ذكرهم من وجهين الأوّل إنّ طقسنا قريب من طقس اليعاقبة فخشينا أن يكون هؤلاء البطارقة يعقوبيين. والثاني إنّه ندر أن يسمى الموارنة يشوع بطريكاً حرمة لمن فداننا بدمه. لكننا بالوقوف على سلسلة بطارقة اليعاقبة حصلنا على نسختين من كنيستهم في دمشق وحلب فلم نجد فيهما ذكراً لهؤلاء البطارقة الأربعة عشر، فتحققنا أنّهم لم يكونوا يعاقبة بل من بطارقة أمّتنا المارونية، وأمّا اسم يشوع فليس إلّا عيسى وكثيرون منا يسمون بهذا الاسم». انتهى كلام الدويهي وقد تابعه عليه لكويان في المشرق المسيحي ناقلاً عنه كلامه برمته قلنا إنّ بطارقة اليعاقبة معروفون الآن جيداً وقد نظم ابن العبري سلسلتهم إلى أيامه في تاريخه البيعي الذي ترجمه السيدان أبولس ولامي أستاذاً كلية لوفان إلى اللاتينية وعلقا على ترجمتها فوائد كثيرة وقد ذكر السمعاني أيضاً سلسلتهم عن ابن العبري في المجلد الثاني من المكتبة الشرقية وليس منهم البطارقة الأربعة عشر المذكورون.

وجاء في مجمعنا اللبناني قسم ٣ فصل ٦ في كلامه على البطريرك والكرسي البطريركي ما يأتي: «وكان الكرسي البطريركي أولاً في دير القديس مارون بكفرحي من أبرشية البترون وجلس عليه من البطارقة من سنة ٦٨٥م فصاعداً يوحنا مارون وقورش وجبرائيل ثمّ نقل الكرسي إلى دير القديسة مريم بيبانوح من أبرشية البترون المذكورة، وجلس عليه بعد جبرائيل المذكور يوحنا الثاني ويسمى مارون أيضاً ثمّ يوحنا من دملصا وغريغوريوس واسطفانس ومرقس وأمسايبوس ويوحنا ويشوع وداود وغريغوريوس الثاني وتوافيلكتس ويشوع الثاني ودومييط واسحق ويوحنا وسمعان ويوسف الجرجسي إلى سنة ١١٢٠م ونقل الكرسي ثالثاً إلى دير القديسة مريم حذاء ميفوق بوادي ايليح في أبرشية جبيل».

تداول أيدي الموارد كتاباً يشتمل على عدّة تواريخ منها تاريخ بعض الأسرات وتاريخ بعض أحداث في جبة بشري وتاريخ الرهنة اللبنانية وفي جملتها سلسلة لبطاركة الموارد من القديس يوحنا مارون إلى البطريك يوسف حبيش وبعد أن ذكر أكثر البطاركة الذين ذكرناهم هنا أورد أسماء نحو من أربعين بطريكاً إلى البطريك يوسف الجرجسي ولم يسند كلامه إلى شاهد ولا نعلم من أين جمع كلّ هذه الأسماء التي غفل عنها العلامتان البطريك أسطفانس الدويهي ويوسف السمعاني، ولذلك لا نرى ما رواه صحيحاً. ويعزى هذا الكتاب إلى الشيخ أنطونيوس أبي خطار من عينطورين الذي كان مشهوراً بحبه المطالعة .

ولا نعجب من عدم التوصل إلى الأخبار المفصلة عن البطاركة الذين ذكرناهم في القرون الأربعة من بدء القرن الثامن إلى آخر القرن الحادي عشر فكل يعلم أنّ هذه القرون تسمى قرون الجهل وأنّ التاريخ الشرقي البيعي في هذه القرون ولا سيما تاريخ سورية هو سقيم غامض ومن دونه حنادس جهل لا يهتدي فيه إلى أمور أخرى أكثر أهمية. وقد رأيت ما قاله لكويان في الشرق المسيحي عن بطاركة أنطاكية وأورشليم في هذه القرون أنّه لم يكن لهم تاريخ غير ما نقب عنه الافرنج بعد استحواذهم على سورية في بدء القرن الثاني عشر وما ظنك ببطاركة الموارد الذين لم يقيموا في المدن الشهيرة كأنطاكية وأورشليم بل في كفرحي وبارنوح بين قمم لبنان الوعرة الصعبة المسالك مؤثرين العزلة في أصعب الحال مسلکاً على الإقامة في المدن والتعرض للأخطار، وتعوزهم جميع وسائل العلم ويحسبون من السعادة أن يعيشوا مع رعاياهم آمنين ومحافظين على إيمانهم القويم .

عد ٢٨

قيس الماروني

جاء في كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي الذي طبع في ليدن سنة ١٨٩٤م صفحة ١٥٢ عند كلامه في مارون: «ولبعض متبعية من المارونيين ويعرف بقيس الماروني كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وغيرهم وأخبارهم وانتهى بتصنيفه إلى خلافة المكتفي، ولم أر للمارونية

في هذا المعنى كتاباً مؤلفاً غيره». انتهى كلام المسعودي. والمعلوم أنَّ المكتفي ببيع له بالخلافة سنة ٢٨٩هـ الموافقة سنة ٩٠٢م وتوفي سنة ٢٩٥هـ أي سنة ٩٠٨م وعليه فيكون قيس الماروني عاش في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر على ما ذكر المسعودي ولكن من هو قيس هذا وما هو كتاب تاريخه الحسن؟ فزعم بعضهم أنَّه ليس هو إلا توافيلس الرهاوي الماروني الذي ذكرنا ترجمته في القرن الثامن، وهذا الزعم باطل من أوجه أحصَّها أنَّ توافيلس كان في أيام المهدي وتوفي في أيامه كما أثبتنا في ترجمته، والمهدي توفي سنة ١٦٩هـ الموافقة لسنة ٧٨٦م والمسعودي قال إنَّ قيس انتهى بتصنيفه إلى خلافة المكتفي وهذا ببيع بالخلافة سنة ٩٠٢م كما رأيت فكان قيس بعد توافيلس بأكثر من مئة سنة فلم يكن إياه.

وقد عثر الأب نو المستشرق الافرنسي في لندره على كتيب سرياني في عدد ١٧٢١٦ من الكتب المخطوطة ونشره في كتابه الذي عنوانه *Opusculus Maronites* (أي كراسات أو كتيبات مارونية) وطبعه في باريس سنة ١٨٩٩م. ففي صفحة ٣٢ فصاعداً من هذا الكتاب أثبت ما استطاع أن يقرأه من نصه السرياني واسماً إياه بفقر من تاريخ سرياني ماروني، وقد اهدى إليَّ الأب نو كتابه المذكور فطالعت فقراته وقد استشهدت ببعضها كما رأيت، وكل أصل هذا الكتيب يشتمل على خمسة عشر صفحة كما أشار الأب نو في نسخة الأصل، وجل ما تضمنه كلام موجز في آدم وبعض الآباء وبعض رؤساء كهنة اليهود وبعض ملوك اليونان وبعض ملوك الرومانيين وكلام في ماني المبتدع وأبو لينار اللاذقي المبتدع، وذكر بعض الزلازل وبعض الأحداث في أيام معاوية. وقد ظنَّ نو وغيره أنَّ تلك الفقرات مقاطع من كتاب قيس الماروني. وقد ذهب العلامة ريت الذي تكلم في الكتب السريانية القديمة المحفوظة في المتحف البريطاني أنَّ ذاك الكتيب قديم العهد واستبدل بصورة كتابته على أنَّه حُطَّ في القرن الثامن أو التاسع. وقد أطلال العلامة لذلك (في المجلة الآسيوية-الألمانية) الكلام في هذه الفقر وبين عظم أهميتها وعزاها إلى كاتب ماروني، وذهب إلى أنَّ الكاتب كان راهباً أو ناسكاً لكثرة ما ورد في تلك المقاطع من أسماء الأديار والمناسك ولم يقطع بأنَّه قيس الماروني.

فالحاصل من ذلك على ما نرى أولاً أنَّ لا ريب في أنَّه كان مؤلِّف بين القرنين التاسع والعاشر يسمى قيس الماروني، وأنَّه ألَّف كتاباً حسناً جامعاً لتواريخ كثيرة كما أشار المسعودي الذي هو ثقة في نقله وقريب من عصر المؤلف المذكور ولا غرض

له في أن يختلق هذا الخبر . ثانياً لأنه من المؤكد أيضاً أن قيس الماروني غير توافيلس الرهاوي الماروني لا من قبيل التباين بين عصريهما كما مرّ بل من قبل أوجه أخرى أيضاً، منها أن توافيلس كان رئيس منجمي المهدي والمقاطع المذكورة التي يرجح أنها من كتاب قيس يظهر منها على ما ذهب إليه نللك أن كاتبها كان راهباً أو ناسكاً . ثالثاً إن الأرجح عندنا أن القطع التي أشهرها نللك أو الكتيب الذي أذاع الأب نو أصله وترجمته الافرنسية ليس هو كتاب قيس برمته حتى ولو أمكن قراءة كل ما قال نو لأنه وجده ممحواً أو لم يتيسر له أن يقرأه، لأن هذا الأثر لا يشتمل أصله إلا على خمس عشرة صفحة، والمسعودي قال إن كتاب قيس يتضمن ابتداء الخليفة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وغيرهم فتاريخ كل ما ذكره لا تسعه خمس عشرة صفحة وإن وسعته فلا يكون كتاباً حسناً في التاريخ كما وصفه المسعودي . رابعاً يظهر لنا أن المقاطع المذكورة والكتاب السرياني الذي نشره نو عن الأصل الكائن في المتحف البريطاني إنما هي جزء من كتاب قيس المذكور أو فقرات منه نسخها غير المؤلف، إذ شهد من نقبوا عنها أن فيها أغلاطاً لغوية مع صحة أخبارها ومطابقتها لما كتبه علماء ذلك العصر الذي لا نعرف فيه من علماء الموارنة إلا توافيلس وقيس المذكور . والله أعلم .

عد ٢٩

رد مزاعم من اتهموا الموارنة بالضلال في القرن العاشر

اعترض على الموارنة بشهادة ساويرس أسقف الأشمونيين من القبط في القرن العاشر سنداً إلى أن هذا الأسقف وهو من أصحاب بدعة الطبيعة الواحدة قال في كتاب ألفه متقدداً فيه عادات استطرقتها فرق النصارى في أيامه: «إن الموارنة فرقة متميزة عن يعاقبة الأرمن والملكية وعن اللاتينية أيضاً» . وكل يرى أن ليس في هذا الكلام الذي رويناه بالحروف نفسها التي رواه بها المعارض ما يدل على ضلال يستمسك به الموارنة فامتيازهم عن يعاقبة بينة لهم على أنهم ليسوا على ضلالهم باعتقاد الطبيعة الواحدة في المخلص وكذلك امتيازهم عن الأرمن الذين كانوا في عصر المؤلف كاليعاقبة باعتقادهم طبيعة واحدة في المسيح، وأما امتيازهم عن الملكية

فإن أراد بهم الكاثوليكين فالموارنة متميّزون عنهم من حيث الطقس والطائفة والرعاة كما هم الآن، وإن أراد بهم غير الكاثوليكين فيكون كلامه بينة للموارنة على أنهم كاثوليكون صحيحو العقيدة خلافاً للملكية غير الكاثوليكين. وامتنيازهم عن اللاتينية كامتيازهم عن الملكية الكاثوليكين لا يشعر بخلاف ديني بلا خلاف طقسي وطائفي. ويمكننا الآن أن نقول ولا حرج أننا متميّزون عن اللاتينيين لأن لنا رعاة وتهذيباً وطقساً غير ما لهم من ذلك، والأمر بين وقد استوفينا الكلام فيه في كتابنا روح الردود صفحة ٩٢ من طبعة بيروت.

إن أول طاعن بالموارنة بل مصدر كل طعن عليهم بأنهم تشبثوا بدعة المشيئة الواحدة إنما هو سعيد بن بطريق البطريرك الملكي الاسكندري الذي كان في القرن العاشر وقد فتدنا زعمه ودحضناه كل الدحض في مواضع كثيرة من كتابنا هذا وفي عد ٦٦٨ في المجلد الرابع نقضنا قوله بقوله نفسه إن مارون مبدع بدعة المشيئة الواحدة كان في زمان موريق ملك الروم فابنا أن القديس مارون كان قبل موريق الملك بنحو من قرنين وقبل ظهور هذه البدعة بأكثر من قرنين. وفي عد ٧١٠ من هذا المجلد الخامس ردنا زعمه رداً مسهباً باقامة الحجج القاطعة الدامغة على كذبه وإيراد شهادات كثيرين من الأحرار الأعظمين والعلماء المحققين والاستدلال بقرائن وأدلة لا يشوبها ريب ثم عددنا كثيراً من أغلاطه الفاضحة في غير هذا البحث وفي عد ٧١١ من المجلد المذكور أثبتنا ترجمة رسالة البابا بناديكتس الرابع عشر إلى نيقولاوس لركاري بهيئة براءة في إثبات قداسة القديس مارون حيث فتد هذا الخبر العلامة زعم سعيد المذكور تفنيداً من المحال أن يعترض عليه أو يوجد ما يضعف قوته، وقد محققنا زعم سعيد المذكور في مواضع كثيرة من كتابنا روح الردود وقد فندناه أخيراً كل تفنيد في كتيبنا الذي رفعناه هذه السنة ١٩٠٠م بالفرنسية إلى مجمع الآثار القديمة في رومة ثم نشرناه بالعربية ووسمناه بالحجة القاطعة الجلية على من ينكرون ثبوت الموارنة الدائم في العقيدة الكاثوليكية وقد ذكرنا في كتيبنا المذكورة من فتد مزاعم سعيد بن بطريق من العلماء الاعلام ولاسيما علماء أمتنا المارونية حتى أصبحت هذه الحقيقة في جملة ما يقال فيه:

وليس يصح في الأذهان شيء إذ احتاج النهار إلى دليل
ولذا كان ديجور الجهل المنسدل على تواريخ هذه القرون الوسطى لا يمكننا من

الاطلاع على أمور كبيرة وعامة فلا عجب من أن نجهل تاريخ أمة صغيرة كانت مستأمنة في قمم لبنان وكهوفه في القرن العاشر حتى لا يتيسر لنا أن ندون شيئاً من تاريخها في هذا القرن .

عد ٣٠

المطران داود الماروني

كل ما نعلمه عن ترجمة هذا الأسقف أنه كان مارونياً ورئيس أساقفة، وأنه كان في هذا القرن الحادي عشر، وأنه ترجم من السريانية إلى العربية كتاباً كان أحد آباء الطائفة المارونية قد ألفه وقد عني بهذه الترجمة سنة ١٣٧٠ لاسكندر المكدوني توافق سنة ١٠٥٩م. وقد ذكر هذا الكتاب البطريرك أسطفانس الدويهي الاهدني في الفصل السادس من كتاب احتجاجه عن الموارد ورفع التهم عنهم وسماه تارة كتاب «القوانين» وتارة كتاب «الهدى» أو كتاب «الهداية». وذكر مرهج بن نيرون الباني الماروني في مقالته في أصل الموارد واسمهم ودينهم صفحة ٨٩، وفي كتابه المعنون أفوليا (أي سلاح الإيمان) صفحة ١٧٠، وإبراهيم الحاقلي في كتابه في أصل اسم بابا صفحة ٤٩٢، وأتى بذكره صفحة ٤٩٢ دي لوراك في كتاب سياحته في سورية وجبل لبنان مجلد ٢ صفحة ٩١ وقد ذكره العلامة السمعاني في كتابه فهرست الكتب المخطوطة القديمة الشرقية في المكتبة الواتيكانية الذي ألفه بمعاونة المطران أسطفان عواد السمعاني ابن اخته كما سيأتي، وقد ذكره مرات في مكتبته الشرقية وحقق أنه هو الذي أخذ هذا الكتاب من الشرق وضمه إلى المكتبة الواتيكانية، إذ روى في فهرست الكتب العربية التي نقلها من الشرق إلى المكتبة المذكورة، فقال في صفحة ٦٢٩ من المجلد الأول ما ترجمته: «الكتاب السادس والسبعون (من المكتبة المذكورة) يشتمل على رسالة الانبا يوسف إلى داود مطران الموارد المؤرخة في سنة ١٣٧٠ (لاسكندر الموافقة لسنة ١٠٥٩ للميلاد)، والتي سأله بها أن يرسل إليه كتاب القوانين البيعية، ثم جواب المطران داود إلى الانبا يوسف. وقد أرسل إليه المقالة المشتملة على القوانين التابعة مجموعة القوانين تنطوي على ثلاثة وخمسين عنواناً: العنوان الأول في الإيمان، ٢ في الإيمان بسري التثليث والتجسد، ٣ في الصلاة، ٤ في الأشياء النجسة، ٥ في الأشياء الطاهرة، ٦ في القربان الأقدس، ٧

في التقادم، ٨ في الشركة، ٩ في المعمودية، ١٠ في الصوم، ١١ في العصور، ١٢ في مقدمة الخراف، ١٣ في مقدمة الثمار، ١٤ في شرح دستور الإيمان، ١٥ في القوانين المختصة بالمؤمنين أجمع، ١٦ في قوانين الرهبان والراهبات، ١٧ في قوانين الكهنة، ١٨ في قوانين المؤمنين والصلوات القانونية، ١٩ في الصوم والطلاق والزواج والامانة والقضاء، ٢٠ في البطارقة والأساقفة والكهنة والشمامسة والرهبان والعامّة، ٢١ قوانين الجمع القسطنطيني الثاني، ٢٢ قوانين كيرلس الأورشليمي في المعمودية والزيجة، ٢٣ في المسيح الاله، ٢٤ قانون يوحنا الانجيلي، ٢٥ قانون في الأسباب المسوغة هجر الرجل امرأته وبالعكس، ٢٦ في المسيح والثالث نقلاً عن كتاب عدي ابن ابراهيم المعروف بابن عديان الذي دوّن سنة ٣٨٦هـ (وهي سنة ٩٩٧م)، ٢٧ في الصلوة الربية، ٢٨ قوانين اكليمنضس، ٢٩ في حفظ أيام الأعياد، ٣٠ في تكريس الهياكل، ٣١ في الميرون المقدس، ٣٢ في المذابح، ٣٣ في الملابس الكهنوتية، ٣٤ في قوانين الرسل وهي واحد وثمانون قانوناً، ٣٥ قانون بطرس الرسول للكنيسة، ٣٦ في العصور والبيكور، ٣٧ مراسيم بطرس الرسول، ٣٨ مرسوم بولس، ٣٩ مرسوم بولس وعلى قول آخرين مرسوم يعقوب في ذكر الموتى، ٤٠ في جنازة الموتى، ٤١ في من يقاسون الاضطهاد من أجل الإيمان، ٤٢ في درجات الكهنوت، ٤٣ قانون بولس في تناول القربان، ٤٤ في قوانين الجمع النيقوي وهي اثنان وعشرون قانوناً، ٤٥ في قوانين مجمع أنقورة وهي ثلاثة وعشرون قانوناً، ٤٦ في قوانين مجمع قيصرية الحديثة وهي خمسة عشر قانوناً، ٤٧ في قوانين مجمع كنكرا وهي عشرون قانوناً، ٤٨ في قوانين مجمع أنطاكية وهي أربعة وعشرون قانوناً، ٤٩ في قوانين مجمع اللاذقية وهي تسعة وخمسون قانوناً، ٥٠ في قوانين مجمع قسطنطينية وهي أربعة قوانين، ٥١ في قوانين الجمع الخلكيدوني وهي سبعة وعشرون قانوناً، ٥٢ في قانون الجمع الأفسسي، ٥٣ في مراسيم الملوك قسطنطين وتوادوسيوس ولاون وهي مئة وأربعون مرسوماً. وأردف السمعاني هذا الفهرست بقوله: «وهو كتاب عربي خط بالأحرف السريانية على رق بقطع الربع، صفحاته ٢٩٥ وكان خطه سنة ١٧١٣ لاسكندر توافق سنة ١٤٠٢ للميلاد. وقد ذكر السمعاني أيضاً المطران داود وكتابه في المجلد الثاني من المكتبة الشرقية صفحة ٦٧ حيث تكلم في يعقوب البردعي فقال: «ذهب المطران داود الماروني في كتابه في القوانين وهو السادس والسبعون من الكتب العربية في المكتبة الواتيكانية إلى أنه سمى البردعي نسبة إلى

مدينة اسمها البردعة، وهاك قوله في الفصل الأول: «ثمَّ اليعقوبية وهي المنسوبة إلى يعقوب الذي كان من مدينة تدعى البردعة ولذلك يقال له يعقوب البردعي». وهذه المدينة ذكرها مؤلف جغرافية بلاد النوبة وأورد نيرون الباني قوله في كتابه أفوليا (سلاح الإيمان) صفحة ٤٢ على أنَّ بردعة بنيت بعد يعقوب البردعي بزمان طويل أعني نحو سنة ٧٠٥م في أيام عبد الملك بن مروان على ما روى جلال الدين الأسيوطي في تاريخ الخلفاء على ما في الكتاب السادس والأربعين من الكتب العربية في المكتبة الواتيكانية صفحة ٨٠ حيث قال: «في سنة ٨٥هـ بنيت مدينة اردبيل ومدينة بردعة بناهما عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الناهلي». انتهى كلام السمعاني في المحل المذكور وإذ تكلم في صفحة ١٨١ من المجلد المار ذكره في عدد البرشانات على عادة اليعاقبة أن تكون وترأ لا شفعا إلا في البرشانتين قال: «قد اعترض توما من بيانسيا (في مؤلفه في الاهتمام برجوع جميع الأمم ك ٧ فصل ٦ صفحة ٤٩٩) على الموارنة بأنَّ لديهم شيئا من هذه العادة، وقال الأب اليانس اليسوعي إنَّه وجد أثرا لذلك في كتاب «الهدا» (هو كتاب المطران داود)، على أنَّ العلامة البطريك أسطفانس الدويهي الشهير قد أوضح (في احتجاجه عن الموارنة احتجاج ٦ فصل ٢) إنَّ هذا الظن أو التخمين باطل ولا صحة له.

إنَّ توما أسقف كفرطاب الذي أشرنا إلى شيء من أخباره في كلامنا على تاريخ الموارنة في القرن السابع وذكرنا أنَّه أتى إلى لبنان سنة ١١٠٤م ليستغوي الموارنة ببدة المشيئة الواحدة، وأنَّه ترجم كتاب القديس يوحنا مارون في الإيمان وعبث به محرِّفاً إياه وزائداً عليه ما يوافق غرضه، فتوما هذا قد عبث بكتاب المطران داود المذكور أيضاً وعبث بادخال زيادات عليه وتحريفه له توسلاً لغرضه المذكور. وقد أثبت العلامة البطريك أسطفانس الدويهي (في الفصل السادس من كتابه في الاحتجاج عن الموارنة صفحة ٣٤٠ من كتاب تاريخ الموارنة المطبوع في بيروت) إنَّ توما الكفرطابي المذكور زاد على كتاب المطران داود القول التابع: «إنَّ أوَّل فرقة ظهرت من الفرق المشهورة هي الفرقة المنسوبة إلى آريوس وهي التي تدعى آريوسية، ثمَّ النسطورية وهي المنسوبة إلى نسطور، ثمَّ اليعقوبية وهي المنسوبة إلى يعقوب البرادعي، ثمَّ الملكية وهي المنسوبة إلى مكسيمس المخالف الذي كان من ذرية السمرة، وأبوه كان اسمه زادوق، وكان يهودياً وأمه جارية عجمية كما تقدَّم عنه الوصف في الكتاب الكبير، وخبره مؤرِّخ في كتاب سعيد بن بطريق، ثمَّ

المارونية وهي المنسوبة إلى دير مارون وإلى الأب القديس الطاهر مار يوحنا بطريرك أنطاكية». إلى أن قال: «قد ذكرت خبرها بين الفرقتين الملكية والمارونية وشرحت بيان حالها شرحاً شافياً في الرسالة التي كتبتها إلى الأب القديس أرسانيوس أسقف عين قوره وسميتها رسالة العدل... وثبتت هذه الفرق أربعاً على أن الفرقتين الملكية والمارونية اللتين ذكرناهما إنما هما فرقة واحدة، ورأيهما في الاتحاد والجوهر الأقنومي رأي واحد وإنما اختلفتا بالمشيئة. فقالت الملكية بالمشيئين وقالت المارونية بالمشيئة الواحدة واحتجت كل واحدة منهما بحجج، وقد ذكرنا حالهما وحججهما التي أوجبت الخلاف بينهما في الرسالة الموسومة ببداية العدد». فهذه هي الزيادة التي أدخلها توما أسقف كفرطاب على كتاب المطران داود في العنوان في الإيمان، وقد حجج الموارنة خصومهم بهذه الزيادة التي كان مطرانهم داود قد كتبها.

على أن العلامة الدويهي وغيره قد أثبتوا بحجج قاطعة وبيانات دامغة أن هذا الكلام كلام توما الكفرطابي وليس كلام المطران داود. وإليك بعض تلك الحجج أولها أن أرسانيوس أسقف العاقورة الذي يقول الكاتب إنه أرسل إليه رسالته المسماة رسالة العدل لم يكن في أيام المطران داود بل بعده بستين في أوائل القرن الثاني عشر، إذ كان توما الكفرطابي في لبنان. وقد صرح توما في كتابه الموسوم بالمقالات العشر أنه كتب رسالة مطولة إلى أرسانيوس أسقف العاقورة يبين فيها معتمداً على تواريخ ابن بطريق أن اعتقاد المشيئة الواحدة كان رأي معلمهم مارون ورأي الآباء وأن الموارنة لا يفترون عن الملكية إلا بهذا. ومثل ذلك الرسالة التي قال الكاتب إنه يبين فيها حال الموارنة والملكية وحججهما، فأما هي لتوما الكفرطابي وأثارها باقية في كتابه المقالات العشر وليست للمطران داود. الحجة الثانية أن توما الكفرطابي قد صرح في كتابه المذكور بأنه لا يقدم إلى لبنان إلا ليصحح معتقد الموارنة ليؤمنوا بأن في المسيح مشيئة واحدة، وجل كلامه في الكتاب المذكور موجه لهذا الغرض. وقد بذل جهده في رسالته إلى أرسانيوس أسقف العاقورة ليثبت زعمه هذا مستدلاً بأقوال سعيد بن البطريق بأن هذا كان معتقد مارون والموارنة، فإن كان الموارنة قد اعتقدوا قبله ببداية المشيئة الواحدة، وبهذا افرقوا عن الملكية، وكان هذا معتقد أسقفهم داود في كتاب قوانينهم، فليتم هذا التعب والنصب والعناء لتصحيح عقيدتهم؟ ولم ندب توما سوء منقلبه وخسارة أتعابه وأوقاته إذ قاومه بطريرك الموارنة وعانده أرسانيوس أسقفهم ولم يدعن لكلامه إلا خوري قرية فرشع ونفر ببلاد

جبل؟ وكيف يوفق بين هذا وبين ما يرويه عن المطران داود أنَّ طائفته لا تفتقر عن الملكية إلاَّ باعتقادها المشيئة الواحدة خلافاً لهم؟ الحجة الثالثة أنَّ ما ورد في الزيادة المذكورة على كتاب المطران داود عن القديس مكسيمس إنما هو كلام سعيد ابن بطريق بحروفه، انتحله عنه توما الكفرطابي الذي جعل سعيد عمدة له في كتابه المقالات العشر ولم يذكر هذه الخرافة عن أبي القديس مكسيمس وأمه إلاَّ سعيد المذكور.

وقد أثبت السمعاني العلامة أنَّ ما علق على النسخة الواتيكانية من كتاب المطران داود إنما هو رقعة أدخلها عليه توما الكفرطابي، فأنه في كتابه فهرست الكتب القديمة الشرقية في المكتبة الواتيكانية الذي ألّفه بمعاونة المطران أسطفان عواد السمعاني لكتاب المطران داود في المكتبة الواتيكانية بعد أن كان في عد ٧٦ من الكتب التي أحضرها من الشرق: «إنَّ البطريرك الأنطاكي أسطفانس (الدويهي) علق حاشية على هامش هذا الكتاب صفحة ٢٥ أبان فيها أنَّ توما الكفرطابي أدخل على هذا الكتاب أشياء كثيرة ليث بدعة المشيئة الواحدة والفعل الواحد في المسيح». ثمَّ روى تلك الزيادة كما روينها قال: «ليس هذا كلام المطران داود بل كلام توما الكفرطابي، فإنَّ كاتب الرسالة إلى أرسانيوس (أسقف العاقورة) إنما هو توما، لا داود فالواضح إذاً أنَّ هذه الزيادة على كتاب القوانين للمطران داود أدخلتها يد توما الكفرطابي المذكور».

ولنا حجة أخرى قاطعة تبين تلك الزيادة مدخلة على نسخة كتاب المطران داود التي في المكتبة الواتيكانية وليست من كلام المطران المذكور، فإنَّ النسخ الأخرى لهذا الكتاب خالية عن هذه الزيادة بل تشتمل على ما يناقض ذلك، منها النسخة التي كانت في مكتبة مدرسة الموارد برومة وقد تداولتها يد القس مرهج بن نيرون الباني وأخذ عنها (في مقالته في أصل الموارد واسمهم ودينهم صفحة ٨٩) شهادة المطران داود حيث يقول: «إنَّ الملكية يتفقون مع الموارد باعتقادهم المشيئين فإنَّ الموارد يشبتون في المسيح مشيئين تبعاً لطبيعته الإلهية والبشرية». وقد أثبت ذلك دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان فقال (في المجلد الثاني صفحة ٩١ راداً زعم غوليلمس أسقف صور) ويثبت بطلان شهادة غوليلمس شهادة مطران سوري عالم اسمه يوسف (هذا سهو من المؤلّف أو خطأ من منظم حروف المطبعة ويصلحه قوله الثاني) كان عائشاً سنة ١٠٥٩م كما يظهر من رسالة كتبها الأنبا

يوسف تلك السنة إلى المطران المذكور يسأله بها أن يترجم من السريانية إلى العربية كتاب «القوانين البيعية» الذي عند السريان. وهذه الرسالة معلقة على فاتحة كتاب القوانين المذكورة. ومنه نسخة محفوظة في مكتبة مدرسة الموارنة برومة وترى في الفصل الأول من هذه القوانين الشهادة الآتية التي ترجمناها عن الأصل العربي: «إن الملكية يُتفقون مع الموارنة باعتقادهم المشيئتين فإن الموارنة يشتون أن في المسيح مشيئتين» الخ. قال مرهج بن نيرون (الباني الماروني): «كيف يصح إذا ما قاله غوليلمس الصوري عن الموارنة في سنة ١١٨٤م من أن هذه الطائفة تسكت نحواً من خمسمائة سنة في ضلال مبدع اسمه مارون مع أن المطران المذكور يشهد شهادة تنقض كل ذلك أعني الموارنة كانوا في سنة ١٠٥٩م التي ترجم فيها الكتاب المذكور يجاهرون باعتقادهم أن في المسيح مشيئتين». انتهى كلام دي لاروك.

طالع ما كتبه في هذا الشأن في كتابي «روح الردود» من صفحة ١٠٠ إلى صفحة ١٢٢ من المطبعة العربية ببيروت، ومن صفحة ٩٥ إلى صفحة ١١١ من ترجمته الافرنسية المطبوعة في اراس سنة ١٨٩٦م.

مقالة خامسة

تاريخ الموارنة في القرن الثاني عشر

عد ٣١

حالتهم الدنيوية في هذا القرن

ذكرنا في تاريخ الموارنة في القرن الثامن عد ٧٤٢ أن حلم الخلفاء وصعوبة مسالك لبنان وتعدر إحراز الثروة فيه جعلت الموارنة سكانه في مأمن من السطو عليهم والمزاحمة لهم على أراضيهم، وان يظهر أن الخلفاء كانوا يولون عليهم ولاة

مسيحيين، وأيدنا ذلك بشهادة العلامة السمعاني في مؤلفه «مكتبة الناموس» (مجلد ٤ صفحة ٣٩٤). والآن نقول يظهر أنّ المواردنة سكان لبنان استمروا على ذلك إلى هذا القرن وما بعده أيضاً متنعمين بنوع من الاستقلال الإداري بفضل الخلفاء، ولما أتى الفرنج وملكوا السواد الأعظم من سورية لم ينزعوا عنهم هذه النعمة بل تركوهم واستقلالهم المذكور. وهذا تؤكّده لنا أدلة كثيرة قاطعة فلم نعثر في كل ما قلّبناه من كتب التاريخ لأخذ تاريخ الخلفاء ما يؤذن بأنّ الخلفاء نصبوا عاملاً على لبنان أو على مدنه غير الساحلية، فقد ذكروا متواتراً عمال النواحي كطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وحماه وحمص وبعبك، ولكن لم نرَ ذكراً لعامل في لبنان أو لإحدى مدنه أو قراه الجبلية، بل لم نجد أثراً لإقامة المسلمين في أنحاءه إلا بعد أواخر القرن الثالث عشر ولا في سواحله أو ما يقرب منها كإقامة أمراء الغرب من آل تنوخ في عمل الغرب القريب من بيروت، فإنّ الملوك والأمراء المسلمين أقاموا في مدة حربهم مع الفرنج هؤلاء الأمراء في العمل المذكور، وبعد طردهم الفرنج من هذه البلاد أسكنوا عشائر من المسلمين في سواحل لبنان ليكونوا حاجزاً بين نصارى لبنان وبين الفرنجة إذا عادوا إلى سورية كما سيأتي.

ولما فتح الفرنج سورية وملكوا مدنها الساحلية لم يعترضوا النصارى سكان لبنان في تدبير أمورهم الداخلية، ولم يمسوا ما كانوا عليه من الاستقلال، فلا نراهم نصبوا عاملاً على غير المدن الساحلية، ولا ألقينا ما يدل على أنّهم حاربوا سكانه أو أنّ سكانه استسلموا إليهم أو تركوا لهم تدبير شؤون بلادهم، كما لا نرى أنّ الحكام المسلمين استعانوا بهم على حرب الفرنج أو جثّدوا قوماً منهم لمحاربة الفرنج. ولو كانوا يلونهم كغيرهم من سكان السهول والمدن البحرية لما أهملوا تكليفهم إلى إنجادهم في حروبهم كما كانوا يصنعون مع باقي مسوديتهم بل لو كان للولاة المسلمين الولاية المطلقة على سكان الجبل لما استطاع الفرنج أن يتمكّنوا في طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا لاكتناف الجبل هذه المدن ومن عرف موقعها قضى بما نحن مثبتون.

وقد جاء في كتاب تاريخ المواردنة المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٠م (صفحة ٢٧٩) ذكر أمراء لبنان مع تعيين أسمائهم وسني ولايتهم نقلاً عن رسالة للخوري يوسف مارون الدويهي الاهدني، فلا يمكن القطع بصحة هذه الرواية ولا سيما في تعيين الأسماء والسنين، لأنّ صاحب الرسالة لم يسند ما كتبه إلى أحد المؤرخين أو

أحد الكتب القديمة، وغموض التواريخ في تلك الحقبة معلوم مشهور فيتعدّر على الكاتب أن يحقق هذه الأسماء وهذه السنين. وإذا كان العلماء لم يستطيعوا أن يعرفوا أسماء بعض البطارقة وسني رياستهم في تلك القرون فلا يظن أنّه كانت وسيلة للعلم بأسماء أمراء منزوين في جبل وبسني ولايتهم. ولكن بقاء حكام أو أمراء في لبنان في تلك السنين لا ريبه فيه وكل ما مرّ آنفاً يؤيد أنّ هؤلاء الأمراء كانوا وطنيين ولنا شهادة قاطعة على أنّه كان في لبنان في القرن الثاني عشر ملك أو أمير ماروني في جبيل. وهذه الشهادة كتبها البطريك أرميا العمشيتي بخط يده على كتاب الأناجيل الأربعة الذي خطّ سنة ٨٩٧ يونانية الموافقة لسنة ٥٨٦ للميلاد. وكان هذا الكتاب في بطريكية الموارنة في أيام البطريك أرميا المذكور ثمّ اتّصل إلى المكتبة الماديشية في فيرنسا بإيطاليا، وذكره العلامة المطران أسطفان عواد السمعاني في الفهرست الذي وضعه للكتب الشرقية في هذه المكتبة وقد صنع مثلاً للكلمات نفسها التي خطّتها يد أرميا بالسريانية وسنذكرها عند الكلام فيه. ولنجتزئ الآن بذكر ما خصّ غرضنا منها، فانه بعد أن ذكر دعوة البطريك له وتصديره أسقفاً في دير كفتون قال: «وبعد مضي أربع سنين طلبني ملك (أي أمير) جبيل والأساقفة ورؤساء الكنيسة والكهنة وألقوا قرعة فأصابني وأقاموني بطريكاً في دير حالات». فأمر جبيل الذي دعا أسقفاً مارونياً وشهد انتخابه بطريكاً لا يمتري في أنّه ماروني.

ونرى لويس التاسع ملك فرنسا لما كان في عكا في أواسط القرن الثاني كتب في رسالته إلى الموارنة: «إلى أمير الموارنة بجبل لبنان وإلى بطريك وأساقفة الطائفة المذكورة». وصرح في رسالته بأنّ الأمير سمعان أتى إليهم وقدم له هدايا فاخرة بل قد صرح البابا بناديكتس الرابع عشر في خطبته في كرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م بأنّه لما ملك المسلمون أنطاكية وطرّدوا الفرنج منها ولّى هؤلاء فارين إلى جبل لبنان، فقبلهم بطريك الموارنة بالاناس والترحاب فكتب إليه البابا اسكندر الرابع يشكر له صنيعه ولم تزل براءة البابا اسكندر الرابع التي أشار إليها بناديكتس الرابع عشر محفوظة في خزانة أوراق بطريكية الموارنة حيث يوصيه هؤلاء الفرنج، ويخوّله الحق أن يسوسهم كشعبه. فلو لم يكن للموارنة حيثيّ نوع من الاستقلال لما هرب الفرنج إليهم ولما استطاع بطريك الموارنة أن يقبلهم ويضخّمهم إلى شعبه وسوف ترى شيئاً كثيراً يثبت ذلك.

عد ٣٢

بطاركة الموارنة في القرن الثاني عشر

لما قدم الفرنج إلى سورية في آخر القرن الحادي عشر كان يوسف الجرجسي بطريكاً على الموارنة ولا نعلم في أية سنة قبل ذلك رقي إلى هذا المقام، بل علمنا أنه لما فتح الفرنج أورشليم أقاموا غودفروا ملكاً عليهم واختاروا بطريكاً لاتينياً على أورشليم أرسلوا رسائل ووفداً إلى الحبر الروماني البابا أوربانس الثاني يبشرونه بما وقَّعهم الله إليه، وأرسل يوسف الجرجسي مع وفدهم نائباً عنه ورسالة إلى الحبر الروماني يحقق بها طاعته له وتشبُّهه بالإيمان الكاثوليكي فبلغت هذه الرسالة إلى البابا بسكاليس الثاني لأنَّ سالفه البابا أوربانس الثاني كان قد توفي قبل فتح أورشليم بأربعة عشر يوماً فسَّر البابا بسكاليس بهذه الرسائل والوفد سروراً عظيماً وأرسل إلى بطريك الموارنة تاجاً وعكازاً. وروى ذلك الأسقف جبرائيل اللحفدي المعروف بابن القلاعي في رسالة كتبها إلى البطريرك سمعان الحداثي سنة ١٤٩٤م ومرهج بن نيرون الباني في كتابه (أفوليا) سلاح الإيمان صفحة ٦٧، وأورد لكويان قوليهما في المشرق المسيحي (مجلد ٣) في كلامه على بطاركة الموارنة وكان هذا البطريرك ساكناً في يانوح من عمل جبيل.

وروى لكويان في المحل المذكور ما روينا في كلامنا على توما أسقف كفرطاب أنه كان يعقوبياً وصار من أصحاب بدعة المشيئة الواحدة، وأتى إلى لبنان قاصداً أن يستغوي الموارنة وأنه قام لمناصبته يوسف بطريك الموارنة وأرسانيوس مطران العاقورة وفندا تعليمه برسائلهما، فذله الجميع ولم يضل إلا خوري كفرشع وبعض المغفلين إلى أن قال لكويان إنَّ هذا البطريرك بقي حياً إلى سنة ١١١٩م هذا إذا كان هو الذي كتب رسالة إلى البابا جيلاسيوس الثاني يهنئه بها بارتقائه إلى الحبرية العظمى ولما كان البابا جيلاسيوس لم يعيش إلا زماناً وجيزاً (سنة وخمسة أشهر) جاوبه البابا كاليستوس الثاني على رسالته سنة ١١١٩م كما روى ابن نيرون الباني في كتابه سلاح الإيمان صفحة ٦٨، وربما كان البطريرك بطرس خليفة يوسف المذكور هو الذي كتب هذه الرسالة.

وصيّر بعد البطريرك يوسف الجرجسي البطريرك بطرس الأول ولا شك في أنه كان بطريكاً على الموارنة سنة ١١٢١م، لأنَّ الكتاب السابع من الكتب السريانية

المخطوطة التي نقلها السمعاني إلى المكتبة الواتيكانية علق كاتبه على صفحة ٢٦٢ منه هذه الحاشية بالسريانية وترجمتها: «أنا الحقير الراهب سمعان كتبت هذه الأسطر في هذا الكتاب الذي نسخته لأبينا الطوباوي بطيريك بطريرك الموارنة الساكن بدير ميفوق المقدس في وادي ايليح من عمل البترون، إلى أن أمرني أن أكون رئيساً وناظراً على دير القديس يوحنا في أرض كوزبند بجزيرة قبرص في أيام الرهبان الساكنين في دير القديس يوحنا المذكور وهذه أسماؤهم: الراهب داود القس موسى الراهب، يوسف النحتومي، والراهب جيورجيوس، والراهب دانيال. وهؤلاء كهنة يخدمون الله وكان ذلك سنة ١٤٣٢ يونانية (سنة ١١٢١م) في اليوم الثاني عشر». يريد من تشرين الأول الذي كان السريان يبدأون السنة منذ ذكر ذلك السمعاني في المجلد الأول من المكتبة المشرقية صفحة ٣٧٠ ثم ذكره صفحة ٦١١ و ٦١٢ من المجلد المذكور.

وقد ذكر الدويهي في تاريخه البطريرك بطرس هذا فقال: «وفيها (أي في سنة ١١٢١م) كان البطريرك بطرس قاطناً في دير سيدة ميفوق من أعمال البترون وبعث الرهبان القاطنون بدير مار يوحنا كزبند يخبرونه بوفاة رئيسهم ويسألونه أن يرأس عليهم القس سمعان الذي كان كاتباً عند قدسه، وله اليد الطولى في الخط، وفي تزويق التصاوير كما هو واضح من كتاب ميامر مار يعقوب السروجي الذي كتبه بخط استرنكالي على رق وهو مصان عندنا بدير سيدة قنوين». انتهى كلام الدويهي ويظهر منه أنّ هذا الكتاب الذي كان في قنوين نقله السمعاني إلى المكتبة الواتيكانية.

وخلف غريغوريوس الثالث من حالات بطرس الأول وقد ذكره الأسقف جبرائيل القلاعي في رسالته إلى البطريرك سمعان الحداثي ومرهج بن نيرون الباني في كتابه سلاح الإيمان، وقال إنه أرسل سنة ١١٣٠م وفداً إلى البابا أينوشنسيوس الثاني يهتته بارتقائه إلى الحبرية العظمى، ولما أرسل هذا البابا الكردينال غويلمس إلى الشرق بسبب الخلاف الشهير الذي كان حينئذٍ إذ غصب الباباوية بطرس لاون وسمى أناكليتس الثاني، التقى البطريرك غريغوريوس الكردينال غويلمس إلى طرابلس وقدم صك طاعته للبابا أينوشنسيوس الثاني البابا الشرعي. وقد ذكر ذلك البطريرك أسطفانس الدويهي في تاريخه، فبعد أن أورد خبر هذا الخلاف ورجوع الأكثرين إلى طاعة البابا الشرعي واقتداء الفرنج الذين بسورية بهم قال: «وعلى شبه

من تقدّم ذكرهم نزل رؤساء الملة المارونية وعلمائها إلى مدينة طرابلس وعلى يد الكردينال غوليلمس قاصد البابا زخيا (أينوشنسيوس) حلقوا له الطاعة وأعطوه خطوط أيديهم أنّهم لا يتمسكون بغيره ولا يكرزون إلّا باسمه».

وصيّر بعد غريغوريوس الثالث الخالتي يعقوب الأوّل من رامات ببلاد البترون وقد روى العلامة السمعاني (في المجلّد ١ من المكتبة المشرقية صفحة ٣٠٧) أنّه علق على أحد كتب القديس يعقوب السروجي (وهو السابع من الكتب السريانية التي نقلها السمعاني إلى المكتبة الواتيكانية) هذه الحاشية بالعربية: «لما كان تاريخ سنة ١٤٥٢ يونانية (توافق سنة ١١٤١م) في شهر تموز المبارك بعشرة أيام مضت منه حضر إلى عندي أنا بطرس بطريك الموارنة الجالس على الكرسي الانطاكي باسم يعقوب من قرية رامات من عمل البترون الولد الراهب دانيال من رهبان دير كفتون وقد أعطيته سلطاناً من الله، ومن حقارتي بأنّه يكون رئيساً ومديراً على دير مار يوحنا الكوزبند في جزيرة قبرص المحروسة من الله تعالى بحسب ما ورد من الأولاد الرهبان وأولهم الراهب عيسى وإيليا والراهب موسى، والراهب يوحنا وأخوه يعقوب برضاهم وخاطرهم وخطّ أيديهم ولربّنا آمين». وقال البطريرك أسطفانس الدويهي في تاريخ سنة ١١٤٠م: «وفيها كانت وفاة الرجل الفاضل القس سمعان رئيس دير ما يوحنا الكوزبند بقبرص، وأرسل لهم بدله البطريرك يعقوب من رامات من عمل جبيل القس دانيال من رهبان سيّدة كفتون الذي في كورة طرابلس، ومن بعد يعقوب الراماتي رقي إلى الكرسي البطريركي يوحنا السابع سنة ١١٥١م، وقد ولد في لحفد من عمل جبيل وسكن أولاً في دير مار الياس في قريته، ثمّ انتقل إلى دير السيّدة بهاييل، وأقام هناك ديراً، ووصفه الدويهي في تاريخ بطاركة الموارنة بأنّه كان ذا مكارم وفصاحة كما يظهر من النافور الذي كتبه، وأنّه في مدّة إقامته بلحفد رقى أربعة أساقفة لمعاونته على تدير الشعب، فسكن أحدهم في دير القديس حوشب، والثاني في دير القديس سمعان، والثالث في دير القديس اليشاع والرابع في دير السيّدة بلحفد. وانه لما كان عيد العنصرة حضر إليه شعب كثير ومعهم شمامسة وكهنة ورهبان ورؤساء كهنة فانتقل من ديره إلى دير السيّدة الذي فوق هاييل حيث لم يكن ماء، فحفّر بئراً وأنشأ ديراً كبيراً. وقد جاء في الآثار القديمة وفي الرسالة التي كتبها جبرائيل بن القلاعي إلى القس جرجس في الفصل الحادي عشر أنّ دير هاييل المذكور استمرّ كرسيّاً لبطاركة الموارنة إلى أيام البطريرك أرميا، إلّا أنّنا لم نعثر

على أسماء هؤلاء البطارقة الذين أقاموا به لنثبت ذكرهم. انتهى كلام الدويهي وقد وجد مكتوباً على كتاب الأناجيل القديم الذي كان في بطريركية الموارنة ثم نقل إلى المكتبة الماديشية بفرنسا. وذكر المطران أسطفان عواد الخطوط المعلقة عليه في كتابه فهرست هذه المكتبة فقال إنه كتب على صفحة ١٨ سطر ٢٣ وما يليه ما يأتي بالعربية: «لما كان تاريخ سنة ١٤٦٥ يونانية توافق سنة ١١٥٤م) ثامن يوم مضت من شهر أيلول حضر إلى عندي أنا بطرس بطريرك الموارنة الجالس على الكرسي الأنطاكي القاطن بدير سيدة ميفوق في وادي ايليح الولد الراهب أشعيا من دير قزحيا وعملته رئيس على الرهبان القاطنين في دير ما يوحنا دير الكوزبندو في جزيرة قبرص حسبا ورد من الأولاد الرهبان بخط أيديهم وهم: الولد الراهب جبرائيل ورفيقه الراهب شمعون، والراهب حبقوق، والراهب ميخائيل، ولرب المجد آمين». فبطرس هذا هو يوحنا اللحفدي المذكور. ويظهر أنّ بطاركتنا كانوا منذ تلك الأيام يزيدون على إسمهم بطرس، ويظهر أيضاً أنّه كان يقيم بسيدة ميفوق أيضاً. وقد ذكره السمعاني (في المجلد الأول من المكتبة المشرقية صفحة ٥٢٢)، وقال إنه ولد في لحفد، وأنه خلف البطريرك يعقوب الراماتي، وأنه دبر الكنيسة المارونية من سنة ١١٥١م إلى سنة ١١٧٣م وأنه كتب نافوراً ذكره البطريرك أسطفانس الدويهي في كتابه المناثر العشر في الفصل الثاني في مؤلفي النوافير الكاثوليكيين فقال: «يوحنا اللحفدي جلس على الكرسي الأنطاكي بعد الالف والمائة من سني السيد المسيح له نافور بدؤه  إلهها الإله الكلّي القداسة وهو مثبت في كتب القداس الموجودة في دير قنوين.

إنّ البطريرك أسطفانس الدويهي ذكر بعد البطريرك يوحنا اللحفدي البطريرك أرميا العمشيتي، لكن قال ما رويناه آنفاً أنّ دير هاييل استمرّ كرسياً لبطاركة الموارنة إلى أيام البطريرك أرميا، إلّا أننا لم نعر على أسماء البطارقة الذين أقاموا هناك لنذكرهم، فظهر أنّه كان بين يوحنا اللحفدي وأرميا العمشيتي بطارقة آخرون. ولكويان في كلامه على بطارقة الموارنة جعل يوحنا اللحفدي الثامن والعشرين منهم، ثم وضع الأعداد ٢٩ و ٣٠ و ٣١ وبعدها بياضاً لأنّه لم يهتد إلى أسماء ثلاثة بطارقة ثم ذكر لوقا أيضاً قبل أرميا. وقال المطران أسطفانس دواد السمعاني في فهرست المكتبة الماديشية صفحة ١٦ متكلماً في كراسي بطارقة الموارنة. «رابعاً في دير القديس الياس بلحفد من أبرشية جبيل حيث جلس يوحنا اللحفدي خليفة

يعقوب وهو الذي نقل الكرسي إلى دير القديسة مريم بهابيل من أبرشية جيل المذكورة وهناك جلس بطرس وبطرس الآخر ولوقا المسمى بطرس. خامساً نقل الكرسي البطريركي ثانية إلى دير القديسة مريم بيانوح من أبرشية البترون حيث جلس أرميا». ولا أشك البتة في أنه كان بين يوحنا اللحفدي وأرميا العمشيتي بطاركة آخرون. وعلى ذلك دليل قاطع غير ما مرّ من شهادة المؤرخين. فقد ذكر السمعاني وغيره أنّ يوحنا اللحفدي توفي سنة ١١٧٣م كما رأيت وأنّ أرميا توفي سنة ١٢٣٠م، فلو كان أرميا خلف يوحنا للزم أن يكون أرميا استمرّ بطريركاً سبعة وخمسين سنة وهذا لا يصدق. ومما لا ريب فيه أنّ أرميا العمشيتي شهد الجمع اللاتراني الرابع سنة ١٢١٥م، وإنّ البابا أينوشتسيوس الثالث كتب إليه براءته المثبتة في سجلات البراءات تلك السنة، فلو كان قد صير بطريركاً سنة ١١٧٣م لكان له في البطريركية حيثئذ اثنتان وأربعون سنة. فان فرضنا أنّه صير بطريركاً وعمره أربعون سنة فقط فيكون عمره سنة ١٢١٥م اثنتين وثمانين. سنة ومن يصدق أنّ هراً بهذا العمر يتحمّل مشاق السفر في تلك الأيام إلى رومة فإذا لا بدّ من أن يكون بطاركة آخرون بين يوحنا اللحفدي وأرميا العمشيتي أفلم ننظر ما يقوله المؤرخون في ذلك؟

قال لكويان في المشرق المسيحي (متكلّماً في بطاركة الموارنة) روى مرهج بن نيرون الباني في مقالته في اسم الموارنة وأصلهم ودينهم نقلاً عن جبرائيل بن القلاعي في قصيدته في أصحاب البدع أنّ من اتبعوا ضلال توما أسقف كفرطاب (الذي كان قد توفي) أطغوا غيرهم من الموارنة ببدة المشيئة وتوافر عدد المطغين حتى أنّ البطريرك نفسه لم يذكر اسمه جنح إلى ذلك فان ابن القلاعي يقول ما معناه أنّه بعد توما قام ابن شعبان وأخذ يكتب ويعلم الأحداث ويذكر الضلال بين الموارنة وملاً كتبهم من الزوان، وقام بعده ابن حسان من حدشيت وأطغى أهل كفر ياشيت وكتب وغير الصلوات وابنت سم الضلال في قرى أخرى حتى اتّصل إلى الرأس أيضاً إذ قال: «إنّ البطريرك ابتلع السم بقدر ما يسع الفم». ولذلك اجتمع رؤساء الموارنة وأعيانهم وكثيرون من الشعب وجزموا جميعاً برأي واحد على أن ينفصلوا من شركة البطريرك فلم يعودوا يؤدونه الطاعة ولا يقبلونه في البلاد بل حملتهم الحمية والغيرة الدينية على أنّهم حطوه عن مقامه وانتخبوا بطريركاً آخر، فحقن لذلك أصحاب البطريرك المعزول وقتلوا البطريرك الجديد. وبعد قتل هذا

البطريرك تعاضلم الخلاف والشغب بينهم فتدارك أمرهم أميريكس البطريرك الأنطاكي على اللاتين، وسكن روعهم وخمد جزوة غضبهم ورد المغوين عن غيهم، فاتفقوا جميعاً على انتخاب بطريرك صحيح المعتقد. قال لكويان هذا ما جاء في التاريخ المذكور: «إنَّ أميريكس ذا الذكر الصالح انتزع السم منهم وأرشدتهم فطاوعوه واهتمَّ بنيل البركة لهم من الكرسي الرسولي، واختاروا بطريركاً سكن في هابيل وحفظ كل ما في الإنجيل، وكان ضليعاً في تفسير الأسفار المقدسة وألف أشعاراً كثيرة في الإيمان». واختتم لكويان كلامه بقوله لا ريب عندي في أنَّ هذا ما حمل غوليلمس أسقف صور على ما كتبه من أنَّ الموارنة كلَّهم رجعوا عن الضلال سنة ١١٨٢م على يد أميريكس البطريرك الأنطاكي مع أنَّ هذا لا يصدّق على الملة كلَّها، بل على بعضها فقط ويؤيد ذلك ما جاء في التاريخ المذكور: «لأنَّهم ثبتوا في إيمان مارون وذُلَّ المعاندون وعاد الوفاق والسلام ثابتين بين من كانوا مختلفين». وكان لكويان قد قال في مقدّمات كلامه على الموارنة كما لم يعجب فرنسة لإتباع كثيرين من اكليسها وأعيانها مذهب لوتارس وكلوينس هكذا لا يعيب الملة المارونية اتباع بعض أفرادها الضلال مدة ما.

وبعد إيراد لكويان خبر هذه الأحداث ذكر لوقا الأوّل قائلاً ما خمدت جذوة الاضطراب بين الموارنة إلّا وقام رجل يسمى ابن شعبان رومي أصلاً وعاونه مطران اسمه عيسى فبثا الضلال في بعض قرى لبنان، وكان البطريرك اسمه لوقا وكان في آخر القرن الثاني عشر أو بدء الثالث عشر، فانهاز إليهما واستشهد لكويان لذلك نيرون الباني (في مقالته في اسم الموارنة صفحة ٩٨) الذي قال إنَّ المطران عيسى وابن شعبان علّما الناس أن يصنعوا إشارة الصليب باصبع واحدة، ونبذا الجمع الرابع. وأوجس الشيطان إلى راهبين أحدهما من يانوح والآخر من دير نبوح فرعما أنَّ المسيح لم تكن له نفس ولا تألّم ولا كان يستطيع أن يشعر بالألام، وإن البابا أرسل قاصداً لم يقبله لوقا فحرم البابا أصحاب هذا الضلال ونشأ بين الموارنة شقاق بسبب ذينك الراهبين. إلى أن يقول لكويان أنَّ هذا الشقاق استمرَّ إلى أن قام البطريرك أرميا خليفة لوقا المذكور. انتهى.

إنَّ العلامة لكويان اعتمد في إيراد هذا الخبر وذكر البطريرك لوقا على قول نيرون الباني، ونيرون اعتمد على قول جبرائيل ابن القلاعي في بعض زجلياته على أنَّ البطريرك أسطفانس أفرد الفصل التاسع من كتابه في رد التهم عن الموارنة لتفنيد

قول ابن القلاعي المذكور مبيناً أنّ البطريك لوقا من بنهوان لم يكن في القرن الثاني عشر أو أوّل الثالث عشر بل في آخر القرن الثالث عشر أو أوّل الرابع عشر، وأنّه لم يحب بضلال، وأنّ الحكام الذين ذكر ابن القلاعي أنّ هذه الأحداث كانت في أيامهم لم يكونوا في ذلك العصر بل بعده بسنين كثيرة، وإنّ جلّ مقصد ابن القلاعي كان يبين للمقدم عبد المنعم حاكم بشري الذي زاغ عن الإيمان القويم وشايح اليعاقبة أنّ كل من شدّوا عنه انتقم الله منهم، فلم يرع نظام تاريخ السنين إلى غير ذلك من الأدلّة القاطعة. فضلاً عن أنّ ابن شعبان الذي ذكره لكويان هنا كان ذكره قبلاً، وعن اننا سنبين أنّ أرميا العمشيتي كان بطريكاً في المدة التي عيّنها لكويان للبطريك لوقا.

قد أفضّل علينا العلامة المطران أسطفانس عواد السمعاني بنشره مثلاً لخط بيد البطريك أرميا عشر عليه في كتاب الأنجيل القديم الموجود الآن في المكتبة الماديشية بفرنسا، وكان قبلاً في بطريكية الموارة، وطبع هذا المثال في كتابه فهرست الكتب المشرقية في المكتبة المذكورة، ومنه يتبين زمان ارتقاء أرميا إلى الأسقفية وسنة انتخابه بطريكاً والخط بالسريانية والأحرف المسماة استرنكلية وهذه ترجمته بحروفه:

«في سنة ١٥٩٠ يونانية في اليوم التاسع من شباط أتيت أنا الحقير أرميا من قرية دملصا المباركة إلى دير سيدتنا القديسة مريم بميفوق في وادي ايليچ من عمل البترون إلى سيدتنا بطرس بطريك الموارة، ورسمني بيديه المقدّستين وجعلني مطراناً على دير كفتون المقدّس الذي على ضفة النهر، وبقيت هناك أربع سنين. وكان سكان الدير المذكور الراهب حزقيال ورفيقه الراهب أشعيا والراهب دانيال والراهب يشوع ورفيقه إيليا والراهب داود واثنين وثلاثين راهباً آخرين. وبعد انقضاء السنين الأربع طلبني أمير جبيل والأساقفة ورؤساء الكنائس والكهنة وألقوا قرعة فأصابتني وصيرونني بطريكاً في دير حالات المقدّس، ثم أرسلوني إلى رومة المدينة العظمى وتركت أناخانا المطران توادورس يدير الرعية ويهتم بشؤونها».

إنّ في هذا الخطّ زلة قلم اما من الذي أخذ المثال أو من أرميا الذي كتب الخط فسنه ١٥٩٠ يونانية توافق سنة ١٢٧٩ مسيحية، وأرميا كان قبل هذه السنة بنحو قرن ويكفيثنا مؤونة بيان هذا الغلط براءة البابا اينوشنسيوس الثالث المنفذة إليه باسمه في سنة ١٢١٥م وقد أجمعوا على أنّه شهد المجمع اللاتراني الرابع، ولا يختلف اثنان

في أنّ هذا المجمع عقد سنة ١٢١٥م وليس بين أسماء بطاركتنا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر اسم أرميا هذا، ولذلك روى المطران أسطفان عواد في ترجمته هذه العبارة إلى اللاتينية سنة ١٤٩٠م لا سنة ١٥٩٠م، وذكر موافقتها لسنة ١١٧٩م لا لسنة ١٢٧٩م. وعليه فلما كان أرميا رقي إلى درجة الأسقفية سنة ١١٧٩م كما في صحيح الخط، وقال إنه انتخب بطريكاً بعد أربع سنين كان انتخابه بطريكاً سنة ١١٨٣م أي بعد حصول الوفاق بين الحزبين المختلفين من الموارنة بسنة واحدة أو ببعض أشهر فقط، لأنّ لا يحتمل أن يكون الوفاق حصل في آخر سنة ١١٨٢م وانتخاب البطريك كان في أول سنة ١١٨٣م. ولما كان رأينا هذا مستنداً إلى ما خطته يد أرميا قد اعتمدناه مفضلاً على غيره لهذا الاستناد.

قال لكويان في المشرق المسيحي قال البطريك أسطفانس الدويهي في الجدول الذي وضعه لبطاركة الموارنة أنّ أرميا ارتقى إلى البطريكية سنة ١٢٠٩م وكان من عمشيت من عمل جبيل، وكان رجلاً فاضلاً باراً ذا غيرة على الدين القويم، أقام بيانوح ودخل رومة العظمى بنفسه، وحضر المجمع الذي انعقد بلاتران في أيام البابا أينوشنسيوس الثالث. وقال نيرون الباني في مقاله المذكورة صفحة ١٠١ انه عندما صير بطريكاً مضى إلى رومة أغراه بذلك أمير جبيل، وترك المطران توادورس من كفرفو (بجبة بشري) نائباً له في البطريكية ليلتمس علاجاً للشؤون التي كانت في أيام سالفه. وهذا يظهر أيضاً من براءة البابا أينوشنسيوس الثالث حيث يقول إنه شهد المجمع اللاتراني. ولما بلغ إلى رومة خرّ على قدمي البابا وكلمه متذللاً وسأله بركته له ولشعبه، فعزاه البابا وأجابه إلى كل ما سأله، وبقي هناك مسروراً خمس سنين وستة أشهر. وروى ابن القلاعي والبطريك أسطفان الدويهي أنّ البطريك أرميا كان يوماً يقدس بحضرة البابا، ولما انتهى إلى رفع القربان رفعه وبقي معلقاً فوق رأسه. فعظم البابا قداسته وأمر بنقش صورة هذه الآية على جدار الكنيسة. قال الدويهي بقيت هذه الصورة إلى أيامنا في كنيسة القديس بطرس القديمة، وبعد أن فرغ أرميا من مهامه برومة سأل البابا أن يرخص له بالعود إلى بلاده فخرج من رومة مبتهجاً طيب القلب، لأنّ البابا نوله سلطان طلبه وأرسل معه الكردينال غويللمس مفوضاً إليه أن يأخذ من شعب لبنان دستور اعترافهم بالإيمان، وكان خروج أرميا من رومة في ٣ كانون الثاني سنة ١٢١٥م. (قال لكويان في حسابنا سنة ١٢١٦م لأنّ المجمع اللاتراني عقد سنة ١٢١٥م وهو سافر في ٣ كانون

الآخر) وبلغ إلى طرابلس في شهر آذار، ولما علم المطران توادورس نائبه بخبر قدومه جمع جمعاً غفيراً من الموارنة ولم يبدوا شعائر سرورهم إلا بعدما بلغهم البطريرك بركة الحبر الروماني وأنشأوا صكاً أثبتوا به إيمانهم وأختامهم أنهم متشبهون بإيمان بطرس لا يزوغون عنه وسلموا ذلك الصك إلى الكردينال غويلمس وكان عدد من وقّعوا عليه مائتين وسبعين رجلاً. وفي جدول بطاركة الموارنة الذي وضعه البطريرك الدويهي أنّ أرميا توفي سنة ١٢٣٠م في دير السيدة بميفوق. انتهت رواية لكويان.

وعندي في وفاة البطريرك أرميا سنة ١٢٣٠م نظر من قبيل أنّه كان صير بطريركاً سنة ١١٨٣م وهذا ثابت بخط أرميا نفسه، فيكون استمرّ بطريركاً سبعاً وأربعين سنة وهذا يصعب القطع به ولهذا أرى صيرورته بطريركاً سنة ١١٨٣م أثبت من أنّ وفاته كانت سنة ١٢٣٠م. لأنّ الأوّل مسنود إلى خط يده وأما الثاني فلا سند له كهذا ويضاده طول مدة بطريركيته والله أعلم. وقد اتّحف البابا اينوشنسيوس البطريرك أرميا بتاج وعكاز وغيرهما من الملابس البيعية، وأخذ قدمائهما منذ ذلك الحين يقتربون من عادات اللاتينية في الملابس الكهنوتية وغيرها كما حقق السمعاني في المجلّد الرابع من مكتبة الناموس.

عد ٣٣

ما نعرفه من أديار الموارنة وكنائسهم إلى آخر القرن الثاني عشر

لا نقصد أن نتكلّم عن أديار الموارنة وكنائسهم القديمة مستندي إلى قدمها بهيئة بنائها، فهذا يستلزم معانيها ولا حظ لنا في ذلك. ويقتضي علم الآثار القديمة ولا خبرة لنا فيه فكلامنا مقصور على ما ورد له منها ذكر في التواريخ.

فأوّل أديار الموارنة الدير الذي بناه أهل حماة على ضريح القديس مارون بين حماه وحمص على العاصي وسمي دير البلور لحسن بنائه وكثرة الرهبان فيه حتى كان به ثمانماية راهب، وكان أوّل الأديرة في سورية الثانية كما يظهر من توقيع رئيسه على العريضة التي رفعت إلى البابا هرمزدا وعلى غيرها من العرائض المعلقة في ذيل أعمال الجمع الخامس، وقد دكّ هذا الدير الملك أنسطاس وقتل من رهبانه ثلاثماية وخمسين راهباً لسبب مدافعتهم عن رسوم الجمع الحلكيدوني المقدّس، ثمّ

وقد علق البطريك بطرس وهو يوحنا اللحفدي على كتاب الأنجيل القديم الخط الذي ذكرناه في كلامنا في العدد السالف على هذا البطريك منبأ بأنه حضر إليه سنة ١١٥٤م الراهب أشعيا من دير قزحيا ورأسه على دير الكوزبند في قبرص. الثامن دير القديس يوحنا في كوزبند بقبرص فهذا الدير قد جاء ذكره في عدة خطوط منها خط الراهب سمعان المعلق على الكتاب السابع من الكتب التي نقلها السمعاني من المشرق إلى المكتبة الواتيكانية مبيئاً فيه أنَّ البطريك بطرس الذي كان سنة ١١٢١م جعله رئيساً وناظراً على دير القديس يوحنا في كوزبند، وقد ذكرنا هذا الخط بحروفه عند كلامنا على البطريك المذكور. ومنها الخط الذي علقه البطريك يعقوب الراماتي على أحد كتب السروجي وفحواه أنه قد رأس دانيال راهب دير كفتون على دير القديس يوحنا بكوزبند سنة ١١٤١م وقد ذكرنا هذا الخط أيضاً بحروفه في كلامنا على البطريك المذكور. ومنها الخط الذي ذكرناه آنفاً المؤذن بتسمية البطريك يوحنا اللحفدي أشعيا راهب دير قزحيا رئيساً على دير كوزبند.

ومنها خط في القرن الثالث عشر علقه البطريك يوحنا الجاجي على كتاب الأنجيل المذكور بالسريانية وهذه ترجمته: «لما كانت سنة ١٥٥٠ يونانية (توافق سنة ١٢٣٩م) أنا بطرس بطريك الموارنة الجالس على الكرسي الأنطاكي والمسمى يوحنا من قرية جاج والساكن بالدير المبارك دير السيدة مريم بميفوق أتى إليّ من دير الكوزبند القس المسمى متى وهو كاهن تقي بتول وأخذ مني ثلاث مئة دينار وحققاً للميرون للدير المذكور وأخذ معه كتاب التوراة لموسى بالعربية وكتاب الناموس وكتاب الإيمان ولله المجد آمين».

التاسع دير كفتون وقد جاء ذكره في ما خطته يد البطريك أرميا العمشيتي على كتاب الأنجيل المذكور مراراً، قال إنَّ البطريك بطرس رقه إلى الأسقفية على هذا الدير وأنَّ رهبانه حينئذٍ كانوا اثنين وثلاثين راهباً وفي الخط الذي علقه البطريك يعقوب الراماتي المؤذن بأنه رأس دانيال راهب دير كفتون على دير كوزبند وهذا الدير للموارنة انتقل في ما بعد إلى يد الروم الملكيين غير الكاثوليكين كما سوف ترى.

وجاء في الكتاب المذكور أيضاً صفحة ٩٨ بسم الله الحي قد وقفت اشمونة

ابنة الياس على دير القديس سرقيس الكرم الذي لها عند العين ليخولها الله خلاص
 نفسها وصحة جسدها وكان هذا الوقف سنة ١٤٠٩ يونانية (توافق سنة ١١٩٨م)
 يوم عيد القديس سرقيس ونشهد بذلك نحن الكهنة تادي وجيورجيوس وبولس.
 الحادي عشر كنيسة القديسين نهرا وباسيليوس في سمار جبيل قال المطران
 أسطفان عواد السمعاني في كتابه المذكور أنّ كنيسة القديسين باسيليوس ونهرا التي
 تسميها العامة ماري نوهر والتي يكرّمها من أقدم الأيّام الموارنة بل الهراطقة والمشاقون
 وغير المؤمنين أيضاً وهي في أبرشية جبيل (تحسب الآن من عمل البترون) حذاء القلعة
 الحصينة التي بناها حكام طرابلس من اللاتينيين في القرن الثاني عشر للذب عن هذه
 الناحية من غارات المسلمين، واطلالها الباقية إلى الآن دالة على عظمتها وقد اعتاد
 المؤمنون بل غير المؤمنين أيضاً أن يقدّموا البخور والشموع وغيرها من التقدّم لكنيسة
 القديسين باسيليوس ونهرا بجانب هذه القلعة توسلاً بشفاعتهما هذين القديسين. وذكر
 من الخطوط المعلقة على كتاب الأناجيل الثاني المذكور خطأً علق على الصفحة الأولى
 منه بالسريانية هذه ترجمته «بسم علة كل مخلوق في سنة ١٥٨٠ يونانية (توافق سنة
 ١٢٦٩م) أقتسم بنو الخوري اقليمس خدمة كنيسة القديسين باسيليوس ونهرا بينهم
 مشاهرة، فأصاب برصوما كانون وكانون وحزيران وتموز وأصحاب أخويه سليمان
 وفيلبس الثمانية الأشهر الباقية». وخطاً آخر علق على صفحة ٤ بالسريانية وهذه
 ترجمته: «بسم الله الحي في سنة ١٥٨٠ يونانية (توافق سنة ١٢٦٩م) قد وقف
 الشماس يوسف لكنيسة القديسين باسيليوس ونهرا جميع متروكات امرأته المتوفاة». وخطاً
 علق على صفحة ٩ بالعربية الا البسملة وهذا هو **مَعْلُومٌ فِي تَرْجُمَةِ**
 (بسم الله الحي) في سنة ألف وسبعماية كذا كتبت ولكن ترجمها المطران أسطفان
 المذكور سنة ١٥٦٥ لأنه وفقها إلى سنة ١٢٤٥م) وخمسة وستين يونانية سليمان ابن
 توما من حردو (لعلها حردين) أوهب لكنيسة مار باسيليوس ومار نهرا حققتي زيتون
 بقرب قرية بشري عن نفسه ونفس أخيه من يستخلصها يكون حظه مع يوحنا
 الاسخريوطي». فهذه الخطوط مؤرخة في القرن الثالث عشر لكنّها مشعرة بأنّ هذه
 الكنيسة أقدم من ذلك العصر. الثاني عشر كنيسة القديس ادنه في العاقورة فقد ورد
 مرات ذكر المطران أرسانيوس أسقف العاقورة الجالس في دير القديس ادنه في العاقورة،
 واطلال هذه الكنيسة ما زالت في العاقورة وتعرف بهذا الاسم الآن. وجاء في تاريخ
 سنة ١٢١١م من تاريخ البطريرك أسطفانس الدويهي: «في هذا الزمان أخذ أبناء ملتنا

بلبنان يقرعون نواقيس من نحاس بدل الخشب للصلاة والقداس، وفاضت نعم الله بين أيديهم فأنشأوا كنائس وأدياراً ومدارس يقصدها الناس لخدمة الله وخلاص نفوسهم. وكان للخوري باسيل من بشري ثلاث بنات أسماهن تقلا وصالومي ومريم نذرَنَ لله عذريتهن وأنفقن جميع ما يملكنَ في بناء الكنائس وتجهيزها، فبنت تقلا في هذه السنة كنيسة القديس جيورجيوس والقديس دومط في بقرقاشا، وكنيستين للقديس لايي الرسول والقديس سرجيوس الشهيد في بشنين بالزاوية. وفي سنة ١١١٣م رقدت بالرب. وبُنِيت أختها مريم كنيسة القديس سابا في بشري وأختها صالومي كنيسة القديس دانيال في الحدث».

وأما دير قنوين فهو أقدم من هذه الكنائس، إذ يقال أنَّ الملك توادوسيوس أمر ببنائه. وفي رواية أنَّ توادوسيوس الذي بناه ليس هو الملك بل سائح يسمى توادوسيوس نسل في المغارة التي هناك وبنى شيئاً حولها، وسوف نتكلم عليه في ما بعد عندما نذكر نقل الكرسي البطريركي إليه في أواسط القرن الخامس عشر ان قَدَرنا الله على إيصال تاريخنا إلى ذلك القرن.

عد ٣٤

تفنيد زعم غوليلمس الصوري أنَّ الموارنة ارعوا عن الضلال

سنة ١١٨٢م

روى غوليلمس أسقف صور اللاتيني في كتابه ٢٢ في الحرب فصل ٨ ما ترجمته: «لما استراحت المملكة (مملكة أورشليم) من حرب صلاح الدين سرّت سروراً موقوتاً في أنَّ ملّة من السريان تسكن في عمل من فينيقيا في سفح لبنان قريب من جبيل طراً عليها تغير مهم لأنهم بعد أن كانوا اتبعوا مدة خمسمائة سنة ضلال مارون المبتدع وتسموا موارنة نسبة إليه، وكانوا يتممون أسرارهم منفصلين عن جماعة المؤمنين استفاقوا بالهام الله وهبوا من تقاعدهم واهلوا إلى ايميريكس بطريرك أنطاكية اللاتيني وهو الثالث من البطاركة اللاتين الذين تراسلوا هذه الكنيسة وارعوا عن الضلال الذي كانوا متسكعين به ورجعوا إلى وحدة الكنيسة الكاثوليكية واعتنقوا الإيمان القويم، وحافظوا على تقليدات الكنيسة الرومانية بكل

احترام واجلال، ولم يكن عدد هذا الشعب يسيراً بل كان يقال أنّهم يجاوزون الأربعين ألفاً منتشرين في أسقفيات جبيل والبترون وطرابلس وسفح لبنان، وهذا الجبل كما مرّ. وكانوا رجالاً أشداء مدربين بالحروب وكانوا نافعين لنا جداً في مهامنا الخطيرة، وفي اغاراتهم المتواترة على الأعداء. ولهذا سرّ قومنا كلّ السرور برجعهم إلى الإيمان القويم وأمّا ضلال مارون واتباعه فهو أنّه كان في ربنا يسوع المسيح مشيئة واحدة وفعل واحد كما يظهر من المجمع السادس أنّه عقد لنبد ضلالهم والذي حكم عليهم بالحرم، وزادوا على هذا المعتقد المزدول من الكنيسة الأرثوذكسية أشياء أخرى مضرة بعد أن انفصلوا من جماعة المؤمنين، ولما ندموا على هذه الأشياء جميعها كما قدمنا ارعوا إلى الكنيسة الكاثوليكية مع بطريركهم وبعض أساقفتهم الذين كما تقدّموهم بالضلال تقدّموهم بالعود التقوي إلى الاقرار بالحقيقة. انتهى مترجماً بكل دقة عما رواه بارونيوس في تاريخ سنة ١١٨٢م بحروفه اللاتينية من كلام غوليلمس الصوري.

إنّ كلام غوليلمس هذا يتضمّن أمرين: الأوّل اخباره عن تسكّع الموارنة خمس مئة سنة في الضلال تبعاً لمارون المبتدع وانعقاد المجمع السادس لنبد ضلالهم وحرمة لهم. والثاني خبره عن ارجاعهم على يد ايميريكس بطريك أنطاكية. فالأوّل كاذب بجملته والثاني صادق في بعض الموارنة لا كلّهم وهاك البيان الأوّل ان غوليلمس يقول أنّ المجمع السادس عقد ضد الموارنة (كما هي حرقية العبارة) وانه حرّمهم. فراهن كل من شاء على أن يبين لنا كلمة أو إشارة في النص اليوناني لهذا المجمع أو في ترجمته اللاتينية القديمة تشعر بأنّ هذا المجمع عقد ضد الموارنة أو بأنّه حرّمهم. فان ابانها سلمنا طائعين بكلمة يتهمنا به خصومنا من هذا القبيل وان استحال عليه أن يجد مثل هذه الكلمة أو الإشارة فليتكف عن ثلبنا، ويوقن غوليلمس اغتر باعتماده على تاريخ سعيد بن البطريق الذي جعل البابا أنوريوس والملك هرقل وسرجيوس وبيرس وبولس وبطرس بطاركة قسطنطينية وقورش بطريك اسكندرية جميعاً موارنة وهو أمر مضحك يسخر منه كل عالم، وانكره على ابن البطريق كل محقق حتى بوكوك أوّل من ترجم تاريخه وسلدانس الذي طبعه.

إنّ زعم غوليلمس أنّ الموارنة اتّبعوا ضلال مارون المبتدع وتسكّعوا به خمس مئة سنة لا اس له إلّا خرافة سعيد بن البطريق، وقد ذكرناها مراراً ولا بدّ الآن من مراجعة خلاصتها: «كان في عصر موريق ملك الروم راهب اسمه مارون كان يقول

إنّ في المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحداً ولما مات بنى له سكان حماه ديراً واتبعوا اعتقاده سموا موارنة». وقد أقرّ غوليلمس نفسه أنّه اعتمد على شهادة سعيد بن البطريق إذ صرّح في مقدّمة كتاب تاريخه أنّ أموري ملك أورشليم دفع إليه بعض كتب عربية في جملتها تاريخ سعيد المذكور واقترح عليه كتب تاريخ فاعتمد خاصة على تاريخ الرجل المحترم سعيد بن البطريق البطريرك الاسكندري. وقد أشار إلى ذلك البابا بناديكتس الرابع عشر في منشوره الآتي ذكره بقوله: «إنّ شهادة غوليلمس ليست بكافية لتأييد الرأي المضاد للموارنة. ولربّما عرف غوليلمس نفسه ضعف قوله ولذلك عزاه إلى المجلّد الثاني من تاريخ سعيد الاسكندري». وأما كون حكاية سعيد هذه هي التي اعتمد عليها غوليلمس من الترهات البسباس فقد أجاد ببيان العلامة البابا بناديكتس الرابع عشر في منشوره إثبات قداسة القديس مارون الذي أثبتنا ترجمته في عدد ٧١١، أورد هذا البابا الجهد أدلة على ذلك يستحيل نقضها منها أنّ القديس مارون كان في آخر القرن الرابع وأوّل القرن الخامس، وبدعة المشيئة الواحدة لم تظهر إلّا في القرن السابع فبين ظهورها قرنان فمن المحال أن يكون مارون ابتدعها ومنها أنّ دير القديس مارون الذي روى ابن البطريق أنّ سكان حماه بنوه على اسمه كان قبل ظهور هذه البدعة بقرنين أيضاً إذ كان ديراً مشهوراً برهبانه الأفاضل من القرنين الخامس والسادس، كما يظهر من رسائلهم إلى البابا هرمزدا وغيره المعلقة في ذيل الجمع الخامس. ولما دك هذا الدير أنسطاس الملك جدّد بناه الملك يوستينانس الأوّل الذي توفي سنة ٥٦٥م كما حقق بروكويوس القيصري في الكتاب الخامس في ابنية يوستينانس. وهذا المؤرّخ كان من رجال ذولة يوستينانس المذكور وعليه فمن شاء أن يكابر مدعيّاً صحّة شهادة غوليلمس المؤسسة على شهادة ابن البطريق فليرد ولو هذين الدليلين أوردتهما البابا بناديكتس أو يثبت أنّ غوليلمس اعتمد على غير سعيد في زعمه هذا عن الموارنة فنسلم طائعين.

بقي أن يقال أنّ مارون الذي ذكره ابن البطريق وانتحل غوليلمس قوله ليس مارون الرئيس بل يوحنا مارون البطريرك الذي كان في القرن السابع. فنجيب أنّ هذا الزعم أيضاً باطل بل محال لأنّ يوحنا مارون لم يكن في أيام موريق ولا بنى أهل حماه على اسمه ديراً كما قال ابن البطريق، بل صيّر أسقفاً على البترون سنة ٦٧٥م أو سنة ٦٧٦م وبطريقاً سنة ٦٨٥م وتوفي سنة ٧٠٧م. فاشتهر في عصر الملك قسطنطين اللحياني ويوستينانس الثاني الأخرم لا في عصر موريق الذي كان

في آخر القرن السادس. وقد صرح البابا بناديكتس الرابع عشر في خطبته بكرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م أنّ الموارنة إنّما انتخبوا بطريركاً خاصاً عليهم وهو يوحنا مارون ليقوا نفوسهم من بدعة المشيئة الواحدة، فما الذي يبقى من القوّة لزعم غوليلمس أو غيره من خصومنا أنّ يوحنا مارون ابتدع هذه البدعة فضلاً عن الاجتماع على أنّ يوحنا مارون توفي سنة ٧٠٧م، وأنّ ظهور بدعة المشيئة الواحدة كان سنة ٦٢٨م. فلو فرضنا أنّه عاش ثمانين سنة لكان مولده سنة ٦٢٧م فكيف يبتدع بدعة وعمره سنة أو سنتان. وإن قيل تبع هذه البدعة بدءاً فلم لا نجد اسمه بين من حرمهم المجمع السادس وغوليلمس يزعم أنّ المجمع السادس عقد ضدّ الموارنة وحرّمهم، ولا يستطيع هو أو غيره أياً كان أن يحجنا بكلمة أو إشارة من النص اليوناني لهذا المجمع أو من ترجمته اللاتينية يتبيّن بها اسم مارون أو الموارنة مع أنّ هذا المجمع عدّد أسماء كل منشئي هذه البدعة ومن شايهم عليها فلم صمت عن مارون أو يوحنا مارون أو الموارنة؟

إنّ كلّ ما أوردناه في المجلّد الخامس لاثبات براءة المارونيين والموارنة من هذه البدعة من شهادات الأحرار الأعظمين وكردالة الكنيسة الرومانية وقصاها والعلماء المحققين والأدلة القاطعة على ثبوت الموارنة في الإيمان الكاثوليكي منذ ظهور هذه البدعة إلى سنة ١١٨٢م كل ذلك يصلح أن يكون برهاناً قاطعاً على بطلان زعم غوليلمس أنّ الموارنة تشبّثوا ببدعة المشيئة الواحدة خمس مئة سنة وارعوا عنها سنة ١١٨٢م.

وقد فتّد هذه التهمة كثيرون من العلماء الغربيين والمشرقيين وزيفها من علمائنا كثيرون نخصّ بالذكر منهم البطريرك أسطفانس الدويهي في تاريخه، وفي كتابه ردّ التهم، والعلامة السمعاني في مواضع كثيرة من المكتبة المشرقية ومن مكتبة الناموس وغيرهما من كتبه، والمطران أسطفانس عواد السمعاني في محاماته عن القديس يوحنا مارون وفي كتابه فهرست الكتب المشرقية في المكتبة الماديشية، والبطريرك يوسف أسطفان في محاماته عن قداسة القديس يوحنا مارون والخوري أنطون القيارة في ردّه رسالة القس يوحنا عجيّم والبطريرك بولس مسعد في كتابه «الدر المنظوم» وأنا أحقر هؤلاء العلماء الذي لا أستحق أن أذكر في عديدهم في كتابي «روح الردود» وفي كتيب رفعته في السنة السالفة إلى علماء مجتمع الآثار القديمة الذي التأم برومة سنة ١٩٠٠م وسأذكر شهادة بعض مشاهير المؤرخين اللاتينيين.

وأما القسم الثاني من شهادة غوليلمس الصوري وهو ما رواه عن ارتداد الموارنة على يد ايميريكوس بطريك أنطاكية اللاتيني فلا نجد صدقه على فريق من الموارنة فقد رأيت ما ذكرناه في الكلام على بطارقة طائفنا في هذا القرن عدد ٨٥٨ عن انخداع فريق من الموارنة لمقالة توما أسقف كفرطاب وبث بعد وفاته ابن شعبان وابن حشان ضلاله بين الموارنة حتى أطغوا سكان بعض القرى منهم أهل كفرناشيت وجنح البطريك نفسه إلى ضلالهم فنهض لمقاومته باقي رؤساء الملة وأعيانها والسواد الأعظم من شعبها، وحملتهم الحمية والغيرة الدينية على حظه عن مقامه وإقامة بطريك آخر صحيح المعتقد فلم يكن من الأغرار المغوين بالضللال إلا أنهم جسروا على قتل البطريك الحديث، فعظم الأمر على الأكثرين المشبتهين بالإيمان القويم وعزموا أن يهلكوا أولئك الشاذين عن آخرهم، فتدارك أمرهم ايميريكوس بطريك أنطاكية اللاتيني وأرشد أولئك الضالين فارتدوا إلى محجة الدين القويم، وصالحهم مع اخوانهم وأدخلهم في طاعة رؤسائهم، فانتخبوا متفقين بطريكاً عوضاً عن البطريك المقتول. وكل منصف يرى أن التهمة بالضللال والارتداد عنه لا تصدق في هذا الحادث إلا على ذلك الفريق القليل ولا تمس شأن الطائفة بجمليتها، ولا يصدق عليها أتباع الضلال والرجوع عنه. فجنوح بطريك إلى ضلال وقتل بعض الأغرار المتحمسين للضللال بطريكاً من الكبائر الفظيعة، لكنها من الأعمال الفردية المقصورة على فاعليها ولا تتعدى إلى الملة كلها ونهوض باقي رؤسائها وأعيانها وشعبها على البطريك المغتر وحظه عن مقامه بينة دامغة على براءة ساحة الملة بجمليتها من شائبة الضلال، بل دليل قاطع على تشبه المتين بعروة الإيمان القويم. ونجزيء بأن نورد إثباتاً لكل ما جئنا به في هذا الفصل شهادات باجيوس ولكويان وهما من كبار المؤرخين المدققين فالعلامة باجيوس انتقد تاريخ الكردينال بارونيوس امام المؤرخين ونقحه سنة فسنة. ولما كان بارونيوس ذكر رواية غوليلمس عن ارتداد الموارنة في تاريخ سنة ١١٨٢م الحق باجيوس بكلامه انتقاداً وتنقيحاً هذا ملخصه: «عدد ١٠ غلط غوليلمس الصوري في كل ما رواه عن ارتداد الموارنة ابنا في عد ٤ كم انخدع غوليلمس الصوري وما أشد بغضه للفرسان الأورشليميين إذ كتب أنهم كانوا قبلاً ينتمون إلى حماية القديس يوحنا الرحوم ولما ازداد مالهم استبدلوه بالقديس يوحنا المعمدان. ونبين هنا كم أخطأ بنسبته بدعة المشيعة الواحدة إلى ملة الموارنة بجمليتها. وقد ذكر بارونيوس كلامه بجمليته فاكتفي أنا بإيراد

ملخصه». ولخصه إلى أن قال: «عد ١١ إن غوليلمس الصوري اعتمد على حكايات كاذبة لا شك في أن الصوري انتحل في كتابة تاريخه أشياء كثيرة من تواريخ سعيد البطريك الاسكندري، وهذا لم يكن مدققاً في تواريخه بل أدخل بها حكايات كثيرة وروى أموراً تخالف رأي المؤلفين، وهي عن الصدق بمراحل. وقد صرح غوليلمس نفسه في مقدمة كتابه بان أموري ملك أورشليم دفع إليّ كتاباً عربية فكتبت تاريخاً آخر يبتدئ من ظهور الاسلام إلى هذه السنة التي هي سنة ١١٨٤ للميلاد فينطوي على تاريخ خمس مئة وسبعين سنة وقد تبعت خاصة الرجل المحترم سعيد بن البطريق البطريك الاسكندري»... فتاريخ الصوري هذا لم يصل إلينا وما بقي منه في تاريخ الحرب المقدسة قال هو فيه: «لم يكن لديّ في هذا القسم ما يرشدني إليه من الكتب اليونانية أو العربية فاعتمدت فيه على التقليدات وحدها إلا شيئاً سيراً كونه فيه شاهداً عياناً ونظمت سلسلة أخباره». على أن التقليدات التي اتبعها كانت غالباً غير صحيحة، ومما لا ريب أنه اعتمد في أكثرها على حكايات سعيد المذكور عن أصله العربي. فقال: «كان في أيام موريق راهب اسمه مارون» إلى آخر كلامه المعروف الذي رواه باجيوس هنا إلى أن قال: «عدد ١٢ أن تاريخ سعيد مشحون بالأقاصيص لأن بدعة المشيئة الواحدة لم تظهر في أيام موريق هذا ولا في عصر فوقاً خليفته بل في أيام هرقل، وهذا يعلمه جميعهم والدير الذي ذكره سعيد لم يكن بعد وفاة مارون هذا (أي يوحنا مارون) بل كان قبله بنحو مائتي سنة وكان مكرساً على اسم القديس مارون الرئيس. وقد استدلل نيرون على هذا بشهادة بروكوبيوس القيصري في الكتاب الخامس من ابنية يوستنيانوس حيث قال: «جدد واصلح فندق الفقراء على اسم القديس رومانوس ودير القديس مارون فوق حماه». ومما لا يُمتري فيه أن يوستنيانوس توفي سنة ٥٦٥م وموريق تسلم منصبة الملك سنة ٥٨٣م وتوفي سنة ٦٠٢م فتجديد بناء الدير في أيام يوستنيانوس يستلزم أن يكون حينئذ قديماً جداً. وتؤيد ذلك أعمال المجمع الخامس المسكوني الذي عقد سنة ٥٥٢م في عصر يوستنيانوس المذكور إذ شهد هذا المجمع قصاد دير القديس مارون الذي كان طائر الشهرة، وكان أول جميع أديار سورية الثانية ورئيسها، وهذا يبين أيضاً من توقيع سفراء هذا الدير على أعمال المجمع المذكور. وقد أثبت أن مارون هذا (أي يوحنا مارون) كان راهباً في الدير المذكور نفسه وكان اسمه يوحنا فزاد عليه مارون آخذاً إياه من اسم دير القديس مارون

الرئيس. وقد استوفينا رد هذه الحكاية باسهاب في تاريخ سنة ٦٣٥م» (نكتفي برده هنا عن رده في تاريخ السنة المذكور لتأمل القارئ): «عدد ١٣ إن بعض الموارنة زاغوا عن الإيمان». بقي لنا هنا أن نفند ما رواه بارونيوس عن الصوري من أن ملّة الموارنة بجملتها ارتدّت إلى الإيمان الكاثوليكي فلا ريب في أن المشيعة الواحدة انسربت في جبل لبنان واتّصل السم إلى البطريرك نفسه كما روينا في تاريخ سنة ١١٠٩م، وكان انسرابها في نحو أوائل هذا القرن بواسطة توما الحاراني أسقف كفرطاب كما قلنا في المحل المذكور.

«عدد ١٤ وفي هذه السنة ١١٨٢م أوقع أييريكس البطريرك الأنطاكي الصلح في كنيسة الموارنة، أن الموارنة بعد ذلك وبعد ما ذكرناه في تاريخ سنة ١١٠٩م انتخبوا بطريركاً كاثوليكياً فقتله الشاذون عن الإيمان وتوافرت الانقسامات والقلق بين الموارنة على انتخاب بطريرك كما روى نيرون، فتسارع أييريكس بطريرك أنطاكية اللاتيني وخمد جذوة حقهم ورد من أوجدوا الشقاق أو أتبعوه إلى الطاعة وحلّهم السلطان الحبر الروماني من الحرم الذي حلّ بهم لاقترافهم الجريمة الكبرى بقتل البطريرك واجتمعت كلمة الموارنة على انتخاب بطريرك حديث مشهور باستمساهة بالإيمان القويم». وأيد باجيوس كلامه بما جاء في مقالة نيرون من انقياد الموارنة بواسطة أييريكس وطلبه الحل لهم من الكرسي الرسولي وانتخابهم بطريركاً سكن في دير العذراء القديسة في هايل وحفظ كل ما في الانجيل، وكان ضليعاً في تفسير الأسفار المقدسة وألف ميامر كثيرة في الإيمان، ولم يندب إيمان مارون بل ثبت وتأيد إلى أن قال: «ومن ذلك ينتج نتجاً واضحاً أن الصوري لما علم أن الموارنة الذين اتبعوا شقاق توما الكفرطابي جحدوا ضلاله على يد أييريكس وأقزوا بالإيمان الروماني هم والبطريرك بعد وقوع الصلح ظنّ أن الموارنة جميعاً كانوا متلوّثين ببدعة المشيعة الواحدة فنسب إلى كل الملة ما لا يصدق إلا على فريق يسير منها ولا أهمية له فيها، وقد زاغ مدة فقط إلا أن نقول أن الصوري انخدع بأخبار أحد من الذين ارتبكوا بشقاق توما الكفرطابي، ولكن لا معذرة البتة للصوري بزعمه أن المجمع السادس عقد ضدّ الموارنة وأنه حرّمهم، إذ لا كلمة واحدة في أعمال هذا المجمع تشير إلى ذلك.

عدد ١٥ قد أخطأ الصوري بنسبته إلى الملة جمعاء الضلال فكيف حقّ له أن يقول إن الموارنة تسكّعوا ببدعة المشيعة الواحدة خمس مئة سنة وأسقفهم داود الذي

كان سنة ١٣٧٠ لاسكندر وهي سنة ١٠٥٩م ألف كتاباً جمع فيه قوانين الكنائس الشرقية كما يظهر من رسالة الانبا يوسف إليه في طلب هذا الكتاب. وقد أثبت الأسقف داود في الفصل الأول منه أنَّ الموارنة يعترفون بمشيئتين في المسيح إذ قال: «إنَّ الروم يتفقون مع الموارنة بالاقرار بالمشيئتين والموارنة يعترفون بالمشيئتين تبعاً للطبيعتين الإلهية البشرية». فكيف يزعم الصوري أنَّهم كانوا ملوثين ببدعة المشيئة الواحدة خمس مئة سنة ولم يرفعوا عنها إلا سنة ١١٨٢م. أجل إنَّ بعض الموارنة سافر إلى قبرص حين انقسامهم وأطغى كثيرين ولكن لا ينتج من هذا إلا أنَّ كثيرين من الموارنة كانوا ضالين عن الإيمان الصحيح، على أنَّ هذا لا يوجب الضلال على الأمة جمعاء كما أنَّ كثيرين من الفرنسيين والجرمانيين تلوَّثوا بضلال كلوينوس ولا ينتج من ذلك أنَّ الأمتين ليستا كاثوليكيتين. وقد ندَّد بعضهم بالموارنة لأنَّه وجد في كتبهم ما يدل على بدعة ولاسيما بدعة الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة لكن هذا أدخله مكر اليعاقبة على كتب الموارنة، لأنَّه لما كانت الملتان تستعملان اللغة السريانية في صلواتهما فعني اليعاقبة بأن يدخلوا ضلالهم في كتب الموارنة محرفين لها أو زائدين عليها، وهذا ظاهرٌ مما كتبه بطرس بطريرك الموارنة إلى الكردينال أنطونيوس كارافا في ٢٥ آب سنة ١٥٨٣م، ورواه نيرون صفحة ٧٧ في مقالته المذكورة وهو: «قد كتب إليكم بعض الناس أنَّ في كتبنا بعض كلمات تخالف رأس الكنيسة المقدسة فنحن لا نقبل إلا ما تقبله الكنيسة المقدسة وما يوجد في بعض النسخ يمكن أن يكون أدخل على كتب الموارنة من كتب الملل المحدثه بنا من زمان مديد، فدع يا أخي جانباً كل شبهة باستقامة إيماننا فأساسنا ثابت منذ القديم على إيمان الكنيسة المقدسة الرسولية الرومانية، ولم نزع عن هذا الإيمان البتة ولا نكلمكم بفينا فقط بل بفينا وقلبنا معاً والله الشاهد على ذلك». فصيح إذا أنَّ غوليلمس الصوري وكثيرين غيره من الحديثين الذين تساهلوا بتصديق أخباره عن ارتداد الموارنة قد انخدعوا انخداعاً كبيراً.

«انتهى كلام هاجيوس وقد أوردناه مطولاً لما اشتمل عليه من الفوائد في هذا البحث.

وأما لكويان فقد ذكرنا شهادته في عدد ٨٥٨ فانه بعد أن ذكر ما كان بين الموارنة حينئذٍ وعناية أيميريكس بارتداد الزائغين عن الإيمان إلى محجته القوية وادعائهم لارشاده والصلح بينهم قال: «لا ريب عندي في أنَّ هذا ما حمل

غوليلمس الصوري على ما كتبه من أنّ الموارنة كلّهم رجعوا عن الضلال سنة ١١٨٢م على يد أيميريكس البطريك الأنطاكي، مع أنّ هذا لا يصدّق على الملة كلّها بل على بعض أفرادها فقط». وكان قد قال في مقدّمة كلامه على الموارنة: «كما لم يعب فرنسا اتباع كثيرين من اكليسها وشعبها مذهب لوتاروس وكلونيوس هكذا لا يعيب الملة المارونية اتباع بعض أفرادها الضلال مدّة ما».

لأني أرى هذه الأدلّة التي أوردتها حتى الآن تجاوز حد الكفاية في دحض دعوى سعيد بن البطريق وغوليلمس أسقف صور على الموارنة الضلال الهم الله من يحسدوننا على نعمته وفضله أن ينصفونا ولا أقل من أن يجارونا في طريق الجدل المفروضة ولا يحجوننا في ما بعد بأقوال سعيد وغوليلمس قبل أن يردوا الأدلّة الواضحة والبيّنات القاطعة التي جئنا بها هنا وفي مواضع أخرى.

مقالة سادسة

تاريخ الموارنة في القرن الثالث عشر

عد ٣٥

فتح المسلمين جبة بشري

قال البطريك أسطفان الدويهي في تاريخ سنة ١٢٨٣م: «قد وقفنا على كتابين للصلاة كُتب أحدهما سنة ١٥٩٤ لاسكندر (الموافقة لسنة ١٢٨٣ للميلاد) في قطين الرواديف في أرض الحدث بقرب دير القديس يوحنا بدير مار ابون الذي كان الأسقف ابراهيم الحداثي مقيماً به. والثاني كتب بعد الأوّل بمئتين واحد وعشرين سنة أي سنة ١٨١٥ لاسكندر وهي سنة ١٥٠٤م، وقد كتب في كلا الكتابين أنّه في شهر أيار سارت العساكر الإسلامية إلى فتح جبة بشري وصعدت إلى وادي حيرونا شرقي طرابلس وحاصروا قرية إهدن حصاراً شديداً وملكوها بعد أربعين يوماً

في شهر حزيران وسلبوا ما وجدوا فيها وخربوا القلعة التي كانت في وسطها والحصن الذي على رأس الجبل (إنَّ هناك الآن كنيسة تسمى سيدة الحصن) ثم انتقلوا إلى بقوفا ففتحوها في شهر تموز وقبضوا على أكابرها وأحرقوهم بالبيوت ودكوها إلى الأرض، وأكثروا من النهب والسلب وبعد أن أعملوا السيوف بأهل حصرون وكفرسارون وذبحوهم في الكنيسة زحفوا في ٢٢ آب إلى الحدث، فهرب أهلها إلى العاصي وهي مغارة فيها صهريج ماء فقتلوا من أدركوه وخربوا الحدث وبنوا برجاً قبالة المغارة وأبقوا حامية من العسكر. ثم هدموا جميع الأماكن الحصينة ولم يستطيعوا سبيلاً إلى فتح قلعة حوقا التي قبالة الحدث، فأشار عليهم ابن الصبحا من كفرسغاب أن يجروا إليها الماء الذي فوق بشري ففعلوا وملكوها بقوة الماء لأنها كانت داخل الصخر، وأذنوا لابن الصبحا أن يلبس عمامة بيضاء، وأن تقوم العبيد بخدمته. ولما تراجع العسكر ندم ابن الصبحا على ما كان منه وبنى دير سيدة حوقا لسكن الرهبان وهو بالقرب من البرج الذي كان في الصخر». لا نشك في صحة هذه الرواية لأنَّ الدويهي خير ثقة، وقد صرح بأنَّه نقلها عن كتاب خط تلك السنة أي سنة ١٢٨٣م التي كانت فيها هذه النكبة فيظنَّ أنَّ الأسقف ابراهيم الحداثي الذي كان يسكن دير مار ابون هو الذي كتب خبر هذه الحادثة باثر وقوعها على كتاب الصلوة طبق عادة أسلافنا التي نعلم لها أمثالاً كثيرة ويؤيد ذلك تفصيل الخبر وتعيين الأماكن على ما نعلمها الآن مع الأيَّام التي فتحت بها كل قرية. وقد جاء في كتاب الغرر الحسان خبر هذه الواقعة كما ذكرناه إلَّا بناء ابن الصبحا دير حوقا، ولم يأت ذكر بشري في هذا الفتح مع أنَّها واقعة بين بقوفا وحصرون، فلا يخلو إهمال ذكرها من أحد أمرين: إمَّا أنَّها لم تكن ذات أهمية حينئذٍ، إمَّا أنَّ المسلمين نكبوا عنها لأنها كانت منيعة كثيرة السكان. والأظهر عندنا الثاني لأننا نعلم أنَّها كانت قبل هذه النكبة وبعدها مأهولة بخلق كثير وينسب العمل كلُّه إليها وكان فيها مقدِّمون أصحاب بطش وصولاً كما سترى، فالأولى أن نقول أنَّ المسلمين نكبوا حينئذٍ عنها على أنَّ فتح هذه البلاد حينئذٍ لم يكن إلَّا غزوة عابرة على عادة تلك الأيَّام ولم يتوطَّن المسلمون فيها بل قصدوا التنكيل بأهلها ربَّما لأنَّهم نجَّدوا الفرنج في حروب المسلمين الأخيرة لهم كما يظهر من أخبار حربهم الآتي ذكرها مع أهل كسروان ونرى بقوفا واهدن والحدث بعد مدَّة وجيزة عامرة مأهولة بالنصارى الموارنة.

حروب كسروان

الحرب الأولى كانت في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر نروي أخبار هذه الحروب عن المؤرخين المسلمين أولاً ثم نردفها بأخبار المؤرخين النصاري جاء في كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى الذي نشره الأب لويس شيخو اليسوعي في المجلة العربية الموسومة بـ«المشرق» قال صالح: «في شهر شعبان سنة ٦٩١هـ سنة ١٢٩٢م توجه الأمير بيدرا (من مماليك الملك المنصور قلاوون) قائد السلطنة بمصر وقصد جبال كسروان وتوجه بصحبته من الأمراء الأكابر شمس الدين سنقر الأشقر والأمير قراسنقر المنصوري، والأمير بدر الدين بكتوت الأتابكي، والأمير بدر الدين العلاني. وأتاهم من جهة السانحل ركن الدين بيبرس طقصوا، والأمير عز الدين ابيك الحموي وغيرهما، والتقوا بالجبل وحضر إلى الأمير بيدرا من ثنى عزمه وكسر حزمه فحصل الفتور في أمرهم حتى تمكن الكسروانيون في بعض العسكر في تلك الأوعار ومضايق الجبال، فنالوا منهم وعاد العسكر شبه المكسور المنهزم وطمع فيهم أهل تلك الجبال حتى اضطّر الأمير بيدرا أن يطيب قلوبهم ويحسن إليهم. وخلع على جماعة من أكابرهم فاشتطوا في الطلب فأجابهم إلى ما التمسوه من الإفراج عن جماعة منهم كانوا قد اعتقلوا بدمشق للذوب وجرائم صدرت منهم، وحصل للكسروانيين من القتل والنهب والظفر ما لم يكن في حسابانهم، وحصل للأمراء والعسكر من الآلام ما أوجب تسريح بعضهم لسوء تدبير الأمير بيدرا، ونسبوه إلى إهمال أمرهم واتهموه بالفتور عن قتالهم حتى تمكنوا مما تمكنوا منه لطمعه وأشاعوا أنه تبرطل منهم وأخذ رشوة كبيرة واحتجج الناس بذلك». هذا ما قاله صالح بن يحيى وذيله الأب شيخو بحاشية قال فيها: «ورد خبر غزوة الأمير بيدرا لكسروان في تاريخ المماليك للمقريزي وتفصيله لا تختلف عما ذكره المؤلف هنا».

وقال صالح المذكور بعد ما مر: «ثم توجه الأمير بيدرا بالعساكر إلى دمشق فتلقيه السلطان وأقبل عليه وترجل عند ترجله للسلام عليه، ولما أنكر عليه سوء اعتماده وتفريطه في العسكر عمل كلام السلطان فيه حتى مرض لذلك، وشيع الناس أنه سقي السم ثم عوفي... وكان الذي أخبر أن بيدرا ارتشى من الكسروانيين بيبرس طقصوا فاسرّ بيدرا الأمر في نفسه وترتب له، ولما قبض

السلطان على لاجين خاطب بيدرا السلطان في القبض على بيرس طقصوا فقبض عليه مع لاجين لأنه كان قد تزوج ابنته».

والذي رواه البطريق أسطفانس الدويهي في تاريخه أنّ الكسروانيين الجرديين كانوا قد نزلوا من الجبال لنجدة الفرنج عند حصار طرابلس وقتلوا من عسكر السلطان خلقاً كثيراً، فبرز أمر حسام الدين لاجين نائب دمشق إلى قراسنقر أن يجمع العساكر الشامية ويزحف بها لاستئصالهم واستشهد الدويهي ابن سباط فقال: «قال ابن سباط وكتب أيضاً إلى إثنين من أمراء غرب بيروت جمال الدين حجي بن محمد التنوخي وزين الدين بن علي أنه إذا بلغهما توجه المقر الشمسي سنقر المنصوري بالعساكر المنصورة إلى جهة الجرد وكسروان يتوجهان إليه بعساكرهما وأن من نهب امرأة كانت له جارية أو صبياً كان له مملوكاً ومن أحضر منهم رأساً فله دينار، وأن سنقر المذكور متوجه لاستئصال شأفتهم وسبي ذراريهم. هذا ما رواه الاهدني في تاريخ سنة ١٢٨٧م. ولا شك في أنه مقدمة لما ذكره صالح ولم يعد يذكر حرباً في كسروان انتصر بها الكسروانيون إلا في سنة ١٣٠٢م كما سيأتي فنظّر أنه فاتته العلم بما كان من الأمر الذي أبرزه حسام الدين لاجين فلم يذكر الدويهي حرب سنة ٦٩١هـ سنة ١٢٩٢م التي ذكرها صالح بن يحيى، وكان قائدها بيدرا نائب السلطان بالشام بل ذكر الحرب التي كانت سنة ١٣٠٢م ويؤيد حصول هذه الحرب قول صالح بن يحيى أنّ العساكر الشامية توجهت سنة ٧٠٥هـ إلى جبال كسروان: «وهي النوبة الثانية في أيام السلطان الملك الناصر محمد ابن المنصور». فالحرب الأولى التي ذكرها سنة ٦٩١هـ كانت في أيام الملك الأشرف خليل بن قلاوون لا في أيام الملك الناصر وحرب سنة ٧٠٥هـ هي النوبة الثانية في أيام الملك الناصر الذي ولي الملك سنة ٦٩٣، ثم خلعه كتبغا سنة ٦٩٤هـ، ثم ردّ إليه سنة ٦٩٨هـ وعهد حينئذ بنبابة السلطنة بالشمال إلى جمال الدين الأفرم الآتي ذكره كما مرّ في تاريخنا هذا. وهذا ما قاله الإهدني في هذه الحرب الثانية:

«سنة ١٣٠٢م (سنة ٧٠٢هـ) نزل الفرنج على نهر الدامور ليلة الأربعاء ثامن جمادي الأوّل فقتل هناك فخر الدين عبد الحميد بن جمال الدين التنوخي وأسر أخوه شمس الدين عبدالله، فافتداه ناصر الدين الحسين بن خضر بثلاثة آلاف دينار. فرفعت الشكاوي إلى نائب دمشق الأفرم من الجرديين وأهل كسروان. قال

ابن الحريري أنّ في هذه السنة اجتمع النواب جمال الدين أقوش الأفرم نائب دمشق وسيف الدين استدر نائب طرابلس، وشمس الدين سنقر المنصوري وحشدوا جيوش الشام إلى مقاتلة الجرديين وأهل كسروان، فاجتمع مقدّمو الجبال واستعدّوا للقاء الجيش فهزموه وقتلوا كثيرين وغنموا غنيمة كبيرة». قال الأسقف جبرائيل ابن القلاعي: «أنّ الوقعة كانت عند مدينة جبيل وأنّ المقدّمين الذين نزلوا من الجبال كانوا ثلاثين مقدّمًا والمشهورون منهم خالد مقدّم مشمش وسان وأخوه سليمان مقدّمًا ايليح وسعادة وسركيس مقدّمًا لحفد وعنتر مقدّم العاقورة وبنيامين مقدّم حردين، وربّوا ألفي مقاتل كمنوا على نهر الفيدار والفين على نهر المدفون ثمّ انحدروا بثلاثين ألف مقاتل لقتال الجيش، فوقعوا بحمدان القائد على الطريق منفرداً فقتلوه وحملوا على الجيش فهزموه وأهلكوا أكثره وغنموا أمتعتهم وسلاحهم وأخذوا أربعة آلاف رأس خيل من خيلهم، وقدم الأكراد لنجدتهم فصدهم المكنون في الفيدار والمدفون فلم يخلص منهم إلّا القليل، وقتل من الأمراء التنوخية (أصحاب غرب بيروت) نجم الدين محمّد، وأخوة شهاب الدين أحمد ولدا جمال الدين حجي، ثمّ غزا الجرديون بلادهم وأحرقوا منها عين صوفر وشلمك وعين زوينة وبحطوش وغيرها من بلاد المغرب، وقتل (في وقعة جبيل) من المقدّمين بنيامين مقدّم حردين ودفنوه عند باب الأركان في جبيل ثمّ صعدوا إلى معاد واقتسموا الغنائم».

أمّا الحرب الثالثة فإليك ما قاله فيها صالح بن يحيى: «ومما نقلناه عن النويري والصلاح الكتبي في فتوح كسروان ما روي من جملة حوادث سنة ٧٠٥هـ (سنة ١٣٠٥م) وذكرنا توجه العساكر الشامية إلى جبال كسروان وإبادة أهلها وتمهيدها وهي النوبة الثانية في أيام الملك الناصر محمّد بن المنصور». فقالا: «كان أهل كسروان قد كثروا وطغوا واشتدّت شوكتهم وتطاولوا إلى أذى العسكر عند انهزامه من التتر في سنة ٦٩٩هـ (سنة ١٣٠٠م) وأغضى السلطان عنهم وتمادى في عقابهم فراد طغيانهم وأظهروا الخروج من الطاعة (ربّما أشارا بهذا إلى ما ذكرناه من الحرب الثانية) واعتزلوا بجبالهم المنبعة ووثقوا بجموعهم الكثيرة وعلّلوا النفس بأنّه لا يمكن الوصول إليهم». انتهى ما نقله صالح عن النويري والصلاح الكتبي.

ثمّ أخذ صالح في تفصيل الخبر فقال: «ففي ذي الحجة سنة ٧٠٤هـ (سنة ١٣٠٤م) جهز جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام زين الدين علّنان ثمّ توجه

بعده تقي الدين قراقوش وتحذثا معهم في الرجوع إلى الطاعة فأبوا، فأمر عند ذلك بتجريد العساكر إليهم من كل جهة ومن مملكة من ممالك الشام وتوجه أقوش الأفرم من دمشق بسائر الجيوش في يوم الإثنين الثاني من محرم سنة ٧٠٥هـ (سنة ١٣٠٥م) وجمع جمعاً كثيراً من الرجالة نحو خمسين ألفاً وتوجهوا إلى جبال الكسروانيين والجرديين، وتوجه سيف الدين استدرم نائب طرابلس وشمس الدين سنقر جاه المنصوري نائب صنفد، وطلع استدرم المذكور من جهة طرابلس وكان قد نسب إليه مباطلتهم، فجرد العزم وأراد أن يفعل في هذا الأمر ما ينفي عنه هذه التهمة، فطلع إلى جبل كسروان من أصعب مسالكه، واجتمعت على أهله العساكر واحتوت على جبالهم ووطئت أرضاً لم يكن سكانها يظنون أحداً يطأها، وقطعت كرومهم وأشربت بيوتهم وقتل منهم خلق كثير وتفترقوا في البلاد واستخدم استدرم جماعة منهم في طرابلس بجامكية وجازاهم من الأموال الديوانية فأقاموا على ذلك سنين وأقطع بعضهم أملاكاً». انتهى كلام صالح بن يحيى.

وهذا ما جاء في تاريخ البطريرك أسطفانوس الدويهي: «في سنة ١٣٠٤م (سنة ٧٠٤هـ) أرسل أقوش الأفرم نائب دمشق إلى الجلبين والكسروانيين الشريف زين الدين بن عدنان يأمرهم أن يصلحوا شؤونهم مع التنوخية ويدخلوا في طاعتهم، ثم أرسل إليهم تقي الدين بن تيمية في صحبة بهاء الدين قراقوش (تأمل المطابقة بين الدويهي وصالح بأسماء هؤلاء المنذرين) فلم يحصل إتفاق، فافتنى العلماء حينئذ بنهب بلادهم لاستمرارهم على العصيان، ولذلك جردت العساكر من جميع بلاد الشام ولم تزل الجموع تزداد من كل ناحية إلى سلخ (آخر) هذه السنة.

وسنة ١٣٠٧م (سنة ٧٠٧هـ) نرى هنا زلة قلم من الناسخ بتعيين هذه السنة والصواب سنة ٧٠٥هـ، لأنه إذا كان أقوش أمر بجمع العساكر واجتمعت سنة ٧٠٤هـ إلى آخرها فلا يظن أنه آخر مسيره إلى سنة ٧٠٧هـ بل سار في أول سنة ٧٠٥هـ، وقد اتفق كلاما صالح والدويهي على تعيين يوم الإثنين ثاني محرم ذكر ابن الحريري وابن سباط أنه في يوم الإثنين ثاني محرم سار أقوش الأفرم نائب دمشق بخمسين ألفاً بين فارس وراجل إلى جبال الجرد وكسروان التي حيال بيروت فجمع الدروز رجال الجرد وكانوا عشرة أمراء بعشرة آلاف مقاتل، والتقت الجموع عند عين صوفر وجرى بينهم قتال شديد، وكانت الدائرة على الأمراء فهربوا

بحريهم وأموالهم وأولادهم ونحو ٣٠٠ نفس، واحتتموا في غار غربي كسروان يعرف بمغارة نيبية فوق أنطلياس بالقرب من مغارة البلانة، فدافعوا عن أنفسهم ولم يقدر الجيش أن ينال منهم ثم بذلوا لهم الآمان فلم يخرجوا، فأمر نائب دمشق أن يبنوا على الغار سداً من الحجر والكلس وهالوا عليه تلاً من التراب وجعلوا الأمير قتلوا بك حارساً عليهم مدة أربعين يوماً حتى هلكوا داخل الغار.

ثم أحاط العسكر بتلك الجبال (أي جبال كسروان) ووطئوا أرضاً لم يكن أهلها يظنون أن أحداً من خلق الله يصل إليها فحزبوا القرى وقطعوا الكروم وهدموا البيع وقتلوا وأسروا جميع من صادفوا من الدروز والكسروانيين وغيرهم فذلت تلك الجبال المنيعه بعد عزتها وفي ١٨ جمادي الأخرى ركب بالشرائيش علي الدين البعلبكي وسيف الدين بكتمر وبكر الدين بكتاش وحسام الدين لاجين وعز الدين خطاب العراقي وتوجهوا لأجل عمارة الجبل (أي تأمين السكان الذين لم يستطيعوا الفرار واسكان عشائر من المسلمين في السواحل كما سيأتي) وحفظ ميناء البحر مع الجماعة الذين ساروا من دمشق إلى بيروت... وأمر الملك الناصر محمد بن قلاوون تركمان الكورة أن ينزلوا في ساحل كسروان ليحافظوا عليه من الفرنج وهم أهل عساف» وسوف نأتي على ذكر هؤلاء.

وأما من هم الذين سماهم صالح بن يحيى الجرديين وسماهم الدويهي في أول كلامه الجليين فلا شك في أنهم غير الكسروانيين لذكر المؤرخين المذكورين فريقين لا فريقاً واحداً، وترى أنهم سكان العمل المسمى إلى الآن الجرد ومن قراه رشما وشارون وبتائر وبحمدون وأنهم كانوا دروزاً ويظهر أن هؤلاء لم يكونوا في طاعة الأمراء التنوخيين حكّام المغرب وكانوا يسطون على بلادهم وقد صرح الدويهي بأن نذير أقوش أمرهم أن يصلحوا شؤونهم مع التنوخية وكان قتل الأميرين التنوخيين عند الدامور يعزى إلى هؤلاء الجرديين والكسروانيين معاً، إذ روى الدويهي أنه بعد وقعة الدامور رفعت الشكوى إلى نائب دمشق من الجرديين والكسروانيين ويظهر أن الدروز الجرديين والموارنة الكسروانيين كانوا حينئذ متفقين ويؤيده هرب الجرديين بعد أن دارت عليهم الدائرة في عين صوفر إلى غربي كسروان إلى نيبية وانطلياس التي كانت حينئذ من كسروان وكان تخمه من الغرب والجنوب نهر الجعماني.

عد ٣٧

بطارقة الموارنة في القرن الثالث عشر

فرغنا من الكلام على هؤلاء البطارقة في القرن الثاني عشر بذكر وفاة البطريك أرميا وخلفه بعد وفاته دانيال من عمل جبيل وقطن أولاً في دير القديس فبريانوس بكفيفان. ثم انتقل إلى دير القديس مارون بكفريحي وأنه انتخب سنة ١٥٤١ يونانية أي سنة ١٢٣٠م على ما كتب يعقوب بن يوحنا البتروني (وفي نسخة أخرى البشراوي) على كتاب فرض القديسين الصيفي الذي طالعه في كنيسة القديس سابا ببشري وكتب هناك أيضاً أنّ هذا البطريك كان ساكناً سنة ١٢٣٦م في دير القديس جيورجوس في الكفر وهي من عمل جبيل.

قال الدويهي يظهر من سلسلة البطارقة التي ذكرناها أولاً أنّ بطريكاً اسمه يوحنا كان بين أرميا وسمعان الآتي ذكره. وروى لكويان أنّ الدويهي قال بعد ذلك إنه لم يتوصل إلى معرفة البطريك الذي صيّر بعد يوحنا فأسمى الأمر غامضاً لا يهتدى إلى وجه بيانه، والذي أراه بفكرتي القاصرة أنّه ربّما كان يوحنا هذا بعد أرميا وقبل دانيال الشاماتي المار ذكره. وقد أثبتنا في كلامنا على أرميا العمشيتي تردّدنا في القطع بأنّ أرميا بقي في البطريكية من سنة ١١٨٣ إلى سنة ١٢٣٠م أي سبعة وأربعين سنة، فلا أرى مانعاً من أن نفترض أنّ يوحنا هذا الذي لم يهتد الدويهي ولكويان إلى زمانه كان في المدة التي انقضت من بعد عود أرميا رومة سنة ١٢١٦م إلى سنة ١٢٣٠م التي قالوا إنّ دانيال الشاماتي صيّر فيها بطريكاً، ويكون وجه التوفيق وإزالة الغموض الحاصل في هذا البحث والله أعلم. وصيّر بعد ذلك سمعان وقد ذكره الياس من معاد في حاشية علّقها على كتاب فرض الآلام الذي نسخه سنة ١٢٤٥م قال فيها «كان النجاز منه في أيتام ساداتنا البطريك سمعان صاحب الكرسي الممدوح مدينة الله أنطاكية والمطران سمعان بجبل لبنان في سنة ١٥٥٦ لليونان» وهي سنة ١٢٤٥ للميلاد. وقال لكويان إن كان سمعان هو الذي خلف يوحنا فيكون هو الذي روى بياجوس ترسي في كتابه الموسوم بسورية المقدسة المطبوع برومة سنة ١٦٩٥ صفحة ٥٢ أنّه لما أخذت أنطاكية من يد الفرنج التجأ إليه كثيرون من الكاثوليكين سكانها فقبلهم وأكرم مثوهم في لبنان. وكتب إلى البابا اسكندر الرابع يخبره بحالتهم وشديد تعلّقهم بالكرسي

بشرية بل ناب عنها اللاهوت، وزاغا عن الإيمان الصحيح، فأرسل الحبر الروماني
ينذرهم فلم يشأ البطريك قبول قصاص البابا. ومما قاله ابن القلاعي:

والبطريك ما راد يقبلهم يسمى لوقا من بنهران
كثر الشر وصاروا غرضين وثار الانشقاق من أجل اثنين
في ذا السبب ابنوا برجين وقسموا الملك في ذاك الآن
سمع بذلك السلطان برقوق وانفتح له باب كان مغلق
أرسل عساكر تحت وفوق تحاصر في جبل لبنان

على أنّ الدويهي أفرد الفصل التاسع من كتابه في رد التهم لتفنيد قول ابن
القلاعي هذا مثبتاً أنّ هذا الضلال لم يكن بلبنان فقط وأنّ أيام هذا البطريك
كانت موعبة بالحروب على الموارد في جبهة بشري وكسروان فلم يكن وقت
لاشتغال الشعب أو رؤسائه بالمباحث الدينية. وقد اتهمه بياجوس صاحب الكتاب
الموسوم بسورية المقدسة أنّه اتبع بدعة المشيئة الواحدة فقام عليه الرؤساء والشعب
وعقدوا مجمعاً حطوه فيه عن مقامه البطريكي وأقاموا مكانه البطريك جبرائيل من
حجولا سنة ١٢٩٠م، وتهمة البطريك لوقا بهذا الضلال باطلة ولا مسند لها ولو
افترضت صحيحة لتبين منها غير الموارد على الإيمان القويم بحطهم بطريكهم.
وقد روى الدويهي على ما ذكر لكويان في كلامه على بطاركة الموارد أنّه بعد
لوقا أقيم البطريك جبرائيل من حجولا سنة ١٢٩٠م، وهذا هو الظاهر من كلام
بياجيوس في كتابه سورية المقدسة كما رويناه قبيل هذا، وأنّه نال التثبيت من الحبر
الروماني (البابا نيقولاوس الرابع) وأنّه نال إكليل الشهادة في خارج مدينة طرابلس
سنة ١٢٩٦م، وأنّ مدفنه يعرف اليوم بالشيخ مسعود في جانب المحل المسمى تل
الرمل في هذه المدينة، وأحصاه الموارد في عدد شهدائهم. هذا ما رواه لكويان
وعقبه بقوله: «على أنّه يظهر من الكتاب القديم الذي هو الثامن عشر من كتب
الحاقلية بالمكتبة الواتيكانية أنّ جبرائيل هذا كان بعد هذا العصر، فقد ذكر السمعاني
الكتاب المذكور في فهرست الكتب المعلق على المجلد الأوّل من مكتبته الشرقية
صفحة ٥٧٧ وهو كتاب لابن القلاعي وقال إنّ في جملة ما حواه قصيدة لابن

القلاعي. وقال إنّ في جملة ما حواه قصيدة لابن القلاعي: «في البطريك جبرائيل من حجولا الذي قضى شهيداً للإيمان الكاثوليكي في طرابلس سنة ١٣٦٧م، إلا إن يكون وقع غلط في تعيين تلك السنة، وادعى الحكم في ذلك لعلماء الموارنة». انتهى كلام لكويان.

وجاء في سلسلة بطاركة الموارنة التي أخذها المعلّم رشيد الشرتوني عن الدويهي ونشرها في المجلة الموسومة بالمشرق أنّ هذا البطريك نال إكليل الشهادة في طرابلس سنة ١٣٦٧م، وهذا يوافق ما رواه السمعاني كما ذكرنا قبلاً لكنّه يخالف ما رواه لكويان عن الدويهي كما قدمناه في هذا المحل. وكثيراً ما وجدنا ما رواه لكويان عن سلسلة الدويهي يخالف نسختها العربية ولا شكّ في أنّ ترجمتها اللاتينية التي اعتمد عليها لكويان هي أصح وأسلم من التحريف والغلط ومن جهة أخرى لا نعلم إذا كان السمعاني عيّّن سنة ١٣٦٧م برأي نفسه أن نقلها على سبيل الحكاية عن ابن القلاعي الذي كشف له المتأخرون كثيراً من الخطأ في تعيين السنين. والذي يظهر لنا مرجحاً أنّ البطريك جبرائيل هذا رقي إلى البطريكية سنة ١٢٩٠م ونال إكليل الشهادة سنة ١٢٩٦م اعتماداً على ترجمة سلسلة الدويهي اللاتينية التي هي أصلح وأسلم من النسخة العربية التي كانت بيد المعلّم رشيد المذكور. ويؤيد ذلك ما نعلمه حقّ العلم من أنّ المسلمين لم تسبق لهم العادة بأن يسطوا على النصارى ولاسيما رؤساء الدين جهاراً وتصميماً إلا في وقت الحرب. وقد رأيت أنّ المدة من سنة ١٢٨٣م إلى سنة ١٣٠٥م كانت موعبة بالحروب في جبهة بشري وكسروان فضلاً عن الحروب مع الفرنج، ولا نعلم حصول شيء من هذه الحروب في لبنان سنة ١٣٦٧م ولذلك نرجّح أنّ استشهاد هذا البطريك كان في أواخر القرن الثالث عشر لا بعد نصف القرن الرابع عشر.

وقام بعد البطريك جبرائيل البطريك سمعان ونرجيء الكلام عليه إلى تاريخ القرن الرابع عشر.

عد ٣٨

رد ما يحتج به على الموارنة من كلام البابا أينوشتسيوس الثالث
إنّ خصوم الموارنة يحجونهم بفقرة وردت في رسالة أنفذها أينوشتسيوس الثالث

سنة ١٢٥١م إلى البطريك أرميا والمطارنة والأساقفة ورؤساء الأديار والإكليروس والشعب الموارنة. وقد أثبت العلامة البطريك أسطفانس الدويهي ترجمة هذه الرسالة برمتها في الفصل الثامن من كتابه في رد التهم. فالعبارات التي يحجج الموارنة بها من هذه الرسالة هي قوله في من أفاض الله عليهم سوابغ نعمه فارعوا عن الضلال: «كما بلغنا وسرنا أنه جرى لكنيسة الروم ولكم في هذه المدة فانكم سابقاً كنتم كالخراف الضالة غير عالمين أنّ خطيئة المسيح واحدة... وأنّ الراعي الصالح واحد وهو السيد المسيح... ولما أرسلنا قبلاً إلى نواحيكم المرحوم الكردينال بطرس كاهن كنيسة القديس مرسلوس رجعتكم بالهام الرب إلى راعيكم وأسقف نفوسكم وفهمتم أنّنا نحن رأس الأخبار ونائب المسيح على الكنيسة الجامعة... ولما كان الكردينال المذكور علم أنّكم تحتاجون إلى بعض أمور اجتهد في إيضاحها لكم حسب مآل الأمر الرسولي وأوصاكم بأن تقرّوا بمعزل عن كل ريب بما تمسكت به الكنيسة الرومانية، وهو أنّ الروح القدس ينبثق من الابن كما ينبثق من الآب... وإن تحفظوا في المعمودية هذه الصورة، أي أنّ الثالوث الأقدس يذكر مرّة واحدة في التغطيسات الثلاث لا أكثر، وأن سرّ التثبيت يتصرف به رؤساء الكهنة دون غيرهم... وأن تؤمنوا أنّ في المسيح طبيعتين ومشيتين إلهية وإنسانية. وهذه الوصايا ولو كنتم قبلتموها في ما سلف قبول الطائعين الخاضعين إلّا أنّ إعادتها عليكم الآن لأجل تأكيدها وإثباتها». فهذه هي العبارات المحتج بها.

وقد ردّ العلامة الدويهي في الفصل المذكور زعم من حجوا الموارنة بهذه العبارات وأثبت أنّ الموارنة براء من التهمة بالضللال، وأنّ هذه العبارات لا تصلح أن تكون حجة عليهم به. وصنع كذلك المرحوم البطريك بولس مسعد في عدّة مواضع من كتابه الموسوم بالدر المنظوم أي صفحة ١٢١ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٧٦ فوإن لم أقس بهذين العلامتين فقد حذوت حذوهما في كتابي الموسوم بروح الردود وأسهبت برد زعم خصومنا. باحتجاجهم علينا بكلام البابا المذكور.

والآن أقول إنّ في رسالة البابا أنوشنسيوس الثالث هذه نفسها فقرتين آخرين يتبين منهما جلياً أنّ الموارنة لم يكونوا على ضلال وارعوا عنه حينئذ. الفقرة الأولى هي قوله: «وأنت أيها الأخ البطريك لما كنت قبلاً في مدينة طرابلس مع قوم من مطارنتك أعني يوسف مطران قزحيا، وتاوادورس أسقف كبرفو، وجمع كبير من الكهنة، وجمهور وافر من الخاضعين لك حلفت أنت وهم عن نفوسكم

وعَمَّن يتعلّق بكم بحضرة بعض أساقفة ورهبان وشمامسة في المدينة المذكورة اليمين على مثال الصورة التي يتعهد بها المطارنة بالطاعة للكرسي الرسولي». فحلف يمين الطاعة على مثال الصورة التي يتعهد بها الأساقفة بالطاعة للكرسي الرسولي ليس هو ارعواء عن ضلال، ولا يكتفى لمن كان ضالاً بحلف مثل هذا اليمين، بل الاكتفاء بها دليل بين وبين قاطعة على أنّ من أبرزها لم يكن من ذوي البدعة والضلال.

والفقرة الثانية هي قوله: «ثمّ إنّنا نثبت لك بسلطاننا الرسولي كراسي المطارنة والأساقفة الآتي ذكرها، ونأمر أصحابها بالخضوع لكرسي كنيسة السيد في يانوح أيّها الأخ البطريرك الذي ولاك الله رئاستها، وإن يكونوا طامعين لك ولخلفائك نعني مطارنة قزحيا وجبة بشري وأساقفة المنيطرة ورشعين وكفرفو وعرقا... ونثبت لك النعم المعتادة الحاصل عليها أنت وأسلافك في الكنيسة الأنطاكية إلى هذا الآن بالسلطان الرسولي نمنحها لك ولذين يتخلّفون بعدك». وممّا لا ريب فيه أنّ من خرج عن الكنيسة أو زاغ عن إيمانها خسر بزيغان نفسه الحقوق والنعم وما اعتاد أن يكون له فيها. فإن كان بطريرك الموارنة وأسلافه قد تسكّعوا بالبدعة كيف يثبت أيونشسيوس الثالث النعم أو الحقوق أو الاستعمالات الحاصل عليها لا البطريرك أرميا وحده بل أسلافه أيضاً في الكنيسة الأنطاكية إلى الآن. ولو كان هؤلاء الأسلاف أصحاب بدعة لما بقي لهم حقوق ولا أثبتها البابا لهم وقد أبنا أنّ البطريرك أرميا الموجهة إليه هذه الرسالة قد انتخب بطريركاً سنة ١١٨٣م أي بعد سنة واحدة من الارعواء المدعى به على الموارنة، واعتمدنا في هذا على ما خطّه أرميا نفسه بيده. وأسلاف أرميا الذين أثبت لهم أيونشسيوس حقوقهم أو عوايدهم في الكنيسة الأنطاكية هم يوسف الجرجسي الذي أرسل قصاده مع قصاد الملك غودفروا إلى رومة سنة ١٠٩٩م بطلب التثبيت فأنعم عليه به البابا بسكالس الثاني سنة ١١٠٠م. ثمّ غريغوريوس الحلاتي الذي أرسل إليه البابا أيونشسيوس الثاني الكردينال غويلمس سنة ١١٣١م يخبره أنّه هو البابا الشرعي لا بطرس دي لاون الذي تدخّل على الكرسي الروماني، فحلف البطريرك وأساقفته يمين الطاعة لأيونشسيوس كما حلف رؤساء الفرنج الذين كانوا حينئذ بسورية، إلى غير هؤلاء من بطارقة الموارنة. والحادثان المذكوران هنا رواهما لكويان في كلامه على بطارقة الموارنة في المجلّد الثالث من الشرق المسيحي.

فالبابا أيونشسيوس الثالث أثبت إذأً بالفقرتين اللتين ذكرناهما أنّ الموارنة لم

يكونوا هراطقة. فكيف يخرج قوله في الفقرة الأولى: «إنكم كنتم ضالين وأن الكردينال أمركم أن تعتقدوا أن في المسيح طبيعتين ومشيعتين». إن ذلك مخرجين الأول إن البابا تكلم في هذه الفقرة على بعض الموارنة الذين كان أتباع توما الكفرطائي قد أغوهم ببدعة المشيعة الواحدة حتى استمالوا البطريك نفسه إليهم، فاجتمع الأساقفة وأعيان الأمة فحطوا البطريك عن مقامه وانتخبوا غيره فقتله أصحاب البطريك المنحط، وأصلح أموري بينهم فانتخبوا حينئذ أرميا الموجهة الرسالة إليه، فأشار البابا إلى هذه الأحداث التي ذكرنا تفصيلها في عدد ٨٥٨ وعدد ٨٦٠ وأراد بمن كانوا ضالين تلك الفئة من الموارنة التي كانت قد ضلّت مدة ثم ارعوت عن ضلالها إلى جادة الصواب على يد أموري بطريك أنطاكية وهذا لا يبعد عن الصواب وهو لازم للتوفيق بين قولين متضادين في رسالة واحدة.

والخرج الثاني إن الخبر الروماني تكلم في الفقرة الأولى على الموارنة والروم معاً وهذا ظاهر من كلامه الذي قدّمناه وهو «كما بلغنا وسرنا أنه جرى لكنيسة الروم ولكم في هذه المدة فأنكم كنتم سابقاً كالخراف الضالة» الخ ثم من قوله الآخر إن الكردينال الذي أرسله أمرهم بأن يعترفوا «بأن الروح القدس ينبثق من الابن كما ينبثق من الآب وان يحفظوا من المعمودية الصورة التي يدعى بها الثالث الأقدس مرة واحدة لا أكثر وأن سرّ التثبيت يتصرّف به رؤساء الكهنة لا غيرهم: «ومن المؤكّد أن الروم إنما هم الذين ينكرون انبثاق الروح القدس من الابن وكانوا يوجبون ذكر الثالث ثلاثاً عند تلاوة صورة المعمودية، وهم إلى الآن يمنح كهنتهم سر التثبيت وليس بمحفوظ للأساقفة، وما من أحد من العلماء المحققين عزا إلى الموارنة هذه الأغلاط. وينتج من ذلك نتجاً جلياً أن البابا تكلم بهذه الرسالة على الموارنة والروم معاً.

وقد قال بهذا المخرج كثيرون من العلماء اللاتينيين منهم الأب ايرونيوس دنديني في فصل ٢٨ من كتاب بعثته إلى الموارنة في أواخر القرن السادس عشر وهذا قوله: «إن هذه البراء (أي براءة أينوشتيسوس الثالث) لا يتكلم بها البابا عن الموارنة وحدهم بل عن الروم أيضاً إذ رجعوا في طرابلس حينئذ إلى طاعة الكنيسة الرومانية ارتجاعاً حافلاً بحضرة كردينال كنيسة القديس مرشولوس القاصد الرسولي في هذه الجهات من الشرق، وبهذا يتيسر فهم السبب الذي أوجب نسبة أغلاط طائفة إلى أخرى». ومنهم أيضاً الأب توما بياتي الكرملّي الذي قال في الكتاب

السابع الفصل ٢٢ من مؤلفه الموسوم بلزوم الاهتمام بخلاص جميع الأمم ما ترجمته «إن بطريرك الموارنة قد احتفظ غاية الإحتفاظ على براءات الأبحار الرومانيين من أيونشنسيوس الثالث إلى غيره من الباباوات الذين أنفذوا إليهم قصداً كردينال كنيسة القديس مرسلوس وغيره ولما كان الأبحار الرومانيون يأمرن برسائلهم الموارنة أن يعجاشوا عن أغلاط الروم وينبذوها، حصل من ذلك أن بعض المرسلين من رومة توهموا أن الموارنة تابعوا أكثر الروم على أغلاطهم كانبثاق الروح القدس من الآب وحده وانكار المطهر وما أشبه على أن الموارنة أثبتوا أنهم بمعزل عن هذه الأغلاط ويثبتوا في كتبهم ونوافير قداستهم بينات كثيرة ناطقة بمدافعتهم كل حين عن العقائد الكاثوليكية». ونقتصر على إيراد شهادة هذين الشاهدين من العلماء اللاتينيين ونضرب حباً بالإيجاز عن إيراد أقوال علمائنا.

على أننا لا نعدّل عن قول العلامة البابا بناديكتوس الرابع عشر في رسالته الموجهة في ٢٨ أيلول سنة ١٧٥٣م إلى نيقولاوس لركاري وهذا قوله «قد أثبت الموارنة أنهم ينتسبون في أصلهم إلى القديس مارون الانبا، وأنهم لم يزيغوا البتة عن الإيمان الكاثوليكي، ولا انفصلوا قطعاً عن وحدة الكنيسة. وزادوا على ذلك أنهم إذا كانوا قد جدّدوا أحياناً اتّحادهم بالكنيسة الرومانية فلا ينبغي البتة أن يفهم ذلك بمعنى أنهم شدّوا عن الدين الكاثوليكي ثم رجعوا إليه». ومن ذلك بلا بد تجديد اتّحادهم بالكنيسة الرومانية بحضرة قاصد البابا أيونشنسيوس الثالث المذكور هنا والذي على تقريره المرفوع للحبر الروماني بنيت رسالته وربما لم يميز كما ينبغي بين من حجدوا الضلال كروم طرابلس ومن جدّدوا اتّحادهم بالكنيسة الرومانية وحلفوا يمين الطاعة للحبر الروماني كالموارنة وقد صرّح البابا أيونشنسيوس الثالث بأن بطريرك الموارنة وأساقفته ومن حضر في طرابلس من كهنته وشعبه حلفوا هذه اليمين على هذه الصورة كما رأيت في كلامه الذي أوردناه آنفاً.

مقالة سابعة

تاريخ الموارنة في القرن الرابع عشر

عد ٣٩

ما نعلمه من حالة الموارنة الدنيوية في هذا القرن

كانت في السنين الاولى من هذا القرن الحروب التي فتح بها عمل كسروان وقد ألقنا اخبارها بتاريخهم في القرن الثالث عشر متابعة، لئلا نقسم الكلام على هذه الحروب في تاريخ قرنين فليطالعا هناك من شاء.

وقل ما علمنا من تاريخ حالهم الدنيوية في هذا القرن، فجل ما علمناه انهم شرعوا يسمون حكام اعمالهم او قراهم الكبيرة مقدمين بدلاً من تسمية حكام الاعمال امراء. وجاء في اخبار الاعيان (ص ١٠٩) للمرحوم طنوس الشدياق انه في سنة ١٣٧٥ م توفي غزال القيسي الماروني مقدم العاقورة، ولم يخلف ولداً ذكرأ فورثته ابنته زوجة جرجس الملقب بالشدياق. ولم يذكر المؤلف مسنداً لهذا الخبر ولم يروى البطريك اسطفانوس الدويهي في تاريخه فيتعذر علينا القطع بصحته.

وروى البطريك الدويهي عن ابن سباط انه في سنة ١٤٨٨ م جهز الملك الظاهر برقوق العساكر المصرية لمقاتلة الناصري ومنطاش فجمع هذان عساكر الشام والعرب والتركمان وأهل كسروان والجردين وجرت بينهم حروب، فانتصر منطاش والناصري على عساكر مصر وهزموها. وفي اثناء ذلك انتشب القتال بين امراء الغرب وبين عشرين (فسر بعضهم هذه اللفظة بمعنى المتطوعين ونظن انها جمع العاشر وهو من يؤمن المارة من اللصوص) البر اهل كسروان والامراء اولاد الاعمى من تركمان كسروان. وكان امراء الغرب من حزب الملك الظاهر برقوق والكسروانيون من جهة ارغون نائب منطاش ببيروت فاستظهر اهل كسروان على

امراء الغرب وقتلوا منهم نحواً من تسعين شخصاً وأمسكوا جماعة منهم وقتلوا بعضهم ونهبوا ما وجدوا لأمرء الغرب في بيروت وأحرقوا عدة قرى من الغرب منها عين عنوب وعيناب وشملاق وعيتات وغيرها. وبعد ان عاد الملك الظاهر الى السلطنة (كما مر) وجه عساكره الى تركمان كسروان (ويروى قصدت العساكر طومان شيخ التركمان حاكم كسروان) وجرت بين الفريقين وقعة في الساحل في جورة منطاش بزوق ميكائيل فقتل من التركمان الامير علي واخوه الامير عمر ابنا الاعمى وجماعة كثيرة ونهبوا زوق ميكائيل.

فذكر أهل كسروان والجردين بعد ذكر التركمان يدل دلالة صريحة على ان الكسروانيين المذكورين هنا ليسوا من التركمان سكان سواحل كسروان بل من الموارنة الذين كانوا قد استمروا بكسروان بعد الفتح او كانوا قد رجعوا اليه بعد خرابه إذ كان قد مضى بعد الفتح اكثر من ثمانين سنة.

وروى الدويهي في تاريخ هذه السنة ان الملك الظاهر لما كان معتزلاً عن السلطنة أقام الشدياق يعقوب بن ايوب مقدماً على بشري وكتب له ذلك بصفيحة من نحاس. وقد ذكر هذا الخبر صاحب الغرر وروى العبارة الاخيرة. وكتب له صفيحة بختمه ان يكون شيخاً. ثم حل الملك الظاهر بدير قنوين وكان رئيسه كاهناً اسمه القس بطرس، فاحسن استقباله فعفا الدير من الاموال الاميرية وجعل له التقدم على جميع اديار تلك النواحي وكتب ذلك على صفيحة نحاسية. وفي كتاب الغرر اعطاه بذلك خطاً. ولما عاد الملك الظاهر الى الكرك وكان البطريرك داود الذي دعي يوحنا مقيماً بدير مار سرقيس القرن بأرض حردين فجعل القس بطرس المذكور اسقفاً واسكنه دير قنوين.

عد ٤٠

بطارقة الموارنة في القرن الرابع عشر

إن آخر من ذكرناهم من بطارقة الموارنة في القرن الثالث عشر هو سمعان الخامس الذي صير بطريكاً في آواخر القرن المذكور واستمر على السدة البطريركية زماناً طويلاً حتى سنة ١٣٣٩م. فقد علمنا انه كان بطريكاً سنة ١٣٢٢م من

حاشية علقها الشماس سابا بن سليمان ابن الخوري جرجس شامات (وفي تاريخ الموارد المطبوع، وفي سلسلة بطاركتهم المذاعة في الشرق قنات بدلاً من شامات) على كتاب الانجيل الذي نسخه بالاحرف السطرنكلية على رق سنة ١٣٢٢م قال فيها: «كان الفراغ من نسخ هذا الكتاب في ايام ابينا البطريرك سمعان الجالس على كرسي انطاكية. وفي ايام بطرس رئيس اساقفة بشري سنة ١٦٣٣ يونانية» (توافق سنة ١٣٢٢م) قال الدويهي هذا الكتاب محفوظ في دير مار ميخائيل شاريا بقرية عينتورين وعلمنا من حاشية اخرى علقها القس يعقوب رئيس دير مرت مورا باهدن على كتاب الانجيل الذي بكنيسة بجة من بلاد جبيل انه كان الفراغ منه سنة ١٣٣٩م في أيام البطريرك شمعون (سمعان) وبطرس مطران اهدن.

وبعد وفاة البطريرك سمعان انتخب مكانه يوحنا وهو التاسع بهذا الاسم. روى ذلك لكويان نقلاً عن الدويهي سنداً إلى ما كتب على كتاب قديم بكنيسة القديس سركيس بحدشيت بالسريانية وهذه ترجمته :

كان الفراغ من نسخ هذا الكتاب سنة ١٣٥٧ للتاريخ المسيحي في ايام سيدنا المختار يوحنا بطريرك انطاكية وجبل لبنان وسواحل البحر وفي ايام يوحنا مطران قبرص».

وروى البطريرك الدويهي في تاريخ سنة ١٣٦٧م ان يعقوب اسقف اهدن كتب في ذيل كتاب الانجيل الذي خطه سنة ١٦٧٧ لاسكندر (توافق سنة ١٣٦٧م المذكورة) انه في هذه السنة قصد ملك الاسكندرية بجيشه فقتل رجالها وأسر صغارها ونهب اموالها. فغضب سلطان المسلمين على النصارى وأمسك رؤساء الكنيسة وحبسهم بدمشق. وكان الاسقف المذكور في جملتهم فتمكن من الهرب. وكتب هذا الكتاب وهو مستتر. وقال الدويهي ان هذا الكتاب محفوظ بدير قنوين وهو سبعة وعشرون كراساً بالخط السرياني والكرشوني وقد ذكر الدويهي هذا توطئة لقوله التالي: «وفي هذه السنة كان على الكرسي الانطاكي البطريرك جبرائيل واستتر حين الاضطهاد بقرية حجولا من عمل جبيل، فكتب نائب دمشق بسببه إلى نائب طرابلس، وعند ما علم انه في حجولا قبض على اربعين رجلاً من هذه القرية وأمرهم باحضاره فاحضره وأمر بحرقه في اول نيسان خارج طرابلس عند جامع طيلان». انتهى كلام الدويهي في تاريخه على ما في النسخة التي عندنا.

وفي النسخة التي أخذ عنها المعلم رشيد الخوري الشرتوني تاريخ المواردة مقتطفاً عن تاريخ الدويهي ثم في سلسلة بطاركة المواردة التي نشرها في مجلة المشرق.

على أننا قد رويناه في تاريخ بطاركة المواردة في القرن الثالث عشر نقلاً عن لكويان في مؤلفه الشرق المسيحي، وعن صاحب الكتاب الموسوم بـ«سورية المقدسة» ان البطريرك جبرائيل من حجولا صير بطريكاً سنة ١٢٩٦م. واستشهد بطرابلس سنة ١٢٩٦م ولكويان اعتمد في سلسلة بطاركة المواردة على الدويهي، لكنه قد استدرك كلامه في هذا البطريرك وذكر ما يظهر انه يخالف ذلك. وهو ما رواه السمعاني عند ذكره (في المكتبة الشرقية مج ١ صفحة ٥٧٧) كتاباً لجبرائيل القلاعي الذي روى فيه استشهد هذا البطريرك. وقيل هناك انه كان سنة ١٣٦٧م. وترك لكويان حل هذا المشكل لعلماء المواردة فنحن عند كلامنا في هؤلاء البطاركة في القرن الثالث عشر رجحنا صحة رواية لكويان وصاحب سورية المقدسة ان جبرائيل هذا كان في آخر القرن الثالث عشر خاصة لعلمنا باعتماد لكويان على سلسلة بطاركة المواردة للدويهي مترجمة الى اللاتينية، وهي أصح من نسخها العربية وأسلم من التحريف. ونرى الآن لكويان في كلامه على بطاركة المواردة في هذا القرن لم يذكر جبرائيل بل ذكر داود المسمى يوحنا خليفة ليوحنا التاسع الذي قدمنا ذكره، وعزا ذلك الى الدويهي ايضاً. فلم يكن لنا حتى الآن يدان في حل هذا المشكل. في آخر القرن الثالث عشر كان جبرائيل ام بعد نصف القرن الرابع عشر! ويزيد المسألة ارتباكاً قول الدويهي في الفصل التاسع من رد التهم: «ان البطاركة مثل البطريرك لوقا من بنهران والبطريرك جبرائيل من حجولا ونظائرهما بتلك السنين ما استطعنا ان نقف لهم على خبر في كتاب ولا نعرف بأية سنة كانوا لعدم وجود تاريخ وانشغال الناس في تلك الايام بالحروب، فاكتفينا بإيراد ما علمناه من الاقوال في هذه المسألة دون القطع بصحة احدهما. ولا مزية في ان جبرائيل من حجولا كان بطريكاً على المواردة وقتل في طرابلس والاختلاف على الزمان فقط.

روى لكويان انه بعد وفاة يوحنا التاسع خلفه داود الثاني ويسمى يوحنا ايضاً. وكان ساكناً بدير القديس سركيس في حردين، وهذا يظهر مما علقه الخوري دانيال من قرية بان على الكتاب الذي نسخه سنة ١٢٩٧م وهو: «كان النجاس منه سنة ١٧٨٠ يونانية (توافق سنة ١٣٩٧م) على يد الخوري دانيال ابن الحاج سمعان من قرية بان على زمان البطريرك داود المكنى يوحنا القاطن بدير مار سركيس القرن

بأرض حردين، وكان بطرس مطراناً على دير قنوين». ويستفاد من خط آخر كتبه كيرلس مطران جاج والخوري اليشاع الناسك والشماس موسى المارديني ان هذا البطريرك استمر الى سنة ١٤٠٤م التي كان فيها بطرس مطراناً هلى اهدن.

وقد زعم جبرائيل بن القلاعي ان هذا البطريرك طغاه حبيس اسمه اليشاع جال في بلاد اليعاقبة، وعند عودته ادخل في جبل لبنان رتبة جديدة وخلط الزيت بالقربان المقدس، فاغتر البطريرك بهذا الضلال حتى ابدى قسوة زائدة على رؤساء الكهنة الذين خالفوه، فوقع الخلف في الرعية وانقسموا حزينين. ذكر ذلك البطريرك الدويهي في الفصل العاشر من كتابه رد التهم عن الموارنة، وقال ان البطريرك الذي كان في عصر اليشاع الحبيس المذكور هو البطريرك داود المسمى يوحنا ايضاً الذي سكن في دير القديس سركيس بحردين، وكنا قبلاً نظن فيه انه بسبب تعليم اليشاع الحبيس وبسبب مجاورته لبعض اليعاقبة المقيمين بحردين تبع راي يعقوب وغير اسمه ودعا نفسه يوحنا، وأنشأ الاضطهاد على الملة المارونية وعلى رؤساء كهنتها، فقاومه اهل جبة بشري وبلاد جبيل ورؤساء الاساقفة ولم يزيغوا عن الايمان القديم. ولكن لما بحثنا بحثاً شافياً عن هذه الامور تحققنا ان ظننا كان بعيداً عن دائرة الصواب، وتأكدنا ان الحبيس اليشاع كان رجلاً ناسكاً واتضح لنا من الكتب التي عثرنا عليها بخطه انه كان من قرية الحدث، وانه درس على فرح خوري قرية موسى ثم صار حبيساً وكاهناً في محبسة القديس سركيس بقرية الحدث. ولم نجد في الكتب التي شرع في كتابتها منذ سنة ١٧٠٢ لاسكندر (سنة ١٣٩١م) تعليماً جديداً ولا قولاً محدثاً. وإن صُح ما رواه عنه ابن القلاعي من خلطه الزيت بالقربان فيكون ذلك خطأ محرماً، لكنه ليس بضلال يخالف الايمان لأنه لم يعلم ان ذلك لازم بل كان مقصوراً على عمله. والذي يتبادر الى الفهم انه كان يدهن القلب بالزيت لعل يلتصق به خبز القربان كما ندهنه الآن بالشمع وهذا لا لوم عليه بعمله وكانت القوالب في ذلك الحين مجوفة.

لقد وقفنا على كتب كثيرة كتبت في ايام البطريرك داود المذكور فتحققنا منها انه سمي يوحنا منذ صير بطريكاً. وقال الخوري دانيال الباني في الكتاب الذي خطه سنة ١٣٩٧م في ايام البطريرك داود المسمى يوحنا وقدمنا هذا الخط. وكذلك ذكر المطران كيرلس الجاجي هذا البطريرك في الكتاب الذي نسخه سنة ١٧١٢

لاسكندر (سنة ١٤٠٤م). ودعاه الالب البطريك يوحنا ولم يطعن به. وذكره ايضاً المطران يعقوب اللحفدي في ذيل كتاب «الناموس» الذي نسخه للمطران داود الحدشيتي فقال: «وكان الفراغ من كتاب الناموس هذا سنة ١٧١٣ من ملك اسكندر بن فليس اليوناني (وهي سنة ١٤٢٠م) وهو برسم الاخ المغبوط المنتخب لله تعالى المطران داود بن جوسلين من قرية حدشيت وفي ايام ايينا ومعلمنا وسيدنا مار يوحنا المنتخب لله تعالى المؤيد بالمسيح والقاطن في دير مار سركيس القرن بقرب حردين رحمننا الرب ببركة صلواته المقدسة بشفاعه السيدة ام النور وجميع القديسين آمين».

وقال الدويهي وهذا الكتاب هو محفوظ الى الآن عندنا بدير قنوين وهو برسم اخينا المطران يوسف الحصري.

واختتم الدويهي كلامه بقوله يتبين من هذه الشهادات وغيرها أضرربنا عن ذكرها ان هذا البطريك كان يسمى وقتاً يوحنا وآخر داود يوحنا وانه كان ذا ايمان قويم ولو كان قد زاغ عن محجة الايمان الصحيح ما كان ذكره المطران كييرلس والمطران يعقوب وسمياه ابانا. وما كان وصفه المطران يعقوب بانه بار ومنتخب لله ومؤيد بالمسيح ولا طلب من الله ان يرحمه ببركة صلاته المقدسة ولو كان البطريك المذكور، وقد عامل على قتل كهنته كما تجنوا عليه ما كان قرظه هؤلاء الاساقفة الذين كانوا في ايامه وفي جملة اساقفته بهذه المذائح والنعوت السامية على ان الاضطهاد الذي جرى على بعض رؤساء الكهنة لم ينزله بهم بطريك بل هو ما قدمنا ذكره في هذا الفصل بسبب حملة ملك قبرص على الاسكندرية وقتل اهلها ونهب اموالهم.

عد ٤١

من عرفناهم من اساقفة الموارنة بهذا القرن

الاول بطرس اسقف بشري ذكره البطريك الدويهي في تاريخ سنة ١٣١٥م. قال انه كان قاطناً ومترساً على دير مار اليشاع بوادي نهر قاديشا، ومن ذلك يظهر ايضاً ان هذا الدير قديم وكان يسكنه رهبان واساقفة قبل ان يأخذ السكنى به الرهبان الحلبيون مؤسسو الرهبة اللبنانية. ثم ذكر الدويهي المطران بطرس المذكور

في تاريخ سنة ١٣٢٢ سندا الى ما كتبه الشماس سابا بن سليمان ابن الخوري جرجس من قنات على كتاب الانجيل الذي كان محفوظاً في دير مار ميخائيل شاريا بعنتورين.

الثاني بطرس اسقف اهدن ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٣٣٩م. فقال ان الاحداث التي ذكرها في تاريخ تلك السنة كانت في ايام رئاسة بطرس اسقف اهدن والقس سرقيس رئيس دير مورت مورا باهدن ويظهر من هذا ايضاً ان دير مورت مورا باهدن هو اقدم كثيراً من سكنى الرهبان الحلبيين مؤسسي الرهبة اللبنانية به. وجاء ذكر المطران بطرس الاهدني المذكور في الخط المار ذكره الذي علقه القس يعقوب رئيس دير مورت مورا المذكورة على كتاب الانجيل الذي كان بكنيسة بجة سنة ١٣٣٩م.

الثالث جيورجيوس مطران قبرص ذكره العلامة السمعاني (في المجلد ٤ من المكتبة الشرقية صفحة ٤٣٣) نقلاً عن اعمال مجمع نيقوسية بقبرص الذي عقده اليا رئيس اساقفة الكلدان بهذه الجزيرة سنة ١٣٤٠م حيث يعد في جملة من شهدوا هذا المجمع جيورجيوس مطران الموارة، ويصرح بأن كل من شهدوا هذا المجمع اقروا بأن الكنيسة الرومانية هي ام جميع الكنائس ومعلمتهن، وإن الاب الاقدس البابا بناديكتوس الثاني عشر هو خليفة بطرس الطوباوي نائب المسيح في الارض.

الرابع يوحنا اسقف قبرص ايضاً وقد مر ذكره في الخط الذي نقله الدويهي عن الكتاب القديم الذي كان في كنيسة القديس سرقيس بحدشيت، وقد علق عليه انه نسخ سنة ١٣٥٧م في ايام البطريرك يوحنا، ويوحنا اسقف قبرص. وقد ذكره لكويان ايضاً في جملة من ذكرهم من اساقفة الموارة.

الخامس يعقوب اسقف اهدن ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٣٦٦م وقال انه كان في جملة الاساقفة الذين قبض عليهم نائب السلطنة بدمشق وانه فر واستتر وكتب في استتاره سنة ١٦٦٧م كتاب الانجيل الذي كان باقياً الى ايام الدويهي في دير قنوين وهو سبعة وعشرون كراساً بالسرياني والكرشوني. وذكره ايضاً المطران اسطفان عواد السمعاني في كتاب فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية في جملة التعليقات التي نقلها عن كتاب الانجيل الذي كان في بطريركية الموارة ونقل الى المكتبة المذكورة. وقد كتب عليه في صفحة ٢٢: «نهار السبت

١٥ من ايار سنة ١٦٧٢ يونانية (توافق سنة ١٣٦١م) يوحنا ابن سركيس من قرية بلوزا اوقف لدير قنوين عن نفسه الكرم الفوقاني عند العين شهد بذلك يعقوب مطران اهدن والخورى سمعان» وجاء بعد ذلك خط آخر هذا هو بحروفه: «القس سمعان ابن الخوري عبد المسيح من داريا ذو الذكر الصالح اوقف لدير قنوين اربعة عشر عرق زيتون بقرب قرية كفرشخنا في حقل الزهرة سنة ١٦٧٣ يونانية (توافق سنة ١٣٦٢م) شهد بذلك بخط يده المطران يعقوب.

السادس الاسقف حنين ذكره الدويهي في الفصل العاشر من كتاب رد التهم فقال انه بسبب حملة قبرص على الاسكندرية وبسبب حريق وقع في دمشق صدر الامر بالقبض على رؤساء النصارى فوقع من رؤساء كهنة الموارنة بيد نائب السلطنة بدمشق منهم يعقوب مطران اهدن المار ذكره والبعض الآخر فروا هارين كما ذكر عن الاسقف حنين فإنه سار في البحر الى قبرص، والبعض اختفوا ولم ينبئنا الدويهي من اين كان حنين واين كان اسقفاً.

السابع المطران يعقوب اللحفدي ذكره الدويهي في الفصل العاشر من كتاب رد التهم وقال انه نسخ كتاب التاموس للمطران داود الحدشيتي وذيله بالحاشية التي ذكرناها في الكلام على البطريك داود في الفصل السابق.

الثامن المطران بطرس في دير قنوين ذكره الدويهي مرات منها في تاريخ سنة ١٣٨٨م حيث روى ان الملك برقوق لما كان معتزلاً عن الملك زار قنوين وأحسن القس بطرس رئيس الدير استقبله فرقه البطريك داود الى الاسقفية واسكنه دير قنوين. ومنها في الخط الذي نقله عن الكتاب الذي نسخه الخوري دانيال الباني سنة ١٣٩٧م وكتب انه فرغ من نسخه في ايام البطريك داود. وإذ كان بطرس مطراناً في دير قنوين ثم ذكره الدويهي في مقدمة المطارين الذين كانوا سنة ١٤٠٠م.

التاسع كيرلس اسقف جاج ذكره الدويهي في تاريخه في جملة الاساقفة الموارنة الذين كانوا سنة ١٤٠٠م وفي سلسلة بطاركة الموارنة إذا استشهد خطأً موقعاً عليه من هذا المطران وغيره يتبين منه ان البطريك داود بقي حياً إلى سنة ١٤٠٤م كما مر.

العاشر يعقوب من قنية اسقف لحفد ذكره الدويهي في جملة مطارين الموارنة

الذين كانوا في سنة ١٤٠٠م وقال فيه في تاريخ هذه السنة انه كان من قنيا وكان قاطناً بلحفد بدير السيدة المعروف بدير المرج، وانه اخذ عنه أخبار المجاعة التي كانت بسورية تلك السنة.

الحادي عشر بطرس ابن القس سمعان (وقال في تاريخ سنة ١٤٠٣م ابن الخوري سمعان) اسقف اهدن ذكره الدويهي في جملة الاساقفة الذين كانوا سنة ١٤٠٠م ويظهر انه بقي حياً سنة ١٤٠٤م إذ روى الدويهي ايضاً في سلسلة بطاركة الموارنة الخط الذي دونه كيرلس اسقف جاج والخوري اليشاع الناسك ومما قيل فيه انه في هذه السنة كان بطرس مطراناً على اهدن.

الثاني عشر داود بن جوسلين الحدشيتي وقد جاء ذكره في جملة اساقفة الموارنة سنة ١٤٠٠م. وفي الذيل الذي كتبه المطران يعقوب اللحفدي على كتاب الناموس الذي نسخه للمطران داود بن جوسلين الحدشيتي. وقد روى الدويهي في تاريخ سنة ١٤١٩م ان هذا الاسقف توفي في السنة المذكورة في ١٦ شباط.

هذا ما أمكن التوصل إلى معرفته من اسماء هؤلاء الاساقفة الموارنة في القرن الرابع عشر.

مقالة ثامنة

تاريخ الموارنة في القرن الخامس عشر

عد ٤٢

بعض مقدمي الموارنة في القرن الخامس عشر وما كان في ايامهم كان حكام الموارنة في هذا العصر يسمون مقدمين ومن عرفنا شيئاً من اخبارهم في هذا القرن يعقوب ابن ايوب مقدم بشري، فقد ذكرنا قبلاً ان الملك الظاهر بريق نصبه مقدماً على بشري. وروى البطريك اسطفانوس الدويهي في تاريخه انه بقي حاكماً إلى ان توفي سنة ١٤٤٤م وكانت مدة ولايته ٦٢ سنة وخلفه في

المقدمة اولاده المقدمون سيفا وقمر ومزهر وزين وبدر على ما في تاريخ الدويهي المطبوع بيروت. ولكن في النسخة الخطية التي لدينا من هذا التاريخ: «سيفا وهو زين (اي الملقب بزین) وقمر وهو بدر ومزهر واجروا العدالة في حكومتهم. فاستراح اهل البلاد في ايامهم كما كانوا في ايام والدهم.

وأما اولاد المقدم يعقوب فبعد وفاة اجددهم سيفا خلفه في المقدمة ابنه عبد المنعم الاول ثم توفي سنة ١٤٦٩م فخلفه رزق الله ابن اخيه جمال الدين بن سيفا ابن يعقوب، ثم توفي رزق الله هذا سنة ١٤٧٢م وخلفه ابن اخيه عبد المنعم الثاني ايوب بن عساف ابن جمال الدين. هذا ما رأيناه في النسخة التي لدينا من تاريخ الدويهي. ونرى هذه الرواية اصح مما جاء في التاريخ المطبوع من ان وفاة رزق الله كانت سنة ١٤٦٢م دون ذكر ولايته ولا ولاية عبد المنعم الاول، ومع ذكر وفاته مرة اخرى سنة ١٤٧٢م. قال البطريق الدويهي أنه في ايام هؤلاء المقدمين استتبت الراحة بلبنان وكثر العمران وانشئت الكنائس والمدارس حتى كان في قرية الحدث ستمائة زوج بقر، وفي الحارة العليا من اهدن سبعون بغلاً. وقد احصينا اسماء من كانوا من النساخ في ذلك العصر ممن وقفنا على كتبهم فاذا هم ينيفون على مئة وعشرة نساخ. وفي ذلك الوقت اهلوا الخط الاسترانكالي المربع وتمسكوا بالسرياني المدور، ولما ظهرت اخبار ما ساد بلبنان من الامن والراحة قصده كثيرون من البلاد البعيدة للسكنى فيه مثل اولاد جمعه الذين تركوا عين حليا وتوطنوا في بشري، واولاد ايليا واخوهما الشدياق جرجس اولاد الحاج حسن انتقلوا من نابلس إلى حدشيت، والقس يعقوب ورفقاؤه هاجروا من الحبشة وترهبوا في دير مار يعقوب باهدن، ولذلك سمي دير الاحباش اضافة اليهم.

وفي سنة ١٤٧٨م وقع الشقاق في جبل لبنان بسبب المقدم عبد المنعم ايوب المار ذكره، فإن عبد المنعم هذا تعلم القراءة في ايام عمه المقدم رزق الله عند كاهن يعقوبي، ولما توفي عمه وخلفه في المقدمة كان يتردد اليه تاجر اسمه موسى بن عطشه (كذا في نسخة تاريخ الدويهي التي لدينا، وكانت بيدي ذي الذكر الصالح البطريق بولس مسعد مصححة بيده لا عطية كما في طبعة هذا التاريخ). وكان موسى المذكور مغوياً بيدعة الطبيعة الواحدة وقد اشعر ان المقدم كان فاتراً في دينه فأرسل اليه هدايا مع قسوس يعاقبة بفرصة عرسه، وهم اكثروا من الهدايا له والتودد اليه، فأحبهم وبني لهم كنيسة بقرب داره على اسم برصوما. واتفق حينئذ ان اقدم

من القدس القس نوح البقوفاوي (الذي ذكرنا ترجمته وسكن في الفراديس بأرض قرية بان واغوى بعض الاميين في عقائد الايمان، واستهواهم الى التعلم والرهبانية عنده، منهم عيسى وابن شعبان من حردين وموسى واخوه حنا ابنا ابراهيم ابن الحاج موسى من بقوفا، وسيما وابنه جرجس من لحفد، وموسى من قرية موسى، ودس فيهم سم بدعة اليعاقبة وسعى بارتقائهم إلى درجة القسوس على يد استاذة ديوسقوروس اسقف بيت المقدس فصاروا يرسمون اشارة الصليب باصبع واحدة دلالة على الطبيعة الواحدة، ولا يذكرون في شمالية القداش إلا ثلاثة مجامع. ولما بلغ خبرهم إلى البطريرك بطرس الحداثي ارسل اليهم كهنة ورؤساء كهنة يهنونهم عن هذا الطغيان فلم ينتهوا وحمى جانبهم المقدم عبد المنعم والغرباء الذين قدموا من صفد ونابلس والحبشة، وعظم الشقاق في البلاد وتهدد المقدم عبد المنعم من اعترض لهم بالنفي من بلاده وضبط املاكه.

إلا انه في سنة ١٤٨٨م مل يعقوب اسقف اهدن واهلها من انذار القس يعقوب والاحباش القاطنين بدير مار يعقوب باهدن ليرعوا عن ضلالهم وعن بثه بين العامة فلم يقلعوا عن غيهم، فرّقوا إلى درجة الاسقفية ابراهيم بن حبلس وانزلوه عليهم في الدير فلم يتحملوه ليحكم فيهم، فرحلوا إلى وادي حدشيت وجعلوا نفوسهم تحت حماية الشدياق جرجس ابن الحاج حسن، وأسكنوا في دير مار جرجس وسمي دير الاحباش اضافة اليهم، فشق امرهم على الشدياق جرجس الذي كان شيخ حدشيت وعلى المقدم عبد المنعم، ولما لم تكن لهم مقدرة على مناوأة اهل اهدن استنجدوا باولاد زعزوع مقدم بشناتا فجمع هؤلاء رجال الضنية وقصدوا اهدن في صباح الاحد، وعلم اهل اهدن بقدومهم فأقاموا لهم كميناً في حمينا، ولما نزل رجال الضنية من الجبل وثب عليهم الكمين فأهلك كثيرين منهم. وتتبع اهل اهدن من بقي منهم فيهم الى مرجة تولا ولما علم اليعاقبة بذلك ضربتهم ايدي سبا وتشنت شملهم، وفر بعضهم إلى حردين وبعضهم إلى كفرحورا وبعضهم ساروا الى قبرص، وارتحل القس يعقوب ورفقاؤه إلى دير مار موسى في البرية.

وفي سنة ١٤٩٣م عاد جبرائيل ابن القلاعي للحفدي من اوروبا اذ كان قد انضوى إلى رهبانية القديس فرنسيس سنة ١٤٧١م وارسلوه إلى احد اديارهم لاقتباس العلوم، وعند عودته اخذ ينصح ويعلم من كانوا على غير هدى او اميين،

ويخاصم من زاغوا عن الايمان ويندد بهم بخطبه ورسائله واشعاره. ومنها قصيدة لأهل بشري يقول فيها مخاطباً هذه القرية:

وانت من شار عليك حتى دخل يعقوب فيك
من تجديفه حل عليك غضب الله في ذاك الآن
فاذاً توبي يا حره واطردي الغربا إلى برا
ويعقوب جسمه يتهرى ومارون اقبله في الاحضان

ثم كتب في سنة ١٤٤٩م كتاباً سماه مارون الطوباوي وأنفذه إلى البطريرك سمعان الحداثي واساقفته يثبت فيه اتحاد الملة المارونية في كل وقت بالكنيسة الرومانية، ويفند زعم من قال ان الموارنة فرقة من اليعاقبة.

وفي سنة ١٤٩٥م توفي المقدم عبد المنعم ايوب فظهر ان الله عاجله بالمنية كيلا يتأصل الشقاق في جبل لبنان، وتولى المقدمة على بشري بعده ولده جمال الدين يوسف، وكان راسخاً في الايمان القويم وامراته اصلحت كنيسة مار حوشب في بقاعكفرا عندما خربت حنيثها.

وافادنا الدويهي ايضاً انه كان في العاقورة في اواسط هذا القرن خليل بن مقلد على العاقورة وبنى القبو الذي عند عين القرية وأقام فوقه برجاً.

عد ٤٣

بطاركة الموارنة في القرن الخامس عشر

فرغنا من الكلام في بطاركة الموارنة في القرن الرابع عشر بذكر البطريرك داود المسمى يوحنا، وقلنا انه توفي سنة ١٤٠٤م. قال لكويان ذكر الدويهي ان داود خلفه يوحنا العاشر وكان من جاج ولا يعلم هل خلفه بعد وفاته او فرغ الكرسي البطريركي زماناً طويلاً إلى ان انتخب يوحنا الجاجي المذكور. والمعلوم انه لما وصلت اليه رسالة البابا اوجانيوس الرابع للدعوة إلى الجمع الفلورنسي ارسل الاب جوان (يوحنا) رئيس رهبان القديس فرنسيس في بيروت الى البابا يحقق له طاعته للكرسي الروماني وخضوعه لكل ما يسنه الجمع ويلتمس درع الرئاسة وتثبيتته في

بطريركية انطاكية على الموارد. قال الدويهي (فصل ١١ من كتاب رد التهم) ان هذا البطريرك كان قد تولى رئاسة الكرسي الانطاكي قبل انعقاد المجمع المذكور لكنه لم يستطع ان يستمد التثبيت من رومة بسبب ما كان من المخاوف والمخاطر على من يسافر بحراً ولعدم وجود من يحسن معرفة اللغات الفرنجية إلى ان حضر اليه الاب يوحنا المذكور، وأعلمه بنهاية مدة رئاسته وإزماعه على السفر إلى رومة فأوفده البطريرك إلى الحبر الروماني ورفع اليه معه عريضة مشفوعة بعرائض أخرى من الاساقفة واعيان الملة يجاهرون فيها تثبيتهم بعري الايمان الكاثوليكي المقدس وبإذعانهم لكل ما يسنه المجمع ويلتزمون تثبيت بطريركهم. قال المطران جبرائيل ابن القلاعي في الكتاب الذي رفعه إلى البطريرك سمعان الحديثي سنة ١٤٤٩م: «ان ايمانكم وخطوط ايديكم منذ مئتين وثمانين سنة وصاعداً محفوظة برومة وهي المرسلة على يد فراغريفون وفرا اسكندر وفرا سمعان ومن قبلهم على يد فرا يوحنا رئيس دير بيروت، ووكيل بطريرككم يوحنا الجاجي الى مجمع فلورنسة ومن قبله الخ» فتبّت البابا اوجانيوس يوحنا الجاجي في بطريركية انطاكية وأرسل اليه صحة قاصده تاجاً ودرعاً. وقال المطران جبرائيل ابن القلاعي في ذلك:

يوحنا الجاجي كان بطريرك اقتبل من البابا تاج وتبارك

بعث للمجمع ولم يتحرك وثبته لمارون في رعيان

ولما رجع قاصد البطريرك، انحدر الشعب الى لقائه في طرابلس بمسرة وابتهاج فتوهم نائب المدينة انه جاسوس من قبل الفرنج فقبض عليه وعلى رفيقه وأودعهم السجن، وعرف البطريرك ذلك وكان قاطناً بدير سيده ميفوق في وادي ايليح من اعمال البترون فأرسل قوماً من اعيان الملة ليوقفوا النائب على الحقيقة ويزيلوا ما توهمه فأخرجوا القاصد ومن كان معه من السجن بكفالة، فصعد فرا يوحنا الى دير ميفوق وبلغ البطريرك رسالة البابا والبسه درع الرئاسة ثم سار إلى بيروت فطلبه نائب طرابلس فلم يجده فحنق حنقاً شديداً وأرسل عسكرياً في جلب البطريرك والكفلاء فانهزموا، فنهب العسكر الدير واحرقوا البيوت وقتلوا كثيرين، واخذوا البعض مقيدين بالسلاسل الى طرابلس ومنذ ذلك الحين هجر البطريرك دير ميفوق وأقام بدير قنوين تحت حماية يعقوب مقدم بشري المار ذكره.

ثم دعا البطريرك احد رهبان القديس فرنسيس اسمه بطرس من فرارا وارسله

الى البابا اوجانيوس في شهر آب سنة ١٤٤٠م، وكتب اليه معه رسالة ضمنها الشكر لتكرمه عليه بالتبشير وتحقيق طاعته وطاعة امته للكرسي الرسولي في كل وقت، والخبر عما جرى لهم عند وصول قاصده إلى طرابلس وما قاسوه من الاضطهاد لذلك، فأرسل اليه الخبر الروماني الجواب مؤرخاً في ثاني كانون الاول من سنة ١٤٤١م. وسنذكر رسالة البابا اوجانيوس هذه في محل اخر ثم توفي البطريرك يوحنا الجاجي في دير قنوين سنة ١٤٤٥م وهو اول من سكن دير قنوين من بطاركة الموارنة. وخلفه يعقوب الثاني الحداثي. قال لكويان نقلا عن البطريرك اسطفانوس الدويهي في اليوم التاسع بعد وفاة البطريرك يوحنا الجاجي اجتمع الاساقفة ورؤساء الاديار واعيان الشعب في دير قنوين وانتخبوا يعقوب بن عيد من الحدث بطريكاً وكان منذ صغر سنه قد تربى في السيرة الملكية بمحبسة القديس سركيس شرقي دير مار يوحنا المعروف بدير مار ابون، وكان لرئيس هذه المحبسة الرئاسة على جميع الحبساء في جبة بشري. وبعد انتخابه ارسل قاصداً الى البابا اوجانيوس الرابع يسأله ان يمن عليه بتبشيره في البطريركية وبارسال درع الرئاسة. واتفق ان مات البابا اوجانيوس الرابع سنة ١٤٤٧ فارسل اليه البابا نيقولاوس الخامس براءة التبشير وكانت محفوظة في دير قنوين في ايام البطريرك اسطفانوس الدويهي، وربما هي اليوم باقية في الكرسي البطريركي، وربما كانت هي البراءة التي روى الدويهي في تاريخه ان البابا نيقولاوس الخامس ارسلها سنة ارتقائه الى الخبرة الى هذا البطريرك يطلب اليه ان يدعو له وان يوصي شعبه ليقتدوا باسلافهم في المحافظة على الاتحاد بالكنيسة الرومانية، وانه إذا احتاج الى شيء فليستشر اندراوس اسقف الافقسية بقبرص فهو نائبه بهذه الجزيرة ثم توفي البطريرك الحداثي في ٨ شباط سنة ١٤٦٨م.

ومن التعليقات على كتاب الاناجيل القديم الذي كان في بطريركية الموارنة وهو الان في المكتبة الماديشية ما نقله المطران اسطفان عواد السمعاني عنه في كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة المذكورة وهو بحروفه: «لما كان تاريخ سنة ١٧٧٣ من سنين اسكندر (سنة ١٤٦٢م) اوقف البطريرك يعقوب العصا البور للدير المبارك قنوين، وعن الاب البطريرك بطرس اي من خرجها من الدير المبارك، او قالها انها له او يرهنها او يبيعها يكون محروم مفروز مغضوب ومسخوط من الله ومن كرسي مار بطرس ومن جميع الكراسي ومن حقارتنا». وورد ذكر هذا البطريرك

في خط اخر على هامش الكتاب المذكور صفحة ١٩ وهو بحروفه «لما كان تاريخ سنة ١٧٧٢ من سنين اسكندر اليوناني سنة ١٤٦١م) اوقف الخوري جرجس والخوري هلال القاطنين في دير حوقا اوقفوا من تعبههم وعرق جبينهم للدير المبارك سيدة قنوبين الدست الكبير وجعلوه تذكراً صالحاً عن أنفسهم في الدنيا والاخرة ورحمهم الله آمين... وكان الوقف في ايام ابونا ومعلمنا ورئيسنا وتاجنا ومديرنا البطريرك مار يعقوب الحديثي رحمه الله ويرحمنا في بركة صلاته آمين.

والنتيجة من هذين الخططين ان البطريرك يعقوب الحديثي استمر حياً إلى ما بعد سنة ١٤٦٢م لانه توفي سنة ١٤٨٥م كما في تاريخ الدويهي المطبوع. وفي النسخة المخطوطة التي لدينا وأظن ان المرحوم البطريرك بولس مسعد اغتر لهذه النسخة حتى جعل وفاة البطريرك يعقوب الحديثي سنة ١٤٥٨م ومثله طابع تاريخ الدويهي. واظن ايضاً نقل كلامه عن الدويهي ومع ذلك عين لوفاته سنة ١٤٦٨م كما ذكرناها عنه وايد رأينا الخططان المذكوران.

وفي اليوم التاسع بعد وفاة البطريرك يعقوب اجتمع الاساقفة والرؤساء والاعيان فانتخبوا الاسقف بطرس بطريكاً وعرفه الدويهي في تاريخه بانه بطرس ابن يوسف ابن يعقوب الشهير بابن حسان. وقال في الفصل ١٣ من الاحتجاج انه كان اخا البطريرك يعقوب المتوفي وأرسل البطريرك والأساقفة، وفرا غريفون الذي قدما ترجمته الى البابا بولس الثاني يلتمسون اثبات البطريرك ومنحه درع الرئاسة. هذا ما رواه الدويهي ونقله عنه لكويان واردفه بقوله ان في كتاب وصف الارض المقدسة لكوارزيموس (في اخر المجلد ٢) رسالة من البابا بولس الثاني الى هذا البطريرك مفتوحة: «بولس الاسقف عبد عبيد الله الى الاخ المحترم بطرس بطريك الموارنة المسمى انطاكيّاً السلام والبركة الرسولية ان اله القوات القادر على كل شيء» إلى ان يقول: «ولما كنا لا نشك في انك مستعد لقبول هذه التعاليم وغيرها من الاوامر الرسولية يدعة وطيبة خاطر قد اردنا اقتفاء بآثار اسلافنا الصالحين الذكر اينوشنسيوس الثالث وأوجانيوس الرابع ان نثبت انتخابك ونسميك ونرقيك الى رئاسة كنيسة الموارنة الانطاكية وان نؤيد كل ما كان قبلاً ونثبت جميع الحقوق والعادات الممدوحة الآتلة لنفعك ونفع اسلافك وفائدة الطائفة المارونية... ونسلم اليك الاهتمام بهذه الطائفة في الروحانيات والزمنيات.

اعطي برومة حذاء كنيسة القديس بطرس في شهر آب سنة ١٤٦٩م وهي الخامسة لحبرتنا.

ومن الخطوط المعلقة على كتاب الاناجيل المذكور خط علق على صفحة ٢٠ منه وهذا هو بحروفه. «لما كان تاريخ سنة ١٨٠٤ يونانية (سنة ١٤٩٣م) اوقف الاب البطريك بطرس بن داود بن حسان من قرية الحدث البدلة الحمرا وايضاً العصاة والعكاز الفضة واوقفهم بعد موته عن نفسه لدير الست السيدة قنوين فأبي من يرهنهم او يبيعهم او يشتريهم او يخرجهم من الدير بغير رجعة تكون هذه الحرومات المذكورة حالة عليه وعلى هامته، ويكون ممنوع محروم مفروز مغضوب مسخوط من الله تعالى ومن كرسي مار بطرس رئيس التلاميذ ومن جميع الكراسي ومن حقارتنا. وشهد على ذلك الاب المطران جرجس من جاج شهد بذلك الاب الخوري سمعان ابن عميد من قرية الحدث. شهد بذلك الاب الخوري يعقوب من قرية الحدث شهد بذلك العبد الحقير كاتبه دانيال.

قال لكويان توفي البطريك بطرس في ١٢ شباط سنة ١٤٩٢م والذي في تاريخ الدويهي انه توفي في ١٢ تشرين الاول سنة ١٤٩٢م ولا تعلم اي الروايتين هي الاصح والظاهر من الخط المذكور انه لم يكن حياً سنة ١٤٩٣ لان البطريك بن داود هو البطريك سمعان الآتي ذكره لا بطرس بن يوسف الذي كان قد توفي قبلاً.

وفي اليوم التاسع بعد وفاة البطريك بطرس اجتمع الاساقفة وانتخبوا خلفاً له الاسقف سمعان الحداثي ابن داود بن يوسف بن حسان الحداثي وهو ابن اخي البطريك بطرس، وبعد انتخابه بطريكاً ارسل يطلب تثبيته وفصل الدويهي ذلك في الفصل الخامس عشر من كتاب رد التهم عن الموارنة فقال ان هذا البطريك لم يفتقر بعد انتخابه بطريكاً من ارسال الرسائل إلى رومة يطلب تثبيته على يد الاب فرنسيس سوريانوس رئيس اديار القدس، ونائب الباباوات اسكندر السادس ويوس الثالث ويوليوس الثاني ولاون العاشر، وعلى يد الاب ارسان والاب اسكندر من رهبان القديس فرنسيس اللذين كانا قد حضرا الى البطريك، إلا انه لم يأتيه الجواب بسبب ما كان حيثئذ من اخطار السفر بحراً، والحروب في بلاد الشام، وتعاقب الباباوات في مدة يسيرة. ففي سنة ١٥١٣م ارسل البطريك كاهناً اسمه بطرس الى

الاب مرقس رئيس رهبان القديس فرنسيس في بيروت يستلم منه عن وقت عود السفن الراسية في مرفأ بيروت الى اوربا ليرسل معها رسالة يطلب بها التثبيت. فعند وصول القس بطرس إلى بيروت كانت تلك السفن متحفزة للسفر وقد رفعت اناجرها فاقنع الرئيس القس بطرس ان يسافر الى رومة مع تلك السفن ودفع اليه كتاباً الى البابا لاون العاشر اخبره به ان الامة المارونية هي من اقدم الايام مطيعة للحبر الروماني في كل شيء، وان بطريكها ارسل عدة دفعات يطلب التثبيت فلم يتيسر له نيله، وذكر له اضطرار سفير البطريك ان يسافر بغثة. وسأل ولما لم يستطع ان يجيب البابا وآل مشورته عما سئل عنه ارجعوه إلى بيروت برسالتين احدهما إلى البطريك والثانية الى رئيس رهبان القديس فرنسيس في بيروت وانتخابهم البطريك، وهل عندهم براءة او رسائل من الاحبار الرومانيين السالفين.

وفي بداية سنة ١٤١٤م عاد القس بطرس الى لبنان وأرسل البطريك يخبر الاب فرنسيس سوريانوس والاب مرقس رئيس دير بيروت بما كان فساد الاب فرنسيس الى قنوين وصحب معه ترجماناً فترجم رسالة البابا الى العربية وكتب البطريك الجواب مشيعاً إلى البابا فترجم الى اللاتينية. قال الدويهي ونسخة هذا الجواب اللاتينية لم تزل مصونة عندنا إلى الآن وهي تتضمن اولاً الاقرار بأن الله واحد مثلث الاقانيم وان كلمة الله تجسد وتألم ومات وقام في الجسد الذي اخذه من مريم. ثانياً ان انتخاب البطريك الجديد يكون باجتماع رؤساء الكهنة واعيان الشعب. ثالثاً انهم يقدسون الميرون على الطريقة القديمة. رابعاً شرح الرتب البيعية والحلل الكهنوتية وما تشير اليه. خامساً ان جميع البطاركة الذين سلفوا قبله كانوا خاضعين لصاحب الكرسي الروماني مع شعبهم كافة. سادساً طلب التثبيت لنفسه مع بدلة كاملة وصليب وخاتم وواجه للمذبح واربعة دروع للشمامسة على شبه التي ارسلها قديماً البابا اينوشنسيوس الثالث ثم اوجانيوس الرابع. سابعاً ان يرسل حيناً بعد حين رجالاً فضلاء علماء لافتقاد الموارد وتوثيق عرى الاتحاد بينهم وبين الكنيسة الرومانية. ثامناً ان يمنع اسقف الفرنج في قبرص عن التعدي على اوقاف الموارد في هذه الجزيرة. تاسعاً ان يوصي حكام قبرص من البنادقة ان يعاملوا بالركة واللين من لجأ اليهم من النصارى. عاشراً ان يكتب رسالة الى المقدم الياس المدعو عساف بن يوسف من بشري لتكون له الغيرة على جماعته اهل لبنان. حادي عشر ان يمنح بعض الغفارين الكاملة للموارد تنشيطاً لهم وانهاضاً لمهتمهم في بناء الكنائس.

ثم بعث البطريك مع قاصده إلى الحبر الروماني ست براءات من البراءات التي ارسلها اسلافه إلى بطاركة الموارنة اعني براءة البابا اينوشنسيوس الثالث الى البطريك ارميا في سنة ١٢١٥م، وبراءة البابا اسكندر الرابع الى البطريك شمعون سنة ١٢٥٦م، وبراءة اوجانيوس الرابع الى البطريك يوحنا الجاجي سنة ١٤٣٩م، وبراءة البابا نيقولاوس الخامس الى البطريك يعقوب الحداثي سنة ١٤٤٧م، وبراءة البابا كاليستوس الثالث الى البطريك المذكور سنة ١٤٥٥م، وبراءة البابا بولس الثاني الى البطريك بطرس الحداثي سنة ١٤٦٤م. وكانت عريضة البطريك مؤرخة في ٨ من اذار سنة ١٥١٥م. وكتب الاب سوريانوس ايضاً الى الحبر الاعظم مصادقاً على ما عرضه البطريك من صحة عقيدتهم وثبوتهم في الايمان الكاثوليكي.

وسار القس بطرس راجعاً إلى رومة ورفع الى البابا لاون العاشر ما كان معه من الرسائل فسر بها واجاب البطريك في اليوم الاول من آب سنة ١٥١٥م وبما قاله في جوابه: «قد سررنا وطابت نفسنا بتلاوة رسائلك وسماعها وامتلاً فؤادنا طرباً لا يوصف، فترتب علينا ان نمجّد الله تعالى ونشكره بمجموع قوانا على ما اولاكم من نعمه وسوابغ آلائه لانه اصطفاكم من بين كنائس المشرق لتعبوده بايمان وصانكم في بهرة الكفر والبدع كما صين الورد بين الشوك ليتمجد اسمه بين غير المؤمنين، وقد تشبثتم بعادات الكنيسة الجامعة الرومانية وبرتبها بنقاوة لا ريب فيها ولم تزيغوا عن الايمان بالمسيح بسبب الضيم والظنك والاضطهاد الذي يلم بهما على ما علمنا من كتابكم، ورسالة الاب فرنسيس سوريانوس واثبته في البطريكية، وأرسل اليه مع القس بطرس المذكور درع الرئاسة وأوصاه ان يكون للموارنة مكان الراس وهم مكان الاعضاء، وامره ان لا يستعملوا في الميرون إلا الزيت والبلسم، كما تسلمت الكنيسة من الرسل الاطهار وكما تعهد قديماً البطريك ارميا في ايام اينوشنسيوس الثالث ان يكون تقديس الميرون كل سنة يوم خميس الاسرار، وان يعتقدوا ان الروح القدس ينبثق من الاب والابن كمن مبدأ واحد، وان يتناولوا القربان الاقدس ولو مرة في الفصح. وأرسل تاجاً مرصعاً وغفارتين احدهما قرمزية والاخرى مخملية حمراء وبطراشيلين، وغطاً للمذبح من مخمل احمر مزركش وستاراً للكروسي، وزناراً من حرير وقميصاً، وبعث ايضاً لشمامسته مدرعتين ممرعتين ومدرعتين حمراوين مزركشتين.

ثم كتب لاون العاشر اليه رسالة اخرى في اول ايلول من السنة المذكورة اعلمه

فيها انه ارسل كتاباً الى ليونندروس امير البندقية اوصاه فيه بالموارنة القاطنين بقبرص وكتاباً اخر الى المقدم الياس الماروني يوصيه فيه بالغيرة على امور الدين وبالاجتهد على نجاح طائفته، وكتاباً آخر الى مطران الافقسية ينهاه به بأمر الطاعة على الاعتداء. وكتب اعلاماً عاماً في ان الكنيسة المذكورة وسائر اوقاف الموارنة بقبرص يكون وليها بطريك الموارنة، وان من اعتدى عليها يسقط بالحرم، وان كان المعتدي اسقفاً فيكون مربوطاً. ثم منح غفراناً كاملاً مؤبداً لكل من يزور كنيسة الكرسي البطريركي في عيد انتقال العذرا وعيد ميلاد يوحنا المعمدان وعيد الرسولين بطرس وبولس وعيد ارتفاع الصليب إذا اعترف وتناول القربان الاقدس واحسن بشيء الى الكرسي البطريركي، وفوض المعرفين ان يحلوا من الخطايا المحفوظ حلها للرؤساء وان يبدلوا النذور باعمال اخرى صالحة ما خلا نذري العفة ودخول الرهبانية. وعاد القس بطرس بهذه المنح الى البطريرك فكان ذلك موجباً للسرور والابتهاج للبطريرك والملة جمعاء.

وفي السنة المذكورة انتهت مدة رئاسة الاب يوحنا من رهبانية القديس فرنسيس على دير بيروت فتوجه الى البطريرك سمعان الى قنوين وأقام عنده بضعة ايام، فأرسل البطريرك معه الى رومة الخوري يوسف وراهبين ليتعلما اللغة اللاتينية والعلوم وصحبهم برسالة الى البابا فبلغوا المدينة العظمى حين انعقاد الجمع اللاتراني الخامس فتليت رسالة البطريرك بالعربية ثم ترجمتها الى اللاتينية في الجمع، ودونت في اعمال المجلس الحادي عشر منه، وأمر البابا بأن ينزلوا عند الكردينال ستاكروس عند كنيسة مار اغوستينوس، وعند ما طلب الخوري يوسف ان يقدر امر الكردينال بأن يفحص كتاب القديس فلم يوجد في رومة من يحسن اللغة السريانية إلا رجل اسمه تاسيوس امبروسيوس كان يعرف هذه اللغة بسبب مخالطته للبرانيين. هذا ما رواه الدويهي في كتاب الاحتجاج وكان قد روى في تاريخه ان تاسيوس المذكور درس السريانية على قصاد البطريرك، والعبرانية على رجل يهودي حينئذ اخذ الاوروبيون يدرسون السريانية.

ولما توفي البابا لاون العاشر سنة ١٥٢١م وخلفه البابا اوربانوس السادس ارسل البطريرك شمعون اليه القس موسى العكاري رئيس دير حوقا والراهب الياس بن زرزور الحداثي ناظر املاك دير قنوين، فحلاً برومة عند الكردينال. برندينوس سنتاكروس اسقف استيا، ثم رفعها الى البابا عريضة البطريرك فتقبلها البابا بالبشاشة

والاعزاز وارسل الى البطريرك الجواب مؤرخاً في ٢٢ تشرين الثاني ١٥٢٢م وبما قاله فيه انه تحقق صحة ايمانه وايمان شعبه ليس من رسالته فقط بل مما شهد به ايضاً القصاد الذين ارسلهم اليه البابا لاون العاشر، فانهم قرروا ان الموارنة لا يختلفون بشيء عن الكنيسة الرومانية ولذلك يشكر الله على ما انعم به على الموارنة ويسأله تعالى ان يباركه ويبارك مطارينه وأساقفته وكهنته وشمامسته وجميع الشعب الماروني الكاثوليكي، وارسل الى البطريرك مع قاصديه بدلتين واربعة دروع مزركشة وبطراشيلين وزندين مزركشين وكتونة بيضاء، وكفاً وبشخوناً وتاجاً مرصعاً بلؤلؤ وغفارة ومعقداً من مخمل، وأوجهاً للمذابح مزركشة بتصاوير وغطاء كأس مذهباً، وزناراً بشماريخ، وخاتماً للبرشان وكتاب ناموس افرنجي. وبعد وصول القاصدين الى قنوين رفع البطريرك عريضة الشكر للحبر الروماني ورقى القس موسى العكاري الى الاسقفية، فكان خليفته في البطريركية كما ستري. ثم توفي البطريرك سمعان الحداثي في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٥٢٤م وعمره نحو مئة وعشرين سنة.

ومن الخطوط المعلقة على كتاب الاناجيل المذكور ونقلها عنه المطران اسطفانوس عواد في كتابه فهرست الكتب المشرقية التي في المكتبة الماديشية خط علق على صفحة ١٩ من الكتاب المذكور وهو لما كان تاريخ سنة ١٨٢٧ يونانية (توافق سنة ١٥١٦م) ارسل البطريرك بطرس **ⲡⲉⲧⲣⲟⲥ ⲙⲉⲗⲁⲕⲁⲥ ⲙⲉⲗⲁⲕⲁⲥ ⲙⲉⲗⲁⲕⲁⲥ** (اي بطرس ابن داود المسمى ابن حسن من قرية الحدث المباركة وارسل له بابا رومة) على يد رهبانه فرنسيسكو رئيس القدس وترجمانه اول الحوائج وجه المذبح وثانيهم كف وحذاء مزركش، ويعددها ما بقي مما ذكرناه من البدلات والغفارات والتاج إلى ان يقول ان من هدايا البابا جوختين **ⲙⲉⲗⲁⲕⲁⲥ ⲙⲉⲗⲁⲕⲁⲥ ⲙⲉⲗⲁⲕⲁⲥ** (للقدم الموارنة المسمى الياس ابن يوسف وكذلك عشر جوخ لصبيان الدير).

وعلق على صفحة ٢٢ من الكتاب المذكور خط آخر هذا هو بحروفه: «في سنة ١٨٠٦ يونانية (توافق سنة ١٤٩٥م) البطريرك بطرس بن داود بن حسن اشترى بقرية حدث لدير قنوين من يوحنا بن يوسف بن ابراهيم من قرية عبيدين حقلة فيها خمسين عرق زيتون وحدودها من الشرق: الدرب. من الغرب: العرقوب. من القبلة: كرم يوحنا المذكور. من الشمال: حقلة الجمال ومن يجاسر ويفسد هذا المشتري غضب

والدة الله يحل عليه. شهد بذلك المطران جرجس، والخوري سمعان والخوري يعقوب». وهناك خط آخر: لما كان تاريخ سنة ١٨٢٢ يونانية (توافق سنة ١٥٢١م) انقطع حجر طاحون بقرية بان وانتقل إلى طاحون دير قنوين وكلف مائة غرش بأيام ابينا بطرس (سمعان) البطريرك الانطاكي والمطارين يعقوب الحداثي وجرجس. والا يخفى على القراء ما في ذكر هذه الخطوط من الفائدة في اثبات بطريركية البطريرك سمعان المذكور وتعيين مدتها فضلاً عن الفكاهة بذكر هذه الامور القديمة.

عد ٤٤

من نعرفهم من مطارين الموارنة في القرن الخامس عشر

نعرف من هؤلاء الاساقفة

الاول: المطران بطرس ابن الخوري سمعان من اهدن كان مترئساً على هذه البلدة في سنة ١٤٠٤م ذكره البطريرك اسطفانوس الدويهي في تاريخ هذه السنة.

الثاني: المطران سمعان من قرية مشمش من عمل جبيل ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٤٤٠م وقال انه سار مع البطريرك عند انتقاله من دير ميفوق الى دير قنوين عندما جعل هذا الدير كرسيًا لبطريركية الموارنة.

الثالث: المطران الياس أسقف الموارنة بقبرص ذكره كثيرون منهم الدويهي. وعند اتحاد الروم بالكنيسة الرومانية في المجمع الفلورنسي اوفد الكاهن اسحق نائباً عنه الى البابا اوجانيوس الرابع، فسار تيموتاوس اسقف الكلدان الذي كان قد ارعوى عن بدعة النساطرة إلى الايمان القويم، فأثبت تيموتاوس ارتجاعه إلى الايمان الكاثوليكي باليمين، وحلف اسحق نيابة عن مطرانه الياس اليمين التي يحلفها رؤساء الكهنة في الكنيسة الرومانية على صحة ايمانهم وخضوعهم للكرسي الرسولي، فتوهم بعضهم ان المطران الياس والموارنة الساكنين بقبرص كانوا هراطقة وارعوا عن ضلالهم. وسنفرد لرد هذه التهمة الفصل التالي.

الرابع: المطران يعقوب نائب البطريرك بطرس بن حسان الحداثي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٤٥٨م وقال انه كان قائماً بمعاوضة البطريرك المذكور، وهو غير المار ذكره في احد الخطوط المثبتة آنفاً.

الخامس: المطران داود ابن المقدسي حنا ابن الاسقف داود الحديشي ذكره الدويهي ايضاً في تاريخ السنة المذكورة، وقال انه كان بمعاوضة البطريرك المذكور. وروى عنه في تاريخ ١٤٦٦م حصول قحط ومجاعة بسبب امحال الزروع مدة سنتين لطول القيظ، وان كان ذلك في ايام الملك الظاهر خشقدم المار ذكره.

السادس: المطران بطرس مطران اهدن ذكر الدويهي وفاته في تاريخ سنة ١٤٧٢م، ولا نظنه المطران بطرس ابن الخوري سمعان الذي روي انه كان مترئساً على اهدن سنة ١٤٠٤م، بل هو بطرس آخر توفي سنة ١٤٣٧م.

السابع: المطران يعقوب ابن رئيس اهدن (كذا في النسخة المخطوطة وفي تاريخ الدويهي المطبوع). سكن بدير مار سركيس رأس النهر وهو الذي طرد الرهبان اليعاقبة الاحباش من دير مار يعقوب اهدن.

الثامن: المطران يعقوب اسقف بشري ذكر الدويهي وفاته سنة ١٤٧٣م ايضاً. التاسع: المطران حزقيال وكان رئيساً على دير السيدة بحوقا، وورد اليه رسالة من البابا خوسطوس الرابع في تاريخ ١١ ايار سنة ١٤٧٤م وتوفي سنة ١٤٨٩م. العاشر: المطران سمعان بن داود بن يوسف الحديشي رقاہ عمه البطريرك بطرس الحديشي الى اسقفية العاقورة واليموني سنة ١٤٨٠م، وسكن بدير قنوين ثم خلف عمه البطريرك بطرس كما مر.

الحادي عشر: المطران سمعان بن ظريفة، ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٤٨٢م وقال انه انتقل من المنيطرة الى العاقورة من جور المستراحية الذين تقووا بالمنيطرة وعزلوا اولاد قصاص من المشيخة.

الثاني عشر: المطران ابراهيم بن حبلص من اهدن ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٤٨٨م قائلاً: ان المطران يعقوب اسقف اهدن واعيانها سعوا بترقيته الى الاسقفية وانزلوه على الرهبان الاحباش اليعاقبة المقيمين بدير يعقوب اهدن حتى رحلهم عنه.

الثالث عشر: المطران يوسف اسقف بشري، روى الدويهي في تاريخ سنة ١٤٩٨م انه توفي حزقيال اسقف بشري الذي قدمنا ذكره، وخلفه في هذه الاسقفية المطران يوسف.

الرابع عشر: المطران جرجس صدقني من مزرعة الحدث.

الخامس عشر: المطران يوحنا المسمى بالقرنجي.

السادس عشر: المطران تادروس العينطوري.

السابع عشر: المطران يوسف القبرصي.

ذكر الدويهي هؤلاء جميعاً في تاريخ سنة ١٤٩٤م وقال انهم كانوا مع المطارين يعقوب الاهدني وابراهيم بن حبلص ويوسف اسقف بشري وداود الخدشيتي المار ذكرهم رجال ديوان البطريرك سمعان اذ قدم لهم جبرائيل بن القلاعي كتابه في ثبوت الموارنة الدائم على الايمان الكاثوليكي وروى ان المطران تادروس المذكور الذي كان مقيماً بدير السيدة بعتتورين توفي في ٢٩ من شهر اذار ١٥٠٠م وتسلم الدير تلميذة القس وهبه.

وقد عثرنا ايضاً على اسم المطران جرجس من جاج في الخطوط المعلقة على كتاب الاناجيل المحفوظ الآن في المكتبة الماديشية منها الخط الذي ذكرناه في الكلام على البطريرك سمعان الخدثي حيث ذكر من شهود وقفه لدير قنوين المطران جرجس من قرية جاج. وكذلك جاء ذكره بمنزلة شاهد في الخط المنبئ بشراء هذا البطريرك الزيتون في الحدث سنة ١٤٥٩م، وفي الخط الاخر المؤرخ في سنة ١٥٢١م. وجاء في الخطوط المعلقة على صفحة ٢٢ من الكتاب المذكور ذكر شهادة المطران في وقف سركيس من سرعل بستاناً لدير قنوين سنة ١٤٩٦م ولا تعلم اهو المطران سمعان بن ظريفه المار ذكره ام هو مطران آخر؟

عد ٤٥

تفنيد رأي من زعم ان الموارنة واسقفهم الياس مطران قبرص

رجعوا الى الايمان في ايام البابا اوجانيوس الرابع

قد مر في عد ٩٥١ ان البابا اوجانيوس الرابع ارسل اندراوس رئيس اساقفة رودس الى الشرق بعد نقل الجمع الفلورنسي من فلورنسا الى رومة لتثبيت من اتحدوا بالكنيسة الرومانية في الجمع ودعوة من لم يتحدوا الى الاتحاد، وان اندراوس اتى الى قبرص فرد تيموتاوس مطران الكلدان من بدعة نسطور الى الايمان

الكاثوليكي، فتلا دستور ايمانه بحضرة اندراوس المذكور، وان الياس مطران الموارنة في هذه الجزيرة تلا دستور ايمانه ايضاً، ثم سار تيموتاوس إلى رومة وارسل المطران الياس اليها كاهناً اسمه اسحق لينوب عنه لدى البابا اوجانيوس في تقرير ايمانه الكاثوليكي. وبعد وصولهما إلى رومة كرروا تلاوة دستور ايمانها وحلفا على صحته سنة ١٤٤٤م بمجلس عقد في لاتران، فتوهم بعض المؤرخين ان المطران الياس والموارنة سكان قبرص وقتئذ كانوا ضالين ضلال مكاريوس بأن في المسيح مشية واحدة وفعلاً واحداً فارعوا عنه حينئذ وجاوز بعضهم حد كل اعتدال وصدق، وتوسعوا من البعض إلى الكل، فزعموا ان الموارنة اجمعين اقلعوا في ذلك الحين عن بدعة المشيئة الواحدة فنفتد زعم هؤلاء مبرئين اولاً ساحة الملة المارونية من كل ضلال واقلاعهم عنه في ذلك الحين. ثانياً تبرئة ساحة الياس مطران قبرص الماروني وشعبه القبرصي من الضلال.

تبرئة الملة المارونية من ذلك

قد رأيت في عد ٩٥٣ ان البطريك يوحنا الجاجي الذي عقد المجمع الفلورنسي في ايامه ارسل الى البابا اوجانيوس الاب يوحنا رئيس دير رهبان القديس فرنسيس في بيروت مصحوباً بالرسائل منه ومن اساقفته واعيان شعبه يجاهرون فيها بتشبههم بعري الايمان الروماني وباذعانهم لكل ما يتقرر في المجمع المذكور ويلتمسون منح البطريك درع الرئاسة والتثبيت، فتوجه بها الاب يوحنا المذكور وقدم الرسائل الى البابا اوجانيوس المذكور سنة ١٤٣٩م وهو في المجمع بفلورنسا، فأثبت البابا البطريك وأرسل اليه مع قاصده درع الرئاسة وتاجاً، وعاد الاب يوحنا بذلك سنة ١٤٤٠م فاستقبله الموارنة باحتفال في طرابلس، فتوهم نائب المدينة ان القاصد جاسوس، فحبسه ومن كان معه، فكفله بعض ابناء الملة واخرجوه من السجن. ثم طلبه النائب فلم يحضر فارسل عسكرياً إلى ميفوق حيث كان البطريك فقتل ونهب ونكل فدعا البطريك الاب بطرس من فرارا من الفرنسيين وارسله إلى البابا في شهر آب سنة ١٤٤٠م مصحوباً برسالة ضمنها شكره للبابا على ما انعم عليه به من التثبيت واخباره بما كان عند وصول قاصده الاب يوحنا، فاجابه البابا اوجانوس

برسالة اثبتها برمتها البطريك اسطفانوس الدويهي في الفصل الحادي عشر من كتابه رد التهم عن الموارنة ونحن نلخصها هنا عنه.

«اوجانيوس الاسقف عبد عبيد الله إلى الاخ المحترم يوحنا بطريك الموارنة السلام والبركة الرسولية قد اطلعنا على ما كتبتموه لنا في شهر آب الفائت صحبة الولد العزيز الراهب بطرس من الاخوة الصغار ونظرنا فإذا نعمة الهنا وسيدنا يسوع المسيح معكم لقبولكم تعاليم ايمانه بكل رضى واختيار ولكم رجاء وطيد في الكرسي الرسولي وفي كل من يتولى، فالاله الضابط الكل يفيض نعمه عليكم وعلى الشعب الذي تحت طاعتكم، وكما كان الخضوع سبباً لانتظام الفضائل التي تمدحون عليها فلتكن طاعتكم ايضاً لكل ما نكتبه اليكم لتمثلوا حكمة ونعمة، ولا يكفي ان تسلكوا بها انتم وحدكم بل ان تقودوا ايضاً الشعب والامم الاخرى في تلك البلاد والاعمال القاصية الى الحياة الدائمة بامثال افعالكم. ولما لم يمكننا ان نبين لكم كل شيء في كتابنا هذا ارسلنا اليكم الولد العزيز الراهب انطونيوس من طورية من الرهبانية المعروفة بالاخوة الصغار (من رهبان القديس فرنسيس) وجعلناه رفيقاً لولدنا الراهب بطرس من فرارا وهما يشرحان لكم كل ما تعتقد به الكنيسة الكاثوليكية. ولا يكفي ان تقبلوها وان تكونوا متحدين بالكرسي الرسولي بل ان تقووا نفوسكم ايضاً على الثبات والمحاربة لاجل الايمان لتنالوا الاكاليل، ولم نقل ذلك لريبة لنا في ثباتكم وثبات ملتكم بل لاننا علمنا انكم استقبلتم قصادنا وظهرتم بهجة ومسرة زائدة حتى اغتصبتم اعداءكم عليكم فقبضوا على البعض من رؤساكم وقتلوا البعض وصبرتم على ذلك بشهامة كبرى وضح فيكم قول الرسول انكم صبرتم على نهب اموالكم بفرح عظيم ويتحتم علينا في مخاطبتنا لكم ان نبين ما تستحقون عليه من الثناء والثواب، وإذا فعلتم ما ذكرناه وكنتم مستعدين للعمل به استشعرت في قلبكم بفرح جزيل من اجل الهبات العظيمة المنحدرة عليكم من لدن الله».

كتب بفلورنسة سنة ١٤٤١م لتجسد المخلص في اليوم الثاني عشر من كانون الاول وفي السنة الحادية عشرة من حبريتنا.

ثم ان الموارنة سكان اورشليم وفلسطين رفعوا عريضة إلى البابا اوجانيوس الرابع سنة ١٤٣٨م عصابة الاب البرتس من الفرنسيين ايضاً يبينون بها تشبههم بعرى

الايان الكاثوليكي وخضوعهم لكل ما يرسمه المجمع المذكور فأجابهم البابا بالرسالة الاتية وقد اثبت البطريرك الدويهي ترجمتها برمتها في الفصل الثاني عشر من كتابه في رد التهم عن الموارنة ونقلناها عنه مصلحين قليلاً العبارة العربية.

من اوجانيوس الاسقف عبد عبيد الله إلى الابناء المحبوبين الموارنة المقيمين باورشليم وجوارها وسائر بلاد المشرق السلام والبركة الرسولية.

«المجد لله في العلا وعلى الارض السلام والمسرة لبني البشر ذوي الارادة الصالحة. يحسن بنا ايها الابناء الاعزاء ان نهتف هتاف الفرح بنفس مبهجة يختلط ابتهاجها بابتهاج الملائكة إذ نبشركم بالسرور غير الموصوف الذي شمل جميع المسيحين، فان عقلنا ترطب بندى التعزية الالهية وفؤادنا تهلل بالرب ونرى نفسنا عاجزة عن وصف ما نشعر به من السرور وطمأنينة خاطر، فنقتصر على ترديد اصوات التسبيح والحمد والشكر فان ما كنا نطلبه ونجد في نيله ان نرقى الى ذروة هذه الرئاسة قد نلناه برحمة الله ألا وهو زوال ذلك الشقاق المديد المبيد الذي وقع مذ اربع مئة وخمسين سنة بين الكنيستين الغربية والشرقية، ونحن مع إننا بذلنا كل ما في وسعنا لاصلاح هذه الشؤون فينبغي ان نعزو ذلك كله إلى جودة الله غير المتناهية، فكل ما يكون بغير امداده ومعونته فهو باطل اننا منذ ارتقائنا إلى الحرية لم نأل جهداً بل كنا ندأب ونكد حتى يسر الله اتحاد الكنيسة الشرقية بالغربية، فبعد ان وجهنا رسائل كثيرة إلى جهات مختلفة قدم الينا في العام المنصرم ولدنا المحبوب بالمسيح يوحنا باليالوغوس ملك الروم، واخونا ذو الذكر الصالح يوسف بطريرك قسطنطينية، ونواب بطاركة الاسكندرية وانطاكية وبيت المقدس، ورسل ملوك دربيزون واتيباريا والروس والفلاخ مع رؤساء كهنة واكليروس داراكنه وخلق كثير، وهم مقيمون على نفقتنا إلى هذا اليوم ولارتياحهم إلى هذا الاتحاد المقدس عرضوا نفوسهم للمشاق الباهظة ومخاطر البحر وحضروا إلى هذا المجمع المسكوني، وسألونا ان يكون الثامه بايطاليا ليتيسر لنا ان نشهده بنفسنا، واقبلوا على البحث والجدال بغير خصومة، اهتمنا بأن نجتمع من كل صقع علماء ضليعين بالشرائع الالهية والبشرية ليبينوا الحق لطالبيه. ولما حصحص الحق بمعونة الله بنصوص الكتب الالهية واقوال الآباء الاطهار الموثوق بكلامهم من اللاتين ينبثق من الآب والابن معاً، وسلموا بطيبة خاطر ان سلطان الكنيسة الرومانية والكروسي المقدس الذي احتقره بعض الناس واقتروا عليه هو الاجل الاعظم، واقرأوا ايضاً باقي الحقائق كما واضح.

في المرسوم الموقع عليه المرسل اليكم مع الابن العزيز وكيلكم فرا البرتوس من الاخوة الصغار، وهو يخبركم عن كل ما كان مفصلاً، ويحق لنا ان نفتخر بالرب ونعلن انه قد جرى في عصرنا امر لم تَرَ البيعة الكاثوليكية اعظم منه ولا افضل منذ تبشير الرسل، ولم تقف معجزات الله عند هذا الحد بل ان الله برحمته الغزيرة اطلع لنا سماء اخرى واسعة الارحاء ليتمكن شمس البر الذي ولد في الشرق من ان يبسط اشعته إلى ظلمة الكفر لينتشر خلاص الرب الى اقصى الارض، ويمجد الجميع بفم واحد وروح واحدة الهنا وانا ربنا يسوع المسيح. وها نحن متوقعون يوماً بعد يوم قدوم من وجهنا اليهم رسلنا، وبلغتنا البشرية ان طائفة كبرى من الارمن اشرق عليها ضياء الحق وهم مستعدون لطاعة الكنيسة الرومانية والكرسي الرسولي بكل شيء والاذعان لسننه وتعاليمه من غير تردد. فالان ايها الابناء الاعزاء قد ترتب علينا ان نقدم لله سيد الجميع قربان التسبحة والابتهاج من اجل النعم الغزيرة التي نلناها من كرمه وما برحنا نرجو غيرها. وكما اشركتكم معنا بالفرح فاشتركوا معنا في اداء الشكر لجودة الله والتنافس بذلك امام كل مسيحي. والحمد على ما اولى من الخير واسألوه تعالى ان يتمم عمله الذي جعل يده على يدنا». كتب بمدينة فلورنسا سنة ١٤٣٩م في السابع من حزيران وهي التاسعة من حبريتنا.

فمن يا ترى يصدق ان البابا اوجانيوس الرابع يكتب الى الموارنة مثل هذا الكلام إذا كانوا غير خاضعين له قبلاً او رجعوا حديثاً إلى طاعته حيث لا إشارة الى رجوعهم ولا إلى قبولهم بل اقتصر الى تبشيرهم باتحاد الروم ورجائه باتحاد غيرهم، وكلفهم ان يشكروا الله معه وان يذيعوا ذلك عند جميع المسيحيين فضلاً عن ان رسالته مؤرخة سنة ١٤٣٩م، وخصماء الموارنة يزعمون انهم رجعوا إلى الايمان الكاثوليكي سنة ١٤٤٢. فكيف يوفقون هذا التناقض؟

وقد مر ان البطريرك سمعان الحداثي ارسل إلى البابا لاون العاشر صحيفة قاصده ست براءات من اسلافه تبين تشبث الموارنة بعرى الايمان الكاثوليكي، ومن هذه البراءات براءة من اينشنوسيوس الثالث بتاريخ ١٢١٥م، واخرى من البابا اسكندر الرابع مؤرخة سنة ١٢٥٦م، يتبين منهما جلياً ان الموارنة كانوا خاضعين للكرسي الرسولي قبل اوجانيوس الرابع بأعصر بل كانوا دائماً كذلك. وهذه البراءات الست

المذكورة وغيرها لم تزل الى اليوم محفوظة في خزانة بطريركية الموارنة، وهي تُخجل وتُفحم كل مكابر عنيد ولا حاجة إلى زيادة البيان في رد هذه التهمة لظهور بطلانها بما قدمناه، وفي مواضع كثيرة من هذا التاريخ وغيره، بل نأتي الى بيان انها لا تصدق ايضاً على الياس مطران الموارنة بقبرص وعلى رعيته فيها.

تبرئة الياس مطران قبرص والموارنة ساكنيها من هذه التهمة

لا ننكر ان البابا اوجانيوس الرابع كتب في براءته المفتوحة: «تبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح» المؤرخة في سنة ١٤٤٥م عن كلامه في اندراوس رئيس اساقفة رودس ان اندراوس هذا هدى الى الايمان القويم تيموتاوس ومطران طرسوس الذي كان بقبرص وكان نسطورياً يعتقد ان في المسيح اقنومين وان العذرا لا تسمى والدة الله وانه رد الى الهدى الياس مطران الموارنة الذي كان مع جماعته بقبرص ملوثاً بضلال مكاريوس ان في المسيح مشيئة واحدة، وأنه جمع هؤلاء في كنيسة القديسة صوفيا كنيسة كرسي تلك الجزيرة فاقروا بالايمان الكاثوليكي جهاراً، ثم ارسل تيموتاوس المذكور والقس اسحق تلميذ الياس مطران الموارنة الى رومة فوجد تيموتاوس ضلال نسطور، واسحق ضلال مكاريوس في كنيسة لاتران برومة. ولا ننكر ايضاً ان المطران الياس جحد تعليم مكاريوس وافر بالايمان الكاثوليكي في كنيسة القديسة صوفيا بقبرص وكذلك فعل تلميذه القس اسحق برومة لكننا نقول ان اندراوس مطران رودس عند بلوغه إلى قبرص ومخاطبته تيموتاوس والياس الاسقفين ورؤيته انهما مستعدان للاقرار بالايمان الكاثوليكي انشأ لهما دستور الايمان الذي يلزم كلاً منهما ان يقرأ به جهاراً وباحتفال. ولما كان يعلم ان تيموتاوس نسطوري ضمن الدستور الذي اعده له جحود بدعة نسطور، ولعلمه من كتاب غوليلموس اسقف صور ان الموارنة كانوا يعتقدون المشيئة الواحدة ضمن الدستور الذي للمطران الياس الماروني جحود بدعة مكاريوس بطريك انطاكية الذي كان مغوياً ببدعة المشيئة الواحدة، فتلا كل منهما في الكنيسة الدستور الذي اعده له اسقف رودس، وكتب الى البابا اوجانيوس انه هداهما إلى الايمان القويم، فاغتر البابا بما كتبه في براءته المذكورة. على ان اقرار المطران الياس لم يكن احداثاً لجحوده بل تقريراً او تجديداً له.

ولنا على اثبات ما قلناه ادلة بينة وحجج راهنة منها أولاً بدعة المشيئة الواحدة لم يبق لها من قرون قبل التاريخ المذكور قوام مستقل او انصار يقولون بها وحدها بل استمرت عند اليعاقبة لانها نتيجة لازمة من اعتقادهم الطبيعة الواحدة. وقد صرح بذلك السمعاني في مقالته في اصحاب الطبيعة الواحدة (مجلد ٢ في المكتبة الشرقية) وكثيرون غيره، وهؤلاء اليعاقبة يسمون مذهب الموارنة بدعة. تخص منهم بالذكر ابن العبري الذي قدمنا قوله بذلك، وقد صرح باعتقاده المشيئة الواحدة في المسيح فلا يعلم كيف امكن موارنة قبرص واسقفهم الياس ان يجددوا بدعة المشيئة الواحدة ويقولون بقول مكاريوس ان في المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة، وليس من قائل انهم كانوا يعاقبة. ثانياً اننا نعلم حق العلم ان الموارنة بقبرص كانوا متحدين مذهباً بإخوانهم في لبنان وخاضعين لبطريك الملة وقد رأيت تواتر المكاتبات بين الاحبار الرومانيين وبطاركة الموارنة في تلك المدة ولا نجد أثراً في تقليدات ملتنا او خيراً في كتب المؤرخين ان موارنة قبرص او اسقفهم زاغوا عن الايمان وخلعوا طاعة بطريركهم وقد ذكرنا في تاريخ القرن الرابع عشر نقلاً عن اعمال مجمع نيقوسية الذي عقده اليا رئيس اساقفة الكلدان في هذه الجزيرة سنة ١٣٤٠م ان جيورجيوس مطران الموارنة يقبرص كان في جملة من شهدوا هذا المجمع وكانوا جميعاً كاثوليكين وأقروا في مجمعهم ان الكنيسة الرومانية هي ام جميع الكنائس ومعلمتهن، وان الاب الاقدس البابا بناديكتس الثاني عشر هو خليفة بطرس الطوباوي نائب المسيح في الارض. وقد ذكرنا ايضاً هناك يوحنا اسقف الموارنة بقبرص اعتماداً على خط نقله البطريك الدويهي عن كتاب كان في كنيسة القديس سركيس بحدشيت وقد علق عليه انه نسخ سنة ١٣٥٧م في ايام البطريك يوحنا مطران قبرص. وعليه فاسلاف الياس كانوا كاثوليكين وهو لا نجد أثراً ولا خيراً يبين لنا انه جدد بدعة المشيئة الواحدة التي لم تبق إلا عند اليعاقبة، ولا يؤخذ قطعاً من براءة اوجانيوس المذكور انه كان يعقوباً.

ثالثاً قد روى هوراس يوستينيان في كتابه في اعمال المجمع الفلورنسي ان اوجانيوس الرابع امر ان ينقش على باب كنيسة القديس بطرس في صحائف من نحاس ذكر الامور الهامة التي جرت في ايامه، فنقش على تلك الصحائف: «هذا لذكر اوجانيوس الحبر الاثيل ونفسه السامية وعلمه النيف ان الروم والارمن والحبش واليعاقبة امنوا على يده ايمان رومة العظمى». وكتب على قبره بكنيسة القديس

بطرس المذكورة بعد وفاته. «بعنايته اتبع الروم والاحباش والارمن آثار الكنيسة الرومانية باسرار الايمان ثم السريان والعرب الى تخوم الهند، وهذه عظام صغيرة بالنسبة الى نفسه السامية. ولا نرى في هاتين الكتابتين ذكر للموارنة بالعموم او لموارنة قبرص واسقفهم بالخصوص مع ان الملل المذكورة فيهما لم يرجع إلا قسم منها.

رابعاً الاب غريغون الشهير كتب سنة ١٤٦٩م رسالة من رومة الى الموارنة ومما قاله فيها: ان الموارنة الذين ببلاد الفرنج ورودم وقبرص وطرابلس وبيروت والقدس الشريف ما برحوا منذ الزمان القديم إلى هذا اليوم يدخلون كنائس الفرنج ويقيّمون القداس على مذابحهم ويلبسون حللهم ويستعملون قربانهم ويرفعون الجسد والدم مثلهم ويرسمون الصليب على وجوههم كما يرسمه الفرنج ويعترفون عند كهنتهم ويتناولون من يدهم القربان الاقدس ويقبلون هداياهم كالتاج وغيره». وقال مثل ذلك الاب فرنسيس سوريانوس رئيس اديار القدس المذكور انفاً وكلاهما عهد اليهما عدة من الباباوات النيابة عنهم عند الموارنة وعاشراهم وعاشا بين ظهرانيهم سنين متطاولة بأثر ما كتب عن المطران الياس وموارنة قبرص، وقد صرّحاً أن الموارنة فيها يعملون كل ما ذكره منذ قديم الزمان أيسمح الفرنج في قبرص وكان حكامها حينئذ من امراء البندقية بأن يقدر كهنة الموارنة وهم هراطقة على مذابحهم، او جاز لكهنة الفرنج ان يناولوا من كانوا ملطخين ببدعة مكاريوس.

خامساً ان كثيرين من مشاهير المؤرخين الفرنج كبارونيوس ويوحنا مورينوس وغيرهما الذين كانوا انخدعوا بقول غوليتموس ان الموارنة ارعوا سنة ١١٨٢م عن الضلال اثبتوا انهم لم ينفكوا بعد ذلك البتة عن الاتحاد بالكنيسة الرومانية عامتهم وخاصتهم، ونخص بالذكر من هؤلاء القديس انطونيوس اسقف فلورنسا الذي كان معاصراً للبابا اوجانيوس الرابع لهذه الاحداث إذ توفي سنة ١٤٥٩م، فانه قال ان الموارنة جحدوا الضلال على يد ايميريكوس بطريرك انطاكية، وهم الى الآن متشبثون بالايمان الكاثوليكي ومتمسكون بتقليدات الكنيسة الرومانية بحرص بليغ. فلو كان المطران الياس وموارنة قبرص ملطخين في البدعة الى سنة ١٤٤٤م وعادوا الى جادة الحق في أيام هذا الأسقف القديس لما أهمل ذكرهم ولما قال ان الموارنة متشبثون الى الان بالايمان الكاثوليكي الخ...

سادساً ان الامثل والاقترب الى الصواب ان نقول ما قاله كثيرون من علمائنا

الأفاضل وهو ان اندراوس اسقف رودس لما رأى المطران الياس والموارنة القبارصة مستعدين للاقرار بالايان الكاثوليكي، وتوهم انهم من اصحاب بدعة المشيعة الواحدة انشأ لهم دستوراً للايمان ليتلوه ويحلقوا عليه ففعل ذلك المطران الياس بقبرص فكتب اندراوس كما توهم الى الخبر الروماني وما كان إدراك ما كانت تلك الايام وجهل الشرقيين لغة الغربيين، وجهل اللغات الشرقية، فكتب البابا اوجانيوس الرابع ما كتبه مغترراً باخبار قاصده، ولم تكن هذه الدفعة الوحيدة التي ترى بها مثل هذا الوهم بل جرى مثل ذلك مع بطرس كردينال كنيسة القديس مرشولوس عند ما رجع الروم على يده في طرابلس، وقدم الموارنة دستور ايمانهم حينئذ فتوهم انهم هراطقة ولم يميزهم عن الروم في ما كتبه الى البابا اينوشنسيوس الثالث فكانت براءته الى بطريك الموارنة سنة ١٢١٥م غير مميزة بينهم وبين الروم، وكذلك جرى لموارنة القدس إذ جددوا اقرارهم بالايان على يد ايميريكوس بطريك انطاكية الى غير ذلك.

وقال الاب ايرونيوس دنديني اليسوعي في فصل ١٨ من كتاب بعثته الى لبنان سنة ١٥٩٦م. «ان براءات الاحبار الاعظمين انما كتبت على النمط الذي نراها به من قبل الاخبار غير الصحيحة التي بلغتهم، وإذ كنت انا اعلم ذلك تحرّيت هذا الامر وامعنت فيه ودققت في فحص كتبهم (اي كتب الموارنة) فرأيتها لا تضاد العقائد الكاثوليكية البتة. ولما لم يدقق غيري في فحص الكتب بالاجتهاد والامعان اللازمين كان لا بد من ان تعزى إلى الموارنة في براءات الاحبار الرومانيين اغلاط متنوعة. ولبيان الحقيقة بياناً جلياً يلزم أن تلاحظ أن جميع البراءات المعزوة فيه أغلاط الى الموارنة نسخت حرفاً فحرفاً عن براءة اينوشنسيوس الثالث. وكلام البابا في هذه البراءة ليس على الموارنة وحدهم بل على الروم ايضاً، فانهم عادوا حينئذ في طرابلس إلى طاعة الكنيسة الرومانية وقدم الموارنة في ذلك الوقت صلحاً تمسكهم بطاعتها الى كردينال كنيسة القديس مرشولوس وهو بطرابلس اذ كان قاصداً رسولياً في الشرق فكان ذلك سبباً لنسبة اغلاط طائفة الى اخرى. وقال مثل هذا المقال غير دنديني من علماء اللاتين ومرهج ابن نيرون الباني في مقالته في الموارنة والسمعاني في المكتبة الشرقية. ويمكن القول بمثل ذلك براءة اوجانيوس الرابع المذكورة. ويؤيد ذلك قول العلامة البابا بناديكتوس الرابع في رسالته الى نيقولاولس لركاري المؤرخة في ٢٨ ايلول سنة ١٧٥٢م، وهو قد اثبت الموارنة انهم

لم ينحرفوا قط عن محجة الدين الكاثوليكي ولم ينفصلوا عن الكنيسة، وزادوا على ذلك انهم كانوا جددوا اتحادهم بالكنيسة الرومانية وقتاً ما، فلا ينبغي ان يتأول ذلك بمعنى انهم غادروا الدين الكاثوليكي ثم عادوا اليه.

وجاء في كتاب اسطفانوس عواد السمعاني في محاماته عن يوحنا السرومي وهو يوحنا مارون، ان الياس مطران قبرص كان يروم التملص من سلطة بطريرك الموارنة والاستقلال بسلطته محتجاً بما خوله المجمع الافسسي (في عمل ٧ قسم ٢) لمطارنة قبرص من الاستقلال عن بطريرك انطاكية في ترقية اساقفتهم الى الاسقفية، فحسب منشقاً عن بطريركه ومتحداً مع تيموتاوس مطران النساطرة، فالجئ الى ان يتلو دستور ايمانه بحضرة اندراوس رئيس اساقفة رودس. ومهما يكن من امره فهو فرد ورعيته في قبرص فريق يسير من الموارنة، فمن لا يقنعه كلما اوردناه من الادلة لا يسوغ له ان يعيب الملة كلها بعمل بعض افرادها، كما لا تعاب الكنيسة اللاتينية بالكثيرين الذين خرجوا عن طاعتها وعصوها.

لا نشاء ان نختم هذا الفصل دون ان نذيله بما كتبه العلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٢٣) متكلماً في براءة البابا اوجانيوس الرابع في شأن اقرار تيموتاوس مطران الكلدان واسحق قاصد الياس مطران قبرص على الموارنة بالايمان حيث ذكر السمعاني فقرة من البراءة المذكورة قال فيها البابا: «لا يجسرُّ احد من الشعب والاكليروس من الآن وصاعداً ان يدعو مطران الكلدان واسقف الموارنة المذكورين وشعبيهما واكليزسهما هراطقة او ان يسمى الكلدان نساطرة، ومن خالف امرنا هذا نأمر اسقفه ان يحرمه الى ان يصنع الترضية الكافية أو يغزَم بجزاء آخر زمني يراه الاسقف». وادف السمعاني ذلك بقوله: انظر الى الفرق الذي وضعه البابا بين اسمي الموارنة والنساطرة. فلما كان الموارنة لم يأخذوا اسمهم عن مبتدع نهى عن ان يسموا هراطقة فقط. واما النساطرة فلما كانوا اخذوا اسمهم عن نسطور المبتدع نهى عن ان يسموا هراطقة ونساطرة، وهذا ما راعاه باجيوس إذ كتب عن الموارنة في تاريخ سنة ٦٣٥م عد ١٣ «بل ان تسمية هذا الشعب نفسها موارنة ينتج منها انهم لم يسموا بهذا الاسم نسبة الى مارون مبتدع، فإن العادة المستمرة في الشرق والغرب ان الهراطقة الذين يرجعون الى الايمان الكاثوليكي ان كانوا غربيين كاللوتاريين والكلونيين دعوا كاثوليكين، وان كانوا شرقيين فإن كانوا يعاقبة دعوا سرياناً وان نساطرة تسموا كلداناً ويفهم بذلك انهم سريان كاثوليكيون

وكلدان كاثوليكيون.... واما الموارنة فهذا كان اسمهم دائماً، والاحبار الرومانيون يسمونهم به من ايام البابا اينوشنسيوس الثالث او يسمى بطريركهم بطريرك الموارنة الانطاكي. والنتائج من ذلك نتجاً لازماً ان هذا الاسم دل دائماً على شعب كاثوليكي». انتهى كلام باجيوس.

مقالة تاسعة

تاريخ الموارنة في القرن السادس عشر

عد ٤٦

بعض حكامهم وأعيانهم في هذا القرن

كان في هذا القرن كثيرون من مقدمي الموارنة ومشايخهم يلون قومهم من قبل ولاية دمشق أو طرابلس أو غزير وما يليها. وقد ذكرنا في تاريخ القرن الخامس عشر أنّ المقدّم عبد المنعم الثاني مقدّم بشري توفي سنة ١٤٩٤م وخلفه ابنه يوسف، ثم توفي يوسف وخلفه ابنه المقدّم الياس بن يوسف المذكور. ونرى البطريرك اسطفانوس الدويهي روى في تاريخ سنة ١٥١٤م أنّ البطريرك سمعان الحداثي التمس من البابا لاون العاشر في جملة ما التمس منه أن يكتب رسالة إلى المقدّم الياس بن يوسف من بشري ليكون غيوراً على قومه أهل جبل لبنان. وروى في تاريخ سنة ١٥١٥م أنّ الحبر الروماني أنفذ الرسالة المطلوبة إلى المقدّم الياس المذكور وحثّه بها على أن تكون له العناية بأمر الدين الكاثوليكي واليقظة لسياسة ملّته. ثم توفي المقدّم الياس سنة ١٥١٩م ولم يكن له إلا ولد قاصر اسمه يوحنا. فتغلّب على المقدمة كمال الدين بن عبد الوهاب المعروف بابن عجرة من قيطو، وتزوج بست الملوك ابنة الشيخ علوان بن قمر من بشري، وكانت ذات ثروة عظيمة فبنى برجاً بقيطو وحكم الجهة الشمالية من البلاد. ويظهر أنّ بشري والجهة الجنوبية

لثبت بعهدة المقدم يوحنا، وسُمي عبد المنعم أيضاً. ففي سنة ١٥٣٧م كان اجتماع بيلوزا، ولما قدم مقدم بشري يوحنا المذكور لم يرد ابن عجرمة أن يلاقه أو يقف عند دخوله، فطعنه المقدم يوحنا بالرمح فقتله ودُفن بقيطو شرقي كنيسة مار سركيس. وفي سنة ١٥٤٧م كان مقتل المقدم عبد المنعم يوحنا فإن ست الملوك أرملة ابن عجرمة رغبة في أخذ ثأر زوجها استدعت إليها حماده رئيس الحمادية الذين أتوا من بلاد العجم إلى قهمز بلبنان، واتفقت مع نصارى ملكية من عين حليا فأكمنوا للمقدم في خارج داره، ولما خرج سحراً وثبوا عليه وقتلوه، ودخل الملكية الدار وقتلوا أولاده. وما انتشر الخبر حتى أسرع أهل بشري في طلب القتالين فأدركوهم في محل يسمى الحرائص فقتلوا حماده وبعضاً من رفاقه. وانقرضت بمقتل يوحنا هذا ذرية المقدم سيفاً، وانتقلت إلى ذرية قمر، وسمي المقدمون من ذرية قمر العناحلة نسبة إلى عين حليا، لأن رجلاً من عين حليا اسمه عز الدين تزوج بنت حسام الدين بن أيوب بن قمر مقدم من بشري سنة ١٤٣٠م، فولد منها حسام الدين، وهذا رُزق أربعة أولاد هم: موسى ورزق الله، وداجر، وعاشينا. ولما انقرضت سلالة سيفاً أخذ هؤلاء الولاية على جبة بشري. ويظهر أن الذي أخذ الولاية منهم هو رزق الله، إذ روى الدويهي في تاريخ سنة ١٥٥٧م أن رزق الله هذا مقدم بشري كان حاضراً مع البطريك وثمانية مطارين ونحو أربعماية كاهن في تقديس الميرون يوم خميس الأسرار من السنة المذكورة. وروى في تاريخ سنة ١٥٧٠م أن رزق الله هذا كان قد تولّى المقدمة من قبل الأمير منصور بن عساف، وكان مجتداً في تعمير البلاد وجباية مال الحكومة، وكانت فتنة بينه وبين أخيه عاشينا لأن عاشينا لم يكن حسن السيرة بل كان يسطو على الناس وينهب ويقتل فحنق عليه أخوه المقدم رزق الله وأنبه أشد التأنيب فرحل إلى حصرون وكان متزوجاً بامرأة منها وأخذ يهدد أخاه بالقتل، فأصلح البطريك ما بينهما وأعاد عاشينا إلى البرج الذي كان قد بناه في أسفل بشري، لكنه لم ينكف عن طريقته السيئة ونفرت القلوب منه. وشكى إلى نائب طرابلس بأنه شلح قفلاً في المسيقة فأراد رزق الله أن يستريح من شره فدبر على قتله، ودعاه إليه إلى البرج الذي في أعلى القرية وكان قد تأمر مع رجال من الضنية على قتله، وكمّنوا له في البرج، ولما دخل إليه اغتالوه. وسمع البطريك فأتى إلى بشري وحرم رزق الله على مسمع الجمهور. وطلب صاحب القفل إلى المقدم أن يرده له ما سلب منه، فثبراً من ذلك فدعاه إلى

الحكمة ونزل المقدم إلى طرابلس مع مشايخ القرى للمحاسبة على الخراج . وحضر إلى القاضي فلم يقدم صاحب القفل بيته ولا شاهداً، فتأجلت الدعوى إلى إقامة بيته . ثم عاد المقدم بعد مدة إلى طرابلس ورقبه صاحب القفل حتى دخل الحمام فرشا الحارس في الحمام، وختّم طرف عمامة المقدم بسمة بضاعته ، ولما خرج من الحمام أمسكه بيده وقال لا يحق لك يا مقدم أن تأكل مال المسلمين . وأخذه إلى أمام القاضي وأراه سمة بضاعته على عمامة المقدم فحكم القاضي عليه فربطوه في ذنب حصان وجزّروه حتى قضى أجله وهو بريء من تلك التهمة .

وبعد مقتل المقدم رزق الله تولّى المقدمة سنة ١٥٧٣م أخوه داغر وعساف بن موسى أخيهما من قبل الأمير منصور بن عساف ، وأرسل الأمير رجالاً قتلوا موسى وداود ابني شلندى من بشري حمي المقدم رزق الله ، وقيل أنهما عملاً على قتل صهرهما، وخاف أقارب بني شلندى فنزلوا إلى طرابلس وشكوا المقدم داغر بأنه تسبب بقتل نسيبهم ، فطيّب نائب طرابلس خاطرهم . ولما أرسل جابي المال إلى بشري أمره بقتل المقدم داغر، وبعد أن جبي مال القرية ركب حصانه وطعن المقدم داغر برمح فقتله . ثم إنّ الأمير منصور عساف قتل المقدم عساف ابن أخي داغر، ووّلّى على جبة بشري أبا سلهب القريعي . وكان ذلك مخالفاً لرضى أبي منصور حبّيش مدبر الأمير منصور . وفي سنة ١٥٧٤م وقعت النفرة بين أبي سلهب القريعي المذكور وأنسابه وبين البشرانية ، وقتل القريعي رجلين من بشري عند العين التي تحت بقاعكفره ، وقُدّمت الشكوى إلى الأمير منصور فعزل الأمير منصور أبا سلهب القريعي بتدبير الشيخ أبي منصور حبّيش عن مقدمة الجبة، ووّلّى مكانه مقلد ابن الياس ، وأشرك معه في الولاية الشدياق يوسف أبا رعد المعروف بخاطر ابن الشدياق شاهين الحصري من بيت مشروق . وأما اهدن فكان ثلاثة شمامسة يدبرون أمورها .

وفي سنة ١٥٧٩م قُدّمت الشكوى إلى الباب العالي على الأمير منصور عساف بقتله ابن شعيب حاكم طرابلس ، وامراء فتقا غيرهم فأمر السلطان بجعل طرابلس باشاوية لكسر شوكة الأمير منصور وجعل يوسف باشا ابن سيفا التركماني والياً عليها . فطلب المقدم مقلد والشدياق خاطر فهرب الأمير مقلد إلى جهة الشوف فمات هناك وله صبي اسمه جمال الدين يوسف ، وبنت اسمها ست البنات . على أنّ يوسف باشا رضي عن الشدياق خاطر وكاتبه وأتمنه وأعادته إلى

ولاية جبة بشري، وجعل الشدياق باخوس بن صادر الحدشيتي شريكاً له في الولاية. وتوفي الشدياق باخوس المذكور سنة ١٥٩٤م وخلفه ابنه الشدياق فرج في تدبير جبة بشري مع الشدياق خاطر.

وقد اشتهر بهذا العصر الشيخ حبيش بن موسى بن عبدالله بن مخائيل، فإنه انتقل من قرية يانوح بعباله إلى غزير بعد أن دَوَّخ السلطان سليم الأول العثماني سورية ومصر وأمنهما، وولّى الأمير عساف على كسروان وبلاد جبيل، فأقام الشيخ حبيش بغزير عند الأمير عساف، وكان له ثلاثة بنين يوسف ومهنا وسليمان. وتوفي الأمير عساف ١٥١٨م وتوفي بعده ابنه الأمير حسن فكان يوسف وسليمان ابنا حبيش مدبري حكمه. ثم قتل الأمير قيتبيه (قايديه) ابن الأمير عساف الأمير حسن والأمير حسين أخويه ببيروت، وقبض على يوسف وسليمان ابني حبيش وحبسهما ثم نفاهما إلى مصر. ثم توفي الأمير قيتبيه بن عساف وخلفه الأمير منصور ابن أخيه حسن فردّ الشيخين يوسف وسليمان ابني حبيش إلى خدمته سنة ١٥٢٣م. ولما حنق حمد آغا بن شعيب حاكم طرابلس على الأمير منصور، أرسل الأمير إليه سنة ١٥٢٨م ابني حبيش وعبد المنعم الآتي ذكره، فقتلوا ابن شعيب وألحقوا به ابنه في جامع طيلان بطرابلس وأصلحوا نفوسهم مع القاضي فحكم أنهم أبرياء. وقد مرّ ذلك.

ولما توزع القشلق (ضريبة للحكومة وقال بعضهم يراد به زمرة من الجند) على ولاية الشام سنة ١٥٧٢م وأصاب جبة بشري منه واحد وعشرون ألف سلطاني، وقيمة السلطاني ثلثا القرش، وأصاب دير قنوين منه مائتا سلطاني، وضبطت الحكومة الدير، فاستفكه البطريك ميخائيل الرزي بعناية الشيخ أبي منصور حبيش وهو الشيخ يوسف المذكور على ما يظهر. ولما حصل القتال بين القرعية وبين أهل بشري عني الشيخ أبو منصور حبيش بعزل القرعية عن حكومة الجبة، وولّى عليها مقلد بن الياس كما مرّ. وتوفي الشيخ أبو منصور يوسف حبيش سنة ١٥٨٣م وخلفه في تدبير ولاية غزير أخوه الشيخ أبو يونس سليمان. ولما قتل يوسف باشا سيفاً الأمير محمد العساف وتزوج امرأته، قبض يوسف باشا على سليمان حبيش المذكور وعلى منصور ابن أخيه مهنا وقتلها سنة ١٥٩٣م وهرب ولدها يونس وحبيش إلى الشويفات ملتجئين إلى الأمير محمد بن جمال الدين التتوخي. هذا ما ذكره العلامة الدويهي في تاريخه ونقله عنه الشيخ طنوس الشدياق في تاريخ

الأعيان . وفي ذلك نظر فإن كان الشيخ يوسف والشيخ سليمان حبش انضويا إلى خدمة الأمير عساف سنة ١٥١٨م فلا بد أن كان عمرهما حينئذ نحواً من عشرين سنة على الأقل ، فيتعسر تصديق الرواية أن الشيخ سليمان خاصة عاش ثلاثة وتسعين سنة . وأظن أن في النسب خطأ وأن أبا منصور يوسف وأبا يونس سليمان هما غير يوسف وسليمان ابني حبش اللذين خدما الأمير عساف سنة ١٥١٨م والله أعلم .

وكان من أعيان الموارنة وحكامهم في هذا القرن مالك ابو الغيث ذكره البطريك الدويهي في تاريخ سنة ١٥٢٣م، فقال كان متكلماً على العاقورة أي حاكماً بها . وكان صاحب همة واقدام وسار إلى دمشق ولبث بها مدة، فاغتنم المتاوله فرصة غيابه وانتقلوا من حراجل إلى قرية تدمر التي فوق يانوح فعمروها واستوطنوا بها . وعلم بذلك الشيخ مالك فحمل عليهم وطردهم من هناك ، وأخذ كل ما كان لهم إلى العاقورة . وروي في تاريخ سنة ١٥٣٤م أنه كان فيها خصام بين مالك شيخ العاقورة وهو من غرض اليمنية ، وبين هاشم العجمي . فكبس مالك جبة المنيطرة مرتين وأحرق قراها ، واتفق أهل هذه القرى ومن كانوا من حزب القيسية في العاقورة وأكمنوا للملك في طريق الجرد فقتلوه غيلة ، فسار حنش وحرفوش أخوا مالك إلى دمشق يشكون إلى نائبها، فكتب إلى الأمير منصور عساف أن يقبض على الغرماء ويرسلهم إليه ، فأرسل الأمير منصور عبد المنعم ابن عم هاشم ومعه رجال وأخو مالك للقبض على هاشم وقاتلي مالك . فانهزم هاشم إلى الأمراء الحرافشة لائذاً بهم فخانوه بسعاية عبد المنعم ابن عمه، إذ تعهد لهم بقتل الأمير منصور عساف وتسليمهم اقطاعاته ، فاغتالوا هاشماً ورموه في بئر عند الكرك يسمى باسمه . ووجس أهل العاقورة وفرّ القيسية منهم إلى طرابلس واليمنية إلى دمشق ، وخلت العاقورة من السكان سبع سنين . وقد ذكرنا ذلك في عدد ٩٦٠ .

وأما هاشم العجمي الذي ولّاه الأمير منصور عساف على بلاد جبيل وابن عمه عبد المنعم الذي جعله دهقاناً على أمواله ، وبنى له داراً في غزير قُتل فيها كما مرّ في العد المذكور من كتابنا هذا . فلا نظن أنهما كانا من الموارنة وإنساب آل هاشم في العاقورة إلى هاشم المذكور لا نراه صحيحاً، بل ترى الأظهر ما نقلناه في العدد المذكور عن خط الصالح الذكر الشهير بمعرفة الانساب البطريك بولس مسعد وهو

أن نسبة هؤلاء المشايخ إنما هي إلى هاشم أحد أبناء الشيخ أيوب ابن الشماس توما الآتي ذكره .

الشيخ أيوب ابن الشماس توما من العاقورة ذكره العلامة الدويهي في تاريخ سنة ١٥٣٤م فقال وأما الشيخ أيوب وأخوه فضول ابنا الشماس توما فسكننا عند دير القديس أدنا كرسي أسقفية العاقورة وساعدهما الله على تعمير قريتهما ، ونالا أمراً من نائب دمشق بأن يجمعاً سكانها (الذين كانوا قد تشتتوا كما مرّ) وأن يكونا مشايخ فيها . وولد لأيوب ثلاثة بنين وهم هاشم المار ذكره وضاهر ورعد وأشهرهم هاشم جد آل هاشم ومشايخ العاقورة .

وفي سنة ١٥٤٥م انتقل الشدياق سركيس الخازن من قرية جاج ببلاد جبيل إلى قرية البوار بالفتوح لاستحواذ الأمن والراحة في ولاية الأمير منصور عساف ، ثم انتقل من البوار إلى قرية بلونه بجوار عجلتون . وتوفي الشدياق سركيس سنة ١٥٧٠م وله ابنان أبو صقر ابراهيم وأبو صافي رباح . وفي سنة ١٥٨٤م توفي الأمير قرقماز المعني في مغارة جزين منهزماً من أمام ابراهيم باشا والي مصر الذي كان السلطان قد أرسله للتنكيل بولاية لبنان لاتهامهم بسلب خزينته في جون عكار . فأرسلت أرملة الأمير قرقماز ابنيها الأميرين فخر الدين ويونس إلى بلونة مع الشيخ كيوان الماروني من دير القمر فخبأهما عند الشيخ أبي صقر ابراهيم الخازن ابن سركيس . ولما انصرف ابراهيم باشا عاد الأميران فخر الدين ويونس إلى اعبيه عند خالهما الأمير سيف الدين التنوخي ، ولما بلغا أشدهما ردهما خالهما إلى ولاية أبيهما بالشوف فتذكرا معروف الشيخ ابراهيم الخازن ، ودعاه الأمير فخر الدين إليه وجعله مديراً لحكومته وجعل أخاه رباحاً دهقاناً لأملاكه في آخر هذا القرن سنة ١٦٠٠م ، فكان ذلك سبيلاً إلى تقدّم الأسرة الخازنية في المناصب كما سوف ترى .

الشيخ كيوان الماروني هذا من دير القمر كان مديراً لحكومة الأمير قرقماز ابن الأمير فخر الدين الأول . ولما توفي الأمير قرقماز سنة ١٥٨٤م عني كيوان بتخبئة ولديه فخر الدين ويونس عند الشيخين ابراهيم ورباح الخازن كما مرّ . ولم نعلم شيئاً آخر من أمر هذا الرجل .

الشيخ يوسف بن شكيان الحصاراتي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٣٢م ،

فقال عبد الساتر الكردي حاكم البترون قصد أن يعصر الأمير منصور بن عساف فجهز له الأمير أربعين رجلاً قتلوه وألحقوا به أباه ، ووُلِّي مكانه يوسف بن شكيان الحصاراتي وصرفه ببلاد البترون لاشتهاره بالنزاهة والعدل والشجاعة .

ومن نكبات الموارنة في هذا القرن قتل جثمّ غفير منهم في قبرص عند فتح العثمانيين لها سنة ١٥٧٠م . فقد أنبأنا الدويهي في تاريخ السنة المذكورة أنّ الذين قُتلوا من الموارنة حينئذٍ كانوا نحو ثمانية عشر ألفاً ، وكان اثنا عشر ألف رجل منهم قد اعتصموا بقرية اسمها كاليباسي على قمة الجبل ، فحلفوا لهم إذا استسلموا إليهم لم يضربوا بهم ، بل يردون إليهم قراهم ويولونهم عليها ، فلما نزلوا إليهم قتلوه عن آخرهم فكان عدد قتلى الموارنة حينئذٍ ثلاثين ألفاً .

والنكبة الثانية أنه لما وزع القشلق على بلاد الشام سنة ١٥٧٢م وأصاب أهل جبة بشري منه واحد وعشرين ألف سلطاني كناية عن أربعة عشر ألف قرش ، فأكثر جباة هذه الضريبة من الصرامة والقسوة على الأهلين حتى اضطر كثيرون منهم إلى الفرار ، وخلت قراهم من السكان . وذكر الدويهي من هذه القرى سبعل وبنهران ومريت والناووس وأدنيث وكفرفو ورأس كيفا وسرعل ونحيا وحيرونا وبرحليون ورشدين وبقرقاشا .

عد ٤٧

بطاركة الموارنة في القرن السادس عشر وأولاً في البطريرك موسى العكاري

فرغنا من الكلام على هؤلاء البطاركة في القرن الخامس عشر بذكر البطريرك سمعان الحداثي ووفاته في أواخر شهر تشرين الثاني سنة ١٥٢٤م . وفي الحادي عشر من كانون الأول من السنة المذكورة اجتمع الأساقفة وأعيان الاكليروس والشعب وانتخبوا موسى بن سعادة من قرية الباردة بعكار ، وكان راهباً في دير السيدة بحوقا ، وكان البطريرك سمعان الحداثي سالفه قد أرسله سنة ١٥٢٢م إلى البابا أدريانوس السادس . وبعد عودته رقاها إلى الأسقفية كما مرّ . وقال فيه العلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٢٢) نقلاً عن تاريخ الدويهي :

«إنه كان ذا عبادة جزيلة وغيره متقدمة دخل إلى روما وأحضر درع التثبيت للبطيريك سمعان (الحدثي) وصتف قصيدة سريانية في سفره إلى رومية ، وقصيدة أخرى في مدح يوسف بن يعقوب ، وأنشأ أملاكاً كثيرة لدير قنوين ، وترك له عند وفاته ثروة وافرة ، وحزن على موته شعب الموارنة كلهم ودفنوا جسده الطاهر في مغارة القديسة مارينا بالبكاء والنوح . وبعد دفنه جعلوا مخدعه الذي كان قرب باب كنيسة السيدة معبداً ، ونصبوا فيه مذبحين على اسم الرسولين بطرس وبولس كي لا يسكن هناك أحد بعده» .

وقال السمعاني بعد ذلك أنّ في دير الكرسي الرسولي البطيريك المذكور أربع رسائل من الأحبار الأعظمين منقذة إليه ، ولديّ منها أربع نسخ منقولة عن أصولها الأولى من البابا اكليمينضوس السابع مؤرخة في ٢٥ من كانون الثاني سنة ١٥٣١م ، والثانية من بولس الثالث مؤرخة في شهر كانون الأول سنة ١٥٤٢م ، والثالثة من بولس الرابع مؤرخة في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٥٥٦م ، والرابعة من بيوس الرابع مؤرخة في أوائل ايلول سنة ١٥٦٢م . وقد أرسل البطيريك موسى إلى هذا البابا جيورجوس مطران دمشق لينوب عنه وعن ملّة الموارنة في الجمع التريدينيني . وهذا ظاهر من رسالة هذا البابا إلي حيث يقول: «قد قابلنا بارتياح أخانا المحترم جيورجوس مطران دمشق الذي حمل رسالتك إلينا» . إلى أن يقول: «وأما رغبتكم في أن نرسل المطران المذكور إلى الجمع التريدينيني ، فلم نرّ الاجابة إليها لازمة ولا سيما . لأنه لا يعرف اللاتينية ولا يحسن الكلام بالاطالية ، فلا يتمكن من بيان ما يراه ولا من فهم ما يبحث عنه ، ولهذا رأينا الأولى أنكم متى سنحت لكم الفرصة ترسلون إلينا رسالة تقرون بها بأنكم خاضعون أنتم وأساقفتكم واكليسكم لجميع مراسيم الجمع التريدينيني وتثبتون كل ما أثبتته وترذلون كل ما رذله كما صنع أخونا المحترم عبد يشوع بطيريك الكلدان قبل سفره من عندنا عن عهد قريب» .

وفي أيام هذا البطيريك جدد وأيد البابا اكليمينضوس السابع في ١١ ايلول سنة ١٥٢٨م منح الغفران الذي كان سالفه البابا لاون العاشر قد أنعم به على من يزورون كنيسة الكرسي البطيريك في عيد ميلاد المخلص وختانته وظهوره للتبشير (الغطاس) وصعوده وحلول الروح القدس (العنصرة) ، وأعياد: ميلاد يوحنا المعمدان ، وانتقال العذراء ، والقديسين بطرس وبولس ، ووجود الصليب بحيث أن يعترفوا ويتناولوا القربان الأقدس في تلك الأيام ويتبرعوا بدفع صدقة ما للكرسي

البطريركي أو لترميم غيره من كنائس الطائفة . وكذلك منح البابا بيوس الثالث في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٥٤٢م غفران سبع سنين وسبع أربعينات للموارنة كل مرة تلا أحدهم أمام صورة المصلوب خمساً الصلوة الربانية والسلام الملكي ، بحيث أن يكونوا تائبين ومعترفين حقيقة أن يقصدوا الاعتراف في الأزمنة المرسومة ، ثم إن البابا بيوس الرابع فوّض إلى البطريك موسى المذكور في رسالته المنفذة إليه في أول ايلول سنة ١٥٦٢م أن يحل من التأديبات البيعية جميع الهراطقة والمشاقين والمارقين سواء كانوا من الموارنة أو من أية ملّة كانت ، وأثبت الغفران الممنوحة من سلفائه . وترى هذه المراسيم الحبرية في ذيل المجمع اللبناني المطبوع حديثاً .

ومن أعمال البطريك موسى المذكور أنه أرسل سنة ١٥٢٧م انطونيوس مطران دمشق لطلب التثبيت من الحبر الروماني ، فوقع بيد اللصوص بالبحر وسلبوا ما كان معه حتى رسائل البابا . ثم استفك نفسه ودخل إلى روما ونال حظوة لدى البابا اكليمنضوس السابع . وسلم إليه منشور الغفران المار ذكره ، ودفع إليه توصية إلى المؤمنين ليتصدقوا عليه ، ولم يرسل درع الرئاسة إلى البطريك لفقدان رسالته . وفي سنة ١٥٣٠م أرسل البطريك رسالتين إلى البابا اكليمنضوس السابع مع بعض المرسلين يحقق له دوام خضوع ملّته للكرسي الرسولي ، ويخبره عن الضنك الحاصل عليهم ، ويسأله أن يكرم عليه بالملابس الكهنوتية ، وأن يجعل الكردينال سنتاكروس وكيلاً عاماً للملّة المارونية ، فأجابه البابا في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٥٣١م أنه قد سرّ كثيراً بأن شعبه ما برح يزداد عبادة وتقوى واستمسكاً بعرى الايمان الكاثوليكي ، وأنه عين الكردينال المذكور وكيلاً بروما لأمة الموارنة وهو الذي ارتقى السدة الباباوية بعداً ، ودُعِيَ مرشّوس أو مرسل .

وفي سنة ١٥٤٢م أرسل البطريك رسالة إلى البابا بولس الثالث مع أحد المرسلين سأل قداسته فيها أن يوصي رئيس الرهبان فرنسيس أن يرسل إليه ستة كهنة لينشعوا مدرسة بلبنان لتعليم بعض الشبان اللغة اللاتينية مبيّناً له أنه من مدة طويلة لم يأت أحد من قبل الحبر الروماني لزيارتهم ، ولا استطاع هو أن يرسل أحداً يعرف اللغة إلى قداسته . وأثبت الدويهي ترجمة جواب البابا على هذه الرسالة في الفصل ١٦ من كتاب رد التهم . وفي سنة ١٥٤٥م أرسل كرلوس الخامس عاهل جرمانيا إلى البطريك موسى بدلة جميلة لخدمة الاسرار الالهية مع الطبيب ابراهيم العاقوري . قال الدويهي وهي محفوظة إلى الآن في دير قنوبين . وفي سنة ١٥٥٣م

أخذ جابي المال في قبل والي طرابلس زيادة المال على المال المطلوب من دير قنوين، فرفع البطريرك موسى عريضة إلى السلطان سليمان خان الغازي وكان يومئذ بحلب، فصدرت لإرادته السنية يأمر لقاضي طرابلس أن ينظر في الدعوى ويأمر الجابي أن يرّد على دير قنوين ما أخذه منه وتاريخ هذا الأمر في ١٥ محرم سنة ٩٦١ هـ (سنة ١٥٥٤ م).

وفي سنة ١٥٥٥م ارتقى إلى السدة الرسولية البابا بولس الرابع فرفع البطريرك إليه رسالة يهنئه بها ويلتمس بركته ودعائه. فأجابه البابا في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٥٥٦م وأرسل إليه عدّة كاملة للتقديس. وقد ذكر ذلك الدويهي مفصلاً في الفصل السادس عشر من كتابه ردّ التهم. وفي سنة ١٥٥٧م عقد مجمّعاً نهار خميس الأسرار وقُدّس الميرون بحضرة ثمانية مطارين ونحو أربعماية كاهن ورزق الله مقدّم بشري وجم غفير. وفي هذه السنة أنشأ البطريرك كنيسة القديس جيورجوس بقرية شدرة من عمل عكار.

وفي سنة ١٥٦١م اتفق أن وقع رجل في بئر كنيسة الموارنة بأورشليم المعروفة بكنيسة القديس جرجس ومات. فهرب الرهبان الموارنة الذين كانوا في تلك الكنيسة، وأتى جماعة من القبط دفعوا الغرامة التي توجبت على الكنيسة ووضعوا يدهم عليها. فأخذ البطريرك موسى أمراً من مصطفى باشا والي دمشق إلى قاضي القدس مؤرخاً في شهر محرم سنة ٩٧٢ هـ الموافقة ١٥٦٤ للميلاد، أن يسمع دعوى البطريرك ويرفع يد القبط عن الكنيسة، فسار البطريرك إلى القدس ومعه الدراهم اللازمة لاسترداد الكنيسة. وكان رئيس رهبان الفرنج اسمه بونيفاس فأقنع البطريرك أن لا يداعي القبط ولا يخسر الدراهم بل أن يقضي جماعته الموارنة فروضهم الدينية عند رهبانه في القدس في كنيسة الخلّص لكونهم قلائل. وكان لهم مذهب في كنيسة العلية الصهيونية، وإذا جار الزمان وخرج الرهبان أي رهبان القديس فرنسيس من القدس فتبقى كنيسة الخلّص بيد الموارنة. فاقتنع البطريرك بذلك، وعدل عن استرداد كنيسة القديس جرجس، ومداعاة القبط. واشترى بالدراهم داراً في القدس لجماعته. وهذا ظاهر من رسالة كتبها البطريرك موسى إلى البابا بيوس الرابع وأرسلها مع الأب بونيفاس المذكور عندما انقضت مدة رئاسته وعاد إلى رومة.

ودخلت سنة ١٥٦١ ولم ينل البطريك درع الرئاسة والتثبيت بالنوع المعتاد وإن تواترت عرائضه إلى الأبحار الرومانيين ونعمهم عليه كما رأيت، لأنّ الرسائل المرسلة مع المطران انطونيوس المذكور أتلّفها اللصوص، ولم يتيسر له كل هذه المدة أن يرسل أحداً من أبناء ملّته يطلب له التثبيت. ففي هذه السنة بلغه أنّ القس جرجس القبرصي يعرف اللغة الايطالية، فدعاه إليه وأمره أن يسير إلى روما، ودفع إليه رسالة منه ورسائل من أساقفة الملة وأعيانها إلى البابا بيوس الرابع لطلب درع الرئاسة، وأرسل معه ست براءات من أسلافه لبطاركة الموارنة. ولما وقف البابا على هذه الرسائل أنعم على البطريك بدرع الرئاسة وأرسل له مع قاصده عدة كاملة للتقديس وبراءة الغفران السابق ذكره ومرسوماً يحتم به أن لا يعارض أحد رؤساء الموارنة في الولاية على كنائسهم وأوقافهم، لأنّ البطريك كان قد شكّا إليه تعدي أسقف الأفقسية بقبرص اللاتيني على أوقاف الموارنة.

وكان البطريك قد سلّم إلى القس جرجس المذكور أوراقاً مهبورة بختمه دون كتابة شيء عليها، حتى إذا دعت الحاجة يكتب عليها ما شاء. فكتب على إحدى هذه الأوراق عريضة إلى قداسته يلتمس منه أن يرقي القس جرجس إلى أسقفية دمشق، ويرسله إلى الجمع التريدينيني لينوب عنه فيه، فأمر البابا بترقيته اكراماً للبطريك، واعتذر له عن ارساله إلى الجمع لأنه لا يعلم اللاتينية وليس ضليعاً بالايطالية كما رأيت آنفاً. ولما بلغ المطران جرجس إلى قبرص تلبث فيها ولم يصل إلى البطريك. وبلغت هذه الأخبار إلى البطريك موسى وهو في القدس كما مرّ. فأرسل إليه اعلاماً بربطه عن الإلهيات، وكتب إلى البابا يشكر له لانعامه بدرع الرئاسة ويخبره بما كان من تزوير قاصده.

وفي سنة ١٥٦٧م كانت وفاة البطريك موسى في ٩ آذار وله من العمر خمس وثمانون سنة، وفي البطريكية اثنان وأربعون سنة وثلاثة أشهر، ودُفن في مغارة القديسة مارينا كما مرّ.

البطريك ميخائيل الرزي

في اليوم الثاني عشر بعد وفاة البطريك موسى^(١) اجتمع رؤساء الطائفة وأعيانها لانتخاب بطريك، فأجمع رأيهم على انتخاب الحبيس ميخائيل بن يوحنا الرزي من قرية بقوفا، وكان ميخائيل المذكور أولاً رئيساً على دير قزحيا وعلى المحبسة. لكنه رغبة في العزلة عن الناس ترك رئاسة الدير وأقام بمحبسة القديس بيشاي القريبة من الدير. ولما انتخب للبطريركية تمتع جداً من قبولها، فألح عليه الأساقفة والأعيان بأن يخضع لمشيئة الله، فقبل البطريركية على كره منه، ثم أرسل أسقفاً يسمى يوليوس لزيارة شعبه بقبرص، وأمره أن يرسل إليه الشماس لوقا من قبرص لعلمه بأنه رجل فصيح خبير بلغات الافرنج. ولما أتى إليه رقاہ إلى درجة الكهنوت ومقام البردوط، وأرسله إلى روما مصحوباً برسائل الطاعة وشهادات رؤساء الملة إلى الخبر الروماني طلباً لتثبيتته. ومّر لوقا المذكور بقبرص فوجد العساكر العثمانية محاصرة الجزيرة فاضطر أن يبقى فيها سنة كاملة. وبعد رفع الحصار سافر إلى روما ووقعت شبهة برسالة البطريك لأنها ممهورة بختم جديد وكانت الأفكار متنبهة بسبب التزوير التي كان الخوري جرجس القبرصي قد أقدم عليه قبله. فتوقف تثبيت البطريك. ثم إن الأب ايرونيemos فستاوس رئيس رهبان القديس فرنسيس انقضت مدة رئاسته فمضى يزور البطريك قبل سفره إلى روما فصحبه البطريك بعريضة أخرى إلى البابا يبيّن بها طاعته والتماسه، فقدمها الرئيس إلى قداسته على يد الكردينال كارافا وكيل الموارنة بروما، فشرّ بها الخبر الروماني وحاشيته وهّم بتثبيت البطريك واجابة مطالبه فإذا كتابات وردت من قبرص قيل فيها أنّ البطريك الجديد أصله يعقوبي خلافاً لما يقوله عنه ايرونيemos المذكور، فتشوشت الخواطر وأمر البابا الكردينال كارافا أن يستقصي في هذه الأخبار. وكتب البابا والكردينال كارافا

(١) نص الدويهي في تاريخه ان البطريك موسى توفي في التاسع من اذار ثم قال إنه في اليوم الثاني عشر (يفهم منه بعد وفاته) اجتمع رؤساء الملة وانتخبوا البطريك ميخائيل فيكون انتخابه في ٢١ اذار. ونقل عنه لكويان في المشرق المسيحي ان انتخابه كان في ٣١ اذار فلا نعلم هل الخطأ في العدد الأول وصوابه في ١٩ اذار أو في العدد الثاني وصوابه في ٢١ اذار والأظهر انه توفي في ١٩ اذار كما رواه الدويهي في كتابه رد التهم اهـ.

والأب ايرونيemos إلى رئيس القدس الأب فرنسيس أن يمضي عاجلاً إلى لبنان ويفحص جيداً عن البطريرك الجديد وسيرته ومعتقداته وأصله ، وأن يطوف في البلاد يستوضح يقطاً صحة الأخبار عن البطريرك وعوائده ملته . وكانت رسالة البابا هذه مؤرخة في ٨ حزيران ١٥٦٩ م .

فسار الأب فرنسيس المذكور عاجلاً إلى لبنان وأطلع البطريرك ميخائيل على الرسائل الواردة له ، فأمر البطريرك في آخر تشرين الثاني من السنة المذكورة باجتماع رؤساء الكهنة وعلماء الأئمة وقصّ عليهم ما ورد عليه من التهم ، فهتف جميعهم من فم واحد أن لا أصل لهذه التهمة الشنعاء وأنّ بطريركهم صحيح المعتقد جزيل التقوى والقداسة . وكتب المجتمعون تقريراً وممن وقّعوا عليه رئيس القدس المذكور والاسقف داود الحداثي ، وسركيس الدويهي أسقف اهدن ، وجرجس بن صرواص أسقف بشري ، وسركيس الرزي أسقف عرقا وغيرهم . وأثبتوا بهذا التقرير أنّ البطريرك قويم الايمان حسن السيرة ، حميد الخصال ما زاغ قطّ عن ايمان آبائهم وإنهم أكرهوه على قبول البطريركية . ومما كتبه البطريرك عن نفسه : « إن كنت قد غيرت عادة من عوائد الكرسي الانطاكي فأكون مواخذاً أمام الله والكرسي الرسولي » .

وسبب هذه التهمة أنّ أهل بقوفا قرية هذا البطريرك كان بعضهم وهم سكان المحلة السفلى قد مالوا إلى اليعقوبية باغواء ديوسقوروس بن ضو اليعقوبي ، فوثب عليهم أهل اهدن ودكوا منازلهم وطردوهم من البلاد ، وأما بيت الرزي الذين كانوا يسكنون المحلة العليا من القرية فصانوا نفوسهم من الضلال ، لكنهم اضطروا إلى المهاجرة من قريتهم إلى قرية كفرحورا وما برحوا إلى اليوم يحافظون على ايمان آبائهم ، وقام منهم ثلاثة بطاركة دبروا الكرسي الانطاكي نحو إحدى وأربعين سنة . قال الدويهي الذي ننقل هذه الأخبار عن كتابه في رد التهم (فصل ١٦) : « وما زال أعقابهم إلى اليوم حكاماً على زاوية رشعين يقومون بمعاودة الكرسي البطريركي بكل جهدهم كما يفعل الآن الشيخ أبو شديد ضاهر خليفة الشدياق انطونيوس بن الرزي » .

ثم إنّ البطريرك ميخائيل أرسل إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر المطران جرجس البسلوقي والخورى اقليمس الأهدني مصححين برسائل منه ومن رؤساء

الأمة يؤدون بها فروض الطاعة ويلتمسون درع الرئاسة للبطريرك . ولما اطلع البابا على الرسائل سُرَّ بها وأرسل إلى البطريرك رسالة مؤرخة في ١٤ شباط سنة ١٥٧٧م سنذكر ملخصها ، وأرسل مع القاصدين إلى البطريرك الأب جوان باطيسا (يوحنا المعمدان) اليان والأب توماراديوس من اليسوعيين وأمرهما أن يفحصا عن ايمان الموارنة وطاعتهم وكتبهم وعوائدهم ، وأرسل معهما للبطريرك عدة كاملة للتقديس ، ورسالة يوصيه بها بالأبوين المذكورين . ولما بلغا مع القاصدين البطريركيين إلى قنوين ، رحَّب البطريرك بهم وأمر باجتماع الأساقفة ورؤساء الأديار وأعيان الشعب ، فأقرَّ أمأهم بأنه ماروني ابن ماروني متشبث بالخضوع لصاحب الكرسي الروماني ، وأقسم على أنه يقبل كل ما يقبله ويرذل كل ما يرذله . ثم كتب ذلك في صفيحة وطواها وقال ها هو اعتقادي، عليه أحيأ وعليه أموت .

ثم استأذن جوان باطيسا البطريرك أن يطوف ببلاد الموارنة ويطلع على كتبهم وعوائدهم ، وكان يعلم العربية ويُحسن قراءة الخط الكرشوني فشرَّ البطريرك بذلك ، وكتب رسالة بخط يده إلى الأساقفة ورؤساء الأديار والأعيان ليحسنوا ملتقاه واکرامه ويطلعوه على كل ما يحب من الكتب ، وأمر أخاه المطران سركيس والقس جرجس يونان من ايليج أن يرافقه ، واستمر نحو سنة يجول في الأديار ويتفقد الكنائس ويطلع على الكتب . وصنع لنفسه ثلاثة دفاتر يكتب في الأول ما يراه من الغلط ، وفي الثاني ما يلزم استشارة البابا فيه ، وفي الثالث ما يلزم الكهنة والعامة التنبيه إلى حفظه . وبينما كان الناس يتوقعون انعقاد مجمع طائفي وفد أمر من رئيس اليسوعيين يطلب به عود جوان باطيسا إلى روما ، فودَّع البطريرك في ٢٥ من شباط سنة ١٥٧٩م وسافر ، وأرسل البطريرك معه عريضة للبابا ورسالة إلى الكردينال كارافا ، وبعث معه شائين وهما جبرائيل الأديني وكسبر القبرصي ليقبسا العلوم برومة .

وقد حفظ لنا مرهج بن نيرون الباني في كتابه في اسم الموارنة وأصلهم ودينهم فقرة من رسالة من هذا البطريرك إلى الكردينال كارافا مؤرخة في ٢٥ آب سنة ١٥٧٨م في شأن بعض العبارات التي أدخلها الهراطقة على كتبنا . وما قاله « قد يمكن أن يكتب إليكم أحد أنّ في كتبنا كلمات تخالف معتقد الكنيسة المقدسة فنق أخحي أننا لا نقبل إلا ما تقبله الكنيسة المقدسة ، وإن كان في بعض النسخ شيء يخالف ذلك ، فقد أدخله الهراطقة المحدثون بنا على تلك الكتب من زمان

طويل . فدع كل ربية وشبهة باستقامة ايماننا فنحن مؤسسون من أقدم الأيام على صخرة ايمان الكنيسة المقدسة الرسولية الرومانية ، وقد تشبثنا به دائماً ولا نكلمكم بقمنا فقط بل بالقم والقلب معاً والله شاهد على ذلك » .

وأما جوان باطيسا فلما بلغ إلى روما مثل بحضرة البابا ودفع إليه رسالة البطريرك وأخبره عن أحواله وأحوال ملته مثنياً على طاعتهم للكرسي الرسولي وصحة ايمانهم وتقواهم . ثم قال إنه بسبب اختلاطهم بأهل البدع اندس في كتبهم بعض أغلاط واستطرقوا بعض عوائد غير حميدة . وسأل قداسته أن ينشيء لهم مدرسة في روما يتهدّب بها شبانهم المرشحون للدرجات الكهنوتية . فابتهج البابا بما سمعه منه وشكر الله على أنه حفظ في الايمان الكاثوليكي شعباً بعيداً بعداً شاسعاً عن روما . وفي أول سنة ١٥٨٠م أمر جوان باطيسا أن يعود إلى لبنان ومعه الأب جوان بردن من اليسوعيين أيضاً ، وأرسل للبطريرك معهما براءة التثبيت ودرع الرئاسة وكأساً وحللاً كهنوتية وآنية للميرون وقوالب للبرشان وصوراً ومسابع ورسالة للبطريرك يخوّله بها لبس درع الرئاسة ، ورسالة أخرى إلى الأسقف سركيس والأسقف داود ليتوليا تلبسه الدرع والشهادة على ابرازه يمين الطاعة . والرسالتان بتاريخ ١٢ آذار ١٥٨٠م . وفي عيد انتقال السيدة لبس البطريرك الدرع وحلف يمين الطاعة على موجب الصورة المرسومة في المجمع التريدينيني . وعُقد بعد ذلك المجمع الطائفي الذي سنفرّد له فصلاً مخصصاً .

أما الرسالة التي أنفذها إليه البابا غريغوريوس الثالث عشر مع قاصديه والأب جوان باطيسا فهي المثبتة ترجمتها في الفصل الحادي عشر من ذيل المجمع اللبناني المطبوع حديثاً صفحة ٣٢ وخلاصة ما قال فيها : « قد بلغنا أنّ قميص الرب غير المحيط الذي حاول أعداء الكنيسة أن يشقوه ما زال محفوظاً على سلامته عند أبناء الروح الذين على بعد رجائهم ثبتوا غير متزعزعين في وحدة الكنيسة الرومانية كما عرفنا مؤخراً من فحوى رسالتك المكتوبة بخط يدك المرفوعة إلينا على يد الأخ المحترم والأسقف جرجس والابن الحبيب الخوري اقليمس اللذين أوفدتهما إلينا ، فنحن نسدي الحمد لله الذي عزانا بايمانك ونقبل بعاطفة المحبة الأبوية الطاعة التي أدتيموها . ونثني كثيراً على اخلاصكم ونصرّح بأننا قد اتخذناك أنت وجميع الموارنة تحت عهدتنا وحماية السدة الرسولية جرياً على آثار سلفائنا الأحرار الرومانيين . ونبدل لكم كل ما تفتقرون إليه من المساعدات وإذا كنتم في التماس

خلاص نفوسكم لم تزالوا بحول الله حافظين وديعة الايمان ، فرغبة في مزيد نموكم في سبيل الخلاص والعمل بوصايا الله والكنيسة وحفظ تقليداتها رأينا من الواجب أن نحثكم بالنصائح الأبوية على الاجتهاد في أن ترعوا سالماً ما عهدته إليكم سلفاؤنا ولا سيما اينوشنسيوس الثالث ، واوجان الرابع ، ولاون العاشر فإننا اقتداءً بهم ننبهكم إلى بعض أمور أدخلتموها عندكم على ما علمنا من خطأ منها ، على ما بلغنا أنكم في ذبيحة القداس تزيدون على التقديسات الثلاثية يا من وُلدت لأجلنا يا من صُلبت لأجلنا ارحمنا وهي تعزى إلى الثالوث كله ، لذلك نحكم بوجوب حذف تلك الزيادة ، ونأمر أن الميرون المقدس يكون من زيت الزيتون والبلسم الصرف دون أن يُخلط بمادة أخرى ، وأن يكون تكريسه يوم خميس الأسرار وأن لا يُسمح بتوزيع سر التثبيت إلاّ للأساقفة . وإنه يلزم مناولة الأطفال سرّ القربان المقدس ولا يُخفى على درايتك أن نصّ الشرع صريح بأن درجات القرباة الدموية والإلهية التي يُحرم معها عقد الزواج لا تتعدى الدرجة الرابعة . فهذا خلاصة ما جاء في هذه البراءة .

على أن زيادة يا من صُلبت لأجلنا على التقديسات كانت من عادة الكنيسة الانطاكية ، متى وجهت هذه الزيادة إلى ابن الله المتجسد لا إذا وُجّهت إلى الثالوث . وكذا نصّ على هذه الزيادة القديس يوحنا مارون في شرحه رتبة القداس ، ولذلك استمرت ملتنا تستعمل هذه الزيادة بالمعنى المذكور مقصوداً بها أن الله المتجسد . ومن أقدم الأيام اعتاد بعض أهل بطريركية انطاكية أن يزيدوا في آخر التقديسات عند توجيهها إلى المسيح ، أيها المسيح الذي صُلبت لأجلنا أو الذي قمّت من بين الأموات ارحمنا كما نفعل نحن الآن . وكذلك كان الموارنة كباقي الشرقيين يضيفون في زيت الميرون البلسم وعقاقير أخرى ، فبعد هذه البراءة عدلوا عن أن يضيفوا في الزيت إلاّ البلسم ، وكذلك كان كهنتنا يوزعون سر التثبيت كما يصنع باقي الشرقيين إلى اليوم ، إذ يمنحون هذا السر مع سر المعمودية ، وحُفظ بعد هذه البراءة توزيعه للأساقفة وحدهم ، إلاّ أن يرخّص البطريك لأحد الكهنة بتوزيعه كما نصّ مجمعنا اللبناني . وكان كهنتنا أيضاً يناولون الأطفال كباقي الشرقيين ، فامتنع بعدئذٍ هذا الأمر عندنا . ويظهر أن درجات القرباة المحرمة الزواج كانت تتصل إلى الدرجة الخامسة كما هي اليوم عند الروم فاقتصر بعد هذه البراءة على الدرجة الرابعة .

ومن الأحداث التي كانت في أيام البطريك ميخائيل أنّ المطران داود الذي كان متوكلاً على دير قزحيا انتقل مع الخوري مارون القبرصي والقس يعقوب بن حويص الحاقلي إلى دير حوقا، وهناك رقى دون مشورة البطريك إلى درجة الأسقفية القس يعقوب المذكور واستحضر الحبيس يونان وأخاه القس يوسف ابني جلوان من سمر جبيل راهبي دير قزحيا فرقاها أيضاً إلى الأسقفية، فلما علم البطريك بذلك ربط الحبيس يونان وأخاه وأمر الحاكم بخروجهما من دير قزحيا، وأخذ الحبيس يونان إلى محبسة القديس سمعان بالفرايس، وأخوه القس يوسف سار إلى سمر جبيل قريته. وبعد ثلاثة أشهر نزل المقدم مقلد والشدياق خاطر الحصري وأعيان البلاد فاسترضوا البطريك عنهم وباركهم وأذنهم بالعود إلى دير قزحيا.

وانتقل البطريك ميخائيل من هذه الدنيا إلى راحة الأبرار في ٢١ أيلول سنة ١٥٨١م وقد استمر بالبطريركية أربع عشرة سنة وخمسة أشهر وواحداً وعشرين يوماً. ووصفه الدويهي بأنه كان فصيح القلم حسن الخط لئن العريكة كثير المبررات.

عد ٤٩

البطريك سرقيس الرزي

في اليوم التاسع بعد وفاة البطريك ميخائيل، اجتمع الأساقفة ورؤساء الأديار والأعيان فانتخبوا أخاه المطران سرقيس الرزي إلى البطريركية بحضرة قاصدي البابا جوان باطيسا وجوان برون. ورفع البطريك والأساقفة العريضة إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر، ورسالة إلى الكردينال كارافا وكيل الملة. وكلفوا الأب جوان برون أن يتوجه بها إلى رومية لطلب التثبيت ودرع الرئاسة للبطريك الجديد. فسار الأب جوان وأخذ معه أربعة شبان لاقتباس العلوم بروما: وهم الأول يوحنا بن يعقوب الحصري وهذا بعد عودته في سنة ١٥٩٠م لبس اسكيم القديس عبد الأحد ثم صار أسقفًا، والثاني مرقس بن اسطفان المطوشي القبرصي، والثالث يعقوب بن سمعان الحصري، والرابع انطونيوس الحصري. ولما انتهى الأب جوان إلى أم المدائن قدم عرائض البطريك والأساقفة والأعيان إلى الخبر الأعظم فشرّ

قداسته وأرسل إلى البطريرك براءة تثبيته ودرع الرئاسة، ورسالة إلى أسقف طرابلس ليلبسه الدرع ويقبل منه يمين الطاعة. وتاريخ هذه البراءة الخامس من آذار سنة ١٥٨٢ م.

وبعد أن لبس البطريرك درع الرئاسة رفع عريضة الشكر للحبر الروماني مع القسّ يوحنا أيوب الحصري والقسّ يعقوب الدويهي والشماس ابراهيم الادنيتي، وأرسل عشرة شبان لاقتباس العلوم منهم جرجس بن عميرة الأهدني الذي صار بعداً أسقفاً على اهدن ثم بطريركاً، وسركيس بن موسى أخو البطريرك الذي صار بعداً أسقفاً على دمشق، وموسى العنيسي من العاقورة وصار أسقفاً على الأفقسية، وبطرس بن جبرائيل المطوشي ودخل بعداً شركة اليسوعيين. ثم أرسل البطريرك في السنة التالية أربعة شبان من موارنة حلب حتى صار عدد تلاميذ الموارنة بروما نحو عشرين تلميذاً، فحينئذ أنشأ البابا غريغوريوس الثالث عشر مدرسة خاصة للموارنة سنة ١٥٨٤م قال عند افتتاحها: «إنّ الموارنة سكان لبنان هم مستمرّون من أعصار كثيرة على الايمان الكاثوليكي والخضوع والطاعة للكنيسة الرومانية دون سائر الطوائف الشرقية غير المؤمنة وغير المتحدة». وأمر البابا بنقل الشبان الموارنة إلى مدرستهم. وكانت النفقة عليهم أولاً من مال قداسته، ولما رقد بالرب سنة ١٥٨٥م وخلفه البابا سيسستوس الخامس ولم يكن أقلّ محبة للموارنة رتب لهذه المدرسة دخلاً يقيم بأود خمسة عشر تلميذاً، ثم توفي الكردينال كارافا وكيل الموارنة سنة ١٥٩١م فوقف قبل وفاته تركته على مدرسة الموارنة وكانت تبلغ عشرة آلاف ريال رحمه الله وأجزل أجره، فأجّدت هذه المدرسة على الموارنة بل على الكنيسة كلها بفوائد دينية وعلمية لا تقدّر. فإنه قام من تلاميذها بطاركة وأساقفة كثيرون ونبغ منهم جهابذة طبق ذكرهم الخافقين فأثاروا المغرب بتواريخ المشرق وكانت كتبهم وما برحت كمرقاة للعلوم ومشكاة يُستنار بنورها في أمور المشرق. وسنأتي على ذكر كثيرين منهم وعلى ذكر تأليفهم الغراء.

ولما ارتقى البابا اكليمنضوس الثامن إلى الخبرة العظمى رقى البطريرك سركيس ابن أخيه إلى الأسقفية. وأرسله سنة ١٥٩٥م لتهنئة البابا واداء الطاعة له، فقبله البابا أحسن قبول. ولما هم بالعود أرسل البابا معه ايرونيوس دنديني وغايوس برون اليسوعي وأرسل معهما للبطريرك عدة كاملة للتقديس وأمرهما أن يفحصا عن أمور الطائفة وعوائدها، وكان وصولهم جميعاً في شهر آب سنة ١٥٩٦م. وبلغ

البطريك أنه شاع في المغرب أنّ الموارنة كانوا ضالين وأنّ الأب جوان باطيسا هداهم في مجمع عقده في أيام البطريك ميخائيل فتولاه غيظ شديد، فدعا في الثاني من ايلول الأساقفة والرؤساء والأعيان وعقد مجعاً تلا فيه رسالة البابا. أمام الأب دنديني عن طائفته، ومما قاله إنه هو كان يقدم الكتب للأب باطيسا عند تطوافه في جبل لبنان وكان يترجمها له، وأنّ تلك الكتب لم تزل موجودة عند أصحابها ومرسومة بخطه باللاتيني. وأحضرت حينئذ تلك الكتب فظهر أنّ الأغلاط التي أشار إليها باطيسا لم تكن بكتب الموارنة بل بكتب اليعاقبة. ويّين البطريك صحة ايمان الموارنة في كتبهم حتى تعجب الأب دنديني وأقرّ أنّ ما اتهم به قصاد الباباوات الموارنة هو تجنّ عليهم كما هو مدوّن في كتاب بعثته إلى لبنان. وكان عقد المجمع المذكور في ١٨ ايلول سنة ١٥٩٦م بحضرة الأب ايرونيوس دنديني اليسوعي المرسل من لدن البابا اكليمنضوس الثامن، وسنفرد للكلام فيه فصلاً مخصصاً. ثم توفي البطريك سركيس الرزي في السابع والعشرين من شهر ايلول تلك السنة بعيد انحلال المجمع بعد أن دبر البطريكية ست عشرة سنة.

عد ٥٠

البطريك يوسف الرزي

في اليوم التاسع بعد وفاة البطريك سركيس الرزي اجتمع الأساقفة ورؤساء الأديار والأعيان، وانتخبوا خلفاً له المطران يوسف ابن أخيه موسى الرزي، فأوفد البطريك الجديد سنة ١٥٩٨م الخوري جرجس بن يونان من قرية ايليج، والشدياق يوسف الياس الحلبي إلى روما لاداء فروض الطاعة للحبر الأعظم، والتماس التثبيت ودفع الرئاسة فتعطّف عليه البابا اكليمنضوس الثامن بذلك سنة ١٥٩٩م. وفي سنة ١٦٠٣م رقى البطريك القس يوحنا الحصري ابن الشدياق حاتم الحوشي إلى الأسقفية، وكان من تلاميذ مدرسة روما، وأوفده إلى البابا بولس الخامس ليقدم له فروض الطاعة، فعاد المطران يوحنا من سفره في سنة ١٦٠٦م، وكان البابا قد أوعز إليه أن يتبع الموارنة الحساب الغريغورياني الجديد. فأمر البطريك باتباع هذا الحساب فعيد الموارنة بطرابلس وجبة بشري والبترون وجبيل عيد الرسل مع الافرنج قبل الطوائف الشرقية بعشرة أيام، ثم اتبع باقي الموارنة هذا الحساب في دمشق وحلب

وسائر المدن والقرى إلا موارنة قبرص فاستمروا مدة على الحساب القديم وحينئذ ترك الموارنة أيضاً حساب سني اسكندر الذي كانوا يؤرخون به فصاروا يؤرخون بحساب سني ميلاد الخلف.

وكان للبطريك يوسف صداقة وانتماء إلى يوسف باشا بن سيف، فساعده كثيراً في تدبير طائفته وردّ إلى الطاعة من كان يخالفه من شعبه. وهو الذي أقام الجسر الذي على نهر اهدن بين عنطورين وكفر سغاب. وبني دير القديس دوميوط بأرض داريا وأنفق على ذلك نفقات ضخمة. وأراد حسام الدين أحد خدام يوسف باشا أن يتزوج بامرأة لا يحلّ له الزواج بها، فنهاء البطريك فلم ينته فطعنه بالحرم فمات بغتة. ولرغبته في اتحاد طائفته بالكنيسة الرومانية والسلوك على آثارها في كل شيء أباح الأساقفة أكل اللحم وأباح العامة أكل السمك وشرب الخمر في الصوم الكبير، وأبطل سبّة نينوى وهي أسبوع كانوا يكثر فيه التفتشات والصلوات، وأوجز مدة الانقطاع عن أكل اللحم قبل عيد الرسل وقبل عيد الميلاد. على أنّ ذلك لم يرق للبابا بولس الخامس كما يظهر من الرسالة التي أنفذها إلى خليفته البطريك يوحنا مخلوف في ٦ آذار سنة ١٦١٠م حيث ينقض ما تسامح به البطريك يوسف المذكور، بناءً على أنّ ذلك من العوائد الحميدة التي إتصلت إليهم من آبائهم الأبرار. على أنّ ما ردّ ما صار التسامح به كان صعباً في أمور مثل هذه فقل من رجع إلى العوائد القديمة.

وكان في أيام هذا البطريك أناس في العرقوب يسمون البياضية يعتقدون النصرانية باطناً ويظهرون الاسلام ويعتّمون بعمايم بيضاء كالمسلمين. فدفع البطريك مبلغاً كبيراً من المال ليوسف باشا ابن سيفا والي طرابلس فنال منه منشوراً أباح هؤلاء أن يتظاهروا بالمذهب الذي يؤثرونه دون خوف ولا حرج. فتظاهروا بالنصرانية. وفي سنة ١٦٠٧م أرسل أخاه المطران سركيس إلى البابا بولس الخامس وبعث معه القسّ الياس ابن الحاج حنا والقسّ جرجس مارون من اهدن والشماس يوسف فرحب البابا بهم وأكرم مثواهم، إلا أنّ البطريك قضى أجله بعد مدة قصيرة، فحزن عليه البابا وحاشيته حزناً شديداً، وكتب رسالة إلى الأساقفة والاكليروس والشعب الماروني يشني بها عليهم لحفظهم دائماً الايمان الكاثوليكي سالماً ويعزيهم بوفاة هذا البطريك ويطنب في الثناء عليه ويأمر بأن يكثروا من الأعمال الصالحة لراحة نفسه. وهذه الرسالة مؤرخة في ٢٨ من تشرين الثاني سنة ١٦٠٨م

وتجدها برمتها في الفصل ١٨ من ردّ التهم للدويهي . ورجع القسّ الياس والقسّ جرجس بهذه الرسالة إلى لبنان وأمر البابا المطران سرّكيس أن يبقى بروما للعناية بطبع بعض الكتب اللازمة للطائفة وبقضاء بعض حاجاتها .
وكانت وفاة البطريرك يوسف الرزي في شهر آب سنة ١٦٠٨م وله في البطريركية إحدى عشرة سنة .

عد ٥١

المجمع الطائفي الذي عُقد في أيام البطريرك ميخائيل الرزي سنة ١٥٨٠م

لم يذكر العلامة الدويهي هذا المجمع بل قال في الفصل ١٦ من رد التهم أنّ الناس كانوا يتوقعون عقده سنة ١٥٧٩م، ولكن ورد أمر من رئيس اليسوعيين إلى الأب جوان باطيسا ليرجع إلى روما، فرجع إليها ثم عاد إلى لبنان سنة ١٥٨٠م. بل ورد في الفصل ١٧ من رد التهم أنّ البطريرك سرّكيس الرزي أخا البطريرك ميخائيل كان يحتج أمام الأب ايرونيوس دنديني سنة ١٥٩٦م أنّ أخاه البطريرك ميخائيل لم يعقد مجمعاً. فلا نعلم أفات الدويهي العلم بهذا المجمع أم أدخلت يد غير يده على كتابة العبارة السابق ذكرها أنّ البطريرك ميخائيل لم يعقد مجمعاً لأننا وجدنا المطران اسطفانوس عواد السمعاني ذكر في كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية (صفحة ١١٧) نسخة من أعمال هذا المجمع. وكنا قد ترجمنا كلام المطران اسطفان عواد المذكور المشتمل على تلخيص هذه الأعمال وعزمنا أن نرسل نستنسخ أعمال هذا المجمع في المكتبة الماديشية المذكورة ولأعثرنا في المجلد الخامس من مكتبة الناموس للعلامة السمعاني (صفحة ٥٢١) على أعمال هذا المجمع برمتها عن نسخة أصلية فاكتفينا بتلخيصها عنه .

قال العلامة المذكور: «لدي نسخة أصلية باللاتينية والعربية من المجمع الذي عقده ميخائيل الرزي بطريرك الموارنة بدير قنوين في ١٦ آب سنة ١٥٨٠م بحضور يوحنا باطيسا اليان ويوحنا برون اليسوعيين سفيّري الكرسي الرسولي من قبل البابا غريغوريوس الثالث عشر إلى الموارنة ومذيل بتوقيع البطريرك والأساقفة الآتي

ذكرهم ، وبشهادة يوحنا باطيستا المذكور بأنه ترجم الأعمال العربية إلى اللاتينية في ٢٠ ايلول سنة ١٥٨٠م ، والنسخة العربية كتبها الخوري يوحنا الحصري ، وقال إنه نسخها بأمر آباء الجمع والقاصدين الرسولين .

وفاتحة هذا المجمع أنه لما كان هذا المجمع المقدس اجتمع للمحافظة على الايمان الكاثوليكي وكان هذا الايمان متضمناً في الأسفار المقدسة والتقليدات الإلهية والمجامع المقبولة من الكنيسة ، فلهذا يثبت هذا الجمع ويقبل ويكرم أسفار العهدين العتيق والجديد كما ذكرتها المجامع المقدسة ولا سيما المجمع التريدينيني . ويحترم التقليدات الملاحظة الايمان والآداب ويجلّ المجامع وجميع الآباء الذين تقبل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية شهادتهم . ويشتمل هذا المجمع على عشرة عنوانات أو فصول .

العنوان الأول في الايمان الارثوذكسي ويشتمل على سبعة قوانين أولها ما تقدّم ذكره في الفاتحة ، يليه الاعتراف بوحدانية الله : تثليث أقانيمه وانبثاق الروح القدس من الآب والابن . وإنّ في المسيح طبيعتين وأقنوماً واحداً ومشيئتين وفعلين . ثم تحرّيم زيادة يا من صُلبت لأجلنا ارحمنا موجهة إلى الأقانيم الثلاثة ولزوم الاعتقاد بالمطهر . وإنّ الله يدين بعد الممات كل انسان كأعماله فيحصل الأبرار على السعادة والأشرار على العذاب في الحجيم بعد الموت حالاً .

العنوان الثاني في الأسرار بالعموم وفيه ثلاثة قوانين . إنّ أسرار الشريعة الجديدة سبعة وإنها تكتمل بالأشياء كأنها مادة وبالألفاظ كأنها صورة وبشخص الخادم الفاعل بنية ما تفعله الكنيسة ، وإنّ المعمودية والتثبيت والدرجة تجعل في النفس وسماً لا يمحي فلا تعاد .

العنوان الثالث في المعمودية وفيه ثمانية قوانين تبين فيها ضرورتها للخلاص مادتها وصورتها وخادمها ومفعولها ، وإنّ كل كنيسة تحفظ عاداتها في التعميد بالغطيس أو السكب ، وإنّ القرابة الروحية تكون بين القابلين والمعمد وأبيه وأمه وبين المعمّد والمعمّد وأبيه وأمه . وإنّ الولد إذا حملته أمه قبل طهرها لا يكتسب نجاسة سواء كان قبل العماد أو بعده .

العنوان الرابع في سر التثبيت وفيه أربعة قوانين تبين فيها أنّ مادة هذا السر هي البلسم مع الزيت المبارك وصورته وكونه غير المعمودية وكون خادمه هو الأسقف

ومفعولاته تقوية الروح القدس للمثبت في الحرب الروحية، وإن الأولى في تثبيت الأولاد الانتظار إلى السنة السابعة من عمرهم .

العنوان الخامس في سر الأوخاريسيا وفي ثلاثة قوانين تبين فيها أن مادة هذا السر الخبز القمحي وخمر الكرمة الممزوج بقليل من الماء، وإن صورته كلمات المسيح هذا هو جسدي الخ . وإن الخبز والخمر يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه ويكون تحت كل من الشككين كاملاً . وإن مناولة الأطفال ليست ضرورية للخلاص وأنه يلزم إزالة العادة بمناولة الأطفال تبعاً للكنيسة الرومانية .

العنوان السادس في سر التوبة وفيه ثلاثة قوانين تبين بها أن مادة هذا السر أعمال التائب وصورته قول الكاهن أنا أحلك وخادمه الكاهن الحائز على سلطة الحل .

العنوان السابع في سر المسحة الأخيرة وفيه قانونان تبين بهما أن مادته هي زيت الزيتون المبارك من الأسقف وأنه لا يُعطى إلا للمريض الذي يُخشى موته، وأنه يلزم دهن عينيه وأذنيه ومنخره وشفتيه ويديه ورجليه وصلب ظهره، وإن صورته هي الألفاظ التي يتلوها الكاهن عند دهنه كل عضو من أعضائه المذكورة .

العنوان الثامن في سر الدرجة وفيه ثلاثة قوانين تبين فيها أن مادته تسليم الشيء الذي تكمل فيه الدرجة مثلاً في الكاهن تسليمه الكأس مع الماء والخمر والصينية، وفي الشماسة تسليم الأناجيل، وفي الشدايقة تسليم الكأس فارغاً وآنيته الخمر والماء وكتاب الرسائل، وفي الشمعدانية تسليم الشمعدان واطفاء الشمعة، وفي المقسمين كتاب التقسيم، وفي القارئ كتاب القراءات، وفي البواب تسليم مفاتيح الكنيسة . وإن صورة هذا السر هي الألفاظ المعينة في كتاب الرسامات مع وضع يد الأسقف . وإن خادم هذا السر هو الأسقف .

العنوان التاسع في سر الزيجة وفيه خمسة قوانين تبين فيها أن العلة الفاعلة في الزواج هي الرضى المتبادل المصرح به بالألفاظ عن الزمان الحاضر، وإن الزيجة غير منحلة وإن أمكن الافتراق نظراً إلى الفراش، وإن الزواج المعقود شرعياً هو صحيح ولو كان دون رضى الوالدين . وإن الزواج مرات جائر إذا لم يضاد ذلك مانع آخر، وأنه يسوغ الزواج بين أخين وأختين وزواج الأب بالأم وزواج الابن مع بنتها لأن مانع الأهلية لا يكون بين أقرباء المتعاقدين بل بين كل منهما وأقرباء الآخر .

العنوان العاشر في التهذيب يشتمل على اثني عشر قانوناً تبين بها أنّ من نال درجة مقدّسة بالرشوة يُمنع من الشركة هو ومن رقاها إليها . وإنّ من نال درجة أو مقاماً بحيلة أو تزوير لزم عزله واقصاؤه عن الشركة ، وإنّ من حاز درجة من غير أسقفه يُمنع من رقاها عن ترقية غيره مدة سنة ويربط من ترقى عن مباشرة درجته إلى أن يحسن لأسقفه أن يحله وأن يمنع من الدرجات من لم يقبل سر التثبيت أو لا يعلم مبادئ الايمان والقراءة والكتابة، وأن يجري الفحص على المتدرجين وينالوا الشهادة ، وأن لا يرقى أحد من الشدايقة قبل الثانية والعشرين من عمره . ولا إلى الشمامسة قبل الثالثة والعشرين . ولا إلى الكهنوت قبل الخامسة والعشرين وقبل أن يبرز أمام الأسقف اعترافه بالايمان الكاثوليكي . وإنه يلزم من قبل الدرجات المقدّسة أن يتلو الفرض المعتاد أو صلوات غيره تؤلف بصورة عامة من البطريرك أو بأمره . وإنه يلزم أن يكون رعاة في كل قرية أو خورنية ، وإنه يلزم البطريرك والأساقفة أن يزوروا رعاياهم بأنفسهم أو وكيلهم العام أقله كل سنتين مرة . وإنه يلزم عقد مجامع اقليمية أقله كل ثلاث سنين مرة . وإنه يلزم الكهنة أن يعلموا الأحداث التعليم المسيحي أقله في أيام الآحاد والأعياد . وأن لا يقتنى أحد كتباً موضوعها الأشياء المقدّسة ما لم تكن تلك الكتب مفحوصة ومثبتة من السيد البطريرك أو من أشخاص يعيّنهم لذلك ، وذلك تحت طائلة الحرم ، وكذلك يحظر على كل أحد أن يكتب كتباً تتعلّق بالأشياء المقدّسة أو يبيعها ما لم تكن مثبتة من الأساقفة . والقانون الأخير من هذه القوانين قيل فيه : « لما كان الحبر الروماني خليفة بطرس السليح رئيس الرسل ونائب المسيح ورئيس الكنيسة كلها وقد حاز بشخص بطرس الأمر أن يرعى ويدبر الكنيسة كلها وسلمت إليه السلطة المطلقة كما تبين في المجامع المقدّسة والعامة ، فنحن في هذا المجمع المقدّس نأمر بأنه كلما أُنتخب حبر روماني جديد يعيّن الاكليروس الماروني واحداً أو أكثر منهم ليذهب باسم جميعهم ليقدم الطاعة والاحترام للحبر الروماني واعداً بأنّ كنيستنا هذه تبقى دائماً على هذه العادة كلما انتخب بطريك للموارنة يتوجه بنفسه أو يرسل غيره ليستمد له تثبيت انتخابه كما جرى من أقدم الأيام إلى الآن .

ويلي ذلك توقيع الآباء الذين شهدوا هذا المجمع هكذا : « أنا ميخائيل بطريك الموارنة الانطاكي . أنا يوحنا المعمدان اليان اليسوعي قاصد الكرسي الرسولي . أنا يوحنا برون اليسوعي قاصد الكرسي الرسولي . أنا سركيس من كفرحورا أسقف

ورئيس دير قزحيا. أنا يوحنا رئيس أساقفة اهدن. أنا جرجس رئيس أساقفة دمشق. أنا اقليموس من اهدن معاون البطريك الانطاكي. أنا داود أسقف العاقورة. أنا يوسف رئيس أساقفة قبرص».

عد ٥٢

المجمع الطائفي الذي عقده البطريك سركيس الرزي سنة ١٥٩٦م

إنَّ الأب جوان باطيسا المذكور كان عند تطوافه بلبنان ومطالعة بعض كتب بيعية قد جمع بعض أغلاط عزاها إلى الموارنة، وكان غيره أيضاً قد عزا إليهم أغلاطاً أخرى، فعقد بسبب ذلك مجمع البطريك ميخائيل المذكور، فكثرت الأقوال في أوروبا أنَّ الموارنة كانوا ضالين فهداهم جوان باطيسا، فلم يتحمل البطريك سركيس هذه التقلّبات على ما يظهر، وسأل البابا أن يوفد إليه قاصداً ليوضح له بطلان هذه التهم، فأوفد إليه البابا اكليمنضوس الثامن الأب ايرونيوس دنديني اليسوعي ليفحص عن هذه الأمور في مجمع يعقده البطريك وأساقفته بحضرته. ومذ الثاني من أيلول سنة ١٥٩٦م أمر البطريك الأساقفة ورؤساء الأديار وعلية الكهنة والأعيان أن يجتمعوا لديه، فحضر لديه كل من لم يحل مانع شرعي دون حضوره، وكان في جملة الحاضرين من الأساقفة والأعيان يوسف رئيس دير قزحيا ويوسف رئيس دير القديس انطونيوس بالفراديس وموسى من بشري والشدياق يوسف خاطر من حصرون والشدياق فرج من حدشيت وكثير من الكهنة. وبعد اجتماعهم وبعد المفاوضات الابتدائية عُقد المجمع في ١٨ ايلول من السنة المذكورة بحضرة الأب ايرونيوس دنديني اليسوعي قاصد الخبر الروماني.

وترى أعمال هذا المجمع مثبتة في ذيل كتاب المجمع اللبناني المطبوع حديثاً (صفحة ٩) وخلاصتها: «إنَّ الأغلاط التي كانت تعزى إلى الطائفة هي أنَّ في المسيح طبعاً واحداً ومشية واحدة وفعلاً واحداً، وإنَّ الروح القدس ينبثق من الآب وحده، وإنَّ التقديسات الثلاث تدل على صلب الثالث بجملته وإنَّ لا وجود للمطهر ولا للخطيئة الأصلية، وإنَّ النفوس لا تنال ثواباً أو عقاباً قبل الدينونة الأخيرة، وإنه يجوز انكار الايمان ظاهراً. وإنَّ سر التثبيت لا يمتاز عن المعمودية

وإنه يلزم خلط الميرون بغير البلسم أيضاً وإنه يلزم التقديس على الخمير ، وإن المسحة تكون بالزيت الذي يباركه الكاهن لا الذي يباركه الأسقف ، وإن طلاق الزوجة لعلّة الزنى أو المرض جائز ، وإن صوّر الأسرار ناقصة وإنها ابتهالية « فهذه هي الأغلاط التي كانت معزوة إلى الطائفة وجرى البحث عنها ، وأورد كل من المجتمعين رأيه فيها .

فكانت آراؤهم مجمعة على ما يخالفها أي أنّ في المسيح أقنوماً واحداً إلهياً ، وطبعين إلهياً وبشرياً ومشيتين وفعلين ، وإنّ الروح القدس ينبثق من الآب والابن وإنّ التقديسات ترد في كتبهم إما مسندة إلى الثالوث الأقدس فلا يزداد عليها شيء وإما مسندة إلى الأقنوم الثاني وحده . وحينئذ يزداد عليها ذكر الميلاد والصلب باعتبار الجسد ، وإنّ المطهر موجود . ولذلك تصنع الحسنات والصلوات والقداسات عن نفوس الموتى وإنّ الخطيئة الأصلية لاحقة لجميع الناس وإنّ النفوس متى خرجت من أجسادها تثاب أو تعاقب حالاً ، إلّا إذا كانت لم تستتم التكفير عن ذنوبها في هذه الحياة فتسجن بالمطهر إلى تمام تبريرها . وإنّ جحد الايمان محرم وإن ظاهراً وإنّ سر التثبيت قائم بنفسه وهو غير سر المعمودية ، وإنّ سر الميرون لا ينبغي أن يدا ف به إلّا البلسم ، وإنّ عاداتهم المستمرة إنما هي التقديس على الخبز فطيراً ، وإنّ مسحة المدنفين يلزم أن تكون بالزيت المكرّس من الأسقف يوم خميس الأسرار ، وإنّ الطلاق محظور حتماً وإن جاز لدواعٍ الهجر والامتناع عن المساكنة الزوجية ، وإنّ صوّر الأسرار عندهم لا تختلف عن صوورها عند اللاتينيين . وأطلعوا الأب دنديني على كثير من كتبهم المثبتة ما أجمعوا عليه بحضرته وشهد هو أنه لم يعثر فيها على ما يخالف ذلك .

ثم تذكروا في بعض العادات الدميمة التي طرأت في بعض الجهات إما لجهل الكهنة وإما للاختلاط ببعض المشاقين أو ذوي البدعة ، وسنوا القوانين التابعة القانون (١) لا يؤجل التعميد أكثر من عشرة أو اثني عشر يوماً ، وعلى الكاهن أن يدوّن أسماء المعمدين وعرايهم . (٢) يلزم الأساقفة أن يوزعوا سر التثبيت كل سنة في أبرشياتهم . (٣) يلزم اتخاذ عراب للمثبتين . (٤) يلزم أن يرعى ما فُرض في المجمع التريدينيني في صدد القرابة الروحية الناشئة عن سري المعمودية والتثبيت . (٥) يتحتم على من يرعون الشعب أن يكونوا ممتازين بالعلم ، ويلزم تلاوة الفتاوي الدميمة أيام الآحاد في الكنائس الكبيرة ، ويكلف الكهنة المجاورون الحضور إليها .

(٦) أن تعيّن محفوظات للأساقفة والبطريرك ولا يحل منها غيرهم. (٧) يلزم حظر مناولة الأطفال قبل ادراكهم الرشد. (٨) يتحتم على الكهنة أن يستعملوا كتاب القديس المطبوع بروما ولا يستعملوا غيره إلا بعد عرضه على البطريرك. (٩) يلزم منع الكهنة من أن يقدّسوا حفاة. (١٠) يلزم الكاهن أن تبقى أصابعه متضامة بعد التقديس لا تلمس شيئاً آخر. (١١) ينبغي على الكاهن أن يناول المؤمنين الجسد والدم. (١٢) يلزم أن تكون الآنية التي يُحفظ بها القربان من فضة أو ذهب ولا أقلّ من أن تكون نحاساً أو قصديراً لا خشباً. (١٣) يحظر على الفتى الزواج قبل السنة الرابعة عشرة من عمره وعلى الفتاة قبل الثانية عشرة وإن شُح لها بعقد الخطبة قبل ذلك. (١٤) يلزم عقد الزيجة بحضرة كاهن الرعية وشهود ويلزم الخوري أن يدوّن أسماء المتعاقدين والشهود وأن ينادي بالزواج ثلاثاً قبل انعقاده. (١٥) يحظر زواج البنات الهرطقة والمشاكين. (١٦) يلزم ادخال العادة القديمة باستعمال الماء المبارك بالكنائس. (١٧) يلزم أن ترعى أيام الأعياد بالقداسة وتشهر الأعياد المتحتم حفظها ويضاف إليها عيد الثالوث الأقدس وعيد القربان المقدّس وعيد جميع القديسين. (١٨) ينبغي أن يُستأصل من أذهان النساء لزوم امتناعهن عن الاتيان إلى الكنيسة أيام حيضهن وأربعين يوماً بعد ولادتهن. (١٩) يلزم أن يكون عند البطريرك والأساقفة وسائر ذوي المقامات الشهيرة الكتب المقدّسة. (٢٠) يلزم البحث عن كتب الهرطقة والمشاكين وحفظها عند البطريرك في مكان مغلق ولا يأذن بمطالعتها إلا للعلماء. (٢١) يلزم الأساقفة والكهنة أن يعتنوا باتخاذ كل الوسائل لحفظ هذه القوانين. ثم أعيدت تلاوة كل ما جرى بهذا المجمع فأقرّه المجتمعون والتمسوا تثبيته في لدن الحبر الروماني فوعدهم قاصده بذلك وانفض المجمع في ٢٠ أيلول سنة ١٥٩٦ م.

ولما كان البطريرك الرزي قد توفي بعيد ذلك في ٥ تشرين الأول وانتخب للبطريركية المطران يوسف الرزي وكان رئيس دير قزحيا، لم يكتفِ باثبات هذا المجمع بل زاد عليه القوانين التالية: القانون الأول يلزم جميع الكهنة أن يقدموا ذبيحة القديس وهم متوشحون بملايس التقديس إذ كان بعضهم يقدمها قبل اتشاحه بها وبعضهم بعده. (٢) مضمونه تحريض الكهنة على التبتل عملاً بمشورة الرسول وترك الخيار لهم. (٣) فحواه الحث للأساقفة أن يلبسوا لبس الأساقفة لا لبس الرهبان والأمر لهم أن لا يقيم منهم أكثر من واحد في مكان واحد إلا عند

البطريك . (٤) أن يعيّن واعظون أهل للخطابة ليرشدوا الشعب ولا يُسمح لأحد بذلك إلاّ بأمر البطريك أو الرئيس المحلي . (٥) حظر الاكليريكيين عن اقتضاء الخراج للولاة غير المؤمنين . (٦) منع النساء من الدخول إلى أديار الرهبان إلاّ بإذن البطريك .

وبعد أن عاد الأب دنديني من لبنان أَلَف كتاباً في بعثته وأوضح في الفصل الثاني والعشرين منه أنّ الموارنة براء من الأغلاط التي عزيت إليهم . وإنّ ما تدوّن في رسائل الأحبار الرومانيين اينوشنسيوس الثالث ولاون العاشر وغريغوريوس الثالث عشر من نسبة هذه الأغلاط إليهم ، إنما هي مبنية على أخبار تلقاها القصاد من مصادر لا يركن إليها ومطالعات لم يميزوا بها بين كتب ملّة وأخرى ، ولا بين الصحيح والمخوّف . ولما لم يصنع غيري التحري والتحقيق الذي صنّعه أنا انخدعوا ولم يهتدوا إلى الحقيقة ورفعوا التقرير إلى السدّة الرسولية كما خيّل لهم ، أما أنا فتحققت أنّ الأمر ليس كما زعموا لأنّي طالعت بنفسي الكتب التي هي كتبهم حقيقة فلم أجد فيها شيئاً يخالف التعليم الكاثوليكي ولكن القصاد الذين كانوا قبلي لم يمعنوا النظر في كتبهم الخاصة ولم يفرقوا بينها وبين كتب اليعاقبة فعزّوا إلى الموارنة من البدع ما هم براء منه ، ولذلك لا أتعجب مما كتب في رسائل الأحبار الرومانيين من هذا القبيل . انتهى .

عد ٥٣

أساقفة الموارنة في القرن السادس عشر وأولاً في المطران جبرائيل اللحفدي

روى العلامة الدويهي في تاريخ سنة ١٤٧١م أنه في هذه السنة دخل جبرائيل ابن بطرس المعروف بابن القلاعي من لحفد إلى القدس ، ولبس اسكيم القديس فرنسيس فأرسله رؤساؤه إلى روما لاقتباس العلوم ، ثم ذكر في تاريخ سنة ١٤٩٣م أنّ جبرائيل عاد من بلاد الافرنج مع رفيق له وهو القس حنا الماروني ، فانضوى أيضاً إلى رهبانية القديس فرنسيس ، وكانا كلاهما متضلّعين بالعلوم مجملين بالغيرة على الدين الكاثوليكي ، فالقس حنا غرق في البحر بينما كان مسافراً إلى القدس وأقام

جبرائيل بلبان مناضلاً بخطبه ورسائله المقدّم عبد المنعم مقدّم بشري ومرشداً الأميين إلى الايمان القويم . وفي سنة ١٤٩٤ ألف كتاباً يحقق فيه اتحاد الملة المارونية من أقدم الأيام بالكنيسة الرومانية، وسمى كتابه «مارون الطوباوي» ورفع به إلى البطريرك سمعان الحداثي وأساقفته وحاشيته وعلماء الملة ليفحصوه ويحجوا به المخالفين، ورقي جبرائيل إلى درجة الكهنوت في رهبانيته سنة ١٤٩٦م، وأقام بدير الصليب في الأفسسية بقبرص .

ولما توفي الأسقف يوسف بقبرص سنة ١٥٠٧م رقاها البطريرك سمعان الحداثي إلى كرسي الأفسسية وأخذ السكنى أولاً في المدينة المذكورة بدير القديسين نهراً وانطونيوس ثم انتقل إلى دير القديس جرجس بطالا فتفانى بالغيرة على رعيته والاجتهاد بنفعها .

وفي سنة ١٥١٦م انتقل هذا المجاهد المتاجر بالوزنات الخمس إلى رحمة ربه لينال الاكليل الذي أهله له أتعابه ومبذاته . قال الدويهي في تاريخ السنة المذكورة يعجز اللسان عن وصف قداسه وعلومه وتفانيه بالغيرة التي سند بها ملته الخدق بها اولو البدع ، ولم ينفعها بحياته فقط بل أفادها بعد وفاته أيضاً بمصنفاته التي نذكر بعضها .

فقد صنف كتاباً في الناموس البيعي وكتاباً اشتمل على مواعظ كثيرة ، وكتاباً في الاعتراف ، وكتاباً في رئاسة الأبحار وأبحارهم ، وكتاباً في ملوك روما ، وكتاباً في معتقد الموارنة واتحادهم دائماً بالكنيسة الرومانية وكتاباً في علم الإلهيات وآخر في الإيمان القويم وأسرار حياة المسيح . وجمع خمس عشرة رسالة منفذة إلى بطاركة الموارنة من الأبحار الرومانيين من اينوشنسيوس الثالث إلى لاون العاشر . وكتب نحواً من خمس مئة رسالة لأبناء ملته لتثيبتهم في ايمان القديس مارون والكنيسة الرومانية . ونظم قصائد كثيرة وإن كانت منحطة لغة فهي كثيرة الفائدة . منها قصائد في سر الثالوث الأقدس وفي التجسد الرباني ، وفي حياة الخلص وفي أحزان أمه عند الصليب وفي طبيعتي المسيح ومشيتيه وأقنومه الواحد ، وفي انبثاق الروح القدس من الآب والابن ، وفي مديح السيدة العذراء ، وفي أخبار الرسل ، وفي قسطنطين الكبير ومبادئ النصرانية ، وفي الجامع الأربعة الأولى العامة ، وفي مدح القديس مارون الانطاكي ، وفي ابراهيم الخليل ، وفي القديس نهرا السمراني ،

وفي القديس جيورجيوس الذي استشهد في اللّد، وفي القديس سمعان الجبيلي، والقديس ريشا الروماني، والقديس شينا اللص، والقديسة بربارة البعلبكية، وأفروسيينا الاسكندرية وقصييدة في حرب كسروان، وأخرى في من قصدوا زرع الزوان بين الموارد، ومرثية لرفيقه القس يوحنا المار ذكره، وفي راهبة شردت من ديرها، وقصييدة في معرفة الأفلاك والأبراج والكواكب الثابتة والمتحركة إلى غير ذلك من القصائد في العلوم وفي النفس والتوبة والموت وأوجه القربة في الزواج وغير ذلك اقتصرنا عن ذكره. وما ذكرناه كافٍ ليفهم القارئ ما أشد ما كانت غيرة الأسقف جبرائيل بن القلاعي. وقال المطران اسطفانوس عواد في فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية بعد أن نقل (صفحة ٣٨٦) عن الدويهي ما رويناه هنا «إنّ مؤلفات ابن القلاعي هذه محفوظة بين الكتب العربية في مكتبة مدرسة الموارد بروما، وفي المكتبة الواتيكانية عد ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٨١ وتحوي أيضاً غير ما ذكرناه من تأليفه.

عد ٥٤

باقي أساقفة الموارد في هذا القرن

الثاني من أساقفة الموارد في هذا القرن السادس عشر اللحفدي هو قرياقوس من بيت حبص من اهدن، رقاہ البطريرك سمعان الحدي إلى الأسقفية سنة ١٥١٣م بعد وفاة يعقوب مطران اهدن الذي ذكرناه في جملة أساقفة القرن الخامس عشر. ووصفه الدويهي بأنه كان رجلاً شجاعاً أصيل الرأي حسن التدبير، وكان يشغل الحبس جبرائيل الأهدني بنسخ الكتب البيعية وبعنايته أثلّف أهل جبة بشري الجراد من بلادهم سنة ١٥٢٦م، ووقوا زروعهم وأشجارهم من مضرته، وتوفي سنة ١٥٥٠م.

٣ - الأسقف مارون مطران قبرص رقاہ البطريرك سمعان الحدي إلى أسقفية قبرص سنة ١٥١٦م خلفاً لجبرائيل بن القلاعي، وذكره الدويهي في تاريخ السنة المذكورة.

٤ - الأسقف جبرائيل الأهدني وهو ابن أخي المطران قرياقوس بن حبص

المر ذكره، روى الدويهي أنه رقي إلى الأسقفية سنة ١٥٢٠م وأنه كان يسكن في قرية زغرنا ولم يبعثنا بسنة وفاته .

٥ - انطونيوس مطران دمشق ذكر الدويهي ترقيته إلى أسقفية دمشق سنة ١٥٢٣م. وقال إنَّ البطريك سمعان الحديثي أرسله لزيارة الموارنة بقرص، فجدد بناء كنيسة القديس جرجس بطالا، وفي سنة ١٥٢٧م أرسله البطريك موسى العكاري إلى روما فوقع بيد اللصوص، ثم استفل نفسه كما مرّ في ترجمة البطريك المذكور، ثم توفي سنة ١٥٢٩م .

٦ - المطران يعقوب بن عزيز الحديثي أنبأنا الدويهي بوفاته في تاريخ سنة ١٥٢٤م ولم نعلم متى كانت ترقيته إلى الأسقفية . وذكر الدويهي في تاريخ هذه السنة أيضاً وفاة المطران جرجس بن صدقني من مزرعة الحدث الذي ذكرناه في جملة أساقفة القرن الخامس عشر. وقال إنه كان باراً فاضلاً قضى أجله في قرية اليموني، وهو زائر للرعية. وبعد أن أقام القداس يوم وفاته علم أنّ أجله قد دنا فاستدعى الكهنة وأمر أن يجنزوه حياً وأن يدفنه في مغارة القديسة مارينا بقنوين . واستراح بالرب بعد جنازه فحملوه ليلاً إلى قنوين ودفنوه حيث أوصى أن يُدفن .

٧ - المطران يوسف من كفر حورا بناحية الزاوية، لم يتحفنا الدويهي إلا بذكر وفاته سنة ١٥٢٧م .

٨ - الأسقف جرجس الحديثي مطران نيقوسية بقرص لم يذكره الدويهي ولكن ذكره المطران اسطفانوس عواد في فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية صفحة ٧١ حيث قال: « ٣٠٣ زبور داود ترجم من السريانية إلى العربية بعناية جرجس مطران نيقوسية السرياني الماروني . وفي آخر المزمور ١٥٠ المزمور المفتوح لما كنت صبيّاً قاله داود بعد انتصاره على جليات، وتسميه عامتهم الخارج عن عدد الزبور، وألحق بذلك التسايح التي وردت في العهدين القديم والحديث وعدتها عشر تسايح والصلوة الربية وقانون الايمان الذي وضعه آباء المجمع النيقوي، وفهرست الأعياد في مدار السنة، وجداول لمعرفة الأعياد المتنقلة وبعض ضوابط لمعرفة يوم عيد الفصح وأول الصوم الأربعيني بحسب طقس الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية . وأضيف إلى ذلك أمثال أو حكم أدبية مجموعة من كتب عدة مؤلفين، ثم حساب العشور البطريركية التي جمعها بأمر البطريك موسى العكاري

جرجس الحدثي مطران نيقوسية مترجم وناسخ هذا الكتاب سنة ١٨٣٩ لاسكندر (سنة ١٥٢٨ للميلاد) في جزيرة قبرص وهي السنة التي فرغ فيها من اشتغاله بهذا الكتاب كما هو يّين من الحاشية التي علقها بيده على حساب العشور المذكور. ثم إنّ ترجمة الزبور هذه مع الأصل السرياني طُبعا بدير قزحيا سنة ١٥٨٥م بعناية سرّكيس الرزي بطريرك الموارنة وهو الرابع والأربعون من عداد بطاركتهم، وباهتمام يوسف خاطر من عائلة السماعنة حاكم جبل لبنان. والكتاب يشتمل على ٢٢١ صفحة بقطع الثمن مكتوبة بالأحرف السريانية واللغة العربية بيد جرجس مطران نيقوسية سنة ١٨٣٩ لاسكندر (سنة ١٥٢٨ للميلاد) كما هو مدوّن على آخر هذا الكتاب».

٩ - المطران جرجس الأهدني روى الدويهي إنه بعد وفاة المطران انطونيوس أسقف دمشق سنة ١٥٢٩م صير هذا مكانه، وإنه في سنة ١٥٥٢م أرسله البطريرك موسى العكاري مع الأسقف داود ابن الخوري سمعان الحدثي إلى زيارة الموارنة الذين بقبرص فكرسا عدة كنائس مع فرنسيس أسقف الأفقسية الماروني، ورفقوا القس مرقس بن انطون من قبرص إلى الأسقفية وأخذ السكنى في قرية مطوش، وإنّ المطران جرجس توفي سنة ١٥٦٢م.

١٠ - الأسقف سرّكيس بن نجيم روى الدويهي أنه سار إلى قبرص سنة ١٥٢٩م، وقيل أنه بعثه على هذا السفر تهمة اتهمه بها أهل قرية بكركي التي فوق جونية، فحرمهم وارتحل إلى قبرص، وكانت بكركي قرية كبيرة اعتاد أهلها أن يكونوا مكارين وسعاة وخربت بعد ذلك.

١١ و ١٢ - الأسقف إيليا الحدثي أنبأنا الدويهي بوفاته سنة ١٥٣٠م وأنه خلفه الأسقف تادروس من الحدث أيضاً، وكان معاوناً للبطريرك موسى العكاري في أشغال الكرسي البطريركي وتدير أملاك دير قنوين.

١٣ - الأسقف سمعان مطران طرابلس جاء في تاريخ الدويهي أنّ سمعان مطران طرابلس توفي سنة ١٥٣٤م وخلفه الراهب يوسف بن بطرس. ولكن جاء في كتاب فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية للمطران اسطفانوس عواد السمعاني (كتاب ٥٤ صفحة ٩١) «كتاب الفرض الأسبوعي السرياني بحسب طقس الكنيسة الانطاكية المارونية»، يشتمل على ٢٢٢ صفحة بالأحرف واللغة

السريانية كُتِبَ بروما بعناية البابا بولس الثالث الحبر الروماني في اليوم الثاني عشر من نيسان سنة ١٥٤٣م ويبد سمعان أسقف طرابلس الشام الماروني من جبل لبنان كما في الحاشية المعلقة على آخر هذا الكتاب. وقد روى البطريرك اسطفانوس الدويهي أنَّ سمعان المذكور رقي إلى أسقفية طرابلس نحو سنة ١٥٣٥م ولما لم يتمكن من الإقامة في هذه المدينة بسبب الاضطهاد الجاري يومئذ على الكاثوليكين سار إلى روما يطلب الترخيص من البابا بولس الثالث بأن يقيم خارجاً عنها، فرخص له بذلك وعاد إلى وطنه وتوفي سنة ١٥٤٧م. انتهى كلام المطران اسطفانوس عواد ومنه يظهر أنَّ نسخة تاريخ الدويهي التي بيدنا اعتراها غلط النساخ في ما رويناها آنفاً عنها، وإنَّ الصحيح أنَّ المطران سمعان رقي سنة ١٥٣٤م أو سنة ١٥٣٥م إلى أسقفية طرابلس لا لأنه توفي تلك السنة. وقد رأينا مرات أنَّ نسخ كتب الدويهي التي كانت بروما أصبح كثيراً من النسخ التي تتداولها أيدينا في المشرق. وقد أنبأنا المطران اسطفانوس عواد المذكور أنَّ كتاب الفرض (الشحيمة) الذي عثر عليه في المكتبة الماديشية يطابق النسخ المجاز طبعها بروما في ١٢ تموز سنة ١٦٢١م بعد أن فحصها عدد من العلماء الاعلام، وطُبعت في أيام البابا بولس الخامس ثم غريغوريوس الخامس عشر ثم اوربانوس الثامن ثم اينوشنسيوس العاشر، ثم بعناية البابا اكليمنضوس الحادي عشر. وطُبعت أخيراً بمطبعة نشر الايمان سنة ١٧٣٢م بعد أن نظر فيها وصححها البطريرك يعقوب عواد.

١٤ - الأسقف يوسف الجاجي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٤٠م فقال كان خصام بين أهل عينطورين وأهل بان على دير قزحيا، وكل من الفريقين يدّعي أنه في خراج قريته، فحكم القاضي أنه في خراج عينطورين وقبل أهلها دفع الخراج المرتب عليه كل عام وقدره ثلاثمائة درهم. فاعتزل القس حنا بن نمرون الباني عن رئاسة الدير وترأس عليه الحوري يوحنا اللحفدي، ثم خلع نفسه من الرئاسة فترأس عليه الأسقف يوسف الجاجي وكان رجلاً روحانياً كثير الجلد على نسخ الكتب البيعية ثم توفي سنة ١٥٤٤م.

١٥ - الأسقف جبرائيل بن أستيته الأهدني روى الدويهي في تاريخ سنة ١٥٤٤م أنه بعد وفاة الأسقف يوسف الجاجي، خلفه جبرائيل المذكور في رئاسة دير قزحيا، فأنشأ له كثيراً من العقارات وأتمَّ بناء القبو والدھليز والمجلس والمطحنة التي على النهر. ووسّع الكنيسة التي في الصخر وأقام بها ثلاثة مذابح للسيدة

العدراء وللقديسين انطونيوس ومكاريوس وكان كثير الورع والتقشف ، وكان يصنع في كل يوم من الصوم ألف مطانية ، وما كان يشرب الماء في مدة الصوم إلى خميس الأسرار . ومع هذا الجهاد لم يكن ينقطع عن نسخ الكتب ، فكثرت جداً كتبه في كنائس لبنان . ولم يدع كنيسة أجداده مار جرجس باهدن تحتاج إلى شيء من الكتب فكافأه البطريرك موسى العكاري بترقيته إلى الأسقفية وتوفي سنة ١٥٥٦ م .

١٦ - الأسقف انطونيوس الحصري ابن الحاج فرحات صير أسقفاً على اهدن بعد وفاة المطران قرياقوس المار ذكره سنة ١٥٥٠ م وكانت أمه بنت عم المطران قرياقوس من الدويهيّة ، فترى عند أخواله بدير القديس يعقوب المعروف بدير الأحباش . وتضلّع في اللغات السريانية والعربية والتركية ، وكان مقداماً شجاعاً ، ولما قدم السلطان سليم الثاني إلى مدينة حلب مثل أمامه في جملة المشتكين الطرابلسيين ، فأنعّم عليه بخمسة مراسيم سلطانية سُجلت في سجلات طرابلس في أيام واليها حسين بك ، منها أنّ غلال الزيتون تقسم تحت أشجارها مناصفة فالنصف للمالك والربع حق وربع ظلم (كذا وجدنا مكتوباً ويتبادر إلى الفهم أنّ المراد بربع حق أنّ الربع للعامل وربع ظلم أنّ الربع الآخر بدل الخراج) . ومنها أن لا يعترض أحد النصارى في دينهم أو زواجهم ، ومنها أنه يرخص لهم بترميم كنائسهم ومنها أمر همايوني موجه إلى قاضي طرابلس بأن لا يعترض أحد بطريرك الملة المارونية في أعمال بطريركيته بل أن يردع ويعاقب كل من تمرد عليه أو عانده . وكانت هذه الأوامر مؤرخة في أول ربيع الأول سنة ٩٥٦ (الموافقة سنة ١٥٤٩ م) فكافأه البطريرك موسى العكاري عن أتعابه وغيرته بترقيته إلى الأسقفية . وكان أنّ أسقف الملكية بعمار استحوذ على دخل الموارنة بناحية عرقا وعكار سبع سنين ، فشكاه المطران انطونيوس إلى محكمة طرابلس فأمر القاضي أن يضع يده على مداخل مطران الملكية سبع سنين ليستوفي حقه ، وأكرم البطريرك موسى المطران انطونيوس أن يتصرّف بعشور بلاد عكار ما دام حياً .

١٧ - الأسقف داود ابن الخوري سمعان الحداثي رقاہ البطريرك موسى إلى الأسقفية ليكون معاوناً له مع المطران تادروس في تدبير الكرسي البطريركي سنة ١٥٥٢ م ، ثم أرسله مع المطران جرجس الأهدني المار ذكره لزيارة الموارنة بقبرص فكرسوا عدة كنائس .

١٨ - الأسقف مرقس بن انطونيوس من قبرص رقا سنة ١٥٥٢م الأسقفان داود وجرجس المذكوران مع أسقف الأفقسية إلى الأسقفية في مدة زيارتهما في قبرص، وكان ورعاً مجاهداً في خير الكنيسة، ونسخ الكتب، وأخذ السكنى بقرية مطروش بقبرص.

١٩ - الأسقف يوسف بن حرواص رقا البطريرك موسى العكاري سنة ١٥٥٦م إلى الأسقفية، وأقامه بدير القديس اليشاع بأرض بشري مجازاة لتعبه في بناء الدير المذكور.

٢٠ - الأسقف موسى بن أيوب بن قمر ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٥٦م، وقال إنه كان قاطناً بدير القديس ماما في بشري ومتكلماً على القرية.

٢١ - الأسقف ماكا البقوفاوي ذكره الدويهي وقال في حقه إنه لزم الحياة النسكية نحو ستين سنة، فأقام أولاً بدير قزحيا ثم بجانب كنيسة القديس دوميط بداريا، ثم في كنيسة السيدة المنقورة بالصخر تجاه عرجس، ثم في محبسة مار ميخائيل فوق قزحيا. وكان عبدة صالحة لكل ناظر إليه أو سامع به، وكان يطوي الصوم سبعة سبة، ويقمع جسده بالصوم والعطش والمشى حافياً. ولم ينظر إلى وجه امرأة. ولم يكن بمحبسة مار ميخائيل ماء ولم يعد له قوة ليستقي من محبسة قزحيا فصلّى إلى الله فأخرج له من الصخر ماءً قليلاً، فنقر له جرنأ فصار يجتمع به ما يكفيه ويكفي زائريه. وشرفه البطريرك موسى بدرجة الأسقفية وتوفي سنة ١٥٦٠م.

٢٢ - الأسقف جرجس القبرصي ذكرنا قبلاً أنّ البطريرك موسى أرسله كاهناً إلى رومة ليأتيه بدرع الرئاسة، ودفع إليه أوتاراً ممهورة بختمه، ولم يكتب عليها شيئاً حتى إذا اضطر إلى أمر كتب عليها ما يحتاجه. وبينما كان بروما كتب على إحدى تلك الأوراق رسالة من البطريرك إلى الحبر الروماني يخبره بها بوفاة الأسقف جرجس الأهدني مطران دمشق ويسأله أن يرقى القس جرجس رسوله إلى هذه الأسقفية. فأمر البابا بترقيته إجابةً إلى سؤال البطريرك، فرقي إلى الأسقفية سنة ١٥٦١م. وعاد إلى قبرص فوجد أنّ الأسقف فرنسيس المار ذكره قضى أجله فضبط ما كان له، واستمر عند أهله بقبرص. وكان البابا قد أرسل إلى البطريرك معه غفارة وكانت طويلة فقصّها لتكون ملائمة لقامته، ولما علم

بذلك البطريك أطلق عليه تأديب الرباط . طالع ما سنقوله في الأسقف جرجس
اليسلوقيتي .

٢٣ - الأسقف سركيس الأهدني خلف المطران انطونيوس الحصري أسقف
اهدن المار ذكره بعد وفاته سنة ١٥٦٥م وكان الأسقف سركيس ابن القس
موسى الدويهي وتوفي سنة ١٥٧٧م بعد أن استمر بأسقفية اهدن اثنتي عشرة
سنة . ووصفه الدويهي بأنه كان أصيل الرأي شديد الغيرة على بناء الكنائس
والأديار .

٢٤ - الأسقف يوحنا بن عبيد خلف الأسقف سركيس المار ذكره في
أسقفية اهدن سنة ١٥٧٧م ووصفه الدويهي بأنه كان ورعاً كثير العبادة مشهوراً
بنسخ الكتب .

٢٥ - الأسقف يوسف رقا البطريك ميخائيل الرزي إلى مطرانية بيروت سنة
١٥٧٧م مع الأسقف يوحنا المار ذكره .

٢٦ - الأسقف جرجس اليسلوقيتي رقا البطريك المذكور إلى مطرانية دمشق
سنة ١٥٧٧م أيضاً مع الأسقفين يوحنا ويوسف المار ذكرهما . ثم أرسله في اليوم
العاشر بعد تربيته إلى روما مع الخوري اقليمس الأهدني لطلب درع الرئاسة كما مرّ
في الكلام على البطريك ميخائيل الرزي ، وعادا من سفرهما سنة ١٥٧٨م مع
الأب جوان باطيسا . وقال المطران اسطفانوس عواد في كتاب فهرست الكتب
الشرقية في المكتبة الماديشية عند ذكره الكتاب الثاني والخمسين منها : « عدة
صلوات » ترجمها من اللاتينية إلى العربية جرجس مطران دمشق الماروني وهذه
الصلوات تتلى قبل القداس وبعده . وقد منح الأبحار الأعظمون غفران سنين كثيرة
لمن يتلوها . فجرجس الماروني هذا هو ابن سليمان من قرية كليين بقبرص غير
بعيدة عن نيقوسية ، رقا البطريك ميخائيل الرزي إلى أسقفية دمشق وأرسله بعيد
ذلك لتقديم فروض الطاعة باسم البطريك وملته . وقبله البابا بيوس الخامس ثم
غريغوريوس الثالث عشر بالتكريم وأقام مدة بروما وطبع هناك هذا الكتاب كما
يظهر من الحاشية المعلقة على آخر هذا الكتاب بخط يده ، وعاد إلى لبنان سنة
١٥٧٨م مع الأب يوحنا المعمدان اليان (جوان باطيسا) ثم ذكر ما حواه
الكتاب المذكور أيضاً فقال « دستور ايمان الرسل والدستور النيقوي ثم صلاة يوم

الأحد ثم زبور داود التي تتلى في صلوات الفرض عند الموارنة والصلوة المؤلفة من فيلوكسينوس المنبجي ترجمها جرجس المذكور من السريانية إلى العربية». وقال أخيراً: «كتاب عدة صفحاته ١٥٩ صفحة بقطع صغير مكتوب بالأحرف الكرشونية كتبه بروما بأنظار بيوس الخامس الحبر الأعظم جرجس بن سليمان من قرية كليين بقبرص مطران دمشق سنة ١٥٧١م» كما في الحاشية المعلقة في آخر الكتاب.

وعليه فكان قول المطران اسطفانوس عواد أنّ المطران جرجس هذا كان من قبرص، ورقاه البطريك ميخائيل الرزي إلى الأسقفية في أوائل بطريركيته سنة ١٥٦٧م مخالفاً لقول الدويهي أنه كان من بسلوقيت ورقاه البطريك المذكور سنة ١٥٧٧م، واتفق العلامتان في الباقي. فعلى قول أيهما نعتمد؟ فإن حق لي أن أقول شيئاً وأن لا أصلح أن أكون تلميذاً لأحدهما. قلت يظهر لي أنّ صاحب الكتاب المذكور الذي ذكره المطران اسطفان عواد هو المطران جرجس القبرصي المار ذكره الذي كان قاصداً للبطريك موسى العكاري، واحتال على البابا بيوس الرابع حتى أمر بترقيته إلى الأسقفية، وربطه البطريك ويظهر أنه عاد إلى روما وأقام فيها إلى سنة ١٥٧١م التي كتب بها كتابه. وإنّ المطران جرجس البسلوقيّتي الذي ذكره الدويهي هو غير ذاك، وهو قاصد البطريك ميخائيل الرزي إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر، مضى إلى روما سنة ١٥٧٧م وعاد منها سنة ١٥٧٨م. وجلّ ما يرجّح لي قلبي هذا أنه إذا كان المطران جرجس القبرصي أرسله ميخائيل الرزي في أوائل بطريركيته أي سنة ١٥٦٧م فلا يبقى بروما إلى سنة ١٥٧١م التي كتب فيها كتابه ولا إلى سنة ١٥٧٨م التي عاد بها مع جوان باطيسستا كما ذكر المطران اسطفان عواد. فقول الدويهي إذاً أوجه وأمثل والله أعلم.

٢٧ - الأسقف داود رئيس دير قزحيا ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٧٧م وقال إنه كانت فتنة بينه وبين البطريك ميخائيل الرزي فانتقل من دير قزحيا مع الخوري مارون القبرصي والقس يعقوب بن حبلص الحاقلي إلى دير حوقا ورقى دون مشورة البطريك القس يعقوب المذكور إلى الأسقفية، ثم دعا من دير قزحيا الحبس يرنان وأخاه القس يوسف ابني جلوان من سمار جبيل وراهبتي قزحيا فرقاها إلى الأسقفية أيضاً. ولما علم البطريك بذلك رفع عرض الواقع إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر في رسالة مؤرخة في ١٧ ايلول سنة ١٥٧٧م ومنع الحبس يونان وأخاه عن استعمال حقوق الأسقفية، وأمر الحاكم بخروجهما من دير قزحيا،

فحملوا الحبس يونان بالنعش إلى دير القديس سمعان بالفرايس وأما أخوه يوسف فسار إلى قريته سمار جبيل ، وبعد ثلاثة أشهر مضى المقدم مقلد البشري والشدياق خاطر الحصري وبعض الأعيان ، فشفعوا بهم فباركهم البطريك وكان دير قزحيا قد خلا من الرهبان ، فرخص لهم بالعود إليه وأعطاهم عشرة رهبان وبقراً وماعزاً إلى غير ذلك مما يلزم لهم ، وفصل الدير عن الحبسة ليقوم كل منهما بنفسه . ويظهر أنه لم يصحح رسامة من رسمهم الأسقف داود .

٢٨ - الأسقف سركيس الرزي أخو البطريك ميخائيل الرزي لم يذكر الدويهي سنة ارتقائه إلى الأسقفية بل ذكر في تاريخ سنة ١٥٧٨م أنّ البطريك ميخائيل أرسل أخاه الأسقف سركيس والقس جرجس بن يونان مع الأب جوان باطيسا ليرافقه في تطوافه بلبنان ويقدم له ما يطلبه ، والأسقف سركيس هو الذي خلف بالبطريركية أخاه البطريك ميخائيل بعد وفاته سنة ١٥٨١م .

٢٩ - الأسقف سركيس من كفرحورا لم يذكره الدويهي ، ولكن وجدنا توقيعه على الجمع الطائفي المنعقد سنة ١٥٨٠م هكذا . أنا سركيس من كفرحورا أسقف ورئيس قزحيا .

٣٠ - الأسقف يوسف البسلوقي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٠م فقال أنه نحو هذه السنة رقد بالرب يوسف البسلوقي الذي كان مستحبساً في دير القديس انطونيوس بالفرايس ، ولأجل سيرته الملكية وشيخوخته النقية رقا البطريك ميخائيل إلى الأسقفية ، ولما دنت ساعة وفاته مضى لزيارته ، ثم أمر بدفن جثته بمغارة البارة مارينا بجانب دير قنوين .

٣١ - الأسقف اقليمس الأهدني هو الذي كان البطريك ميخائيل الرزي قد أرسله كاهناً مع المطران جرجس البسلوقي إلى روما ، فراقه أخوه البطريك سركيس إلى الأسقفية سنة ١٥٨٤م ليكون معاوناً له في دير قنوين . وذكر الدويهي وفاته سنة ١٥٩٨م وقال إنه توجه إلى روما مرات ولأنه كان حازماً أصيل الرأي .

٣٢ - الأسقف انطونيوس الجميل ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٧م وقال إنه لما كان كاهناً عني ببناء كنيسة القديس عبدا في قريته بكفيا وأنفق عليها ألف قبرصي عدا ما أنفقه أهل القرية وغيرهم ، فأراد البطريك سركيس الرزي أن يكافئه

فرقاه إلى الأسقفية وأكرمه ببذلة جميلة للقداس ، ولما كان البطريرك متوجهاً سنة ١٥٩٥م لزيارة كسروان لقيه المطران انطونيوس إلى البوار عازماً أن يمنعه عن الدخول إلى هذه البلاد فربطه البطريرك ، وفي اليوم الثالث بعد ذلك قضى أجله .

٣٣ و ٣٤ - الأسقف يوسف والأسقف يوحنا مطراناً قبرص ذكرهما الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٨م بقوله في هذه السنة كانت وفاة الأسقف يوسف بجزيرة قبرص ، ورقى البطريرك خلفاً له الأسقف يوحنا بن اسكيلا المعلم من الخيزفانية ثم ذكر وفاة يوحنا هذا في سنة ١٥٩٨م .

٣٥ - الأسقف يوسف الرزي هو ابن موسى الرزي أخى البطريرك سركيس ، رقاها عمه البطريرك المذكور سنة ١٥٩٥م إلى الأسقفية في عيد ميلاد الرب ، وأرسله سفيراً إلى البابا اكليمنضوس الثامن لقضاء بعض حاجات الطائفة وتهنئة البابا بارتقائه إلى الخبرة العظمى ، فعاد من روما سنة ١٥٩٦م ومعه الأب ايرونيوس دنديني والأب فاييوس برون اليسوعيان لعقد المجمع المار ذكره ، وبعد وفاة عمه البطريرك سركيس سنة ١٥٩٦م خلفه في البطريركية كما مرّ .

٣٦ - الأسقف موسى العنيسي صير مطراناً على قبرص سنة ١٥٩٨م بعد وفاة الأسقف يوحنا بن اسكيلا المار ذكره ، وكان موسى المذكور من العاقورة وتهذب بالعلوم بروما .

ورقى البطريرك يوسف الرزي إلى الأسقفية في آخر هذا القرن أي سنة ١٦٠٠م ابن أخيه الأسقف سرخيس الرزي والأسقف جرجس بن عميرة الأهدني الذي انتخب بعداً بطريركاً ، والأسقف ميخائيل من بيت عبيد باهدن ، والأسقف موسى من عرجس . وأقام بدير مار اليشاع ببشري . ونُرجئ تمة الكلام في هؤلاء إلى تاريخ القرن السابع عشر .

عد ٥٥

المشاهير الدينيون الموارنة في القرن السادس عشر

نريد بالمشاهير الدينيين من اشتهروا في هذا القرن من الموارنة بالنسك والزهد والعلوم الدينية أو نسخ الكتب ، وهم ليسوا بطاركة أو أساقفة ، واعتمدنا في تراجمهم على تاريخ العلامة الدويهي .

١ - كان من سلك النساك القس موسى العكاري ، وكان رئيساً على دير السيدة بحوقا ، وكان تلميذاً للخوري اسطفان والقس ميخائيل رئيسي هذا الدير ثم رقى إلى الأسقفية ثم البطريركية كما مرّ.

٢ - الخوري يوحنا المعروف بالزطيمية ، فهذا كان من ترنج وارثل بعائلته سنة ١٥١٠ إلى قبرص في جملة من هاجروا من لبنان تلك السنة من جري الجور والضرائب . وكان الخوري يوحنا عالماً فاضلاً نسخ كثيراً من الكتب البيعية ، وكان من جملة عمد الطائفة في تلك الأيام ، وكانت له مباحث دينية مع الروم بقبرص ، وكانوا يسمونه كروكلية لأنه كان يعتّم بعمامة زرقاء ، وعانى مشاق كثيرة من أبناء طائفته حسداً له . وبعد وفاته خلفه ابنه القس يوسف والشماس الياس واشتهرا بنسخ الكتب البيعية والأفعال الحسنة .

٣ - الخوري لوقا بن بطرس من ترنج أيضاً وأنشأ كنيسة جميلة في قرية كليين بقبرص على اسم القديس لوقا الانجيلي .

٤ - الخوري زكريا وكان من جملة النازحين من لبنان إلى قبرص ، وبنى كنيسة القديس ماما في قرية مطوش .

٥ - الحاج ميخائيل أخو الأسقف جبرائيل القلاعي انتقل من لحفد إلى قرية طالا بقبرص وزاد على كنيسة السيدة سوقاً آخر ومذبحاً على اسم القديس عبدا .

٦ - القس بطرس وهو الذي أرسله البطريرك سمعان الحداثي إلى البابا لاون العاشر سنة ١٥١٣م فردّه البابا إلى لبنان إذ لم يكن مصحوباً برسائل البطريرك ، ثم سفره البطريرك ثانية إلى أم المدائن سنة ١٥١٥م فنال التثبيت على يده كما قدمنا في الكلام على هذا البطريرك ، وهو الذي أحضر نسخة من رسالة فراغريفون إلى الحبر الروماني شهادة بصحة ايمان الموارنة كما مرّ .

٧ - الخوري يوسف الذي أرسله البطريرك سمعان الحداثي سنة ١٥١٥م إلى رومة مع راهبين لاقتباس اللغة اللاتينية والعلوم الدينية فعلموا اللغة السريانية وكانوا أول من علّمها بأوروبا .

٨ - الخوري يونان المتريتي رئيس دير قزحيا ، زاد في كنيسة هذا الدير سنة ١٥٢٦م على مذهب القديس بشاي مذهبين آخرين أحدهما على اسم السيدة

والثاني على اسم جبرائيل رئيس الملائكة . وفي سنة ١٥٣٩م اتفق مع رهبانه على نهى النساء عن الدخول إلى دير قزحيا ، وحلف جميعهم على ذلك وأقاموا لذلك احتفالاً وتطوافاً بالدير كله . وفي سنة ١٥٤٢م انتقل إلى رحمة ربه . وكتب عنه تلميذه الحبيس جبرائيل الأهدني أنه خدم الله بالطهارة والورع مدة خمسين سنة . وكان قبل وفاته بأربع سنين يصوم يومين يومين ولا يفطر في الصوم الكبير إلا يوم السبت والأحد ، ولم يكن عدد لمطانيته في سبة الآلام ، ولم يكن له مثيل في أعمال الرحمة . ويعجز القلم عن رقم فضائله . وشهد تلميذه الخوري يوحنا اللحفدي بأن الله صنع على يده آية كان هو شاهداً لها وهي أنه عازهم الزيت فوضع بخوراً وصلى على خاية الزيت فطفحت به . وشهد جنازه البطريرك موسى المطران قرياقوس وجّم غفير تباركوا بجسده الطاهر . وقد ذكره المطران اسطفانوس عواد في فهرست المكتبة الماديشية صفحة ٢٦ إذ روى أنّ كتاب الزبور الذي كان قد كتبه حوشب في دير قزحيا سنة ١٣١٨م قد نسخه ملك جبرائيل من اهدن سنة ١٥٢٢م باهتمام الأب يونان الحبيس المتريتي . وروى ترجمة هذا الحبيس عن الدويهي كما رويناها ، وذكر أيضاً تلميذه الحبيس جبرائيل الأهدني وهو ناسخ كتاب الزبور المذكور .

٩ - ألقس جرجس بن حرواص من قرية عرجس أنشأ دير القديس اليشاع ووسعه وأنفق عليه ١٣٧٥٠ درهماً عدا ما تبرّع به غيره من المحسنين . وكان عبد المنعم الأول مقدم بشري معاوناً له ومثله الحاجة سارة رفيقته في النسك وشريكته في بذل النفقة المذكورة ، وكان ذلك سنة ١٥٣٣م . ويظهر لنا أنّ القس جرجس هذا هو الذي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٥٦م وقال إنّ المطران رقاہ إلى الأسقفية مكافأة له لبنائه دير مار اليشاع ببشري وإن سمي في هذا المحل الأخير يوسف لا جرجس .

١٠ - القس يوحنا بن نمرون الباني كان رئيساً على دير قزحيا سنة ١٥٢٩م وكان شهيراً بالورع والنسك ، ولما اختصم أهل بان وأهل عينطورين على دير قزحيا وحكم القاضي به لأهل عينطورين اعتزل القس يوحنا من الرئاسة وتولاها الخوري يوحنا اللحفدي كما مرّ عند ذكر الأسقف يوسف الجاجي . ثم عاد القس يوحنا إلى رئاسة دير قزحيا سنة ١٥٥٦م ولم يمكث بها طويلاً بل استقال منها وسكن دير القديس سمعان بقيطو ، إلا أنه في سنة ١٥٦٧م لما صير الحبيس ميخائيل

الرزقي المترنس على دير قزحيا بطريكاً أعادوا القس يوحنا إلى رئاسة هذا الدير فأنشأ له مطحنة عند الدير وجّر الماء إليها من النهر. وعظمت شهرته بالبر والورع ، ولما توفاه الله خلفه بالرئاسة الخوري ابراهيم الحداثي .

١١ - الخوري يوحنا اللحفدي كان تلميذ الحبيس يونان المترتي وترأس على دير قزحيا بعد اعتزال القس يوحنا الباني المذكور ، ثم توفي سنة ١٥٤٢م بعد وفاة معلمه وقد اقتدى بفضائله ونسكه وتقشفاته وخدمته أربع عشرة سنة في مرضه ، وكان يقضي سبة الآلام متهجداً كثيراً من الاماتات والمطانيات .

١٢ - الحبيس يونان بن جلوان من سمار جبيل ترهب في دير قزحيا مع أخيه القس يوسف ، وقد ذكرنا دعوة المطران داود رئيس دير قزحيا لهما إلى دير حوقا وترقيتهما سنة ١٥٧٦م إلى الأسقفية خلافاً لقوانين الكنيسة ومنع البطريك لهما عن مباشرة حقوق الأسقفية وطاعتها ورضى البطريك عنهما وردهما إلى دير قزحيا فأكملا حياتهما بالنسك والزهد والورع .

١٣ - القس يعقوب عصاص من بيت الزيات من أسمر جبيل ، لبس الأسكيم الملائكي بدير قزحيا ، وقضى حياته بالنسك والقداسة في محبة القديس سمعان بالفرايس وتوفي سنة ١٥٨٥م قال الدويهي ، وجسده ما زال سالماً في مغارة مار ادنه هناك لم يعثره فساد .

١٤ - الشهيد ابراهيم بن جرجس البشراني الحلبي ولد في حلب سنة ١٥٦٣ وكان والداه من بشري فهاجرا إلى حلب وكان من صغره على جانب عظيم من التقوى والعبادة ويظن أنّ الأب يوحنا ايليان المعروف بجوان باتيستا اختاره من حلب عند وصوله إليها سنة ١٥٨٢ ليكون مرشحاً للكهنة في مدارس رومية فدرس هناك أولاً مع التلامذة الذين كانوا في منزل الموارنة قبل أن تقام المدرسة وكان يتردد إلى الشبان المبتدئين في الرهبة اليسوعية فأثر فيه مثل سيرتهم وآدابهم ثم ذهب إلى رئيسهم يطلب منه الدخول بينهم فقبله بنوع غير اعتيادي وقضى زمان الامتحان مشهوراً بالعبادة والتقوى. وفي أواخر سنة ١٥٨٤ أرسله الرؤساء إلى المدرسة اليسوعية في فلورنسا ليتّم زمان امتحانه وينصبّ على الدرس فأقام هناك سنتين وأمره الرؤساء بالعود إلى رومية فدرس في المدرسة الرومانية العلوم الرياضية ثم الفلسفة واللاهوت على علماء يسوعيين شهيرين. وفي ٢٥ شباط سنة ١٥٨٨ قض

الإكليل لابراهيم المذكور مع غيره حسب طقس الكنيسة اللاتينية ومن بعد أن أنجز دروسه رقي إلى درجة الكهنوت ثم أرسله رؤسائه إلى الهند سنة ١٥٩٢ وبعد أن أقام مدة في الهند سافر بأمر الطاعة إلى بلاد الحبشة في سنة ١٥٩٥ وكان وصوله إلى مصوع في آخر نيسان وبوصوله إلى هناك قبض عليه وأخذ إلى الحاكم فقضى الأب ابراهيم ليلته في الصلاة فرحاً وفي الصباح أوتي به من السجن أمام الحاكم فسأله عن اسمه ودينه وغاية سفره فأجاب إنني ولدت بمدينة حلب واسمي ابراهيم ابن جرجس وديني دين المسيح أتيت هذه البلدة لأذهب منها إلى بلاد الحبشة لأبشّر بالدين الكاثوليكي وأثبتته فتهدده الحاكم بالقتل فلم ينثن فأخذ يتملقه فلبث مصرّاً فرجّحه في سجن المجرمين مقيّداً بالسلاسل وأمر بعض الجنود أن يعذّبوه بالضرب والجوع والعطش فاحتمل كل ذلك بصبر وبعد أيام اجتمع أهل المجلس للحكم عليه بالموت فأمره الحاكم أن يشفق على شبابه ويكفر بالمسيح فأجابه: إنني أؤمن بالله واحد وبأنّ المسيح تجسّد ومات لخلاصنا فحنق الحاكم وأمر بقطع رأسه فتلقّى الحكم بفرح وتهليل ثم لبس رداءه الرهباني وجثا وقبّل الأرض وسلّم نفسه للجنود كالحمل فذهبوا به إلى محل العذاب وتبعه بعض النصارى فجثا وصلّى ثم حلّ ثوبه حول عنقه فضربه السيّاف ضربة هائلة فانكسر السيّاف فضجّ الشعب وغضب السيّاف وأخذ سيفاً آخر فضربه به فانثلم حدّه وأعاد الضربة فانكسر السيّاف ولم يجرح الشهيد إلا جرحاً خفيفاً فزاد ضجيج القوم وظهر تعجبهم فاستلّ السيّاف سيفاً ثالثاً وضربه فانفصل رأسه عن جسّته في أواخر نيسان سنة ١٦٩٥ ولم يكن تجاوز السنة الثالثة والثلاثين من عمره وشهد الله لقداسته بآيات عديدة ظهرت من جسّته حتى أخذ الوثنيون قسماً منها طرحوه في البحر وقسماً خلطوه بعظام موتاهم كي لا يكرمهم المسيحيون ومات كل من عاونوا على قتله بأمراض شنيعة في مدة الأربعين يوم بعد استشهاده وقتل الحاكم عليه بأمر حاكم خلفه. انتهى عن ترجمته في كتاب تطوييه إذ أحصاه الكرسي الرسولي الرسولي عما قليل في مصاف الطوباويين.

مقالة عاشرة

تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر

الفصل الأول

أعيان الموارنة الدنيويون في القرن السابع عشر

عد ٥٦

بعض أعيانهم في هذا القرن

ذكرنا في آخر تاريخهم في القرن السادس عشر الشدياق الحصريوني والي جبة بشري فهذا توفي سنة ١٦١٢م وخلفه بولايته ابنه الشدياق رعد، وتزوج بهست البنات بنت المقدم مقلد من المقدمين العناحلة (الذين أصلهم من عين حليا وقد مر ذكرهم) ويقال إنه كان يسيء المعاملة لها ويتهددها بالقتل وإنها دشت له سمأ في دجاجة أكل منها هو وأخوها جمال الدين بن مقلد المذكور، فماتا وانقرضت بجمال الدين سلسلة العناحلة. وأما امرأة رعد فتزوجها موسى البشراي وسار بها إلى حلب فزق منها ولداً سمي عسافاً ودخل إحدى رهبانيات الفرنج ومات كاهناً. ومن بعد وفاة المقدم رعد بن خاطر ولّى يوسف باشا سيفا والي طرابلس على جبة بشري أبا عاشينا شلهوب لأنه كان ابن بنت المقدم عاشينا الأول بن حسام الدين العنحلاني وولد له ثلاثة بنين وهم: عاشينا ويوحنا وميخائيل. ونازعه الولاية نعمة وداود وجرجس أولاد الشدياق خاطر فائتمر عليهم مع الحاج سليمان

الملكي كاتب ديوان طرابلس فقبض يوسف باشا على نعمة وداود ابني خاطر وألقاهما في السجن، وكان يعدهما بأن يولييهما جبة بشري حتى استنزف الثروة التي تركها والدهما ثم أمر بخنقهما، وألقوهما في البير المعروف بالأزهرى. وقبض المقدم ابو عاشينا شلهوب على أخيهما جرجس وغرقه في النهر قريباً من المدينة، واستمر في الولاية على جبة بشري تسع سنوات. ففي سنة ١٦٢١م كبس ابنه عاشينا دير مار توما بحصرون وقتل القس دانيال العكاري طمعاً بدراهمه، وعرض الأمر للشيخ أبي صافي الخازن الذي كان الأمير فخر الدين المعني قد ولاه على جبة بشري، فقبض على عاشينا وأخذه إلى سمار جبيل وعرض أمره على الأمير فخر الدين فأمر باهلاكه، فقتله ودفنه عند جسر المدفون. وأتى والده المقدم شلهوب ليحتج عن ابنه فقبض عليه الشيخ أبو نادر الخازن ورفع أمره إلى الأمير فخر الدين وبين أنه من غرض ابن سيفاً فأمر بقتله أيضاً فُقتل ورُج في المدفون.

وكانت الوجاهة الكبرى بلبنان في أيام الأمراء المعنيين للمشايخ بني الخازن، وقد مرّ في تاريخ القرن السادس عشر أنّ أرملة الأمير قرقماز معن أرسلت ولديها الأميرين فخر الدين ويونس فخبأتهما عند الشيخ ابراهيم ابن الشدياق سرّكيس الخازن، ولما راق كأس السياسة وعاد الأميران المذكوران إلى ولايتهما بالشوف، دعا الأمير فخر الدين ابراهيم الخازن وجعله معاوناً ومدبراً له في حكومته، وجعل أخاه رباحاً دهقاناً لأملاكه. ولما توفي الشيخ ابراهيم المذكور سنة ١٦٠٠م اتخذ الأمير فخر الدين ابنه خازناً المكتنى أبا نادر مدبراً له مكان أبيه، ولما اضطّر الأمير فخر الدين أن يسير إلى أوروبا سنة ١٦١٢م ترك الشيخ أبا نادر مع أخيه الأمير يونس مدبراً له كما كان معه.

وفي سنة ١٦١٣م لما عاد الأمير يونس إلى ولاية الشوف أرسل الشيخ أبا نادر والشيخ أبا ضاهر حبّيش إلى كسروان ليحصيا الأشجار ويستوفيا ما عليها من المال مع ابن المسلماني الذي كان من رجال المعنيين. وأرسل الأمير يونس الشيخ أبا رحال خطاراً أخاً أبي نادر إلى توسكانا إلى الأمير فخر الدين ليطلعه على أحوال البلاد. وفي سنة ١٦١٥م أرسل الأمير يونس الشيخ أبا نادر ومعه مملوك له اسمه ذو الفقار ليحكم في كسروان ويقيما بغزير. ولما عاد الأمير فخر الدين من رحلته سنة ١٦١٧ والتقاء الأمير يونس أخوه والشيخ أبو نادر إلى عكا، أنعم على أبي نادر وعلى ذريته بولاية عمل كسروان جزاءً لصدق خدمته بحضوره وغيابه.

ثم سار أبو نادر مع الأمير فخر الدين لمقاتلة يوسف باشا سيفاً أنجاداً لعمر باشا والي طرابلس، وعند عودهما حاصر الأمير فخر الدين قلعة جبيل التي كانت بيد جماعة ابن سيف وأخرجهم منهم بالأمان وولّى الشيخ أبا نادر على بلاد جبيل منضمة إلى كسروان. وفي سنة ١٦٢١م ورد أمر من الآستانة إلى الأمير فخر الدين أن يعاون والي طرابلس على يوسف باشا سيفاً إذا لم يدعن للوالي المذكور، وفّر يوسف باشا إلى عكا فأرسل الأمير فخر الدين رجالاً طردوا من جبة بشري العمال الذين كان يوسف باشا قد أقامهم بها وولّى عليها الشيخ أبا صافي الخازن رباحاً عم الشيخ أبي نادر كما مرّ. وفي سنة ١٦٣١ أصلح الشيخ أبو نوفل نادر الخازن ما كان قد خرب من قلعة سمار جبيل بزلزال قتل فيه ابنه نوفل ووالدته بنت الشيخ معتوق حبيش. ولما قبض على الأمير فخر الدين في مغارة جزين سنة ١٦٣٣م كان بمعيته الشيخ أبو نادر وعمه الشيخ أبو صافي وأخذهما معه إلى دمشق، فكفلهما الأمير اليميني وعادا إلى كسروان. وأما أبو نوفل فكان قد فرّ مع الأمير حسين بن فخر الدين إلى قلعة المرقب، فأمسكهما خليل باشا وأخذهما إلى حلب. فانهزم أبو نوفل وعاد متنكراً إلى وطنه. ولما رأى الخازنيون شدة المضايقة لهم انهزم الشيخ أبو نادر وابنه نوفل نادر وأخوه أبو خطار عبدالله وسافروا إلى توسكانا بايطاليا سنة ١٦٣٥م وكان الشيخ أبو نادر مشهوراً عند الافرنج أيضاً فقابله دوك توسكانا بالمعزة والاكرام. ولما تولّى الأمير ملحم المعني بلاد الشوف عاد المشايخ بنو الخازن من ايطاليا فردهم إلى اقطاعاتهم سنة ١٦٣٨م وجعل أبا نادر مديراً له كما كان قبلاً. وفي سنة ١٦٤٥م توفي الشيخ أبو صافي رباح الخازن في ساحل علما. وفي أول تموز سنة ١٦٤٧م توفي الشيخ أبو نادر خازن بن ابراهيم بن سركيس الخازن بعد أن كان مديراً لحكومة بني معن عدة سنوات وحاكماً بكسروان وجبيل والبثرون والجبة والمرقب، وخلفه بوجهته ومساعيه الحميدة ابنه نادر المكتنى أبا نوفل.

وفي سنة ١٦٥٠م أرسل الأمير ملحم معن الشيخ أبا نوفل يجبي المال الأميري من بلاد البثرون، وكان الأمير التزمه من عمر باشا والي طرابلس. وفي سنة ١٦٥٦م أنعم البابا اسكندر السابع على الشيخ أبي نوفل بلقب كافليز أي فارس. وفي سنة ١٦٥٨م أرسل الأمير ملحم معن الشيخ أبا نوفل ليحبي الأموال الأميرية من عكار وجبة بشري وبلاد البثرون وأداها إلى الدولة بحسب تعهده، وكان

الحكام يثقون به كل الثقة . ولما توفي الأمير ملحم معن سنة ١٦٥٨م وخلفه في ولايته ابنه الأمير أحمد والأمير قرقماز جعلاً الشيخ أبا نوفل مديراً لهما كما كان عند والدهما . وسنة ١٦٥٩م أنعم لويس الرابع عشر ملك فرنسا على الشيخ أبي نوفل أن يكون قنصلاً لدولة فرنسا ببيروت ، ونال ذلك بعناية المطران اسحق الشدراوي مطران طرابلس ، وحاز أيضاً وكالة قنصلية البندقية . وقد رضي السلطان الأعظم عن اقامته في هذا المنصب وأثخفه بفرمان مؤذن بذلك ومبنيّ حقوق منصبه . (تراه مترجماً في كتاب النبذة التاريخية في المقاطعة الكسروانية صفحة ٨٦) وهو الذي أسكن الرهبان اليسوعيين في عينطورا وأعطاهم محل ديرهم هناك من أملاكه . وفي الكتاب الموسوم بالرسائل المعمدة لليسوعيين رسالة مسهبة من هؤلاء الرهبان الذين أتوا حينئذ بالثناء على الشيخ أبي نوفل ومبراته وغيرته واتساع شهرته . يمكنك الاطلاع عليها في تاريخ الموارنة المطبوع ببيروت صفحة ٢٢٢ .

وقد سمعت مرات من الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد الشهير بمعرفته تاريخ ملئت رواية ملخصها أنه لما فرّ الأمير أحمد والأمير قرقماز معن سنة ١٦٦٠م من وجه أحمد باشا كما مرّ ، واجتمع أعيان البلاد لاختيار حاكم غيرهما فانتخبوا الأمير محمد علم الدين اليميني ، ولم يدعوا الشيخ أبا نوفل وازدروه ، وعزل في تلك الأثناء علي باشا عن ايلة صيدا ، وقدم وال آخر فأخذ أبو نوفل يقدم له الذخائر من حلب حتى بلغ صحراء جونية فالتقاه الشيخ أبو نوفل فشكر الوزير له وسأله ما يريد ، فأجابه لا أطلب نعمة إلا أن لا تعطى خلعة الولاية على قصبة دير القمر إلا بواسطة خادكم العاجز ، فوعده الوزير بذلك . وعند حلوله بصيدا أسرع إليه أعيان الشوف يلتمسون تقرير ولاية الأمير محمد اليميني على دير القمر فأجابهم أنه لا يخلع على الأمير المذكور إلا أن يسأله ذلك الشيخ نوفل الخازن ، وأصرّ الوزير على قوله ، فاضطروا أن يحضر كثيرون منهم إليه في كسروان ، فبالغ في اكرامهم وسألوه أن يسير معهم إلى الوزير ، فتمنّع واكتفى بعريضة أصحابهم بها إليه ، فأجابهم إلى ما سألوه وعرفوا غلظتهم وتهيبوا الشيخ أبا نوفل . وكان البطريرك المذكور رحمه الله يقول لي إنّ البعض عزوا هذه الرواية إلى الشيخ أبي نادر ، ولكنني وجدت كتاباً قديماً دون الرواية بالتفصيل معزوة إلى أبي نوفل . ولا أتذكر ما عنوان الكتاب ولا أين يوجد .

وفي سنة ١٦٦٤م عاد الأمير أحمد معن إلى ولايته بعد أن انتصر على اليمينيين

فرجع المشايخ آل خازن إلى اقطاعاتهم، وعاد الشيخ نوفل مديراً لحكومة الأمير أحمد، وفي هذه الأثناء قسم أبو نوفل حكومة كسروان على بنيه وكانوا ثمانية فأعطى أبا قانصوه فياضاً قسماً، وأبا ناصيف نوفلاً قسماً، وخازناً قسماً، وطرييه قسماً، وبقي بيده قسم كبير سلّمه إلى أبنائه الصغار وهم خاطر وسليمان وقيس وأبو النصر. وفي سنة ١٦٧١م أُحيلت اقطاعات كسروان وبكفيا وغازير إلى عهدة الشيخ أبي نوفل وأولاده بموجب فرمان سلطاني حفظ أصله عند الشيخ بطرس كنعان الخازن، وترى ترجمته مثبتة في تايخ الموارنة المطبوع ببيروت صفحة ٢٤٢. وفي سنة ١٦٧٩م في ١٣ آب توفي الشيخ أبو نوفل نادر الخازن.

وخلف أبا نوفل ابنه أبو قانصوه فياض وتمشى على آثار والده أبي نوفل وشرع سنة ١٦٨٠م في بناء دار له في قرية غوسطا وبجانها كنيسة على اسم النبي الياس، وتولّى في كسروان على القسم الذي خصّه به أبوه، وخلفه في قنصلية فرنسة ببيروت. وفي سنة ١٦٧٨م لما ضايق والي طرابلس أولاد أبي رزق البشعلاني الآتي ذكره فرّ أحدهم يونس بأولاده وأولاد أخيه إلى كسروان واحتوى عند الشيخ أبي قانصوه فياض المذكور، ودافع عنهم ابنه الشيخ حصن الآتي ذكره، فأقاموا في حماه، ونظن أنهم أقاموا بصليما ومنهم بيت البشعلاني الساكنين الآن في القرية المذكورة. وتوفي الشيخ أبو قانصوه فياض في ١٧ تشرين الأول سنة ١٦٩١م. وذكر الدويهي في تاريخ هذه السنة وفاة الشيخ المذكور وقال بعد موته عظمت شوكة بني حماده فقتلوا حنا الأسود في الكورة ونهبوا العاقورة. وكان الشيخ أبو قانصوه جزيل الكرم محباً للعلماء شجاعاً شديد البأس.

وخلف أبا قانصوه ابنه حصن في ولايته وأنعم عليه ملك فرنسة لويس الرابع عشر بأن يكون قنصلاً لفرنسة ببيروت كأبيه وجدّه. وقد حفظ لنا العالم دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان (مجلد ٢ صفحة ٢٨٦) براءة تنصيب الشيخ حصن المذكور قنصلاً لفرنسة ببيروت، وإليك ترجمتها عن الفرنسية:

«مرسوم الملك بتنصيب الأمير حصن الخازن الماروني»

لويس ملك فرنسة وناقارا وكنت بروفنس الخ. السلام لكل من يطلع على مرسومنا هذا، لما كنا نرغب في اجابة سؤال الأمير حصن الخازن في عريضته التي

رفعها إلينا وأن نعززه باحالة قنصلية بيروت إلى عهده كما كان أبوه وجدّه بمقتضى مرسومنا الصادر في غرة كانون الثاني سنة ١٦٦٢م، ولعلمنا بما له من الغيرة والصدق بخدمتنا وعنايته بخير رعايانا قد نصبناه بمرسومنا هذا الموقع عليه بيدنا قنصلاً على مدينة بيروت إذ فصلنا هذه المدينة عن قنصلية صيدا المتعلقة بها الآن، ونريد أن تبقى منفصلة عنها إلى أن نصدر أمراً آخر يخالف مرسومنا هذا. وقد أقمنا وأمرنا ونصبنا ونقيم ونأمر وننصب السيد حصن الخازن المذكور قنصلاً للأمة الفرنسية في فرضة بيروت المذكورة وملحقاتها ومتعلقاتها فله بتخويله هذا المنصب أن يلي ويأشر مدة حياته جميع الحقوق والسلطة والامتيازات والانعامات التي لباقي القناصل في المشرق، ورخصنا له أن يقيم عنده نائب قنصل بحيث يكون من أمة الفرنسيين ويكون هو مسؤولاً عنه في الأمور المدنية. وقد أعلمنا مستشارنا وسفيرنا في المشرق السيد شاتوناف دي كاستنيار إنه إذا ظهر له أنّ السيد حصن الخازن متصف بالسيرة الحميدة وحسن الآداب وتمسك بالدين الكاثوليكي الرسولي الروماني يصرفه بالقنصلية المذكورة، وبما لها من الحقوق ولا يمنعه من ذلك أي مرسوم كان يخالف ما ذكرنا، وعلى السفير المذكور أن يبذل له كل مساعدة وعناية، ونأمر ربان كل مركب وسفينة تحت العلم الفرنسي وكل تاجر من أمتنا أن يعترفوا بأنه قنصلنا ويمثلوا أمره، ولا يمنع من ذلك الأمر الذي أصدرناه في ١١ آذار سنة ١٦٨٥م بأن لا ينصب من الأجانب قناصل لفرنسة لأننا استثنينا ونستثني من هذا الأمر السيد حصن الخازن فلا مفعول لذلك الأمر من قبله، فهذه هي ارادتنا ومسرتنا ونرغب إلى الباشاوات والولاة الاجلاء ونسأل من كان منهم الآن ومن يكونون من بعدهم ببيروت وملحقاتها أن يمكنوا السيد حصن الخازن من تكميل فروض منصبه ولا يسمحوا بأن يكون له أقل مانع من اتمام فروض منصبه بل يبذلون له بعكس ذلك كل مساعدة ورعاية، واشعاراً بذلك قد وقعنا بختمنا على هذه البراءة الصادرة في ١٢ حزيران سنة ١٦٩٧م من سني النعمة وهي الخامسة والخمسون للملكنا. التوقيع لويس. وعلى طي البراءة بأمر الملك كونت بروفنس فيليب وختم بالمهر الكبير على الشمع الأصفر.

واليك أيضاً ترجمة جواب لويس الرابع عشر إلى الشيخ حصن قنصل فرنسة ببيروت نقلاً عن الكتاب المذكور:

« إلى السيد الأجلّ الأمير حصن قنصل الأمة الفرنسية ببيروت »

أيها السيد الأجلّ، إنّ السيد يوحنا مارماكون الكافلير الماروني رسولكم، رفع إلينا الرسالة التي كتبتموها إلينا في شهر كانون الأول سنة ١٦٩٥م تطلبون بها أن ننصبكم قنصلاً ببيروت، ولا أشك في أنكم تقدرون حمايتي لكم حق قدرها وتصرفون عنايتكم إلى مساعدة رعاياي الذين يتاجرون في سورية، ولذلك أردت رغبةً في مصلحتكم أن أفصل مدينة بيروت عن قنصلية صيدا وأجعلها قنصلية مخصصة، وأمرت أن ترسل إليكم براءة تنصيبكم بها وبقوتها يكون لكم الحق لا أن ترفعوا العلم الفرنسي فقط على باب داركم كما كان يصنع جدكم وأبوكم، بل تكون لكم أيضاً الحقوق والانعامات التي يحرزها قناصل الأمة الفرنسية. وقد سلمتُ إلى رسولكم عدة رسائل إلى سفيرتي بالقسطنطينية، وإلى قناصل فرنسا بجواركم وأمرتهم بأن يبدلوا لكم كل الرعاية والعناية بكل ما يتعلق بكم عند طلبكم ذلك، لنفعمكم ومساعدة أبناء ملتكم. وأسأله تعالى أن يرعاكم أيها السيد الأجلّ بعين حراسته المقدسة. كُتب في فرساييل في ١٣ من تموز سنة ١٦٩٧م. التوقيع لويس. وفي أسفل الرسالة، كولبر» (وهو وزير لويس الرابع عشر).

ويلى ذلك في الكتاب المذكور رسالتان إلى الشيخ حصن إحداهما موقع عليها بونتشرتان فحواها أنه تلا على مسامع جلالة الملك رسالته التي سلمه اياها يوحنا مارماكون رسوله. وإنّ جلالته تعطف بفصل قنصلية بيروت عن صيدا وتحويلها إلى عهده، وإنه مرسل له البراءة في طي كتابه وهي في تاريخ ٢ حزيران سنة ١٦٩٧م. والثانية بتوقيع دي تورسي وفحواها أنّ عظمة العاهل تعطف عليه بإيلائه المنصب الذي كان فيه المرحوم أبوه، وإنه تلا الرسالة التي كان هو أنفذها باسم أبيه بعد عرضه الرسالة على مسامع جلالة الملك انعطف إلى إيلائه قنصلية بيروت. وكتب في ذلك إليه وإلى سفيره في القسطنطينية وإلى قناصل فرنسا بجواره يأمرهم بمعاونته ورعايته في كل ما يتعلق به وبمملته. وتاريخ هذه الرسالة في ٢ تموز سنة ١٦٩٧م.

ويظهر أنّ الشيخ ناصيف بن نوفل ابن عم الشيخ حصن القنصل قد رفع أيضاً إلى الملك لويس الرابع عشر عريضة يشكو بها سوء حالهم عند نكبة دولة المعنيين المار ذكرها واختفاء الأمير معن فأجابه الملك لويس برسالة هذه ترجمتها:

« إلى السيد الأجلّ ناصيف أمير الموارنة »

أيها السيد الأجلّ، إنّ كتابكم الذي رفعه إلينا السيد يوحنا مارماكون الكافلير الماروني موفدكم إلينا علمنا منه سوء المعاملة التي يعاملكم بها الحاكم الجديد الذي نصب عن عهد قريب مكان الأمير أحمد بن معن، واتّضح لنا منه أيضاً أنّ من اللازم تفادياً من الضّرّ للدين الكاثوليكي ورغبةً في تأييده في بلادكم أن نصرف عنايتنا لدخولكم بصفة حاكم على البلاد التي كنتم تتولون ادارتها من عهد قريب إذ تدفعون للبasha والي طرابلس المال المفروض على هذه البلاد. ولما كنت أرغب رغبةً شديدة في أن أساعدكم على ما يعود بالنفع عليكم ولا سيما متى كان ذلك ملائماً للحماية التي بذلتها في كل وقت للكاثوليكين بالشرق قد سلمت إلى موفدكم أوامر وجهتها إلى سفيري بالقسطنطينية ليصرف عنايته الفعالة لينال لكم ما تبتغون. وأخيراً أسأله تعالى أن يحفظكم أيها السيد الأجلّ بحراسته المقدسة. دُونَ بفرساي في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧م. التوقيع لويس. وفي أسفل الصحيفة، كولبر.

وكتب الوزير دي تورسي كتاباً آخر إلى الشيخ ناصيف هاك ترجمته.

«أيها السيد الشريف الأجلّ، إنكم تعلمون من الرسالة التي كتبها إليكم سيدي العاهل جواباً على رسالتكم التي أنفذتموها إليه على يد السيد مارماكون رسولكم، كم تهتم جلالته بما يعود بالنفع عليكم وعلى الدين الكاثوليكي، ولا أشك في أنكم تشعرون بأقرب وقت بمفاعيل الحماية التي يبذلها لكم بواسطة أوامره الموجهة إلى سفيره بالقسطنطينية ليصرف عنايته الشديدة ليستمد لكم ما ينقذكم من الضيق الحاصل عليكم، وينفع المسيحيين أبناء ملتكم. ولم يبق لي إلّا أن أحقق لكم إني لا أنفك عن أن أرجو جلالته ليواصل كل وقت حمايته لكم وأن تثيقنوا أنني صديقكم المخلص». التوقيع ديتورسي عن فرسايل في ٢ تموز سنة ١٦٩٧م. ويظهر أنّ رئيس أساقفة نيقوسية ومتربوليت قبرص نائب البطريرك اسطفانوس الدويهي في مدة غيابه رفع عريضة إلى لويس الرابع عشر بالمعنى الذي كتب به الشيخ ناصيف الخازن، وبالتماس القنصلية للشيخ حصن فأجابه الملك عليها وهاك ترجمة الجواب.

« إلى السيد الأجلّ رئيس أساقفة نيقوسية متربوليت قبرص ورئيس الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني في جبل لبنان في غياب البطريك اسطفانوس^(١) »

أيها السيد الأجلّ تناولت الكتاب الذي رفعه إليّ من قبلكم السيد يوحنا مارماكون رسول طائفتكم، وبه تبيّنون لي الضيق الحاصل ببلادكم الآن وتسالوني فيه أيضاً أن أنصب الأمير حصناً قنصلاً لفرنسة بيروت، فعنايتي بجميع الذين يقرون بالدين القويم في أية جهة كانوا من العالم لا تدع لكم محلاً للريب في عنايتي بكم خاصة، ولذلك شئت بطيبة خاطر أولي الأمير حصناً قنصلية بيروت مفصولة لهذه الغاية عن قنصلية صيدا، وقد كتبت في الوقت نفسه إلى سفيرتي بالقسطنطينية وإلى قناصل حلب وصيدا وطرابلس أن يذلوا العناية الفعالة بما يعود بالنفع على ملّتكم وكاثوليكي المشرق الآن وفي كل فرصة تسنح لذلك. وأخيراً أسأله تعالى أن يحفظكم أيها السيد الأجلّ بحراسته المقدّسة. دؤن بفرساي في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧م. والتوقيع لويس. وفي أسفل الصحيفة. كولبر.

وهذه ترجمة الرسالة التي بعث بها لويس الرابع عشر إلى سفيره بالآستانة.

« إلى السيد دي كاستنيار مستشار دواويني وسفيري غير العادي بالقسطنطينية »

إنّ السيد يوحنا مارماكون الكافير الماروني الموفد من قبل الأميرين ناصيف وحصن ومن قبل مطران نيقوسية رئيس الدين الكاثوليكي الروماني بغياب البطريك اسطفانوس قد رفع إليّ رسائل منهم يسألون بها حمايتي من الضيق الملمّ بهم بعد أنّ السيد الأعظم (السلطان) ولّى على بلادهم الأمير أبا موسى علم الدين عوضاً

(١) أين كان الدويهي حينئذ لا نعلم حقيقة. على اننا نعلم ان نكباته كانت كثيرة وغيابته عن كرسيه متواترة.

عن الأمير أحمد بن معن ، ويلمسون أن يعطى أحدهم الأمير حصن قنصلية بيروت ليتمكن من نشر العلم الفرنسي ونيل حقوق القنصلية والانعامات المختصة بقناصل الأمة الفرنسية ، ويحمد بذلك جدوة ماحاق بهم من الضيق . ولما كان عزمي أن أساعد بكل وسعي على راحة جميع المستنيرين بالانجيل المقدس في أي قطر كانوا من العالم ، فأنا مرسل إليكم كتابي لأبلغكم ارادتي ومرغوبي أن تستوعبوا ما يشرحه لكم معتمدكم المذكور لخير الدين الكاثوليكي ونفعه ، وأن تبدلوا بعد ذلك العناية باسمي لتتولوه كل ما يبتغيه من الأمور المعقولة ، وأخيراً أسأله تعالى أن يحفظكم بحراسته المقدسة أيها السيد دي كستنيار . كُتب في فرسايل في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧ م . والتوقيع لويس . وفي أسفل الصفحة كولبر .

وقد أصبح المركيز دي تورسي الوزير وكاتب سر المملكة الكافليير يوحنا مارماكون برسالة إلى السفير المذكور مرسلأ له أمر الملك وموصياً بالكافليير المذكور . وتاريخ رسالته ١٣ تموز سنة ١٦٩٧ م . وقد كتب الوزير دي تورسي المذكور أيضاً رسالة بأمر الملك إلى قناصل فرنسة بحلب وصيدا وطرابلس فحواها أن جلالة الملك أمره أن يكتب إليهم مبيتاً رغبة جلالاته بمساعدة الأميرين نصيف وحصن الخازن ومطران نقوسية نائب البطريرك بغيايه ، وأن يذلوا بكل فرصة عنايتهم الفعالة بالمذكورين ليشعروا بمفاعيل حماية جلالاته . وإنه جعل الأمير حصناً قنصلأ ببيروت منفصلة عن صيدا ، وإن مقصد جلالاته بذلك أن يخفف من جهة ثقل الضيق الملم بالمذكورين وأن يزيد من جهة أخرى عنايته برعاياه الذين يتجرون بالمدينة المذكورة وملحقاتها . وإنه كتب إليهم بطيبة خاطر توصاة بالكافليير يوحنا مارماكون معتمدكم لدى جلالاته . وتاريخ هذه الرسالة ٣ من تموز سنة ١٦٩٧ م .

وبعد وفاة الشيخ حصن قنصل فرنسة سمي ابنه الشيخ نوفل قنصلأ مكانه كما سترى في تاريخ القرن الثامن عشر .

وكان من أعيان طائفتنا في هذا القرن المشايخ آل حبيش فكان منهم الشيخ أبو ضاهر حبيش الذي أرسله الأمير يونس المعني إلى كسروان مع الشيخ أبي نادر الخازن سنة ١٦١٣ م ليعدا الأشجار في هذا العمل ويجيبا المال المفروض عليها . وكان منهم أيضاً الشيخ أبو فارس حبيش الذي قُتل في الواقعة التي كانت بين القيسية واليمينية في مرحاتا سنة ١٦٣٦ م كما في تاريخ هذه السنة .

وفي سنة ١٦٨٠م كتب الأمير أحمد المعني صكاً للشيخ طريه بن موسى حبيش وللشيخ أبي شديد سيف بن طالب حبيش يولييهما له على غزير ، فكانت اقطاعاً لآل حبيش .

عد ٥٧

أبو رزق البشعلاني وابنه يونس

كان من أعيان الموارنة في هذا القرن الشيخ أبو رزق البشعلاني ، وقد ذكره العلامة الدويهي لأول مرة في تاريخ سنة ١٦٤٣م ، ولم ينبئنا بأصله ولا نسبه بل قال في هذه السنة غزل محمد باشا الأرنؤوط عن ايالة طرابلس وتولاها حسن باشا ، وكان كأخيته الشيخ أبو رزق البشعلاني (نسبة إلى بشعلي في عمل البترون) . ثم قال في تاريخ سنة ١٦٤٩م غزل (ثانية) الأرنؤوط عن ايالة طرابلس وتولاها صهره عمر بك ، واسترد ابن الصهيوني وأبا رزق البشعلاني ونصب أخاه أبا صعب البشعلاني شيخاً على جبة بشري . ثم قال في تاريخ سنة ١٦٥١م غزل عمر باشا المذكور عن ايالة طرابلس وتولاها حسن باشا فأسلم أمورها إلى الشيخ أبي رزق البشعلاني ، إلى أن قال ثم تقوى عليهم (أي على أبي رزق وحلفائه) ابن الصهيوني وتسلم تدير أمور طرابلس ، وصادر أبا رزق وأتباعه . وقال في تاريخ سنة ١٦٥٣م قبض محمد باشا الأرنؤوط على الشيخ أبي رزق بحجة أن بعض آل حبيش قدموا إلى داره ومعهم جمعة بداعي زواج أحد أولادهم ، فنم بعض أهل الفساد إلى الباشا قدومهم إنما كان لمضرة له ، فأمر الباشا بالقبض على أبي رزق وأولاده وضيوفه وسجنهم بالقلعة مكبلين بالقيود ، وكان عددهم تسعين نفساً . ونهبوا داره واستباحوا ماله ، وبعد ذلك ورد الخبر بعزل الأناؤوط وتولية قرا حسن . فتوجه الأرنؤوط إلى حماه لجباية المال وأخذ أبا رزق والسجناء معه . ودعا أبا رزق للحساب عما دخل ليده من المال ، وادعى أن الباقي عليه اثنا عشر ألفاً ، وبلغ الوالي الجديد إلى حماه وأعاد الحساب بينهما فثبت أن الباقي على أبي رزق أربعة آلاف وخمس مئة قرش دفعها عنه ابن الصهيوني ، وخلي قرا حسن الوالي الجديد سبيله وسبيل السجناء . وأراد أن يعهد بتدير أموره إلى الشيخ أبي رزق ، ولكن وصل قبوجي من الباب العالي يطلب رأسه ، فأشار عليه الوالي وابن

الصهيوني لم يسلم فدية لنفسه ، فأذعن مكرهاً لرايها . وأعطوا القبوجي ألف قرش فعاد إلى الآستانة . ودخل أبو رزق طرابلس مع قرا حسن والتزم منه جبلة واللاذقية وأوصى قبل سفره إليهما أخاه أبا صعب أن يأخذ أولاده ويسير بهم إلى بلاد ابن معن ، فشق ذلك على الوالي ووجس أبو رزق من مضرته له فتزوج بامرأة موسى باشا ليبعد الوالي عن الظن برده . وفي سنة ١٦٥٤م صير بشير باشا نائب حلب وزيراً وسار قاصداً الآستانة ، وعند وصوله إلى أذنه قُدمت له الشكوى على أبي رزق أنه كان ميالاً إلى ابن معن ، وأرسل أولاده إليه مع أخيه أبي صعب وإن أخاه هذا كان مع ابن معن في وقعة وادي القرن المار ذكرها . فأمر بقتله فقتل في أوائل شهر آذار من السنة المذكورة . ذكرنا بعض هذه الأخبار في التاريخ العام وأعدنا ذكرها هنا لعزمنا أن نفصل من هذا التأليف تاريخ الموارنة في كتاب على حدة ، فكان لا بد من هذه الاعادة .

وأما الشيخ يونس ابن أبي رزق المذكور فقال في حقه الدويهي في تاريخ سنة ١٦٨٧م إنَّ حسين باشا والي طرابلس قبض على الشيخ يونس وأخوته عبد الله ورزق وأولاهم بسبب دعوى والدهم أبي رزق البشعلاني ، فاضطر يونس أن يطلب الاسلام لينجي عيالهم من القتل والاسلام . فهربوا جميعاً في ٢٩ ايلول ومعهم نحو عشرين نفساً إلى قاطع كسروان مستجيرين بالأمر أحمد معن والشيخ أبي قانصوه فياض الخازن ، فنجدهم ابنة حصن وأمنهم برجاله حتى حلوا بحكومة ابن معن سالمين ، وهناك جاهر يونس بصحة عقيدته . ثم قال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٩٧م قبض قبلان باشا والي طرابلس على الشيخ يونس بن أبي رزق البشعلاني وعرض عليه الاسلام فتمنّع فرفعه على الخازوق في ٢١ أيار من السنة المذكورة .

هذا ما رواه الدويهي ، ولكن أتخفنا دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان (مجلد ٢ صفحة ٢٦٣) بترجمة الشيخ يونس المذكور مسمى أياه أميراً فنلخص عنه ما يأتي قال:

« كان الأمير يونس من أسرة شريفة بلبنان ومن ذوي قربي حاكم الملة المارونية ، وله أملاك في سفح لبنان في ناحيتي طرابلس وجبيل لا يقل دخلها عن ألف ليرة ، وكان حسن الشكل زكي العقل محنكاً بالسياسة ، يحبه الجمهور ويثق

به وزراء الباب العالي . وقد استعمله كثيرون من ولاية سورية في أهم أعمال حكومتهم حتى كاد قدره يساوي قدر الولاية . على أنّ ثروته ومنزلته هيّجتا عليه حسد أقرانه . ومباشرة أعمال منصبه أورثته خصوماً له ائتمرا على اهلاكه ، وأسخطوا عليه قبلان باشا ابن المطرجي والي طرابلس وشكوه بجرائم كثيرة ، وتمحلوا لها دليلاً بزيادة ثروته ، فارتاح الباشا إلى سماع شكواهم وقبض على الأمير يونس وأخيه الأمير يوسف وزوجتيهما وأولادهما وكثيرين من أنسبائهما وأتباعهما ، وكانوا نحو خمسين شخصاً ألقوهم في السجن ، وهددوا الأمير يونس بالقتل والحاق جماعته به إلا أن يعجده الدين المسيحي ويسلم . فأظهر بادئ ذي بدء الشجاعة والثبات وازدري التهديد والوعيد على أنه لدى تبصره بحالة أسرته والخطر الذي يلم بها من جهة الدين إذا قُتل قبلهم عوّل على أن يتظاهر بالاسلام فيقي نفسه وذويه من التهلكة واشترط شرطاً صريحاً أن يسلم وحده وتبقى أسرته وذووه نصارى ، وأن يخلي سبيلهم أجمع . فقبل الباشا شرطه وأكتفى أن ينطق هو وحده بالشهادتين . وأباح ذويه حرية دينهم وأخرجهم من السجن . وقد قال يونس قبل مقتله إنه قام بضميره حيثئذ أنّ عمله هذا جائز بل مندوب إليه لينجي ذويه وينقذ بناته وبنات أخيه من الزواج برجال مسلمين .

وجامل الأمير يونس الباشا بعد ذلك أربعين يوماً ليخفي مقصده وأرسل سراً امرأته وأولاده وذوي قرباه إلى أعلى جبل كسروان . ولما تحقق أنهم أصبحوا آمنين فرّ هو من طرابلس وسار أولاً تَوّاً إلى بطريك الموارنة معترفاً بالضعف الذي استحوذ عليه وبأكيماً من جراء ائمه وصوّح بأنه ما انفك مسيحياً . وتلّي دستور ايمانه وتقبّل القانون الذي فُرض عليه وحلّه البطريك من ائمه . ورغبةً في أن يبرئ ساحته أمام الناس أيضاً جمع رؤوس التشكيات الواردة عليه وببينات الاكراه الذي أنزل به وأرسل ذلك إلى الآستانة مصحوباً بالحجج اللازمة للدفاع عن نفسه على يد أحد أصدقائه ، وعرض أمره في الديوان السلطاني . ولما كان من متعلقات الدين أمر جلالة السلطان أن يحال النظر بالدعوى إلى المفتي الأكبر بالآستانة ، وهذا بعد التحري بالدعوى حكم أنّ تظاهر الأمير يونس بالاسلام لا يعول عليه لصدوره عن اكراه . وأن لا يؤاخذ فيما بعد باسلامه . فأنّى الكثيرون على عدالة العثمانيين وانصافهم .

ولم تكن راحة لضمير الأمير يونس من جراء العثار الذي تسبب به بطرابلس فنزل إليها وجاهر أمام الباشا وديوانه بدينه المسيحي ، وطاف بالمدينة مصرحاً

بذلك ، فأغضى المسلمون على هذا الصنيع وغزل والي المدينة ونُصب غيره فدعا الأمير يونس وأقامه على برية طرابلس واستحصل له أمراً سامياً مثبتاً حكم المفتي السالف ذكره . ومبيحاً آياه وعائلته البقاء على دينهم المسيحي دون أن يزعمهم أحد . فاستمر الأمير يونس وذووه راتعين في بحبوحة الأمن والرخد خمس سنين مباشراً أعمال مأموريته بكل أمانة ونزاهة ، إلا أنه سنة ١٦٩٥م بُدِّل والي طرابلس ومات من كان له من الأصدقاء في الآستانة إذ انقلب الدهر عليهم ، فاغتنم أعداؤه هذه الفرصة ليهلكوه . فاتهموه بعدة جرائم وشكوه إلى والي الجديد وادَّعوا عليه أنه سب دينهم وقذف بالاسلام . فقبض عليه والي وغلله في السجن وما انفك مدة سنتين يقربه ويهدده ويتملقه ليكفر بدينه ، ووعده بأن يوليه أسمى المراتب ويرشحه إلى الخلافة بعده بحكومة طرابلس فلم تستمله كل هذه الوسائل إلى الاذعان للوالي ، بل كان يشكر الله على انزال هذا الاضطهاد به تكفيراً عن زلته السالفة . وحاول والي مرات أن يستميله فلم يكثرث بكلامه ، وأسمعه أخيراً ما أوغر صدره عليه ومزَّق ثوبه وحكم عليه أن يموت على الخازوق . وكان الولاة في تلك الأيام مسلمين على حياة الرعايا وموتهم ، وقبل تنفيذ الحكم عليه أرسل والي عدداً من أصحابه يغرونه بالرضوخ لمغربه فأبى ، ثم حملوه الخازوق وخرجوا به إلى تلّ قريب من المدينة والناس من أمامه وورائه بعضهم يقرّعه، بعضهم يحثه على ارضاء والي وهو أبكم أصمّ عن سماع كلامهم . وقبل رفعه عليّ العود أرسل والي يعده بالعفو عنه وعن ذويه ورد أملاكه إليه فلم يكن يجيب إلا أسلم نفسي بيد الله وهو يهتم بي وبذوي وأملاكي ، ولم ينفك دقيقة موته يسبح الرب ويشكره ويدعو باسمه ويلجأ إلى رحمته وإلى العذراء والقديسين ، ويكرر تلاوة قانون ايمانه إلى أن أسلم نفسه بيد الله في شهر أيار سنة ١٦٩٧م .

وبقيت جثته خمسة أيام على آلة عذابه وشرذمة من الجند تحرسها ، وشهد شهود عدل وبتوا شهادتهم باليمين أنهم رأوا اكليلاً من نور على رأسه ليلاً مدة بقائه على تلك الحال ، وشاهده الحراس فدهشوا وفترّوا . وأخيراً سأل بعض المسلمين والي أن يأمر بدفن جثته تفادياً من حصول ثورة من جرا ذلك ، فسمح والي لأحد اقربائه أن يُنزل جثته فأنزلها ووضعها أولاً في بئر قريبة من مقبرة الموارنة ثم نقلها سراً بعد يومين إلى مدفن خلف المنبر في كنيسة القديس يوحنا بطرابلس .

وبعد موت الأمير يونس اهتم بعض أصحابه أن يخرج الأمير يوسف أخاه من السجن الذي كان به ، فاسترضوا الباشا عنه وخرج وسار إلى أوروبا يسأل المحسنين ما يقوم به بأوده وأود عائلته وعائلة أخيه . قال دو لاروك قد رأيته بباريس مدة أشهر صابراً على مصابه مسلماً إلى مشيئة الله راضياً بأحكامه ، وقد أكرمه الملك وكتب إلى سفيره بالآستانة يوصيه به . ومثل ذلك كتب إلى قناصله ودون رسالة إلى بطريرك الموارنة يعزیه بهذه الفاجعة . ودفع إلي الأمير يوسف المذكور شرحاً وافياً في حياة أخيه وموته فأخذت عنه هذا المختصر وهو مطابق لما كتبه بطريرك الموارنة إلى الحبر الروماني وملك فرنسا بهذا الشأن مصادقاً عليه من أساقفة جبل لبنان . وللتقرير الذي كتبه قنصل فرنسا بطرابلس مصادقاً عليه من الرهبان الفرنسيين والاسبانيين في المدينة المذكورة . وروى هنري موندل الانكليزي في كتاب رحلته من حلب إلى أورشليم أنّ قنصل انكلترا صحبه للفرجة على قلعة طرابلس في ٨ أيار سنة ١٦٩٧م وكان يونس مسجوناً فيها لأنه أسلم ثم ارتد . ولأنه مات على الخازوق بعد يومين من سفر هذا الكاتب أي في ١٢ أو ١٣ أيار سنة ١٦٩٧م .

وهذه ترجمة المنشور الذي كتبه البطريرك اسطفانوس الدويهي موصياً بالشيخ يوسف المذكور .

« الحقيق اسطفانوس بطرس البطريرك الانطاكي »

السلام والبركة الرسولية لكل مطالع أو سامع وثيقتنا هذه

ليكن معلوماً أنّ ولدنا العزيز أبا يوسف رزق هو رجل ماروني كاثوليكي من رعيتنا ومن أعيان الملة المارونية ، وهو أخو الشيخ يونس الذي أكره على أن يبدي جحود الايمان بضمه لا بقلبه ليخلص نفسه وأولاده ، لكنه حالما ساعده الله على الفرار بعد نحو أربعين يوماً انسلّ ليلاً بأولاده إلى ناحية كسروان وهناك اعترف بإثمه ، وقبل طائعاً خاشعاً القانون المفروض عليه ، واهتم بعد ذلك فنال من جلالة السلطان الأعظم أمراً سامياً مسنداً إلى حكم القضاة بأنّ جحوده ايمانه مكرهاً لا يعتمد عليه ، وتظاهره بالاسلام باطل ولا صحة له . وبعد ذلك سار إلى طرابلس وجاهر علانية بدينه المسيحي مدة خمس سنوات ، وأضرر له الضغينة والحقد بعض

أصحاب الأمر بالمدينة المذكورة إلى أن تمكنوا من القائه بالسجن واماتته على الخازوق، وكان يجاهر في مدة هذا العذاب بجسارة وبسالة بالآيمان بيسوع المسيح، وقد قبض معه على أخيه يوسف رزق وألقي بالسجن أيضاً، وألجأه الحال إلى خسارة مبالغ وافرة من المال. وباعت الحكومة أملاكه وأثاثه حتى بيته نفسه، ولما لم يعد يستطيع أن يعيش ببلاده بحسب مقامه ولا أن يقوم بأود عائلته أي أولاده وأولاد أخيه يونس هم خمسة عشر شخصاً، وقد اضطر إلى استدانة مبالغ من المال لتقديم النفقة اللازمة لحياتهم وليس له ما يفي، وقد لجأوا إلينا مراراً سائلين أن نصحب بهذه الوثيقة يوسف المذكور أبا هؤلاء الصغار وعمهم فمأمولنا بغيره أصحاب عمل الخير ومحبتهم لجراح المخلص ووالدته الكلية الطهر أن تأخذهم الشفقة على المذكورين وأن يمدوا يد سخاهم إلى الشيخ يوسف المذكور وأولاده وأولاد أخيه ويكون لهم من لدنه تعالى الأجر العظيم والمجد والتسبيح لمن قال في إنجيله المقدس: «ما صنعتموه إلى أحد أخوتي هؤلاء الصغار فألّيٰ صنعتموه» ونسأله جلّ شأنه نحن وهم أن يجزيهم على إحسانهم مائة ضعف في هذه الحياة والحياة الأخرى الأبدية.

أعطي بكرسينا قنوين في اليوم الخامس من شهر تشرين سنة ١٦٩٩م. «وعدا توقيع البطريرك في أعلى هذه الوثيقة دُيِّلت بتوقيع يوسف الحصاراتي أسقف جبيل بحوقا ويوسف حبقوق أسقف البترون بقزحيا وجبرائيل الدويهي».

عد ٥٨

أعيان موارد آخرون

من أعيان الموارد أيضاً في هذا القرن الشيخ أبو كرم الحديدي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٥م. فقال إنّ مصطفى باشا والي طرابلس أقام على حكومة جبة بشري الشيخ أبا كرم يعقوب ابن الرئيس الياش الحديدي، وقال في تاريخ سنة ١٦٣٩م تولى طرابلس محمد باشا الأرناؤوط فأتى للسلام عليه أصحاب الاقطاعات ما عدا أصحاب آل سيفا وأبا كرم الحديدي. وفي سنة ١٦٤٠م في ١٦ نيسان أرسل والي طرابلس المار ذكره عسكرياً للقبض على الشيخ أبي كرم الحديدي

حاكم جبة بشري لأنه لم يحضر للسلام عليه، فقبض العسكر على ابن عمه سعد، وضيق على الأديار والقرى بحجة التفتيش عليه وعلى أولاده وأتباعه وضبط أملاكه، وعظم الضيق وكثر الخراب والسلب والنهب فلم يتحمل أبو كرم هذا التنكيل بأهل بلاده فانحدر إلى طرابلس طائعا مستسلما على يد القاضي، فأمر الوالي بأن يُلقى في السجن بالقلعة، ثم طوّفه على جمل بشوارع المدينة وفي قفاه مشاعل نار، وعرضوا عليه الاسلام فأبى إلا التشبث بدينه فمات مشنوقاً.

ومنهم أبو جبرائيل يوسف الاهدني وكان شريكاً للشيخ أبي كرم الحديثي وتوفي سنة ١٦٤١م بعد أن حكم جبة بشري عشر سنين، وخلفه بعد وفاته أخوه الشدياق أبو ذيب ابن الشماس جرجس الأهدني فقتله محمد العراك بقرية زغرta بدسياسة من بيت حماده المتأولة ومصطفى بك ابن الصهيوني مدبر ايلة طرابلس. وتولّى حكم جبة بشري بعده المقدم زين الصواف، وكان معه أبو عون بن الغمة من بكفيا.

ومن هؤلاء أيضاً أبو كرم بن بشاره، وقد ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٦م وقال إنّ حسن باشا لما استقر على ولاية ايلة طرابلس ولّى أبا كرم بن بشاره على جبة بشري، وأرى أنّ أبا كرم هذا هو جد آل كرم. وقد خلف أبا جبرائيل يوسف الأهدني وأخاه الشدياق أبا ديب جرجس المار ذكره في الولاية على جبة بشري، ولكن أمن عائلتهما كانا أم من عائلة أخرى لا أستطيع أن أحققه حتى الآن، ولكن مما لا ريب فيه أنّ العامة في اهدن تسمي آل كرم بيت أبي كرم إلى الآن.

ومن هؤلاء الكافليير يوحنا مارماكون الذي تقدّم ذكره، وكان موفد الشيخ حصن والشيخ ناصيف الخازن ومطران نيقوسية بقبرص إلى لويس الرابع عشر ملك فرنسا كما مرّ. ولكن من هو هذا يوحنا مارماكون؟ فالذي يتبادر إلى فهمي أنه الكافليير ناضر صفيّر الذي بنى هو وأخوه الخوري جرجس صفيّر دير القديس مارون بالرومية المعروف الآن بمدرسة الرومية نحو سنة ١٦٩٦م، إلا أن يكون مارماكون من موارنة قبرص لأنه موفد مطران نيقوسية أيضاً. وقد أثبت دي لاروك في كتابه المذكور صفحة ٣٠٨ براءة تسميته كافليير أي فارساً من جمعية الفرسان المنسويين إلى سيدة الكرمل، والقديس العازر حيث يقول فيليب دي كورسيليون ماركي دي

دانجو رئيس هذه الجمعية لرغبتنا في اجابة سؤال الكافير يوحنا مارماكون الماروني الموفد من جلالة الملك من قبل الأمراء ناصيف وحصن ومطران نيقوسية بقبرص ورئيس الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني بلبنان في مدة غياب البطريرك اسطفانوس أن نقله ونحصيله في عداد فرسان سيده الكرمل والقديس العازر بأورشليم. وبعد أن اتضح لنا أنه ثابت بالدين الكاثوليكي الرسولي الروماني وأنه حسن السيرة ، وإنّ الداعي لقدمه إلى فرنسة إنما هو ليتهل إلى جلالة الملك في أن يبدل عنايته لدى السلطان العثماني لينوّل نصارى بلاده الراحة والأمن. ولما كان الملك سماه كافليراً في مرسومه إلى ناصيف أمير الموارنة ، وفي مرسومه إلى سفيره بالآستانة ، وكان يهمننا أمر جبل لبنان والأرض المقدّسة حيث أنشأت جمعية فرسان القديس العازر، قد أحببنا سؤاله وقبلناه في جوقه هؤلاء الفرسان وأحصيناه في عديدهم ليكون له ما لهم من الشرف والحقوق والانعامات. وعليه أن يبرز يمين الأمانة المعتاد ، ويلزم أفراد هذه الجوقة في أي مقام كانوا أن يعرفوه كذلك. وبياناً لذلك قد وقّعنا على هذه الوثيقة بخط يدنا ومهرناه بمهر الجمعية. أعطي بباريس في ١٦ تموز سنة ١٦٩٧ م.

الفصل الثاني

بطاركة الموارنة في القرن السابع عشر

عد ٥٩

البطريرك يوحنا مخلوف

فرغنا من كلامنا على هؤلاء البطاركة في القرن السادس عشر بذكر وفاة البطريرك يوسف الرزي في شهر آب سنة ١٦٠٨ م. وبسبب القلق بالبلاد لم يتمكن الأساقفة من الاجتماع في اليوم التاسع بعد وفاته كالعادة لانتخاب خلف له ، فتأجل الانتخاب إلى أوائل شهر حزيران سنة ١٦٠٩ م فاجتمع حيثئذ الأساقفة

والأعيان واختاروا الأسقف يوحنا بن مخلوف من اهدن . وكان البطريرك يوسف الرزي قد رقه إلى الأسقفية سنة ١٦٠٣م ليكون معاوناً له في تدبير أمور دير قنوين . وبعد انتخابه بطريركاً سَير إلى روما القس جرجس بن مارون والقس الياس ابن الحاج يوحنا من اهدن والشماس يوسف من كرم سدة ليأتوه بالتثبيت من البابا بولس الخامس . وعند مرورهم بقبرص أخذوا معهم القس كسبر الماروني تلميذ مدرسة روما ، وكان مشهوراً بالعلم والبرارة فنالوا من لدن الحبر الأعظم الاعزاز والتكريم ودرع الرئاسة للبطريرك وعاد المذكورون إلى لبنان في ١٠ آذار سنة ١٦١٠م . وقال بياجوس ترسي (في كتابه سورية المقدسة صفحة ٥٣) في حق هذا البطريرك : « قد تَلَأَّت به أنوار الفضائل فتسامى بها حتى لُقِّب بالقديس . وأثار الكنيسة الشرقية بعلمه وعزاها بغيرته . وكان له لدى الأحرار الأعظمين أعلى مرتبة فأثقفوه بهدايا نفيسة ونولوه نعماً مشرفة موازية لفضله واستياله » . ففي سنة ١٦١٢م أرسل إليه البابا بولس الخامس في تاريخ ٢٢ تشرين الثاني رسالة يفوض إليه بها أن يمنح البركة الباباوية لجميع الموارنة رجالاً ونساءً ، ومن حضر منح هذه البركة وكان معترفاً ومتداولاً يربح غفراناً كاملاً . وترى ترجمة هذه الرسالة مثبتة في ذيل الجمع اللبناني صفحة ٢٧ .

ولما ارتقى البابا غريغوريوس الخامس عشر إلى كرسي الحبرية العظمى أرسل البطريرك يوحنا يهنئه بارتقائه ويطلب منه البركة له ولشعبه ، وأن يتكّرم على الطائفة بطبع كتاب الشحيم كما كان سالفه قد أمر بذلك . فورد له الجواب في تاريخ ١ تموز سنة ١٦٢٢م صحبة قاصده الأب ليونردوس من رهبان القديس فرنسيس إنه صار الشروع في طبع الشحيم ، وثبت له الغفران الذين كان البابا بولس الخامس قد أنعم بها على من يزورون كنيسة قنوين الكرسي البطريركي في عيد بشارة العذراء وعيد انتقالها ، وعيد الرسولين بطرس وبولس ليربحوا غفراناً كاملاً إذا كانوا معترفين ومغتذلين بالقربان الأقدس . ومنح زوار كنيسة قنوين الغفران التي يربحونها لو زاروا كنيسة زعيم الرسل بروما أو غيرها من الكنائس القائمة داخل أسوار رومة . وترجمة هذه الرسالة تراها مثبتة في ذيل الجمع اللبناني صفحة ٢٣ . وفي السنة المذكورة كان قحط في البلاد فأمر البطريرك بنصب كرم درغاتا مفلح نحو عشرة فدادين وأشغل به عملة كثيرين ، فكانوا يأكلون نهاراً على نفقة الكرسي ويأخذون مساءً الزاد لعيالهم .

وفي سنة ١٦٢٤ جعل دير حوقا مدرسة ابتدائية يتعلّم بها الشبان العلوم الاكليريكية ، ومن نبغ منهم أرسله إلى مدرسة الطائفة بروما . وأرسل الخوري يوحنا ابن قرياقوس الحصري من بيت صندوق (هو الذي صار بعداً أسقفاً وكان مع الصهيوني بياريس) إلى البابا أوربانوس الثامن يهنئه بتسليمه الكرسي الرسولي ويخبره بجعله دير حوقا مدرسة ملّته في المشرق ، وأرسل حينئذ اثني عشر طالباً لمدرسة روما ، فشرّ البابا بكتابة البطريك وعيّن مبلغاً سنوياً لمدرسة حوقا ودوّن لها دستوراً للعمل به فيها . وفي السنة التابعة أي سنة ١٦٢٥م بعث إلى البطريك تاجاً ثميناً وغفرات نفيسة وكتباً وحللاً ورسالة مشرفة افتتحها بقوله : « لم يذبل البتّة جمال الكرمل ولم يذو مجد لبنان » وقد استشهدنا بفقرات منها مرات في كتبنا بياناً لثبوت الموارنة كل حين على الايمان الكاثوليكي . وتراها مترجمة برمتها في الفصل ١٨ من رد التهم الملحق بتاريخ الدويهي صفحة ٤٥٤ .

وكان هذا البطريك في أوائل بطريركته قد اضطر من قبل المظالم الجارية في جبة بشري ومضادة الشدياق خاطر الحصري له أن يتوجه إلى ناحية الشوف ليكون تحت حماية الأمير فخر الدين المعني ، والتقليد المحفوظ في جبة بشري والذي رواه الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٠٩م أنّ البطريك بينما كان سائراً في أرض بريسات لإحدى قرى الجبة طعن بالحرم الشدياق خاطر لأنه تسبب بخروجه من وطنه . ويقولون إنّ الحاضرين ارتجفوا من الحرم وسألوا البطريك أن يرفعه عن المقدم خاطر ، ولمعرفة البطريك بسذاجتهم قال رفعته عنه وحولته إلى هذه الصخرة . فانشقّت الصخرة . وإلى الآن ترى صخرة فوق الحدث مشققة تسميها العامة الصخرة المحرومة ، ويروون عنها هذه الرواية . وعندما دخل البطريك على الأمير فخر الدين أحسن استقباله وبالح في اكرامه ، وكان ابنه الأمير علي قد اشترى قرية مجدل المعوش بالعرقوب الشمالي من سكانها المسلمين وأسكن فيها جماعة من النصاري ، فحل البطريك في هذه القرية وبنى فيها داراً وكنيسة وهي المعروفة الآن بكنيسة السيدة بالقرية المذكورة . وقد زرتها مرات لأنها باقية إلى اليوم ، وبنائها أشبه ببناء كنيسة القديسة مورا التي بناها هذا البطريك أيضاً بكفر زينا في آخر حياته سنة ١٦٣٢م ، إلى أن سار الشدياق خاطر الحصري وغيره من أعيان البلاد إليه إلى مجدل معوش وأرجعوه إلى كرسيه بقنوين . وهذا البطريك هو الذي رقى اسحق الشدراوي الآتي ذكره إلى أسقفية طرابلس سنة ١٦٢٩م . ولهذا الأسقف

قصيدتان بالسرانية . الأولى في مدح البابا أوربانوس الثامن . والثانية في مدح هذا البطريك . وكلتاهما مثبتتان في كتاب سرياني بمكتبة مجمع نشر الايمان المقدس . وفي أيام هذا البطريك واجابة لالتماسه طُبع بروما كتاب فرضنا الكبير المعروف بالشحيم ، بعد الفحص الدقيق والتروي به من علماء شهرين منهم الكردينال بلرمينوس كما سترى .

وفي ١٥ من كانون الأول سنة ١٦٣٣م كان انتقال هذا البطريك من دار الشقاء إلى دار البقاء المؤبد لينال جزاء جهاده ومبراته ، وكان ذلك في قرية كفرزينا موطني بزاية طرابلس ، وحُمل ليلاً إلى دير قنوين فُدفن فيه . وقال الدويهي في حقه ، كان لئن العريكة منخفص الجانب ، كريم الأخلاق محب السلامة ، كثير الصدقات . اتخذ سيرة النسك بدير قزحيا ، ولما تسامى بفوائله وشديد غيرته على خلاص النفوس رقاہ البطريك يوسف الرزي أسقفاً معاوناً له بدير قنوين . وأنشأ لهذا الدير عقارات كثيرة في جبة بشري وزاوية طرابلس . ولما توفي البطريك يوسف الرزي خلفه في بطريكية انطاكية على الموارنة . انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي والمشرق المسيحي للكويان في سلسلة بطاركة الموارنة وغيرهما .

عد ٦٠

البطريك جرجس عميره

ذكر الدويهي بعض ترجمته في الفصل الثامن عشر من رد التهم فقال: كان البطريك المذكور من: «أنسبائنا ، وذهب به خاله القس يعقوب الدويهي إلى روما سنة ١٥٨٤م لاقتباس العلوم في مدرسة الموارنة الحديثة النشأة حينئذ . وبعد أن أتقن العلوم العقلية والنقلية والإلهية ، نشر باللاتينية كتاباً في نحو اللغة السريانية طُبع بروما سنة ١٦٩٦م وعلّق عليه فاتحة تشهد له بطول الباع وغزارة الاطلاع أبان فيها قدم اللغة السريانية وسموّها على غيرها وفائدتها ، حتى قال إنها اللغة الأولى للناس وأمّ لغة العبرانية . ولكن انتقد فالتون في مقدمات البوليكولوتا (الكتاب المقدس بعدة لغات) الانكليزية بعض أدلة عميره ، ثم اختصر بطرس المطوشي القبرصي الماروني

كتاب عميرة هذا وكذلك صنع جبرائيل عواد الحصري، فأشهرها كتابين في نحو اللغة السريانية موجزين عن كتب عميرة وكان كتاباهما محفوظين بمكتبة مدرسة الموارد بروما ومكتبة نشر الايمان المقدس .

وعاد عميرة إلى لبنان سنة ١٥٩٥م واشتهر في السنة التابعة بعلمه وفقاهته في المجمع الطائفي الذي عقده تلك السنة البطريرك سركيس الرزي بأمر البابا اكليمندوس الثامن لتبرئة الموارد من بعض الأغلاط المعزوة إليهم بسبب بعض عبارات في كتبهم كما مرّ. ولما توفي البطريرك سركيس الرزي بعيد هذا المجمع وخلفه ابن أخيه يوسف الرزي رقي عميره إلى الأسقفية على اهدن فتفانى بجهاده وتعليمه وظهر ما كان عليه من ذكاء العقل ورسوخ الورع واتقاد الغيرة على نشر الفضيلة والدين القويم .

ولما توفي البطريرك يوحنا مخلوف في سنة ١٦٣٣م أجمع الأساقفة على انتخاب المطران جرجس عميره أسقف اهدن بطريكاً في ٢٧ كانون الأول سنة ١٦٣٣م، فأرسل إلى روما الخوري ميخائيل بن سعادة بن أنطون بن شمعون بن فهد الحصري ليستمد له التثبيت ودرع الرئاسة من البابا أوربانوس الثامن فثبته سنة ١٦٣٥م . وفي أيام هذا البطريرك أنشئت مدرسة للموارد بمدينة رافنا بإيطاليا من تركة الخوري نصر الله شلق العاقوري . وسيأتي ذكرها في ترجمة الخوري نصر الله المذكور . وفي أيامه أيضاً تشكى أهل بقسميا الذين كانوا من الملكية غير المتحدين على القس يوحنا بن بهينا الأجبعي رئيس دير القديس مارون بكفرحي إلى ابن سيفاً، فقبض عليه وأهانته وسامه ما هو فوق طاقته فترك الدير فخرّب إلى أن جدد بناءه البطريرك يوسف اسطفان كما سيجي . وفي سنة ١٦٣٨م لما قدم السلطان مراد إلى حلب أنعم على الموارد وبتطريكتهم ببراءة أثنى فيها على ولائهم للدولة العلية وشدة تعلقهم بالأريكة السلطانية .

وفي التاسع والعشرين من تموز سنة ١٦٤٤م أنشبت المنية أظفارها بالبطريرك جرجس عميرة بعد أن استمر على الكرسي البطريركي عشر سنين وسبعة أشهر . ودُفن بقنوين في جانب كنيسة القديسة مارينا ، وله كتاب هندسة الأبنية اقترحه عليه الأمير فخر الدين المعني .

قال دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان في ترجمة فرنسيس كالوب

دي شاستول الفرنسي الذي نسك بلبنان وسيأتي ذكره . إنّ بعض الموارنة سألوا فرنسيس الناسك المذكور أن يصير بطريكاً عليهم بعد وفاة البطريرك جرجس عميرة فأبى كل الابهاء وأشار عليهم أن ينتخبوا بطريكاً الياس مطران اهدن الذي كان مرشده الروحي ، وأشار عليه أن يقبل البطريركية ، فانتخبوه ، وبعد ستة أشهر مات الناسك المذكور في ١٥ أيار سنة ١٦٤٤م كما يظهر من الكتابة المنقوشة على ضريحه . على أنّ هذه الرواية غير صحيحة ويخالفها كل ما ورد في تواريخ ملّتنا المجمعّة على أنّ البطريرك يوسف العاقوري خلف البطريرك جرجس عميره دون متوسط بينهما . ولذلك قال لكويان بعد ايراده الرواية المذكورة فليتبصّر اللبيب كيف تتفق هذه الرواية مع ما رواه الدويهي أنّ جرجس عميره خلفه البطريرك يوسف العاقوري ابن المطران بطرس العاقوري المعروف بابن حليب في ١٥ آب من سنة ١٦٤٤م ، ومع ما رواه السمعاني في المجلد الأول من المكتبة الشرقية صفحة ٥٥٢ حيث قال مات جرجس عميره في ٢٩ تموز سنة ١٦٤٤م وفي هذا اليوم نفسه توفي البابا أوربانوس الثامن . وقال في الصفحة التالية إنّ يوسف العاقوري خلف جرجس عميره في ١٥ آب سنة ١٦٤٤م فليزّ القارئ أي القولين أولى بالاتباع . انتهى كلام لكويان . فنحن نرى أنّ رواية دي لاروك هذه غير صحيحة ولا سيما أنه لا ريب في أنّ الناسك المذكور توفي في ١٥ أيار سنة ١٦٤٤م والبطريرك جرجس عميره توفي بعده في ٢٩ تموز سنة ١٦٤٤م . انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي وعن المشرق المسيحي للكويان وعن المكتبة الشرقية للسمعاني .

عد ٦١

البطريرك يوسف العاقوري

هو ابن المطران بطرس بن حليب ابن الخوري سابا العاقوري . وكان المطران بطرس متزوجاً قبل ارتقائه إلى الدرجات المقدّسة ثم توفيت امرأته فراقه البطريرك يوسف الرزي سنة ١٦٠١م في عشرين من تشرين الثاني إلى الأسقفية خلفاً لموسى أسقف العاقورة . وتوفي المطران بطرس سنة ١٦٠٦م في العبادية بالمتن ودُفن ببירות كما مرّ . وكان له من الأولاد يوسف هذا الذي تزوج أيضاً قبل ارتقائه إلى الدرجات المقدّسة . ونعلم أنه كانت له بنت تزوجت بدمشق كما سيأتي . ثم

ارتقى يوسف إلى درجة الكهنوت، ثم رقاہ البطريرك يوحنا مخلوف إلى أسقفية صيدا سنة ١٦٣٦م، فأقام في الأسقفية ثماني عشرة سنة دائباً على فلاحه كرم الرب متفانياً في الأعمال الخيرية والمبرات. وفي سنة ١٦٤٣م اشترى من آل حبيش أرضاً في حراش بنى فيها كنيسة وديراً للراهبات كما سيأتي.

ولما توفي البطريرك جرجس عميره في ٢٩ تموز سنة ١٦٤٤م اجتمع الأساقفة والأعيان في ١٥ آب من السنة المذكورة فانتخبوه بطريركاً. ويظهر أنه أرسل في هذه السنة المطران اسحق الشدراوي مطران طرابلس يستمد له درع الرئاسة من الحبر الروماني فأعاقه مرض أو غيره عن الوصول إلى روما، وهذا بين من الفاتحة التي علقها القس عبد المسيح الحدثي الآتي ذكره على كتاب الشحيمة (الفرض) المطبوع بروما حيث يذكر وفاة البطريرك جرجس عميره سنة ١٦٤٤م وانتخاب المطران يوسف العاقوري بطريركاً في ١٥ آب عيد انتقال العذراء من السنة المذكورة. ويقول ما خلاصته: «إنَّ البطريرك الجديد استشار أساقفته وأعيان طائفته في ارسال المطران اسحق الشدراوي عملاً بعادة طائفنا إلى روما ليؤدي الطاعة نيابةً عنه للبابا اينوشنسيوس العاشر وما صار في ذلك نصيب (أما لأنَّ المطران المذكور تعذر عن السفر حينئذٍ أو مرض في الطريق لأنه توجه بعداً إلى روما سنة ١٦٤٧م كما يظهر من هذه الفاتحة أيضاً). فلما جئت أنا الحقيق (القس عبد المسيح بن الياس بن الطويل من قرية الحدث تلميذ مدرسة الموارنة بروما وخوري أقاربي بعين ابل) أقبل اقدام سيدنا البطريرك أمرني أن أتوجه إلى روما نيابةً عنه وأطلب التثبيت له وأقضي بعض حاجات الطائفة، وطلبت منه رفيقاً فرفقني بالشدياق مرقس راهب من رهبان مار شليطا. فوصلنا إلى روما في ٢ من تموز سنة ١٦٤٥م فقبلنا الحبر الروماني بالاعزاز وأنعم على البطريرك بدرع الرئاسة والتثبيت وأمر بطبع الشحيم مختصراً (وهو كتاب الفرض الاسبوعي المعروف بالشحيمة) وطبع غرامطيق سيدنا البطريرك يوسف الذي أرسله معنا وأخذنا بطبع ذلك بعنايته، ولكن وجدنا في الشحيمة بعض أغلاط فأصلحناها نحن وحضرة سيدنا المطران اسحق لأنه لحقنا عند آخر طبع صلوة الصبح يوم السبت. وأضفنا إلى ذلك ما يحتاجه الكاهن في ممارسة خدمته إلَّا رتبة الصلاة على العرسان فلم نجد لها نسخة بروما. وتم ذلك في ٣٠ من شهر آذار سنة ١٦٤٧م». ونظن أنَّ هذه الشحيمة هي المعروفة باليوسفية نسبةً إلى البطريرك يوسف هذا.

وأما الغرامطيق الذي ألفه هذا البطريك فقد كمل طبعه بروما بمطبعة مجمع نشر الايمان سنة ١٦٤٥ م . ولهذا البطريك أشعار كثيرة بلغة العامة أكثرها في الموارنة والملكية . وقد ذكرنا فقرة منها في تاريخ القرن السابع عند ذكر وقعة أميون بين الموارنة ومريق ومريقان قائدي عسكر يوستنيانوس الأخرم . وبعد فراغه من أخبار هذه الوقعة ، أخذ يفتد بعض أغلاط الملكية ويندد بهم لعدم اتباعهم الحساب الذي أصلحه البابا غريغوريوس الثالث عشر . وأول من اتبعه في المشرق البطريك يوسف الرزي وطائفته المارونية سنة ١٦٠٦ م كما مر .

وقد رقي هذا البطريك في بداية رئاسته إلى الأسقفية المطران يوسف بن عيمة الكرمسدي والمطران ميخائيل بن سعادة الحصريوني سفير سالفه إلى الخبر الروماني وجعلهما معاونين له في شؤون الكرسي البطريكي . وعزا إليه بياجيوس ترسي في كتابه الموسوم بسورية المقدسة صفحة ٥٣ مقالة شعرية في رئاسة الخبر الروماني . وتوفي في ٢٣ من شهر تشرين الثاني (كذا في نسخة لكويان وفي النسخة التي بيدنا في ٣ منه) سنة ١٦٤٨ م فلم يبق في البطريكية إلا ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، ودُفن بقرية العاقورة في كنيسة القديس بطرس المنقورة في الصخر . وقال الدويهي في حقه : كان شجاعاً ورعاً محباً للعلماء غيوراً في أمور الدين راغباً في انشاء الكنائس . وقاسى مشنقات كبرى من جراء أعمال صهره زوج بنته المدعو قرقماز لأنه جحد الايمان في دمشق فناصبه الموارنة بدمشق فتحملوا بسببه خسائر جمة ، واضطروا إلى المهجرة والتشتت . انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي والمشرق المسيحي للكويان ، والمجلد الأول من المكتبة الشرقية للسمعاني صفحة ٥٥٣ وعقد هذا البطريك مجمعاً طائفيّاً بدير حراش سنلخص ما كان فيه في آخر هذا الملحق .

عد ٦٢

البطريكيان يوحنا الصفراوي وجرجس السبعلي

أما يوحنا الصفراوي فروى الدويهي أنه كان من بيت البواب من قرية الصفرا في فتوح كسروان . ولم نعلم حتى الآن أين تعلّم ولا متى صير كاهناً . ويظهر أنّ البطريك جرجس عميره رقه إلى الأسقفية سنة ١٦٣٦ م . وفي اليوم التاسع بعد

ذفن البطريك يوسف العاقوري اجتمع الأساقفة والأعيان بدير قنوين سنة ١٦٤٨م في أواخر تشرين الثاني وأوائل كانون الأول واختاروه بطريكاً وأقاموه موضعه، وأرسل إلى روما الخوري ميخائيل بن صابونه الحصري فثبته البابا اينوشنسيوس العاشر سنة ١٦٤٩م. وفي أيام هذا البطريك أصدر لويس الرابع عشر ملك فرنسا براءة جدد فيها الحماية لبطريك الموارنة وأساقفته واكليروسه وشعبه. وهذه ترجمة البراءة المذكورة عن الفرنسية.

« لويس بنعمة الله ملك فرنسا وناظرًا »

سلام لكل مطلع على خطنا هذا، فليكن معلوماً عند كل واقف على براءتنا هذه أننا بعد استشارة الملكة النائية عنا في الملك السيدة والدتنا المحترمة قد أخذنا ووضعنا ونأخذ ونضع تحت حمايتنا الخاصة السيد الكلي الاحترام بطريك الموارنة وجميع أساقفته واكليروسه وعامة شعبه الساكنين خاصةً بلبنان. ونؤد أن يشعروا بمفاعيل حمايتنا ومساعدتنا ولذلك نرغب إلى السيد دي لاهيونتلي أحد أعضاء مجلس الشورى في مملكتنا، وسفيرنا إلى المشرق وإلى جميع من يخلفونه في مقامه أن يمدوهم بعنايتهم بهم اجمالاً وأفراداً ويذلوا لهم الحماية لدى أعتاب صديقنا الأكمل السلطان الأعظم، وفي أي محل آخر كان لدي الحاجة إلى الحماية كيلا تجري عليهم معاملة سيئة وغير مشروعة، بل يتيسر لهم قضاء أعمالهم والتصرف بمقتضيات مراتبهم الروحية بتمام الحرية، ونأمر قناصل الأمة الفرنسية ونواب قناصلها المنصوبين في فرض المشرق وغيرها من الأماكن المشترع بها العلم الفرنسي الآن، وفي ما يأتي من الزمان أن يساعدوا بكل وسعهم البطريك المشار إليه وجميع الموارنة سكان جبل لبنان، وأن يسيروا في المراكب الفرنسية أو غيرها كل ماروني أراد السفر إلى بلاد النصارى، اما لدرس العلوم واما لغير ذلك، ولا يكلفوهم إلا ما يمكنهم دفعه، ويعاملوهم بالحبّة والرقّة. ونسأل السادة العظام عمال الحضرة العلية السلطانية ومستخدميها أن يذلوا رعايتهم ومساعدتهم لحضرة رئيس أساقفة طرابلس وجميع الاكليروس والشعب الماروني، ونعدهم من قبلنا أننا نصنع هذا الصنيع إلى كل رجل من أمتهم يوصون عمالنا به.

أُعطي في سن جهان بمدينة لاي في ٢٨ نيسان سنة ١٦٤٩م وهي السادسة للملكنا .

والبطريك يوحنا هذا هو الذي رقى إلى درجة الكهنوت ثم الأسقفية على السريان اندراوس أخيه خان بعد أن كان جحد اليعقوبية على يد البطريك يوسف العاقوري . ودرس العلوم بمدرسة طائفنا في روما كما مرّ في ترجمته وفي الثالث والعشرين من كانون الأول سنة ١٦٥٦م انتقل البطريك يوحنا إلى راحة الأبرار الأبدية لينال ثواب جهاده ومبراته ، وكان انتقاله بدير قنوين ، ودُفن هناك . وقد وصفه الدويهي بأنه كان طاهراً قنوعاً رضي الأخلاق بعيداً عن الكدر والمكر تربي منذ حدثه بالتقوى والنسك وحاز على أعلى مراتب الورع والاتضاع ، وكان مدمناً على الصلوات وتلاوة المسبحة وغيرها من النوافل زيادةً على صلوات الفرض ، كثير الصوم والتقشف في مدة كهنوته ولا سيما في مدة أسقفيته التي كانت اثنتي عشرة سنة ، وفي مدة بطريركيته التي كانت ثمانين سنين ونيف .

أما البطريك جرجس السبعلي فقال فيه الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٧م إنه كان ابن الحاج رزق الله من سبعل بزاوية طرابلس (وهي الآن قرية حقيرة) وكان البطريك الصفراوي قد رقاها إلى الأسقفية في ٢٥ من تموز سنة ١٦٥٦م ليكون معاوناً له في تدبير شؤون البطريركية . ولما توفي هذا البطريك في ٢٣ من كانون الأول من السنة المذكورة اجتمع الأساقفة والأعيان في اليوم التاسع بعد وفاته أي في أول كانون الثاني سنة ١٦٥٧م فانتخبوه بطريكاً ، وأرسل الأب يوحنا الكرملّي الذي كان قاطناً بدير القديس اليشاع في جانب بشري إلى روما وأصبحه بعرائض أداء الطاعة واستمداد التثبيت من الحبر الروماني البابا اسكندر السابع فاتفق أن مات الأب المذكور لدن بلوغه إلى روما فاضطر البطريك أن يجدد الالتماس ، وتأخر تثبيته إلى سنة ١٦٥٩م . وقال في حقه دي لاروك في كتاب رحلته المذكور (صفحة ١٣١) إنه كان ضليعاً باللغات الشرقية ومبرزاً في معرفة الشرائع والقوانين البيعية ، وفي أيام هذا البطريك قدم من فرنسة أربعة رجال قاصدين العزلة عن العالم للتجرد لخدمة الله في محابس جبل لبنان فاختر بعضهم السكنى بدير مار اسيا بكفر صارون ، وبعضهم بدير مار ابون بأرض الحدث ، وبعضهم بدير القديس انطونيوس في جوار قنوين . فأمر البطريك بمزعة الأديار المذكورة واصلاحها للسكن ، وأن يعطوا الزاد من دير الكرسي البطريكي . وفي ١٢ من شهر نيسان

سنة ١٦٧٠م كانت وفاة البطريرك جرجس بدير مار شليطا مقبس بكسروان ودُفن هناك وضريحه ظاهر إلى الآن . وقال الدويهي في حقه إنه كان شجاعاً كريم الأخلاق ، صبوراً تحمّل كثيراً من جور الحكام في تلك الأيام ومن داء السلّ الذي بُلي به واستمر على الكرسي البطريركي ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر . انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي والمشرق المسيحي للكويان .

عد ٦٣

العلامة البطريرك اسطفانوس الدويهي

نعمد في ترجمة هذا العلامة على ما كتبه عن نفسه في رسالة أنفذه إلى القس بطرس مبارك أحد تلاميذ مدرسة الموارنة بروما ، فهذا أرسل كتاباً للبطريرك يسأله به أن يلخص له ترجمته ليثبتها في مقدمة كتاب كان يريد طبعه ، فأجابه البطريرك برسالته المذكورة التي وُجدت في خزانة أوراق الكرسي البطريركي . وإليك نص هذه الرسالة بحروفها:

« البركة والنعمة وحلول الروح القدس تكون حالة على ولدنا القس بطرس المكرم الخ . أشرت لنا حتى نكتب لك عن سيرتنا لتقتطف منه الذي يحسن برأيك وتجعله في مدخل الكتاب على جاري العادة بين الافرنج في طبع الكتب . يا ولدنا نحن نقرّ أننا أخطأ الناس وأرذلهم بالنسبة إلى النعمة التي تفضل بها الله علينا ، لكن لأجل خاطرك نذكر لك إننا من طائفة الدويهيّة المشهورة بين جماعتنا (الموارنة) في التقوى والعلم وسياسة الشعب ، قد خرج منها في الجيلين الماضيين ثمانية مطارين وبطركين وكان مولدنا سنة ١٦٣٠م) في ٢ شهر آب نهار تذكّار ما اسطفانوس ، وسمينا على اسمه ومنذ الصبا سلمونا والدينا إلى القراءة السريانية . وفي سنة ١٦٤١م) أرسلنا المرحوم البطريرك جرجس بن عميره التي أمه كانت من الطائفة (الدويهيّة) إلى روما بصحبة القس سمعان (التولاوي) ويوسف فتيان (الحصري) . وفي مقامنا في المدرسة سعيّا في اقامة الجمع (جمعية أو أخوية) باسم السيدة الطاهرة وكانت قبلنا انقطعت المجادلات (أي المباحث العامة الحافلة) فعملنا جهداً كليّاً عند معلمي المدارس وعند الجنرال

حتى جددنا العادة التي انقطعت ، وعملنا مجادلة الفلسفة على اسم الكردينال كابون ، 'وتمام علم اللاهوت على اسم المرحوم البطريرك حنا الصفرأوي . سنة ١٦٥٥م كانت عودتنا إلى البلاد وكرم علينا مجمع انتشار الايمان أن نكون من جملة المرسلين وفي ترددنا في البلاد اعتنينا على علم الأولاد وعلى الوعظ وتهذيب الشعب بدرجة الكهنوت . وعندما طلبوا جماعتنا (الموارنة) الحلبية من المرحوم بطريرك جرجس (السبعلي) أن نركز عليهم ثبتنا عندهم نركز عليهم ونعلم أولادهم ونتعاطى في أمورهم مدة ست سنين وعندما في سنة ١٦٦٨م توجهنا من عندهم إلى زيارة المواضع المقدسة في العودة مسكننا البطريرك المرحوم وقدمنا إلى درجة المطرانية على أسقفية قبرص فزرناهم وتعبنا فيهم جهدا . وفي السنة الثانية عندما انتقل البطريرك جرجس ابن الحاج رزق الله إلى رحمة خالقه ألزونا رؤساء الكهنة ورؤساء الشعب في درجة البطريركية . وفي كل هذه المدة احتملنا مشقات واضطهاد لا يوصف من جور العصاة . حتى أننا طفرنا إلى بلاد كسروان وإلى بلاد الشوف ، ولأجل هذه الديورة والكنائس والنصارى التزمنا نرجع لأجل حفظهم ، ولأن كانوا شددوا والله الحمد قائمين بحملتنا وفي عمار الكرسي والطائفة . وفي كل هذه المدة تعبنا تعباً بليغاً حتى جمعنا غالب رتبها كما هو (هنا كلمة غير مقروءة) .

١ **ܕܠܗܐ ܕܡܚܝܝܬܗܐ** (كتاب الشرطونية وأظن أن المراد جمعه هذا الكتاب وترتيبه) ٢ **ܕܝܘܢܐ** (قبل هذه الكلمة كلمة مخزوقة فكأنها نظام أو قانون الرهبان) ٣ **ܕܡܚܝܬܗܐ ܕܡܚܝܬܗܐ** (رسم البيعة وأثاثها) **ܕܡܚܝܬܗܐ ܕܡܚܝܬܗܐ** (أي كتاب الصلوات) وبعثناه إلى روما . ٥ كتاب النوافير (وهو غير كتاب منارة الأقداس الذي عدّد به النوافير بل كتاب برأسه عدد فيه النوافير وعني بترجمة مؤلفيها وذكر صورة كلام التقديس في كل منها ، وضّم إليه نافور رسم الكأس . وهذا الكتاب كان في دير مار شليطا مقبس فثقل حديثاً إلى مكتبة البطريركية) ٦ **ܕܐܪܐ ܕܡܚܝܬܗܐ** (أسرار البيعة) ٧ **ܕܡܚܝܬܗܐ ܕܡܚܝܬܗܐ** (أعياد) كل السنة (وهو كتاب جمع فيه رتب الموارنة على مدار السنة بالسريانية عدد صفحاته ٣٧٩ كرتبة تبريك الماء يوم عيد الغطاس ، ورتبة أحد الشعانين وغيرها . وهذا الكتاب الآن في مكتبة البطريركية منقولاً إليها من مكتبة مار شليطا) ٨ سجلات الباباوية ومكاتيب البطارقة وأرباب الدولة وحجج وقوفات الدير ومن غير (وما عدا) الكتب البيعية

التي جمعناها . وذكرنا إننا عاملون متعيين على كتاب الجنازة وغيره ، ثم إننا شرحنا عن كتاب الشرطونية . وفي كتاب آخر عن تكريس البيعة وأوانيتها . وفي كتاب آخر عن تفسير القداس والمناثر ، وأيضاً في قصص الآباء أصحاب النوافير المقبولة وأيضاً عن سلسلة بطاركة الملة المارونية ، وأيضاً على أصل الملة المارونية ودوام اتحادها مع الكنيسة الرومانية وهي التي عندك . وأيضاً في التواريخ من بدء الهجرة إلى وقتنا هذا بل الذي تعبنا عليه بزيادة من قدوم الفرنج إلى هذه البلاد . وأيضاً جمعنا رؤوس الأبيات السريانية وفككتناها على موجب وزن الشعر ونعمل متعيين بسبب مدرسة الموارنة بروما ونفعها ونشر تلاميذها . ومن غير تعبنا مع طائفتنا ما تأخرنا أيضاً عن نفع الطوائف التي بجيرتنا لأن المرحوم القنصل بيكت ، كان بعث عشر مكاتيب للمرحوم البطريرك حنا من صفرا حتى يرسم القس اندراوس أخيهان فما تنازل معه حتى دخلت أنا بينهم وأزحت عن بال البطرك الصعوبات التي كانت تمنعه . وبعد أن ارتسم مطراناً صار أنه طفر (فر) إلى جبل لبنان لأجل خاطر القنصل وسيطه إلى الرجوع ، ورحت أنا بنفسي معه وكنت أساعده في المقدرة وفي كتابة الكرز الذي كنت أعطيه . وكذلك طفر لعندنا القس اسحق (السرياني) وأنا بطريرك مسكته عندنا سنتين ورتبته ورسمته أيضاً ، وعندما طفر بعده إلى عندنا بطرس بطريرك السريان (نظنه اغناطيوس بطرس الذي خلف أخيهان في البطريركية على السريان الذي توفي في السجن بأدنه بمكيدة بطريرك اليعاقبة) ثبت عندنا مدة من الزمان بكل اعزاز واکرام ، ثم بعد المذكورين التجا إلينا الخوري نعمة والقس سيمان السريان من جور بطريركهم الضال ، وكذلك مطران الأرمن على مرعش عندما التجا إلينا قبلناه بكل كرامة وأمرنا جماعتنا بحلب ليقبلوا جميع المرتدين من اليعاقبة والأرمن والنساطرة وغيرهم ويتلمذونهم ويقضون مصالحهم . حُرر في أول شهر أيار سنة ١٧٠١ ربانية . وقد طبع المعلم رشيد الشرتوني من تأليف الدويهي شرح الشرطونية والتكريسات ، وشرح المناثر العشر وسلسلة بطاركة الموارنة مع اضافات . وأخذ من كتابه في أصل الموارنة ودوام اتحادهم بالكنيسة الرومانية . ومن التاريخ كتابه المعروف بتاريخ الطائفة المارونية وطبعه سنة ١٨٩٠ .

إنَّ البطريرك سمعان عواد الطيب الذكر قد وضع ترجمة العلامة الدويهي آخذاً عنه وعن ثقة من معاصريه . وهذه الترجمة أثبتتها المعلم رشيد الشرتوني في فاتحة

تاريخ الموارنة للدويهي الذي طبعه بيروت سنة ١٨٩٠م فنكتطف منها ما يلزم لتتمة الترجمة . وبيانها أنّ والد الدويهي يسمى مخايل واسم أمه مريم وهي من آل الدويهي أيضاً ، وأرسله إلى روما عمه المطران الياس الدويهي على يد البطريرك جرجس عميره . وقد قال عن نفسه أنه كان يقضي وقت التنزه وهو في المدرسة في القراءة والدرس ، وكثيراً ما كان يقوم عن فراشه ليلاً فيصلي ويدرس على نور المصباح الساعتين والثلاث حتى أصيب ببصره ، فكان يطلب إلى رفقائه أن يقرأوا على مسمعه الدروس اليومية ، ثم شفي بشفاة العذراء . وكان استاذة في اللاهوت الأب سبرسا اليسوعي . يقول مرات علّمت في بلاد كثيرة ولم أر مثل اسطفان علماً وعملاً . وشهد عارفوه أنهم لم يكونوا يجدون عليه خطيئة توجب الحل . وألّف بعد انجاز دروسه كتاباً ضخماً باللاتينية في الفردوس الأرضي . وبعد رجوعه إلى وطنه رُقي إلى درجة الكهنوت وأنشأ مدرسة في اهدن وأخذ يعلم الأولاد ويعظ الشعب إلى أن أرسله البطريرك جرجس السبعلي إلى حلب واعظاً ومرسلاً . واهتدى على يده كثير من الملكية والنساطرة واليعاقبة . وصنّف في تلك الأثناء مؤلفاً في الرعظ والارشاد في مجلدين . وقد جرى انتخابه بطريركاً سنة ١٦٧٠م بغير مشورة الشيخ أبي نوفل الخازن ، فاستاء فأتى البطريرك إلى داره بكسروان فأجلّ الشيخ قدره واستغفره عما فرط منه . وأرسل إلى روما القس يوسف شمعون الحصري (الذي صار بعداً أسقفاً) في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٧٠م فثبته البابا اكليمنضوس العاشر (في ٨ آب سنة ١٦٧٢م) .

وبعد بطريركيته أخذ يطوف جميع الأبرشيات ويختار كهنة من ذوي العلم والتقوى ويفحص الكتب البيعية ويصلح ما أوقعه النساخ أو أصحاب الأغراض من الخطأ فيها . وكان معنياً برد العوائد القديمة ، ورتب الطقوس . وذكر له البطريرك سمعان عواد بعض الكتب التي ذكرها هو في ترجمة نفسه وما قرظه به العلماء من طائفته كمرهج بن نieron الباني والمطران يوسف شمعون الحصري والبطريرك يعقوب عواد . ومن غير طائفته نخص بالذكر منهم الكردينال نرلي في كتابه في مشاهير المدرسة المارونية بروما . ولما علم البطريرك كيرليس الحلبي بطريرك الروم الانطاكي أنّ الحزب والخمر لا يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه بقوة كلام التقديس وحده بل بدعوة الروح القدس أيضاً . فاعترضه ورد زعمه بنصوص الكتاب والجامع والآباء . ولما اطلع بطريرك الروم على حججه أحب أن يجادله

وحضر لجداله ومعه أربعة مطارين ، وكان الجدل بحضرة أمير الشوف في دير القمر . فأفحم الدويهي بطريك الروم وأساقفته حتى أوجب عليهم الأمير والحاضرون أن يذعنوا لتعليم الدويهي . وكان هذا سبباً لاعتناقهم الدين الكاثوليكي ، وقد قاومه بعض أساقفته لأنه تشدد عليهم بعمل واجباتهم فأرسل لهم رسالة يؤنبهم بها ويهددهم فخرجوا وتسارعوا إليه يستغفرونه عما فرط منهم . وهم أن يتنازل عن البطيركية فمنعه أبناء الطائفة . وكان شديد الغيرة على مدرسة الطائفة في روما وعلى نشاط تلامذتها وتقدمهم بالتقوى والعلم . وله رسالتان إليهم (مثبتان في ترجمته المعلقة على تاريخ الموارنة) يتبين منهما كم كان له من العناية بهم والهام في نجاح هذه المدرسة . وقد أنبأنا صاحب ترجمته بآيات كثيرة صنعها الله على يده في حياته وبعد وفاته .

وقد أماته قبل وفاته الشيخ عيسى حماده إذ جاء مع بعض أقاربه إلى قنوين طالبين منه مبلغاً من المال ، فكتب إلى الشيخ حصن الخازن عما جرى له فجهز رجالاً من كسروان مع أخيه الشيخ ضرغام (هو الذي صير بعداً بطريكاً) إلى قنوين ، ولما علم بذلك الشيخ عيسى أتى متوقعاً متذللاً أمام البطريك ليغفر له ويعدل عن السفر إلى كسروان ، وأراد المشايخ الخوازنة أن يطيخوا به فنهاهم البطريك عن ذلك وسار معهم إلى كسروان فالتقاه الأهلون بالتجلة والاحتفاء وأقام بدير مار شليطا مقبس نحواً من أربعة أشهر ، ثم وردت له رسائل من والي طرابلس على يد الخواجه طرييه ترجمان قنصلية فرنسة أن يعود إلى كرسية آمناً فعاد في ١٩ من نيسان سنة ١٧٠٤م يوم السبت وفي صباح الأحد أقام قداساً حافلاً ومنح غفراناً كاملاً لجميع الحاضرين . وفي غد الاثنين ودعه من كانوا قد رافقوه من كسروان فشيّعهم إلى باب الدير وأراد أن يرجع إلى غرفته فتعذر عليه أن يخطو فحمله شماسه إلى فراشه ، وعلم أن قد دنا أجله وأن الله استجاب طلبته أن لا يميته خارجاً عن كرسية ، وأخذته حمى شديدة لم تمنعه عن التسبيح لله ومباركة شعبه وتناول الأسرار المقدسة إلى أن توفاه الله ونقله إلى راحة الأبرار صحبة القديسين الملائكة باسيليوس واثناسيوس وفم الذهب نهار السبت في الساعة الثالثة من النهار في ٣ من أيار سنة ١٧٠٤م وعمره أربع وسبعون سنة .

وقد حفظ لنا دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان رسالة أنفذها لويس الرابع عشر ملك فرنسة إلى هذا البطريك هذه ترجمتها:

«أيها البطريك اسطفانوس بطرس الانطاكي»

أيها السيد الأجلّ، قد رفع إليّ الخوري الياس كاتب سركم الرسالة التي كتبتموها إليّ في ٢٠ من آذار سنة ١٧٠٠م وعلمت منها متأسفاً الحزن التي يقاسيها الكاثوليكيون أبناء ملتكم المارونية في جبل لبنان وشدة الضنك الذي تقاسونه لوقاية شخصكم من الاهانات التي ينزلها البعض بكم. ولما كنت مستعداً أن أبذل دائماً كل ما بوسعي من العناية بتأييد الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني في كل مكان ولا سيما في أرجاء بطريركيّكم حيث تعاظمت الحزن، قد سلمت إلى كاتب سركم رسالة جددت بها الأمر الذي أصدرته قبلاً إلى سفيرى بالقسطنطينية أن يصرف عنايته واهتمامه لينال من الباب العثماني كل ما يمكن من الأمور العائدة بالنفع للدين الكاثوليكي في بلاد الموارنة ليجعلكم تشعرون بمفاعيل حمايتنا واجلالنا لكم خاصة. وأسأله تعالى أيها السيد الأجلّ أن يحفظكم بحراسته المقدسة. كُتب في مارلي في ١٠ آب سنة ١٧٠١م التوقيع لويس. وفي أسفل الصحيفة كولبر».

الفصل الثالث

أساقفة الموارنة في القرن السابع عشر

عد ٦٤

الأساقفة الذين رقاهم البطريكان يوسف الرزي ويوحنا مخلوف

قال الدويهي إنّ البطريك يوسف الرزي رقى ابن أخيه سرّيس الرزي إلى أسقفية دمشق سنة ١٦٠٠م وكان حبيباً بدير قزحيا. وكان قد درس العلوم في

روما وأقام بعد تسقفه بالحبسة المذكورة أيضاً. هذا ما جاء في نسخة تاريخ الدويهي التي بيدنا، وفي النسخة التي أخذ عنها رشيد الشرتوني في طبعه تاريخ الموارنة. لكن الدويهي نفسه قال في الفصل ١٨ من رد التهم أنّ البطريك يوسف الرزي أرسل أخاه الأسقف سركيس سنة ١٦٠٧م سفيراً إلى البابا بولس الخامس ومعه القس الياس ابن الحاج يوحنا والقس جرجس بن مارون من اهدن، فلا يظن الأسقف سركيس هذا أخا البطريك هو غير سركيس ابن أخيه بل هما واحد. وفي رواية الدويهي في تاريخه خطأ من النساخ لأنّ البابا بولس الخامس ذكره في رسالته إلى أساقفة الموارنة وشعبهم في ٢٨ من تشرين الثاني سنة ١٦٠٨م داعياً إياه أخا البطريك الذي كان قد توفي، ويعزيهم لفقده. وأمر البابا حينئذ أن يبقى الأسقف سركيس في روما للعناية بطبع الكتب وحاجات الطائفة. واستمر بروما إلى سنة ١٦٣٨م التي توفي بها. والذي علمناه مما باشره بروما في هذه المدة هو طبع كتاب الشحيم بعد أن عهد البابا بولس الخامس بفحصه إلى الكردينال بطرس الدبردينوس محامي الموارنة وقتئذ. والكردينال روبرتوس بلرمينوس الشهير والكردينال أوكتافيوس بندينوس والأب بطرس المطوشي الماروني اليسوعي. ولما توفي الكردينال الأولان في أثناء هذا الفحص تعيّن بدلتهما الكردينال روبرتوس أو بلدينوس والكردينال اسكندر أوسينوس. وبعد أن أجاز هؤلاء طبعه سنة ١٦٢١م شرع الأسقف سركيس بطبعه تحت مناظرته فنجز طبعه في أيام البابا أوربانوس سنة ١٦٢٥م كما هو بيّن من رسالة الكردينال أوكتافيوس بندينوس محامي الموارنة إلى البطريك يوحنا مخلوف المعلقة على طبعة الشحيم المذكورة. ثم إنه صحح بمدة اقامته بروما نسخة الأسفار المقدّسة العربية معارضاً لها بنسخ كثيرة أخذت من المشرق، وترجمها إلى اللاتينية برفقة غيره من العلماء كما يتبيّن من المقدمة التي علقها عليها. وطُبعت نسخته هذه سنة ١٦٧١م بعد وفاته مع النسخة اللاتينية العامة ومنها نسخ كثيرة في المشرق، بل كانت هي النسخة التي تتداولها أيدي العامة قبل طبع النسخة اليسوعية ببيروت. وذكر بعضهم أنّ المطران سركيس كان له يد أيضاً مع جبرائيل الصهبيوني والخوري يوحنا الحصريوني في تهذيب الترجمات السريانية والعربية اللتين طُبعتا في البوليكوتا الباريسية، ولا يبعد ذلك عن الصحة لأنّ البوليكوتا شرع في طبعها سنة ١٦٢٨م وهو توفي سنة ١٦٣٨م.

وذكر لكويان في جملة الأساقفة الموارنة وقال: أثبت تورينانوس أنّ رودريكوس

اليسوعي الذي بعثه البابا بيوس الرابع إلى الموارنة عارض القوانين العربية التي ترجمها إلى اللاتينية مع سركيس هذا أسقف دمشق الماروني . وأسهب الكلام على علمه وفقاهته . وقال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٨ « وفيها في شهر حزيران توفي بروما الحبيس سركيس بن الرزي مطران دمشق وله من العمر ست وستون سنة ، وكان قد اقتبس العلوم بروما وعاش ناسكاً بمحبسة قرحيا مدة وعني في روما بطبع الشحيم ووقف متروكاته على مساعدة الطائفة وكان محبوباً من رؤساء الكنيسة الرومانية .

٢ - المطران بطرس العاقوري ذكره الدويهي وعرفه بأنه ابن الخوري سابا العاقوري من بيت حليب ، وإنّ البطريرك يوسف الرزي رقاہ إلى أسقفية العاقورة في ٢٠ من تشرين الثاني بعد وفاة موسى أسقفها . وكان المطران بطرس هذا متزوجاً قبل ارتقائه إلى الدرجات المقدسة ، ومن أولاده البطريرك يوسف العاقوري وتوفي بالعبادية (من المتن) ونُقلت جثته إلى بيروت ودُفن في كنيسة مار جرجس فيها . وكان شديد الغيرة كثير العبادة وصنّف مدائح كثيرة .

٣ - المطران يوحنا الحصري ابن الشدياق حاتم الحوشي رقاہ البطريرك يوسف الرزي إلى الأسقفية سنة ١٦٠٣م وجعله معاوناً له في تدبير شؤون دير قنوين . وكان قد درس العلوم بروما ودخل رهبانية القديس عبد الأحد وترجم جزءاً من كتب القديس توما الأكويني إلى العربية . ثم أرسله البطريرك المذكور سفيراً إلى الحبر الروماني ، وعاد من روما إلى لبنان سنة ١٦٠٦م وأصبحه البابا بولس الخامس بجواب أثني فيه على الموارنة ، وأرسل للبطريرك حلاًلاً كهنوتية وغيرها من الهدايا ، وحينئذٍ أمر البطريرك باتباع الحساب الذي أدخله البابا غريغوريوس الثالث وعيد الموارنة في طرابلس وجبة بشري وجبيل والبترون عيد الرسل مع الافرنج قبل طوائف المشرق بعشرة أيام . ثم تطرّق استعمال هذا الحساب إلى دمشق وحلب وسائر المدن والقرى إلا جزيرة قبرص ، وتركوا التاريخ بسني اسكندر وأخذوا يؤرخون بسني الميلاد . ولما حضّر هذا الأسقف على اتباع هذا الحساب في حلب ناصبه رؤساء الطوائف الشرقية ودفعوا للحكومة مبلغاً من المال لاهلاكه ، فاحتج بالحكمة مثبّتاً صحة هذا الحساب وأفحم معانديه وتوفي بروما سنة ١٦٣٢م ودُفن في دير القديس بطرس حيث صلب . وهو غير الأسقف يوحنا ابن قورياقوس الحصري المعروف من بيت حندوق الآتي ذكره .

٤ - ومن رقاھم البطریق یوسف الرزی إلى الأسقفیة الأسقف یوحنا مخلوف الذی صیر بعداً بطریقاً، والأسقف جرجس بن عمیره الذی صیر بطریقاً أيضاً، ورقی أيضاً أساقفة آخرین فی تاریخ القرن السادس عشر.

وأما الأساقفة الذین رقاھم البطریق یوحنا مخلوف فنعرف منهم یوحنا الشدراوی وقد ذكره الدویهی فی تاریخ سنة ١٦٠٩م قائلاً إنّ هذا البطریق رقی فیها إلى الأسقفیة الخوری یوحنا الشدراوی. وقد ذكره المطران اسحق الشدراوی فی مقدمة غرامطیقه، وقال إنه عم أبیه وإنه كتب إليه رسائل عديدة فی هذا التألیف فأفادته، وكانت له بمنزلة مشكاة فأنارته. وفی سنة ١٦١٠م رقی الأسقف یوسف بن بشاره من بیت السوق وهو ابن أخی الأسقف اقلیموس الأهدنی المار ذكره. وفی سنة ١٦١٤م رقی جرجس بن مارون الأهدنی إلى أسقفیة الأفقسیة بقبرص وهو الذی كان قد أرسله إلى روما یطلب التثبیت وأحضره له. وروی الدویهی أيضاً أنه فی ٢٢ من تشرين الأول سنة ١٦١٩م توفي الأسقف یوسف بن یوحنا ابن القس تادروس السمرانی وله فی الرهبانیة بدير قزحیا خمس وخمسون سنة. وذكر فی تاریخ سنة ١٦٢٢م توفي الأسقف یونان بن جلوان السمرانی (نسبة إلى سمار جبیل) الذی استحبس بدير قزحیا، ونظن أنّ هذین هما الحبیس یونان وأخوه القس یوسف اللذان روى الدویهی فی تاریخ سنة ١٥٧٦م أنّ المطران داود رئیس دیر قزحیا رقاھما إلى الأسقفیة خلافاً لقوانین الكنیسة.

فمنعهما البطریق عن مباشرة حقوق الأسقفیة فخضعما، فرضی عنهما وردھما إلى دیر قزحیا فأكملا حیاتھما مستنسکین.

الأسقف یوحنا بن قوریاقوس الحصرونی من بیت صندوق فهذا درس العلوم فی مدرسة الموارنة بروما ورقی إلى درجة الكهنوت. وفی ١٦٢٥م أرسله البطریق یوحنا مخلوف لتھنئة البابا أوربانوس الثامن بارتقاھ إلى الحبریة العظمی فرحب البابا به وأرسل إلى البطریق رسالة نفیسة یشنی بها على الموارنة لثباتھم فی الایمان الكاثولیکی، وأھدی إليه تاجاً ثمیناً وكتباً وحلاً بیعیة. ویوحنا هذا عاون القس جبرائیل الصھیونی الأهدنی على ضبط الترجمتین السریانیة والعربیة المئبعتین فی البولیكلوتا (الأسفار المقدسة بعدة لغات) الباریسیة التي عني بطبعها میخائیل لی جای. ویظهر أنه بقى فی أوروبا لأنّ البولیكلوتا المذكورة شرع فی طبعها سنة

١٦٢٨م. وقد ذكر كثيرون معاونته عليها ومنهم والتن في المقدمات على البوليكوتا اللوندية، وبعد عودته إلى لبنان رقاہ البطريك يوحنا مخلوف إلى الأسقفية مكافأة لأتعاہ. وأقام بدير مار جرجس بقرقاشا لكنه لم يستمر في الأسقفية إلا أربعة أشهر وتوفي في أحد الشعانين.

الأسقف يوحنا من بيت قزوح رقاہ البطريك يوحنا في ٢٠ تشرين سنة ١٦٢٥م على دير القديس اليشاع ببشري وعلى دير الأحمر. ذكره الدويهي في تاريخ هذه السنة ونظّمه من بشري.

الأسقف سرکيس السمراني ذكر الدويهي وفاته في تموز سنة ١٦٢٦م وقال إنه كان قد استحبس بدير قزحيا وكان ورعاً راغباً في العلوم ونسخ الكتب فرقى البطريك يوحنا مخلوف مكانه ابن أخيه الأسقف بولس والأسقف يوسف العاقوري من بيت حليب على صيدا وهو الذي صير بعداً بطريكاً، والأسقف يوسف البلوزاوي على بيروت. وروى في تاريخ سنة ١٦٣٧م أنّ الأسقف بولس المذكور إذ كان ساکناً في دير قزحيا شكاه القس حنا ابن البري من غوسطا لاختلافهما على الماء إلى الأمير عساف بن يوسف باشا سيفاً فدعا الأمير الأسقف إلى جبيل وأجرى عليه أنواعاً من العذاب حتى فقت عينه ولم يتركه إلى أن دفع أربعة آلاف قرش.

الأسقف اسحق الشدراوي، ذكر السمعاني ترجمته في المجلد الأول من المكتبة الشرقية صفحة ٥٥٢ فقال ما ملخصه؛ دخل مدرسة الموارنة بروما سنة ١٦٠٣ فأقام فيها إلى سنة ١٦١٨م وبرع من خلال هذه المدة في اقتباس اللغات اللاتينية والسريانية والعربية والعلوم السامية، فرقاہ جرجس عميرة مطران اهدن وقتل إلى الدرجات الصغار سنة ١٦١٩م. وفي السنة التالية رقاہ إلى درجة الكهنوت وجعله رئيس كهنة ببيروت. وكان قد تزوج قبل ارتقاہ إلى هذه الدرجة على عادة الشرقيين ثم مات امرأته. وفي ٢٥ آذار سنة ١٦٢٩م رقاہ البطريك يوحنا مخلوف إلى الأسقفية على طرابلس كما اخبر عن نفسه في فاتحة المقالة اللاهوتية المثبتة في كتاب بمكتبة نشر الايمان. وله كتاب سرياني في نحو اللغة السريانية (غرامطيق) طبعه بروما في مدرسة الموارنة سنة ١٦٣٦م، وقصيدتان على أحرف الهجاء الواحدة في مدح البابا اوربانوس الثامن، والثانية في مدح يوحنا مخلوف بطريك الموارنة مثبتتان في كتاب بمكتبة مدرسة نشر الايمان. وله بالعربية مباحث لاهوتية بطريقة

السؤال والجواب على عمل الرب في ستة أيام الخلق وفي الفردوس الأرضي والخطيئة الأصلية والموت ويمبوس الآباء والفردوس وجهنم والمطهر وقيامه الموتى والدينونة الأخيرة، وهي في الكتاب المذكور في مكتبة مدرسة نشر الايمان. وله أيضاً ترجمة رسائل اليا بطريك الكلدان إلى الحبر الروماني، وترجمة أعمال المجمع الذي عقده بآمد سنة ١٦١٧م من السريانية إلى اللاتينية كما مرّ. وقد أرسله وهو أسقف البطريرك يوسف العاقوري إلى البابا اينوشنسيوس العاشر ليستمد له منه التثبيت فتعدّر سفره، فأرسل البطريرك الخوري عبد المسيح ابن الطويل الحداثي عوضه ومرقس راهب دير مار شليطا مقبس، ثم لحقهما المطران اسحق وكانا يطبعان الشحيمة فأصلح معهما ما كان باقياً من طبعهما كما شرح الخوري عبد المسيح المذكور في المقدمة على الشحيمة المذكورة. وروى دي لاروك أنّ الكردينال فريدريك بوروماوس استدعاه إلى مديولان لينظّم مكتبته الشهيرة في هذه المدينة. وتوفي المطران اسحق سنة ١٦٦٣م في مدينة جبيل ودُفن في كنيسة مار يعقوب التي في سهل جبيل. ومن التقليد أنّ المطران المذكور هو جد آل طريه من طرابلس وجبة بشري. وكان أحدهم ترجماناً لقنصل فرنسة منذ أيام البطريرك الدويهي. وكان منهم بعده تراجمة كثيرون حتى أيامنا هذه. وذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٨م وفاة المطران عبدالله الهدناني بدير قنوين بعد أن كان له في الرئاسة ست وثلاثون سنة، وكان حازماً واشترى عقاراً كثيراً لدير قنوين ولم يكن ذكر ترقيته إلى الأسقفية.

عد ٦٥

أساقفة الموارنة إلى أيام الدويهي

في سنة ١٦٣٨م رقى البطريرك جرجس عميرة المطران الياس بن يوحنا من عائلة الصراصرة من اهدن ذكره الدويهي في تاريخ السنة المذكورة، وقال في تاريخ سنة ١٦٥١م إنّه فتح سوق القلعة الشرقي بقرية زغرتا، وأضافه إلى الكنيسة وبيّضه وكوّسه لكثرة المترددين إلى الكنيسة. وروى في تاريخ سنة ١٦٥٩م أنه توفي في هذه السنة وأنه كان ورعاً غيوراً وتربى بدير قزحيا، وسكن في القدس نحو عشرين سنة، واشترى فيها دار الازي بأمر البطريرك، ودخل إلى روما صحبة الأسقف جرجس بن مارون وخدم رئاسة الكهنوت عشرين سنة بمزيد التقوى.

الأسقف يوسف بن عميمة الكرمسدي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٤م فقال إنّ البطريك يوسف العاقوري بعد ارتقائه إلى سدة البطريكية في هذه السنة رقى يوسف الكرمسدي إلى أسقفية دمشق، وكان معاوناً للبطريك. وذكر في تاريخ سنة ١٦٥٣م أنّ هذا الأسقف توفي فيها لرحمة الله.

الأسقف ميخائيل بن سعادة الحصري ذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٤م أنّ البطريك يوسف العاقوري رقاها إلى أسقفية طرابلس مع الأسقف يوسف الكرمسدي، وكانت ترقيتهما في دير حراش ليكونا معاونين له. وذكر الدويهي وفاته في تاريخ سنة ١٦٦٩م حيث قال في ١٣ من شباط كانت وفاة الأسقف ميخائيل بن سعادة الحصري في مدينة طرابلس، وبموجب وصيته دُفن في مغارة القديسة مارينا بقنوين. وكان قد اقتبس العلوم في مدرسة الموارنة بروما وخدم الأسقفية ست وعشرين سنة بكل طهارة.

الأسقف جرجس البشعلاني ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٨م فقال في ٢٤ من شباط من السنة المذكورة رقى البطريك يوسف العاقوري القس جرجس بن حبقوق البشعلاني إلى الأسقفية على العاقورة وأخذ السكنى بدير قنوين.

الأسقف يوسف البلوزاوي ذكر الدويهي وفاته في تاريخ سنة ١٦٥٠م قائلاً فيها توفي الأسقف يوسف بن ناتان البلوزاوي ولم يكن قد ذكر سنة ترقيته ولا من رقاها.

الأسقف يعقوب الرامي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٣م فقال فيها توفي الأسقف يوسف الكرمسدي (المرار ذكره)، وفي يوم عيد انتقال العذراء رقى البطريك يوحنا الصفراوي عوضه الأسقف يعقوب الرامي على دمشق.

الأسقف يوسف الحصاراتي ذكر الدويهي ترقية البطريك يوحنا الصفراوي له إلى الأسقفية في يوم عيد انتقال العذراء سنة ١٦٥٣م مع الأسقف يعقوب الرامي الآنف الذكر على جبيل. وكان رئيساً لدير حوقا، واستمر نائباً على البطريك المذكور في رئاسة هذا الدير. قال لكويان في أساقفة الموارنة، وقال دي لاروك في كتاب رحلته صفحة ٢٨٤ إنّ البطريك اسطفانوس الدويهي كتب منشوراً في ٥ تشرين الأول سنة ١٦٩٩م (وهو المنشور الذي ذكرناه توصية بيوسف أخي الأمير بولس) ووقع عليه يوسف الحصاراتي مطران جبيل بدير حوقا، وربما كان يوسف

هذا غير يوسف الذي نكتب ترجمته لأنّ للدويهي رسالة أخرى في ١٢ حزيران سنة ١٦٧٣م، وفيها توقيع يوسف الحصاراتي. فالفرق الذي هو ست وعشرون سنة يجعلنا نظنّ أنّ يوسف الذي وقّع على الرسالة سنة ١٦٩٩م هو غير يوسف الذي وقّع على الرسالة سنة ١٦٧٣م.

الأسقف جرجس من بيت شوك من قرية عرجس، ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٥م وقال البطريرك يوحنا الصفراوي رقاءه إلى الأسقفية وجعله معاوناً له في تدبير مهام الكرسي البطريركي.

الأسقف ابراهيم السمراني ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٥م أيضاً وقال إنّ البطريرك أقامه بدير قزحيا، ثم ذكر وفاته وهو في هذا الدير في تاريخ سنة ١٦٧٧م وترقية ابنه القس يوحنا أسقفاً على البترون، وسلّم إليه تدبير دير قزحيا، وسوف نذكره في محله.

الأسقف جرجس ابن الحاج من سبعل وهو الذي انتخب من بعد بطريركاً. ذكر الدويهي ارتقاءه على الأسقفية في تاريخ سنة ١٦٥٦م وجعله معاوناً للبطريرك في قنوين.

الأسقف سركيس الجمري من اهدن، ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٨م فقال فيها رجع القس سركيس الجمري من فرنسة إلى بلاده وكان له في الكهنوت ثلاث وعشرون سنة، فطلب الشيخ أبو نوفل الخازن ترقيته إلى أسقفية دمشق، ثم ذكر وفاته في تاريخ سنة ١٦٦٨م وقال فيها كانت وفاة الأسقف سركيس بن الجمري بمدينة مرسيليا في أواخر أيار.

الأسقف جبرائيل البلوزاوي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٦٣م قائلاً فيها كانت ترقية المطران جبرائيل بن يوحنا من بلوزا على مدينة حلب خلفاً للأسقف يوسف البلوزاوي. وقد ذكرنا ارتقاءه إلى الأسقفية سنة ١٦٥٠م. وذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٣م أنّ المطران جبرائيل هذا أنشأ ديراً جديداً بأرض طاميش في قاطع بيت شباب على اسم العذراء وهو دير طاميش المشهور.

المطران اسطفانوس الدويهي هو العلامة الدويهي ذكر ترقيه إلى الأسقفية في تاريخ سنة ١٦٦٨م فقال توجهنا لزيارة القدس الشريف، وبعد أن تباركنا بتلك المواضع المقدسة ومعنا والدتنا وأخونا الحاج موسى رجعنا بالسلامة لتقبيل أيدي

السيد البطريك جرجس (السبعلي) بدير قنوين، فرفعنا إلى درجة المطرانية على الأفسسية بقبرص في ٨ تموز وأمرنا أن نخرج لزيارة الرعية في ايلة طرابلس وجزيرة قبرص، ولعلنا نكون بطالين أشغلنا أنفسنا في سياسة الشعب وفي جمع هذه الأخبار لافادة نفوسنا ولنتطلع على معرفة أحوال بلاد نحن فيها ساكنون.

الأسقف يوحنا التولاوي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٦٩م فقال في ٢٣ شباط كانت وفاة الأسقف ميخائيل بن سعادته الحصري (الذي مر ذكره) ورقي الأسقف يوحنا التولاوي على صيدا، وذكر وفاته في تاريخ سنة ١٦٨٠م قائلاً فيها في ٢١ من نيسان توفي الأسقف يوحنا التولاوي ودفن في قرية بعبدا.

عد ٦٦

أساقفة الموارنة الذين رقاهم البطريك الدويهي

الأسقف لوقا القبرصي القرباصي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧١م قائلاً إنه رقاها إلى الأسقفية على الأفسسية بقبرص، وأخذ السكنى في الجزيرة. وذكر في سجله المحفوظ بخزينة أوراق الكرسي البطريكية أنه رقاها في ١ كانون الأول سنة ١٦٧٢م.

الأسقف بطرس بن مخلوف من غوسطا ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٤م فقال إنه رقاها في ٥ من تموز من السنة المذكورة على كرسي الأفسسية بقبرص (يظهر أن الأسقف لوقا المار ذكره توفي حينئذ) بحضرة سفير فرنسة الذي توجه تلك السنة إلى القدس ثم سار إلى لبنان وزار البطريك فرقى الأسقف المذكور بحضرته وذكره في سجله المذكور أيضاً.

الأسقف يوسف الحصري ذكره في تاريخ سنة ١٦٧٥م قائلاً وفيها قدمنا كاتبنا القس يوسف الحصري إلى رئاسة الكهنوت على طرابلس، وكان ذلك في دير مار شليط مقبس، وكتب في سجله أنه رقاها في ١٤ تموز من السنة المذكورة وعرفه بأنه الخوري يوسف شمعون الايودياكن الحصري وتوفي في ١١ كانون سنة ١٦٩٥م، وقد حضر إلى المتن سنة ١٦٨٥م، ورقي في ٢٦ تشرين اول إلى درجتي المرتل والقاري الياس بن أبي عون وجرجس بن أبي سليمان ويوسف بن

أبي رزق وهاشم بن أبي هاشم وموسى بن أبي ناكوزة كما دَوّن بخطه على كتاب الشحيم في كنيسة مار جرجس بقرية المتين المذكورة .

الأسقف يوحنا بن جلوان ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٧م قائلاً فيها في ١٨ أيار انتقل إلى رحمة ربه الأسقف ابراهيم بدير قزحيا وقد مرّ ذكره . وفي نهار تاسعه ورقينا ولده القس يوحنا أسقفاً على البترون وتسلم تدبير الدير المذكور وتوفي سنة ١٦٩١م .

الأسقف بطرس الاهدني ذكره الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٨٠ قائلاً في ٢١ نيسان توفي الأسقف يوحنا التولاوي ودُفن ببعدات كما مرّ . ورقينا مكانه على صيدا القس بطرس ابن القس ابراهيم الاهدني كاتبنا وقلدناه مصالح الكرسي . وذكر في تاريخ سنة ١٦٨٣م أنه توفي في ٢٦ من أيار منها ، وهو زائر في الشمال فنُقلت جثته من البهلولة إلى ضهر صفرا وله من العمر اثنتان وخمسون سنة .

الأسقف يوسف بن مبارك ذكره الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٨٣م وقال إنه كان من رهبان دير مار سركيس ريفون ، ولما توفي الأسقف بطرس الاهدني رقاها بدله على صيدا في ٦ حزيران من السنة المذكورة . وهذا الأسقف توفي في ٨ ايلول سنة ١٧١٣ في ريفون بعد أن دبر البطريركية ثلاث سنين عند توقيف البطريرك يعقوب عواد كما سوف يجي .

الأسقف جرجس الاهدني لم يذكره الدويهي في نسخة تاريخه التي بيدنا ، وجاء ذكره في سجله ويظهر منه أنه رقاها في ٢٧ آب سنة ١٦٩٠م على اهدن وأنه ابن سركيس عبيد الاهدني ويسمى بنيامين والكاروز وأنه دخل الرهبة اليسوعية وتوفي بروما . وسيأتي ذكره .

الأسقف يوسف الشامي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٩١م وقال إنه رقاها في ٢٧ كانون الثاني إلى أسقفية بيروت وتوفي سنة ١٧١٣م .

الأسقف يوحنا حبقوق من بشعلي ذكره الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٩١م قائلاً: وفيها كانت وفاة المطران يوحنا بن جلوان السمراني رئيس دير قزحيا ورقينا عوضه الخوري حنا بن حبقوق من قرية بشعله في ٨ من أيلول على دير قزحيا ، وهذا الأسقف سلم الدير المذكور إلى الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٠٨م وتوفي سنة ١٧١٨م .

الأسقف ميخائيل الغيزري ذكر الدويهي وفاته في ٦ من تشرين الثاني سنة ١٦٩٧م، وقال أنه كان مطران دمشق، ودُفن بدير طاميش. ولم يذكر ترقيته إلى الأسقفية في تاريخه ولا في سجله فكأنه رقاہ أحد أسلافه.

الأسقف جبرائيل الدويهي رقاہ الدويهي على صرند في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٦٩٣م وترى اسمه في جملة أسماء الاساقفة الذين كانوا في المجمع اللبناني، ولم يشهده بنفسه ولكن ناب عنه القس بطرس عطايا وتوفي سنة ١٧٣٩م.

الأسقف يوحنا محاسب الغوسطاوي رقاہ الدويهي على عرقا ودير مار شليطا في ٧ ايلول سنة ١٦٩٨ وتوفي بالدير المذكور سنة ١٧١٢م.

الأسقف يعقوب عواد الحصري رقاہ الدويهي على طرابلس في ٦ تموز سنة ١٦٩٨م وهو الذي صير بطريركاً بعده وسيأتي ذكره.

الأسقف خير الله اسطفان الغسطاوي رقاہ الدويهي في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠٣م أسقفاً على العاقورة ودُعي جرجس، وتوفي في عين ورقة سنة ١٧٣٣م وهؤلاء الاساقفة الأربعة لا ذكر لهم في نسخة تاريخ الدويهي التي بيدنا فأسمائهم مأخوذة عن سجله. انتهى.

الفصل الرابع

المشاهير من علماء الموارنة وفضلائهم في القرن السابع عشر

عد ٦٧

بطرس المطوشي القبرصي ونصرالله شلق العاقوري

أما بطرس المطوشي نسبةً إلى قرية مطوش في قبرص فهو أحد تلاميذ مدرسا الموارنة بروما، أرسله إليها البطريرك سركيس الرزي سنة ١٥٨٤م مع تسعة تلاميذ

آخرين منهم جرجس عميرة الذي صار بعداً بطريكاً، وسركيس الرزي أخى البطريك الذي صار أسقفاً على دمشق، وموسى العنيسي من العاقورة الذي صار مطراناً على قبرص. وبعد أن أنجز بطرس المذكور بمدرسة روما علومه انضوى إلى جمعية الآباء اليسوعيين فكان من فضلائهم وعلمائهم، وقد أرسله البابا بولس الخامس إلى ايليا بطريك الكلدان مع سفيره آدم رئيس شمامسة كرسية، وصحبته الأب مارينوس اليسوعي أيضاً ليقبل الكلدان بحضورهم رجوعهم إلى الايمان الكاثوليكي، وقد انفذ البابا المذكور معهما رسالة إلى بطريركنا يوحنا مخلوف مؤرخة في ٢٥ آب سنة ١٦١٤م بها يرغب إليه أن يرشد بطرس المطوشي ويوحنا مارينوس إلى ما يتصرفان به مع بطريك الكلدان في أمر رجوعهم فذهبا إلى آمد، وجمع البطريك أساقفته بحضرتهم ووجدوا ضلالاً نستطوّر كما تقدّم في الكلام على هذا البطريك. وفي جواب البطريك إلى الخبر الروماني بولس الخامس أطيّب الثناء على الموارنة الذين تعبوا معه في هذه المهمة وترجموا رسائله وأعمال مجمعهم من السريانية إلى اللاتينية.

وقد ذكر دي لاروك بطرس المطوشي وقال في حقه إنه من جمعية اليسوعيين ولاهوتي مبرز وله غرامطيق سرياني لاتيني ومقالة في اللاهوت الأدبي هي في مكتبة مدرسة الموارنة بروما. وكان الأب المطوشي في جملة من عيّنتهم الكرسي الرسولي لفحص كتاب الفرض الكبير (الشحيم) مع الكردينال بلرمينوس وغيره من العلماء لطبع هذا الكتاب كما مرّ.

وأما نصر الله بن شلق فأصله من العاقورة وقد درس العلوم بمدرسة الموارنة بروما فنبغ فيها ورقي إلى درجة الكهنوت، وأقام بأوروبا إلى حين، وله مؤلف في الكنيسة وترجمة سفر أيوب من السريانية إلى اللاتينية ومقالات أخرى. وقد أحرز ثروة وافرة فأوصى عند وفاته أن تُنشأ بها مدرسة لأبناء طائفتنا في مدينة رافانا من أعمال إيطاليا. وأقام القس جبرائيل بن عواد الحصري منفذاً لوصيته فأنشأ المدرسة كما عهد إليه على أنها لم تلبث طويلاً. فكان تأسيسها سنة ١٦٣٩م ثم أقفلت سنة ١٦٦٤م ونُقل تلاميذها إلى مدرسة الموارنة بروما. وكانت وفاة الخوري نصر الله سنة ١٦٣٥م.

القس جبرائيل الصهيوني الاهدني

وُلد باهدن نحو سنة ١٥٧٧م من بيت الصهيوني أحد فروع أسرة كرم الشهيرة، وتلقّى العلوم بمدرسة الموارنة بروما، ونبغ وحاز قصبات السبق ونال مرتبة الملفان في اللاهوت، ورفقي إلى درجة القسوس في روما، وأقيم أستاذاً للغتين. العربية والسريانية في مدرسة السابانسا (الحكمة) الشهيرة بروما، وحاز من الشهرة ما جعل لويس الثالث عشر ملك فرنسا يدعوه سنة ١٦١٤م ليكون معلماً في المدرسة الملكية بباريس، ثم شرفه بلقب ترجمان ملكي. ولما هم الأب ميخائيل لي جاي أن ينشر البوليكوتا (الأسفار المقدسة بعدة لغات) الباريسية وكل إليه تعريب النسخة العربية وضبطها وتنقيح النسخة السريانية ومعارضتها بنسخ عديدة، ثم ترجمة العربية والسريانية إلى اللاتينية، وعهد معه هذه المهمة إلى ابراهيم الحاقلي الماروني الشهير والخوري يوحنا الحصري الذي صير فيما بعد أسقفًا، وقد قدمنا ذكره وأنبأنا فالريانوس دي فلا فيني معلم العبرانية في مدرسة باريس في رسائل نشرها لانتقاد طبعة لي جاي أنّ العلامة الصهيوني كان قد أعدّ مقالة مسهبة في الترجمة العربية، ولا نعلم ما الذي منعه عن اشهارها، وقد فرغ لي جاي من طبعته هذه سنة ١٦٤٥م.

على أنّ والتن العلامة الانكليزي الذي عني بطبع البوليكوتا في لوندرة سنة ١٦٥٧م قد انتفع كثيراً بأتعاب الصهيوني ورفاقه الموارنة المذكورين. وهذا ما قاله والتن في مقدماته على طبعته المذكورة في حق الصهيوني «لأنّ هذا الرجل العظيم بذل تعباً شاقاً وكثير الفائدة لكل من يرغبون في أن يتضلّعوا باللغات الشرقية والأسفار المقدسة. ومن لم يقرّ له بالفضل كان غامطاً الاحسان، فنحن نعترف بفضلله ونرى أنه يلزم الجميع أن يؤدوه شكراً لا ينقضي». وله أيضاً ترجمة كتاب الزبور من العربية إلى اللاتينية طبعه بروما سنة ١٦١٤م. وكتاب في نحو اللغة العربية طبع بباريس سنة ١٦١٦م. وترجمة جغرافية أبي عبد الله محمد الادريسي من العربية إلى اللاتينية طُبعت بباريس سنة ١٦١٩م ومقالة في بعض مدن الشرق ودين أهلها وعاداتهم وخصالهم عاونه على بعض هذه التأليف الخوري يوحنا الحصري المار ذكره، وطبعه بباريس سنة ١٦٢٥م بالعربية واللاتينية. وفي المكتبة

الماديشية نسخة من هذا الكتاب مخطوطة بيد الصهيوني نفسه سنة ١٦١٢م كما يظهر من الحاشية المعلقة على آخرها، قد ذكرها المطران اسطفانوس عواد السمعاني في فهرست الكتب الشرقية في هذه المكتبة. وروى أكثر ما روينا من ترجمة الصهيوني هنا وقال إنه توفي بباريس سنة ١٦٤٨م وكذا ذكر وفاته دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان. انتهى.

عد ٦٩

العلامة ابراهيم الحاقلي

وُلد هذا العلامة ونشأ بقرية حاقل من عمل جبيل بلبنان وتلقّى العلوم بمدرسة المواردنة بروما فنبغ وفاق أقرانه وعلم العربية والسريانية أولاً بروما، وقد عهد إليه الأب لي جاي في طبع البوليكوتا الباريسية بما عهد به إلى الصهيوني والحصري المار ذكرهما. ومن مؤلفاته ترجمة كتاب ابن الراهب المصري القبطي في التاريخ الشرقي والحقاه بترجمته مقالات مسهبة في تاريخ العرب وأنسابهم، وقد طبعه بباريس سنة ١٦٥١ ومنها ترجمته قصيدة عبد يشوع الصوباوي المشهورة في المؤلفين البيعيين إلى اللاتينية وشرحه لها وحواشيه عليها، طبع بروما سنة ١٦٥٣م وقد شرحها العلامة السمعاني بعده في المجلد الثالث من المكتبة الشرقية، واستدرك على الحاقلي قوله في محال كثيرة. وقد شرح السمعاني أيضاً كتاب ابن الراهب المذكور وانتقد على الحاقلي في عدة مواضع. وللحاقلي أيضاً كتاب في نحو اللغة السريانية طبع بروما سنة ١٦٢٨م وترجمة الكتاب الخامس والسادس والسابع من تأليف ابولونيوس في الهندسة من العربية إلى اللاتينية اقترح عليه هذه الترجمة فردينوس الثاني دوق توسكانا. وله أيضاً مختصر في الفلسفة الشرقية طبع بباريس سنة ١٦٤١م وترجمة قوانين القديس انطونيوس الكبير ومواعظه وأجوبته من العربية إلى اللاتينية وطبع هذه الترجمة بباريس سنة ١٦٤٦م. وله ترجمة ديوان الحيوان للسيوطي إلى اللاتينية.

وللحاقلي أيضاً كتاب الانتصار لافتيشوس أي سعيد بن بطريق، ذلك أن السلداني ترجم كتاب سعيد هذا إلى اللاتينية، وادّعى في مقدمات ترجمته أنه

أثبت في كلامه على المراتب البيعية أنّ درجة القسوس والأساقفة واحدة ، وهذا من مزاعم لوتار وكلوين والسلداني من مشاييعهما ، فردّ الحاقلي زعم السلداني منتصراً لسعيد البطريك الاسكندري بكتاب انطوى على مئتين واثنين وأربعين صفحة مفنداً أدلة السلداني ومبيناً بشهادة الكتاب والتقليد الثابت في الكنيسة منذ نشأتها أنّ درجة الأساقفة غير درجة القسوس ، وهي تفوقها مقاماً وسلطة بموجب الوضع الألهي ، وإنّ كلام سعيد لا يؤخذ منه ما توهمه السلداني . وألحق بهذا الكتاب جزءاً آخر اشتمل على نحو من خمس مئة صفحة تكلم فيه على أصل كلمة بابا ورياسته مضاداً فيه السلداني المذكور . ومما قاله في اسم البابا نقلاً عن مؤلفين نصارى ومسلمين أنّ هذا الاسم اصطلح عليه أولاً بطاركة الاسكندرية واستشهد في جملة شهوده أبا بكر العباسي : « في القسم الثاني من مقالته ضد النصارى » حيث قال : « فإنّ القسوس والعامّة لما سمعوا أساقفتهم يسمون البطريك أباً قالوا في نفوسهم : إذا كنّا نحن نسمي الأسقف أباً والأسقف يسمي البطريك أباً فيجب علينا أن نسمي البطريك بابا أي الأب أي الجد إذ كان أباً لأبنينا . ثم لما سمعوا الأساقفة والبطاركة يسمون صاحب رومية أباً قالوا في أنفسهم إذا كنّا نحن نسمي البطريك أباً والبطريك يسمي صاحب رومية أباً فيجب علينا نحن أن نسمي صاحب رومية بابا ، فعرف صاحب رومية بهذا الاسم دون غيره إلى الآن عند أهل النصرانية جميعاً . » والأظهر أنّ هذا الاسم أخذ عن السريانية **ܐܒܐ ܡܪܝܬܐ** أي أبو الأب وهو الجد على أنّ اختصاص الأحرار الرومانيين به لم يكن بأمر بل كان من باب التغلب والاستحسان . وللحاقلي في آخر هذا المؤلف ردّ على هوتنجارس في كلامه في تاريخ العرب .

وللحاقلي أيضاً ترجمة قوانين الجمع النيقوي المعروفة بالقوانين العربية لأنها أخذت عن كتب عربية ، فالحاقلي عارض هذه القوانين على ست نسخ عربية منها ، وترجمها إلى اللاتينية وأشهرها مطبوعة . فمن هذه القوانين باليونانية واللاتينية عشرون قانوناً ، لكن الشرقيين يعزون إلى الجمع المذكور أربعة وثمانين قانوناً وتتداولها أيدي الشرقيين أي الملكية والموارنة والقبط واليعاقبة والأقباش والنساطرة ، ومنها ثلاثة وسبعون قانوناً ترجمها ماروتا أسقف تكريت في أواخر القرن الرابع من اليونانية إلى السريانية كما روى عبد يشوع الصوباي في مختصر القوانين ، وأضاف إليها بعض المؤلفين العرب (لا نعلم من هم) أحد عشر قانوناً فصارت

أربعة وثمانين قانوناً. وقد دافع الحاقلي عن هذه القوانين في كتيّب أشهره وهو مثبت في مجموعة الجامع للاباي (مجلد ١١). وذكر مرهج بن نيرون الباني الماروني في كتابه افوليا (سلاح) الايمان وأثبتها الأب كونزالس اليسوعي في كتابه عصمة الأحبار الرومانيين، ولكن نبذها غيرهم من العلماء ولم يعتدوا نسبتها إلى المجمع النيقوي صحيحة.

وقد توفي الحاقلي بروما في ١٥ تموز سنة ١٦٦٤م، ونقلت كتبه إلى المكتبة الواتيكانية بعد وفاته وذكرها السمعاني في فهرست الكتب الذي علّقه على المجلد الأول من المكتبة الشرقية وعددها أربعة وستون كتاباً.

عد ٧٠

مرهج بن نيرون الباني

أما مرهج فولد بيان إحدى قرى جبة بشري ويسميه الغربيون فاسطوس ترجمة كلمة مرهج. وروى دي لاروك أنّ خاله ابراهيم الحاقلي المار ذكره أخذه إلى روما وتلقى العلوم في مدرسة المواردة بها، وحاز قصبات السبق وأقامه الكرسي الرسولي استاذاً للغة السريانية في مدرسة السابيانسا (الحكمة) الكلية في روما خلفاً لخاله ابراهيم الحاقلي. ثم صار قانونياً في كنيسة القديس اوسطاكوس هناك ولم يشغله ذلك عن الانصباب على التأليف والتصنيف وتنقيح كتب طائفته البيعية والعناية بطبعها. ومن تأليفه كتابه في أصل المواردة ودينهم واسمهم وهو مشهور واستشهدنا به مرات في خلال تاريخنا هذا. وقد طبع بروما سنة ١٦٧٩م وله كتاب آخر واسمه بافوليا (أي سلاح) الايمان الكاثوليكي، وقد استشهدنا به أيضاً مرات وقد طبع بروما سنة ١٦٩٤م جمع به من كتب السريان والكلدان القديمة البيئات الراهنة على صحة الايمان الكاثوليكي خلافاً للبروتستانت، وقد عني بتنقيح الأناجيل وسائر أسفار العهد الجديد، وطُبعت بمناظرته بالسريانية والعربية بأحرف كرشونية بروما سنة ١٧٠٣م، وأضاف إليها مقدمة كثيرة الفائدة دالة على فقاوته وطول باعه، وعاونه على تصحيح هذه الطبعة القس يوسف الباني الماروني مدرّس اللغتين السريانية والعربية في مدرسة نشر الايمان المقدس. وقد أخذت الطبعة السريانية عن نسخة كانت في مدرسة المواردة بروما مرسلّة من بطريركهم إلى البابا غريغوريوس

الثالث عشر (لم يذكر مرهج في مقدماته اسم البطريك مرسل هذه النسخة ، ويلزم أن يكون ميخائيل الرزي أو أخوه سرقيس الرزي فهما كانا في أيام البابا المذكور) وهي الترجمة السريانية المعروفة بالبيسطة التي استعملتها طائفتنا من أقدم الأيام . وأما العربية فكان الأب ميخائيل المطوشي قد أتى بها من جزيرة قبرص ، وكانت أكثر تهذيباً وضبطاً من سائر النسخ التي عورضت بها ، وهي لا تطابق السريانية المطبوعة معها كل المطابقة كما لاحظت ذلك ، ولكنها لا تختلف عنها حتى يصح القول أنّ هذه العربية ترجمت عن اليونانية ولا مرية في أنها عن السريانية ، وتقرب من النسخة التي هذبها المطران سرقيس الرزي وطُبعت مع اللاتينية العامية سنة ١٦٧١م بروما ، وتختلف كثيراً عن العربية المطبوعة في البوليكلوتا كما تأكدت بمعارضتي هذه النسخ لدن وجودي في روما . وعن طبعة الأب مرهج هذه أخذ المطران جرمانوس فرحات النسخة التي عرّبها والمستعملة الآن في طائفتنا ، ولدى كتابتي تفسير الانجيل زدتها مطابقة للسريانية وأوعزت إلى الأب يوسف العلم لما كان رئيس دير الكرم للمرسلين ، فصنع كذلك في كتابه تفسير رسائل القديس بولس الرسول وباقي الرسل .

وروى دي لاروك (في المجلد الثاني من رحلته إلى سورية ولبنان صفحة ١٢٩) إنه كان بينه وبين مرهج مكاتبة وأثنى على رسائله وأنه كتب إليه في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠١م أنه كان مشغولاً بطبع العهد الجديد بالسريانية والعربية وقد ألجز طبعه فيما بعد . وأنه توفي سنة ١٧١١م وعمره نحو ثمانين سنة مشهوراً بتقواه ومهارته بالعلوم الشرقية وأنه يرغب في أن يكون كاهناً اتضاعاً بل كان شماساً وقانونياً في كنيسة ... (ترك اسم الكنيسة بياضاً ونعلم أنها كنيسة القديس اوسطاكايوس روما كما مرّ)، ونرى مرهج في عنوانات كتبه لم يصف نفسه بكاهن أو قس . ولكن رأينا الدويهي يقول في تاريخ سنة ١٦٥٦م: « دخل إليه (أي إلى البطريك يوحنا الصفراوي) القس مرهج بن نيرون فوجده ملقى على الأرض والنور ينبعث من وجهه » ولا نعلم أصحاب الترجمة أراد أم غيره يسمى باسمه فبين سنة ١٦٥٦م التي كان فيها ذلك وسنة ١٧١١م التي توفي صاحب الترجمة فيها خمس وخمسون سنة أبقى مرهج كل هذه المدة كاهناً ولا عجب إذا كان عاش ثمانين سنة وكان ارتقاؤه إلى الكهنوت وعمره خمس وعشرون سنة . انتهى .

عد ٧١

مشاهير آخرون بالغيرة والنسك

إنّ من اشتهروا بالغيرة والنسك لجدّيون بالذكر كالعلماء فهم أصحاب الفلسفة الروحية الحقّة، ومن هؤلاء من الموارنة في القرن السابع عشر انطونيوس الصهيوني الاهدني، والذي نعلمه من أمره أنه تلقى العلوم في مدرسة الموارنة بروما كما روى المطران اسطفانوس عواد السمعاني (في كتاب فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية صفحة ٥١) ثم اتخذ الطريقة الرهبانية ورقى إلى درجة الكهنوت بل صار رئيس كهنة اوبرديوط لأنّ المطران اسطفانوس وصفه بكلمة رئيس كهنة في ترجمة كلامه الذي وضعه على الكتاب الآتي ذكره وهو كتاب الأنجيل ورسائل بولس الرسول وباقي أسفار العهد الجديد حتى رؤيا يوحنا. وقد نسخه بالعربية والأحرف الكرشونية نسبةً إلى رجل اسمه كرشون من الجزيرة، كان أول من كتب العربية بهذه الأحرف السريانية فأخذ النصارى يكتبون الأسفار المقدّسة بهذه الطريقة ليخفوا أسرار دينهم عن المسلمين العرب، هذا ما ذهب إليه الصهيوني ومرهج الباني والمطران اسطفانوس عواد في كتابه المذكور. وكان هذا الكتاب في جملة الكتب التي أخذت عنها طبعة أسفار العهد الجديد التي عني بها مرهج الباني المذكور سنة ١٧٠٣م. وكان انطونيوس الصهيوني نسخه قبل تسعين سنة بأمر البابا بولس الخامس ويوحنا مخلوف بطريك الموارنة عن كتب كانت بمدرسة الموارنة كما هو يبيّن من الدليل الذي علّقه انطونيوس المذكور على آخر هذا الكتاب وهو: «في سنة ١٦١١م في السادس والعشرين من حزيران كان النجاز من نسخ هذا الكتاب في أيام آبائنا بولس الخامس الحبر الروماني الكلي الطوبى والبار يوحنا (مخلوف) الاهدني البطريرك الانطاكي الذي كرسيه بلبنان وتمتد سلطته الروحية إلى سورية كلها والامصار القاصية، وهو مشتمل أسفار العهد الجديد أي الأنجيل... بيد الحقيّر انطونيوس بن اوفيمياني (كذا) الصهيوني رئيس الكهنة، والراهب من اهدن بجبل لبنان السرياني الماروني الذي كتب بأمر الرؤساء فصول الأنجيل الأربعة وسائر أسفار العهد الجديد بحسب تقسيمها وعددها في النسخة العامية الرومانية أخذاً ايها عن ثلاث نسخ كانت في مدرسة الموارنة بروما. وقد دوّن هذا المجلد السيد الشريف يوحنا راتموندوس» المشهور بمعرفة اللغات الشرقية.

وقد نسخ انطونيوس الصهيووني القسم الأول من فلسفة السريان المشتمل على أربعة كتب وهي كتاب الايساغوجي لبرفيريوس وثلاثة كتب من تأليف أرسطو الفلسفية . وهذه الكتب ترجمها حنين بن اسحق السرياني الطبيب من اليونانية إلى السريانية ، والكتاب الذي نسخه الصهيووني هو في المكتبة الماديشية في عدد ١٧٦ وصفحاته ٣٥٠ صفحة . ونسخ أيضاً القسم الثاني من فلسفة السريان وهو يشتمل على تسع مقالات فلسفية لأرسطو وهو لحنين بن اسحق أيضاً ، ونسخه الصهيووني في عدد ١٧٧ من المكتبة المذكورة وعدد صفحاته ٢٠٨ . وله أيضاً نسخ القسم الثالث من فلسفة السريان المذكور أيضاً وهو في عدد ١٧٨ من المكتبة المذكورة منظوياً على ٢٠٠ صفحة . وله أيضاً نسخ القسم الرابع من هذه الفلسفة لحنين في الفصاحة والشعر عدده في المكتبة المذكورة ١٧٩ وصفحاته ٣٩٥ . وهذه الكتب الأربعة بالسريانية . وفي هذه المكتبة أيضاً الكتاب ٢٧٤ مقالة في الحساب والجبر بالعربية لأبي عبد الله أحمد شهاب الدين بن أبي جعفر (الذي كان في أواخر القرن الرابع عشر) ، ومقالة في الخطوط الهندسية لأحمد بن علي . والمقالتان بخط انطونيوس الصهيووني . وهذا الكتاب يشتمل على ٢٤١ صفحة . فهذا ما علمناه من ترجمة هذا العالم العامل .

وقد ذكر الدويهي في تاريخه عدة من أصحاب الفضل والنسك ، فمنهم القس يعقوب الدويهي رئيس دير مار يعقوب باهدن ، وقال إنه كان ورعاً فاضلاً عني ببناء الدير المذكور وتعليم الأولاد ، وتوفي سنة ١٦١٦م . ومنهم الخوري ميخائيل الاهدني الذي أخذ طريقة الحبسا بمحبسة مار ميخائيل في وادي قزحيا التي بناها أولاً القس بركة ، ثم خلفه فيها القس موسى من اليمونة ، وبعده القس يعقوب من بلاد البترون ثم القس ميخائيل ثم القس يوحنا ، ثم القس ميخائيل ، ثم القس جبرائيل ثم الخوري ميخائيل المذكور ، وجميع هؤلاء من اهدن . وتوفي الخوري ميخائيل سنة ١٦١٧م وخلت المحبسة بعده من الحبسا .

ومنهم القس يوحنا ابن القس يوسف محاسب من غوسطا الذي اهتم سنة ١٦٢٨م بتجديد بناء دير مار شليطا مقبس بكسروان وهو أول الأديار المجددة في كسروان ، وكان أخوه القس سرقيس مترهباً بدير قزحيا فانتقل إلى مار شليطا المذكور . وتوفي القس يوحنا سنة ١٦٤٠م وقام بالرئاسة بعده أو في حياته ابن أخيه الخوري سرقيس . وسيأتي ذكره عند الكلام على هذا الدير .

ومنهم القس يوسف اين القس اصاف عن عرامون الذي بنى كنيسة مار عبدا هرهريا في فتح كسروان، ثم كنيسة السيدة هناك. وليس الاسكيم الرهباني هو واخوته اندراوس وانطونيوس ويوحنا وأختهم رفقا وسيائي ذكرهم.

من هؤلاء خاصة مؤسسو الرهنة الحلبية اللبنانية وهم جبرائيل حوا وعبد الله بن عبد الأحد قرألي ويوسف بن البتن، فهؤلاء ألهمهم الله أن ينشعوا رهبانية قانونية عامة فخرجوا من حلب سوية سنة ١٦٩٣م وساروا توالاً إلى أورشليم لزيارة الأماكن المقدسة والتبرك بها. ثم امتثلوا أمام السيد البطريرك اسطفانوس الدويهي في أول شباط سنة ١٦٩٤م وكاشفوه بعزمهم على اقامة رهبانية تستسير بقانون واحد ويرأسها رئيس عام واحد، ويكون لكل دير من أديارها رئيس خاضع لسلطان الرئيس العام ويرتبط رهبانهم بنذور الطاعة والعفة والفقر الاختياري والاتضاع على اسم القديس انطونيوس أبي النساك، فشّر البطريرك بعزمهم وشكر لمساهم ولّبي دعوتهم وأبقاهم عنده. وفي اليوم العاشر من تشرين الثاني سنة ١٦٩٥م ألبسهم الزي الرهباني في دير قنوين على سبيل التجربة قبل ابرازهم النذور، وسلم إليهم دير القديسة مورا حذاء اهدن ليصلحوا بناءه وقيموا به. ولحق بهم في آخر سنة ١٦٩٥م جبرائيل فرحات، وكان من عصبتهم بل زعيمهم. وجعلوا أحدهم جرائيل حوا رئيساً عليهم وشرعوا في انشاء هذه الرهبانية ودعوا إليها باشتهار قداستهم وفضائلهم، فأتمهم كثيرون للترهب معهم. ورقى البطريرك رئيسهم إلى درجة القسوس وأخذوا يجمعون لهم قانوناً من وصايا القديس انطونيوس وتلامذته، وأخذوا سنة ١٦٩٦م دير اليشاع النبي حذاء بشري وسكنه بعضهم ورأسوا عليه عبد الله قرألي بعد أن رقي إلى درجة القسوس. وعندما عقدوا مجمعهم العام سنة ١٦٩٩م انتخبوا القس عبد الله هذا رئيساً عاماً بدلاً من القس جبرائيل حوا، وثبت البطريرك اسطفانوس الدويهي قانون رهبانيتهم سنة ١٧٠٠م وسنعود في تاريخ القرن الثامن عشر على ذكر هؤلاء الأفاضل.

وقد نسل في لبنان في هذا القرن الحبيس فرنسيس كالوب دي شاستويل الفرنسي، وذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٢م حين قدم إلى لبنان، وفي سنة ١٦٤٣م حيث توفاه الله لرحمته. وروى دي لاروك ترجمته مطوّلة في المجلد الثاني من رحلته إلى سورية ولبنان من صفحة ١٥٢ إلى صفحة ٢٦٠ فنلخص ترجمته عنه بايجاز. فقد وُلد باكس من فرنسة في ١٩ آب سنة ١٥٨٨م وظهرت عليه

امارات التقوى منذ حدوثه ، ودرس من جملة علومه اللغة العبرانية وأتقنها وعلّق ملاحظات على النسخة السامرية من التوراة ، وأرسلت هذه النسخة وملاحظاته إلى جبرائيل الصهيوني الماروني لتعلّق في البوليكولوتا الباريسية المتقدّم ذكرها . وكان هائماً بمطالعة الأسفار المقدّسة ، علامة بتفسيرها ، فقصد أن يعتزل بفلسطين بعيداً عن الناس ناسكاً متكاملاً بعلم الأسفار المقدّسة . واتفق أنّ سفير فرنسة بالآستانة كان مسافراً إليها فسافرا معاً من مرسيليا في ٢٠ تموز سنة ١٦٣١م فأقام فرنسيس مدة في الآستانة مجاناً للناس . ومع ذلك ظهر فضله وعلمه وعرف اليهود بمهارته بلغتهم العبرانية وتضلعه بمعرفة الأسفار المقدّسة فأكثرُوا من التردد إليه والاعجاب به ، وأهدى أحدهم وكان أعلمهم إلى الايمان القويم وأرسله إلى فرنسة موصياً أخاه به . ونما عرف فضله وعظم اجلال الناس له من كل طبقة وملة فتعمد الخروج من الآستانة فسافر منها في ٢٠ تموز سنة ١٦٣٢م وبلغ إلى صيدا وعزم أن يتنسك بلبنان فسار إلى بيروت ومنها إلى لبنان فبلغ إلى حصرون في ١٥ ايلول تلك السنة ، ولبس زي الموارنة وسار من حصرون إلى اهدن ليستشير بأمره أسقف هذا البلد الذي كان حينئذٍ جرجس عميرة ، فقبله بالترحاب وأمسكه عنده أربعين يوماً ، وكان يودّ لو بقي دائماً عنده ، لكنّه أيقن أنّ الله يدعوه للانفراد عن العالم . وكان البطريرك والأساقفة حتى الأمير فخر الدين قد أرسلوا يترحبون به ، فمضى يزورهم مبتدئاً بالأمير فخر الدين ثم البطريرك والأساقفة وقابله الجميع بالاجلال والاحتراف ولا سيما البطريرك يوحنا مخلوف الذي أمسكه عنده أياماً ، وكاشفه فرنسيس بعزمه على الانفراد عن العالم للتوبة والنسك وسأله أن يقبله في عداد أبنائه ، فعجب البطريرك به ووطّد عزمه وباركه فانصرف من عنده يزور الأرز ، وعاد إلى اهدن التي فضّل الإقامة بها ليتعلّم اللغة السريانية ليطالع الأسفار المقدّسة بها ، وكان باهدن حينئذٍ كاهن فاضل من رهبان قزحيا اسمه القس الياس اعتزل عن الناس في محل قريب من اهدن ، فأثر فرنسيس السكنى بالقرب إليه في دير مار يعقوب المنقور بالصخر وعزم أن لا يخرج إلّا لضرورة قصوى . وعاش هناك عيشاً قشفاً صارماً صارفاً أوقاته بالتأمل والصلوة والمطالعات الروحية مانعاً نفسه من أكل اللحم وشرب الخمر مكثراً الصوم إلى الساعة الرابعة بعد الظهر مقتنعاً يوم الأربعاء والجمعة والسبت من كل الصوم بالخبز والماء لا غير ، ينام قليلاً (إذا اضطّر إلى الراحة) على فراش نحشن . ولما كانت الحملة على فخر الدين كما مرّ وفترّ سكان القرى اضطّرّ فرنسيس أن يفترّ أيضاً مع القس الياس المذكور وأن يختبئاً في المغاور

والكهوف ويعانينا مشاق الجوع والعطش . ولما استكن عاصف القلق في البلاد عاد إلى نسكه وتقشفاته ، وقصده بعض التجار الافرنج وأرادوا أن يدفعوا له مالاً يستعين به على معاشه فلم يقبل شيئاً . وكانت مطالعته لأسفار العهد القديم بالعبرانية ولأسفار العهد الجديد باليونانية والسريانية التي تعلمها . ولما صير القس الياس مطراناً على اهدن (هو الذي ذكرناه في جملة الأساقفة وقلنا أنه من عائلة الصراصرة) وسكن في دير مار سركيس اهدن أسكنه معه واستمر عاكفاً على اماتاته وصلواته ثم انتقل المطران من اهدن فلم يشأ الحبس أن يبرح مخدعه في الدير إلى أن أتى الأب شالستينوس رئيس الكرملين في لبنان فأقنعه أن يترك هذا الدير ويأتي فيسكن معه في دير مار اليشاع ، فأتى ولكن لم يشأ أن يغير شيئاً من عيشته النسكية وصلواته وتأملاته حتى كان الرهبان يتعجبون كيف يمكن شخصاً ربي بالتنعم أن يعيش مثل هذه العيشة الخشنة . ومرض أخيراً فتحمل أوجاعه بالصبر الجميل والهشاشة والتسليم لمشيئة الله والاشتياق إلى ملاقة ربه الذي نقله إلى الحياة الخالدة مع النساك المجاهدين في ١٥ أيار سنة ١٦٤٤م ليلة عيد العنصرة ، ودُفن بدير مار اليشاع المذكور . وذكر دي لاروك أنَّ الله صنع بواسطته آيات كثيرة في حياته وبعد وفاته .

والذي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٤م أنه استحبس أولاً بدير السيدة بحوقا ثم بدير مار يعقوب الأحباش ، ثم بدير مار سركيس على رأس النهر في رئاسة الأسقف الياس . ولما سكن هذا الأسقف في اهدن انتقل الحبس إلى دير مار اليشاع في بشري وانتقل إلى الراحة التي لا زوال لها . وكان عبدة صالحة لأهل البلاد وبلغ أسمى المراتب بالورع والصوم والسهرة وتلاوة الكتب وفي قمع جسده وتجرده عن العالم وتعلقه بالإلهيات حتى صدر منه معجزات وسبق فأنبأ بمزروعات . انتهى .

الفصل الخامس

الأديار والكنائس التي أنشئت للموارنة في هذا القرن

عد ٧٢

الأديار

من الأديار التي جدّدها أو أنشأها الموارنة في هذا القرن دير مار شليطا مقبس بكسروان ، والظاهر من عبارة الدويهي أنّ هذا الدير لم يكن حينئذٍ أول انشائه لأنه قال بتاريخ سنة ١٦٢٨م: « اهتم القس يوحنا ابن القس يوسف المدعو المحاسب من قرية غوسطا بتجديد بناء دير مار شليطا في أرض مقبس ببلاد كسروان وصار أول الأديار التي أنشئت في تلك البلاد » .

وكان أخوه القس سركيس مترهباً بدير قزحيا فانتقل إليه . وقال في تاريخ سنة ١٦٧٢م عندما سقطت كنيسة دير ما شليطا بمقبس جدّدها الخوري سركيس على يد البتّا القس جرجس الأميوني الماروني ، وفي جانبها من جهة الشمال بنينا (يتكلم الدويهي عن نفسه) داراً لسكنى البطارقة إذا توجهوا إلى تلك الناحية . وفي المشرق نقلاً عن رسالة كتبها الخوري يعقوب عواد الذي صير بعداً بطريركاً أنّ جد بيت المحاسب المسمى باسيل من ميناء طرابلس رحل مع أولاده إلى ساحل علما ثم إلى غوسطا ، وإنّ أحد أولاد باسيل هذا المسمى سركيس ارتقى إلى درجة الكهنوت وكان خبيراً بالحساب فلُقّب محاسب ، ومن نسله الخوري يوسف وولده الخوري يوحنا الذي جدّد بناء هذا الدير . وقد أنبأنا صاحب الرسالة المذكورة أنّه كان في المحل الذي بنى الدير فيه كنيسة قديمة اشتراها الخوري يوسف المذكور مع الأرض الكائنة فيها من أبي يوسف المقير من غوسطا سنة ١٦١٥م ، ولا يعلم في

أُيِّيت الكنييسة القديمة على اسم القديس شليطا ، وأما بناء الدير فقد نُقش تاريخه على عتبة باب الكنييسة الغربي هكذا: « بسم الآب والابن وروح القدس إله واحد كمل عمار هذا الدير المبارك مار شليطا في أيام سيدنا البطريرك حنا (مخلوف) الانطاكي في تاريخ سنة ألف وستمائة وثمانية وعشرين مسيحية بيد المعلم نقولا الشامي. وكان المعتني الخوري المحاسب والخوري عطيا والخوري فرح والقرايا القرية غوسطا ودرعون وبطحا وعجلتون وعشقوت». وتوفي القس يوحنا في ٢١ تموز سنة ١٦٤٠م وترك رئاسة الدير لابن أخيه الخوري سركيس ، وكان القس حنا متزوجاً قبل أن يصير كاهناً وله ولد اسمه الشدياق الياس بنى كنييسة القديس سمعان العمودي في قرية غوسطا كما في احدى نسخ تاريخ الدويهي لسنة ١٦٤٥م، حيث يقول اعتنى الشدياق ايلياس ابن القس حنا الحاسب مع أهل غوسطا وجددوا كنييسة مار سمعان . وكان دير مار شليطا لسكنى الرهبان والراهبات كما كان في بعض الأديار قبل رسم المجمع اللبناني بالفصل بين الرهبان والراهبات . وكان بجانبه مسكن للبطاركة (قبل أن يزيده الديهي). ومن سكنه منهم البطريرك جرجس السبعلي ، وتوفي فيه بالطاعون فلم يُدفن في الكنييسة بل خارجها ومدفنه قائم حتى الآن نُقش عليه تاريخ وفاته . وقد زاد البرديوط سركيس الرقوم هذا الدير أملاكاً وشهرة .

وأقام الدويهي فيه مدة فأنشأ فيه مكتبة فجعل الرهبان ينسخون كتباً ، وجمع غيرها وبقي إلى الآن قسم منها وقسم اغتالته أيدي الضياع . وتوفي سركيس البرديوط رئيس هذا الدير سنة ١٦٨١م وترك الرئاسة لابن أخيه القس يوحنا ، وكان في هذا الدير الأسقف يوحنا محاسب رقاہ الدويهي إلى أسقفية عرقا سنة ١٦٩٨م وأقام في هذا الدير وتوفي به سنة ١٧١٢م كما مرّ في الكلام على الأساقفة .

ومن هذه الأديار دير حراش ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٣م فقال اشترى الأسقف يوسف العاقوري (هو الذي صار فيما بعد بطريكاً) من الشيخ يوسف أبي حبيش أرض مار يوحنا حراش بخراج درعون بناحية كسروان، وأنشأ كنييسة جميلة على اسم السيدة العذراء وديراً جعله لسكنى الراهبات المتنسكات وبلغ عددهنّ إلى نحو ثلاثين راهبة، ورأس عليهنّ رفقة ابنة القس يوحنا المحاسب». وبعد وفاة هذه الرئيسة خلفتها في الرئاسة على هذا الدير ابنة أختها مريم، وكتب

البطريك الدويهي إلى القس يوحنا رئيس دير مار شليطا وإليها رسالة لفصل خلاف كان بينهما تراها في «المشرق» (صفحة ٣٠٢ من السنة الخامسة). وفي سنة ١٦٤٤م عقد البطريك يوسف العاقوري مع أساقفته مجمعا في هذا الدير لاصلاح بعض العوائد البيعية. وسنأتي على ذكر هذا المجمع.

ومنها دير مار سركيس وباخوس في ريفون، وأول من أنشأه القس سليمان مبارك من غوسطا. وكان هذا الكاهن مزوجاً وله سبعة بنين، فبعد وفاة امرأته رغب هو وبنوه الاعتزال عن العالم في أحد الأديار فأتوا أولاً دير مار شليطا حيث أقاموا بعض سنين منضوين إلى رهبان هذا الدير، ثم انفصلوا عنهم وأتوا إلى ريفون سنة ١٦٥٥م فأنشأوا الدير القديم على خربة معبد كانت هناك، وقضوا حياتهم فيه مثابرين على النسك والعمل بما يعود عليه بالنفع إلى أن توفي القس سليمان سنة ١٧١٣م كما يظهر من الخط المنقوش على ضريحه في الدير المذكور. ومن أبنائه المطران يوسف مبارك الذي انتخب بطريكاً بعد تنزيل البطريك يعقوب عواد سنة ١٧١٠م، ثم حكم الكرسي الرسولي بارجاع البطريك يعقوب وأبطل انتخاب المطران يوسف إلى البطريكية.

ومنها دير مار عبدا هريريا وقد ذكر الدويهي انشاءه فقال في تاريخ سنة ١٦٥٥م: «فيها اهتم القس يوسف ابن القس اصاف من قرية عرامون وبنى كنيسة مار عبدا هريريا في طرف فتوح جبيل ثم كنيسة السيدة قبوا، وليس الاسكيم الرهباني هو واخوته اندراوس وانطونيوس ويوحنا ثم أختهم رفقا ثم أبوهم وأمهم بعد أن تتركوا حقوق الزواج بينهما برضاهما، وإذن مطران الأبرشية، وانقطعا عن العالم ووفقا كل ما يملكانه للدير راغبين في الفقر، وفي أن يكونوا جميعاً طائعين للقس يوسف إلى نهاية حياة كل منهم، وصاروا عبدة صالحة للناس باتخاذ الطريقة الرهبانية وبالسيرة الصالحة والعبادة والورع إلى نهاية عمرهم.

ومنها دير مار الياس النبي في غزير، بنى هناك الشيخ طريه بن حبيش كنيسة على اسم ايليا النبي في أسفل غزير، ووقف لها بعض العقار، ثم بنى حذاء الكنيسة بعض مساكن فصارت ديراً، وكان ذلك نحو سنة ١٦٦٥م. وقال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٨٣م رام المشائخ الحبشية أن يبيعوا للرهبان الكبوشيين كنيسة مار الياس التي بنوها في أسفل غزير فمنعناهم عن ذلك، ولكن سمحنا لهم

بأن يقيموا بها خمساً وعشرين سنة . وفي سنة ١٦٧٠م جدّد القس يوسف اصفاف المذكور آنفاً بناء دير سيدة الحقلّة ، وقيل إنّ هذا الدير ودير مار عبدا هرهريا كانا مشتركين فحصل نزاع بين الخدام على حراثة الأملاك أفضى إلى فصل أحدهما عن الآخر برأي بطريك الطائفة وأساقفتها . وفي سنة ١٦٧٣م أنشأ المطران جبرائيل البلوزاوي دير السيدة في طاميش في جنوبي نهر الكلب ذكره الدويهي في تاريخ هذه السنة ، ويظهر من خط كان منقوشاً على عتبة باب الدير القديمة أنّ الشيخ أبا نوفل الخازن وأولاده اعتنوا ببنائه وتعبد به القس عطاالله وتلميذه من غزير .

وفي سنة ١٦٨٢م أنشأ الشيخ سلهب الحاقلاي دير السيدة بلويزه في خراج زوق مصبح وجعله لسكنى الرهبان العباد ثم ترهب فيه ولده القس اغناطيوس . وتسلم الدير ثم تسلمه الرهبان الحلييون اللبنانيون سنة ١٧٠٧م وخصّ عند القسمة الرهبان الحليين .

وفي سنة ١٦٩٠م بنى القس خيرالله اسطفان دير عين ورقة في المحل المسمى المشرع ، ثم هطلت أمطار غزيرة فخربت ما بنى ، فجدد البناء في المحل الذي فيه الآن مدرسة عين ورقة الشهيرة ، وهذا الكاهن ارتقى فيما بعد إلى الأسقفية ودُعي جرجس . وفي سنة ١٦٩٦م جدّد الخوري جرجس صفيير وأخوه ناضر بناء دير القديس مارون في الرومية بجانب القليعات بكسروان الذي صار فيما بعد مدرسة كما سيجيئ .

وفي سنة ١٦٩٠م جدّد البطريك اسطفانوس الدويهي بناء دير مار سرقيس اهدن فإنه قال في خط عُثر عليه في بعض نسخ تاريخه ما ملخصه : « أنّ بناء دير مار سرقيس كان على قناطر ، ولما تزعزعت رممها ابن عمنا المطران بولس يمين ، ولما سكن في الدير ابن أخي الخوري ميخائيل ردم قناطره ثم تداعى عماره فلم يسكنه أحد مدة ، فدُثر فوضعنا يدنا عليه وأزلنا القناطر كلها وأقمنا حائطاً متيناً في الوسط وعمرنا قبوين في الداخل أمام كل كنيسة قبر ، وبنينا فوقهما قلاي وأقمنا الحائط الغربي من الأرض فصاعداً . وكان البنّاؤون أربعة من رشميا والمتكلم عليهم القس جرجس الأميوني الماروني من قرية أميون بالكورة » فهذا القس كان من الملكية فصار كاثوليكيّاً مارونياً . وكذلك ذكر الدويهي في الخط المذكور أنه في سنة ١٦٩١م جدّد بناء دير القديسة مورا في اهدن بعد أن خرب ، فإنّ أبا ميخائيل

انطونيوس من أصنون ترهب فعمرنا له هذا الدير ثم أعطى الدويهي هذا الدير
للرهبان الحلبيين عند تأسيسهم الرهبانية فزادوا في بنائه.

عد ٧٣

ما نعرفه من كنائس الموارنة التي بُنيت في هذا القرن

كنيسة السيدة في قرية بشعلة قال فيها الدويهي في تاريخ سنة ١٦٢٦م فيها
القس يوسف ابن القس حبيب من قرية بشعلة نقض بناء كنيسة السيدة وعقدها
قبواً.

وقال في تاريخ سنة ١٦٣٢م فيها القس يوحنا بن الشمالي أنشأ بقرية درعون
ببلاد كسروان كنيسة القديس انطونيوس قبواً، وأخوه القس فرح بنى كنيسة
السيدة. وكان الأخوان ورعين ولهما اليد الطولى في نسخ الكتب البيعية. وفيها
نقض الشيخ أبو عماد بن الجميل كنيسة القديس عبدا في بكفيا وعقدها قبواً بثلاثة
أسواق بمساعدة أهل بكفيا على يد البتاء يوحنا الشامي. وكذلك القس بشارة من
بيت الخراط اهتم بتوسيع كنيسة الملائكة بقرية بكفيا أيضاً.

وقال في تاريخ سنة ١٦٣٢م: «اهتم البطريرك يوحنا مخلوف فجدد كنيسة
القديسة مورا بقرية كفر زينا» بقيت هذه الكنيسة على ما كانت عليه إلى أيامنا.
ومن بعض سنين نقض أهل القرية البناء القديم وبدلوه بالبناء الحالي، وقد مدَّيَّتهم
بعض الاسعاف لأنها كنيسة القرية التي ربيت فيها. وقال الدويهي في تاريخ هذه
السنة أيضاً إنَّ أهل كفرحاتا بالزاوية جدّدوا كنيستهم على اسم القدس ماما،
وكان هذا البطريرك منذ سنة ١٦٠٩م توجّه إلى مجدل معوش بالعقوب الشمالي
وأقام بها مدة، وبنى هناك كنيسة السيدة الباقية حتى الآن على هيئتها القديمة.

وقال في تاريخ سنة ١٦٣٦م: «وفيها انتهى ببناء كنيسة السيدة بالعربانية من
قرى المتن وكرسها المطران يوسف بن حليب العاقوري مطران صيدا في السادس من
تموز، وكان المهتم بينانها الشيخ عون المكارى وأبو عطاالله ابن القبرصي والحاج
ميخائيل أبو نعمة. وقال في تاريخ سنة ١٦٣٨م إنَّ كنيسة الموارنة بأياس كانت قد
خربت وكنيستهم بحلب احترق سقفها مع الدرازين، وقدم السلطان إلى حلب

فاستأذنوه في بنائهما فأذن به ، فجدد الموارنة جزوع كنيسة ايليا النبي بحلب ، وعمر الأرمن كنيسة باياس لتكون مشتركة بين الملتين المارونية والأرمنية .

وقال في تاريخ سنة ١٦٤١م إن كنيسة الموارنة بالكفریات بقبرص كانت قد رعت بيد الروم لأن الروم أغروا الخوري جرجس خادماً وبعض أقبائهم فاتبعوا مذهب الروم وأخذوا الكنيسة وصار حينئذ الخوري بطرس خادماً لكفریات . وكان ذا نفوذ وغيره فاستفتى العلماء فأفتوا له أن الكنيسة لم تكن للخوري جرجس بل للموارنة ، فاستحصل خطاً شريفاً باعادتها إلى طائفته ، وفي هذه الأثناء بنى الشيخ أبو نوفل نادر الخازن كنيسة السيدة في عجلتون وعين جعلاً لكاهن يقدس بها كل يوم .

وقال في تاريخ سنة ١٦٥٤م إن القس جرجس ابن القس رزق الله البجاني أنشأ بمساعدة أهل بيت شباب كنيسة القديس جرجس في بحدق بقطاع بيت شباب ، وقال في تاريخ سنة ١٦٧٣م إن الشيخ أبا فارس وأخاه الشيخ أبا ناضر ابني الحاج أبي منصور الاهدني كاتب الأمير أحمد بن معن نقضوا كنيسة السيدة في دير القمر وعقدوها قبواً . وقال في تاريخ سنة ١٦٨٥م عن نفسه جددنا كنيسة مار عبدا على نهر الكلب (الدير المعروف الآن بدير مار عبدا المشمر) بعد أن كانت قد خربت من زمان طويل ، وأنشأنا في جانبها داراً تابعة لدار ما شليطا بمقبس .

وفي سنة ١٦٨٩م تمّ بناركنيسة مار الياس بغوسطا أنشأها الشيخ أبو قانصوه فياض الخازن بجانب الدار التي بناها لنفسه بالقرية المذكورة .

ذيل

المجمع الذي عقده البطريك يوسف العاقوري

في دير حراش

عقد هذا المجمع البطريك يوسف العاقوري في ٥ من كانون الأول سنة ١٦٤٤م في دير حراش ووُجدت نسخة منه في هذا الدير، ولكن سقط منها ورقة مشتملة على بعض الكلام في سري التوبة والأوخاريسيا، ومنه نسخة أخرى في دير الرهبان الموارنة بروما، وقد أخذنا ملخص قوانين هذا المجمع عن نسخة حراش إذ لم نعثر على غيرها، ونرى فيها بعض ما يخالف التهذيب المعمول به الآن متنبهاً لنا بما كان في تلك الأيام. وإليك ملخص قوانين هذا المجمع معربة عن النسخة المذكورة.

أولاً في المعمودية هي سرٌّ من أسرار الكنيسة السبعة ويلزم أن يكون التعميد في اليوم الثامن بعد المولد وإذا دعت ضرورة فبعد أربعين يوماً، ويكون غسل الطفل بعد تعميده حالاً. ٢ لا يؤخر التعميد لغيبة العرّاب أو لصنع حفلة أو تقديم هدايا. ٣ لا يُسمح أن يكون العرّاب من الهرطقة. ٤ لا يرشم الطفل (أي لا يُعمد دون تلاوة الصلوات التي في رتبة التعميد) إلا عند خطر الموت، وإذا لم يوجد حينئذ كاهن أو شماس فيحق لأي رجل أو امرأة كان أن يعمّد بحيث يتلو الكاهن الكلمات الجوهرية وهو يسكب الماء على الطفل وهي: «أن أعمدك يا فلان أو يا فلانة بسم الآب والابن والروح القدس آمين» ومن عمّد كذلك لا يجوز إعادة صورة التعميد عليه بل تتلى عليه صلوات رتبة المعمودية ويُدهن بالميرون والزيت المقدّس ويُغسل للحال، وإن حصلت ريبة في صحة تعميده السابق فيعمّد ثانياً. بقول المعمّد: «إن كنت لست معتمداً فأنا أعتمدك يا فلان الخ». ٥ لا يُستعمل

في التعميد إلا الماء الطبيعي صرفاً بارداً أم سخناً خلياً من العكر. ٦ يلزم الكهنة المعمدين أن يدونوا بسجل مخصوص اسم من عُمد واسم أبيه وأمه وعرايه وزمان تعميده .

في التثبيت هو سر من أسرار الكنيسة السبعة وخادمه هو الأسقف ويعطي هذا السر من كان عمره خمس سنين فصاعداً ويلزم تدوين أسماء المثبتين كأسماء المعمدين .

في الاعتراف هو سر من أسرار الكنيسة السبعة وهنا الورقة الساقطة وهي تشتمل على القوانين المتعلقة بسر التوبة وسر الأوخارستيا وبعض القوانين المتعلقة بسر الزيجة إلى القانون السادس منها .

القانون السادس زواج أخوين بأختين وقطرب لقطريته (ريب لربيته) غير جائز إلا باذن السيد البطريك (هذا مباح الآن). ٧ كل من تعدى على خطيية غيره أو استعان بحكام عالميين على ذلك أو رشاهم ومن يؤذن بهذا التعدي أو يأمر أو يرتضي به من أقربائها أو غيره فليكن ساقطاً بالحرم والكاهن الذي يكللهما فليكن محروماً (لطف الأيام هذا القانون). ٨ كل من طلب أو أخذ رشوة من أهل العروس وأقربائه ليكن محروماً. ٩ لا يذهب العريس عند العروس بل يلزم الاكليل في بيت العريس. ١٠ كل من تزوج بائنة عمه أو بنت عمته أو بنت خاله أو بنت خالته أو بخالته امرأة أبيه أو بامرأة عمه ومن أشبه كانت زيجته باطلة والبطريك يوضح بطلانها. ١١ من تزوج بامرأة وماتت فلا يحل له أن يتزوج ببنت عمها أو بنت خالته. ١٢ إذا شدد أحد الزوجين عن دينه أو ثبت على المرأة الفسق أو جن أحدهما أو طرأ عليه مرض مهما كان فالزواج ثابت ولا طلاق إلا بالممات. ١٣ يمنع عقد الزواج من اليوم الأول من كانون الأول إلى الغطاس ومن الأحد الأول في الصوم إلى الأحد الجديد ولا يحل الزواج إلا من نهار الاثنين بعده وصاعداً. ١٤ المهر يكون برضى أهل العريس والعروس. ١٥ القراية من جهة الميرون لا تمنع الزواج إلا في الوجه الأول أعني بين القابل والمقبول وبين أبي المعمد وأمه وبين الذي يعمد. ١٦ يلزم أن يكون في المعمودية عزاب وعزابة. ١٧ لا تكن زيجة بين ابن العراية والبنت التي قبلتها أمه (أي فليونتي لابني كما هي حرفية كلام الجمع وقد حصر الجمع اللبناني القراية الروحية بين العرايين وبين

المعمود وأبويه ثم بين المعمد والمعمد وأبويه لا سوى). ١٨ المعمد أو الراشم لا يحل له أن يتزوج أم المعمد أو المعمدة. ١٩ المعمد لا يحل له أن يتزوج بامرأة المعمد أو الراشم. ٢٠ أبو المعمد لا يحل له أن يتزوج بامرأة المعمد. ٢١ المعمد لا يحل له أن يتزوج بالبت التي عمدها. ومن تزوج خلافاً للقوانين المذكورة فُسخ عقد زواجه.

درجة الكهنوت القانون الأول الكهنوت سر من أسرار البيعة السبعة، وكل من ضرب كاهناً أو شدياقاً أو راهباً أو أهانهم محروماً ولا يحله إلا البطريرك. ٢ إذا قدس كهنة جملة عن نفس ميت فالأولى أن يتشح كل منهم بأثواب التقديس ليفي الزامه بالقداس الذي أخذ حسنته (هذا القانون غير معمول به الآن ويكفي لباقي الكهنة أن يتشحو بالمدرة والبطراشيل أو البطرشيل وحده. ٣ لا يجوز للكاهن أن يكون جانياً لمال الحكومة أو شيخاً لقرية أو يتقلد فريضة من أحد ولا يجوز لأحد العامة أن يُكرمه على ذلك ومن خالف يؤدبه أسقفه. ٤ الرؤساء والكهنة يصير جنازهم وعليهم عدة التقديس كاملة ولا يكون دفنهم غير بالكتونة فقط. ٥ من تزوج بنتين واحدة بعد الأخرى أو تزوج بأرملة لا يصير كاهناً وكذلك من كان أعور أو مفلوجاً أو يقع في الهلة أو ارتكب القتل عمداً. ٦ وكيل كرسي قنوبين يناط به تدبير أرزاقها دائماً وليس للبطريرك أن يعزله إلا برأي المطارين. ٧ كل من صار مطراناً أو بطريركاً حرمت عليه المأكلة المزفرة.

مسحة المرضى القانون الأول هي سر من أسرار البيعة ولا يُمسح المريض إلا عند خطر الموت. ٢ لا يتقاعدن أحد من الكهنة عن مسحة المريض المشرف على الموت لأنها سر ضروري لحماية نفس الميت من محاربة الشيطان. ٣ كل من مات محروماً بغير اعتراف لا يحل لأحد من الكهنة أن يجنزه ويدفنه في مقبرة مكرسة. في الميراث القانون الأول الارث لا يكون إلا بعد وفاء الدين وحسنة القداسات وباقي ما يلزم لدفن الميت. ٢ إذا مات رجل عن امرأة ووارث تعطى المرأة أولاً نقدها والثلث من متروكاته أي ثلاثة قراريط من أربعة وعشرين قيراطاً.

قوانين أخرى غير ما تقدّم

القانون الأول كل كاهن افرنجي عزّف وناول جماعتنا الموارنة بغير أمر البطريرك يكون محروماً، وكل ماروني اعترف وتناول عند الافرنج أو غيرهم يكون محروماً. ليس لأحد من الرهبان أن ينتقل من موضع إلى آخر دون إذن السيد البطريرك، لا يتعدى أحد من الكهنة على رعية غيره في الأمور الروحية فليس له أن يعرف أحداً بغير إذن خوري الرعية إلا في ساعات الموت لتعميد طفل أو حل مريض مشرف على الموت.

وصايا الكنيسة

القانون الأول لا يجوز لأحد تناول الأطعمة المزفرة يومي الأربعاء والجمعة إلا ما وقع منها في عيد الميلاد إلى عيد الغطاس ومن القيامة إلى عيد الصعود. ٢ عيد التجلي وعيد الرسولين بطرس وبولس وعيد انتقال العذراء إذا وقعت يوم اربعاء أو يوم جمعة توكل فيها المأكّل المزفرة. ٣ الصوم الكبير يصام إلى الساعة التاسعة كالعادة ويلزم سماع القداس إذا وُجد وإلا فتلزم الصلاة. ٤ يبدأ في صوم الميلاد من اليوم الخامس من كانون الأول ويصام إلى الظهر وإذا وقع بدوّه يوم الأحد فيبتدى في الصوم يوم الاثنين. ٥ يتبدى بقطاعة الرسل في اليوم الخامس عشر من حزيران وفي قطاعة السيدة من أول يوم من شهر آب وإذا وقع بدوّها يوم الأحد لا يصام. ٦ على كل مسيحي أن يحضر القداس أيام الآحاد والأعياد المأمورة بطاليتها، ومن أهمل ذلك أخطأ خطأ مميتاً رجلاً كان أو امرأة.

وهذه هي الأعياد الواجبة بطاليتها تشرين الأول في ٢٨ منه عيد القديس سمعان القانوني ويهوذا الرسول. تشرين الثاني في أول يوم منه عيد جميع القديسين وفي ٣٠ منه عيد القديس اندراوس الرسول. كانون الأول في الواحد وعشرين منه عيد القديس توما الرسول وفي ٢٥ منه عيد ميلاد سيدنا يسوع المسيح وفي ٢٦ منه عيد السيدة والقديس اسطفانوس وفي ٢٧ منه عيد مار يوحنا الانجيلي. كانون الثاني في اليوم الأول منه عيد ختانة المسيح وفي السادس منه عيد

الغطاس . شباط في الثاني منه عيد دخول المسيح للهيكل وفي التاسع منه عيد مار مارون البطريرك . آذار في ١٩ منه عيد مار يوسف خطيب مريم وفي الخامس والعشرين منه عيد بشارة العذراء . أيار في أوله عيد فيلبس ويعقوب الرسولين . حزيران في الرابع والعشرين منه عيد ميلاد يوحنا المعمدان وفي ٢٩ منه عيد القديسين بطرس وبولس . تموز في الخامس والعشرين منه عيد يعقوب بن زبدي الرسول . آب في السادس منه عيد التجلي وفي الخامس عشر عيد انتقال العذراء وفي الرابع والعشرين عيد برتلماوس الرسول . أيلول في الثامن منه عيد ميلاد العذراء وفي الرابع عشر عيد ارتفاع الصليب وفي الحادي والعشرين عيد متى الرسول وفي التاسع والعشرين عيد ميخائيل رئيس الملائكة .

وأما الأعياد المنتقلة فهي عيد القيامة وثانيه ، وعيد الصعود ، وعيد العنصرة وثانيه ، وعيد الثلاث الأقدس في الأحد الذي بعد العنصرة ، وعيد جسد المسيح وهو في الخميس الثاني بعد العنصرة ، وعيد كنيسة المحل . هذه هي الأعياد اللازمة البطالة بها وحضور القداس وعلى الكهنة أن يشهروا في رعاياهم وجوب البطالة في هذه الأعياد ويجهدوا في حفظ ذلك . انتهت أعمال هذا المجمع ولم نجد في نسخة حراش المذكورة اسم الأساقفة الذين وقّعوا عليه أو شهدوه بل قيل هناك أنه انتهى في اليوم الخامس من كانون الأول سنة ١٦٤٤م وعاد كل من المطارين إلى كرسية الكهنة والرهبان إلى محلاتهم .

المقالة الحادية عشرة

تاريخ الموارنة في القرن الثامن عشر

الفصل الأوّل

أعيانهم الدنيويون في هذا القرن

عد ٧٤

المشايع آل خازن وآل حبيش في هذا القرن

ذكرنا في تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر من كانوا من آل خازن قناصل لدولة فرنسة في بيروت، وأنّ الشيخ حصن بن فياض الخازن كان في هذا المقام، وبعد وفاته صير ابنه الشيخ نوفل الخازن قنصلاً لفرنسة في بيروت وبقي في هذه القنصلية إلى أن عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م فكان الشيخ نوفل قنصل فرنسة في بيروت كاتباً فيه.

وبعد أن انتقلت الولاية على جبل لبنان من آل معن إلى آل شهاب في أواخر القرن السابع عشر كان مدبرو الأمراء الحاكمين من آل شهاب غالباً من الموارنة وأبقوا آل خازن على ولايتهم بكسروان وآل حبيش على ولايتهم بغزير وما يليها، ولما تولى الأمير يوسف علم الدين اليمني على لبنان بمساعي محمود باشا أبي هرموش كما مرّ واضطرّ الأمير حيدر موسى الشهابي الحاكم حينئذ أن يفرض من وجهه سار أولاً إلى كسروان معتصماً بالمشايع آل خازن وآل حبيش ولما تقوى عليه

عسكر الأمير يوسف علم الدين ودخلوا غزير وأحرقوها ترك الأمير حيدر عياله في كسروان فخبأهم المشايخ آل خازن في بعض قراهم، وكانوا يقدمون خفية كل ما يلزم لنفقتهم ونفقة الأمير حيدر الذي اختبأ مع بعض خواصه في الهرمل، ثم لما سمعت نفوس أعيان البلاد ولاية الأمير يوسف علم الدين لجأ أعيان القيسية إلى الخازنيين ليكتبوا الأمير حيدر شهاب المذكور أن يعود إلى البلاد فيناصروه جميعاً على اليمنية فحضر الأمير حيدر إلى المتن وكان معه الشيخ خازن الخازن وبعض أبناء عمّه وحضروا معه وقعة عنددارا المشهورة حيث انتصر القيسية على اليمنية وظفروا بهم ظفراً تاماً فأقرّ الأمير حيدر المشايخ على ولايتهم في كسروان وكتب لهم الأخ العزيز، وكان في المصطلحات في تلك الأيّام أن يفرقوا بين طبقات الناس أن يكتبوا إليهم عزيزنا أو محبتنا أو أعزّ الحبين أو الأخ العزيز.

وفي ١٧٢٥م تولى الشيخ عبدالله بن فاضل الخازن ناحية عكار ولما كان راجعاً من دير قزحيا إلى كسروان التقاه نحو ثلاثين رجلاً من المشايخ الحمادية وأتباعهم وأرادوا إهانتته لأنه تولى الناحية المذكورة وهم يدعون أنّ لهم حق الولاية عليها فعاونهم عليهم الرهبان فتملّص منهم. وشكا آل خازن الحمادية إلى والي طرابلس سليمان باشا العظم فأرسل عسكرياً فشكل بالحمادية، ولكن نهب عسكره بلاد جبيل والبترون (عن سجل الرهبة اللبنانية)، ولما اضطرّ البطريك يعقوب عواد أن ييارج كرسيه قنوين بسبب مناصرته للبطريك كيرلس تاناس كما مرّ وأن يرقّي الخوري يوسف صالح الدويهي الأسقفية ويسلمه تدبير دير قنوين، كتب له صكاً بذلك ووقع عليه مع بعض أساقفته. وكتب له بعض آل خازن أيضاً وثيقة مشعرة برضاهم بهذه الوكالة ليتهاية المتأولة وغيرهم، ولما عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م شهدته كثيرون من آل خازن وآل حبيش وترى تواقعهم على آخره في النسخة المطبوعة حديثاً.

وفي سنة ١٧٥٠م لما اعتدى بنو منكر الشيعة على إقليم جزين وقتلوا رجلين من أصحاب الشيخ علي جنبلاط حشد الأمير ملحم الشهابي الرجال لكبت الشيعة المذكورين فتوجه مع الأمير الشيخ ميلان الخازن ببعض رجال كسروان وعند اشتداد القتال في جباع الخلاوة أغار الشيخ ميلان برجاله على برج هناك كان الشيعة قد اعتصموا به فأنخن فيهم وبدد شملهم فأكرمهم الأمير وعظمت منزلته عنده. وفي سنة ١٧٧٠م لما افضت ولاية البلاد إلى الأمير يوسف الشهابي

وتزلف إليه المشايخ آل خازن ولي الشيخ رامج بن حيدر بن قيس الخازن على
لحفد وترتج ببلاد جبيل وجعلها اقطاعاً خاصاً به وبذريته وبقيت كذلك إلى أن
الغى النظام لبنان الاقطاعات فيه.

عد ٧٥

بطرس الشدياق وابن أخيه منصور وأولاده

إننا ننسق ذكر الأعيان بهذا الفصل بحسب زمان اشتهارهم وخدمتهم لولاة
البلاد. فبطرس الشدياق هو من سلالة رعد الحصريني جد المقدم خاطر الحصريني
الذي تقدم ذكره في هذا التاريخ وفهد والد بطرس الذي سمي الشدياق ارتحل من
حصرون إلى كسروان بأولاده وعائلته وأقاموا بعشقوت. وفي سنة ١٧١٥م دعا
الشيخ أبو شيان الخازن بطرس الشدياق بن فهد وعهد إليه بمحاسبة الأموال الأميرية
في ولايته بكسروان ثم جعله دهقاناً على عقاراته لما رأى فيه من الدراية والأمانة،
إلى أن توجه الشيخ المذكور سنة ١٧٢٣م إلى دير القمر ومعه الشدياق بطرس
المذكور، فرأى الأمير حيدر الشهابي الوالي حينئذ ما رآه أبو شيان في بطرس
المذكور فطلبه منه وأقامه رئيساً لكتبته وأحبّه لصدق خدمته وإخلاصه وجعله مديراً
له. ولما تولى الأمير ملحم شهاب بعد والده الأمير حيدر أبقي الشدياق مديراً له
كما كان عند والده إلا أنه في سنة ١٧٢٧م تغير عليه لوشايات رفعها حساد
الشدياق إليه فوضعه في محرس منفرداً دون أن يكشف له سبب تغيره عليه فعظم
الأمر على الشدياق حتى أخرجه عن دائرة رشده، واذ كان يوماً بالكنيف ضرب
بطنه بسكين فخرقه وأغمي عليه، ولما أبطأ كشفه الحارس فرآه مطروحاً على الأرض
وأعلم الأمير بذلك وأمر بإحضار طبيب عالجه فلم يشف، وكان مديراً للأمير حيدر
سبع سنين ولابنه الأمير ملحم ثماني سنين، وكان له ابنان ظاهر وخطار قبض الأمير
ملحم عليهما وعلى ابن أخيه منصور وضبط مالهم وخيلهم، ثم أمر بإطلاقهم
وارجاع بعض عقارهم، لكنّه وهب داري بطرس وابن أخيه منصور بعشقوت للشيخ
أبي صليبي مرعب الخازن، فارتحل منصور إلى حارة الحدث ببعض أقربائه فتوطنوا
وسكن ظاهر وخطار ابنا بطرس في بيروت.

وفي سنة ١٧٤١م سار منصور بأهله إلى بعلبك فخدم الأمير حيدر الحرفوش واستأجر منه أرضاً للزراعة، وقد قتل مصادفة أحد أقربائه رجلاً متوالياً فطيب الأمير حيدر قلب منصور وأقربائه وأمر المتأولة أن لا يسوموهم ضراً ومن خالف أمره قتله، لمحبه منصور لاستقامته في تدبير أموره ولسعيه بالصلح بينه وبين الأمراء الشهابيين. وسنة ١٧٤٣م رجع منصور بأقربائه إلى حارة حدث بيروت، وسنة ١٧٥٧م أقامه الأمير ملحم الشهابي مديراً لابن أخيه الأمير قاسم عمر وأرسلهما إلى دار السلطنة يلتمسان للأمير ملحم ولاية جبل الشوف وكسروان، وللأمير قاسم ولاية بلاد جبيل. ولما عرف بذلك الأمير منصور الشهابي أمر بقطع الأشجار التي لمنصور الشدياق في الحازمية ونال الأمير قاسم ومنصور أمراً سامياً إلى والي دمشق ليجيوا الأمير إلى مطلوبة، لكن توفي والي دمشق قبل الإجابة فيمض الأمير قاسم من الفوز وصالح عمه الأمير منصوراً وعوّض منصور الشدياق عما تلف له أو تكلف بيوتاً وعقاراً في قب الياس وأبقاه في خدمته، فسعى بعض المشايخ بتغييره على منصور وقلته. وكان منصور مأذوناً له أن يفتح الكتب الواردة للأمير ففتح ذاك الكتاب ثم ختمه وأعادته إلى الرسول فدفعه إلى الأمير فلم يخف الأمير ما فيه على منصور وطيب قلبه، فقال له منصور لا تلقى خيراً عند عمك الأمير منصور ما دمت أنا في خدمتك، واستأذنه بأن يفارقه ويتوجه إلى بلاد بشاره، فأبى الأمير وألح منصور فرضي الأمير وأكرمه ودفع إليه كتاب توصية إلى والي تلك البلاد، فارتحل منصور بأقربائه إلى قرية عين لبل فسكنها مدة ثم انتقل إلى رميش، وسنة ١٧٦٣م دعاه الأمير قاسم إليه فأتى إلى حارة الحدث وعاد إلى خدمة الأمير قاسم مديراً كما كان.

ومرض الأمير قاسم سنة ١٧٦٨م فجعل منصوراً وصياً على أولاده ودهقاناً لأملأك، ثم استقال من الأمير منصور من هذه الوصاية سنة ١٧٧٠م فاستدعاه الأمير أفندي وأخوه الأمير سيد أحمد الشهابيان واتخذاه مديراً لحكومتها وبقي كذلك إلى أن فرّ الأمير سيد أحمد شهاب سنة ١٧٨٥م من وجه أخيه الأمير يوسف إلى حوران فسار منصور معه فأمر الأمير يوسف بقطع الأشجار التي له في الحازمية. وسنة ١٧٩٣م توفي منصور الشدياق بن جعفر وعمره سبع وستون سنة ودفن بحارة الحدث وله ثلاثة أولاد فارس ويوسف وسليمان.

أما فارس فاستدعاه الأمير يوسف الشهابي الوالي إلى خدمته سنة ١٧٨٦م وكان الشيخ سعد الحوري مديراً الأمير المذكور يحب فارساً كثيراً فأحبّه الأمير

يوسف ولما مرّ الأمير يوسف ببلاد بعلبك سنة ١٧٨٨م مطروداً من الأمير بشير قاسم الشهابي الذي كان قد أخذ الولاية أرسل الأمير جهجاه الحرفوش يقول للأمير يوسف تحوّل عن بلادي أو صليت عليك القتال، فارتبك الأمير يوسف بالجواب فقال فارس للأمير يوسف الجواب عندي. وشتّم الرسول وضربه بدبوس من حديد وقال له اذهب فقل لأميرك من أنت حتى تمنع الأمير يوسف عن المرور فهو يأمرك أن تقوم حالاً من بلاد بعلبك أو فاجأك برجاله. ولما بلغ الأمير جهجاه هذا الجواب فرّ هارباً إلى بلاد الشرق وظلّ الأمير يوسف سائراً إلى الزبداني ثم إلى حوران، وأمر فارس الشدياق أن يقيم بدمشق وكيلاً له، ولما وعد الجزائر الأمير يوسف برّده إلى الولاية وحضر لديه إلى عكا كتب الأمير يوسف إلى فارس أن يلحقه إلى عكا فتوجّه معه خمسة عشر فارساً فأغار عليهم في الطريق عرب عنزه والسردية فقاتلهم قتالاً شديداً وقتل بعضهم لكنّهم استظفروا عليه أخيراً ورموه عن جواده إلى الأرض، فنثر لهم نقوداً ألهاهم بها وفرّ من بينهم إلى قعدان البعيش شيخهم مستجيراً به فأجاره على عادة العرب، وردّ له ولفرسانه كلّ ما سلب منهم، ولم يكن ورثة القتلى من العرب من مضرة نزله. وسأله فارس أن يصحبه بمن يوصله إلى إقليم البلان فأصبحه بخمسين فارس، وعند وداعه قدّم له فارس سيفه وكان ثميناً، وسار متكرراً إلى عكا خوفاً من الأمير بشير. وسنة ١٧٩٠م لما حضر الشيخ غندور الخوري إلى عكا يسأل الجزائر الولاية للأمير يوسف أنعم عليه بها وأمره أن يبقى الشيخ غندوراً رهناً عنده وأن يأخذ فارس الشدياق مدبراً له فكان كذلك. وفي سنة ١٧٩٨ دعا الأمراء أولاد الأمير يوسف فارساً بن منصور الشدياق لخدمتهم فأقام عندهم واستمرّ فارس في خدمتهم ثم خدمة الأمير بشير إلى أن توفي سنة ١٨١٧م.

عد ٧٦

الشيخ سعد الخوري وابنه الشيخ غندور

إنّ أسرة الخوري تنسب إلى الخوري صالح من عائلة مبارك. ارتحل الخوري صالح المذكور من كسروان إلى قرية رشميا سنة ١٧٠٠م، ويقال إنّ الخوري عبدالله من هذه الأسرة كان مع الأمير حيدر الشهابي الوالي في وقعة عندارا سنة ١٧١١م،

وقبض على أميرين من اليمنية فأقطعه الأمير حيدر قرية رشميا ورفع عنها المال الأميري، وتعاقب الكهنة من هذه الأسرة واحدهم الخوري عبدالله ولد غندور، وغندور ولد الشيخ سعد، وسعد ولد الشيخ غندور اللذين نكتب ترجمتهما. فلما تولّى الأمير يوسف الشهابي سنة ١٧٧١م اتخذ الشيخ سعداً ابن غندور مديراً له فأحرز ثقته وعظم اعتباره لدى الأمير المذكور ولدى ملته المارونية بل لدى الكرسي الرسولي كما سيأتي.

في تلك السنة اجتمع المشايخ آل حمادة ودهموا الأمير بشير حيدر الشهابي في العاقورة وهو يجبي الأموال الأميرية وعاونوه عليهم شيخا بشري واهدن وغيرهما من أهل البلاد، ولما علم الأمير يوسف بذلك أرسل مديّره الشيخ سعد بعسكر من قبل الجزار ومن رجال البلاد فأدرك الشيخ سعد المتأولة بقرية دير بعشتار فأغار عليهم وحاربهم من الظهر إلى المساء، فظفر بهم وفزّ الباقون مدحورين فقتلهم الشيخ سعد إلى القلمون وأهلك منهم نحو مائة رجل، وقبض على الشيخ أبي النصر حمادة. وفي سنة ١٧٨٣م رهن الأمير يوسف عند الجزار مديّره الشيخ سعد الخوري وأحضر ابنه الشيخ غندور سنة ١٧٨٤م وجعله مديراً له عوضاً عن أبيه. وسار الجزار إلى الحج فأخذ الشيخ سعد معه إلى دمشق فاعتراه مرض ولما عاد الجزار من الحج سأله أن يرتخص له بالعود إلى بلاده لمرضه فرتخص له فحضر الشيخ سعد إلى جبيل ثم إلى زوق مصبح طلباً للتداوي عند جبور الجلدي الحلبي الماروني جدّ عائلة طبيب، فلم ينتجع به العلاج فعاد إلى جبيل وتوفي بعيد ذلك سنة ١٧٨٥م وعمره ثلاث وستون سنة وقد رثاه المعلم الياس آده بأبيات مطلعها:

فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرّ وقد قرحت بالدمع منا الحاجز
والمصرع الأوّل في هذا البيت ختم به رثاءه وجعله تاريخاً لوفاته لكن مجموع
حروف هذا المصرع بحساب الجمل سنة ١٧٨٦م.

وكان الشيخ سعد عالماً للملة المارونية وعضداً لها وكان في أيامه ابعاد البطريرك يوسف اسطفان إلى الكرمل بأمر البابا بيوس السادس بسبب الراهبة هندية، ورفع الشيخ سعد عرائض إلى الحبر الروماني وبعض كرادلة الكنيسة الرومانية مؤرخة في ١٥ آذار سنة ١٧٨٤م ملتصقاً بإرجاع البطريرك إلى كرسيه مبرئاً ساحته مما قذف به، وأوعز إلى أساقفة الملة ورؤساء الرهبانيات والمشايخ فاقتدوا به، وأرسل

الشيخ سعد الخوري يوسف التيان تلميذ مدرسة الموارنة برومة إلى البابا وأصحابه برسالتين من الأمير يوسف حاكم البلاد إحداهما إلى الحبر الروماني والثانية إلى مجمع نشر الإيمان مبرئاً البطريرك مما طعن عليه ومترجياً عوده إلى مقامه. وترى صور هذه الرسائل مأخوذة عن السجلات البطريركية في كتاب سلسلة بطارقة الموارنة الذي طبعه المعلم رشيد الشرتوني في سنة ١٩٠١م. وكتب أيضاً الشيخ سعد رسائل أخرى بهذا الصدد إلى الكردينال رئيس المجمع المقدس وإلى المنسيور بورجيا كاتب المجمع وإلى الكردينال ديرنس وغيرهم. وترى نسخ هذه الرسائل في الكتاب المذكور مع صورة جواب البابا يوس السادس للشيخ سعد الخوري حيث يفتحه بقوله: «إلى الإبن الحبيب والرجل الشريف الحسيب السلام والبركة الرسولية» حيث أفاض الكلام معه بما أخذ فيه على البطريرك، وأنه لما كان أقرّ بغلظه وعرف سوء تصرفه أمر البابا بعوده إلى مقامه خاصة حباً بالطائفة المارونية لتشبهها الدائم بعري الإيمان الكاثوليكي. وتاريخ هذا الجواب ٢٨ أيلول سنة ١٧٨٤م. ولمّا توفي الشيخ سعد وبلغ خبر وفاته إلى رومة كتب الكردينال أنطونلي رئيس مجمع نشر الإيمان المقدس رسالة إلى البطريرك يوسف اسطفان يعزيه وطائفته فيها بهذه الخسارة العظيمة ويبين أمانيه بأن ابنه الشيخ غندور يخلفه بوجاهته وغيرته. وترى صورة هذا الجواب في الكتاب المذكور أيضاً. أمّا الشيخ غندور بن سعد فلم يكن أقل ذكاءً وغيره ووجاهة من أبيه وكان الأمير يوسف اتّخذه مديراً له منذ رهن أباه عند الجزائر كما مرّ، وقد أحسن الخدمة وتناهى بالاخلاص لخدمته وجدّ في السعي لراحة مواطنيه ونجاحهم، وقد أرسل البطريرك يوسف اسطفان بطريرك الموارنة يومئذ الخوري أنطون القيايالي البيروتي إلى باريس سائلاً الملك لويس السادس عشر أن ينعم بقنصلية فرنسة على الشيخ غندور فتكرّم الملك عليه بها سنة ١٧٨٧م فكان قنصلاً لفرنسة ومديراً لحكومة جبل لبنان. ويظهر أنّ الأمير يوسف كان قد كتب إلى ملك فرنسة يسأله أن ينعم على الشيخ غندور بالقنصلية وأن يواصل حمايته للموارنة كما يظهر من براءة الملك بإيلاء الشيخ غندور هذا المنصب المحفوظة في خزائن البطريركية وترى نسخة منها في كتاب المعلم رشيد المار ذكره في خزائن البطريركية أيضاً صورة رسالة كتبها الأميرال دي كاستريس الفرنسي إلى الأمير يوسف جواباً عن عريضة للملك بها يبيّن له سرور الملك برسالته ودوام حمايته للموارنة وترى صورة هذا الجواب أيضاً في كتاب المعلم رشيد المذكور.

وللشيخ غندور أيادي جزيلة على أهل لبنان ولاسيما أبناء ملته المارونية وفي جملة مساعيه النافعة لهذه الملة إغراؤه البطريرك يوسف اسطفان على تحويل دير عين ورقة الذي كان أقرباؤه قد أنشأوه لسكنى الراهبات مدرسة إكليريكية عامّة للموارنة. وفي خزائن أوراق البطريركية المارونية رسالتان أنفذهما الشيخ غندور إلى البطريرك يوسف اسطفان يرجوه ويحثّه فيهما على جعل هذا الدير مدرسة للموارنة. ويظهر أنّ البطريرك تردّد في الإجابة عندما وردت عليه الرسالة الأولى فانشئ الشيخ غندور مبيناً له لزوم هذا الأمر ومنافعه الجمة وسهولة وضعه بالعمل لأنّ الدير خاص بعائلته. ومن جملة ما قاله في هذه الرسالة الثانية بحروفه: «ما هي الإفادة إذا راحوا ثمان راهبات من عين ورقة إلى السماء وكان إكليرسوس ينوف عن ثلاثة آلاف لا يحسنون قراءة الإنجيل». فقع البطريرك وأقنع أقرباءه ودوّن صكاً مؤرخاً في ١٤ كانون الثاني سنة ١٧٨٩م بتحويل هذا الدير إلى مدرسة وترى صورة رسالتي الشيخ غندور هاتين بحروفهما في كتاب سلسلة بطاركة الموارنة المذكور على أنّ صكّ تحويل دير عين ورقة مدرسة الذي ذكر في الكتاب المذكور ليس هو الصك الذي دوّن بذلك متضمناً قانون المدرسة ونظامها إلى غير ذلك ولمّا عقد البطريرك يوسف اسطفان بأمر البابا بيوس السادس مجمع عين شقيق سنة ١٧٨٧م كان الشيخ غندور حاضراً به لأنّ الخبر الأعظم كان قد أمر أن يحضره سعد الخوري والده ويكون مساعداً على تنفيذ الأوامر الرسولية. ولمّا كان سعد قد توفي فأقيم ابنه مقامه وكتب الشيخ غندور إلى مشايخ الموارنة أن يشخصوا إلى هذا المجمع بحسب أمر البابا ودعوة البطريرك فلبى أكثرهم الدعوة ورفعوا إلى الشيخ غندور كتاباً يسألونه به أن تكون له العناية بأن يأمر هذا المجمع بإقامة المطارين عند السيّد البطريرك في قنوين وبكركي ويمضون وقتاً بعد وقت لزيارة أبرشياتهم وسندوا ذلك إلى جملة اعتبارات فأمر هذا المجمع بذلك ولكن لم يحسن لدى الكرسي الرسولي أن يجيبهم إلى طلبهم بل آثر أن يقيم كل أسقف في أبرشيته كما رسم بالمجمع اللبناني. وسنأتي على ذكر هذا المجمع.

وقد سعى الشيخ غندور بطبع المجمع اللبناني فطبع الطبعة الأولى في دير القديس يوحنا بالشويعر، وقد ولاه الأمير يوسف على مجدل معوش ووادي الست وبحمدون وعين تراز مدّة، ولمّا ردّ الجزّار الأمير يوسف الشهابي إلى ولاية لبنان سنة ١٧٩٠م رهن عنده ولده الأمير حسين ومدبّره الشيخ غندور ولم يلبث الجزّار

أن أعاد الأمير بشير قاسم إلى الولاية فأخذ يشكو من أن دسائس الأمير يوسف تمنعه من إجراء الأحكام وجباية المال فأمر الجزار بشنق الأمير يوسف الذي كان باقياً في عكا وشنق مدبره الشيخ غندور كما مّر. وقيل إنَّ الشيخ غندور لم يشنق بل مات خوفاً فكذا يزول مجد العالم.

عد ٧٧

المشايع آل الضاهر

أنبأنا العلامة البطريك الدويهي أنَّ أصل هذه الأسرة من بيت الرز الذين كان منهم ثلاثة بطارقة وأنهم عندما دكّت أهل إهدن منازل من اتبع اليعاقبة في بقوفا هاجر بيت الرز إلى كفرحورا بالزاوية في القرن السادس عشر وهم متشبثون بالإيمان القويم وما زال اعقابهم إلى اليوم حكماً على زاوية رشعين يقومون بمعاوضة الكرسي البطريكي بكل جهدهم كما يفعل الآن الشيخ أبو شديد ضاهر خليفة الشدياق أنطونيوس بن الرز . انتهى كلام الدويهي . وفي القرن الثامن عشر استمروا حكماً للزاوية كان يوليهم عليها والي طرابلس أو ولاية لبنان . وفي سنة ١٧٥٠م كتب لهم الأمير ملحم الشهابي الأخ العزيز كباقي مشايخ لبنان الكبار، وكان منهم الشيخ كنعان الظاهر وكان مشهوراً بشجاعته وإقدامه ونخوته . ويروون عن فراسته روايات غريبة وكانت بينه وبين بعض الطرابلسيين محاسدة وخصام فشكوه سنة ١٧٤١م إلى عبد الرحمان باشا والي طرابلس فقبض عليه وألقاه في السجن وعرض عليه أن يسلم فأبى وأكثر له من الوعد إذا طأوعه ومن الوعيد إذا خالفه فاستمرّ مجاهراً بإيمانه لا يحيله عنه حائل وتيقن أنَّ الباشا مصمّم على قتله فاحتال حتى اجتمع بالخورى ميخائيل من إهدن فاعترف عنده اعترافاً عاماً ويثّر له الله أن يناول القربان المقدّس زاداً أخيراً وبعد ذلك أمر الباشا بقطع رأسه عند باب التبانى فنفذ الأمر والتقليد الذي ينقله الشيوخ أنَّ الله صنع آيات كثيرة إلى من زاروا مدفنه وأنَّ بعض النصارى قطعوا يده بعد مقتله ووضعوها في كنيسة العذراء المعروفة بسيدة الحارة في طرابلس فأجرى الله آيات لمن تبرّكوا بها ولا نعلم أهو كنعان ضاهر الوارد اسمه في جملة أعيان الموارنة الذين شهدوا الجمع اللبناني أم غيره . ويترجح عندنا أنه هو هو إن صحَّ أنَّ مقتله كان سنة ١٧٤١م . واستمرّ آل الظاهر على إقطاعهم الزاوية

يولي الأمراء الحاكمون واحداً منهم عليه إلى أن ألغى نظام لبنان الاقطاعات سنة ١٨٦١ م.

عد ٧٨

المشايع آل الدحداح

إنّ هؤلاء المشايخ ينتسبون إلى جرجس الدحداح من العاقورة، وفي مبادئ هذا القرن الثامن عشر كان أحدهم الشيخ يوسف ابن الخوري جرجس ضليعاً في اللغة التركية حسن الخط بها وباللغة العربية، فاستخدمه الأمير حسين الحرفوش، ثم انتقل إلى خدمة الشيخ اسماعيل حمادة فوهبه بعض عقارات في عمل الفتوح فارتحل نحو سنة ١٧٠٥م إلى الكفور بالفتوح ثم إلى عرمون بكسروان. وتوفي يوسف المذكور سنة ١٧١٢م وكان ابنه موسى قد استخدمه الأمير منصور شهاب سنة ١٧٦١م، وبقي أخواه سليمان ومنصور يخدمان أولاد الشيخ اسماعيل حمادة المذكور كأبيهما، وعلم موسى ابنه نصيفاً وسلوماً اللغة التركية وأجاد نصيف الخط والانشاء. وفي سنة ١٧٦٣م اتفق موسى وأخوه منصور مع الشيخ سعد الخوري على طلب ولاية بلاد جبيل للأمير يوسف الشهابي وبدلاً ما بوسعهما من هذا القبيل. ولما نجح هذا المسعى وتولى الأمير يوسف بلاد جبيل والبترون استخدم الأمير يوسف ابني أخيهما سليمان وهما يوسف ونادر مع كتبة ديوانه وجعل ناصيف بن موسى جايياً للمال الأميري، واستحضر أخاه سلوماً من خدمة زوجة الأمير مراد منصور شهاب وعيّنه بخدمته. وفي سنة ١٧٧١م جعل الأمير يوسف عمل الفتوح عهداً لبني الدحداح ولما أرسل أخاه الأمير حيدراً عاملاً على بلاد جبيل أرسل معه بعض المشايخ الدحداح، ولما حاصره أخوه الأمير سيد أحمد في قلعة جبيل نجده المشايخ برجال الفتوح فأنعم عليهم الأمير يوسف ببعض عقارات في ساحل بلاد جبيل. وفي سنة ١٧٨٠م توفي الشيخ منصور بن يوسف الدحداح بعرمون فأبقى الأمير يوسف ابنه يوحنا معزراً كأبيه. ولما تولى الأمير بشير الكبير البلاد سنة ١٧٩٠م وانهزم الأمير يوسف إلى نواحي دمشق كان مع الأمير يوسف بعض المشايخ الدحداح، ولما نزل إلى عكا وحجسه الجزار وحبس من كان معه من الدحداح وهم سلوم ويوسف وإبراهيم فطلبهم الأمير بشير من الجزار وحبسهم في دير القمر، وطلب أحدهم

نصيلاً من أخيه الأمير حسن فانهزم بعياله إلى الضنيّة. ولمّا تولى الأمير حيدر والأمير قعدان سنة ١٧٩٢م أخرجوا المشايخ الدحاحة من السجن ثمّ تولّى أولاد الأمير يوسف فاستعملوا المشايخ المذكورين في الكتابة لهم. ثمّ تولى الأمير بشير الكبير سنة ١٧٩٥م ففرّ الشيخ سلوم الدحاح باخوته مع أولاد الأمير يوسف إلى جبيل فكتب إليه الأمير بشير يهدده بأنّه إذا لم يرجع باخوته من جبيل إلى خدمته يأمر بهدم مساكنهم بعراون ويقطع أشجارهم. فرجع الشيخ سلوم إلى خدمة الأمير بشير واخوته إلى خدمة أخيه الأمير حسن. ولمّا تغلّب أولاد الأمير يوسف على الأمير بشير سنة ١٧٩٩م وانهزم الأمير بشير وأخوه الأمير حسن إلى الحصن صاحبهما من آل الدحاح سلوم ويوسف وإبراهيم ومنصور ابن سلوم ثمّ توجه الأمير بشير إلى مصر لمقابلة الصدر الأعظم بواسطة الأميرال سميث الانكليزي فصحبه الشيخ سلوم وبقي يوسف وإبراهيم ومنصور ابن سلوم مع الأمير حسن في الحصن، وبقي بعض آل دحاح في خدمة الأمراء الشهابيين في القرن التاسع عشر كما سترى في تاريخه.

عد ٧٩

مشايخ جبة بشري وطردهم المتأولة منها

قد مرّ ذكر كثيرين من حكام جبة بشري في القرون السابقة كالشدياق خاطر الحصري ومقدّمي بشري والشيخ أبو كرم الحدّثي وأبو جبرائيل يوسف وأبو كرم بشاره جدّ آل كرم من إهدن وغرضنا الآن الكلام على من كان من مشايخ هذا العمل في القرن الثامن عشر. قد رأيت في ما مرّ أنّ المشايخ آل حمادة المتأولة تولوا مرات بلاد جبيل والبترون وجبة بشري وعزلوا أو طردوا من هذه الولاية، إلا أنّه في أواخر القرن السابع عشر أي سنة ١٦٩١م قرّر محمّد باشا والي طرابلس المشايخ الحمادية على إقطاعاتهم فتولى الشيخ حسين بن سرحال على بلاد البترون وابنه الشيخ اسماعيل على الكورة، والحاج موسى بن أحمد حمادة على الجبة، وأولاد حسن ديب على الضنيّة. ولكن في سنة ١٦٩٢م غيّر والي طرابلس من كان سالفه قد ولاهم فنصب في بلاد جبيل حسين آغا بن الحسامي، وفي بلاد البترون المقدّم

قديده ابن الشاعر، وفي الزاوية والجبة الشيخ ميخائيل بن نحلوس من إهدن ابن
أخت كرم أبي بشاره وهو من قيل عنه في الأغاني الشعبية:

يحرص دينك يا نحلوس حميت الضيعة بالدبوس
جامع رشعين هديته وفي زغرتا دقيت ناقوس

إلى أن اغتال رجل متوالي اسمه ابن الشقراني الشيخ المذكور في الضنية
وعادت الولاية على الجبة إلى بيت أحمد حمادة، فكانت فتنة بينهم وبين الشيخ
عبد السلام ابن الشيخ اسماعيل حمادة فهزمهم عبد السلام إلى الهرمل سنة
١٧٠٣م، وأقام في الجبة نحو أربعين يوماً، وحضر إليه بعض وجوهها خيفة من
شره وفّر بعضهم، وفرض ضريبة على قرى الجبة ومن لم يدفع ما أصابه منها أخذ
رجال طاسات النساء وسلاح الرجال والمؤن. وكتب إلى طرابلس يلتمس الولاية
على الجبة فلم يعطها حينئذ. وفي سنة ١٧١٥م حكم جبة بشري أولاد أبي
محمد عيسى وأولاد عمهم حسين المشطوب مشتركين ثم قسّموا البلاد مناصفة
فأخذ حسين من أبي محمد عيسى بشري وقنوين وقيطو وبزعون، وأسعد ابن
أخيه موسى أخذ حصرون وكفر صغاب وبلوزا وتولا وكرمسدي وراسكيفا، وأخذ
أولاد حسين المشطوب النصف الآخر وكانوا ثلاثة وهم أبو ناصيف وأبو حسين
وأبو قاسم فأخذ أبو ناصيف إهدن وحدها، وأبو حسين صالح أخذ عين طورين
ومزرعة التفاح وبنشعي وقنات وبرحليون وحماطورا وكفر صارون وبيت زعيتري في
بان، وأخذ أخوهما أبو قاسم دير قزحيا وحديث وبقاعكفرا، وكان في
حكومتهم شيء من العدل والإستقامة واقتنوا أملاكاً سموها بكاليك مزارا وسبعل
وسرعل ووطا الرامات وكفرفو وبان وحقا وثلث سرعل ودير نهرا والحدث وطرذا
وبقرقاشا ونحنا وبنهران ومتريت. على أن أولاد هؤلاء المشايخ لم يسلوكوا مسلك
آبائهم بل عكفوا على السلب والنهب والجور حتى القتل. ومن سنة ١٧٥٠ إلى
سنة ١٧٥٩م سلبوا راحة الأهلين ونكّدوا عيشتهم وقتلوا كثيرين. وكان حينئذ من
مشايخ القرى المشهورين الشيخ جرجس بولس من إهدن والشيخ عيسى الخوري
والشيخ حنا ظاهر كيروز من بشري والشيخ أبو سليمان عواد من حصرون
والشيخ أبو يوسف الياس من كفر صغاب والشيخ أبو خطار من عين طورين

والشيخ أبو ضاهر من حدشيت. فأتى المشايخ المتأولة على قتلهم فقتلوا منهم الشيخ أبا ضاهر من حدشيت واغتالوا كثيرين من وجوه الأهلين، وحملتهم الجسارة على أن يرسلوا ليقبضوا على المطران يواكيم يمين من إهدن فلم يكن أهل الجبة ليطيقوا هذا الجور ولا ليتحملوا هذا الذل والعار فالتقى أهل إهدن رجال المتأولة الآتين للقبض على المطران، وأوقدوا عليهم النار وأشعلوا بهم السيوف وطردوهم وتتبّعوا أثرهم إلى درج قنوين ونحييم الظلام بينهم. وفي النهار التالي غصّت إهدن بالآتين إليها من باقي القرى وقدم المطران يواكيم بكيسة القديس جرجس بإهدن وحلف جميعهم يمين الأمانة وعدم الخيانة، وقبضوا على رجل متوالي واشتركوا في قتله جميعاً، وجعلوا مشايخ القرى المار ذكرهم مشايخ لهم وحكاماً عليهم مكان المشايخ المتأولة، وأبقوا قسمة قرى البلاد كما كانت في أيام المتأولة. ونزل هؤلاء المشايخ إلى طرابلس وكان واليها حينئذ عثمان باشا الكرجي فالتزموا أي استأجروا منه قرى بلادهم ودفعوا المال المرتب عليها وكان ذلك سنة ١٧٥٩م.

وأقام هؤلاء المشايخ ثلاثة بكباشية من البلاد وهم بشاره كرم من إهدن وأبو ضاهر الفرز من بشري وأبو الياس العفريت من حصرون وعيّنوا رجالاً من البلاد للمحافظة، وكان عثمان باشا والي طرابلس يشجعهم ويمدّهم بالمساعدات لكثرة ما كان المتأولة يقدمون عليه من التعديات في الزاوية وحدود طرابلس، وكان المشايخ يلتزمون قراهم منه ولذلك كانوا يسمونهم ملتزمي جبة بشري. وسنة ١٧٦١م هاجم المتأولة قرية بشري آتين من بعلبك إذ كان بعض المشايخ والأهلين في الساحل فدخلوها وقتلوا منها أبا ضاهر الفرز البكباشي، وجبور أصيلة، وأبا أنطونيوس سكر، وأبا رزق جعجع، وجبور رحمة ونهبوا القرية ثم رجع المتأولة ثانية من بلاد بعلبك وبلاد جبيل بنحو ألفي رجل فالتقاهم مشايخ الجبة في أرض بشري وانتشب القتال بين الفريقين نحو ثماني ساعات ودارت الدوائر على المتأولة فاندعروا وقتل منهم اثنا عشر قتيلاً. وفي سنة ١٧٦٣م سار عليهم والي طرابلس محمد باشا ابن عثمان باشا المذكور عسكرياً إلى جبة المنيطرة وقسمه إلى قسمين: أرسل فريقاً على طريق الجبل وكان معهم الشيخ ضاهر حاكم الزاوية ويوسف الشمر من كفرحاتا، فحاصر الجبل شتت المتأولة فهرب بعضهم إلى ناحية بعلبك وفرّ بعضهم في وادي

الميحال نحو الساحل فالتقاهم العسكر الآتي من الساحل فنكل بهم وأحرق مزارعهم التي كانت بساحل جبيل، ولكن بينما كان بشاره كرم عائداً مع رجاله تحت المغيرة كمن له بعض المتأولة فقتلوه وستة من رجاله.

وفي سنة ١٧٦٤م توجه مشايخ الجبة إلى الأمير منصور الشهابي فولاهم على بلادهم وأمدّهم أيضاً بمحافظين لردع المتأولة عن التعدي فلم يكن ذلك كافياً لكتبهم عن إقلاق أهل البلاد إلى أن كان ما ذكرناه في عدد ١٠٤٢م من أن المشايخ الحمادية دهموا الأمير بشير حيدر نائب الأمير يوسف الشهابي في بلاد جبيل وهو في العاقورة ومعه شيخا بشري واهدن فقاتلهم وظهر عليهم وأبعدهم عن العاقورة، ثم حضر لتجديده رجال الجبة وبلغ الخبر الأمير يوسف فوجه مدره الشيخ سعد الخوري بعسكر فأدركهم الشيخ سعد في دير بعشتار وأثنى فيهم وظل يطردهم إلى القلمون وكان ذلك سنة ١٧٧٧م. وعلى هذا النحو استمر مشايخ الجبة المذكورون يحكمون بلادهم أي بيت كرم في إهدن وما يليها، وبيت حنا ضاهر وبيت عيسى الخوري في بشري وما يليها، وبيت أبي سليمان عواد في حصرون وما يليها، وبيت أبي يوسف الياس بكفر صغاب وما يليها، وبيت أبي خطار بعنطورين وما يليها، كما كانت القسمة في أيام المتأولة إلا بعض تغيرات. وكان حكام البلاد يولون من اختاروه من كل من هذه البيوت على إقطاعاتهم إلى أن ألغيت الإقطاعات بحكم نظام لبنان سنة ١٨٦١م ووضع المشايخ يدهم على بكاليك المتأولة واستمروا على ذلك إلى أن صالح المشايخ أهل القرى البكاليك على حقوقهم بها أو باعوه هذه الحقوق. انتهى عن كتاب تاريخ لأحد هؤلاء المشايخ أنطونيوس أبي خطار واعتماداً على التقليد المحفوظ في هذه البلاد.

عد ٨٠

المشايخ أبناء أدّه وغيرهم

أصل هذه الأسرة من أدّه إحدى قرى بلاد جبيل وأوّل من عرفناه من وجوها هو الشيخ يوسف إدّه خدام الأمراء آل معن في آخر مدّتهم ثم انتقل إلى خدمة الأمراء الشهابيين فنال حظوة لديهم ودعوه شيخاً وكان متزوجاً بامرأة من

أسرته. اسمها قمره ولها أخوان منصور وبطرس إذّه استدعاهما إليه وأدخلهما على الأمراء الشهابيين فسروا بذكائهما وحديثهما ورأوا فيهما ملامح النجابة والأمانة والفراسة واختصّوهما بخدمتهم واکرامهم، فعُلم الشيخ منصور الأمير منصور الشهابي فأقامه على تدبير شؤونه وأملاكه، وجعل بطرس رئيس الشرط. ولما أفضت ولاية الجبل وبيروت إلى الأمير يوسف الشهابي في حياة عمّه الأمير منصور عظم أمر أبناء ادة وكان منصور معدوداً من أهل السيف والقلم، وأما أخوه بطرس فاشتهر بالسيف أكثر من اشتهاره بالقلم. ومن مساعيها الحسنة بناء كنيسة القديس جرجس في بيروت للموارنة وكانت صغيرة فكبرها بنفقتها ونفقة مطران بيروت حيثيذ وهو المطران يوسف فاضل، وقد كتب على مذهب هذه الكنيسة: قد تمّ بناء هذا الهيكل المبارك بسعي الشيخ منصور اده. والمعلوم أنه عاونه على ذلك أخوه الشيخ بطرس وابن أخته الشيخ الياس الآتي ذكره. ثمّ توفي الشيخ منصور ببيروت سنة ١٧٦٩م وقبره في جانب الكنيسة المذكورة مكتوب عليه: قد درج هنا الشهير ذكره والجليل قدره الشيخ منصور اده الجزيل التقوى والعبادة الذي بعد أن تمّ سعي حياته البارة بعمل هذه الكنيسة وجميع أعمال البر محبوباً من الله والناس انتقل بغتة إلى مقر الراحة من هذا العالم بتحرّش، وبكاه جميع القبائل وذلك في اليوم الخامس في شهر شباط سنة ١٧٦٩م، وتوفي أخوه الشيخ بطرس ببيت شباب سنة ١٧٨٦م.

وولد ليوسف اده المذكور سنة ١٧٤١م ولد سماه الياس وبرع بالكتابة والإنشاء، ولما توفي أبوه سنة ١٧٦٦م خلفه في رتبته وكتب في ديوان الأمير يوسف ابن الأمير ملحم الشهابي إلى أن رآه أحد عمّال الجزّار عند الأمير يوسف فعجب من حذاقته وطلبه من الأمير يوسف فاستكتبه إلى سنة ١٧٨٦م، وغضب الجزار وقتيذ على ميخائيل وبطرس السكروج كاتبه ثمّ على يوسف مارون وقتله وعيّن مكانه لكتابته الياس اده فأقام في خدمته مدّة راضياً عنه، ثمّ سخط عليه وأرسل جنوداً استاقوه إليه من الكنيسة يريد قتله، على أنّه تمكّن بفصاحته وحذاقته أن يستعطفه إليه فرضي عنه وأهداه محبرة من فضة، لكن المعلم الياس ما برح واجساً منه خائفاً على نفسه. وبعد مدّة استأذنه بأن يحضر إلى بيروت ليأخذ عياله إلى عكا فأذن له بأن يغيب شهراً وكان ذلك سنة ١٧٨٧م فأخذ يفكر بوسيلة للنجاة من شراك هذا الظالم وعوّّل على الفرار إلى حلب، فسار إليها واختبأ في

الدار الأسقفية لطائفته وأقام هناك عدّة سنين، فحنّ إلى وطنه وانتهر فرصة محاربة نابوليون بوناپارت لعكا فرجع إلى وطنه ووجد الجزار ضبط أملاكه في بيروت وفي جملتها أربعة دور عند باب الدركة، فتوجّه إلى الجبل إلى بيت الدين فأكرمه الأمير بشير الكبير الشهابي ولكّنه لم يأمن على نفسه هناك من سخط الجزار، فتوطّن مدّة في جهات جبيل مستخفياً إلى وفاة الجزار سنة ١٨٠٤م. وبعد وفاته استخدمه الأمير بشير المذكور لكّنه عاد إلى بيروت يسعى في استرجاع أملاكه وأملاك أقاربه التي ضبطها الجزار فاسترجع الأملاك التي كانت في الجبل بعدالة الأمير بشير، وأقام حينئذ مدّة ببيروت إلى أن بلغه كتاب من مصطفى آغا متسلم طرابلس وكان من أصدقائه بأن الملك اسماعيل الكردي صاحب حمص وحماه يطلبه ليكون كاتباً عنده، فتوجّه إلى حمص فرحب به الملك اسماعيل وأعزّه ورأسه على كتبه ديوانه وأقام هناك خمس سنين. وفي سنة ١٨١٠م كانت نفرة بين يوسف باشا كنج والي دمشق والأمير بشير كادت تفضي إلى الحرب بينهما فأرسل الملك اسماعيل المعلم الياس اده ليسعى بالسلم بينهما ويسوي الخلاف فنجح بدرايته وأزال الخلاف، فكتب الأمير بشير إلى الملك اسماعيل يثني على مسعاه ويطلب منه المعلم الياس ليكون في ديوانه، فأرسله الملك اسماعيل وأكرم مثواه الأمير بشير وأعزّه. ولكن غلت مراجل الحسد في قلوب أعدائه ونظرائه فسعوا به لدى الأمير بشير فتغيّر عليه وأمره أن يسكن بعدا هو وعياله مبقياً له جعلاً سنوياً، فسكن بعدا قرير العين إلى أن توفي بها سنة ١٧٢٧م وعمره خمس وثمانون سنة، ودفن أمام الكنيسة ونقش على مدفنه تاريخ من نظم الشيخ ناصيف اليازجي الذي كان يتردد ويتخرّج عليه بآداب اللغة وهو:

حكم الاله بما ارتضى واختار للفردوس عبده
والحال قال مؤرخاً هذا رضى الياس اده

وكان الياس اده شاعراً وله كثير من النظم ولا يخلو نظمه من أغلاط نحوية وخلل في أوزانه الشعرية ويعذر بذلك لأنّه لم يتخرّج بمدرسة بل كان يهتدي إلى النظم بالفطرة السليمة والسليقة الطبيعية.

ومنه قصيدة يمدح بها المطران جبرائيل كنيذر مطران حلب الماروني مطلعها:

أمنذُ ملك قد جاء للبشر أم طالع السعد وافى داحض الكدر
أم ضوء صبح يلاشي ظلمة دهمت أم البشير أتى في أطيب الخير
إلى أن قال:

خذها إليك وإن كانت مقصرة فشان مثلك ينفي العيب بالغدير
واستر فاني تركت الشعر من زمن لشاغلي عنه غشى مقلة الفكر
ولما بلغ خبر وفاة الجزار إلى الأمير بشير وهو بحضرته فاقترح عليه أبياتاً
بديهة في موته فقال:

وافى السرور وصحّ ترجيح الأمل بهلاك عالج لا يعادله مثل
عين المآثم والمظالم والردى شرّ العوالم إن تفكر أو عمل
إلى أن قال:

لله درك يا منون لقد بدت منك الحياة وطاب حكمك واعتدل
فاز الأنام وارخوه بمقصدي هلك الشقي وإلى جهنم قد رحل
ومن نظمه تاريخ لوفاة بطرس تابت:

لا تحزنوا يا آل قوم عشيرتي إنّ البقاء في الدهر ماضٍ فائت
الموت حتم للبرية شامل كل ابن أنثى لا محالة مائت
وكفى يقين حيث تاريخي روى إني على إيمان بطرس ثابت

وتاريخ لوفاة منصور امرأة بطرس المذكور:

إنّ التقية بالشرى قد أدرجت وسعت لتلك الغاية المأثوره

طوبى لنفس ارخوها ببرها ولجت لجنة ربّها منصورة
ومن نكته أنه مات صديق اسمه ابراهيم وله أخ اسمه يحيى لم يكن يحبه
فقال:

مات ابراهيم خلي آه وأسفي عليه
ليته قد كان يحيى ورحمة الله عليه

وله غير ذلك كثير طالع ترجمة الأب لويس شيخو له في المشرق لسنته الثانية
صفحة ٦٩٣ وصفحة ٧٣٦ .

وقد نصّر الخوري ميخائيل فاضل البيروتي الأمير ابن الأمير حيدر الشهابي سنة
١٧٥٤م ثم نصّر البطريك يوسف اسطفان الأمير قاسم عمر شهاب وعائلته سنة
١٧٦٨م في غزير وقبلهم في الطائفة المارونية، ونصّر بعده الخوري أنطون القياسي
البيروتي من أولاد الأمير ملحم الأمير قاسم والأمير سيّد أحمد والأمير حيدر وتبعهم
غيرهم من آل شهاب وآل بلمع حتّى أصبح أكثر هؤلاء الأمراء المقيمين بلبنان في
آخر هذا القرن السابع عشر نصارى وموارنة، فلزم ذكرهم وحسبانهم من أعيان
الموارنة. وكان من هؤلاء الأعيان أيضاً سمعان البيطار وهو ابن يعقوب بن سمعان
البيطار الذي ارتحل من قرية جاج وسكن بكفيا ورزق هناك ثلاثة بنين توفي اثنان
منهم وبقي الثالث واسمه يعقوب، ولما انسلخت ولاية الخوازنة عن القاطع وسلمت
إلى الأمراء اللمعيين وكان يعقوب معزوزاً عند الشيخ أبي نوفل حصن الخازن رغب
إليه أن يقيم بقرية غوسطا، فقدم إليها من بكفيا وولد له فيها سمعان صاحب
الترجمة، وكان عاقلاً كريماً حسن الإدارة يعتمد عليه في مهام الحكومة، سلّمه
الأمير يوسف الشهابي عمل البترون وجعله شيخاً به، فاهتمّ بعمران هذه البلاد
ونجاح سكانها وأظهر غير عظمة على الأمور الدينية وأقنع الأمير يوسف حتى ملك
الرهبانية اللبنانية أديار حوب وكفيفان وميفوق وأنطوش جبيل وأنعم على رهبان دير
الحقلة بمزرعة مستيتا ودير مار دوميط البوار وكنيسة القديسة صوفيا هناك وبنى
كنيسة القديس بندليمون بقرية بجدرفل وحسن بناء كنيسة بسينا وساعد أهل
البترون على بناء كنيستهم. وتوفي في مدينة عكا سنة ١٧٩٤م ودفن في ساحة
كنيستها وخلفه ابنه يعقوب البيطار بمداركة واستقامته وحسن ديانته وغيرته. وكان

في هذا القرن أيضاً من الأعيان جرجس باز وعبد الأحد باز مدبران لأولاد الأمير يوسف شهاب، لكن رأينا أن نرجئ أخبارهما إلى تاريخ القرن التاسع عشر.

الفصل الثاني

بطاركة الموارنة في القرن الثامن عشر

عد ٨١

البطريك جبرائيل البلوزاوي

ولد هذا البطريك بيلوزا إحدى قرى جبة بشري واتخذ الطريقة الرهبانية ورقاه البطريك جرجس البسبعلي إلى أسقفية حلب سنة ١٦٦٣م خلفاً للأسقف يوسف البلوزاوي الذي كان قد رقي إلى هذه الأسقفية سنة ١٦٥٠م، كما مرّ وأنشأ سنة ١٦٧٣م دير طاميش في جنوبي نهر الكلب وكان يسكنه متى عاد من زيارة أبرشيته الحلبية، ثم أنشأ سنة ١٧٠٠م دير مار اشعيا في أرض برمانا وأسّس فيه الرهبانية المعروفة الآن بالرهبانية الأنطونية أو رهبان مار اشعيا، ووضع لها قانوناً أثبتته أولاً البطريك اسطفانوس الدويهي ثم أثبتته الكرسي الرسولي سنة ١٧٤٠م وقلماً يختلف عن قانون الرهبان اللبنانيين، وبقي مدبراً أبرشية حلب المارونية مدة إحدى وأربعين سنة، وأكثر من مقتنى الأملاك لدير طاميش حتى صار من أعظم الأديار حينئذ. ولما توفي البطريك اسطفانوس الدويهي في ٣ أيار سنة ١٧٠٤م أجمع أساقفة الملة المارونية على انتخابه بطريكاً في ١١ أيار من السنة المذكورة ووثّبه البابا أكليمينضوس الحادي عشر على يد قاصده الأب إيليا الكرملّي الافرنسي، وبقي بعد أن صار بطريكاً، كما كان أسقفاً عائشاً العيشة الرهبانية ناسكاً متقشفاً، على أنّ أيام بطريكته لم تكن طويلة لأنه توفي لرحمة الله في ٣١ من تشرين الأول سنة ١٧٠٥م، ودفن أمام معبد القديسة ماريينا بقنوين.

ولم نجد أنه رقى إلى الأسقفية إلا ابن أخيه القس صافي البلوزاوي على أبرشية حلب في شهر تموز سنة ١٧٠٤م وسماه ميخائيل، وكان يسكن في دير طاميش حيث سكن عمه وهو أسقف، ثم إن المطران ميخائيل هذا تنزل لعجزه عن تدبير هذه الأبرشية وخلفه فيها سنة ١٧٢٥م القس جبرائيل فرحات الشهير ودعي جرمانوس وستأتي ترجمته.

عد ٨٢

البطريك يعقوب عواد الحصري

هو ابن الخوري يوحنا عواد من حصرون درس العلوم بمدرسة الموارنة برومة فرع فيها، ولما عاد إلى وطنه جعله البطريك أسطفانوس الدويهي كاتباً له لمهارته في تعاطي الأعمال البطركية ولفصاحته في تدوين الرسائل وتخريجه في السياسة، فلم بما عهد البطريك به إليه أحسن قيام، ولذلك رقا هذا البطريك إلى الأسقفية على مدينة طرابلس سنة ١٦٩٨م، ولما توفي البطريك جبرائيل البلوزاوي في ٣١ تشرين الأول سنة ١٧٠٥م اجتمع الأساقفة في ٥ تشرين الثاني من السنة المذكورة فانتخبوه بطريكاً وثبته البابا اكليمنضوس الحادي عشر على يد قاصده الأب فرديندوس الكرمللي سنة ١٧٠٦م. على أن سلامة سريرة هذا البطريك وقلة تحذره أوقعته في عداوة كثيرين، واستمال أعداؤه وحساده أكثر مطارين الملة فعقدوا مجمعاً وحكموا عليه بالعزل خلافاً للقوانين، واستدعوه إلى مجمعهم، وتقدم مقدم الأساقفة فعزاه من الحلل الحبرية وأقاموه في دير لويزه كسروان محظوراً عليه الخروج منه، وانتخبوا بطريكاً مكانه المطران يوسف مبارك وعرضوا للكرسي الرسولي طالبين تثبيته، فلم يشأ البابا اكليمنضوس الحادي عشر أن يثبت بل أرسل الأب لورنسيوس حافظ الأرض المقدسة لفحص عن حقيقة ما كان، فأتى إلى كسروان وجمع الأساقفة والسيد يوسف مبارك الذي انتخبوه بطريكاً وأخذ ما لزم من التقارير وأرسلها إلى الكرسي الرسولي وأتى بالبطريك إلى صيدا وأقامه بدير الفرنسيسيين هناك.

وقد عهد البابا اكليمنضوس الحادي عشر بهذه المهمة إلى مجمع نشر الإيمان

المقدس، فاجتمع آباء المجمع بمجلس عام في ٢٠ آذار سنة ١٧١٣م فأبرزوا الحكم الآتي تلخيصه: «قد نظر آباء هذا المجمع بالوشايات الموردة على البطريرك يعقوب عواد الأنطاكي وتبصّروا بكل ما يتعلّق بذلك في عدّة مجالس فوجدوا شهادات الشهود المقدّمة على البطريرك باطلة ولا التحام ولا نظام لها، ثمّ تدبّروا الفحص الذي أجراه الأب الأكرم لورنسيوس الفاحص الرسولي وأمعنوا النظر في تقارير الشهود الذين أدّوا شهاداتهم بحضرته، وطالعوا أيضاً العرائض المرفوعة إلى الأب الأقدس من مطارنة وأساقفة وغيرهم في جبل لبنان، وأصغوا إلى ما قرره السيّد المطران جرجس بنيمين الإهدني الموكل من قبل المذكورين، وبعد مراعاة كل ما وجب مراعاته والامعان المدقق في كل هذه الأمور حكموا بأنّ كل ما قذف به البطريرك يعقوب المذكور لا ثبات له ولا اعتماد عليه، ولاسيّما أنّ المطارين ما أمهلوه المهلة اللازمة ليحامي عن نفسه كما يقتضي العدل والصواب، ولذلك برروا ساحته لأنّه لم يثبت عليه ذنب يستحقّ شرعاً شيئاً من التأديب، وحكموا أيضاً أنّ المطارين والأساقفة لم يكن لهم حق ولا سلطة أن يحطّوه ويخلعوه من مقامه البطريركي، وأثبتوا رأي الأب لورنسيوس الفاحص الرسولي، وأرجعوا البطريرك إلى بطريركيته محافظةً على شأنه وكرامته، على أنّه لما كان تقرر أنّ البطريرك تنزل عن بطريركيته في تلك الفترة حكموا أنّه لا بدّ من الفحص في مجلس آخر عن صحّة هذا التنزّل وحذراً من أن يفتأى ضرر على الكرسي الرسولي أو على الإيمان الكاثوليكي، أمر آباء المجمع أن يكون الأقدم بين المطارين وكيلاً وناظراً على البطريركية، ولا يحقّ لأحد أن يدعو هذا الوكيل بطريركاً ولا هو يسوغ له أن يطمع بالبطريركية لتدبيره شؤونها في تلك المدة، وفرضوا على الجميع الصمت عن هذه الأمور، وأمروا كاتب المجمع أن يترجم حكمهم هذا إلى العربية ويشهره في لبنان وغيره وفي ٤ نيسان سنة ١٧١٣ عرض الكردينال يوسف ساكريني رئيس مجمع نشر الإيمان حكم الكرادلة على الأب الأقدس فأثبتته وأمر أن يكون العمل بموجبه.

وفي اليوم الثامن من أيار سنة ١٧١٣م عقد آباء مجمع نشر الإيمان مجلساً آخر عاماً بحثوا فيه عن صحّة تنزل البطريرك بعد إمعان النظر في التقارير المقدّمة بهذا الشأن من كل جهة واعتبار ما يلزم اعتباره حكموا بتأييد البطريرك وإرجاعه إلى مقامه وكرسيه، وأن تردّ عليه كل حقوقه وأبرشيته، وعزلوا الوكيل الذي كانوا قد أقاموه في ٢٠ آذار وعزلوا أيضاً كل دخيل وغاصب للبطريركية، وأعلنوا أن

تنزل البطريك باطل. وكان قد تنزل مرتين الأولى لما أعادوه إلى البطريكية في ١٣ آب سنة ١٧١١م على شرط تنزله عنها، والثانية في ١٤ من الشهر المذكور في دير حريصا بحضرة الفاحص الرسولي، وأبطلوا أيضاً الانتخاب المدعى به لبطريك آخر والوكالة له ولاشوهما كأنهما لم يكونا، وأمروا جميع المطارنة والأساقفة وجميع الاكليس والشعب الماروني أن يعرفوا السيد البطريك يعقوب عواد وحده بطريكاً حقيقياً وشرعياً على الملة المارونية جمعاء، وأن يهتموا بأن يمثل الجميع هذا الحكم وكل من خالف قولاً أو فعلاً هذه المراسيم سقط بالتأديب الذي سنّته القوانين المقدسة على مثل هؤلاء المخالفين والحل منه محفوظ إلى الحبر الأعظم والجمع المقدس. وفي ٩ من شهر أيار عرض هذا الحكم على الأب الأقدس اكليمنضوس الحادي عشر فأثبته وأمر أن يكون العمل بموجبه.

وكتب البابا اكليمنضوس الحادي عشر بأثر ذلك براءة إلى المطارنة والأساقفة والاكليس والأمراء والشعب الماروني مؤرخة في ٢ تموز سنة ١٧١٣م وتراها مثبتة في ذيل الجمع اللبناني المطبوع حديثاً صفحة ٢٩. فالخبر الأعظم بهذه البراءة قرظ الموارنة على ثباتهم الدائم في الإيمان الكاثوليكي وطاعتهم المستمرة للكرسي الرسولي، وأعرب عن شدة انعطافه إلى هذه الملة ومحبة لها وعظمة استيائه مما حدث عندهم أخيراً بدسائس بعض أصحاب المآرب المقلقين من عزلهم بطريركهم، وأوضح أنه وبجّه عنايته الحبرية لتدارك هذا الأمر الخطير ووكّل إلى آباء مجمع نشر الإيمان التحري بهذا الأمر. وبعد الفحص عن الدعوى بكل دقة حكموا بأن عزل البطريك كان مخالفاً للعدل وباطلاً من كل جهة وكذلك حكموا بأن تفرغه عن البطريكية باطل، فلهذا برروا ساحته وأعادوه إلى حقوق بطريكيته وعزلوا كل دخيل أياً كان وأثبت هو هذه الأحكام بسلطانه الرسولي وقال إنه بعد صدور الحكم وصل إلى رومة القس أندراوس اسكندر بن سمعان الماروني من قبل المطران يوسف الريفوني وييده عرائض ورسائل من البطريك فطالعه آباء الجمع بتأنّ فحكموا أنّ لا ثبات لها ولا اعتماد عليها ولأنّ يلزم الاعتماد على الحكم السابق (هذه الفقرة الأخيرة لم نجدها في براءة البابا المثبتة ترجمتها في ذيل الجمع اللبناني لكننا وجدناها في نسخة أخرى).

ولما كانت هذه الدعوى قد انتهت الآن كان أملنا وطيداً بأنكم تسارعون إلى طاعة أمرنا والعمل بأحكام الجمع المقدس وتعرفون أنّ البطريك يعقوب هو

بطريرككم الحقيقي والشرعي وتقدّمون له الطاعة والتكريم، ومن المؤكّد عندنا أنّ الطاعة التي أثبتتموها بدلائل كثيرة من قديم الزمان إلى الآن دون سائر الملل الشرقية هي الآن أكثر لزوماً وضرورة لاقتلاع الزوان الذي زرعه عدو بينكم الخ.

ولما شهرت براءة البابا وحكم الجمع المقدّس على الملة المارونية أذعن الجميع لها ورجع البطريرك يعقوب إلى كرسيه ومقامه، ولكن ما برح بعض الخلاف والانقسام بين أبناء الملة ورؤسائها، ولذلك نرى البابا اكليمنضوس الحادي عشر وجه رسالة أخرى إلى البطريرك والأساقفة والأمراء والشعب مؤرخة في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٧٢١م يدعوهم بها إلى إزالة بواعث الخلاف والسعي وراء السلام وتأليف الخواطر، وأرسل إليهم بهذه الرسالة الأب جبرائيل حوّا الراهب الحلبي اللبناني الذي كان برومة ليلغهم بركته ورغائبه بأكثر تفصيل، وهذه الرسالة تجد ترجمتها مثبتة في ذيل الجمع اللبناني صفحة ٤٢.

وعاش البطريرك يعقوب بعد ذلك مكرماً مهابةً دائماً على عمل الميراث والقيام بأعباء البطريركية أحق قيام، وأنبأنا العلامة السمعاني في مقدّمة المجلد الأوّل من مكتبته الشرقية أنّ هذا البطريرك عاونه كثيراً على وجدان الكتب الشرقية التي أحضرها إلى المكتبة الواتيكانية لا من لبنان فقط وليس من عند الموارنة وحدهم بل من دمشق وحلب وحمص ومصر أيضاً من عند الطوائف الأجنبية.

وأما الذين رقّاهم البطريرك يعقوب عواد إلى درجة الأسقفية فقد أخذنا أسماءهم عن سجلّات بطريركيتنا فهم:

الأوّل الخوري صافي الجميل من بكفيا رقاہ سنة ١٧٠٦م وسمي الياس وتوفي في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧١٦م في دير مار عبدا هريريا ودفن به.

الثاني الخوري باسيليوس باسيل البجاني من بيت شباب رقاہ سنة ١٧١٠م إلى كرسي طرابلس وتوفي في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٣٦م، وجاء اسمه في الجمع اللبناني وان لم يحضره لعجزه، وناب عنه القس ميخائيل العزيري الطرابلسي المسمّى غرسيه.

الثالث جبرائيل مبارك الغوسطاوي رقاہ أخوه المطران يوسف الريفوني عندما تغلّب على البطريركية سنة ١٧١٣م إلى كرسي صيدا وتوفي في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٧٣٣م في ريفون.

الرابع الخوري سمعان عواد ابن أخي البطريك يعقوب رقاہ سنة ١٧١٦م إلى كرسي دمشق وكان متسلماً أبرشية صيدا وهو من آباء المجمع اللبناني.

الخامس القس عبدالله قرأ إلى الحلبي رقاہ سنة ١٧١٦م إلى كرسي بيروت وكان من آباء المجمع المذكور وتوفي في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٤٢م في زوق مصبح ونقلت جثته إلى دير لوزة وكان مديراً لدير حراش ورتب القانون لراہبات هذا الدير، وفي سنة ١٧٢٧م دخل إليه ثمانی عشرة راہبة.

السادس الخوري الياس محاسب من غوسطا رقاہ في ١٤ أيلول سنة ١٧١٧م إلى كرسي عرقا ودبر دير مار شليطا مقبس، وكان يزور المتن والجرد وجبيل والبترون والفتوح وكان من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٧ آب سنة ١٧٤٨م في دير مار شليطا المذكور.

السابع القس جبرائيل حوّا رقاہ سنة ١٧٢٣م إلى كرسي قبرص وتوفي برومة سنة ١٧٥٢م.

الثامن القس جبرائيل فرحات الحلبي رقاہ في ٢٩ تموز سنة ١٧٢٥م إلى كرسي حلب وسكن فيها وسمي جرمانوس وتوفي في ٩ تموز سنة ١٧٣٣م وستأتي ترجمته.

التاسع الخوري فرح الجميل من بكفيا رقاہ سنة ١٧٢٦م إلى كرسي جبيل وسمي فيلبوس وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ١٧ تموز سنة ١٧٧٤م في دير شويا.

العاشر الخوري يوسف صالح الدويهي ابن أخي البطريك اسطفانوس الدويهي رقاہ في ٢٠ تشرين الأول سنة ١٧٢٨م إلى كرسي البترون ودعي اسطفانيوس وجعله نائباً بطريكاً ودبر أبرشية بعلبك ومات في دير ريفون.

الحادي عشر الخوري يوسف ضرغام الخازن ابن أبي قانصوه الخازن رقاہ سنة ١٧٢٨م إلى كرسي غوسطا ثم صار بطريكاً.

الثاني عشر الخوري اغناطيوس شرايية رقاہ في ٢ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢م إلى كرسي صور وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٩ تشرين الأول سنة ١٧٤٧م، ويظهر أنه كان يسكن في دير مار الياس بلوني ودير لوزة حيث توفي.

الثالث عشر الخوري يوحنا اسطفان رقاہ في ١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢م إلى كرسي اللاذقية موتملاً أبرشية بيروت وكان من آباء المجمع اللبناني وتوفي سنة ١٧٧٩م في عين ورقة.

الرابع عشر القس جبرائيل عواد بن عيسى أخي البطريرك رقاہ في ٢٦ تشرين الأول سنة ١٧٣٢م إلى كرسي عكا وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٥ آذار سنة ١٧٦٣م.

الخامس عشر الخوري ميخائيل البلوزاوي الثاني بهذا الاسم رقاہ في كانون الثاني سنة ١٧٣٣م إلى كرسي بانياس وهو من آباء المجمع اللبناني.

السادس عشر هو القس جبرائيل حوشب رقاہ إلى كرسي حلب في ١ كانون الثاني سنة ١٧٢٢م وحضر إلى المجمع اللبناني فلم يصل إلا بعد نهايته فوقَّع عليه وعاد إلى حلب سنة ١٧٣٧م.

السابع عشر القس طوبيا ابن الشيخ أبي كنعان قيس الخازن رقاہ في ١ كانون الثاني سنة ١٧٣٣م إلى كرسي نابلس وسمي تارة مطران طرابلس وتارة مطران قبرص وهو من آباء المجمع اللبناني موقعاً مطران قبرص، وتسلم الوكالة على الكرسي البطريركي ثم صار بطريركاً.

وقد توفي البطريرك يعقوب عواد في ٩ شباط سنة ١٧٣٣م ودفن في كنيسة مار شليطا مقبس.

عد ٨٣

البطريرك يوسف ضرغام الخازن

هو ضرغام بن أبي قانصوه فياض بن أبي نوفل نادر الخازن وقد تزوج أولاً وولد له ولد اسمه ميلان، ثم توفي زوجته فصار كاهناً، ثم رقاہ البطريرك يعقوب عواد سنة ١٧٢٨م إلى أسقفية غوسطا. ولما توفي البطريرك يعقوب المذكور في ٩ شباط سنة ١٧٣٣م اجتمع الأساقفة في ٢٣ من الشهر والسنة المذكورين لانتخاب خلف له، فاختار ستة منهم: المطران عبدالله قرألي مطران بيروت، واختار ستة آخرون الياس محاسب مطران عرقا، واختار اثنان اسطفانوس

الدويهي مطران البترون، وطال الخلاف بينهم وكان المطران يوسف ضرغام الخازن يحرضهم على الاتفاق ويلومهم على الخلاف ويبين لهم العثار الذي سيكون من تعمدهم رغائب بشرية وعدم اتفاقهم بروح الرب على من يرون به أهلية لتمجيد الله ونفع طائفتهم، فأتم رأيهم أخيراً على انتخابه فانتخبوه بطريركاً في ٢٤ شباط سنة ١٧٣٣م في دير ريفون وثبته البابا اكليمنضوس الثاني عشر سنة ١٧٣٤م على يد موفده القس عبدالله ابن الحاج عون من عجلتون. وفي أيامه سلمت مدرسة عينطورا ومدرسة زغرنا إلى الآباء اليسوعيين بشروط بيّنها الأب الرئيس العام لجمعية الآباء المذكورين بوثيقتين الأولى بشأن مدرسة عينطورا مؤرخة في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤م، والأخرى بشأن مدرسة زغرنا مؤرخة في ١٠ كانون الأول سنة ١٧٣٥م. وسيأتي ذكر هاتين المدرستين بأكثر تفصيل. وفي أيامه أيضاً عقد الجمع اللبناني الشهير الذي هو دستور الأمور الروحية في طائفتنا إلى اليوم وسنفرد فصلاً برأسه للكلام في هذا الجمع. وفي أيامه أيضاً وبعبائته جدّد لويس الخامس عشر ملك فرنسا الحماية للموارنة بموجب براءة مؤرخة في ١٢ نيسان سنة ١٧٣٧م، إقتداءً بأبيه لويس الرابع عشر الذي كان قد جدّد لهم هذه الحماية براءة مؤرخة في ٢٨ نيسان سنة ١٦٤٩م لإعتماداً على الحماية التي بذلتها فرنسا للموارنة بموجب براءة القديس لويس التاسع ملك فرنسا عند شخوصه إلى قبرص وسورية سنة ١٢٤٩م.

وأما الكهنة الذين رقامهم البطريرك يوسف ضرغام الخازن إلى الأسقفية فلا نعرف منهم إلا اسطفان عواد السمعاني الذي كان مع خاله السيد يوسف سمعان السمعاني في الجمع اللبناني وكان رقيباً فيه فراقه البطريرك بعد ذلك إلى أسقفية أباميا. وقد عثرنا في السجلات البطريركية على رسائل من هذا المطران إلى البطريرك المذكور مؤرخة بعد الجمع المذكور، ولم نعثر في هذه السجلات على أسماء من رقامهم هذا البطريرك للأسقفية كما عثرنا على أسماء من رقامهم غيره. ويظهر أنه من سنة ١٧٣٣م التي ارتقى فيها إلى البطريركية إلى سنة ١٧٣٦م التي عقد فيها الجمع اللبناني لم يسقف أحداً لأن جميع الأساقفة الذين وقّعوا على الجمع اللبناني كان سالفه البطريرك يعقوب عواد قد سقّفهم إلا المطران جبرائيل أسقف صافية فقد كان البطريرك اسطفانوس الدويهي قد رقاها كما رأيت وأما هل رقى البطريرك يوسف ضرغام بعد الجمع اللبناني غير اسطفانوس عواد المار ذكره فلا

نعلم ولم نجد في السجلات البطيركية أنه رقى اسقفاً آخر كما وجدنا أسماء من رقاهم أسلافه وخلفاؤه. والله أعلم.

وتوفي البطيريك يوسف ضرغام في ١٣ أيار سنة ١٧٤٢م في دير ريفون ودفن في كنيسة النبي الياس في غوسطا.

عد ٨٤

البطيريك سمعان عواد

هو ابن أخي البطيريك يعقوب عواد رقاہ عمه إلى أسقفية دمشق سنة ١٧١٦م كما مرّ، وبعد وفاة البطيريك يوسف ضرغام الخازن اجتمع الأساقفة في عين ورقة فانتخبوه بطيريكاً فأبى قبول الانتخاب زهداً وتورعاً، فانتخبوا المطران الياس محاسب الغسطاوي أسقف عرقا، وكان المطران طوبيا الخازن غائباً فلم يقبل انتخاب المطران الياس المذكور بل اتفق مع المطران جبرائيل من طائفة السريان فرقى إلى الأسقفية كاهنين من قسوس دير لوزة وهما القس عبدالله حبقوق الذي توفي في ٧ آب سنة ١٧٥٨م بكفر صغاب والقس جرمانوس صقر من حلب فانتخباه بطيريكاً في دير لوزة. وأظنّ أنّ بعض المطارين المجتمعين في عين ورقة كانوا قد انتخبوا المطران طوبيا حتى ساغ له أن يدعي البطيركية وينازع المطران الياس عليها وقدم كلّ من المنتخبين أي المطران الياس والمطران طوبيا العرائض للحبر الأعظم طالباً إثباته في البطيركية ووجه كلّ منهما موفداً إلى رومة لمحاماة دعواه مصحوباً ببيانات وأدلة على صحّة دعواه وسقوط دعوى خصمه منشأة من رجال فقهاء، فعين البابا بناديكتوس الرابع عشر بعضاً من كرادلة مجمع نشر الإيمان المقدّس ليجمعوا أمامه ويفحصوا حجج كلّ منهما ويسمعوا تقريرات كلّ من موفديهما، فظهر للكرادلة أنّ الانتخابين باطلان ويلزم إعلان بطلانهما، وكان الحبر الروماني متردداً واجساً من المصاعب التي تكون من قبل الفريقين واستشار الكردينال فشنسيوس بترا رئيس مجمع نشر الإيمان الذي كان يثق بعلمه وسعة إطلاعه على القوانين البيعية فأشار بإبطال الانتخابين، واستشار أيضاً العلامة السمعاني الذي كان موثقاً بعلمه واستقامته ومخبرته في بني ملته فأشار بإيضاح بطلان الانتخابين واختيار

المطران سمعان عواد الذي كان الأساقفة قد انتخبوه فأبى، فعول الخبر الأعظم على ذلك وكتب براءة مؤرخة في ١٦ آذار سنة ١٧٤٣م موجهة إلى الأساقفة أبطل بها انتخاب المطران الياس والمطران طوييا وأمر بأن يكون المطران سمعان عواد بطريركاً، وحتم على المطارنة والأساقفة والاكليروس والأعيان والشعب أن يخضعوا لسلطته ويمثلوا أوامره، وصرح بأن انتخابه هذا البطريرك لا يقصد به تبطيل حقوق أساقفة الموارنة على انتخاب بطريركهم في ما يأتي من الزمان بل جلّ المقصد إزالة المنازعات وإرجاع الهدوء والسلامة. وكتب رسالة إلى البطريرك سمعان يعلمه بانتخابه ويأمره أن يباشر السلطان البطريركي على كل مخالف، وأرسل هذه الأوامر الرسولية إلى الأب يعقوب من لوكا أحد رؤساء رهبان القديس فرنسيس، وأمره أن يتوجه بها إلى لبنان بمنزلة قاصد رسولي ويشهرها على رؤساء الملة المارونية، وخوله كل سلطة لازمة لتنفيذها. فتوجه القاصد المذكور من القدس إلى كسروان ودعا إليه المطارنة والأساقفة وعلية الاكليروس والأعيان إلى دير حريصا فنشر عليهم أوامر عظيم الأحبار فأذعن جميعهم دون مخالف للأوامر الحبرية بملء الرضى والطاعة المخلصة، وأجابوا أجمعين بما قاله آباء الجمع الخلكيدوني أنّ بطرس تكلم بلسان خليفته بناديكتوس الرابع عشر وأقبل جميعهم ينحنون أمام البطريرك سمعان مهين له ومبدين عواطف الطاعة والسرور.

ورفع حينئذ البطريرك والأساقفة عرائض الطاعة والامتنال لأمر الأب الأقدس وأصبحها الاكليروس والأعيان بعرائض الشكر والثناء لقداسته، وعرض القاصد المذكور للبابا ولجمع نشر الإيمان مبيناً باندهاش ما رآه من شعائر الطاعة للكرسي الرسولي عند الموارنة، فبلغت هذه العرائض إلى رومة سنة ١٧٤٤م وكان البطريرك قد وكل إلى المونسنيور يوسف السمعاني أن ينوب عنه بالتماس التثبيت له من الخبر الأعظم فجمع امام الأحبار الكرادلة ومقدمي البلاط الواتيكاني والرؤساء والأعيان في ٣ تموز سنة ١٨٤٤م ونطق بخطبة يحق للموارنة أن يدونوها بالتبر ويخلدوا ذكرها ولا تنمالك من أن نورد بعض فقراتها وإن كنا أسلفنا ذكر بعضها. قال ونعم العلامة القائل:

«لا شك في أنّكم تعلمون جيّداً أنّ الموارنة هم مسيحيون سريان يختصون بالبطريركية الأنطاكية لأنهم يسكنون سوريا وسواحل فينيقيا وجبالها وفلسطين وقبرص ومصر وغيرها من الأمصار الشرقية، والسواد الأعظم منهم يقطنون في

لبنان، ولا يفوت علمكم أيضاً أنّه لما فشت في أواخر القرن السابع بدعة القائلين إنّ في المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحداً وأفسدت سكان البطريركية الأنطاكية فالموارنة رغبةً في أن يصونوا ملتهم ويوقوها ذلك الفساد عزموا على أن ينتخبوا لهم بطريركاً يثبت من الحبر الروماني ويستمدّ منه درع الرياسة. ولما مرّت قرون وأخذ السراكسة أنطاكية وطرّدوا منها اللاتينيين الكاثوليكين فرّ هؤلاء اللاتينيون إلى جبل لبنان وقبلهم بطريرك الموارنة بالترحاب والمؤانسة والوداد، فكتب إليه البابا اسكندر الرابع يشكره لذلك ويدعوه البطريرك الأنطاكي. وما برج بطاركة الموارنة يعرفون بهذا الاسم مع إنّهم نصبوا كراسيهم ثابتةً في جبل لبنان. وقد كان الموارنة كلّ حين كما هم الآن كاثوليكين كلّ الكتلّة مرتبطين بالاتحاد الكرسي المقدّس باذلين الطاعة والاحترام التام للحبر الروماني ولبطريركهم، ولكن من حيث هم بشر فليس يعجب أن يحدث بينهم أو إن حدث نقص بشري في شأن بطريركهم وربما يتذكّر بعضكم ما جرى في أيّام سالفنا السعيد الذكر اكليمنضوس الحادي عشر من عزل البطريرك يعقوب وما التحق بذلك الحبر الجليل من الإهانة العائدة أيضاً إلى حقوق الكرسي الرسولي... ولما تأكّد البابا برارة ذلك البطريرك وبراءته حكم برجوعه إلى كرسيه الذي حظّ عنه ظلماً فقدم الموارنة حينئذٍ دليلاً حديثاً على حسن طاعتهم وخضوعهم للكرسي الرسولي.

ونحمد الله على أنّه لم يصدر منهم في أيّام حبريتنا عزل بطريرك لكنّه حدث حادث كدرنا كدراً عظيماً وهو أنّه في سنة ١٧٤٢م انتقل إلى رحمة الله يوسف بطرس الخازن البطريرك، وعندما اجتمع المطارنة والأساقفة كالعادة لينتخبوا خلفاً له انقسموا إلى قسمين، فاختر بعضهم الياس مطران عرقا وبعضهم طوبيا مطران قبرص». وأردف البابا كلامه بإخبارهم عن عرائض المنتخبين له وإرسال كل منهما موفداً إليه واختياره بعض كرادلة مجمع نشر الإيمان للفحص عن ذلك بحضرته وحكمهم ببطلان الانتخابين واستصوابهم تعيين بطريرك غير المنتخبين وتصويبه العمل برأيهم إقتداءً ببعض أسلافه في حوادث كهذه ذكرها لهم وإصداره الأوامر بذلك إلى أن قال: «فهذا ما لزم إيضاحه لكم قبل تلاوة رسالة البطريرك الذي اخترناه ورسائل المطارنة والأساقفة الموارنة فمنها تحيطون علماً بما قد جرى». فتقدّم المونسنيور يوسف السمعاني فرفع إلى قداسته الرسائل المذكورة فدفعها البابا إلى كاتب البراءات الرسولية وأمر فتليت أولاً باللغة العربية ثمّ تليت ترجمتها اللاتينية.

فحملوا الحبيس يونان بالنعش إلى دير القديس سمعان بالفرايس وأما أخوه يوسف فسار إلى قريته سمار جبيل ، وبعد ثلاثة أشهر مضى المقدم مقلد البشرياني والشدياق خاطر الحصريوني وبعض الأعيان ، فشفعوا بهم فباركهم البطريك وكان دير قزحيا قد خلا من الرهبان ، فرخص لهم بالعود إليه وأعطاهم عشرة رهبان وبقراً وماعزاً إلى غير ذلك مما يلزم لهم ، وفصل الدير عن المحبسة ليقوم كل منهما بنفسه . ويظهر أنه لم يصحح رسامة من رسمهم الأسقف داود .

٢٨ - الأسقف سركيس الرزي أخو البطريك ميخائيل الرزي لم يذكر الدويهي سنة ارتقائه إلى الأسقفية بل ذكر في تاريخ سنة ١٥٧٨م أن البطريك ميخائيل أرسل أخاه الأسقف سركيس والقس جرجس بن يونان مع الأب جوان باطيسا ليرافقه في تطوفه بلبنان ويقدم له ما يطلبه ، والأسقف سركيس هو الذي خلف بالبطريكية أخاه البطريك ميخائيل بعد وفاته سنة ١٥٨١م .

٢٩ - الأسقف سركيس من كفرحورا لم يذكره الدويهي ، ولكن وجدنا توقيعه على المجمع الطائفي المنعقد سنة ١٥٨٠م هكذا . أنا سركيس من كفرحورا أسقف ورئيس قزحيا .

٣٠ - الأسقف يوسف البسلوقيتي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٠م فقال أنه نحو هذه السنة رقد بالرب يوسف البسلوقيتي الذي كان مستحبساً في دير القديس انطونيوس بالفرايس ، ولأجل سيرته الملكية وشيخوخته النقية رقاها البطريك ميخائيل إلى الأسقفية ، ولما دنت ساعة وفاته مضى لزيارته ، ثم أمر بدفن جثته بمغارة البارة مارينا بجانب دير قنوين .

٣١ - الأسقف اقليمس الأهدني هو الذي كان البطريك ميخائيل الرزي قد أرسله كاهناً مع المطران جرجس البسلوقيتي إلى روما ، فراقه أخوه البطريك سركيس إلى الأسقفية سنة ١٥٨٤م ليكون معاوناً له في دير قنوين . وذكر الدويهي وفاته سنة ١٥٩٨م وقال إنه توجه إلى روما مرات وأنه كان حازماً أصيل الرأي .

٣٢ - الأسقف انطونيوس الجميل ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٧م وقال إنه لما كان كاهناً عني ببناء كنيسة القديس عبدا في قريته بكفيا وأنفق عليها ألف قبرصي عدا ما أنفقه أهل القرية وغيرهم ، فأراد البطريك سركيس الرزي أن يكافئه

فرقاه إلى الأسقفية وأكرمه ببدة جميلة للقداس ، ولما كان البطريرك متوجهاً سنة ١٥٩٥م لزيارة كسروان لقيّه المطران انطونيوس إلى البوار عازماً أن يمنعه عن الدخول إلى هذه البلاد فربطه البطريرك ، وفي اليوم الثالث بعد ذلك قضى أجله .

٣٣ و ٣٤ - الأسقف يوسف والأسقف يوحنا مطرانا قبرص ذكرهما الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٨م بقوله في هذه السنة كانت وفاة الأسقف يوسف بجزيرة قبرص ، ورقى البطريرك خلفاً له الأسقف يوحنا بن اسكيلا المعلم من الخيزفانية ثم ذكر وفاة يوحنا هذا في سنة ١٥٩٨م .

٣٥ - الأسقف يوسف الرزي هو ابن موسى الرزي أخى البطريرك سركيس ، رقه عمه البطريرك المذكور سنة ١٥٩٥م إلى الأسقفية في عيد ميلاد الرب ، وأرسله سفيراً إلى البابا اكليمنضوس الثامن لقضاء بعض حاجات الطائفة وتهنئة البابا بارتقائه إلى الخبرة العظمى ، فعاد من روما سنة ١٥٩٦م ومعه الأب ايرونيوس دنديني والأب فايوس برون اليسوعيان لعقد المجمع المار ذكره ، وبعد وفاة عمه البطريرك سركيس سنة ١٥٩٦م خلفه في البطريركية كما مرّ .

٣٦ - الأسقف موسى العنيسي صير مطراناً على قبرص سنة ١٥٩٨م بعد وفاة الأسقف يوحنا بن اسكيلا المار ذكره ، وكان موسى المذكور من العاقورة وتهذب بالعلوم بروما .

ورقى البطريرك يوسف الرزي إلى الأسقفية في آخر هذا القرن أي سنة ١٦٠٠م ابن أخيه الأسقف سركيس الرزي والأسقف جرجس بن عميرة الأهدني الذي انتخب بعداً بطريركاً ، والأسقف ميخائيل من بيت عبيد باهدن ، والأسقف موسى من عرجس . وأقام بدير مار اليشاع ببشري . وترجئ تمة الكلام في هؤلاء إلى تاريخ القرن السابع عشر .

عد ٥٥

المشاهير الدينيين الموارنة في القرن السادس عشر

نريد بالمشاهير الدينيين من اشتبهوا في هذا القرن من الموارنة بالنسك والزهد والعلوم الدينية أو نسخ الكتب ، وهم ليسوا بطاركة أو أساقفة ، واعتمدنا في تراجمهم على تاريخ العلامة الدويهي .

١ - كان من سلك النساك القس موسى العكاري ، وكان رئيساً على دير السيدة بحوقا ، وكان تلميذاً للخوري اسطفان والقس ميخائيل رئيسي هذا الدير ثم رقى إلى الأسقفية ثم البطيركية كما مرّ .

٢ - الخوري يوحنا المعروف بالزطيمية ، فهذا كان من ترّج وارتحل بعائلته سنة ١٥١٠ إلى قبرص في جملة من هاجروا من لبنان تلك السنة من جري الجور والضرائب . وكان الخوري يوحنا عالماً فاضلاً نسخ كثيراً من الكتب البيعية ، وكان من جملة عمد الطائفة في تلك الأيام ، وكانت له مباحث دينية مع الروم بقبرص ، وكانوا يسمونه كروكلياً لأنه كان يعتّم بعمامة زرقاء ، وعانى مشاق كثيرة من أبناء طائفته حسداً له . وبعد وفاته خلفه ابنه القس يوسف والشماس الياس واشتهرا بنسخ الكتب البيعية والأفعال الحسنة .

٣ - الخوري لوقا بن بطرس من ترّج أيضاً وأنشأ كنيسة جميلة في قرية كليين بقبرص على اسم القديس لوقا الانجيلي .

٤ - الخوري زكريا وكان من جملة النازحين من لبنان إلى قبرص ، وبنى كنيسة القديس ماما في قرية مطوش .

٥ - الحاج ميخائيل أخو الأسقف جبرائيل القلاعي انتقل من لحفد إلى قرية طالا بقبرص وزاد على كنيسة السيدة سوقاً آخر ومذبحاً على اسم القديس عبدا .

٦ - القس بطرس وهو الذي أرسله البطيريك سمعان الحداثي إلى البابا لاون العاشر سنة ١٥١٣م فردّه البابا إلى لبنان إذ لم يكن مصحوباً برسائل البطيريك ، ثم سفره البطيريك ثانية إلى أم المدائن سنة ١٥١٥م فنال التثبيت على يده كما قدمنا في الكلام على هذا البطيريك ، وهو الذي أحضر نسخة من رسالة فراغريفون إلى الحبر الروماني شهادة بصفة ايمان الموارنة كما مرّ .

٧ - الخوري يوسف الذي أرسله البطيريك سمعان الحداثي سنة ١٥١٥م إلى رومة مع راهبين لاقتباس اللغة اللاتينية والعلوم الدينية فعلموا اللغة السريانية وكانوا أول من علّمها بأوروبا .

٨ - الخوري يونان المترتي رئيس دير قزحيا ، زاد في كنيسة هذا الدير سنة ١٥٢٦م على مذبح القديس بشاي مذهبين آخرين أحدهما على اسم السيدة

والثاني على اسم جبرائيل رئيس الملائكة . وفي سنة ١٥٣٩م اتفق مع رهبانه على نهى النساء عن الدخول إلى دير قزحيا ، وحلف جميعهم على ذلك وأقاموا لذلك احتفالاً وتطوافاً بالدير كله . وفي سنة ١٥٤٢م انتقل إلى رحمة ربه . وكتب عنه تلميذه الحبيس جبرائيل الأهدني أنه خدم الله بالطهارة والورع مدة خمسين سنة . وكان قبل وفاته بأربع سنين يصوم يومين يومين ولا يفطر في الصوم الكبير إلا يوم السبت والأحد ، ولم يكن عدد لمطانيته في سبة الآلام ، ولم يكن له مثل في أعمال الرحمة . ويعجز القلم عن رقم فضائله . وشهد تلميذه الخوري يوحنا اللحفدي بأن الله صنع على يده آية كان هو شاهداً لها وهي أنه عازهم الزيت فوضع بخوراً وصلّى على خاوية الزيت فطفحت به . وشهد جنازه البطريك موسى المطران قرياقوس وجمّ غفير تباركوا بجسده الطاهر . وقد ذكره المطران اسطفانوس عواد في فهرست المكتبة الماديشية صفحة ٢٦ إذ روى أنّ كتاب الزبور الذي كان قد كتبه حوشب في دير قزحيا سنة ١٣١٨م قد نسخه ملك جبرائيل من اهدن سنة ١٥٢٢م باهتمام الأب يوان الحبيس المترتي . وروى ترجمة هذا الحبيس عن الدويهي كما رويناها ، وذكر أيضاً تلميذه الحبيس جبرائيل الأهدني وهو ناسخ كتاب الزبور المذكور .

٩ - القس جرجس بن حرواص من قرية عرجس أنشأ دير القديس الإشاع ووسعه وأنفق عليه ١٣٧٥٠ درهماً عدا ما تبرّع به غيره من المحسنين . وكان عبد المنعم الأول مقدم بشري معاوناً له ومثله الحاجة سارة رفيقته في النسك وشريكته في بذل النفقة المذكورة ، وكان ذلك سنة ١٥٣٣م . ويظهر لنا أنّ القس جرجس هذا هو الذي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٥٦م وقال إنّ المطران رقاہ إلى الأسقفية مكافأة له لبنائه دير مار الإشاع ببشري وإن سمي في هذا المحل الأخير يوسف لا جرجس .

١٠ - القس يوحنا بن نمرون الباني كان رئيساً على دير قزحيا سنة ١٥٢٩م وكان شهيراً بالورع والنسك ، ولما اختصم أهل بان وأهل عينطورين على دير قزحيا وحكم القاضي به لأهل عينطورين اعتزل القس يوحنا من الرئاسة وتولاها الخوري يوحنا اللحفدي كما مرّ عند ذكر الأسقف يوسف الجاجي . ثم عاد القس يوحنا إلى رئاسة دير قزحيا سنة ١٥٥٦م ولم يمكث بها طويلاً بل استقال منها وسكن دير القديس سمعان بقيطو ، إلا أنه في سنة ١٥٦٧م لما صير الحبيس ميخائيل

الرزقي المترئس على دير قزحيا بطريركاً أعادوا القس يوحنا إلى رئاسة هذا الدير فأنشأ له مطحنة عند الدير وجّر الماء إليها من النهر. وعظمت شهرته بالبر والورع، ولما توفاه الله خلفه بالرئاسة الخوري ابراهيم الحديثي.

١١ - الخوري يوحنا اللحفدي كان تلميذ الحبس يونان الميريتي وترأس على دير قزحيا بعد اعتزال القس يوحنا الباني المذكور، ثم توفي سنة ١٥٤٢م بعد وفاة معلمه وقد اقتدى بفضائله ونسكه وتقشفاته وخدمته أربع عشرة سنة في مرضه، وكان يقضي سبة الآلام متهجداً مكثراً من الاماتات والمطانيات.

١٢ - الحبس يونان بن جلوان من سمار جبيل ترهب في دير قزحيا مع أخيه القس يوسف، وقد ذكرنا دعوة المطران داود رئيس دير قزحيا لهما إلى دير حوقا وترقيتهما سنة ١٥٧٦م إلى الأسقفية خلافاً لقوانين الكنيسة ومنع البطريرك لهما عن مباشرة حقوق الأسقفية وطاعتهما ورضى البطريرك عنهما وردهما إلى دير قزحيا فأكملا حياتهما بالنسك والزهد والورع.

١٣ - القس يعقوب عصاص من بيت الزيات من أسمر جبيل، لبس الأسكيم الملائكي بدير قزحيا، وقضى حياته بالنسك والقداسة في محبة القديس سمعان بالفراديس وتوفي سنة ١٥٨٥م قال الدويهي، وجسده ما زال سالماً في مغارة مار ادنه هناك لم يعثره فساد.

١٤ - الشهيد ابراهيم بن جرجس البشراني الحلبي ولد في حلب سنة ١٥٦٣ وكان والداه من بشري فهاجرا إلى حلب وكان من صغره على جانب عظيم من التقوى والعبادة ويظن أنّ الأب يوحنا ايليان المعروف بجوان باتيستا اختاره من حلب عند وصوله إليها سنة ١٥٨٢ ليكون مرشحاً للكهنة في مدارس رومية فدرس هناك أولاً مع التلامذة الذين كانوا في منزل الموارنة قبل أن تقام المدرسة وكان يتردد إلى الشبان المبتدئين في الرهبة اليسوعية فآثر فيه مثل سيرتهم وآدابهم ثم ذهب إلى رئيسهم يطلب منه الدخول بينهم فقبله بنوع غير اعتيادي وقضى زمان الامتحان مشهوراً بالعبادة والتقوى. وفي أواخر سنة ١٥٨٤ أرسله الرؤساء إلى المدرسة اليسوعية في فلورنسا ليتّم زمان امتحانه وينصبّ على الدرس فأقام هناك سنتين وأمره الرؤساء بالعود إلى رومية فدرس في المدرسة الرومانية العلوم الرياضية ثم الفلسفة واللاهوت على علماء يسوعيين شهيرين. وفي ٢٥ شباط سنة ١٥٨٨ قضى

الإكليل لابراهيم المذكور مع غيره حسب طقس الكنيسة اللاتينية ومن بعد أن أنجز دروسه رقي إلى درجة الكهنوت ثم أرسله رؤساؤه إلى الهند سنة ١٥٩٢ وبعد أن أقام مدة في الهند سافر بأمر الطاعة إلى بلاد الحبشة في سنة ١٥٩٥ وكان وصوله إلى مصوع في آخر نيسان وبوصوله إلى هناك قبض عليه وأخذ إلى الحاكم فقضى الالب ابراهيم ليلته في الصلاة فرحاً وفي الصباح أوتي به من السجن أمام الحاكم فسأله عن اسمه ودينه وغاية سفره فأجاب إني ولدت بمدينة حلب واسمي ابراهيم ابن جرجس وديني دين المسيح أتيت هذه البلدة لأذهب منها إلى بلاد الحبشة لأبشر بالدين الكاثوليكي وأثبتته فتهدده الحاكم بالقتل فلم يثن فأخذ يتملقه فلبث مصرّاً فزجّه في سجن المجرمين مقيداً بالسلاسل وأمر بعض الجنود أن يعذّبوه بالضرب والجوع والعطش فاحتمل كل ذلك بصبر وبعد أيام اجتمع أهل المجلس للحكم عليه بالموت فأمره الحاكم أن يشفق على شبابه ويكفر بالمسيح فأجابه: إني أؤمن بالله واحد وبأنّ المسيح تجسّد ومات لخلاصنا فحنق الحاكم وأمر بقطع رأسه فتلقى الحكم بفرح وتهليل ثم لبس رداءه الرهباني وجثا وقبّل الأرض وسلّم نفسه للجنود كالحمل فذهبوا به إلى محل العذاب وتبعه بعض النصارى فجثا وصلّى ثم حلّ ثوبه حول عنقه فضربه السيّاف ضربة هائلة فانكسر السيّاف فضجّ الشعب وغضب السيّاف وأخذ سيفاً آخر فضربه به فانشلم حدّه وأعاد الضربة فانكسر السيّاف ولم يجرح الشهيد إلا جرحاً خفيفاً فزاد ضجيج القوم وظهر تعجبهم فاستلّ السيّاف سيفاً ثالثاً وضربه فانفصل رأسه عن جسّته في أواخر نيسان سنة ١٦٩٥ ولم يكن تجاوز السنة الثالثة والثلاثين من عمره وشهد الله لقداسته بآيات عديدة ظهرت من جسّته حتى أخذ الوثنيون قسماً منها طرحوه في البحر وقسماً خلطوه بعظام موتاهم كي لا يكرمهم المسيحيون ومات كل من عاونوا على قتله بأمراض شنيعة في مدة الأربعين يوم بعد استشهاده وقتل الحاكم عليه بأمر حاكم خلفه. انتهى عن ترجمته في كتاب تطويبه إذ أحصاه الكرسي الرسولي عما قليل في مصاف الطوباويين.

مقالة عاشرة

تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر

الفصل الأول

أعيان الموارنة الدنيويون في القرن السابع عشر

عد ٥٦

بعض أعيانهم في هذا القرن

ذكرنا في آخر تاريخهم في القرن السادس عشر الشدياق الحصري والي جبة بشري فهذا توفي سنة ١٦١٢م وخلفه بولايته ابنه الشدياق رعد، وتزوج بست البنات بنت المقدم مقلد من المقدمين العناحلة (الذين أصلهم من عين حليا وقد مر ذكرهم) ويقال إنه كان يسي المعاملة لها ويتهددها بالقتل وإنها دسّت له سمّاً في دجاجة أكل منها هو وأخوها جمال الدين بن مقلد المذكور، فماتا وانقرضت بجمال الدين سلسلة العناحلة. وأما امرأة رعد فتزوجها موسى البشراي وسار بها إلى حلب فزوّج منها ولداً سمي عسافاً ودخل إحدى رهبانيات الفرنج ومات كاهناً. ومن بعد وفاة المقدم رعد بن خاطر ولّى يوسف باشا سيفا والي طرابلس على جبة بشري أبا عاشينا شلهوب لأنه كان ابن بنت المقدم عاشينا الأول بن حسام الدين العنحلاني وولد له ثلاثة بنين وهم: عاشينا ويوحنا وميخائيل. ونازعه الولاية نعمة وداود وجرجس أولاد الشدياق خاطر فانتصر عليهم مع الحاج سليمان

الملك كاتب ديوان طرابلس فقبض يوسف باشا على نعمة وداود ابني خاظر وألقاهما في السجن ، وكان يعدهما بأن يوليها جبة بشري حتى استنزف الثروة التي تركها والدهما ثم أمر بخنقهما ، وألقوهما في البير المعروف بالأزهرى . وقبض المقدم ابو عاشينا شلهوب على أخيهما جرجس وغرقه في النهر قريباً من المدينة ، واستمر في الولاية على جبة بشري تسع سنوات . ففي سنة ١٦٢١م كبس ابنه عاشينا دير مار توما بحصرون وقتل القس دانيال العكاري طمعاً بدراهمه ، وعرض الأمر للشيخ أبي صافي الخازن الذي كان الأمير فخر الدين المعني قد ولاه على جبة بشري ، فقبض على عاشينا وأخذته إلى سمار جبيل وعرض أمره على الأمير فخر الدين فأمر باهلاكه ، فقتله ودفنه عند جسر المدفون . وأتى والده المقدم شلهوب ليحتج عن ابنه فقبض عليه الشيخ أبو نادر الخازن ورفع أمره إلى الأمير فخر الدين ويّنه أنه من غرض ابن سيفا فأمر بقتله أيضاً فقتل وزُجّ في المدفون .

وكانت الوجاهة الكبرى بلبنان في أيام الأمراء المعنيين للمشايخ بني الخازن ، وقد مرّ في تاريخ القرن السادس عشر أنّ أرملة الأمير قرقماز معن أرسلت ولديها الأميرين فخر الدين ويونس فخبأتها عند الشيخ ابراهيم ابن الشدياق سرّكيس الخازن ، ولما راق كآس السياسة وعاد الأميران المذكوران إلى ولايتهما بالشوف ، دعا الأمير فخر الدين ابراهيم الخازن وجعله معاوناً ومديراً له في حكومته ، وجعل أخاه رباحاً دهقاناً لأملاكه . ولما توفي الشيخ ابراهيم المذكور سنة ١٦٠٠م اتخذ الأمير فخر الدين ابنه خازناً المكتّى أبا نادر مديراً له مكان أبيه ، ولما اضطر الأمير فخر الدين أن يسير إلى أوروبا سنة ١٦١٢م ترك الشيخ أبا نادر مع أخيه الأمير يونس مديراً له كما كان معه .

وفي سنة ١٦١٣م لما عاد الأمير يونس إلى ولاية الشوف أرسل الشيخ أبا نادر والشيخ أبا ضاهر حبيش إلى كسروان ليحصيا الأشجار ويستوفيا ما عليها من المال مع ابن المسلماني الذي كان من رجال المعنيين . وأرسل الأمير يونس الشيخ أبا رحال خطاراً أخا أبي نادر إلى توسكانا إلى الأمير فخر الدين ليطلعه على أحوال البلاد . وفي سنة ١٦١٥م أرسل الأمير يونس الشيخ أبا نادر ومعه مملوك له اسمه ذو الفقار ليحكم في كسروان ويقميا بغزير . ولما عاد الأمير فخر الدين من رحلته سنة ١٦١٧ والتقاء الأمير يونس أخوه والشيخ أبو نادر إلى عكا ، أنعم على أبي نادر وعلى ذريته بولاية عمل كسروان جزاءً لصدق خدمته بحضوره وغيابه .

ثم سار أبو نادر مع الأمير فخر الدين لمقاتلة يوسف باشا سيفاً المجاداً لعمر باشا والي طرابلس، وعند عودهما حاصر الأمير فخر الدين قلعة جبيل التي كانت بيد جماعة ابن سيف وأخرجهم منهم بالأمان وولّى الشيخ أبا نادر على بلاد جبيل منضمة إلى كسروان. وفي سنة ١٦٢١م ورد أمر من الآستانة إلى الأمير فخر الدين أن يعاون والي طرابلس على يوسف باشا سيفاً إذا لم يدعن للوالي المذكور، وفّر يوسف باشا إلى عكا فأرسل الأمير فخر الدين رجالاً طردوا من جبة بشري العمال الذين كان يوسف باشا قد أقامهم بها وولّى عليها الشيخ أبا صافي الخازن رباحاً عم الشيخ أبي نادر كما مرّ. وفي سنة ١٦٣١ أصلح الشيخ أبو نوفل نادر الخازن ما كان قد خرب من قلعة سمار جبيل بزلزال قتل فيه ابنه نوفل ووالدته بنت الشيخ معتوق حبّيش. ولما قبض على الأمير فخر الدين في مغارة جزين سنة ١٦٣٣م كان بمعيته الشيخ أبو نادر وعمه الشيخ أبو صافي وأخذهما معه إلى دمشق، فكفلهما الأمير اليميني وعادا إلى كسروان. وأما أبو نوفل فكان قد فّر مع الأمير حسين بن فخر الدين إلى قلعة المرقب، فأمسكهما خليل باشا وأخذهما إلى حلب. فانهزم أبو نوفل وعاد متكرراً إلى وطنه. ولما رأى الخازنيون شدة المضايقة لهم انهزم الشيخ أبو نادر وابنه نوفل نادر وأخوه أبو خطار عبدالله وسافروا إلى توسكانا بايطاليا سنة ١٦٣٥م وكان الشيخ أبو نادر مشهوراً عند الافرنج أيضاً فقابلته دوك توسكانا بالمعزة والاكرام. ولما تولّى الأمير ملحم المعني بلاد الشوف عاد المشايخ بنو الخازن من ايطاليا فردهم إلى اقطاعاتهم سنة ١٦٣٨م وجعل أبا نادر مديراً له كما كان قبلاً. وفي سنة ١٦٤٥م توفي الشيخ أبو صافي رباح الخازن في ساحل علما. وفي أول تموز سنة ١٦٤٧م توفي الشيخ أبو نادر خازن بن ابراهيم بن سركيس الخازن بعد أن كان مديراً للحكومة بني معن عدة سنوات وحاكماً بكسروان وجبيل والبثرون والجبة والمرقب، وخلفه بوجهاته ومساعيه الحميدة ابنه نادر المكتّى أبا نوفل.

وفي سنة ١٦٥٠م أرسل الأمير ملحم معن الشيخ أبا نوفل يجبي المال الأميري من بلاد البثرون، وكان الأمير التزمه من عمر باشا والي طرابلس. وفي سنة ١٦٥٦م أنعم البابا اسكندر السابع على الشيخ أبي نوفل بلقب كافلير أي فارس. وفي سنة ١٦٥٨م أرسل الأمير ملحم معن الشيخ أبا نوفل ليحبي الأموال الأميرية من عكار وجبة بشري وبلاد البثرون وأداها إلى الدولة بحسب تعهده، وكان

الحكام يثقون به كل الثقة . ولما توفي الأمير ملحم معن سنة ١٦٥٨م وخلفه في ولايته ابنه الأمير أحمد والأمير قرقماز جعلوا الشيخ أبا نوفل مديراً لهما كما كان عند والدهما . وسنة ١٦٥٩م أنعم لويس الرابع عشر ملك فرنسا على الشيخ أبي نوفل أن يكون قنصلاً لدولة فرنسا ببيروت ، ونال ذلك بعناية المطران اسحق الشدراوي مطران طرابلس ، وحاز أيضاً وكالة قنصلية البندقية . وقد رضي السلطان الأعظم عن اقامته في هذا المنصب وأثخفه بفرمان مؤذن بذلك ومبني حقوق منصبه . (تراه مترجماً في كتاب النبذة التاريخية في المقاطعة الكسروانية صفحة ٨٦) وهو الذي أسكن الرهبان اليسوعيين في عينطورا وأعطاهم محل ديرهم هناك من أملاكه . وفي الكتاب الموسوم بالرسائل المعمدة لليسوعيين رسالة مسهبة من هؤلاء الرهبان الذين أتوا حينئذ بالثناء على الشيخ أبي نوفل ومبراته وغيرته واتساع شهرته . يمكنك الاطلاع عليها في تاريخ الموارنة المطبوع ببيروت صفحة ٢٢٢ .

وقد سمعت مرات من الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد الشهير بمعرفته تاريخ ملتنا رواية ملخصها أنه لما فرّ الأمير أحمد والأمير قرقماز معن سنة ١٦٦٠م من وجه أحمد باشا كما مرّ ، واجتمع أعيان البلاد لاختيار حاكم غيرهما فانتخبوا الأمير محمد علم الدين اليمني ، ولم يدعوا الشيخ أبا نوفل وازدروه ، وعزل في تلك الأثناء علي باشا عن ايلة صيدا ، وقدم والي آخر فأخذ أبو نوفل يقدّم له الذخائر من حلب حتى بلغ صحراء جونية فالتقاه الشيخ أبو نوفل فشكر الوزير له وسأله ما يريد ، فأجابه لا أطلب نعمة إلا أن لا تعطى خلعة الولاية على قسبة دير القمر إلا بواسطة خادكم العاجز ، فوعده الوزير بذلك . وعند حلوله بصيدا أسرع إليه أعيان الشوف يلتمسون تقرير ولاية الأمير محمد اليمني على دير القمر فأجابهم أنه لا يخلع على الأمير المذكور إلا أن يسأله ذلك الشيخ نوفل الخازن ، وأصرّ الوزير على قوله ، فاضطروا أن يحضر كثيرون منهم إليه في كسروان ، فبالغ في اكرامهم وسألوه أن يسير معهم إلى الوزير ، فتمنّع واكتفى بعريضة أصحابهم بها إليه ، فأجابهم إلى ما سألوه وعرفوا غلطهم وتهيبوا الشيخ أبا نوفل . وكان البطريرك المذكور رحمه الله يقول لي إنّ البعض عزوا هذه الرواية إلى الشيخ أبي نادر ، ولكنني وجدت كتاباً قديماً دون الرواية بالتفصيل معزوة إلى أبي نوفل . ولا أنذكر ما عنوان الكتاب ولا أين يوجد .

وفي سنة ١٦٦٤م عاد الأمير أحمد معن إلى ولايته بعد أن انتصر على اليمنيين

فرجع المشايخ آل خازن إلى اقطاعاتهم، وعاد الشيخ نوفل مديراً لحكومة الأمير أحمد، وفي هذه الأثناء قسم أبو نوفل حكومة كسروان على بنيه وكانوا ثمانية فأعطى أبا قانصوه فياضاً قسماً، وأبا ناصيف نوفلاً قسماً، وخازناً قسماً، وطرييه قسماً، وبقي بيده قسم كبير سلّمه إلى أبنائه الصغار وهم خاطر وسليمان وقيس وأبو النصر. وفي سنة ١٦٧١م أحييت اقطاعات كسروان وبكفيا وغزير إلى عهدة الشيخ أبي نوفل وأولاده بموجب فرمان سلطاني حفظ أصله عند الشيخ بطرس كنعان الخازن، وترى ترجمته مثبتة في تايخ الموارنة المطبوع ببيروت صفحة ٢٤٢. وفي سنة ١٦٧٩م في ١٣ آب توفي الشيخ أبو نوفل نادر الخازن.

وخلف أبا نوفل ابنه أبو قانصوه فياض وتمشى على آثار والده أبي نوفل وشرع سنة ١٦٨٠م في بناء دار له في قرية غوسطا وبجانبها كنيسة على اسم النبي الياس، وتولّى في كسروان على القسم الذي خصّه به أبوه، وخلفه في قنصلية فرنسة ببيروت. وفي سنة ١٦٧٨م لما ضايق والي طرابلس أولاد أبي رزق البشعلاني الآتي ذكره فرّ أحدهم يونس بأولاده وأولاد أخيه إلى كسروان واحتوى عند الشيخ أبي قانصوه فياض المذكور، ودافع عنهم ابنه الشيخ حصن الآتي ذكره، فأقاموا في حماه، ونظن أنهم أقاموا بصليما ومنهم بيت البشعلاني الساكنين الآن في القرية المذكورة. وتوفي الشيخ أبو قانصوه فياض في ١٧ تشرين الأول سنة ١٦٩١م. وذكر الدويهي في تاريخ هذه السنة وفاة الشيخ المذكور وقال بعد موته عظمت شوكة بني حماده فقتلوا حنا الأسود في الكورة ونهبوا العاقورة. وكان الشيخ أبو قانصوه جزيل الكرم محباً للعلماء شجاعاً شديد البأس.

وخلف أبا قانصوه ابنه حصن في ولايته وأنعم عليه ملك فرنسة لويس الرابع عشر بأن يكون قنصلاً لفرنسة ببيروت كأبيه وجدّه. وقد حفظ لنا العالم دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان (مجلد ٢ صفحة ٢٨٦) براءة تنصيب الشيخ حصن المذكور قنصلاً لفرنسة ببيروت، وإليك ترجمتها عن الفرنسية:

«مرسوم الملك بتنصيب الأمير حصن الخازن الماروني»

لويس ملك فرنسة وناقارا وكنت بروفنس الخ. السلام لكل من يطلع على مرسومنا هذا، لما كنا نرغب في اجابة سؤال الأمير حصن الخازن في عريضته التي

رفعها إلينا وأن نعززه بحالة قنصلية بيروت إلى عهده كما كان أبوه وجده بمقتضى مرسومنا الصادر في غرة كانون الثاني سنة ١٦٦٢م، ولعلمنا بما له من الغيرة والصدق بخدمتنا وعنايته بخير رعايانا قد نصبناه بمرسومنا هذا الموقع عليه بيدنا قنصلاً على مدينة بيروت إذ فصلنا هذه المدينة عن قنصلية صيدا المتعلقة بها الآن، ونريد أن تبقى منفصلة عنها إلى أن نصدر أمراً آخر يخالف مرسومنا هذا. وقد أقمنا وأمرنا ونصبنا ونقيم ونأمر وننصب السيد حصن الخازن المذكور قنصلاً للأمة الفرنسية في فرضة بيروت المذكورة وملحقاتها ومتعلقاتها فله بتخويله هذا المنصب أن يلي ويباشر مدة حياته جميع الحقوق والسلطة والامتيازات والانعامات التي لباقي القناصل في المشرق، ورخصنا له أن يقيم عنده نائب قنصل بحيث يكون من أمة الفرنسيين ويكون هو مسؤولاً عنه في الأمور المدنية. وقد أعلمنا مستشارنا وسفيرنا في المشرق السيد شاتوناف دي كاستنيار إنه إذا ظهر له أنّ السيد حصن الخازن متصف بالسيرة الحميدة وحسن الآداب ومتمسك بالدين الكاثوليكي الرسولي الروماني يصرفه بالقنصلية المذكورة، وبما لها من الحقوق ولا يمنعه من ذلك أي مرسوم كان يخالف ما ذكرنا، وعلى السفير المذكور أن يبدل له كل مساعدة وعناية، ونأمر ربان كل مركب وسفينة تحت العلم الفرنسي وكل تاجر من أمتنا أن يعترفوا بأنه قنصلنا ويمثلوا أمره، ولا يمنع من ذلك الأمر الذي أصدرناه في ١١ آذار سنة ١٦٨٥م بأن لا ينصب من الأجانب قناصل لفرنسة لأننا استثنينا ونستثني من هذا الأمر السيد حصن الخازن فلا مفعول لذلك الأمر من قبله، فهذه هي ارادتنا ومسرتنا ونرغب إلى الباشاوات والولاة الاجلاء ونسأل من كان منهم الآن ومن يكونون من بعدهم ببيروت وملحقاتها أن يكونوا السيد حصن الخازن من تكميل فروض منصبه ولا يسمحوا بأن يكون له أقل مانع من اتمام فروض منصبه بل يبدلون له بعكس ذلك كل مساعدة ورعاية، وأشعاراً بذلك قد وقّعنا بختمننا على هذه البراءة الصادرة في ١٢ حزيران سنة ١٦٩٧م من سني النعمة وهي الخامسة والخمسون للملكنا. التوقيع لويس. وعلى طي البراءة بأمر الملك كونت بروفنس فيليب وختم بالمهر الكبير على الشمع الأصفر.

واليك أيضاً ترجمة جواب لويس الرابع عشر إلى الشيخ حصن قنصل فرنسة ببيروت نقلاً عن الكتاب المذكور:

« إلى السيد الأجلّ الأمير حصن قنصل الأمة الفرنسية ببيروت »

أيها السيد الأجلّ، إنّ السيد يوحنا مارماكون الكافليير الماروني رسولكم، رفع إلينا الرسالة التي كتبتموها إلينا في شهر كانون الأول سنة ١٦٩٥م تطلبون بها أن ننصبكم قنصلاً ببيروت، ولا أشك في أنكم تقدرون حمايتي لكم حق قدرها وتصرفون عنايتكم إلى مساعدة رعاياي الذين يتاجرون في سورية، ولذلك أردت رغبةً في مصلحتكم أن أفصل مدينة بيروت عن قنصلية صيدا وأجعلها قنصلية مخصصة، وأمرت أن ترسل إليكم براءة تنصيبكم بها وبقوتها يكون لكم الحق لا أن ترفعوا العلم الفرنسي فقط على باب داركم كما كان يصنع جدكم وأبوكم، بل تكون لكم أيضاً الحقوق والانعامات التي يحرزها قناصل الأمة الفرنسية. وقد سلمت إلى رسولكم عدة رسائل إلى سفيري بالقسطنطينية، وإلى قناصل فرنسة بجواركم وأمرتهم بأن يبدلوا لكم كل الرعاية والعناية بكل ما يتعلق بكم عند طلبكم ذلك، لنفعمكم ومساعدة أبناء ملتكم. وأسأله تعالى أن يرعاكم أيها السيد الأجلّ بعين حراسته المقدسة. كُتب في فرسايل في ١٣ من تموز سنة ١٦٩٧م. التوقيع لويس. وفي أسفل الرسالة، كولبر» (وهو وزير لويس الرابع عشر).

ويلى ذلك في الكتاب المذكور رسالتان إلى الشيخ حصن إحداهما موقع عليها بونشترتران فحواها أنه تلا على مسامع جلالة الملك رسالته التي سلمه إياها يوحنا مارماكون رسوله. وإنّ جلالته تعطف بفصل قنصلية بيروت عن صيدا وتحويلها إلى عهده، وإنه مرسل له البراءة في طي كتابه وهي في تاريخ ٢ حزيران سنة ١٦٩٧م. والثانية بتوقيع دي تورسي وفحواها أنّ عظمة العاهل تعطف عليه بإيلائه المنصب الذي كان فيه المرحوم أبوه، وإنه تلا الرسالة التي كان هو أنفذها باسم أبيه بعد عرضه الرسالة على مسامع جلالة الملك انعطف إلى إيلائه قنصلية بيروت. وكتب في ذلك إليه وإلى سفيره في القسطنطينية وإلى قناصل فرنسة بجواره يأمرهم بمعاونته ورعايته في كل ما يتعلق به وبملتته. وتاريخ هذه الرسالة في ٢ تموز سنة ١٦٩٧م.

ويظهر أنّ الشيخ ناصيف بن نوفل ابن عم الشيخ حصن القنصل قد رفع أيضاً إلى الملك لويس الرابع عشر عريضة يشكو بها سوء حالهم عند نكبة دولة المعنيين المار ذكرها واختفاء الأمير معن فأجابه الملك لويس برسالة هذه ترجمتها:

« إلى السيد الأجلّ ناصيف أمير الموارنة »

أيها السيد الأجلّ، إنّ كتابكم الذي رفعه إلينا السيد يوحنا مارماكون الكافير الماروني موفدكم إلينا علمنا منه سوء المعاملة التي يعاملكم بها الحاكم الجديد الذي نصب عن عهد قريب مكان الأمير أحمد بن معن، واتّضح لنا منه أيضاً أنّ من اللازم تفادياً من الضّرّ للدين الكاثوليكي ورغبةً في تأييده في بلادكم أن نصرف عنايتنا لدخولكم بصفة حاكم على البلاد التي كنتم تتولون ادارتها من عهد قريب إذ تدفعون للباشا والي طرابلس المال المفروض على هذه البلاد. ولما كنت أرغب رغبةً شديدة في أن أساعدكم على ما يعود بالنفع عليكم ولا سيما متى كان ذلك ملائماً للحماية التي بذلتها في كل وقت للكاثوليكين بالشرق قد سلمت إلى موفدكم أوامر وجهتها إلى سفيري بالقسطنطينية ليصرف عنايته الفعالة لينال لكم ما تبتغون. وأخيراً أسأله تعالى أن يحفظكم أيها السيد الأجلّ بحراسته المقدّسة. دُونَ بفرساي في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧م. التوقيع لويس. وفي أسفل الصحيفة، كولبر.

وكتب الوزير دي تورسي كتاباً آخر إلى الشيخ ناصيف هاك ترجمته.

« أيها السيد الشريف الأجلّ، إنكم تعلمون من الرسالة التي كتبها إليكم سيدي العاهل جواباً على رسالتكم التي أنفذتموها إليه على يد السيد مارماكون رسولكم، كم تهتم جلالته بما يعود بالنفع عليكم وعلى الدين الكاثوليكي، ولا أشك في أنكم تشعرون بأقرب وقت بمفاعيل الحماية التي يبذلها لكم بواسطة أوامره الموجهة إلى سفيره بالقسطنطينية ليصرف عنايته الشديدة ليستمد لكم ما ينقذكم من الضيق الحاصل عليكم، وينفع المسيحيين أبناء ملّتكم. ولم يبق لي إلّا أن أحقق لكم إني لا أنفك عن أن أرجو جلالته ليواصل كل وقت حمايته لكم وأن تتيقنوا أنني صديقكم المخلص ». التوقيع ديتورسي عن فرسايل في ٢ تموز سنة ١٦٩٧م. ويظهر أنّ رئيس أساقفة نيقوسية ومتربوليت قبرص نائب البطريرك اسطفانوس الدويهي في مدة غيابه رفع عريضة إلى لويس الرابع عشر بالمعنى الذي كتب به الشيخ ناصيف الخازن، وبالتماس القنصلية للشيخ حصن فأجابه الملك عليها وهاك ترجمة الجواب.

« إلى السيد الأجلّ رئيس أساقفة نيقوسية متربوليت قبرص ورئيس الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني في جبل لبنان في غياب البطريرك اسطفانوس^(١) »

أيها السيد الأجلّ تناولت الكتاب الذي رفعه إليّ من قبلكم السيد يوحنا مارماكون رسول طائفكم، وبه تبيّن لي الضيق الحاصل ببلادكم الآن وتسألوني فيه أيضاً أن أنصب الأمير حصناً قنصلاً لفرنسة بيروت، فعنايتي بجميع الذين يقرون بالدين القويم في أية جهة كانوا من العالم لا تدع لكم محلاً للريب في عنايتي بكم خاصة، ولذلك شئت بطيبة خاطر أولي الأمير حصناً قنصلية بيروت مفصولة لهذه الغاية عن قنصلية صيدا، وقد كتبت في الوقت نفسه إلى سفيرتي بالقسطنطينية وإلى قناصل حلب وصيدا وطرابلس أن يبدلوا العناية الفعالة بما يعود بالنفع على ملتكم وكاثوليكي المشرق الآن وفي كل فرصة تسنح لذلك. وأخيراً أسأله تعالى أن يحفظكم أيها السيد الأجلّ بحراسته المقدسة. دوّن بفرساي في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧ م. والتوقيع لويس. وفي أسفل الصحيفة. كولبر.

وهذه ترجمة الرسالة التي بعث بها لويس الرابع عشر إلى سفيره بالآستانة.

« إلى السيد دي كاستنيار مستشار دواويني وسفيري غير العادي بالقسطنطينية »

إنّ السيد يوحنا مارماكون الكافليار الماروني الموفد من قبل الأميرين ناصيف وحصن ومن قبل مطران نيقوسية رئيس الدين الكاثوليكي الروماني بغياب البطريرك اسطفانوس قد رفع إليّ رسائل منهم يسألون بها حمايتي من الضيق الملمّ بهم بعد أنّ السيد الأعظم (السلطان) ولّى على بلادهم الأمير أبا موسى علم الدين عوضاً

(١) أين كان الدويهي حينئذ لا نعلم حقيقة. على أننا نعلم أن نكباته كانت كثيرة وغياباته عن كرسيه متواترة.

عن الأمير أحمد بن معن ، ولتتمسكون أن يعطى أحدهم الأمير حصن قنصلية بيروت ليتمكن من نشر العلم الفرنسي ونيل حقوق القنصلية والانعادات المختصة بقناصل الأمة الفرنسية ، ويخدم بذلك جذوة ماحق بهم من الضيق . ولما كان عزمي أن أساعد بكل وسعي على راحة جميع المستنيرين بالإنجيل المقدس في أي قطر كانوا من العالم ، فأنا مرسل إليكم كتابي لأبلغكم ارادتي ومرغوبي أن تستوعبوا ما يشرحه لكم معتمدكم المذكور لحير الدين الكاثوليكي ونفعه ، وأن تبدلوا بعد ذلك العناية باسمي لتتولوه كل ما يتغيه من الأمور المعقولة ، وأخيراً أسأله تعالى أن يحفظكم بحراسته المقدسة أيها السيد دي كستنيار . كتب في فرسايل في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧ م . والتوقيع لويس . وفي أسفل الصفحة كولبر » .

وقد أصبح المركز دي تورسي الوزير وكاتب سر المملكة الكافير يوحنا مارماكون برسالة إلى السفير المذكور مرسلأ له أمر الملك وموصياً بالكافير المذكور . وتاريخ رسالته ١٣ تموز سنة ١٦٩٧ م . وقد كتب الوزير دي تورسي المذكور أيضاً رسالة بأمر الملك إلى قناصل فرنسة بحلب وصيدا وطرابلس فحواها أن جلالة الملك أمره أن يكتب إليهم مبيئاً رغبة جلالتهم بمساعدة الأميرين نصيف وحصن الحازن ومطران نقوسية نائب البطريرك بغيايه ، وأن يبدلوا بكل فرصة عنايتهم الفعالة بالمذكورين ليشتعروا بمفاعيل حماية جلالتهم . وإنه جعل الأمير حصناً قنصلأ ببيروت منفصلة عن صيدا ، وإن مقصد جلالتهم بذلك أن يخفف من جهة ثقل الضيق الملم بالمذكورين وأن يزيد من جهة أخرى عنايته برعاياه الذين يتجرون بالمدينة المذكورة وملحقاتها . وإنه كتب إليهم بطيبة خاطر توصاة بالكافير يوحنا مارماكون معتمدكم لدى جلالتهم . وتاريخ هذه الرسالة ٣ من تموز سنة ١٦٩٧ م .

وبعد وفاة الشيخ حصن قنصل فرنسة سمي ابنه الشيخ نوفل قنصلأ مكانه كما سترى في تاريخ القرن الثامن عشر .

وكان من أعيان طائفتنا في هذا القرن المشايخ آل حبيش فكان منهم الشيخ أبو ضاهر حبيش الذي أرسله الأمير يونس المعني إلى كسروان مع الشيخ أبي نادر الحازن سنة ١٦١٣ م ليعدا الأشجار في هذا العمل ويجيبا المال المفروض عليها . وكان منهم أيضاً الشيخ أبو فارس حبيش الذي قُتل في الوقعة التي كانت بين القيسية واليمينية في مرحاتا سنة ١٦٣٦ م كما في تاريخ هذه السنة .

وفي سنة ١٦٨٠م كتب الأمير أحمد المعني صكاً للشيخ طرييه بن موسى حبيش وللشيخ أبي شديد سيف بن طالب حبيش يوليها له على غزير، فكانت اقطاعاً لآل حبيش.

عد ٥٧

أبو رزق البشعلاني وابنه يونس

كان من أعيان الموارنة في هذا القرن الشيخ أبو رزق البشعلاني، وقد ذكره العلامة الدويهي لأول مرة في تاريخ سنة ١٦٤٣م، ولم ينبئنا بأصله ولا نسبه بل قال في هذه السنة عُزل محمد باشا الأرنؤوط عن ايالة طرابلس وتولاها حسن باشا، وكان كأخيته الشيخ أبو رزق البشعلاني (نسبةً إلى بشعلي في عمل البثرون). ثم قال في تاريخ سنة ١٦٤٩م عُزل (ثانيةً) الأرنؤوط عن ايالة طرابلس وتولاها صهره عمر بك، واسترد ابن الصهيوني وأبا رزق البشعلاني ونصب أخاه أبا صعب البشعلاني شيخاً على جبة بشري. ثم قال في تاريخ سنة ١٦٥١م عُزل عمر باشا المذكور عن ايالة طرابلس وتولاها حسن باشا فأسلم أمورها إلى الشيخ أبي رزق البشعلاني، إلى أن قال ثم تقوى عليهم (أي على أبي رزق وحلفائه) ابن الصهيوني وتسلم تدبير أمور طرابلس، وصادر أبا رزق وأتباعه. وقال في تاريخ سنة ١٦٥٣م قبض محمد باشا الأرنؤوط على الشيخ أبي رزق بحجة أن بعض آل حبيش قدموا إلى داره ومعهم جمعة بداعي زواج أحد أولادهم، فتم بعض أهل الفساد إلى الباشا قدومهم إنما كان لمضرة له، فأمر الباشا بالقبض على أبي رزق وأولاده وضيوفه وسجنهم بالقلعة مكبلين بالقيود، وكان عددهم تسعين نفساً. ونهبوا داره واستباحوا ماله، وبعد ذلك ورد الخبر بعزل الأرنؤوط وتولية قرا حسن. فتوجه الأرنؤوط إلى حماه لجباية المال وأخذ أبا رزق والسجناء معه. ودعا أبا رزق للحساب عما دخل ليده من المال، وادعى أن الباقي عليه اثنا عشر ألفاً، وبلغ الوالي الجديد إلى حماه وأعاد الحساب بينهما فثبت أن الباقي على أبي رزق أربعة آلاف وخمس مئة قرش دفعها عنه ابن الصهيوني، وخلى قرا حسن الوالي الجديد سبيله وسبيل السجناء. وأراد أن يعهد بتدبير أموره إلى الشيخ أبي رزق، ولكن وصل قبوجي من الباب العالي يطلب رأسه، فأشار عليه الوالي وابن

الصبيوني لم يسلم فدية لنفسه ، فأذعن مكرهاً لرأيهما . وأعطوا القبوجي ألف قرش فعاد إلى الآستانة . ودخل أبو رزق طرابلس مع قرا حسن والتزم منه جبلة واللاذقية وأوصى قبل سفره لإيهما أخاه أبا صعب أن يأخذ أولاده ويسير بهم إلى بلاد ابن معن ، فشق ذلك على الوالي ووجس أبو رزق من مضرت له فتزوج بامرأة موسى باشا ليبعد الوالي عن الظن برده . وفي سنة ١٦٥٤م صير بشير باشا نائب حلب وزيراً وسار قاصداً الآستانة ، وعند وصوله إلى أدنه قُدمت له الشكوى على أبي رزق أنه كان ميالاً إلى ابن معن ، وأرسل أولاده إليه مع أخيه أبي صعب وإن أخاه هذا كان مع ابن معن في وقعة وادي القرن المار ذكرها . فأمر بقتله فُقتل في أوائل شهر آذار من السنة المذكورة . ذكرنا بعض هذه الأخبار في التاريخ العام وأعدنا ذكرها هنا لعزما أن نفصل من هذا التأليف تاريخ الموارنة في كتاب على حدة ، فكان لا بد من هذه الاعادة .

وأما الشيخ يونس ابن أبي رزق المذكور فقال في حقه الدويهي في تاريخ سنة ١٦٨٧م إنَّ حسين باشا والي طرابلس قبض على الشيخ يونس واخوته عبدالله ورزق وأولاهم بسبب دعوى والدهم أبي رزق البشعلاني ، فاضطر يونس أن يطلب الاسلام لينجي عيالهم من القتل والاسلام . فهربوا جميعاً في ٢٩ ايلول ومعهم نحو عشرين نفساً إلى قاطع كسروان مستجيرين بالأمر أحمد معن والشيخ أبي قانصوه فياض الخازن ، فنجدهم ابنه حصن وأمنهم برجاله حتى حلوا بحكومة ابن معن سالمين ، وهناك جاهر يونس بصحة عقيدته . ثم قال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٩٧م قبض قبلان باشا والي طرابلس على الشيخ يونس بن أبي رزق البشعلاني وعرض عليه الاسلام فتمنّع فرفعه على الخازوق في ٢١ أيار من السنة المذكورة .

هذا ما رواه الدويهي ، ولكن أتحفنا دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان (مجلد ٢ صفحة ٢٦٣) بترجمة الشيخ يونس المذكور مسمى أياه أميراً فنلخص عنه ما يأتي قال:

« كان الأمير يونس من أسرة شريفة بلبنان ومن ذوي قربي حاكم الملة المارونية ، وله أملاك في سفح لبنان في ناحيتي طرابلس وجبيل لا يقل دخلها عن ألف ليرة ، وكان حسن الشكل زكي العقل محنكاً بالسياسة ، يحبه الجمهور ويثق

به وزراء الباب العالي . وقد استعمله كثيرون من ولاية سورية في أهم أعمال حكومتهم حتى كاد قدره يساوي قدر الولاية . على أن ثروته ومنزلته هيّجتا عليه حسد أقرانه . ومباشرة أعمال منصبه أورثته خصوماً له ائتمرا على اهلاكه ، وأسخطوا عليه قبلا ن باشا ابن المطرجي والي طرابلس وشكوه بجرائم كثيرة ، وتمحلوا لها دليلاً بزيادة ثروته ، فارتاح الباشا إلى سماع شكواهم وقبض على الأمير يونس وأخيه الأمير يوسف وزوجتيهما وأولادهما وكثيرين من أنسبائهما وأتباعهما ، وكانوا نحو خمسين شخصاً ألقوهم في السجن ، وهددوا الأمير يونس بالقتل والحاق جماعته به إلا أن يجحد الدين المسيحي ويسلم . فأظهر بادئ ذي بدء الشجاعة والثبات وازدري التهديد والوعيد على أنه لدى تبصره بحالة أسرته والخطر الذي يلم بها من جهة الدين إذا قُتل قبلهم عوّل على أن يتظاهر بالاسلام فيقي نفسه وذويه من التهلكة واشترط شرطاً صريحاً أن يسلم وحده وتبقى أسرته وذووه نصارى ، وأن يخلي سبيلهم أجمع . فقبل الباشا شرطه وأكتفى أن ينطق هو وحده بالشهادتين . وأباح ذويه حرية دينهم وأخرجهم من السجن . وقد قال يونس قبل مقتله إنه قام بضميره حينئذ أن عمله هذا جائز بل مندوب إليه لينجي ذويه وينقذ بناته وبنات أخيه من الزواج برجال مسلمين .

وجامل الأمير يونس الباشا بعد ذلك أربعين يوماً ليخفي مقصده وأرسل سراً امرأته وأولاده وذوي قرباه إلى أعلى جبل كسروان . ولما تحقق أنهم أصبحوا آمنين فرّ هو من طرابلس وسار أولاً تَوّاً إلى بطريك الموارنة معترفاً بالضعف الذي استحوذ عليه وبأكياء من جراء ائمه وصرّح بأنه ما انفك مسيحياً . وتلى دستور ايمانه وتقبل القانون الذي فُرض عليه وحلّه البطريرك من ائمه . ورغبة في أن يبرئ ساحته أمام الناس أيضاً جمع رؤوس التشكيكات الواردة عليه وبيّنت الاكراه الذي أنزل به وأرسل ذلك إلى الآستانة مصحوباً بالحجج اللازمة للدفاع عن نفسه على يد أحد أصدقائه ، وعرض أمره في الديوان السلطاني . ولما كان من متعلقات الدين أمر جلالة السلطان أن يحال النظر بالدعوى إلى المفتي الأكبر بالآستانة ، وهذا بعد التحري بالدعوى حكم أن تظاهر الأمير يونس بالاسلام لا يعول عليه لصدوره عن اكراه . وأن لا يؤاخذ فيما بعد باسلامه . فأثنى الكثيرون على عدالة العثمانيين وانصافهم .

ولم تكن راحة لضمير الأمير يونس من جراء العثار الذي تسبب به بطرابلس فنزل إليها وجاهر أمام الباشا وديوانه بدينه المسيحي ، وطاف بالمدينة مصرحاً

بذلك ، فأغضى المسلمون على هذا الصنيع وغزل والي المدينة وتُصب غيره فدعا الأمير يونس وأقامه على برية طرابلس واستحصل له أمراً سامياً مثبتاً حكم المفتي السالف ذكره . ومبيحاً اياه وعائلته البقاء على دينهم المسيحي دون أن يزعمهم أحد . فاستمر الأمير يونس وذووه راتعين في بحبوحة الأمن والرغد خمس سنين مباشراً أعمال مأموريته بكل أمانة ونزاهة ، إلا أنه سنة ١٦٩٥م بُدِّل والي طرابلس ومات من كان له من الأصدقاء في الآستانة إذ انقلب الدهر عليهم ، فاغتنم أعداؤه هذه الفرصة ليهلكوه . فاتهموه بعدة جرائم وشكوه إلى والي الجديد وأدَّعوا عليه أنه سبَّ دينهم وقذف بالاسلام . فقبض عليه والي وغلله في السجن وما انفك مدة سنتين يقرفه ويهدده ويتملقه ليكفر بدينه ، ووعده بأن يوليه أسمى المراتب ويرشحه إلى الخلافة بعده بحكومة طرابلس فلم تستمله كل هذه الوسائل إلى الاذعان للوالي ، بل كان يشكر الله على انزال هذا الاضطهاد به تكفيراً عن زلته السالفة . وحاول والي مرات أن يستميله فلم يكثر بكلامه ، وأسمعه أخيراً ما أوغر صدره عليه ومزَّق ثوبه وحكم عليه أن يموت على الخازوق . وكان الولاة في تلك الأيام مسليين على حياة الرعايا وموتهم ، وقبل تنفيذ الحكم عليه أرسل والي عدداً من أصحابه يغرونه بالرضوخ لمرغوبه فأبى ، ثم حملوه الخازوق وخرجوا به إلى تلّ قريب من المدينة والناس من أمامه وورائه بعضهم يقرّعه، بعضهم يحثه على ارضاء والي وهو أبكم أصمّ عن سماع كلامهم . وقبل رفعه علي العود أرسل والي يعده بالعفو عنه وعن ذويه ورد أملاكه إليه فلم يكن يجيب إلا أسلم نفسي بيد الله وهو يهتم بي وبذوي وأملاكي ، ولم ينفك دقيقة موته يستبج الرب ويشكره ويدعو باسمه ويلجأ إلى رحمته وإلى العذراء والقديسين ، ويكرر تلاوة قانون ايمانه إلى أن أسلم نفسه بيد الله في شهر أيار سنة ١٦٩٧م .

وبقيت جثته خمسة أيام على آلة عذابه وشرذمة من الجند تحرسها ، وشهد شهود عدل وبتوا شهادتهم باليمين أنهم رأوا اكليلاً من نور على رأسه ليلاً مدة بقاءه على تلك الحال ، وشاهده الحراس فدهشوا وفزّوا . وأخيراً سأل بعض المسلمين والي أن يأمر بدفن جثته تفادياً من حصول ثورة من جرا ذلك ، فسمح والي لأحد اقربائه أن يُنزل جثته فأنزلها ووضعها أولاً في بئر قرية من مقبرة الموارنة ثم نقلها سرّاً بعد يومين إلى مدفن خلف المنبر في كنيسة القديس يوحنا بطرابلس .

وبعد موت الأمير يونس اهتم بعض أصحابه أن يخرج الأمير يوسف أخاه من السجن الذي كان به ، فاسترضوا الباشا عنه وخرج وسار إلى أوروبا يسأل المحسنين ما يقوم به بأوده وأود عائلته وعائلة أخيه . قال دو لاروك قد رأيته بباريس مدة أشهر صابراً على مصابه مسلماً إلى مشيئة الله راضياً بأحكامه ، وقد أكرمه الملك وكتب إلى سفيره بالآستانة يوصيه به . ومثل ذلك كتب إلى قناصله ودون رسالة إلى بطريرك الموارنة يعزيه بهذه الفاجعة . ودفع إليّ الأمير يوسف المذكور شرحاً وافياً في حياة أخيه وموته فأخذت عنه هذا المختصر وهو مطابق لما كتبه بطريرك الموارنة إلى الحبر الروماني وملك فرنسا بهذا الشأن مصادقاً عليه من أساقفة جبل لبنان . وللتقرير الذي كتبه قنصل فرنسا بطرابلس مصادقاً عليه من الرهبان الفرنسيين والاسبانيين في المدينة المذكورة . وروى هنري موندل الانكليزي في كتاب رحلته من حلب إلى أورشليم أنّ قنصل انكلترا صحبه للفرجة على قلعة طرابلس في ٨ أيار سنة ١٦٩٧م وكان يونس مسجوناً فيها لأنه أسلم ثم ارتد . ولأنه مات على الخازوق بعد يومين من سفر هذا الكاتب أي في ١٢ أو ١٣ أيار سنة ١٦٩٧م .

وهذه ترجمة المنشور الذي كتبه البطريرك اسطفانوس الدويهي موصياً بالشيخ يوسف المذكور .

«الحقير اسطفانوس بطرس البطريرك الانطاكي»

السلام والبركة الرسولية لكل مطالع أو سامع وثيقنتنا هذه

ليكن معلوماً أنّ ولدنا العزيز أبا يوسف رزق هو رجل ماروني كاثوليكي من رعيتنا ومن أعيان الملة المارونية ، وهو أخو الشيخ يونس الذي أكره على أن ييدي جحود الايمان بفمه لا بقلبه ليخلص نفسه وأولاده ، لكنه حالما ساعده الله على الفرار بعد نحو أربعين يوماً انسلّ ليلاً بأولاده إلى ناحية كسروان وهناك اعترف بإثمه ، وقبل طائعاً خاشعاً القانون المفروض عليه ، واهتم بعد ذلك فنال من جلالة السلطان الأعظم أمراً سامياً مسنداً إلى حكم القضاة بأنّ جحوده ايمانه مكرهاً لا يعتمد عليه ، وتظاهره بالاسلام باطل ولا صحة له . وبعد ذلك سار إلى طرابلس وجاهر علانية بدينه المسيحي مدة خمس سنوات ، وأضر له الضغينة والحقد بعض

أصحاب الأمر بالمدينة المذكورة إلى أن تمكنوا من القائه بالسجن واماتته على الخازوق، وكان يجاهر في مدة هذا العذاب بجسارة وبسالة بالايان يسوع المسيح، وقد قبض معه على أخيه يوسف رزق وألقي بالسجن أيضاً، وألجأه الحال إلى خسارة مبالغ وافرة من المال. وباعت الحكومة أملاكه وأثاثه حتى بيته نفسه، ولما لم يعد يستطيع أن يعيش ببلاده بحسب مقامه ولا أن يقوم بأود عائلته أي أولاده وأولاد أخيه يونس هم خمسة عشر شخصاً، وقد اضطر إلى استئانة مبالغ من المال لتقديم النفقة اللازمة لحياتهم وليس له ما يفي، وقد لجأوا إلينا مراراً سائلين أن نصحب بهذه الوثيقة يوسف المذكور أبا هؤلاء الصغار وعمهم فمأولنا بغيره أصحاب عمل الخير ومحبتهم لجراح المخلص ووالدته الكلية الطهر أن تأخذهم الشفقة على المذكورين وأن يمدوا يد سخاهم إلى الشيخ يوسف المذكور وأولاده وأولاد أخيه ويكون لهم من لدنه تعالى الأجر العظيم والمجد والتسبيح لمن قال في إنجيله المقدس: « ما صنعتوه إلى أحد أخوتي هؤلاء الصغار فإني صنعتوه » ونسأله جلّ شأنه نحن وهم أن يجزيهم على احسانهم مائة ضعف في هذه الحياة والحياة الأخرى الأبدية.

أعطي بكرسينا قنوين في اليوم الخامس من شهر تشرين سنة ١٦٩٩م. « وعدا توقيع البطريك في أعلى هذه الوثيقة دُيِّلت بتوقيع يوسف الحصاراتي أسقف جبيل بحوقا ويوسف حبقوق أسقف البترون بقزحيا وجبرائيل الدويهي ».

عد ٥٨

أعيان موارد أخرى

من أعيان الموارد أيضاً في هذا القرن الشيخ أبو كرم الحديدي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٥م. فقال إن مصطفى باشا والي طرابلس أقام على حكومة جبة بشري الشيخ أبا كرم يعقوب ابن الرئيس الياس الحديدي، وقال في تاريخ سنة ١٦٣٩م تولّى طرابلس محمد باشا الأرناؤوط فأتى للسلام عليه أصحاب الاقطاعات ما عدا أصحاب آل سيف وأبا كرم الحديدي. وفي سنة ١٦٤٠م في ١٦ نيسان أرسل والي طرابلس المار ذكره عسكرياً للقبض على الشيخ أبي كرم الحديدي

حاكم جبة بشري لأنه لم يحضر للسلام عليه ، فقبض العسكر على ابن عمه سعد ، وضيّق على الأديار والقرى بحجّة التفتيش عليه وعلى أولاده وأتباعه وضبط أملاكه ، وعظم الضيق وكثر الخراب والسلب والنهب فلم يتحمل أبو كرم هذا التنكيل بأهل بلاده فانحدر إلى طرابلس طائعاً مستسلماً على يد القاضي ، فأمر الوالي بأن يُلقى في السجن بالقلعة ، ثم طوّفه على جمل بشوارع المدينة وفي قفاه مشاعل نار ، وعرضوا عليه الاسلام فأبى إلا التشبث بدينه فمات مشنوقاً .

ومنهم أبو جبرائيل يوسف الاهدني وكان شريكاً للشيخ أبي كرم الحدثي وتوفي سنة ١٦٤١م بعد أن حكم جبة بشري عشر سنين ، وخلفه بعد وفاته أخوه الشدياق أبو ذيب ابن الشماس جرجس الأهدني فقتله محمد العراك بقرية زغرتا بدسياسة من بيت حماده المتأولة ومصطفى بك ابن الصهيوني مدير ايالة طرابلس . وتولّى حكم جبة بشري بعده المقدّم زين الصواف ، وكان معه أبو عون بن الغمة من بكفيا .

ومن هؤلاء أيضاً أبو كرم بن بشاره ، وقد ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٦م وقال إنّ حسن باشا لما استقر على ولاية ايالة طرابلس ولّى أبا كرم بن بشاره على جبة بشري ، وأرى أنّ أبا كرم هذا هو جد آل كرم . وقد خلف أبا جبرائيل يوسف الأهدني وأخاه الشدياق أبا ذيب جرجس المار ذكره في الولاية على جبة بشري ، ولكن أمين عائلتهما كانا أم من عائلة أخرى لا أستطيع أن أحققه حتى الآن ، ولكن مما لا ريب فيه أنّ العامة في اهدن تسمي آل كرم بيت أبي كرم إلى الآن .

ومن هؤلاء الكافير يوحنا مارماكون الذي تقدّم ذكره ، وكان موفد الشيخ حصن والشيخ ناصيف الخازن ومطران نيقوسية بقبرص إلى لويس الرابع عشر ملك فرنسا كما مرّ . ولكن من هو هذا يوحنا مارماكون؟ فالذي يتبادر إلى فهمي أنه الكافير ناضر صفير الذي بنى هو وأخوه الخوري جرجس صفير دير القديس مارون بالرومية المعروف الآن بمدرسة الرومية نحو سنة ١٦٩٦م ، إلا أن يكون مارماكون من موازنة قبرص لأنه موفد مطران نيقوسية أيضاً . وقد أثبت دي لاروك في كتابه المذكور صفحة ٣٠٨ براءة تسميته كافير أي فارساً من جمعية الفرسان المنسويين إلى سيدة الكرمل ، والقديس العازر حيث يقول فيليب دي كورسبليون ماركي دي

دأنجو رئيس هذه الجمعية لرغبنا في اجابة سؤال الكافليز يوحنا مارماكون الماروني الموفد من جلالة الملك من قبل الأمراء ناصيف وحصن ومطران نيقوسية بقبرص ورئيس الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني بلبنان في مدة غياب البطريرك اسطفانوس أن نقبله ونحصبه في عداد فرسان سيدة الكرمل والقديس العازر بأورشليم. وبعد أن اتضح لنا أنه ثابت بالدين الكاثوليكي الرسولي الروماني وأنه حسن السيرة ، وإنّ الداعي لقدمه إلى فرنسة إنما هو ليهتل إلى جلالة الملك في أن يبدل عنايته لدى السلطان العثماني لينول نصارى بلاده الراحة والأمن . ولما كان الملك سماه كافليراً في مرسومه إلى ناصيف أمير الموارنة ، وفي مرسومه إلى سفيره بالآستانة ، وكان يهمننا أمر جبل لبنان والأرض المقدسة حيث أنشأت جمعية فرسان القديس العازر ، قد أحببنا سؤاله وقبلناه في جوقه هؤلاء الفرسان وأحصيناه في عديدهم ليكون له ما لهم من الشرف والحقوق والانعامات . وعليه أن يبرز يمين الأمانة المعتاد ، ويلزم أفراد هذه الجوقة في أي مقام كانوا أن يعرفوه كذلك . وبياناً لذلك قد وقّعنا على هذه الوثيقة بخط يدنا ومهرناه بمهر الجمعية . أعطي بباريس في ١٦ تموز سنة ١٦٩٧ م .

الفصل الثاني

بطاركة الموارنة في القرن السابع عشر

عد ٥٩

البطريرك يوحنا مخلوف

فرغنا من كلامنا على هؤلاء البطاركة في القرن السادس عشر بذكر وفاة البطريرك يوسف الرزي في شهر آب سنة ١٦٠٨ م . وبسبب القلق بالبلاد لم يتمكن الأساقفة من الاجتماع في اليوم التاسع بعد وفاته كالعادة لانتخاب خلف له ، فتأجل الانتخاب إلى أوائل شهر حزيران سنة ١٦٠٩ م فاجتمع حينئذ الأساقفة

والأعيان واختاروا الأسقف يوحنا بن مخلوف من اهدن . وكان البطريرك يوسف الرزي قد رقيه إلى الأسقفية سنة ١٦٠٣م ليكون معاوناً له في تدبير أمور دير قنوين . وبعد انتخابه بطريركاً سيّر إلى روما القس جرجس بن مارون والقس الياس ابن الحاج يوحنا من اهدن والشماس يوسف من كرم سدة ليأتوه بالتشيت من البابا بولس الخامس . وعند مرورهم بقبرص أخذوا معهم القس كسبر الماروني تلميذ مدرسة روما ، وكان مشهوراً بالعلم والبرارة فنالوا من لدن الحبر الأعظم الاعزاز والتكريم ودرع الرئاسة للبطريرك وعاد المذكورون إلى لبنان في ١٠ آذار سنة ١٦١٠م . وقال بياجوس ترسي (في كتابه سورية المقدسة صفحة ٥٣) في حق هذا البطريرك : « قد تَلَأَلَتْ به أنوار الفضائل فتسامى بها حتى لُقِّبَ بالقديس . وأثار الكنيسة الشرقية بعلمه وعزاها بغيرته . وكان له لدى الأُحبار الأعظمين أعلى مرتبة فأثخفوه بهدايا نفيسة ونولوه نعماً مشرفة موازية لفضله واستياله » . ففي سنة ١٦١٢م أرسل إليه البابا بولس الخامس في تاريخ ٢٢ تشرين الثاني رسالة يفوض إليه بها أن يمنح البركة الباباوية لجميع الموارنة رجالاً ونساءً ، ومن حضر منح هذه البركة وكان معترفاً ومتنولاً يربح غفراناً كاملاً . وترى ترجمة هذه الرسالة مثبتة في ذيل المجمع اللبناني صفحة ٢٧ .

ولما ارتقى البابا غريغوريوس الخامس عشر إلى كرسي الحبرية العظمى أرسل البطريرك يوحنا يهنئه بارتقائه ويطلب منه البركة له ولشعبه ، وأن يتكّرم على الطائفة بطبع كتاب الشحيم كما كان سالفه قد أمر بذلك . فورد له الجواب في تاريخ ١ تموز سنة ١٦٢٢م صحبة قاصده الأب ليونردوس من رهبان القديس فرنسيس إنه صار الشروع في طبع الشحيم ، وثبت له الغفران الذين كان البابا بولس الخامس قد أنعم بها على من يزورون كنيسة قنوين الكرسي البطريركي في عيد بشارة العذراء وعيد انتقالها ، وعيد الرسولين بطرس وبولس ليربحوا غفراناً كاملاً إذا كانوا معترفين ومغتذيين بالقربان الأقدس . ومنح زوار كنيسة قنوين الغفران التي يربحونها لو زاروا كنيسة زعيم الرسل بروما أو غيرها من الكنائس القائمة داخل أسوار رومة . وترجمة هذه الرسالة تراها مثبتة في ذيل المجمع اللبناني صفحة ٢٣ . وفي السنة المذكورة كان قحط في البلاد فأمر البطريرك بنصب كرم درغاتا مفلح نحو عشرة فدادين وأشغل به عملة كثيرين ، فكانوا يأكلون نهاراً على نفقة الكرسي ويأخذون مساءً الزاد لعيالهم .

وفي سنة ١٦٢٤ جعل دير حوقا مدرسة ابتدائية يتعلّم بها الشبان العلوم الاكليريكية ، ومن نبغ منهم أرسله إلى مدرسة الطائفة بروما . وأرسل الخوري يوحنا ابن قرياقوس الحصري من بيت صندوق (هو الذي صار بعداً أسقفاً وكان مع الصهيوني بياريس) إلى البابا أوربانوس الثامن يهنئه بتسليمه الكرسي الرسولي ويخبره بجعله دير حوقا مدرسة للثّ في المشرق ، وأرسل حينئذ اثني عشر طالباً لمدرسة روما ، فشرّ البابا بكتابة البطريك وعيّن مبلغاً سنوياً لمدرسة حوقا ودوّن لها دستوراً للعمل به فيها . وفي السنة التابعة أي سنة ١٦٢٥ م بعث إلى البطريك تاجاً ثميناً وغفارات نفيسة وكتباً وحللاً ورسالة مشرفة افتتحها بقوله : « لم يذبل البتّة جمال الكرمل ولم يذو مجد لبنان » وقد استشهدنا بفقرات منها مرات في كتبنا بياناً لثبوت الموارنة كل حين على الايمان الكاثوليكي . وتراها مترجمة برمتها في الفصل ١٨ من رد التهم الملحق بتاريخ الدويهي صفحة ٤٥٤ .

وكان هذا البطريك في أوائل بطريركته قد اضطر من قبل المظالم الجارية في جبة بشري ومضادة الشدياق خاطر الحصري له أن يتوجه إلى ناحية الشوف ليكون تحت حماية الأمير فخر الدين المعني ، والتقليد المحفوظ في جبة بشري والذي رواه الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٠٩ م أنّ البطريك بينما كان سائراً في أرض بريسات إحدى قرى الجبة طعن بالحرم الشدياق خاطر لأنه تسبب بخروجه من وطنه . ويقولون إنّ الحاضرين ارتجفوا من الحرم وسألوا البطريك أن يرفعه عن المقدم خاطر ، ولمعرفة البطريك بسداجتهم قال رفعته عنه وحولته إلى هذه الصخرة . فانشقّت الصخرة . وإلى الآن ترى صخرة فوق الحدث مشققة تسميها العامة الصخرة المحرومة ، ويروون عنها هذه الرواية . وعندما دخل البطريك على الأمير فخر الدين أحسن استقباله وبألف في اكرامه ، وكان ابنه الأمير علي قد اشترى قرية مجدل المعوش بالعرقوب الشمالي من سكانها المسلمين وأسكن فيها جماعة من النصارى ، فحل البطريك في هذه القرية وبنى فيها داراً وكنيسة وهي المعروفة الآن بكنيسة السيدة بالقرية المذكورة . وقد زرتها مرات لأنها باقية إلى اليوم ، وبنائها أشبه ببناء كنيسة القديسة مورا التي بناها هذا البطريك أيضاً بكفر زينا في آخر حياته سنة ١٦٣٢ م ، إلى أن سار الشدياق خاطر الحصري وغيره من أعيان البلاد إليه إلى مجدل معوش وأرجعوه إلى كرسيه بقنوين . وهذا البطريك هو الذي رقى اسحق الشداوي الآتي ذكره إلى أسقفية طرابلس سنة ١٦٢٩ م . ولهذا الأسقف

قصيدتان بالسريانية . الأولى في مدح البابا أوربانوس الثامن . والثانية في مدح هذا البطريك . وكلتاهما مثبتتان في كتاب سرياني بمكتبة مجمع نشر الايمان المقدس . وفي أيام هذا البطريك واجابة لالتماسه طُبع بروما كتاب فرضنا الكبير المعروف بالشحيم ، بعد الفحص الدقيق والتروي به من علماء شهيدين منهم الكردينال بلرمنيوس كما سترى .

وفي ١٥ من كانون الأول سنة ١٦٣٣م كان انتقال هذا البطريك من دار الشقاء إلى دار البقاء المؤبد لينال جزاء جهاده وميراثه ، وكان ذلك في قرية كفرزينا موطني بزاوية طرابلس ، وحمل ليلاً إلى دير قنوين فُدفن فيه . وقال الدويهي في حقه ، كان لَيّن العريكة منخفض الجانب ، كريم الأخلاق محب السلامة ، كثير الصدقات . اتخذ سيرة النسك بدير قزحيا ، ولما تسامى بفضائله وشديد غيرته على خلاص النفوس رقاہ البطريك يوسف الرزي أسقفاً معاوناً له بدير قنوين . وأنشأ لهذا الدير عقارات كثيرة في جبة بشري وزاوية طرابلس . ولما توفي البطريك يوسف الرزي خلفه في بطريركية انطاكية على الموارنة . انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي والمشرق المسيحي للكويان في سلسلة بطاركة الموارنة وغيرهما .

عد ٦٠

البطريك جرجس عميره

ذكر الدويهي بعض ترجمته في الفصل الثامن عشر من رد التهم فقال: كان البطريك المذكور من: « أنسبائنا ، وذهب به خاله القس يعقوب الدويهي إلى روما سنة ١٥٨٤م لاقتباس العلوم في مدرسة الموارنة الحديثة النشأة حينئذ . وبعد أن أتقن العلوم العقلية والنقلية والإلهية ، نشر باللاتينية كتاباً في نحو اللغة السريانية طُبع بروما سنة ١٦٩٦م وعلّق عليه فاتحة تشهد له بطول الباع وغزارة الاطلاع أبان فيها قدم اللغة السريانية وسموّها على غيرها وفائدتها ، حتى قال إنها اللغة الأولى للناس وأم للغة العبرانية . ولكن انتقد فالتون في مقدمات البوليكولوتا (الكتاب المقدس بعدة لغات) الانكليزية بعض أدلة عميرة ، ثم اختصر بطرس المطوشي القبرصي الماروني

كتاب عميرة هذا وكذلك صنع جبرائيل عواد الحصريوني، فأشهرها كتابين في نحو اللغة السريانية موجزين عن كتب عميرة وكان كتاباهما محفوظين بمكتبة مدرسة الموارنة بروما ومكتبة نشر الايمان المقدس .

وعاد عميرة إلى لبنان سنة ١٥٩٥م واشتهر في السنة التابعة بعلمه وفقاهته في المجمع الطائفي الذي عقده تلك السنة البطريرك سركيس الرزي بأمر البابا اكليمندوس الثامن لتبرئة الموارنة من بعض الأغلاط المعزوة إليهم بسبب بعض عبارات في كتبهم كما مرّ. ولما توفي البطريرك سركيس الرزي بعيد هذا المجمع وخلفه ابن أخيه يوسف الرزي رقي عميره إلى الأسقفية على اهدن فتفانى بجهاده وتعليمه وظهر ما كان عليه من ذكاء العقل ورسوخ الورع واتقاد الغيرة على نشر الفضيلة والدين القويم .

ولما توفي البطريرك يوحنا مخلوف في سنة ١٦٣٣م أجمع الأساقفة على انتخاب المطران جرجس عميره أسقف اهدن بطرياً في ٢٧ كانون الأول سنة ١٦٣٣م، فأرسل إلى روما الخوري ميخائيل بن سعادة بن أنطون بن شمعون بن فهد الحصريوني ليستمد له التثبيت ودرع الرئاسة من البابا أوربانوس الثامن فثبته سنة ١٦٣٥م. وفي أيام هذا البطريرك أنشئت مدرسة للموارنة بمدينة رافنا بايطاليا من تركة الخوري نصر الله شلق العاقوري . وسيأتي ذكرها في ترجمة الخوري نصر الله المذكور . وفي أيامه أيضاً تشكى أهل بقسميا الذين كانوا من الملكية غير المتحدّين على القس يوحنا بن بهينا الأجنبي رئيس دير القديس مارون بكفرحي إلى ابن سيفا ، فقبض عليه وأهانته وسامه ما هو فوق طاقته فترك الدير فخرب إلى أن جدد بناءه البطريرك يوسف اسطفان كما سيجيئ . وفي سنة ١٦٣٨م لما قدم السلطان مراد إلى حلب أنعم على الموارنة وبتطريكتهم ببراءة أثنى فيها على ولائهم للدولة العلية وشدة تعلقهم بالأريكة السلطانية .

وفي التاسع والعشرين من تموز سنة ١٦٤٤م أنشبت المنية أظفارها بالبطريرك جرجس عميرة بعد أن استمر على الكرسي البطريركي عشر سنين وسبعة أشهر . ودُفن بقنوين في جانب كنيسة القديسة مارينا ، وله كتاب هندسة الأبنية اقترحه عليه الأمير فخر الدين المعني .

قال دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان في ترجمة فرنسيس كالوب

دي شاستول الفرنسي الذي نسك بلبان وسيأتي ذكره . إنّ بعض الموارنة سألوا فرنسيس الناسك المذكور أن يصير بطريكاً عليهم بعد وفاة البطريرك جرجس عميرة فأبى كل الالباء وأشار عليهم أن ينتخبوا بطريكاً الياس مطران اهدن الذي كان مرشده الروحي ، وأشار عليه أن يقبل البطريركية ، فانتخبوه ، وبعد ستة أشهر مات الناسك المذكور في ١٥ أيار سنة ١٦٤٤م كما يظهر من الكتابة المنقوشة على ضريحه . على أنّ هذه الرواية غير صحيحة ويخالفها كل ما ورد في تواريخ ملّتنا الجامعة على أنّ البطريرك يوسف العاقوري خلف البطريرك جرجس عميره دون متوسط بينهما . ولذلك قال لكويان بعد ايراده الرواية المذكورة فليتّصّر اللبيب كيف تتفق هذه الرواية مع ما رواه الدويهي أنّ جرجس عميره خلفه البطريرك يوسف العاقوري ابن المطران بطرس العاقوري المعروف بابن حليب في ١٥ آب من سنة ١٦٤٤م ، ومع ما رواه السمعاني في المجلد الأول من المكتبة الشرقية صفحة ٥٥٢ حيث قال مات جرجس عميره في ٢٩ تموز سنة ١٦٤٤م وفي هذا اليوم نفسه توفي البابا أوربانوس الثامن . وقال في الصفحة التالية إنّ يوسف العاقوري خلف جرجس عميره في ١٥ آب سنة ١٦٤٤م فليزّ القارئ أي القولين أولى بالاتباع . انتهى كلام لكويان . فنحن نرى أنّ رواية دي لاروك هذه غير صحيحة ولا سيما أنه لا ريب في أنّ الناسك المذكور توفي في ١٥ أيار سنة ١٦٤٤م والبطريك جرجس عميره توفي بعده في ٢٩ تموز سنة ١٦٤٤م . انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي وعن المشرق المسيحي للكويان وعن المكتبة الشرقية للسمعاني .

عد ٦١

البطريك يوسف العاقوري

هو ابن المطران بطرس بن حليب ابن الخوري سابا العاقوري . وكان المطران بطرس متزوجاً قبل ارتقائه إلى الدرجات المقدّسة ثم توفيت امرأته فراقه البطريرك يوسف الرزي سنة ١٦٠١م في عشرين من تشرين الثاني إلى الأسقفية خلفاً لموسى أسقف العاقورة . وتوفي المطران بطرس سنة ١٦٠٦م في العبادية بالمتن ودُفن ببيروت كما مرّ . وكان له من الأولاد يوسف هذا الذي تزوج أيضاً قبل ارتقائه إلى الدرجات المقدّسة . ونعلم أنه كانت له بنت تزوجت بدمشق كما سيأتي . ثم

ارتقى يوسف إلى درجة الكهنوت، ثم رقاہ البطريرك يوحنا مخلوف إلى أسقفية صيدا سنة ١٦٣٦م، فأقام في الأسقفية ثماني عشرة سنة دائماً على فلاحة كرم الرب متفانياً في الأعمال الخيرية والمبرات. وفي سنة ١٦٤٣م اشترى من آل حبش أرضاً في حراش بنى فيها كنيسة وديراً للراهبات كما سيأتي.

ولما توفي البطريرك جرجس عميره في ٢٩ تموز سنة ١٦٤٤م اجتمع الأساقفة والأعيان في ١٥ آب من السنة المذكورة فانتخبوه بطريكاً. ويظهر أنه أرسل في هذه السنة المطران اسحق الشدراوي مطران طرابلس يستمد له درع الرئاسة من الخبر الروماني فأعاقه مرض أو غيره عن الوصول إلى روما، وهذا بين من الفاتحة التي علّقها القس عبد المسيح الحداثي الآتي ذكره على كتاب الشحيمة (الفرض) المطبوع بروما حيث يذكر وفاة البطريرك جرجس عميره سنة ١٦٤٤م وانتخاب المطران يوسف العاقوري بطريكاً في ١٥ آب عيد انتقال العذراء من السنة المذكورة. ويقول ما خلاصته: «إنّ البطريرك الجديد استشار أساقفته وأعيان طائفته في ارسال المطران اسحق الشدراوي عملاً بعادة طائفتنا إلى روما ليؤدي الطاعة نيابة عنه للبابا اينوشنسيوس العاشر وما صار في ذلك نصيب (أما لأنّ المطران المذكور تعذر عن السفر حيثئذٍ أو مرض في الطريق لأنه توجه بعداً إلى روما سنة ١٦٤٧م كما يظهر من هذه الفاتحة أيضاً). فلما جئت أنا الحقيّر (القس عبد المسيح بن الياس بن الطويل من قرية الحدث تلميذ مدرسة الموارنة بروما وخوري أقاربي بعين ابل) أقبل اقدام سيّدنا البطريرك أمرني أن أتوجه إلى روما نيابة عنه وأطلب التثبيت له وأقضي بعض حاجات الطائفة، وطلبت منه رفقاً فرفقني بالشدياق مرقس راهب من رهبان مار شليطا. فوصلنا إلى روما في ٢ من تموز سنة ١٦٤٥م فتقبلنا الخبر الروماني بالاعزاز وأنعم على البطريرك بدرع الرئاسة والتثبيت وأمر بطبع الشحيم مختصراً (وهو كتاب الفرض الاسبوعي المعروف بالشحيمة) وطبع غرامطيق سيّدنا البطريرك يوسف الذي أرسله معنا وأخذنا بطبع ذلك بعنايته، ولكن وجدنا في الشحيمة بعض أغلاط فأصلحناها نحن وحضرة سيّدنا المطران اسحق لأنه لحقنا عند آخر طبع صلوة الصبح يوم السبت. وأضفنا إلى ذلك ما يحتاجه الكاهن في ممارسة خدمته إلّا رتبة الصلاة على العرسان فلم نجد لها نسخة بروما. وتمّ ذلك في ٣٠ من شهر آذار سنة ١٦٤٧م». ونظن أنّ هذه الشحيمة هي المعروفة باليوسفية نسبةً إلى البطريرك يوسف هذا.

وأما الغرامطيق الذي ألفه هذا البطريك فقد كمل طبعه بروما بمطبعة مجمع نشر الايمان سنة ١٦٤٥ م. ولهذا البطريك أشعار كثيرة بلغة العامة أكثرها في الموارنة والملكية. وقد ذكرنا فقرة منها في تاريخ القرن السابع عند ذكر وقعة أميون بين الموارنة ومريق ومرقيان قائدي عسكر يوستينيانوس الأخرم. وبعد فراغه من أخبار هذه الوقعة، أخذ يفتد بعض أغلاط الملكية ويندد بهم لعدم اتباعهم الحساب الذي أصلحه البابا غريغوريوس الثالث عشر. وأول من اتبعه في المشرق البطريك يوسف الرزي وطائفته المارونية سنة ١٦٠٦ م كما مر.

وقد رقي هذا البطريك في بداية رئاسته إلى الأسقفية المطران يوسف بن عميمة الكرمندي والمطران ميخائيل بن سعادة الحصري سفير سالفه إلى الحبر الروماني وجعلهما معاونين له في شؤون الكرسي البطريكي. وعزا إليه بياجيوس ترسي في كتابه الموسوم بسورية المقدسة صفحة ٥٣ مقالة شعرية في رئاسة الحبر الروماني. وتوفي في ٢٣ من شهر تشرين الثاني (كذا في نسخة لكويان وفي النسخة التي بيدنا في ٣ منه) سنة ١٦٤٨ م فلم يبق في البطريكية إلا ثلاث سنين وثلاثة أشهر، ودُفن بقرية العاقورة في كنيسة القديس بطرس المنقورة في الصخر. وقال الدويهي في حقه: كان شجاعاً ورعاً محباً للعلماء غيوراً في أمور الدين راغباً في انشاء الكنائس. وقاسى مشقات كبرى من جراء أعمال صهره زوج بنته المدعو قرقماز لأنه جحد الايمان في دمشق فناسبه الموارنة بدمشق فتحملوا بسببه خسائر جمّة، واضطروا إلى المهجرة والتشتت. انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي والمشرق المسيحيي للكويان، والمجلد الأول من المكتبة الشرقية للسمعاني صفحة ٥٥٣ وعقد هذا البطريك مجعاً طائفيّاً بدير حراش سنلخص ما كان فيه في آخر هذا الملحق.

عد ٦٢

البطريكيان يوحنا الصفراوي وجرجس السبعلي

أما يوحنا الصفراوي فروى الدويهي أنه كان من بيت البواب من قرية الصفرا في فتوح كسروان. ولم نعلم حتى الآن أين تعلّم ولا متى صير كاهناً. ويظهر أنّ البطريك جرجس عميره رقاه إلى الأسقفية سنة ١٦٣٦ م. وفي اليوم التاسع بعد

ذفن البطريك يوسف العاقوري اجتمع الأساقفة والأعيان بدير قنوين سنة ١٦٤٨م في أواخر تشرين الثاني وأوائل كانون الأول واختاروه بطريكاً وأقاموه موضعه ، وأرسل إلى روما الخوري ميخائيل بن صابونه الحصري فبثته البابا اينوشنسيوس العاشر سنة ١٦٤٩م . وفي أيام هذا البطريك أصدر لويس الرابع عشر ملك فرنسا براءة جدد فيها الحماية لبطريك الموارنة وأساقفته واكليروسه وشعبه . وهذه ترجمة البراءة المذكورة عن الفرنسية .

« لويس بنعمة الله ملك فرنسا وناظرًا »

سلام لكل مطلع على خطنا هذا ، فليكن معلوماً عند كل واقف على براءتنا هذه أننا بعد استشارة الملكة النابتة عنا في الملك السيدة والدتنا المحترمة قد أخذنا ووضعنا ونأخذ ونضع تحت حمايتنا الخاصة السيد الكلي الاحترام بطريك الموارنة وجميع أساقفته واكليروسه وعامة شعبه الساكنين خاصةً بلبنان . ونود أن يشعروا بمفاعيل حمايتنا ومساعدتنا ولذلك نرغب إلى السيد دي لاهيوتلي أحد أعضاء مجلس الشورى في مملكتنا ، وسفيرنا إلى المشرق وإلى جميع من يخلفونه في مقامه أن يمدوهم بعنايتهم بهم اجمالاً وأفراداً ويذلوا لهم الحماية لدى أعتاب صديقنا الأكمل السلطان الأعظم ، وفي أي محل آخر كان لدي الحاجة إلى الحماية كيلا تجري عليهم معاملة سيئة وغير مشروعة ، بل يتيسر لهم قضاء أعمالهم والتصرف بمقتضيات مراتبهم الروحية بتمام الحرية ، ونأمر قناصل الأمة الفرنسية ونواب قناصلها المنصوبين في فرض المشرق وغيرها من الأماكن المشترع بها العلم الفرنسي الآن ، وفي ما يأتي من الزمان أن يساعدوا بكل وسعهم البطريك المشار إليه وجميع الموارنة سكان جبل لبنان ، وأن يسيروا في المراكب الفرنسية أو غيرها كل ماروني أراد السفر إلى بلاد النصارى ، اما لدرس العلوم واما لغير ذلك ، ولا يكلفوهم إلا ما يمكنهم دفعه ، ويعاملوهم بالحبّة والرفقة . ونسأل السادة العظام عمال الحضرة العلية السلطانية ومستخدميها أن يذلوا رعايتهم ومساعدتهم لحضرة رئيس أساقفة طرابلس وجميع الاكليروس والشعب الماروني ، ونعدهم من قبلنا أننا نصنع هذا الصنيع إلى كل رجل من أمتهم يوصون عمالنا به .

أُعطِيَ في سن جهان بمدينة لاي في ٢٨ نيسان سنة ١٦٤٩م وهي السادسة
لملكنا» .

والبطريك يوحنا هذا هو الذي رقى إلى درجة الكهنوت ثم الأسقفية على
السريان اندراوس أخيه بعد أن كان جحد اليعقوبية على يد البطريك يوسف
العاقوري . ودرس العلوم بمدرسة طائفنا في روما كما مرّ في ترجمته وفي الثالث
والعشرين من كانون الأول سنة ١٦٥٦م انتقل البطريك يوحنا إلى راحة الأبرار
الأبدية لينال ثواب جهاده ومبراته ، وكان انتقاله بدير قنوين ، ودُفن هناك . وقد
وصفه الدويهي بأنه كان طاهراً قنوعاً رضي الأخلاق بعيداً عن الكدر والمكر ترتي
منذ حدثته بالتقوى والنسك وحاز على أعلى مراتب الورع والاتضاع ، وكان مدمناً
على الصلوات وتلاوة المسبحة وغيرها من النوافل زيادةً على صلوات الفرض ، كثير
الصوم والتقشف في مدة كهنوته ولا سيما في مدة أسقفيته التي كانت اثنتي عشرة
سنة ، وفي مدة بطريكيته التي كانت ثماني سنين ونيف .

أما البطريك جرجس السبعلي فقال فيه الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٧م إنه
كان ابن الحاج رزق الله من سبل بزاوية طرابلس (وهي الآن قرية حقيرة) وكان
البطريك الصفراوي قد رماه إلى الأسقفية في ٢٥ من تموز سنة ١٦٥٦م ليكون
معاوناً له في تدبير شؤون البطريكية . ولما توفي هذا البطريك في ٢٣ من كانون
الأول من السنة المذكورة اجتمع الأساقفة والأعيان في اليوم التاسع بعد وفاته أي
في أول كانون الثاني سنة ١٦٥٧م فانتخبوه بطريكاً ، وأرسل الأب يوحنا الكرمللي
الذي كان قاطناً بدير القديس اليشاع في جانب بشري إلى روما وأصبحه بعرائض
اداء الطاعة واستمداد التثبيت من الحبر الروماني البابا اسكندر السابع فاتفق أن مات
الأب المذكور لدن بلوغه إلى روما فاضطر البطريك أن يجدد الالتماس ، وتأخر
تثبيته إلى سنة ١٦٥٩م . وقال في حقه دي لاروك في كتاب رحلته المذكور
(صفحة ١٣١) إنه كان ضليعاً باللغات الشرقية ومبرزاً في معرفة الشرائع والقوانين
البيعية ، وفي أيام هذا البطريك قدم من فرنسة أربعة رجال قاصدين العزلة عن العالم
للتجرد لخدمة الله في محابس جبل لبنان فاختار بعضهم السكنى بدير مار اسيا
بكفر صارون ، وبعضهم بدير مار ابون بأرض الحدث ، وبعضهم بدير القديس
انطونيوس في جوار قنوين . فأمر البطريك بمزمة الأديار المذكورة واصلاحها
للسكن ، وأن يعطوا الزاد من دير الكرسي البطريكي . وفي ١٢ من شهر نيسان

سنة ١٦٧٠م كانت وفاة البطريرك جرجس بدير مار شليطا مقبس بكسروان ودفن هناك وضريحه ظاهر إلى الآن. وقال الدويهي في حقه إنه كان شجاعاً كريم الأخلاق، صبوراً تحمّل كثيراً من جور الحكام في تلك الأيام ومن داء السلّ الذي بُلي به واستمر على الكرسي البطريركي ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر. انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي والمشرق المسيحي للكويان.

عد ٦٣

العلامة البطريرك اسطفانوس الدويهي

نعمد في ترجمة هذا العلامة على ما كتبه عن نفسه في رسالة أنفذها إلى القس بطرس مبارك أحد تلاميذ مدرسة الموارنة بروما، فهذا أرسل كتاباً للبطريرك يسأله به أن يلخص له ترجمته ليثبتها في مقدمة كتاب كان يريد طبعه، فأجابه البطريرك برسالته المذكورة التي وُجدت في خزانة أوراق الكرسي البطريركي. وإليك نص هذه الرسالة بحروفها:

« البركة والنعمة وحلول الروح القدس تكون حالة على ولدنا القس بطرس المكرم الخ. أشرت لنا حتى نكتب لك عن سيرتنا لتقتطف منه الذي يحسن برأيك وتجعله في مدخل الكتاب على جاري العادة بين الافرنج في طبع الكتب. يا ولدنا نحن نقرّ أنّا أخطأ الناس وأرذلهم بالنسبة إلى النعمة التي تفضل بها الله علينا، لكن لأجل خاطرك نذكر لك إنّنا من طائفة الدويهيّة المشهورة بين جماعتنا (الموارنة) في التقوى والعلم وسياسة الشعب، قد خرج منها في الجليلين الماضيين ثمانية مطارين وبطركين وكان مولدنا سنة ١٦٣٠م (سنة ١٦٣٠م) في ٢ شهر آب نهار تذكّار ما اسطفانوس، وسمينا على اسمه ومنذ الصبا سلمونا والدينا إلى القراءة السريانية. وفي سنة ١٦٤١م (١٦٤١م) أرسلنا المرحوم البطريرك جرجس بن عميره التي أمه كانت من الطائفة (الدويهيّة) إلى روما بصحبة القس سمعان (التولاوي) ويوسف فتيان (الحصروني). وفي مقامنا في المدرسة سعينا في اقامة المجمع (جمعية أو أخوية) باسم السيدة الطاهرة وكانت قبلنا انقطعت المجادلات (أي المباحث العامة الحافلة) فعملنا جهداً كلياً عند معلمي المدارس وعند الجنرال

حتى جددنا العادة التي انقطعت ، وعملنا مجادلة الفلسفة على اسم الكردينال كابون ، وتقام علم اللاهوت على اسم المرحوم البطرك حنا الصفراوي . وسنة ١٦٥٥م كانت عودتنا إلى البلاد وكرم علينا مجمع انتشار الايمان أن نكون من جملة المرسلين وفي ترددنا في البلاد اعتنينا على علم الأولاد وعلى الوعظ وتهذيب الشعب بدرجة الكهنوت . وعندما طلبوا جماعتنا (الموارنة) الحلبية من المرحوم بطريك جرجس (السبعلي) أن نركز عليهم ثبتنا عندهم نركز عليهم ونعلم أولادهم ونتعاطى في أمورهم مدة ست سنين وعندما في سنة ١٦٦٨م توجهنا من عندهم إلى زيارة المواضع المقدسة في العودة مسكنا البطريك المرحوم وقدمنا إلى درجة المطرانية على أسقفية قبرص فزرنهم وتعبنا فيهم جهدا . وفي السنة الثانية عندما انتقل البطريك جرجس ابن الحاج رزق الله إلى رحمة خالقه ألزمونا رؤساء الكهنة ورؤساء الشعب في درجة البطركية . وفي كل هذه المدة احتملنا مشقات واضطهاد لا يوصف من جور العصاة . حتى أننا طفرنا إلى بلاد كسروان وإلى بلاد الشوف ، ولأجل هذه الديورة والكنايس والنصارى التزمنا نرجع لأجل حفظهم ، ولأن كانوا شردوا ولله الحمد قائمين بحملتنا وفي عمار الكرسي والطائفة . وفي كل هذه المدة تعبنا تعباً بليغاً حتى جمعنا غالب رتبها كما هو (هنا كلمة غير مقروءة) .

١ **ܕܐܚܕ ܕܡܚܬܝܡܐ ܕܡܚܬܝܡܐ** (كتاب الشرطونية وأظن أن المراد جمعه هذا الكتاب وترتيبه) ٢ **ܕܝܘܢܐ** (قبل هذه الكلمة كلمة مخزوقة فكأنها نظام أو قانون الرهبان) ٣ **ܕܡܚܬܝܡܐ ܕܡܚܬܝܡܐ** (رسم البيعة وأثاثها) **ܕܡܚܬܝܡܐ ܕܡܚܬܝܡܐ** (أي كتاب الصلوات) وبعثناه إلى روما . ٥ كتاب النوافير (وهو غير كتاب منارة الأقداس الذي عدّد به النوافير بل كتاب برأسه عدد فيه النوافير وعني بترجمة مؤلفيها وذكر صورة كلام التقديس في كل منها ، وضّم إليه نافور رسم الكأس . وهذا الكتاب كان في دير مار شليطا مقبس فنقل حديثاً إلى مكتبة البطركية) ٦ **ܕܐܪܐ ܕܡܚܬܝܡܐ** (أسرار البيعة) ٧ **ܕܡܚܬܝܡܐ ܕܡܚܬܝܡܐ** (أعياد) كل السنة (وهو كتاب جمع فيه رتب الموارنة على مدار السنة بالسريانية عدد صفحاته ٣٧٩ كرتبة تبريك الماء يوم عيد الغطاس ، ورتبة أحد الشعانين وغيرها . وهذا الكتاب الآن في مكتبة البطركية منقولاً إليها من مكتبة مار شليطا) ٨ سجلات الباباوية ومكاتيب البطارقة وأرباب الدولة وحجج وقوفات الدير ومن غير (وما عدنا) الكتب البيعية

التي جمعناه . وذكرنا إننا عاملون متعبين على كتاب الجنازة وغيره ، ثم إننا شرحنا عن كتاب الشرطونية . وفي كتاب آخر عن تكريس البيعة وأوانيها . وفي كتاب آخر عن تفسير القديس والمناظر ، وأيضاً في قصص الآباء أصحاب النوافير المقبولة وأيضاً عن سلسلة بطارقة الملة المارونية ، وأيضاً على أصل الملة المارونية ودوام اتحادها مع الكنيسة الرومانية وهي التي عندك . وأيضاً في التواريخ من بدء الهجرة إلى وقتنا هذا بل الذي تعبنا عليه بزيادة من قدوم الفرنج إلى هذه البلاد . وأيضاً جمعنا رؤوس الأبيات السريانية وفككناها على موجب وزن الشعر ونعمل متعبين بسبب مدرسة الموارنة بروما ونفعها ونشر تلاميذها . ومن غير تعبنا مع طائفتنا ما تأخرنا أيضاً عن نفع الطوائف التي بجيرتنا لأن المرحوم القنصل بيكت ، كان بعث عشر مكاتيب للمرحوم البطريرك حنا من صفرا حتى يرسم القس اندراوس أخيهان فما تنازل معه حتى دخلت أنا بينهم وأزحت عن بال البطرك الصعوبات التي كانت تمنعه . وبعد أن ارتسم مطراً صار أنه طفر (فر) إلى جبل لبنان لأجل خاطر القنصل وسيطه إلى الرجوع ، ورحت أنا بنفسي معه وكنت أساعده في المقدرة وفي كتابة الكرز الذي كنت أعطيه . وكذلك طفر لعندنا القس اسحق (السرياني) وأنا بطريرك مسكته عندنا سنتين ورتبته ورسمته أيضاً ، وعندما طفر بعده إلى عندنا بطرس بطريرك السريان (نظنه اغناطيوس بطرس الذي خلف أخيهان في البطريركية على السريان الذي توفي في السجن بأدنه بمكيده بطريرك اليعاقبة) ثبت عندنا مدة من الزمان بكل اعزاز واکرام ، ثم بعد المذكورين التجا إلينا الخوري نعمة والقس سبيمان السريان من جور بطريركهم الضال ، وكذلك مطران الأرمن على مرعش عندما التجا إلينا قبلناه بكل كرامة وأمرنا جماعتنا بحلب ليقبلوا جميع المرتدين من اليعاقبة والأرمن والنساطرة وغيرهم ويتلمذونهم ويقضون مصالحهم . حُرر في أول شهر أيار سنة ١٧٠١ ربانية . وقد طبع المعلم رشيد الشرتوني من تأليف الدويهي شرح الشرطونية والتكريسات ، وشرح المناظر العشر وسلسلة بطارقة الموارنة مع اضافات . وأخذ من كتابه في أصل الموارنة ودوام اتحادهم بالكنيسة الرومانية . ومن التاريخ كتابه المعروف بتاريخ الطائفة المارونية وطبعه سنة ١٨٩٠ م .

إنَّ البطريرك سمعان عواد الطيب الذكر قد وضع ترجمة العلامة الدويهي آخذاً عنه وعن ثقة من معاصريه . وهذه الترجمة أثبتتها المعلم رشيد الشرتوني في فاتحة

تاريخ الموارنة للدويهي الذي طبعه ببيروت سنة ١٨٩٠م فنكتطف منها ما يلزم لثمة الترجمة. وبيانها أنّ والد الدويهي يسمى مخايل واسم أمه مريم وهي من آل الدويهي أيضاً، وأرسله إلى روما عمه المطران الياس الدويهي على يد البطريرك جرجس عميره. وقد قال عن نفسه أنه كان يقضي وقت التنزه وهو في المدرسة في القراءة والدرس، وكثيراً ما كان يقوم عن فراشه ليلاً فيصلي ويدرس على نور المصباح الساعتين والثلاث حتى أصيب ببصره، فكان يطلب إلى رفقائه أن يقرأوا على مسمعه الدروس اليومية، ثم شفي بشفاعة العذراء. وكان استاذة في اللاهوت الأب سبرسا اليسوعي. يقول مرات علّمت في بلاد كثيرة ولم أر مثل اسطفان علماً وعملاً. وشهد عارفوه أنهم لم يكونوا يجدون عليه خطيئة توجب الحل. وألف بعد انجاز دروسه كتاباً ضخماً باللاتينية في الفردوس الأروحي. وبعد رجوعه إلى وطنه رُقي إلى درجة الكهنوت وأنشأ مدرسة في اهدن وأخذ يعلم الأولاد ويعظ الشعب إلى أن أرسله البطريرك جرجس السبعلي إلى حلب واعظاً ومرسلاً. واهتدى على يده كثير من الملكية والنساطرة والبعاقبة. وصنّف في تلك الأثناء مؤلفاً في الوعظ والارشاد في مجلدين. وقد جرى انتخابه بطريركاً سنة ١٦٧٠م بغير مشورة الشيخ أبي نوفل الخازن، فاستاء فأثى البطريرك إلى داره بكسروان فأجلّ الشيخ قدره واستغفره عما فرط منه. وأرسل إلى روما القس يوسف شمعون الحصري (الذي صار بعداً أسقفاً) في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٧٠م فثبته البابا اكليمندوس العاشر (في ٨ آب سنة ١٦٧٢م).

وبعد بطريركيته أخذ يطوف جميع الأبرشيات ويختار كهنة من ذوي العلم والتقوى ويفحص الكتب البيعية ويصلح ما أوقعه النساخ أو أصحاب الأغراض من الخطأ فيها. وكان معنياً برد العوائد القديمة، ورتب الطقوس. وذكر له البطريرك سمعان عواد بعض الكتب التي ذكرها هو في ترجمة نفسه وما قرظه به العلماء من طائفته كمرهج بن نieron الباني والمطران يوسف شمعون الحصري والبطريرك يعقوب عواد. ومن غير طائفته نخص بالذكر منهم الكردينال نرلي في كتابه في مشاهير المدرسة المارونية بروما. ولما علم البطريرك كيرليس الحلبي بطريرك الروم الانطاكي أنّ الخبز والخمر لا يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه بقوة كلام التقديس وحده بل بدعوة الروح القدس أيضاً. فاعترضه ورد زعمه بنصوص الكتاب والحجج والآباء. ولما اطلع بطريرك الروم على حججه أحب أن يجادله

وحضر لجداله ومعه أربعة مطارين، وكان الجدل بحضرة أمير الشوف في دير القمر. فأفحم الدويهي بطريك الروم وأساقفته حتى أوجب عليهم الأمير والحاضرون أن يذعنوا لتعليم الدويهي. وكان هذا سبباً لاعتناقهم الدين الكاثوليكي، وقد قاومه بعض أساقفته لأنه تشدد عليهم بعمل واجباتهم فأرسل لهم رسالة يؤنبهم بها ويهددهم فخرجوا وتسارعوا إليه يستغفرونه عما فرط منهم. وهم أن يتنازل عن البطيركية فمنعه أبناء الطائفة. وكان شديد الغيرة على مدرسة الطائفة في روما وعلى نشاط تلامذتها وتقدمهم بالتقوى والعلم. وله رسالتان إليهم (مثبتتان في ترجمته المعلقة على تاريخ الموارنة) يتبين منهما كم كان له من العناية بهم والهيام في نجاح هذه المدرسة. وقد أنبأنا صاحب ترجمته بآيات كثيرة صنعها الله على يده في حياته وبعد وفاته.

وقد أهانه قبل وفاته الشيخ عيسى حماده إذ جاء مع بعض أقاربه إلى قنوبين طالبين منه مبلغاً من المال، فكتب إلى الشيخ حصن الخازن عما جرى له فجهز رجالاً من كسروان مع أخيه الشيخ ضرغام (هو الذي صير بعداً بطريكاً) إلى قنوبين، ولما علم بذلك الشيخ عيسى أتى متوقعاً متذلاً أمام البطريك ليغفر له ويعدل عن السفر إلى كسروان، وأراد المشايخ الخوازنة أن ييطشوا به فنهاهم البطريك عن ذلك وسار معهم إلى كسروان فالتقاه الأهلون بالتجلة والاحتفاء وأقام بدير مار شليطا مقبس نحواً من أربعة أشهر، ثم وردت له رسائل من والي طرابلس على يد الخواجه طريه ترجمان قنصلية فرنسة أن يعود إلى كرسيه آمناً فعاد في ١٩ من نيسان سنة ١٧٠٤م يوم السبت وفي صباح الأحد أقام قداساً حافلاً ومنح غفراناً كاملاً لجميع الحاضرين. وفي غد الاثنين ودعه من كانوا قد رافقوه من كسروان فشيّعهم إلى باب الدير وأراد أن يرجع إلى غرفته فتعذر عليه أن يخطو فحمله شماسه إلى فراشه، وعلم أن قد دنا أجله وأن الله استجاب طلبته أن لا يميته خارجاً عن كرسيه، وأخذته حمى شديدة لم تمنعه عن التسبيح لله ومباركة شعبه وتناول الأسرار المقدسة إلى أن توفاه الله ونقله إلى راحة الأبرار صحبة القديسين الملائكة باسيليوس واثناسيوس وفم الذهب نهار السبت في الساعة الثالثة من النهار في ٣ من أيار سنة ١٧٠٤م وعمره أربع وسبعون سنة.

وقد حفظ لنا دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان رسالة أنفذها لويس الرابع عشر ملك فرنسة إلى هذا البطريك هذه ترجمتها:

«أيها البطريرك اسطفانوس بطرس الانطاكي»

أيها السيد الأجلّ، قد رفع إليّ الخوري الياس كاتب سرّكم الرسالة التي كتبتموها إليّ في ٢٠ من آذار سنة ١٧٠٠م وعلمت منها متأسفاً الحزن الذي يقاسيها الكاثوليكيون أبناء ملتكم المارونية في جبل لبنان وشدة الضنك الذي تقاسونه لوقاية شخصكم من الاهانات التي ينزلها البعض بكم. ولما كنت مستعداً أن أبذل دائماً كل ما بوسعي من العناية بتأييد الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني في كل مكان ولا سيما في أرجاء بطريركيّكم حيث تعاظمت الحزن، قد سلمت إلى كاتب سرّكم رسالة جددت بها الأمر الذي أصدرته قبلاً إلى سفيرى بالقسطنطينية أن يصرف عنايته واهتمامه لينال من الباب العثماني كل ما يمكن من الأمور العائدة بالنفع للدين الكاثوليكي في بلاد الموارنة ليجعلكم تشعرعون بمفاعيل حمايتنا واجلالنا لكم خاصة. وأسأله تعالى أيها السيد الأجلّ أن يحفظكم بحراسته المقدسة. كُتب في مارلي في ١٠ آب سنة ١٧٠١م التوقيع لويس. وفي أسفل الصحيفة كولير».

الفصل الثالث

أساقفة الموارنة في القرن السابع عشر

عد ٦٤

الأساقفة الذين رقاهم البطريركان يوسف الرزي ويوحنا مخلوف

قال الدويهي إنّ البطريرك يوسف الرزي رقى ابن أخيه سركيس الرزي إلى أسقفية دمشق سنة ١٦٠٠م وكان حبيباً بدير قزحيا. وكان قد درس العلوم في

روما وأقام بعد تسقفه بالحبسة المذكورة أيضاً. هذا ما جاء في نسخة تاريخ الدويهي التي بيدنا، وفي النسخة التي أخذ عنها رشيد الشرتوني في طبعه تاريخ الموارد. لكن الدويهي نفسه قال في الفصل ١٨ من رد التهم أنّ البطريك يوسف الرزي أرسل أخاه الأسقف سركيس سنة ١٦٠٧م سفيراً إلى البابا بولس الخامس ومعه القس الياس ابن الحاج يوحنا والقس جرجس بن مارون من اهدن، فلا يظن الأسقف سركيس هذا أخا البطريك هو غير سركيس ابن أخيه بل هما واحد. وفي رواية الدويهي في تاريخه خطأ من النساخ لأنّ البابا بولس الخامس ذكره في رسالته إلى أساقفة الموارد وشعبهم في ٢٨ من تشرين الثاني سنة ١٦٠٨م داعياً إياه أخا البطريك الذي كان قد توفي، ويعزيهم لفقده. وأمر البابا حينئذ أن يبقى الأسقف سركيس في روما للعناية بطبع الكتب وحاجات الطائفة. واستمر بروما إلى سنة ١٦٣٨م التي توفي بها. والذي علمناه مما باشره بروما في هذه المدة هو طبع كتاب الشحيم بعد أن عهد البابا بولس الخامس بفحصه إلى الكردينال بطرس الدبرندينوس محامي الموارد وقتئذ. والكردينال روبرتوس بلرمينوس الشهير والكردينال أوكتافيوس بندينوس والأب بطرس المطوشي الماروني اليسوعي. ولما توفي الكردينال الأولان في أثناء هذا الفحص تعيّن بدلها الكردينال روبرتوس أو بلدينوس والكردينال اسكندر أوسينوس. وبعد أن أجاز هؤلاء طبعه سنة ١٦٢١م شرع الأسقف سركيس بطبعه تحت مناظرته فنجز طبعه في أيام البابا أوربانوس سنة ١٦٢٥م كما هو بيّن من رسالة الكردينال أوكتافيوس بندينوس محامي الموارد إلى البطريك يوحنا مخلوف المعلقة على طبعة الشحيم المذكورة. ثم إنه صحح بمدة اقامته بروما نسخة الأسفار المقدّسة العربية معارضاً لها بنسخ كثيرة أخذت من المشرق، وترجمها إلى اللاتينية برفقة غيره من العلماء كما يتبيّن من المقدّمة التي علقها عليها. وطُبعت نسخته هذه سنة ١٦٧١م بعد وفاته مع النسخة اللاتينية العامة ومنها نسخ كثيرة في المشرق، بل كانت هي النسخة التي تتداولها أيدي العامة قبل طبع النسخة اليسوعية ببيروت. وذكر بعضهم أنّ المطران سركيس كان له يد أيضاً مع جبرائيل الصهيووني والخوري يوحنا الحصريوني في تهذيب الترجمتين السريانية والعربية اللتين طُبعتا في البوليكوتا الباريسية، ولا يبعد ذلك عن الصحة لأنّ البوليكوتا شرع في طبعها سنة ١٦٢٨م وهو توفي سنة ١٦٣٨م.

وذكر لكويان في جملة الأساقفة الموارد وقال: أثبت توريانوس أنّ رودريكوس

اليسوعي الذي بعثه البابا بيوس الرابع إلى الموارنة عارض القوانين العربية التي ترجمها إلى اللاتينية مع سركيس هذا أسقف دمشق الماروني . وأسهب الكلام على علمه وفقاهته . وقال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٨ « وفيها في شهر حزيران توفي بروما الحبيس سركيس بن الرزي مطران دمشق وله من العمر ست وستون سنة ، وكان قد اقتبس العلوم بروما وعاش ناسكاً بمحبسة قزحيا مدة وعني في روما بطبع الشحيم ووقف متروكاته على مساعدة الطائفة وكان محبوباً من رؤساء الكنيسة الرومانية .

٢ - المطران بطرس العاقوري ذكره الدويهي وعرفه بأنه ابن الخوري سابا العاقوري من بيت حليب ، وإنّ البطريرك يوسف الرزي رقاہ إلى أسقفية العاقورة في ٢٠ من تشرين الثاني بعد وفاة موسى أسقفها . وكان المطران بطرس هذا متزوجاً قبل ارتقاہ إلى الدرجات المقدسة ، ومن أولاده البطريرك يوسف العاقوري وتوفي بالعبادية (من المتن) ونُقلت جثته إلى بيروت ودُفن في كنيسة مار جرجس فيها . وكان شديد الغيرة كثير العبادة وصنّف مدائح كثيرة .

٣ - المطران يوحنا الحصري ابن الشدياق حاتم الحوشي رقاہ البطريرك يوسف الرزي إلى الأسقفية سنة ١٦٠٣م وجعله معاوناً له في تدبير شؤون دير قنوين . وكان قد درس العلوم بروما ودخل رهبانية القديس عبد الأحد وترجم جزءاً من كتب القديس توما الأكويني إلى العربية . ثم أرسله البطريرك المذكور سفيراً إلى الحبر الروماني ، وعاد من روما إلى لبنان سنة ١٦٠٦م وأصبحه البابا بولس الخامس بجواب أثني فيهِ على الموارنة ، وأرسل للبطريرك حلاً كهنوتية وغيرها من الهدايا ، وحينئذٍ أمر البطريرك باتباع الحساب الذي أدخله البابا غريغوريوس الثالث وعيد الموارنة في طرابلس وجبة بشري وجبيل والبترون عيد الرسل مع الافرنج قبل طوائف المشرق بعشرة أيام . ثم تطرّق استعمال هذا الحساب إلى دمشق وحلب وسائر المدن والقرى إلا جزيرة قبرص ، وتركوا التاريخ بسني اسكندر وأخذوا يؤرخون بسني الميلاد . ولما حضّ هذا الأسقف على اتباع هذا الحساب في حلب ناصبه رؤساء الطوائف الشرقية ودفعوا للحكومة مبلغاً من المال لاهلاكه ، فاحتج بالحكمة مثبتاً صحة هذا الحساب وأفحم معانديه وتوفي بروما سنة ١٦٣٢م ودُفن في دير القديس بطرس حيث صلب . وهو غير الأسقف يوحنا ابن قورياقوس الحصري المعروف من بيت حندوق الآتي ذكره .

٤ - ومن رقاھم البطريك يوسف الرزي إلى الأسقفية الأسقف يوحنا مخلوف الذي صير بعداً بطريكاً، والأسقف جرجس بن عميره الذي صير بطريكاً أيضاً، ورقى أيضاً أساقفة آخرين في تاريخ القرن السادس عشر.

وأما الأساقفة الذين رقاھم البطريك يوحنا مخلوف فنعرف منهم يوحنا الشدراوي وقد ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٠٩م قائلاً إنّ هذا البطريك رقى فيها إلى الأسقفية الخوري يوحنا الشدراوي. وقد ذكره المطران اسحق الشدراوي في مقدمة غرامطيقه، وقال إنه عم أبيه وإنه كتب إليه رسائل عديدة في هذا التأليف فأفادته، وكانت له بمنزلة مشكاة فأنارته. وفي سنة ١٦١٠م رقى الأسقف يوسف بن بشاره من بيت السوق وهو ابن أخي الأسقف اقليموس الأهدني المار ذكره. وفي سنة ١٦١٤م رقى جرجس بن مارون الأهدني إلى أسقفية الأفقسية بقرص وهو الذي كان قد أرسله إلى روما يطلب التثبيت وأحضره له. وروى الدويهي أيضاً أنه في ٢٢ من تشرين الأول سنة ١٦١٩م توفي الأسقف يوسف بن يوحنا ابن القس تادروس السمراني وله في الرهبانية بدير قزحيا خمس وخمسون سنة. وذكر في تاريخ سنة ١٦٢٢م توفي الأسقف يونان بن جلوان السمراني (نسبة إلى سمار جبيل) الذي استحبس بدير قزحيا، ونظن أنّ هذين هما الحبيس يونان وأخوه القس يوسف اللذان روى الدويهي في تاريخ سنة ١٥٧٦م أنّ المطران داود رئيس دير قزحيا رقاھما إلى الأسقفية خلافاً لقوانين الكنيسة.

فمنعھما البطريك عن مباشرة حقوق الأسقفية فخضعاً، فرضي عنھما وردھما إلى دير قزحيا فأكملا حياتھما مستنسين.

الأسقف يوحنا بن قورياقوس الحصري من بيت صندوق فهذا درس العلوم في مدرسة الموارنة بروما ورقى إلى درجة الكهنوت. وفي ١٦٢٥م أرسله البطريك يوحنا مخلوف لتهنئة البابا أوربانوس الثامن بارتقائه إلى الحرية العظمى فرحب البابا به وأرسل إلى البطريك رسالة نفيسة يثني بها على الموارنة لثباتهم في الايمان الكاثوليكي، وأهدى إليه تاجاً ثميناً وكتباً وحللاً بيعية. ويوحنا هذا عاون القس جبرائيل الصهيوني الأهدني على ضبط الترجمتين السريانية والعربية الميثبتين في البوليكلوتا (الأسفار المقدسة بعدة لغات) الباريسية التي عني بطبعها ميخائيل لي جاي. ويظهر أنه بقي في أوروبا لأنّ البوليكلوتا المذكورة شرع في طبعها سنة

١٦٢٨م. وقد ذكر كثيرون معاونته عليها ومنهم والتن في المقدمات على البوليكوتا اللوندية، وبعد عودته إلى لبنان رقاہ البطريک یوحنا مخلوف إلى الأسقفية مكافأة لأتباعه. وأقام بدير مار جرجس بقرقاشا لكنه لم يستمر في الأسقفية إلا أربعة أشهر وتوفي في أحد الشعانين.

الأسقف یوحنا من بیت قزوح رقاہ البطريک یوحنا في ٢٠ تشرين سنة ١٦٢٥م على دير القديس الیشاع ببشري وعلى دير الأحمر. ذكره الدويهي في تاريخ هذه السنة ونظّمه من بشري.

الأسقف سركيس السمراني ذكر الدويهي وفاته في تموز سنة ١٦٢٦م وقال إنه كان قد استحبس بدير قزحيا وكان ورعاً راغباً في العلوم ونسخ الكتب فرقى البطريک یوحنا مخلوف مكانه ابن أخيه الأسقف بولس والأسقف يوسف العاقوري من بیت حليب على صيدا وهو الذي صير بعداً بطريکاً، والأسقف يوسف البلوزاوي على بيروت. وروی في تاريخ سنة ١٦٣٧م أنّ الأسقف بولس المذكور إذ كان ساکناً في دير قزحيا شكاه القس حنا ابن البري من غوسطا لاختلافهما على الماء إلى الأمير عساف بن يوسف باشا سيفاً فدعا الأمير الأسقف إلى جيل وأجرى عليه أنواعاً من العذاب حتى فقئت عينه ولم يتركه إلى أن دفع أربعة آلاف قرش.

الأسقف اسحق الشدراوي، ذكر السمعاني ترجمته في المجلد الأول من المكتبة الشرقية صفحة ٥٥٢ فقال ما ملخصه؛ دخل مدرسة الموارنة بروما سنة ١٦٠٣ فأقام فيها إلى سنة ١٦١٨م وبرع من خلال هذه المدة في اقتباس اللغات اللاتينية والسريانية والعربية والعلوم السامية، فرقاہ جرجس عميرة مطران اهدن وقتل إلى الدرجات الصغار سنة ١٦١٩م. وفي السنة التالية رقاہ إلى درجة الكهنوت وجعله رئيس كهنة ببيروت. وكان قد تزوج قبل ارتقائه إلى هذه الدرجة على عادة الشرقيين ثم ماتت امرأته. وفي ٢٥ آذار سنة ١٦٢٩م رقاہ البطريک یوحنا مخلوف إلى الأسقفية على طرابلس كما اخبر عن نفسه في فاتحة المقالة اللاهوتية المثبتة في كتاب بمكتبة نشر الايمان. وله كتاب سرياني في نحو اللغة السريانية (غرامطيق) طبعه بروما في مدرسة الموارنة سنة ١٦٣٦م، وقصيدتان على أحرف الهجاء الواحدة في مدح البابا اوربانوس الثامن، والثانية في مدح یوحنا مخلوف بطريک الموارنة مثبتتان في كتاب بمكتبة مدرسة نشر الايمان. وله بالعربية مباحث لاهوتية بطريقة

السؤال والجواب على عمل الرب في ستة أيام الخلق وفي الفردوس الأرضي والخطيئة الأصلية والموت ويمبوس الآباء والفردوس وجهنم والمطهر وقيامه الموتى والدينونة الأخيرة، وهي في الكتاب المذكور في مكتبة مدرسة نشر الايمان. وله أيضاً ترجمة رسائل اليا بطريك الكلدان إلى الخبر الروماني، وترجمة أعمال المجمع الذي عقده بآمد سنة ١٦١٧م من السريانية إلى اللاتينية كما مرّ. وقد أرسله وهو أسقف البطريرك يوسف العاقوري إلى البابا اينوشنسيوس العاشر ليستمد له منه التثبيت فتعلّز سفره، فأرسل البطريرك الخوري عبد المسيح ابن الطويل الحداثي عوضه ومرقس راهب دير مار شليطا مقبس، ثم لحقهما المطران اسحق وكانا يطبعان الشحيمة فأصلح معهما ما كان باقياً من طبعهما كما شرح الخوري عبد المسيح المذكور في المقدمة على الشحيمة المذكورة. وروى دي لاروك أنّ الكردينال فريدريك بوروماوس استدعاه إلى مديولان لينظّم مكتبته الشهيرة في هذه المدينة. وتوفي المطران اسحق سنة ١٦٦٣م في مدينة جبيل وُدفن في كنيسة مار يعقوب التي في سهل جبيل. ومن التقليد أنّ المطران المذكور هو جد آل طريه من طرابلس وجبة بشري. وكان أحدهم ترجماناً لقنصل فرنسة منذ أيام البطريرك الدويهي. وكان منهم بعده تراجمة كثيرون حتى أيامنا هذه. وذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٨م وفاة المطران عبدالله الهدناني بدير قنوين بعد أن كان له في الرئاسة ست وثلاثون سنة، وكان حازماً واشترى عقاراً كثيراً لدير قنوين ولم يكن ذكر ترقيته إلى الأسقفية.

عد ٦٥

أساقفة الموارنة إلى أيام الدويهي

في سنة ١٦٣٨م رقى البطريرك جرجس عميرة المطران الياس بن يوحنا من عائلة الصراصرة من اهدن ذكره الدويهي في تاريخ السنة المذكورة، وقال في تاريخ سنة ١٦٥١م إنّه فتح سوق القلعة الشرقي بقرية زغرتا، وأضافه إلى الكنيسة وبيّضه وكرسه لكثرة المترددين إلى الكنيسة. وروى في تاريخ سنة ١٦٥٩م أنه توفي في هذه السنة وأنه كان ورعاً غيوراً وترى بدير قزوحيا، وسكن في القدس نحو عشرين سنة، واشترى فيها دار الازي بأمر البطريرك، ودخل إلى روما صحبة الأسقف جرجس بن مارون وخدم رئاسة الكهنوت عشرين سنة بمزيد التقوى.

الأسقف يوسف بن عميمة الكرمتدي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٤م فقال إنّ البطريك يوسف العاقوري بعد ارتقائه إلى سدة البطريكية في هذه السنة رقى يوسف الكرمتدي إلى أسقفية دمشق، وكان معاوناً للبطريك. وذكر في تاريخ سنة ١٦٥٣م أنّ هذا الأسقف توفي فيها لرحمة الله.

الأسقف ميخائيل بن سعادة الحصري ذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٤م أنّ البطريك يوسف العاقوري رقاها إلى أسقفية طرابلس مع الأسقف يوسف الكرمتدي، وكانت ترقيتهما في دير حراش ليكونا معاونين له. وذكر الدويهي وفاته في تاريخ سنة ١٦٦٩م حيث قال في ١٣ من شباط كانت وفاة الأسقف ميخائيل بن سعادة الحصري في مدينة طرابلس، وبموجب وصيته دُفن في مغارة القديسة مارينا بقنوبين. وكان قد اقتبس العلوم في مدرسة الموارنة بروما وخدم الأسقفية ست وعشرين سنة بكل طهارة.

الأسقف جرجس البشعلاني ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٨م فقال في ٢٤ من شباط من السنة المذكورة رقى البطريك يوسف العاقوري القس جرجس بن حبقوق البشعلاني إلى الأسقفية على العاقورة وأخذ السكنى بدير قنوبين.

الأسقف يوسف البلوزاوي ذكر الدويهي وفاته في تاريخ سنة ١٦٥٠م قائلاً فيها توفي الأسقف يوسف بن ناتان البلوزاوي ولم يكن قد ذكر سنة ترقيته ولا من رقاها.

الأسقف يعقوب الرامي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٣م فقال فيها توفي الأسقف يوسف الكرمتدي (المر ذكره)، وفي يوم عيد انتقال العذراء رقى البطريك يوحنا الصفراوي عوضه الأسقف يعقوب الرامي على دمشق.

الأسقف يوسف الحصاراتي ذكر الدويهي ترقية البطريك يوحنا الصفراوي له إلى الأسقفية في يوم عيد انتقال العذراء سنة ١٦٥٣م مع الأسقف يعقوب الرامي الأنف الذكر على جبيل. وكان رئيساً لدير حوقا، واستمر نائباً على البطريك المذكور في رئاسة هذا الدير. قال لكويان في أساقفة الموارنة، وقال دي لاروك في كتاب رحلته صفحة ٢٨٤ إنّ البطريك اسطفانوس الدويهي كتب منشوراً في ٥ تشرين الأول سنة ١٦٩٩م (وهو المنشور الذي ذكرناه توصية بيوسف أخي الأمير بولس) ووقع عليه يوسف الحصاراتي مطران جبيل بدير حوقا، وربما كان يوسف

هذا غير يوسف الذي نكتب ترجمته لأنّ للدويهي رسالة أخرى في ١٢ حزيران سنة ١٦٧٣م، وفيها توقيع يوسف الحصاراتي. فالفرق الذي هو ست وعشرون سنة يجعلنا نظنّ أنّ يوسف الذي وقّع على الرسالة سنة ١٦٩٩م هو غير يوسف الذي وقّع على الرسالة سنة ١٦٧٣م.

الأسقف جرجس من بيت شوك من قرية عرجس، ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٥م وقال البطريك يوحنا الصفراوي رقاہ إلى الأسقفية وجعله معاوناً له في تدبير مهام الكرسي البطريركي.

الأسقف ابراهيم السمراني ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٥م أيضاً وقال إنّ البطريك أقامه بدير قزحيا، ثم ذكر وفاته وهو في هذا الدير في تاريخ سنة ١٦٧٧م وترقية ابنه القس يوحنا أسقفاً على البترون، وسلّم إليه تدبير دير قزحيا، وسوف نذكره في محله.

الأسقف جرجس ابن الحاج من سبل وهو الذي انتخب من بعد بطريكاً. ذكر الدويهي ارتقاءه على الأسقفية في تاريخ سنة ١٦٥٦م وجعله معاوناً للبطريك في قنوين.

الأسقف سركيس الجمري من اهدن، ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٨م فقال فيها رجع القس سركيس الجمري من فرنسة إلى بلاده وكان له في الكهنوت ثلاث وعشرون سنة، فطلب الشيخ أبو نوفل الخازن ترقيته إلى أسقفية دمشق، ثم ذكر وفاته في تاريخ سنة ١٦٦٨م وقال فيها كانت وفاة الأسقف سركيس بن الجمري بمدينة مرسيليا في أواخر أيار.

الأسقف جبرائيل البلوزاوي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٦٣م قائلاً فيها كانت ترقية المطران جبرائيل بن يوحنا من بلوزا على مدينة حلب خلفاً للأسقف يوسف البلوزاوي. وقد ذكرنا ارتقاءه إلى الأسقفية سنة ١٦٥٠م. وذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٣م أنّ المطران جبرائيل هذا أنشأ ديراً جديداً بأرض طاميش في قاطع بيت شباب على اسم العذراء وهو دير طاميش المشهور.

المطران اسطفانوس الدويهي هو العلامة الدويهي ذكر ترقيه إلى الأسقفية في تاريخ سنة ١٦٦٨م فقال توجهنا لزيارة القدس الشريف، وبعد أن تباركنا بتلك المواضع المقدسة ومعنا والدتنا وأخونا الحاج موسى رجعنا بالسلامة لتقبيل أيدي

السيد البطريك جرجس (السبعلي) بدير قنوين، فرفنا إلى درجة المطرانية على الأفسسية بقبرص في ٨ تموز وأمرنا أن نخرج لزيارة الرعية في ايلة طرابلس وجزيرة قبرص، ولئلا نكون بطلين أشغلنا أنفسنا في سياسة الشعب وفي جمع هذه الأخبار لافادة نفوسنا ولنطلع على معرفة أحوال بلاد نحن فيها ساكنون.

الأسقف يوحنا التولاوي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٦٩م فقال في ٢٣ شباط كانت وفاة الأسقف ميخائيل بن سعادة الحصري (الذي مذكره) ورقي الأسقف يوحنا التولاوي على صيدا، وذكر وفاته في تاريخ سنة ١٦٨٠م قائلاً فيها في ٢١ من نيسان توفي الأسقف يوحنا التولاوي ودفن في قرية بعدات.

عد ٦٦

أساقفة الموارنة الذين رقاهم البطريك الدويهي

الأسقف لوقا القبرصي القرباصي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧١م قائلاً إنه رقا إلى الأسقفية على الأفسسية بقبرص، وأخذ السكنى في الجزيرة. وذكر في سجله المحفوظ بخزينة أوراق الكرسي البطريكية أنه رقا في ١ كانون الأول سنة ١٦٧٢م.

الأسقف بطرس بن مخلوف من غوسطا ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٤م فقال إنه رقا في ٥ من تموز من السنة المذكورة على كرسي الأفسسية بقبرص (يظهر أن الأسقف لوقا المار ذكره توفي حينئذ) بحضرة سفير فرنسا الذي توجه تلك السنة إلى القدس ثم سار إلى لبنان وزار البطريك فرقي الأسقف المذكور بحضرته وذكره في سجله المذكور أيضاً.

الأسقف يوسف الحصري ذكره في تاريخ سنة ١٦٧٥م قائلاً وفيها قدمنا كاتبنا القس يوسف الحصري إلى رئاسة الكهنوت على طرابلس، وكان ذلك في دير مار شليطا مقبس، وكتب في سجله أنه رقا في ١٤ تموز من السنة المذكورة وعرفه بأنه الخوري يوسف شمعون الايودياكن الحصري وتوفي في ١١ كانون سنة ١٦٩٥م، وقد حضر إلى المتين سنة ١٦٨٥م، ورقي في ٢٦ تشرين اول إلى درجتي المرتل والقاري الياس بن أبي عون وجرجس بن أبي سليمان ويوسف بن

أبي رزق وهاشم بن أبي هاشم وموسى بن أبي ناكوزة كما دُون بخطه على كتاب الشحيم في كنيسة مار جرجس بقرية المتين المذكورة .

الأسقف يوحنا بن جلوان ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٧م قائلاً فيها في ١٨ أيار انتقل إلى رحمة ربه الأسقف ابراهيم بدير قزحيا وقد مرّ ذكره . وفي نهار تاسعه ورقينا ولده القس يوحنا أسقفاً على البترون وتسلم تدبير الدير المذكور وتوفي سنة ١٦٩١م .

الأسقف بطرس الاهدني ذكره الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٨٠ قائلاً في ٢١ نيسان توفي الأسقف يوحنا التولاوي ودُفن ببعدات كما مرّ . ورقينا مكانه على صيدا القس بطرس ابن القس ابراهيم الاهدني كاتبنا وقلدناه مصالح الكرسي . وذكر في تاريخ سنة ١٦٨٣م أنّه توفي في ٢٦ من أيار منها ، وهو زائر في الشمال فنُقلت جثته من البهلوية إلى ضهر صفرا وله من العمر اثنتان وخمسون سنة .

الأسقف يوسف بن مبارك ذكره الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٨٣م وقال إنّ كان من رهبان دير مار سركيس ريفون ، ولما توفي الأسقف بطرس الاهدني رقاها بدله على صيدا في ٦ حزيران من السنة المذكورة . وهذا الأسقف توفي في ٨ ايلول سنة ١٧١٣ في ريفون بعد أن دبر البطريركية ثلاث سنين عند توقيف البطريرك يعقوب عواد كما سوف يجيء .

الأسقف جرجس الاهدني لم يذكره الدويهي في نسخة تاريخه التي بيدنا ، وجاء ذكره في سجله ويظهر منه أنه رقاها في ٢٧ آب سنة ١٦٩٠م على اهدن وأنه ابن سركيس عبيد الاهدني ويسمى بنيامين والكاروز وأنه دخل الرهنة اليسوعية وتوفي بروما . وسيأتي ذكره .

الأسقف يوسف الشامي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٩١م وقال إنه رقاها في ٢٧ كانون الثاني إلى أسقفية بيروت وتوفي سنة ١٧١٣م .

الأسقف يوحنا حبقوق من بشعلي ذكره الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٩١م قائلاً: وفيها كانت وفاة المطران يوحنا بن جلوان السمراني رئيس دير قزحيا ورقينا عوضه الخوري حنا بن حبقوق من قرية بشعله في ٨ من ايلول على دير قزحيا ، وهذا الأسقف سلم الدير المذكور إلى الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٠٨م وتوفي سنة ١٧١٨م .

الأسقف ميخائيل الغزيري ذكر الدويهي وفاته في ٦ من تشرين الثاني سنة ١٦٩٧م، وقال أنه كان مطران دمشق، ودُفن بدير طاميش. ولم يذكر ترقيته إلى الأسقفية في تاريخه ولا في سجله فكأنه رقاہ أحد أسلافه.

الأسقف جبرائيل الدويهي رقاہ الدويهي على صرند في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٦٩٣م وترى اسمه في جملة أسماء الاساقفة الذين كانوا في الجمع اللبناني، ولم يشهده بنفسه ولكن ناب عنه القس بطرس عطايا وتوفي سنة ١٧٣٩م.

الأسقف يوحنا محاسب الغوسطاوي رقاہ الدويهي على عرقا ودير مار شليطا في ٧ ايلول سنة ١٦٩٨ وتوفي بالدير المذكور سنة ١٧١٢م.

الأسقف يعقوب عواد الحصري رقاہ الدويهي على طرابلس في ٦ تموز سنة ١٦٩٨م وهو الذي صير بطريركاً بعده وسيأتي ذكره.

الأسقف خير الله اسطفان الغسطاوي رقاہ الدويهي في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠٣م أسقفاً على العاقورة ودُعي جرجس، وتوفي في عين ورقة سنة ١٧٣٣م وهؤلاء الاساقفة الأربعة لا ذكر لهم في نسخة تاريخ الدويهي التي بيدنا فأسمائهم مأخوذة عن سجله. انتهى.

الفصل الرابع

المشاهير من علماء الموارنة وفضلائهم في القرن السابع عشر

عد ٦٧

بطرس المطوشي القبرصي ونصرالله شلق العاقوري

أما بطرس المطوشي نسبةً إلى قرية مطوش في قبرص فهو أحد تلاميذ مدرسة الموارنة بروما، أرسله إليها البطريرك سركيس الرزي سنة ١٥٨٤م مع تسعة تلاميذ

آخرين منهم جرجس عميرة الذي صار بعداً بطريركاً، وسركيس الرزي أخى البطريك الذي صار أسقفاً على دمشق، وموسى العنيسي من العاقورة الذي صار مطراناً على قبرص. وبعد أن أنجز بطرس المذكور بمدرسة روما علومه انضوى إلى جمعية الآباء اليسوعيين فكان من فضلائهم وعلمائهم، وقد أرسله البابا بولس الخامس إلى ايليا بطريك الكلدان مع سفيره آدم رئيس شمامسة كرسية، وصحبته الأب مارينوس اليسوعي أيضاً ليقبل الكلدان بحضورهم رجوعهم إلى الايمان الكاثوليكي، وقد انفذ البابا المذكور معهما رسالة إلى بطريركنا يوحنا مخلوف مؤرخة في ٢٥ آب سنة ١٦١٤م بها يرغب إليه أن يرشد بطرس المطوشي ويوحنا مارينوس إلى ما يتصرفان به مع بطريك الكلدان في أمر رجوعهم فذهبوا إلى آمد، وجمع البطريك أساقفته بحضرتهم واجحدوا ضلال نسطور كما تقدم في الكلام على هذا البطريك. وفي جواب البطريك إلى الخبر الروماني بولس الخامس أطيب الثناء على الموارنة الذين تعبوا معه في هذه المهمة وترجموا رسائله وأعمال مجملهم من السريانية إلى اللاتينية.

وقد ذكر دي لاروك بطرس المطوشي وقال في حقه إنه من جمعية اليسوعيين ولاهوتي مبرز وله غرامطيق سرياني لاتيني ومقالة في اللاهوت الأدبي هي في مكتبة مدرسة الموارنة بروما. وكان الأب المطوشي في جملة من عينهم الكرسي الرسولي لفحص كتاب الفرض الكبير (الشحيم) مع الكردينال بلرمينوس وغيره من العلماء لطبع هذا الكتاب كما مر.

وأما نصر الله بن شلق فأصله من العاقورة وقد درس العلوم بمدرسة الموارنة بروما فنبغ فيها ورقي إلى درجة الكهنوت، وأقام بأوروبا إلى حين، وله مؤلف في الكنيسة وترجمة سفر أيوب من السريانية إلى اللاتينية ومقالات أخرى. وقد أحرز ثروة وافرة فأوصى عند وفاته أن تُنشأ بها مدرسة لأبناء طائفتنا في مدينة رافانا من أعمال ايطاليا. وأقام القس جبرائيل بن عواد الحصري منفذاً لوصيته فأنشأ المدرسة كما عهد إليه على أنها لم تلبث طويلاً. فكان تأسيسها سنة ١٦٣٩م ثم أقفلت سنة ١٦٦٤م ونُقل تلاميذها إلى مدرسة الموارنة بروما. وكانت وفاة الخوري نصر الله سنة ١٦٣٥م.

القس جبرائيل الصهيوني الاهدني

وُلد باهدن نحو سنة ١٥٧٧م من بيت الصهيوني أحد فروع أسرة كرم الشهيرة ، وتلقّى العلوم بمدرسة المواردنة بروما ، ونبغ وحاز قصبات السبق ونال مرتبة الملفان في اللاهوت ، ورقى إلى درجة القسوس في روما ، وأقيم أستاذاً للغتين . العربية والسريانية في مدرسة الساباينسا (الحكمة) الشهيرة بروما ، وحاز من الشهرة ما جعل لويس الثالث عشر ملك فرنسا يدعوه سنة ١٦١٤م ليكون معلماً في المدرسة الملكية بباريس ، ثم شرفه بلقب ترجمان ملكي . ولما هم الأب ميخائيل لي جاي أن ينشر البوليكوتا (الأسفار المقدسة بعدة لغات) الباريسية وكل إليه تعريب النسخة العربية وضبطها وتنقيح النسخة السريانية ومعارضتها بنسخ عديدة ، ثم ترجمة العربية والسريانية إلى اللاتينية ، وعهد معه هذه المهمة إلى ابراهيم الحاقلي الماروني الشهير والخوري يوحنا الحصري الذي صبر فيما بعد أسقفاً ، وقد قدمنا ذكره وأنبأنا فالريانوس دي فلا فيني معلم العبرانية في مدرسة باريس في رسائل نشرها لانتقاد طبعة لي جاي أنّ العلامة الصهيوني كان قد أعدّ مقالة مسهبة في الترجمة العربية ، ولا نعلم ما الذي منعه عن اشهارها ، وقد فرغ لي جاي من طبعته هذه سنة ١٦٤٥م .

على أنّ والتن العلامة الانكليزي الذي عني بطبع البوليكوتا في لوندرة سنة ١٦٥٧م قد انتفع كثيراً بأتعاب الصهيوني ورفاقه المواردنة المذكورين . وهذا ما قاله والتن في مقدماته على طبعته المذكورة في حق الصهيوني «لأنّ هذا الرجل العظيم بذل تعباً شاقاً وكثير الفائدة لكل من يرغبون في أن يتصلعوا باللغات الشرقية والأسفار المقدسة . ومن لم يقرّ له بالفضل كان غامطاً الاحسان ، فنحن نعترف بفضلته ونرى أنه يلزم الجميع أن يؤدوه شكراً لا ينقضي» . وله أيضاً ترجمة كتاب الزبور من العربية إلى اللاتينية طبعه بروما سنة ١٦١٤م . وكتاب في نحو اللغة العربية طبع بباريس سنة ١٦١٦م . وترجمة جغرافية أي عبد الله محمد الادريسي من العربية إلى اللاتينية طُبعت بباريس سنة ١٦١٩م ومقالة في بعض مدن الشرق ودين أهلها وعاداتهم وخصالهم عاونه على بعض هذه التأليف الخوري يوحنا الحصري المار ذكره ، وطبعه بباريس سنة ١٦٢٥م بالعربية واللاتينية . وفي المكتبة

الماديشية نسخة من هذا الكتاب مخطوطة بيد الصهيوني نفسه سنة ١٦١٢م كما يظهر من الحاشية المعلقة على آخرها، قد ذكرها المطران اسطفانوس عواد السمعاني في فهرست الكتب الشرقية في هذه المكتبة. وروى أكثر ما رويناه من ترجمة الصهيوني هنا وقال إنه توفي بباريس سنة ١٦٤٨م وكذا ذكر وفاته دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان. انتهى.

عد ٦٩

العلامة ابراهيم الحاقلي

وُلد هذا العلامة ونشأ بقرية حاقل من عمل جبيل بلبنان وتلقّى العلوم بمدرسة المواردنة بروما فنبغ وفاق أقرانه وعلم العربية والسريانية أولاً بروما، وقد عهد إليه الأب لي جاي في طبع البوليكولوتا الباريسية بما عهد به إلى الصهيوني والحصري المار ذكرهما. ومن مؤلفاته ترجمة كتاب ابن الراهب المصري القبطي في التاريخ الشرقي والحاقه بترجمته مقالات مسهبة في تاريخ العرب وأنسابهم، وقد طبعه بباريس سنة ١٦٥١ ومنها ترجمته قصيدة عبد يشوع الصوباوي المشهورة في المؤلفين البيعين إلى اللاتينية وشرحه لها وحواشيه عليها، طبع بروما سنة ١٦٥٣م وقد شرحها العلامة السمعاني بعده في المجلد الثالث من المكتبة الشرقية، واستدرك على الحاقلي قوله في محال كثيرة. وقد شرح السمعاني أيضاً كتاب ابن الراهب المذكور وانتقد على الحاقلي في عدة مواضع. وللحاقلي أيضاً كتاب في نحو اللغة السريانية طبع بروما سنة ١٦٢٨م وترجمة الكتاب الخامس والسادس والسابع من تأليف ابولونيوس في الهندسة من العربية إلى اللاتينية اقترح عليه هذه الترجمة فردينوس الثاني دوق توسكانا. وله أيضاً مختصر في الفلسفة الشرقية طبع بباريس سنة ١٦٤١م وترجمة قوانين القديس انطونيوس الكبير ومواعظه وأجوبته من العربية إلى اللاتينية وطبع هذه الترجمة بباريس سنة ١٦٤٦م. وله ترجمة ديوان الحيوان للسيوطي إلى اللاتينية.

وللحاقلي أيضاً كتاب الانتصار لافتيشوس أي سعيد بن بطريق، ذلك أنّ السلداني ترجم كتاب سعيد هذا إلى اللاتينية، وادّعى في مقدمات ترجمته أنه

أثبت في كلامه على المراتب البيعية أنّ درجة القسوس والأساقفة واحدة ، وهذا من مزاعم لوتار وكلوين والسلداني من مشاييعيهما ، فردّ الحاقلي زعم السلداني منتصراً لسعيد البطريك الاسكندري بكتاب انطوى على مئتين واثنين وأربعين صفحة مفنداً أدلة السلداني ومبيناً بشهادة الكتاب والتقليد الثابت في الكنيسة منذ نشأتها أنّ درجة الأساقفة غير درجة القسوس ، وهي تفوقها مقاماً وسلطة بموجب الوضع الألهي ، وإنّ كلام سعيد لا يؤخذ منه ما توهّمه السلداني . وألحق بهذا الكتاب جزءاً آخر اشتمل على نحو من خمس مئة صفحة تكلم فيه على أصل كلمة بابا ورياسته مضاداً فيه السلداني المذكور . ومّا قاله في اسم البابا نقلاً عن مؤلفين نصارى ومسلمين أنّ هذا الاسم اصطلاح عليه أولاً بطاركة الاسكندرية واستشهد في جملة شهوده أبا بكر العباسي : « في القسم الثاني من مقالته ضد النصارى » حيث قال : « فإنّ القسوس والعامّة لما سمعوا أساقفتهم يسمون البطريك أباً قالوا في نفوسهم : إذا كنّا نحن نسمي الأسقف أباً والأسقف يسمي البطريك أباً فيجب علينا أن نسمي البطريك بابا أي الأب أي الجد إذ كان أباً لأبينا . ثم لما سمعوا الأساقفة والبطاركة يسمون صاحب رومية أباً قالوا في أنفسهم إذا كنّا نحن نسمي البطريك أباً والبطريك يسمي صاحب رومية أباً فيجب علينا نحن أن نسمي صاحب رومية بابا ، فعرف صاحب رومية بهذا الاسم دون غيره إلى الآن عند أهل النصرانية جميعاً » . والأظهر أنّ هذا الاسم أخذ عن السريانية **ܐܒܐ ܕܐܝܬܐ** أي أبو الأب وهو الجد على أنّ اختصاص الأبحار الرومانيين به لم يكن بأمر بل كان من باب التغلب والاستحسان . وللحاقلي في آخر هذا المؤلّف ردّ على هوتنجارس في كلامه في تاريخ العرب .

وللحاقلي أيضاً ترجمة قوانين المجمع النيقوي المعروفة بالقوانين العربية لأنها أخذت عن كتب عربية ، فالحاقلي عارض هذه القوانين على ست نسخ عربية منها ، وترجمها إلى اللاتينية وأشهرها مطبوعة . فمن هذه القوانين باليونانية واللاتينية عشرون قانوناً ، لكن الشرقيين يعزون إلى المجمع المذكور أربعة وثمانين قانوناً وتتداولها أيدي الشرقيين أي الملكية والموارنة والقبط واليعاقبة والأبحاش والنساطرة ، ومنها ثلاثة وسبعون قانوناً ترجمها ماروتا أسقف تكرنيت في أواخر القرن الرابع من اليونانية إلى السريانية كما روى عبد يشوع الصوباي في مختصر القوانين ، وأضاف إليها بعض المؤلفين العرب (لا نعلم من هم) أحد عشر قانوناً فصارت

أربعة وثمانين قانوناً. وقد دافع الحاقلي عن هذه القوانين في كتيّب أشهره وهو مثبت في مجموعة الجامع للاباي (مجلد ١١). وذكر مرهج بن نيرون الباني الماروني في كتابه افوليا (سلاح) الايمان وأثبتها الأب كونزالس اليسوعي في كتابه عصمة الأبحار الرومانيين، ولكن نبذها غيرهم من العلماء ولم يعتدوا نسبتها إلى المجمع النيقوي صحيحة.

وقد توفي الحاقلي بروما في ١٥ تموز سنة ١٦٦٤م، ونقلت كتبه إلى المكتبة الواتيكانية بعد وفاته وذكرها السمعاني في فهرست الكتب الذي علّقه على المجلد الأول من المكتبة الشرقية وعددها أربعة وستون كتاباً.

عد ٧٠

مرهج بن نيرون الباني

أما مرهج فولد ببان إحدى قرى جبة بشري ويسميه الغربيون فافستوس ترجمة كلمة مرهج. وروى دي لاروك أنّ خاله ابراهيم الحاقلي المار ذكره أخذه إلى روما وتلقى العلوم في مدرسة الموارد بها، وحاز قصبات السبق وأقامه الكرسي الرسولي استاذاً للغة السريانية في مدرسة السايانسا (الحكمة) الكلية في روما خلفاً لخاله ابراهيم الحاقلي. ثم صار قانونياً في كنيسة القديس اوسطاكوس هناك ولم يشغله ذلك عن الانصباب على التأليف والتصنيف وتنقيح كتب طائفته البيعية والعناية بطبعها. ومن تأليفه كتابه في أصل الموارد ودينهم واسمهم وهو مشهور واستشهدنا به مرات في خلال تاريخنا هذا. وقد طبع بروما سنة ١٦٧٩م وله كتاب آخر واسمه بافوليا (أي سلاح) الايمان الكاثوليكي، وقد استشهدنا به أيضاً مرات وقد طبع بروما سنة ١٦٩٤م جمع به من كتب السريان والكلدان القديمة البيئات الراهنة على صحة الايمان الكاثوليكي خلافاً للبروتستانت، وقد عني بتنقيح الأناجيل وسائر أسفار العهد الجديد، وطُبعت بمناظرته بالسريانية والعربية بأحرف كرشونية بروما سنة ١٧٠٣م، وأضاف إليها مقدمة كثيرة الفائدة دالة على فقاوته وطول باعه، وعاونه على تصحيح هذه الطبعة القس يوسف الباني الماروني مدرّس اللغتين السريانية والعربية في مدرسة نشر الايمان المقدس. وقد أخذت الطبعة السريانية عن نسخة كانت في مدرسة الموارد بروما مرسلّة من بطريركهم إلى البابا غريغوريوس

الثالث عشر (لم يذكر مرهج في مقدماته اسم البطريك مرسل هذه النسخة ، ويلزم أن يكون ميخائيل الرزي أو أخوه سركيس الرزي فهما كانا في أيام البابا المذكور) وهي الترجمة السريانية المعروفة بالبيسطة التي استعملتها طائفتنا من أقدم الأيام . وأما العربية فكان الأب ميخائيل المطوشي قد أتى بها من جزيرة قبرص ، وكانت أكثر تهذيباً وضبطاً من سائر النسخ التي عورضت بها ، وهي لا تطابق السريانية المطبوعة معها كل المطابقة كما لاحظت ذلك ، ولكنها لا تختلف عنها حتى يصح القول أن هذه العربية ترجمت عن اليونانية ولا مرية في أنها عن السريانية ، وتقرب من النسخة التي هذبها المطران سركيس الرزي وطُبعت مع اللاتينية العامية سنة ١٦٧١م بروما ، وتختلف كثيراً عن العربية المطبوعة في البوليكلوتا كما تأكدت بمعارضتي هذه النسخ لدن وجودي في روما . وعن طبعة الأب مرهج هذه أخذ المطران جرمانوس فرحات النسخة التي عرّبها والمستعملة الآن في طائفتنا ، ولدى كتابتي تفسير الانجيل زدتها مطابقة للسريانية وأوعزت إلى الأب يوسف العلم لما كان رئيس دير الكرم للمرسلين ، فصنع كذلك في كتابه تفسير رسائل القديس بولس الرسول وباقي الرسل .

وروى دي لاروك (في المجلد الثاني من رحلته إلى سورية ولبنان صفحة ١٢٩) إنه كان بينه وبين مرهج مكاتبة وأثنى على رسائله وأنه كتب إليه في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠١م أنه كان مشغولاً بطبع العهد الجديد بالسريانية والعربية وقد أنجز طبعه فيما بعد . ولأنه توفي سنة ١٧١١م وعمره نحو ثمانين سنة مشهوراً بتقواه ومهارته بالعلوم الشرقية وأنه يرغب في أن يكون كاهناً اتضاعاً بل كان شماساً وقانونياً في كنيسة . . . (ترك اسم الكنيسة بياضاً ونعلم أنها كنيسة القديس اوسطاكيوس روما كما مرّ) ، ونرى مرهج في عنوانات كتبه لم يصف نفسه بكاهن أو قس . ولكن رأينا الدويهي يقول في تاريخ سنة ١٦٥٦م : « دخل إليه (أي إلى البطريك يوحنا الصفراوي) القس مرهج بن نيرون فوجده ملقى على الأرض والنور ينبعث من وجهه » ولا نعلم أصحاب الترجمة أراد أم غيره يسمى باسمه فبين سنة ١٦٥٦م التي كان فيها ذلك وسنة ١٧١١م التي توفي صاحب الترجمة فيها خمس وخمسون سنة أبقى مرهج كل هذه المدة كاهناً ولا عجب إذا كان عاش ثمانين سنة وكان ارتقاؤه إلى الكهنوت وعمره خمس وعشرون سنة . انتهى .

عد ٧١

مشاهير آخرون بالغيرة والنسك

لأن من اشتهروا بالغيرة والنسك لجديرون بالذكر كالعلماء فهم أصحاب الفلسفة الروحية الحققة ، ومن هؤلاء من الموارنة في القرن السابع عشر انطونيوس الصهيوني الاهدني، والذي نعلمه من أمره أنه تلقى العلوم في مدرسة الموارنة بروما كما روى المطران اسطفانوس عواد السمعاني (في كتاب فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية صفحة ٥١) ثم اتخذ الطريقة الرهبانية ورقى إلى درجة الكهنوت بل صار رئيس كهنة اوبرديوط لأن المطران اسطفانوس وصفه بكلمة رئيس كهنة في ترجمة كلامه الذي وضعه على الكتاب الآتي ذكره وهو كتاب الأنجيل ورسائل بولس الرسول وباقي أسفار العهد الجديد حتى رؤيا يوحنا . وقد نسخه بالعربية والأحرف الكرشونية نسبة إلى رجل اسمه كرشون من الجزيرة ، كان أول من كتب العربية بهذه الأحرف السريانية فأخذ النصارى يكتبون الأسفار المقدسة بهذه الطريقة ليخفوا أسرار دينهم عن المسلمين العرب ، هذا ما ذهب إليه الصهيوني ومرهج الباني والمطران اسطفانوس عواد في كتابه المذكور . وكان هذا الكتاب في جملة الكتب التي أخذت عنها طبعة أسفار العهد الجديد التي عني بها مرهج الباني المذكور سنة ١٧٠٣م . وكان انطونيوس الصهيوني نسخه قبل تسعين سنة بأمر البابا بولس الخامس ويوحنا مخلوف بطريرك الموارنة عن كتب كانت بمدرسة الموارنة كما هو بين من الذيل الذي علّقه انطونيوس المذكور على آخر هذا الكتاب وهو : « في سنة ١٦١١م في السادس والعشرين من حزيران كان النجاس من نسخ هذا الكتاب في أيام آبائنا بولس الخامس الحبر الروماني الكلي الطوبى والبار يوحنا (مخلوف) الاهدني البطريرك الانطاكي الذي كرسيه بلبنان وتمتد سلطته الروحية إلى سورية كلها والامصار القاصية ، وهو مشتمل أسفار العهد الجديد أي الأنجيل ... يد الحقيير انطونيوس بن اوفيمياني (كذا) الصهيوني رئيس الكهنة ، والراهب من اهدن بجبل لبنان السرياني الماروني الذي كتب بأمر الرؤساء فصول الأنجيل الأربعة وسائر أسفار العهد الجديد بحسب تقسيمها وعدداها في النسخة العامة الرومانية آخذاً ايهاها عن ثلاث نسخ كانت في مدرسة الموارنة بروما . وقد دوّن هذا المجلد السيد الشريف يوحنا راتموندوس » المشهور بمعرفة اللغات الشرقية .

وقد نسخ انطونيوس الصهيوني القسم الأول من فلسفة السريان المشتمل على أربعة كتب وهي كتاب الایساغوجي لبرفيریوس وثلاثة كتب من تألیف أرسطو الفلسفية . وهذه الكتب ترجمها حنین بن اسحق السرياني الطبيب من اليونانية إلى السريانية ؛ والكتاب الذي نسخه الصهيوني هو في المكتبة الماديشية في عدد ١٧٦ وصفحاته ٣٥٠ صفحة . ونسخ أيضاً القسم الثاني من فلسفة السريان وهو يشتمل على تسع مقالات فلسفية لأرسطو وهو لحنين بن اسحق أيضاً ، ونسخه الصهيوني في عدد ١٧٧ من المكتبة المذكورة وعدد صفحاته ٢٠٨ . وله أيضاً نسخ القسم الثالث من فلسفة السريان لحنين المذكور أيضاً وهو في عدد ١٧٨ من المكتبة المذكورة منطوياً على ٢٠٠ صفحة . وله أيضاً نسخ القسم الرابع من هذه الفلسفة لحنين في الفصاحة والشعر عدده في المكتبة المذكورة ١٧٩ وصفحاته ٣٩٥ . وهذه الكتب الأربعة بالسريانية . وفي هذه المكتبة أيضاً الكتاب ٢٧٤ مقالة في الحساب والجبر بالعربية لأبي عبد الله أحمد شهاب الدين بن أبي جعفر (الذي كان في أواخر القرن الرابع عشر) ، ومقالة في الخطوط الهندسية لأحمد بن علي . والمقاتلان بخط انطونيوس الصهيوني . وهذا الكتاب يشتمل على ٢٤١ صفحة . فهذا ما علمناه من ترجمة هذا العالم العامل .

وقد ذكر الدويهي في تاريخه عدة من أصحاب الفضل والنسك ، فمنهم القس يعقوب الدويهي رئيس دير مار يعقوب باهدين ، وقال إنه كان ورعاً فاضلاً عني ببناء الدير المذكور وتعليم الأولاد ، وتوفي سنة ١٦١٦م . ومنهم الخوري ميخائيل الاهدني الذي أخذ طريقة الحبسا بمحبسة مار ميخائيل في وادي قزحيا التي بناها أولاً القس بركة ، ثم خلفه فيها القس موسى من اليمونة ، وبعده القس يعقوب من بلاد البترون ثم القس ميخائيل ثم القس يوحنا ، ثم القس ميخائيل ، ثم القس جبرائيل ثم الخوري ميخائيل المذكور ، وجميع هؤلاء من اهدن . وتوفي الخوري ميخائيل سنة ١٦١٧م وخلت المحبسة بعده من الحبسا .

ومنهم القس يوحنا ابن القس يوسف محاسب من غوسطا الذي اهتم سنة ١٦٢٨م بتجديد بناء دير مار شليطا مقبس بكسروان وهو أول الأديار المجددة في كسروان ، وكان أخوه القس سرقيس مترهباً بدير قزحيا فانتقل إلى مار شليطا المذكور . وتوفي القس يوحنا سنة ١٦٤٠م وقام بالرئاسة بعده أو في حياته ابن أخيه الخوري سرقيس . وسيأتي ذكره عند الكلام على هذا الدير .

ومنهم القس يوسف ابن القس اصاف عن عرامون الذي بنى كنيسة مار عبدا هريريا في فتح كسروان، ثم كنيسة السيدة هناك. ولبس الاسكيم الرهباني هو واخوته اندراوس وانطونيوس ويوحنا وأختهم رفقا وسأيتي ذكرهم.

من هؤلاء خاصة مؤسسو الرهنة الحلبية اللبنانية وهم جبرائيل حوا وعبد الله بن عبد الأحد قرألي ويوسف بن البتن، فهؤلاء ألهمهم الله أن ينشعوا رهبانية قانونية عامة فخرجوا من حلب سوية سنة ١٦٩٣م وساروا توأ إلى أورشليم لزيارة الأماكن المقدسة والتبرك بها. ثم امتثلوا أمام السيد البطريك اسطفانوس الدويهي في أول شباط سنة ١٦٩٤م وكاشفوه بعزمهم على اقامة رهبانية تستسير بقانون واحد ويرأسها رئيس عام واحد، ويكون لكل دير من أديارها رئيس خاضع لسلطان الرئيس العام ويرتبط رهبانهم بنذور الطاعة والعفة والفقر الاختياري والانضاع على اسم القديس انطونيوس أبي النساك، فشرّ البطريك بعزمهم وشكر لمساعدتهم ولتبي دعوتهم وأبقاهم عنده. وفي اليوم العاشر من تشرين الثاني سنة ١٦٩٥م ألبسهم الزي الرهباني في دير قنوين على سبيل التجربة قبل ابرازهم النذور، وسلم إليهم دير القديسة مورا حذاء اهدن ليصلحوا بناءه وقيموا به. ولحق بهم في آخر سنة ١٦٩٥م جبرائيل فرحات، وكان من عصبتهم بل زعيمهم. وجعلوا أحدهم جبرائيل حوا رئيساً عليهم وشرعوا في انشاء هذه الرهبانية ودعوا إليها باشتهار قداستهم وفضائلهم، فأثمهم كثيرون للترهب معهم. ورقى البطريك رئيسهم إلى درجة القسوس وأخذوا يجمعون لهم قانوناً من وصايا القديس انطونيوس وتلاميذته، وأخذوا سنة ١٦٩٦م دير اليشاع النبي حذاء بشري وسكنه بعضهم ورأسوا عليه عبد الله قرألي بعد أن رقي إلى درجة القسوس. وعندما عقدوا مجمعهم العام سنة ١٦٩٩م انتخبوا القس عبد الله هذا رئيساً عاماً بدلاً من القس جبرائيل حوا، وثبت البطريك اسطفانوس الدويهي قانون رهبانيتهم سنة ١٧٠٠م وسنعود في تاريخ القرن الثامن عشر على ذكر هؤلاء الأفاضل.

وقد نسك في لبنان في هذا القرن الحبيس فرنسيس كالوب دي شاستويل الفرنسي، وذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٢م حين قدم إلى لبنان، وفي سنة ١٦٤٣م حيث توفاه الله لرحمته. وروى دي لاروك ترجمته مطوّلة في المجلد الثاني من رحلته إلى سورية ولبنان من صفحة ١٥٢ إلى صفحة ٢٦٠ فلخص ترجمته عنه بايجاز. فقد وُلد باكس من فرنسة في ١٩ آب سنة ١٥٨٨م وظهرت عليه

امارات التقوى منذ حدثته ، ودرس من جملة علومه اللغة العبرانية وأتقنها وعلّق ملاحظات على النسخة السامرية من التوراة ، وأرسلت هذه النسخة وملاحظاته إلى جبرائيل الصهيوني الماروني لتعلّق في البوليكولوتا الباريسية المتقدّم ذكرها . وكان هائماً بمطالعة الأسفار المقدّسة ، علامة بتفسيرها ، فقصد أن يعتزل بفلسطين بعيداً عن الناس ناسكاً متكاملاً بعلم الأسفار المقدّسة . واتفق أنّ سفير فرنسا بالآستانة كان مسافراً إليها فسافراً معاً من مرسيليا في ٢٠ تموز سنة ١٦٣١م فأقام فرنسيس مدة في الآستانة وتصلّعه بمعرفة الأسفار المقدّسة فأكثروا من التردد إليه والاعجاب به ، وأهدى أحدهم وكان أعلمهم إلى الايمان القويم وأرسله إلى فرنسا موصياً أخاه به . ونما عرف فضله وعظم اجلال الناس له من كل طبقة وملة فتعمد الخروج من الآستانة فسافر منها في ٢٠ تموز سنة ١٦٣٢م وبلغ إلى صيدا وعزم أن يتنسك بلبنان فسار إلى بيروت ومنها إلى لبنان فبلغ إلى حصرون في ١٥ ايلول تلك السنة ، ولبس زي الموارنة وسار من حصرون إلى اهدن ليستشير بأمره أسقف هذا البلد الذي كان حينئذ جرجس عميرة ، فقبله بالترحاب وأمسكه عنده أربعين يوماً ، وكان يؤدّ لو بقي دائماً عنده ، لكنّه أيقن أنّ الله يدعو للانفراد عن العالم . وكان البطريرك والأساقفة حتى الأمير فخر الدين قد أرسلوا يترحبون به ، فمضى يزورهم مبتدئاً بالأمير فخر الدين ثم البطريرك والأساقفة وقابله الجميع بالاجلال والاحتراف ولا سيما البطريرك يوحنا مخلوف الذي أمسكه عنده أياماً ، وكاشفه فرنسيس بعزمه على الانفراد عن العالم للتوبة والنسك وسأله أن يقبله في عداد أبنائه ، فعجب البطريرك به ووطّد عزمه وباركه فانصرف من عنده يزور الأرز ، وعاد إلى اهدن التي فضّل الإقامة بها ليتعلّم اللغة السريانية ليطالع الأسفار المقدّسة بها ، وكان باهدن حينئذ كاهن فاضل من رهبان قزحيا اسمه القس الياس اعتزل عن الناس في محل قريب من اهدن ، فآثر فرنسيس السكنى بالقرب إليه في دير مار يعقوب المنقور بالصخر وعزم أن لا يخرج إلّا لضرورة قصوى . وعاش هناك عيشاً قشفاً صارماً صارفاً أوقاته بالتأمل والصلوة والمطالعات الروحية مانعاً نفسه من أكل اللحم وشرب الخمر مكثراً الصوم إلى الساعة الرابعة بعد الظهر مقتنعاً يوم الأربعاء والجمعة والسبت من كل الصوم بالخبز والماء لا غير ، ينام قليلاً (إذا اضطر إلى الراحة) على فراش خشن . ولما كانت الحملة على فخر الدين كما مرّ وفّر سكان القرى اضطّر فرنسيس أن يفتر أيضاً مع القس الياس المذكور وأن يختبئ في المغاور

والكهوف ويعانينا مشاق الجوع والعطش . ولما استكن عاصف القلق في البلاد عاد إلى نسكه وتقشفاته ، وقصده بعض التجار الأفرنج وأرادوا أن يدفعوا له مالاً يستعين به على معاشه فلم يقبل شيئاً . وكانت مطالعته لأسفار العهد القديم بالعبرانية ولأسفار العهد الجديد باليونانية والسريانية التي تعلمها . ولما صير القس الياس مطراناً على اهدن (هو الذي ذكرناه في جملة الأساقفة وقتلنا أنه من عائلة الصراصرة) وسكن في دير مار سركيس اهدن أسكنه معه واستمر عاكفاً على اماتاته وصلواته ثم انتقل المطران من اهدن فلم يشأ الحبس أن يرح مخدعه في الدير إلى أن أتى الأب شالستينوس رئيس الكرملين في لبنان فأقنعه أن يترك هذا الدير ويأتي فيسكن معه في دير مار اليشاع ، فأتى ولكن لم يشأ أن يغير شيئاً من عيشته النسكية وصلواته وتأملاته حتى كان الرهبان يتعجبون كيف يمكن شخصاً ربي بالتنعم أن يعيش مثل هذه العيشة الخشنة . ومرض أخيراً فتحمل أوجاعه بالصبر الجميل والهشاشة والتسليم لمشيئة الله والاشتياق إلى ملاقة ربه الذي نقله إلى الحياة الخالدة مع النساك المجاهدين في ١٥ أيار سنة ١٦٤٤م ليلة عيد العنصرة ، ودُفن بدير مار اليشاع المذكور . وذكر دي لاروك أن الله صنع بواسطته آيات كثيرة في حياته وبعد وفاته .

والذي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٤م أنه استحبس أولاً بدير السيدة بحوقا ثم بدير مار يعقوب الأحباش ، ثم بدير مار سركيس على رأس النهر في رئاسة الأسقف الياس . ولما سكن هذا الأسقف في اهدن انتقل الحبس إلى دير مار اليشاع في بشري وانتقل إلى الراحة التي لا زوال لها . وكان عبدة صالحة لأهل البلاد وبلغ أسمى المراتب بالورع والصوم والسهر وتلاوة الكتب وفي قمع جسده وتجردّه عن العالم وتعلّقه بالإنبياء حتى صدر منه معجزات وسبق فأنبأ بمزروعات . انتهى .

الفصل الخامس

الأديار والكنائس التي أنشئت للموارنة في هذا القرن

عد ٧٢

الأديار

من الأديار التي جدّدها أو أنشأها الموارنة في هذا القرن دير مار شليطا مقبس بكسروان ، والظاهر من عبارة الدويهي أنّ هذا الدير لم يكن حينئذٍ أول انشائه لأنه قال بتاريخ سنة ١٦٢٨م: «اهتم القس يوحنا ابن القس يوسف المدعو المحاسب من قرية غوسطا بتجديد بناء دير مار شليطا في أرض مقبس ببلاد كسروان وصار أول الأديار التي أنشئت في تلك البلاد» .

وكان أخوه القس سركيس مترهباً بدير قزحيا فانتقل إليه . وقال في تاريخ سنة ١٦٧٢م عندما سقطت كنيسة دير ما شليطا بمقبس جدّدها الخوري سركيس على يد البنا القس جرجس الأميوني الماروني ، وفي جانبها من جهة الشمال بنينا (يتكلم الدويهي عن نفسه) داراً لسكنى البطارقة إذا توجهوا إلى تلك الناحية . وفي المشرق نقلاً عن رسالة كتبها الخوري يعقوب عواد الذي صير بعداً بطريركاً أنّ جد بيت المحاسب المسمى باسيل من ميناء طرابلس رحل مع أولاده إلى ساحل علما ثم إلى غوسطا ، وإنّ أحد أولاد باسيل هذا المسمى سركيس ارتقى إلى درجة الكهنوت وكان خبيراً بالحساب فلُقّب محاسب ، ومن نسله الخوري يوسف وولده الخوري يوحنا الذي جدّد بناء هذا الدير . وقد أنبأنا صاحب الرسالة المذكورة أنّه كان في المحل الذي بنى الدير فيه كنيسة قديمة اشتراها الخوري يوسف المذكور مع الأرض الكائنة فيها من أبي يوسف المقيّر من غوسطا سنة ١٦١٥م ، ولا يعلم في

أي وقت بُنيت الكنيسة القديمة على اسم القديس شليطا ، وأما بناء الدير فقد نُقش تاريخه على عتبة باب الكنيسة الغربي هكذا: « بسم الآب والابن وروح القدس إله واحد كمل عمار هذا الدير المبارك مار شليطا في أيام سيدنا البطريرك حنا (مخلوف) الانطاكي في تاريخ سنة ألف وستماية وثمانية وعشرين مسيحية بيد المعلم نقولا الشامي. وكان المعتني الخوري المحاسب والخوري عطيا والخوري فرح والقرايا القرية غوسطا ودرعون وبطحا وعجلتون وعشقوت». وتوفي القس يوحنا في ٢١ تموز سنة ١٦٤٠م وترك رئاسة الدير لابن أخيه الخوري سركيس ، وكان القس حنا مزوجاً قبل أن يصير كاهناً وله ولد اسمه الشدياق الياس بنى كنيسة القديس سمعان العمودي في قرية غوسطا كما في إحدى نسخ تاريخ الدويهي لسنة ١٦٤٥م، حيث يقول اعتنى الشدياق ايلياس ابن القس حنا الحاسب مع أهل غوسطا وجددوا كنيسة مار سمعان. وكان دير مار شليطا لسكنى الرهبان والراهبات كما كان في بعض الأديار قبل رسم المجمع اللبناني بالفصل بين الرهبان والراهبات. وكان بجانبه مسكن للبطاركة (قبل أن يزيده الديهي). ومن سكنه منهم البطريرك جرجس السبعلي ، وتوفي فيه بالطاعون فلم يُدفن في الكنيسة بل خارجها ومدفنه قائم حتى الآن نُقش عليه تاريخ وفاته. وقد زاد البرديوط سركيس الرقوم هذا الدير أملاكاً وشهرة.

وأقام الدويهي فيه مدة فأنشأ فيه مكتبة فجعل الرهبان ينسخون كتباً، وجمع غيرها وبقي إلى الآن قسم منها وقسم اغتالته أيدي الضياع. وتوفي سركيس البرديوط رئيس هذا الدير سنة ١٦٨١م وترك الرئاسة لابن أخيه القس يوحنا، وكان في هذا الدير الأسقف يوحنا محاسب رقاہ الدويهي إلى أسقفية عرقا سنة ١٦٩٨م وأقام في هذا الدير وتوفي به سنة ١٧١٢م كما مرّ في الكلام على الأساقفة.

ومن هذه الأديار دير حراش ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٣م فقال اشترى الأسقف يوسف العاقوري (هو الذي صار فيما بعد بطريكاً) من الشيخ يوسف أبي حبيش أرض مار يوحنا حراش بخراج درعون بناحية كسروان، وأنشأ كنيسة جميلة على اسم السيدة العذراء وديراً جعله لسكنى الراهبات المتنسكات وبلغ عددهنّ إلى نحو ثلاثين راهبة، ورأس عليهنّ رفقة ابنة القس يوحنا المحاسب. وبعد وفاة هذه الرئيسة خلقتها في الرئاسة على هذا الدير ابنة أختها مريم، وكتب

البطريك الدويهي إلى القس يوحنا رئيس دير مار شليطا وإليها رسالة لفصل خلاف كان بينهما تراها في «المشرق» (صفحة ٣٠٢ من السنة الخامسة). وفي سنة ١٦٤٤م عقد البطريك يوسف العاقوري مع أساقفته مجعاً في هذا الدير لأصلاح بعض العوائد البيعية. وسنأتي على ذكر هذا المجمع.

ومنها دير مار سركيس وباخوس في ريفون، وأول من أنشأه القس سليمان مبارك من غوسطا. وكان هذا الكاهن مزوجاً وله سبعة بنين، فبعد وفاة امرأته رغب هو وبنوه الاعتزال عن العالم في أحد الأديار فأتوا أولاً دير مار شليطا حيث أقاموا بعض سنين منضوين إلى رهبان هذا الدير، ثم انفصلوا عنهم وأتوا إلى ريفون سنة ١٦٥٥م فأنشأوا الدير القديم على خربة معبد كانت هناك، وقضوا حياتهم فيه مثابرين على النسك والعمل بما يعود عليه بالنفع إلى أن توفي القس سليمان سنة ١٧١٣م كما يظهر من الخط المنقوش على ضريحه في الدير المذكور. ومن أبنائه المطران يوسف مبارك الذي انتخب بطريكاً بعد تنزيل البطريك يعقوب عواد سنة ١٧١٠م، ثم حكم الكرسي الرسولي بارجاع البطريك يعقوب وأبطل انتخاب المطران يوسف إلى البطريكية.

ومنها دير مار عبدا هرهريا وقد ذكر الدويهي انشاءه فقال في تاريخ سنة ١٦٥٥م: «فيها اهتم القس يوسف ابن القس اصاف من قرية عرامون وبنى كنيسة مار عبدا هرهريا في طرف فتوح جبيل ثم كنيسة السيدة قبواً، ولبس الاسكيم الرهباني هو واخوته اندراوس وانطونيوس ويوحنا ثم أختهم رفقا ثم أبوهم وأهم بعد أن تتركوا حقوق الزواج بينهما برضاهما، وإذن مطران الأبرشية، وانقطعا عن العالم ووفقا كل ما يملكه للدير راغبين في الفقر، وفي أن يكونوا جميعاً طائعين للقس يوسف إلى نهاية حياة كل منهم، وصاروا عبدة صالحة للناس باتخاذ الطريقة الرهبانية وبالسيرة الصالحة والعبادة والورع إلى نهاية عمرهم.

ومنها دير مار الياس النبي في غزير، بنى هناك الشيخ طريه بن حبيش كنيسة على اسم ايليا النبي في أسفل غزير، ووقف لها بعض العقار، ثم بنى حذاء الكنيسة بعض مساكن فصارت ديراً، وكان ذلك نحو سنة ١٦٦٥م. وقال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٨٣م رام المشائخ الحبشية أن يبيعوا للرهبان الكبوشيين كنيسة مار الياس التي بنوها في أسفل غزير فمنعناهم عن ذلك، ولكن سمحنا لهم

بأن يقيموا بها خمساً وعشرين سنة. وفي سنة ١٦٧٠م جدد القس يوسف اصفاف المذكور آنفاً بناء دير سيدة الحقل، وقيل إن هذا الدير ودير مار عبدا هريريا كانا مشتركين فحصل نزاع بين الخدام على حراثة الأملاك أفضى إلى فصل أحدهما عن الآخر برأي بطريك الطائفة وأساقفتها. وفي سنة ١٦٧٣م أنشأ المطران جبرائيل البلوزاوي دير السيدة في طاميش في جنوبي نهر الكلب ذكره الدويهي في تاريخ هذه السنة، ويظهر من خط كان منقوشاً على عتبة باب الدير القديمة أن الشيخ أبا نوفل الخازن وأولاده اعتنوا ببنائه وتعب به القس عطاالله وتلميذه من غزير.

وفي سنة ١٦٨٢م أنشأ الشيخ سلهب الحاقلاني دير السيدة بلوزيه في خراج زوق مصبح وجعله لسكنى الرهبان العباد ثم ترهب فيه ولده القس اغناطيوس. وتسلم الدير ثم تسلمه الرهبان الحلييون اللبنانيون سنة ١٧٠٧م وخص عند القسمة الرهبان الحليين.

وفي سنة ١٦٩٠م بنى القس خيرالله اسطفان دير عين ورقة في المحل المسمى المشرع، ثم هطلت أمطار غزيرة فخربت ما بنى، فجدد البناء في المحل الذي فيه الآن مدرسة عين ورقة الشهيرة، وهذا الكاهن ارتقى فيما بعد إلى الأسقفية ودُعي جرجس. وفي سنة ١٦٩٦م جدد الخوري جرجس صفيير وأخوه ناضر بناء دير القديس مارون في الرومية بجانب القليعات بكسروان الذي صار فيما بعد مدرسة كما سيجي.

وفي سنة ١٦٩٠م جدد البطريك اسطفانوس الدويهي بناء دير مار سركيس اهدن فإنه قال في خط عُثر عليه في بعض نسخ تاريخه ما ملخصه: «أن بناء دير مار سركيس كان على قناطر، ولما تزعزعت رممها ابن عمنا المطران بولس يمين، ولما سكن في الدير ابن أخينا الخوري ميخائيل ردم قناطره ثم تداعى عماره فلم يسكنه أحد مدة، فذُثر فوضعنا يدنا عليه وأزلنا القناطر كلها وأقمنا حائطاً متيناً في الوسط وعمرنا قبوين في الداخل أمام كل كنيسة قبو، وبنينا فوقهما قلائي وأقمنا الحائط الغربي من الأرض فصاعداً. وكان البنائون أربعة من رشميا والمتكلم عليهم القس جرجس الأميوني الماروني من قرية أميون بالكورة» فهذا القس كان من الملكية فصار كاثوليكيّاً مارونياً. وكذلك ذكر الدويهي في الخط المذكور أنه في سنة ١٦٩١م جدد بناء دير القديسة مورا في اهدن بعد أن خرب، فإن أبا ميخائيل

انطونيوس من أصنون ترهب فعمرونا له هذا الدير ثم أعطى الدويهي هذا الدير للرهبان الحلبيين عند تأسيسهم الرهبانية فزادوا في بنائه.

عد ٧٣

ما نعرفه من كنائس الموارنة التي بُنيت في هذا القرن

كنيسة السيدة في قرية بشعلة قال فيها الدويهي في تاريخ سنة ١٦٢٦م فيها القس يوسف ابن القس حبيب من قرية بشعلة نقض بناء كنيسة السيدة وعقدها قبواً.

وقال في تاريخ سنة ١٦٣٢م فيها القس يوحنا بن الشمالي أنشأ بقرية درعون ببلاد كسروان كنيسة القديس انطونيوس قبواً، وأخوه القس فرح بنى كنيسة السيدة. وكان الأخوان ورعين ولهما اليد الطولى في نسخ الكتب البيعية. وفيها نقض الشيخ أبو عماد بن الجميل كنيسة القديس عبدا في بكفيا وعقدها قبواً بثلاثة أسواق بمساعدة أهل بكفيا على يد البنا يوحنا الشامي. وكذلك القس بشاره من بيت الخراط اهتم بتوسيع كنيسة الملائكة بقرية بكفيا أيضاً.

وقال في تاريخ سنة ١٦٣٢م: «اهتم البطريرك يوحنا مخلوف فجدد كنيسة القديسة مورا بقرية كفر زينا» بقيت هذه الكنيسة على ما كانت عليه إلى أيامنا. ومن بعض سنين نقض أهل القرية البناء القديم وبدلوه بالبناء الحالي، وقد مديتهم بعض الاسعاف لأنها كنيسة القرية التي ربيت فيها. وقال الدويهي في تاريخ هذه السنة أيضاً إن أهل كفرحاتا بالزاوية جدّدوا كنيستهم على اسم القدس ماما، وكان هذا البطريرك منذ سنة ١٦٠٩م توجه إلى مجدل معوش بالعقوب الشمالي وأقام بها مدة، وبنى هناك كنيسة السيدة الباقية حتى الآن على هيئتها القديمة.

وقال في تاريخ سنة ١٦٣٦م: «وفيها انتهى بنيان كنيسة السيدة بالعربانية من قرى المتن وكرسها المطران يوسف بن حليب العاقوري مطران صيدا في السادس من تموز، وكان المهتم ببنائها الشيخ عون المكارى وأبو عطاالله ابن القبرصي والحاج ميخائيل أبو نعمه. وقال في تاريخ سنة ١٦٣٨م إن كنيسة الموارنة بأياس كانت قد خربت وكنيستهم بحلب احترق سقفها مع الدرايزين، وقدم السلطان إلى حلب

فاستأذنه في بنائهما فأذن به ، فجدد الموارنة جزوع كنيسة ايليا النبي بحلب ، وعمر الأرمن كنيسة باياس لتكون مشتركة بين الملتين المارونية والأرمنية .

وقال في تاريخ سنة ١٦٤١م إن كنيسة الموارنة بالكفریات بقبرص كانت قد رتعت بيد الروم لأن الروم أغروا الخوري جرجس خادماً وبعض أقربائه فاتبعوا مذهب الروم وأخذوا الكنيسة وصار حينئذ الخوري بطرس خادماً لكفریات . وكان ذا نفوذ وغيره فاستفتى العلماء فأفتوا له أن الكنيسة لم تكن للخوري جرجس بل للموارنة ، فاستحصل خطاً شريفاً باعادتها إلى طائفته ، وفي هذه الأثناء بنى الشيخ أبو نوفل نادر الخازن كنيسة السيدة في عجلتون وعين جعلاً لكاهن يقّس بها كل يوم .

وقال في تاريخ سنة ١٦٥٤م إن القس جرجس ابن القس رزق الله البجاني أنشأ بمساعدة أهل بيت شباب كنيسة القديس جرجس في بحرقد بقطاع بيت شباب ، وقال في تاريخ سنة ١٦٧٣م إن الشيخ أبا فارس وأخاه الشيخ أبا ناضر ابني الحاج أبي منصور الاهدني كاتب الأمير أحمد بن معن نقضوا كنيسة السيدة في دير القمر وعقدوها قبواً . وقال في تاريخ سنة ١٦٨٥م عن نفسه جدّنا كنيسة مار عبدا على نهر الكلب (الدير المعروف الآن بدير مار عبدا المشمر) بعد أن كانت قد خربت من زمان طويل ، وأنشأنا في جانبها داراً تابعة لدار ما شليطا بمقبس .

وفي سنة ١٦٨٩م تمّ بناركنيسة مار الياس بغوسطا أنشأها الشيخ أبو قانصوه فياض الخازن بجانب الدار التي بناها لنفسه بالقرية المذكورة .

ذيل

المجمع الذي عقده البطريرك يوسف العاقوري

في دير حراش

عقد هذا المجمع البطريرك يوسف العاقوري في ٥ من كانون الأول سنة ١٦٤٤م في دير حراش ووجدت نسخة منه في هذا الدير، ولكن سقط منها ورقة مشتملة على بعض الكلام في سري التوبة والأوخارستيا، ومنه نسخة أخرى في دير الرهبان الموارنة بروما، وقد أخذنا ملخص قوانين هذا المجمع عن نسخة حراش إذ لم نعثر على غيرها، ونرى فيها بعض ما يخالف التهذيب المعمول به الآن منبهاً لنا بما كان في تلك الأيام. وإليك ملخص قوانين هذا المجمع معربة عن النسخة المذكورة.

أولاً في المعمودية هي سرّ من أسرار الكنيسة السبعة ويلزم أن يكون التعميد في اليوم الثامن بعد المولد وإذا دعت ضرورة فبعد أربعين يوماً، ويكون غسل الطفل بعد تعميده حالاً. ٢ لا يؤخر التعميد لغيبه العرّاب أو لصنع حفلة أو تقديم هدايا. ٣ لا يُسمح أن يكون العرّاب من الهرطقة. ٤ لا يرشم الطفل (أي لا يُعمد دون تلاوة الصلوات التي في رتبة التعميد) إلّا عند خطر الموت، وإذا لم يوجد حينئذ كاهن أو شماس فيحق لأي رجل أو امرأة كان أن يعمّد بحيث يتلو الكاهن الكلمات الجوهرية وهو يسكب الماء على الطفل وهي: «أن أعمدك يا فلان أو يا فلانة بسم الآب والابن والروح القدس آمين» ومن عمّد كذلك لا يجوز إعادة صورة التعميد عليه بل تتلى عليه صلوات رتبة المعمودية ويُدهن بالميرون والزيت المقدّس ويُغسل للحال، وإن حصلت رية في صحة تعميده السابق فيعمّد ثانية. بقول المعمّد: «إن كنتَ لست معمّداً فأنا أعمدك يا فلان الخ». ٥ لا يُستعمل

في التعميد إلا الماء الطبيعي صرفاً بارداً أم سخناً خلياً من العكر. ٦ يلزم الكهنة المعمدين أن يدونوا بسجل مخصوص اسم من عُمد واسم أبيه وأمه وعرايه وزمان تعميده .

في التشبث هو سر من أسرار الكنيسة السبعة وخادمه هو الأسقف ويعطي هذا السر من كان عمره خمس سنين فصاعداً ويلزم تدوين أسماء المبتئين كأسماء المعمدين .

في الاعتراف هو سر من أسرار الكنيسة السبعة وهنا الورقة الساقطة وهي تشتمل على القوانين المتعلقة بسر التوبة وسر الأوخارستيا وبعض القوانين المتعلقة بسر الزيجة إلى القانون السادس منها .

القانون السادس زواج أخوين بأختين وقطرب لقطريته (ريبب لربيته) غير جائز إلا باذن السيد البطريك (هذا مباح الآن). ٧ كل من تعدى على خطيبة غيره أو استعان بحكام عالميين على ذلك أو رشاهم ومن يؤذن بهذا التعدي أو يأمر أو يرتضي به من أقربائها أو غيره فليكن ساقطاً بالحرم والكاهن الذي يكللهما فليكن محروماً (لطف الأيام هذا القانون). ٨ كل من طلب أو أخذ رشوة من أهل العروس وأقربائه ليكن محروماً. ٩ لا يذهب العريس عند العروس بل يلزم الاكليل في بيت العريس. ١٠ كل من تزوج بامنة عمه أو بنت عمته أو بنت خاله أو بنت خالته أو بخالته امرأة أبيه أو بامرأة عمه ومن أشبه كانت زيجته باطلة والبطريك يوضح بطلانها. ١١ من تزوج بامرأة وماتت فلا يحل له أن يتزوج ببنت عمها أو بنت خالته. ١٢ إذا شذ أحد الزوجين عن دينه أو ثبت على المرأة الفسق أو جن أحدهما أو طرأ عليه مرض مهما كان فالزواج ثابت ولا طلاق إلا بالممات. ١٣ يمنع عقد الزواج من اليوم الأول من كانون الأول إلى الغطاس ومن الأحد الأول في الصوم إلى الأحد الجديد ولا يحل الزواج إلا من نهار الاثنين بعده وصاعداً. ١٤ المهر يكون برضى أهل العريس والعروس. ١٥ القرابة من جهة الميرون لا تمنع الزواج إلا في الوجه الأول أعني بين القابل والمقبول وبين أبي المعمد وأمه وبين الذي يعمد. ١٦ يلزم أن يكون في المعمودية عراب وعزابة. ١٧ لا تكن زيجة بين ابن العرابة والبنت التي قبلتها أمه (أي فليوثني لابني كما هي حرفة كلام الجمع وقد حصر الجمع اللباني القرابة الروحية بين العرايين وبين

المعمود وأبويه ثم بين المعمد والمعمد وأبويه لا سوى). ١٨ المعمد أو الراشم لا يحل له أن يتزوج أم المعمد أو المعمدة. ١٩ المعمد لا يحل له أن يتزوج بامرأة المعمد أو الراشم. ٢٠ أبو المعمد لا يحل له أن يتزوج بامرأة المعمد. ٢١ المعمد لا يحل له أن يتزوج بالبت التي عمدها. ومن تزوج خلافاً للقوانين المذكورة فُسخ عقد زواجه.

درجة الكهنوت القانون الأول الكهنوت سر من أسرار البيعة السبعة، وكل من ضرب كاهناً أو شدياقاً أو راهباً أو أهانهم محروماً ولا يحلّه إلا البطريك. ٢ إذا قدّس كهنة جملة عن نفس ميت فالأولى أن يتشح كلّ منهم بأثواب التقديس لبني الزامه بالقداس الذي أخذ حسسته (هذا القانون غير معمول به الآن ويكفي لباقى الكهنة أن يتشحوا بالمدرة والبطراشيل أو البطراشيل وحده. ٣ لا يجوز للكاهن أن يكون جانياً لمال الحكومة أو شيخاً لقرية أو يتقلّد فريضة من أحد ولا يجوز لأحد العامة أن يُكرمه على ذلك ومن خالف يؤدبه أسقفه. ٤ الرؤساء والكهنة يصير جنازهم وعليهم عدة التقديس كاملة ولا يكون دفنهم غير بالكتونة فقط. ٥ من تزوج بنتين واحدة بعد الأخرى أو تزوج بأرملة لا يصير كاهناً وكذلك من كان أعور أو مفلوجاً أو يقع في الهلة أو ارتكب القتل عمداً. ٦ وكيل كرسي قنوبين يناط به تدبير أرزاقها دائماً وليس للبطريك أن يعزله إلا برأي المطارين. ٧ كل من صار مطراناً أو بطريكاً حرمت عليه المآكل المزفرة.

مسحة المرضى القانون الأول هي سر من أسرار البيعة ولا يُمسح المريض إلا عند خطر الموت. ٢ لا يتقاعدن أحد من الكهنة عن مسحة المريض المشرف على الموت لأنها سر ضروري لحماية نفس الميت من محاربة الشيطان. ٣ كل من مات محروماً بغير اعتراف لا يحل لأحد من الكهنة أن يجنزه ويدفنه في مقبرة مكرسة.

في الميراث القانون الأول الارث لا يكون إلا بعد وفاء الدين وحسنة القداسات وباقي ما يلزم لدفن الميت. ٢ إذا مات رجل عن امرأة ووارث تعطى المرأة أولاً نقدتها والثلث من متروكاته أي ثلاثة قراريط من أربعة وعشرين قيراطاً.

قوانين أخرى غير ما تقدّم

القانون الأول كل كاهن افرنجي عرّف وناول جماعتنا الموارنة بغير أمر البطريك يكون محروماً، وكل ماروني اعترف وتناول عند الافرنج أو غيرهم يكون محروماً. ليس لأحد من الرهبان أن ينتقل من موضع إلى آخر دون اذن السيد البطريك، لا يتعدى أحد من الكهنة على رعية غيره في الأمور الروحية فليس له أن يعرف أحداً بغير اذن خوري الرعية إلا في ساعات الموت لتعميد طفل أو حل مريض مشرف على الموت.

وصايا الكنيسة

القانون الأول لا يجوز لأحد تناول الأطعمة المزفرة يومي الأربعاء والجمعة إلا ما وقع منها في عيد الميلاد إلى عيد الغطاس ومن القيامة إلى عيد الصعود. ٢ عيد التجلي وعيد الرسولين بطرس وبولس وعيد انتقال العذراء إذا وقعت يوم اربعاء أو يوم جمعة توكل فيها المآكل المزفرة. ٣ الصوم الكبير يصام إلى الساعة التاسعة كالعادة ويلزم سماع القداش إذا وُجد وإلا فتلزم الصلاة. ٤ يبدأ في صوم الميلاد من اليوم الخامس من كانون الأول ويصام إلى الظهر وإذا وقع بدؤه يوم الأحد فيبتدى في الصوم يوم الاثنين. ٥ يبتدى بقطاعة الرسل في اليوم الخامس عشر من حزيران وفي قطاعة السيدة من أول يوم من شهر آب وإذا وقع بدؤها يوم الأحد لا يصام. ٦ على كل مسيحي أن يحضر القداش أيام الآحاد والأعياد المأمورة بطالتها، ومن أهمل ذلك أخطأ خطأ مميتاً رجلاً كان أو امرأة.

وهذه هي الأعياد الواجبة بطالتها تشرين الأول في ٢٨ منه عيد القديس سمعان القانوني ويهوذا الرسول. تشرين الثاني في أول يوم منه عيد جميع القديسين وفي ٣٠ منه عيد القديس اندراوس الرسول. كانون الأول في الواحد وعشرين منه عيد القديس توما الرسول وفي ٢٥ منه عيد ميلاد سيدنا يسوع المسيح وفي ٢٦ منه عيد السيدة والقديس اسطفانوس وفي ٢٧ منه عيد مار يوحنا الانجيلي. كانون الثاني في اليوم الأول منه عيد ختانة المسيح وفي السادس منه عيد

الغطاس . شباط في الثاني منه عيد دخول المسيح للهيكل وفي التاسع منه عيد مار مارون البطريرك . آذار في ١٩ منه عيد مار يوسف خطيب مريم وفي الخامس والعشرين منه عيد بشارة العذراء . أيار في أوله عيد فيلبس ويعقوب الرسولين . حزيران في الرابع والعشرين منه عيد ميلاد يوحنا المعمدان وفي ٢٩ منه عيد القديسين بطرس وبولس . تموز في الخامس والعشرين منه عيد يعقوب بن زبدي الرسول . آب في السادس منه عيد التجلي وفي الخامس عشر عيد انتقال العذراء وفي الرابع والعشرين عيد برتلماوس الرسول . أيلول في الثامن منه عيد ميلاد العذراء وفي الرابع عشر عيد ارتفاع الصليب وفي الحادي والعشرين عيد متى الرسول وفي التاسع والعشرين عيد ميخائيل رئيس الملائكة .

وأما الأعياد المنتقلة فهي عيد القيامة وثانيه ، وعيد الصعود ، وعيد العنصرة وثانيه ، وعيد الثلاث الأقدس في الأحد الذي بعد العنصرة ، وعيد جسد المسيح وهو في الخميس الثاني بعد العنصرة ، وعيد كنيسة المحل . هذه هي الأعياد اللازمة البطالة بها وحضور القداس وعلى الكهنة أن يشهروا في رعاياهم وجوب البطالة في هذه الأعياد ويجهدوا في حفظ ذلك . انتهت أعمال هذا المجمع ولم نجد في نسخة حراش المذكورة اسم الأساقفة الذين وقّعوا عليه أو شهدوه بل قيل هناك أنه انتهى في اليوم الخامس من كانون الأول سنة ١٦٤٤ م وعاد كل من المطارين إلى كرسيه والكهنة والرهبان إلى محلاتهم .

المقالة الحادية عشرة

تاريخ الموارنة في القرن الثامن عشر

الفصل الأوّل

أعيانهم الدنيويون في هذا القرن

عد ٧٤

المشايع آل خازن وآل حبيش في هذا القرن

ذكرنا في تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر من كانوا من آل خازن قناصل لدولة فرنسة في بيروت، وأنّ الشيخ حصن بن فياض الخازن كان في هذا المقام، وبعد وفاته صير ابنه الشيخ نوفل الخازن قنصلاً لفرنسة في بيروت وبقي في هذه القنصلية إلى أن عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م فكان الشيخ نوفل قنصل فرنسة في بيروت كاتباً فيه.

وبعد أن انتقلت الولاية على جبل لبنان من آل معن إلى آل شهاب في أواخر القرن السابع عشر كان مدبرو الأمراء الحاكمين من آل شهاب غالباً من الموارنة وأبقوا آل خازن على ولايتهم بكسروان وآل حبيش على ولايتهم بغزير وما يليها، ولما تولى الأمير يوسف علم الدين اليميني على لبنان بمساعي محمود باشا أبي هرموش كما مرّ واضطرّ الأمير حيدر موسى الشهابي الحاكم حينئذ أن يفرّ من وجهه سار أولاً إلى كسروان معتصماً بالمشايع آل خازن وآل حبيش ولما تقوى عليه

عسكر الأمير يوسف علم الدين ودخلوا غزير وأحرقوها ترك الأمير حيدر عياله في كسروان فخبأهم المشايخ آل خازن في بعض قراهم، وكانوا يقدمون خفية كل ما يلزم لنفقتهم ونفقة الأمير حيدر الذي اختبأ مع بعض خواصه في الهرمل، ثم لما سئمت نفوس أعيان البلاد ولاية الأمير يوسف علم الدين لجأ أعيان القيسية إلى الخازنيين ليكتبوا الأمير حيدر شهاب المذكور أن يعود إلى البلاد فيناصروه جميعاً على اليمينية فحضر الأمير حيدر إلى المتن وكان معه الشيخ خازن الخازن وبعض أبناء عمه وحضروا معه وقعة عنددارا المشهورة حيث انتصر القيسية على اليمينية وظفروا بهم ظفراً تاماً فأقرّ الأمير حيدر المشايخ على ولايتهم في كسروان وكتب لهم الأخ العزيز، وكان في المصطلحات في تلك الأيام أن يفرقوا بين طبقات الناس أن يكتبوا إليهم عزيزنا أو محبتنا أو أعز المحبين أو الأخ العزيز.

وفي ١٧٢٥م تولى الشيخ عبدالله بن فاضل الخازن ناحية عكار ولما كان راجعاً من دير قزحيا إلى كسروان التقاه نحو ثلاثين رجلاً من المشايخ الحمادية وأتباعهم وأرادوا إهانته لأنه تولى الناحية المذكورة وهم يدعون أنّ لهم حق الولاية عليها فعاونوه عليهم الرهبان فتملّص منهم. وشكا آل خازن الحمادية إلى والي طرابلس سليمان باشا العظم فأرسل عسكرياً فكل بالحمادية، ولكن نهب عسكره بلاد جبيل والبترون (عن سجل الرهبة اللبنانية)، ولما اضطرّ البطريرك يعقوب عواد أن يبارح كرسية قنوين بسبب مناصرته للبطريرك كيرلس تاناس كما مرّ وأن يرقى الخوري يوسف صالح الدويهي الأسقفية ويسلمه تدبير دير قنوين، كتب له صكاً بذلك ووقع عليه مع بعض أساقفته. وكتب له بعض آل خازن أيضاً وثيقة مشعرة برضاهم بهذه الوكالة لتهيئة المتأولة وغيرهم، ولما عقد الجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م شهدته كثيرون من آل خازن وآل حبيش وترى توافيعهم على آخره في النسخة المطبوعة حديثاً.

وفي سنة ١٧٥٠م لما اعتدى بنو منكر الشيعة على إقليم جزين وقتلوا رجلين من أصحاب الشيخ علي جنبلاط حشد الأمير ملحم الشهابي الرجال لكبت الشيعة المذكورين فتوجّه مع الأمير الشيخ ميلان الخازن ببعض رجال كسروان وعند اشتداد القتال في جباع الحلاوة أغار الشيخ ميلان برجاله على برج هناك كان الشيعة قد اعتصموا به فأتخن فيهم وبدد شملهم فأكرمه الأمير وعظمت منزلته عنده. وفي سنة ١٧٧٠م لما افضت ولاية البلاد إلى الأمير يوسف الشهابي

وتزلف إليه المشايخ آل خازن ولى الشيخ رامج بن حيدر بن قيس الخازن على الحفد وترتج ببلاد جبيل وجعلها اقطاعاً خاصاً به وبذريته وبقيت كذلك إلى أن الغى نظام لبنان الاقطاعات فيه.

عد ٧٥

بطرس الشدياق وابن أخيه منصور وأولاده

إننا ننسّق ذكر الأعيان بهذا الفصل بحسب زمان اشتهارهم وخدمتهم لولاة البلاد. فبطرس الشدياق هو من سلالة رعد الحصريني جد المقدم خاطر الحصريني الذي تقدّم ذكره في هذا التاريخ وفهد والد بطرس الذي سمي الشدياق ارتحل من حصرون إلى كسروان بأولاده وعائلته وأقاموا بعشقوت. وفي سنة ١٧١٥م دعا الشيخ أبو شيان الخازن بطرس الشدياق بن فهد وعهد إليه بمحاسبة الأموال الأميرية في ولايته بكسروان ثم جعله دهقاناً على عقاراته لما رأى فيه من الدراية والأمانة، إلى أن توجّه الشيخ المذكور سنة ١٧٢٣م إلى دير القمر ومعه الشدياق بطرس المذكور، فرأى الأمير حيدر الشهابي الوالي حينئذ ما رآه أبو شيان في بطرس المذكور فطلبه منه وأقامه رئيساً لكتبتة وأحبّه لصدق خدمته وإخلاصه وجعله مديراً له. ولما تولّى الأمير ملحم شهاب بعد والده الأمير حيدر أبقي الشدياق مديراً له كما كان عند والده إلا أنّه في سنة ١٧٢٧م تغيّر عليه لوشايات رفعها حساد الشدياق إليه فوضعه في محرس منفرداً دون أن يكشف له سبب تغيّره عليه فعظم الأمر على الشدياق حتى أخرجه عن دائرة رشده، واذ كان يوماً بالكنيف ضرب بطنه بسكين فخرقه وأغمي عليه، ولما أبطأ كشفه الحارس فرآه مطروحاً على الأرض وأعلم الأمير بذلك وأمر بإحضار طبيب عاجله فلم يشف، وكان مديراً للأمير حيدر سبع سنين ولابنه الأمير ملحم ثماني سنين، وكان له ابنان ظاهر وخطار قبض الأمير ملحم عليهما وعلى ابن أخيه منصور وضبط مالهم وخيلهم، ثم أمر بإطلاقهم وارجاع بعض عقارهم، لكنّه هب داري بطرس وابن أخيه منصور بعشقوت للشيخ أبي صليبي مرعب الخازن، فارتحل منصور إلى حارة الحدث ببعض أقربائه فتوطنوا وسكن ظاهر وخطار ابنا بطرس في بيروت.

وفي سنة ١٧٤١م سار منصور بأهله إلى بعلبك فخدم الأمير حيدر الحرفوش واستأجر منه أرضاً للزراعة، وقد قتل مصادفة أحد أقربائه رجلاً متوالياً فطيب الأمير حيدر قلب منصور وأقربائه وأمر المتأولة أن لا يسوموهم ضراً ومن خالف أمره قتله، لحبته لمنصور لاستقامته في تدبير أموره ولسعيه بالصلح بينه وبين الأمراء الشهابيين. وسنة ١٧٤٣م رجع منصور بأقربائه إلى حارة حدث بيروت، وسنة ١٧٥٧م أقامه الأمير ملحم الشهابي مديراً لابن أخيه الأمير قاسم عمر وأرسلهما إلى دار السلطنة يلتمسان للأمير ملحم ولاية جبل الشوف وكسروان، وللأمير قاسم ولاية بلاد جبيل. ولما عرف بذلك الأمير منصور الشهابي أمر بقطع الأشجار التي لمنصور الشدياق في الحازمية ونال الأمير قاسم ومنصور أمراً سامياً إلى والي دمشق ليجيبوا الأمير إلى مطلوبه، لكن توفي والي دمشق قبل الإجابة فبفس الأمير قاسم من الفوز وصالح عمه الأمير منصوراً وعوض منصور الشدياق عما تلف له أو تكلف بيوتاً وعقاراً في قب الياس وأبقاه في خدمته، فسعى بعض المشايخ بتغييره على منصور وقتله. وكان منصور مأذوناً له أن يفتح الكتب الواردة للأمير ففتح ذاك الكتاب ثم ختمه وأعادته إلى الرسول فدفعه إلى الأمير فلم يخف الأمير ما فيه على منصور وطيب قلبه، فقال له منصور لا تلقى خيراً عند عمك الأمير منصور ما دمت أنا في خدمتك، واستأذنه بأن يفارقه ويتوجه إلى بلاد بشاره، فأبى الأمير وألح منصور فرضي الأمير وأكرمه ودفع إليه كتاب توصية إلى والي تلك البلاد، فارتحل منصور بأقربائه إلى قرية عين إبل فسكنها مدة ثم انتقل إلى رميش، وسنة ١٧٦٣م دعاه الأمير قاسم إليه فأتى إلى حارة الحدث وعاد إلى خدمة الأمير قاسم مديراً كما كان.

ومرض الأمير قاسم سنة ١٧٦٨م فجعل منصوراً وصياً على أولاده ودهقاناً لأملأكه، ثم استقال من الأمير منصور من هذه الوصاية سنة ١٧٧٠م فاستدعاه الأمير أفندي وأخوه الأمير سيّد أحمد الشهابيان واتخذاه مديراً لحكومتها وبقي كذلك إلى أن فرّ الأمير سيّد أحمد شهاب سنة ١٧٨٥م من وجه أخيه الأمير يوسف إلى حوران فسار منصور معه فأمر الأمير يوسف بقطع الأشجار التي له في الحازمية. وسنة ١٧٩٣م توفي منصور الشدياق بن جعفر وعمره سبع وستون سنة ودفن بحارة الحدث وله ثلاثة أولاد فارس ويوسف وسليمان.

أمّا فارس فاستدعاه الأمير يوسف الشهابي الوالي إلى خدمته سنة ١٧٨٦م وكان الشيخ سعد الخوري مدير الأمير المذكور يحب فارساً كثيراً فأخذه الأمير

يوسف ولما مرّ الأمير يوسف ببلاد بعلبك سنة ١٧٨٨م مطروداً من الأمير بشير قاسم الشهابي الذي كان قد أخذ الولاية أرسل الأمير جهجاه الحرفوش يقول للأمير يوسف تحوّل عن بلادي أو صليت عليك القتال، فارتبك الأمير يوسف بالجواب فقال فارس للأمير يوسف الجواب عندي. وشمّ الرسول وضربه بدبوس من حديد وقال له اذهب فقل لأميرك من أنت حتى تمنع الأمير يوسف عن المرور فهو يأمرك أن تقوم حالاً من بلاد بعلبك أو فاجأك برجاله. ولما بلغ الأمير جهجاه هذا الجواب فرّ هارباً إلى بلاد الشرق وظلّ الأمير يوسف سائراً إلى الربداني ثم إلى حوران، وأمر فارس الشدياق أن يقيم بدمشق وكيلاً له، ولما وعد الجزار الأمير يوسف برده إلى الولاية وحضر لديه إلى عكا كتب الأمير يوسف إلى فارس أن يلحقه إلى عكا فتوجّه معه خمسة عشر فارساً فأغار عليهم في الطريق عرب عنزه والسردية فقاتلهم قتالاً شديداً وقتل بعضهم لكنهم استطاعوا عليه أخيراً ورموه عن جواده إلى الأرض، فنثر لهم نقوداً ألهاهم بها وفرّ من بينهم إلى قعدان البعيش شيخهم مستجيراً به فأجاره على عادة العرب، وردّ له ولفرسانه كلّ ما سلب منهم، ولم يمكن ورثة القتلى من العرب من مضرة نزله. وسأله فارس أن يصحبه بمن يوصله إلى إقليم البلان فأصبحه بخمسين فارس، وعند وداعه قدّم له فارس سيفه وكان ثميناً، وسار متكرراً إلى عكا خوفاً من الأمير بشير. وسنة ١٧٩٠م لما حضر الشيخ غندور الخوري إلى عكا يسأل الجزار الولاية للأمير يوسف أنعم عليه بها وأمره أن يقي الشيخ غندوراً رهناً عنده وأن يأخذ فارس الشدياق مديراً له فكان كذلك. وفي سنة ١٧٩٨ دعا الأمراء أولاد الأمير يوسف فارساً بن منصور الشدياق لخدمتهم فأقام عندهم واستمرّ فارس في خدمتهم ثمّ خدمة الأمير بشير إلى أن توفي سنة ١٨١٧م.

عد ٧٦

الشيخ سعد الخوري وابنه الشيخ غندور

إنّ أسرة الخوري تنسب إلى الخوري صالح من عائلة مبارك. ارتحل الخوري صالح المذكور من كسروان إلى قرية رشميا سنة ١٧٠٠م، ويقال إنّ الخوري عبدالله من هذه الأسرة كان مع الأمير حيدر الشهابي الوالي في وقعة عندارا سنة ١٧١١م،

وقبض على أميرين من اليمنية فأقطعهم الأمير حيدر قرية رشميا ورفع عنها المال الأميري، وتعاقب الكهنة من هذه الأسرة واحدهم الخوري عبدالله ولد غندور، وغندور ولد الشيخ سعد، وسعد ولد الشيخ غندور اللذين نكتب ترجمتهما. فلما تولّى الأمير يوسف الشهابي سنة ١٧٧١م اتخذ الشيخ سعداً ابن غندور مديراً له فأحرز ثقته وعظم اعتباره لدى الأمير المذكور ولدى ملته المارونية بل لدى الكرسي الرسولي كما سيأتي.

في تلك السنة اجتمع المشايخ آل حمادة ودهموا الأمير بشير حيدر الشهابي في العاقورة وهو يجبي الأموال الأميرية وعاونوه عليهم شيخا بشري واهدن وغيرهما من أهل البلاد، ولما علم الأمير يوسف بذلك أرسل مديّره الشيخ سعد بعسكر من قبل الجزار ومن رجال البلاد فأدرك الشيخ سعد المتأولة بقرية دير بعشتار فأغار عليهم وحاربهم من الظهر إلى المساء، فظفر بهم وفترّ الباقون مدحورين فتتبعهم الشيخ سعد إلى القلمون وأهلك منهم نحو مائة رجل، وقبض على الشيخ أبي النصر حمادة. وفي سنة ١٧٨٣م رهن الأمير يوسف عند الجزار مديّره الشيخ سعد الخوري وأحضر ابنه الشيخ غندور سنة ١٧٨٤م وجعله مديراً له عوضاً عن أبيه. وسار الجزار إلى الحج فأخذ الشيخ سعد معه إلى دمشق فاعتراه مرض ولما عاد الجزار من الحج سأله أن يرخص له بالعود إلى بلاده لمرضه فرخص له فحضر الشيخ سعد إلى جبيل ثم إلى زوق مصبح طلباً للتداوي عند جبور الجلدي الحلبي الماروني جدّ عائلة طبيب، فلم ينجع به العلاج فعاد إلى جبيل وتوفي بعيد ذلك سنة ١٧٨٥م وعمره ثلاث وستون سنة وقد رثاه المعلم الياس آده بأبيات مطلعها:

فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرّ وقد قرحت بالدمع منا المحاجر
والمصرع الأول في هذا البيت ختم به رثاءه وجعله تاريخاً لوفاته لكن مجموع حروف هذا المصرع بحساب الجمل سنة ١٧٨٦م.

وكان الشيخ سعد علماً للملة المارونية وعضداً لها وكان في أيامه ابعاد البطريرك يوسف اسطفان إلى الكرمل بأمر البابا بيوس السادس بسبب الراهبة هندية، ورفع الشيخ سعد عرائض إلى الحبر الروماني وبعض كرادلة الكنيسة الرومانية مؤرخة في ١٥ آذار سنة ١٧٨٤م ملتصقاً لإرجاع البطريرك إلى كرسيه مبرئاً ساحته مما قذف به، وأوعز إلى أساقفة الملة ورؤساء الرهبانيات والمشايخ فاقتدوا به، وأرسل

الشيخ سعد الخوري يوسف التيان تلميذ مدرسة الموارنة برومة إلى البابا وأصبحه برسالتين من الأمير يوسف حاكم البلاد إحداهما إلى الحبر الروماني والثانية إلى مجمع نشر الإيمان مبرئاً البطريرك مما طعن عليه ومترجياً عوده إلى مقامه. وترى صور هذه الرسائل مأخوذة عن السجلات البطريركية في كتاب سلسلة بطاركة الموارنة الذي طبعه المعلم رشيد الشرتوني في سنة ١٩٠١م. وكتب أيضاً الشيخ سعد رسائل أخرى بهذا الصدد إلى الكردينال رئيس المجمع المقدس وإلى المنسيور بورجيا كاتب المجمع وإلى الكردينال ديرنس وغيرهم. وترى نسخ هذه الرسائل في الكتاب المذكور مع صورة جواب البابا بيوس السادس للشيخ سعد الخوري حيث يفتتحه بقوله: «إلى الإبن الحبيب والرجل الشريف الحبيب السلام والبركة الرسولية» حيث أفاض الكلام معه بما أخذ فيه على البطريرك، وأنه لما كان أقرّ بغلظه وعرف سوء تصرفه أمر البابا بعوده إلى مقامه خاصة حباً بالطائفة المارونية لتشبهها الدائم بعرى الإيمان الكاثوليكي. وتاريخ هذا الجواب ٢٨ أيلول سنة ١٧٨٤م. ولما توفي الشيخ سعد وبلغ خبر وفاته إلى رومة كتب الكردينال أنطونلي رئيس مجمع نشر الإيمان المقدس رسالة إلى البطريرك يوسف اسطفان يعزيه وطائفته فيها بهذه الخسارة العظيمة ويبين أمانيه بأن ابنه الشيخ غندور يخلفه بوجهته وغيرته. وترى صورة هذا الجواب في الكتاب المذكور أيضاً. أما الشيخ غندور بن سعد فلم يكن أقل ذكاءً وغيره ووجاهة من أبيه وكان الأمير يوسف اتّخذ مدبراً له منذ رهن أباه عند الجزار كما مرّ، وقد أحسن الخدمة وتناهى بالاخلاص لمخدومه وجدّ في السعي لراحة مواطنيه ونجاحهم، وقد أرسل البطريرك يوسف اسطفان بطريرك الموارنة يومئذ الخوري أنطون القياالي البيروتي إلى باريس سائلاً الملك لويس السادس عشر أن ينعم بقنصلية فرنسة على الشيخ غندور فتكرّم الملك عليه بها سنة ١٧٨٧م فكان قنصلاً لفرنسة ومدبراً لحكومة جبل لبنان. ويظهر أنّ الأمير يوسف كان قد كتب إلى ملك فرنسة يسأله أن ينعم على الشيخ غندور بالقنصلية وأن يواصل حمايته للموارنة كما يظهر من براءة الملك بإيلاء الشيخ غندور هذا المنصب المحفوظة في خزائن البطريركية وترى نسخة منها في كتاب المعلم رشيد المار ذكره في خزائن البطريركية أيضاً صورة رسالة كتبها الأميرال دي كاستريس الفرنسي إلى الأمير يوسف جواباً عن عريضة للملك بها بيّن له سرور الملك برسالته ودوام حمايته للموارنة وترى صورة هذا الجواب أيضاً في كتاب المعلم رشيد المذكور.

وللشيخ غندور أيادي جزيلة على أهل لبنان ولاسيما أبناء ملته المارونية وفي جملة مساعيه النافعة لهذه الملة إغراؤه البطريرك يوسف اسطفان على تحويل دير عين ورقة الذي كان أقرباؤه قد أنشأوه لسكنى راهبات مدرسة إكليريكية عامة للموارنة. وفي خزان أوراق البطريركية المارونية رسالتان أنفذهما الشيخ غندور إلى البطريرك يوسف اسطفان يرجوه ويحثه فيهما على جعل هذا الدير مدرسة للموارنة. ويظهر أنّ البطريرك تردّد في الإجابة عندما وردت عليه الرسالة الأولى فأنثنى الشيخ غندور مبيناً له لزوم هذا الأمر ومنافعه الجمة وسهولة وضعه بالعمل لأنّ الدير خاص بعائلته. ومن جملة ما قاله في هذه الرسالة الثانية بحروفه: «ما هي الإفادة إذا راحوا ثمان راهبات من عين ورقة إلى السماء وكان إكليريوس ينوف عن ثلاثة آلاف لا يحسنون قراءة الإنجيل». فقع البطريرك وأقع أقرباءه ودوّن صكاً مؤرخاً في ١٤ كانون الثاني سنة ١٧٨٩م بتحويل هذا الدير إلى مدرسة وترى صورة رسالتي الشيخ غندور هاتين بحروفهما في كتاب سلسلة بطاركة الموارنة المذكور على أنّ صكّ تحويل دير عين ورقة مدرسة الذي ذكر في الكتاب المذكور ليس هو الصك الذي دوّن بذلك متضمناً قانون المدرسة ونظامها إلى غير ذلك ولما عقد البطريرك يوسف اسطفان بأمر البابا بيوس السادس مجمع عين شقيق سنة ١٧٨٧م كان الشيخ غندور حاضراً به لأنّ الحبر الأعظم كان قد أمر أن يحضره سعد الخوري والده ويكون مساعداً على تنفيذ الأوامر الرسولية. ولما كان سعد قد توفي فأقيم ابنه مقامه وكتب الشيخ غندور إلى مشايخ الموارنة أن يشخصوا إلى هذا المجمع بحسب أمر البابا ودعوة البطريرك فلبى أكثرهم الدعوة ورفعوا إلى الشيخ غندور كتاباً يسألونه به أن تكون له العناية بأن يأمر هذا المجمع بإقامة المطارين عند السيّد البطريرك في قنوبين وبكركي ويمضون وقتاً بعد وقت لزيارة أبرشياتهم وسندوا ذلك إلى جملة اعتبارات فأمر هذا المجمع بذلك ولكن لم يحسن لدى الكرسي الرسولي أن يجيبهم إلى طلبهم بل أثر أن يقيم كل أسقف في أبرشيته كما رسم بالمجمع اللبناني. وسنأتي على ذكر هذا المجمع.

وقد سعى الشيخ غندور بطبع المجمع اللبناني فطبع الطبعة الأولى في دير القديس يوحنا بالشويرة، وقد ولاه الأمير يوسف على مجدل معوش ووادي الست وبحمدون وعين تراز مدة، ولما ردّ الجزار الأمير يوسف الشهابي إلى ولاية لبنان سنة ١٧٩٠م رهن عنده ولده الأمير حسين ومدّبره الشيخ غندور ولم يلبث الجزار

أن أعاد الأمير بشير قاسم إلى الولاية فأخذ يشكو من أن دسائس الأمير يوسف تمنعه من إجراء الأحكام وجباية المال فأمر الجزار بشنق الأمير يوسف الذي كان باقياً في عكا وشنق مدبره الشيخ غندور كما مرّ. وقيل إن الشيخ غندور لم يشنق بل مات خوفاً فكذا يزول مجد العالم.

عد ٧٧

المشايع آل الظاهر

أنبأنا العلامة البطريرك الدويهي أن أصل هذه الأسرة من بيت الرز الذين كان منهم ثلاثة بطاركة وأنهم عندما دكت أهل إهدن منازل من اتبع اليعاقبة في بقوفا هاجر بيت الرز إلى كفرحورا بالزاوية في القرن السادس عشر وهم متشبثون بالإيمان القويم وما زال اعقابهم إلى اليوم حكماً على زاوية رشتين يقومون بمعاوضة الكرسي البطريركي بكل جهدهم كما يفعل الآن الشيخ أبو شديد ضاهر خليفة الشدياق أنطونيوس بن الرز . انتهى كلام الدويهي . وفي القرن الثامن عشر استمرّوا حكماً للزاوية كان يوليهم عليها والي طرابلس أو ولاية لبنان . وفي سنة ١٧٥٠م كتب لهم الأمير ملحم الشهابي الأخ العزيز كباقي مشايخ لبنان الكبار، وكان منهم الشيخ كنعان الظاهر وكان مشهوراً بشجاعته وإقدامه ونخوته . ويروون عن فراسته روايات غريبة وكانت بينه وبين بعض الطرابلسيين محاسبة وخصام فشكوه سنة ١٧٤١م إلى عبد الرحمان باشا والي طرابلس فقبض عليه وألقاه في السجن وعرض عليه أن يسلم فأبى وأكثر له من الوعد إذا طاعه ومن الوعيد إذا خالفه فاستمرّ مجاهراً بإيمانه لا يحيله عنه حائل وتيقن أن الباشا مصمم على قتله فاحتال حتى اجتمع بالخوري ميخائيل من إهدن فاعترف عنده اعترافاً عاماً ويسر له الله أن يناوله القربان المقدس زاداً أخيراً وبعد ذلك أمر الباشا بقطع رأسه عند باب التبانى فنفذ الأمر والتقليد الذي ينقله الشيوخ أن الله صنع آيات كثيرة إلى من زاروا مدفنه وأن بعض النصارى قطعوا يده بعد مقتله ووضعوها في كنيسة العذراء المعروفة بسيدة الحارة في طرابلس فأجرى الله آيات لمن تبرّكوا بها ولا نعلم أهو كنعان ضاهر الوارد اسمه في جملة أعيان الموارنة الذين شهدوا المجمع اللبناني أم غيره . ويترجح عندنا أنه هو وإن صحّ أن مقتله كان سنة ١٧٤١م . واستمرّ آل الظاهر على إقطاعهم الزاوية

يولي الأمراء الحاكمون واحداً منهم عليه إلى أن ألغى نظام لبنان الاقطاعات سنة ١٨٦١م.

عد ٧٨

المشايع آل الدحداح

إن هؤلاء المشايخ ينتسبون إلى جرجس الدحداح من العاقورة، وفي مبادئ هذا القرن الثامن عشر كان أحدهم الشيخ يوسف ابن الخوري جرجس ضليعاً في اللغة التركية حسن الخط بها وباللغة العربية، فاستخدمه الأمير حسين الحرفوش، ثم انتقل إلى خدمة الشيخ اسماعيل حمادة فوهبه بعض عقارات في عمل الفتوح فارتحل نحو سنة ١٧٠٥م إلى الكفور بالفتوح ثم إلى عرمون بكسروان. وتوفي يوسف المذكور سنة ١٧١٢م وكان ابنه موسى قد استخدمه الأمير منصور شهاب سنة ١٧٦١م، وبقي أخواه سليمان ومنصور يخدمان أولاد الشيخ اسماعيل حمادة المذكور كأبيهما، وعلم موسى ابنه نصيفاً وسلوماً اللغة التركية وأجاد نصيف الخط والانشاء. وفي سنة ١٧٦٣م اتفق موسى وأخوه منصور مع الشيخ سعد الخوري على طلب ولاية بلاد جبيل للأمير يوسف الشهابي وبذلاً ما بوسعهما من هذا القبيل. ولما نجح هذا المسعى وتولى الأمير يوسف بلاد جبيل والبترون استخدم الأمير يوسف ابني أخيهما سليمان وهما يوسف ونادر مع كتبة ديوانه وجعل ناصيف بن موسى جايلاً للمال الأميري، واستحضر أخاه سلوماً من خدمة زوجة الأمير مراد منصور شهاب وعينه بخدمته. وفي سنة ١٧٧١م جعل الأمير يوسف عمل الفتوح عهداً لبني الدحداح ولما أرسل أخاه الأمير حيدرأ عاملاً على بلاد جبيل أرسل معه بعض المشايخ الدحداح، ولما حاصره أخوه الأمير سيد أحمد في قلعة جبيل نجده المشايخ برجال الفتوح فأنعم عليهم الأمير يوسف ببعض عقارات في ساحل بلاد جبيل. وفي سنة ١٧٨٠م توفي الشيخ منصور بن يوسف الدحداح بعرمون فأبقى الأمير يوسف ابنه يوحنا معزراً كأبيه. ولما تولى الأمير بشير الكبير البلاد سنة ١٧٩٠م وانهزم الأمير يوسف إلى نواحي دمشق كان مع الأمير يوسف بعض المشايخ الدحداح، ولما نزل إلى عكا وحبسها الجزار وحبس من كان معه من الدحداح وهم سلوم ويوسف وإبراهيم فطلبهم الأمير بشير من الجزار وحبسهم في دير القمر، وطلب أحدهم

نصيلاً من أخيه الأمير حسن فانهزم بعياله إلى الضنية. ولما تولى الأمير حيدر والأمير قعدان سنة ١٧٩٢م أخرجوا المشايخ الدحادحة من السجن ثم تولى أولاد الأمير يوسف فاستعملوا المشايخ المذكورين في الكتابة لهم. ثم تولى الأمير بشير الكبير سنة ١٧٩٥م ففرّ الشيخ سلوم الدحادح باخوته مع أولاد الأمير يوسف إلى جبيل فكتب إليه الأمير بشير يهدده بأنه إذا لم يرجع باخوته من جبيل إلى خدمته يأمر بهدم مساكنهم بعرامون وبقطع أشجارهم. فرجع الشيخ سلوم إلى خدمة الأمير بشير واخوته إلى خدمة أخيه الأمير حسن. ولما تغلب أولاد الأمير يوسف على الأمير بشير سنة ١٧٩٩م وانهزم الأمير بشير وأخوه الأمير حسن إلى الحصن صاحبهما من آل الدحادح سلوم ويوسف وإبراهيم ومنصور ابن سلوم ثم توجه الأمير بشير إلى مصر لمقابلة الصدر الأعظم بواسطة الأميرال سميث الانكليزي فصحبه الشيخ سلوم وبقي يوسف وإبراهيم ومنصور ابن سلوم مع الأمير حسن في الحصن، وبقي بعض آل دحادح في خدمة الأمراء الشهابيين في القرن التاسع عشر كما سترى في تاريخه.

عد ٧٩

مشايخ جبة بشري وطردهم المتأولة منها

قد مرّ ذكر كثيرين من حكام جبة بشري في القرون السابقة كالشدياق خاطر الحصري ومقدمي بشري والشيخ أبو كرم الحدثي وأبو جبرائيل يوسف وأبو كرم بشاره جدّ آل كرم من إهدن وغرضنا الآن الكلام على من كان من مشايخ هذا العمل في القرن الثامن عشر. قد رأيت في ما مرّ أنّ المشايخ آل حمادة المتأولة تولوا مرات بلاد جبيل والبترون وجبة بشري وعزلوا أو طردوا من هذه الولاية، إلا أنّه في أواخر القرن السابع عشر أي سنة ١٦٩١م قرّر محمّد باشا والي طرابلس المشايخ الحمادية على إقطاعاتهم فتولى الشيخ حسين بن سرحال على بلاد البترون وابنه الشيخ اسماعيل على الكورة، والحاج موسى بن أحمد حمادة على الجبة، وأولاد حسن ديب على الضنية. ولكن في سنة ١٦٩٢م غيّر والي طرابلس من كان سالفه قد ولاهم فنصب في بلاد جبيل حسين آغا بن الحسامي، وفي بلاد البترون المقدم

قيدييه ابن الشاعر، وفي الزاوية والجبة الشيخ ميخائيل بن نحلوس من إهدن ابن
أخت كرم أبي بشاره وهو من قيل عنه في الأغاني الشعبية:

يحرص دينك يا نحلوس حميت الضيعة بالدبوس
جامع رشعين هديته وفي زغرتا دقيت ناقوس

إلى أن اغتال رجل متوالي اسمه ابن الشقراني الشيخ المذكور في الضنية
وعادت الولاية على الجبة إلى بيت أحمد حمادة، فكانت فتنة بينهم وبين الشيخ
عبد السلام ابن الشيخ اسماعيل حمادة فهزمهم عبد السلام إلى الهرمل سنة
١٧٠٣م، وأقام في الجبة نحو أربعين يوماً، وحضر إليه بعض وجوها خيفة من
شره وفرّ بعضهم، وفرض ضريبة على قرى الجبة ومن لم يدفع ما أصابه منها أخذ
رجال طاسات النساء وسلاح الرجال والمؤن. وكتب إلى طرابلس يلتمس الولاية
على الجبة فلم يعطها حينئذ. وفي سنة ١٧١٥م حكم جبة بشري أولاد أبي
محمّد عيسى وأولاد عثمهم حسين المشطوب مشتركين ثم قسموا البلاد مناصفة
فأخذ حسين من أبي محمّد عيسى بشري وقنوين وقيطو وبزعون، وأسد ابن
أخيه موسى أخذ حصرون وكفرصغاب وبلوزا وتولا وكرمسي وراسكيفا، وأخذ
أولاد حسين المشطوب النصف الآخر وكانوا ثلاثة وهم أبو ناصيف وأبو حسين
وأبو قاسم فأخذ أبو ناصيف إهدن وحدها، وأبو حسين صالح أخذ عين طورين
ومزرعة التفاح وبنشعي وقنات وبرحليون وحماطورا وكفرصارون وبيت زعيتر في
بان، وأخذ أخوهما أبو قاسم دير قزحيا وحديث وبقاعكفرا، وكان في
حكومتهم شيء من العدل والإستقامة واقتنوا أملاكاً سموها بكالك بكالين مزيارا وسبعل
وسرعل ووطا الرامات وكفرفو وبان وحقا وثلاث سرعل ودير نهرا والحدث وطردا
وبقرقاشا ونيجا وبنهران ومترت. على أن أولاد هؤلاء المشايخ لم يسلخوا مسلك
آبائهم بل عكفوا على السلب والنهب والجور حتى القتل. ومن سنة ١٧٥٠ إلى
سنة ١٧٥٩م سلبوا راحة الأهلين ونكدوا عيشهم وقتلوا كثيرين. وكان حينئذ من
مشايخ القرى المشهورين الشيخ جرجس بولس من إهدن والشيخ عيسى الخوري
والشيخ حنا ضاهر كيروز من بشري والشيخ أبو سليمان عواد من حصرون
والشيخ أبو يوسف الياس من كفرصغاب والشيخ أبو خطار من عين طورين

والشيخ أبو ضاهر من حدشيت. فائتمر المشايخ المتاولة على قتلهم فقتلوا منهم الشيخ أبا ضاهر من حدشيت واغتالوا كثيرين من وجوه الأهلين، وحملتهم الجسارة على أن يرسلوا ليقبضوا على المطران يواكيم يمين من إهدن فلم يكن أهل الجبة ليطبقوا هذا الجور ولا ليتحملوا هذا الذل والعار فالتقى أهل إهدن رجال المتاولة الآتين للقبض على المطران، وأوقدوا عليهم النار وأشغلوا بهم السيوف وطردوهم وتتبّعوا أثرهم إلى درج قنوين وخيّم الظلام بينهم. وفي النهار التالي غصّت إهدن بالآتين إليها من باقي القرى وقُدس المطران يواكيم بكنييسة القديس جرجس بإهدن وحلف جميعهم بيمين الأمانة وعدم الخيانة، وقبضوا على رجل متوالي واشتركوا في قتله جميعاً، وجعلوا مشايخ القرى المار ذكرهم مشايخ لهم وحكاماً عليهم مكان المشايخ المتاولة، وأبقوا قسمة قرى البلاد كما كانت في أيّام المتاولة. ونزل هؤلاء المشايخ إلى طرابلس وكان واليها حينئذ عثمان باشا الكرجي فالتزموا أي استأجروا منه قرى بلادهم ودفعوا المال المرتب عليها وكان ذلك سنة ١٧٥٩م.

وأقام هؤلاء المشايخ ثلاثة بكباشية من البلاد وهم بشاره كرم من إهدن وأبو ضاهر الفرز من بشري وأبو الياس العفريت من حصرون وعيّنوا رجالاً من البلاد للمحافظة، وكان عثمان باشا والي طرابلس يشجّعهم ويمدّهم بالمساعدات لكثرة ما كان المتاولة يقدمون عليه من التعديات في الزاوية وحدود طرابلس، وكان المشايخ يلتزمون قراهم منه ولذلك كانوا يسمونهم ملتزمي جبة بشري. وسنة ١٧٦١م هاجم المتاولة قرية بشري آتين من بعلبك إذ كان بعض المشايخ والأهلين في الساحل فدخلوها وقتلوا منها أبا ضاهر الفرز البكباشي، وجبور أصيلة، وأبا أنطونيوس سكر، وأبا رزق جعجع، وجبور رحمة ونهبوا القرية ثم رجع المتاولة ثانية من بلاد بعلبك وبلاد جبيل بنحو ألفي رجل فالتقاهم مشايخ الجبة في أرض بشري وانتشب القتال بين الفريقين نحو ثماني ساعات ودارت الدوائر على المتاولة فانزعروا وقتل منهم اثنا عشر قتيلاً. وفي سنة ١٧٦٣م سيّر عليهم والي طرابلس محمّد باشا ابن عثمان باشا المذكور عسكرياً إلى جبة المنيطرة وقسمه إلى قسمين: أرسل فريقاً على طريق الجبل وكان معهم بشاره كرم البكباشي المذكور ورجاله، وفريقاً على طريق الساحل وكان معهم الشيخ ضاهر حاكم الزاوية ويوسف الشمر من كفرحاتا، فعسكر الجبل شتت المتاولة فهرب بعضهم إلى ناحية بعلبك وفرّ بعضهم في وادي

الميحال نحو الساحل فالتقاهم العسكر الآتي من الساحل فنكّل بهم وأحرق مزارعهم التي كانت بساحل جبيل، ولكن بينما كان بشاره كرم عائداً مع رجاله تحت المغيرة كمن له بعض المتأولة فقتلوه وستة من رجاله.

وفي سنة ١٧٦٤م توجه مشايخ الجبة إلى الأمير منصور الشهابي فولاهم على بلادهم وأمدّهم أيضاً بمحافظين لردع المتأولة عن التعدي فلم يكن ذلك كافياً لكتبهم عن إقلاق أهل البلاد إلى أن كان ما ذكرناه في عدد ١٠٤٢م من أن المشايخ الحمادية دهموا الأمير بشير حيدر نائب الأمير يوسف الشهابي في بلاد جبيل وهو في العاقورة ومعه شيخا بشري واهدن فقاتلهم وظهر عليهم وأبعدهم عن العاقورة، ثم حضر لنجدته رجال الجبة وبلغ الخبر الأمير يوسف فوجه مديره الشيخ سعد الخوري بعسكر فأدركهم الشيخ سعد في دير بعشتار وأثنى فيهم وظلّ يطردهم إلى القلمون وكان ذلك سنة ١٧٧٧م. وعلى هذا النحو استمرّ مشايخ الجبة المذكورون يحكمون بلادهم أي بيت كرم في إهدن وما يليها، وبيت حنا ضاهر وبيت عيسى الخوري في بشري وما يليها، وبيت أبي سليمان عواد في حصرون وما يليها، وبيت أبي يوسف الياس بكفر صغاب وما يليها، وبيت أبي خطّار بعنطورين وما يليها، كما كانت القسمة في أيام المتأولة إلّا بعض تغيرات. وكان حكام البلاد يولون من اختاروه من كل من هذه البيوت على إقطاعاتهم إلى أن ألغيت الإقطاعات بحكم نظام لبنان سنة ١٨٦١م ووضع المشايخ يدهم على بكاليك المتأولة واستمرّوا على ذلك إلى أن صالح المشايخ أهل القرى البكاليك على حقوقهم بها أو باعوه هذه الحقوق. انتهى عن كتاب تاريخ لأحد هؤلاء المشايخ أنطونيوس أبي خطّار واعتماداً على التقليد المحفوظ في هذه البلاد.

عد ٨٠

المشايخ أبناء اده وغيرهم

أصل هذه الأسرة من ادة إحدى قرى بلاد جبيل وأوّل من عرفناه من وجوها هو الشيخ يوسف اده خدام الأمراء آل معن في آخر مدّتهم ثم انتقل إلى خدمة الأمراء الشهابيين فنال حظوة لديهم ودعوه شيخاً وكان متزوجاً بامرأة من

أسرته. اسمها قمره ولها أخوان منصور وبطرس إذّه استدعاهما إليه وأدخلهما على الأمراء الشهابيين فسروا بذكائهما وحديثهما ورأوا فيهما ملامح النجابة والأمانة والفراسة واختصّوهما بخدمتهم واکرامهم، فخدم الشيخ منصور الأمير منصور الشهابي فأقامه على تدبير شؤونه وأملاكه، وجعل بطرس رئيس الشرط. ولما أفضت ولاية الجبل وبيروت إلى الأمير يوسف الشهابي في حياة عمّه الأمير منصور عظم أمر أبناء أدة وكان منصور معدوداً من أهل السيف والقلم، وأمّا أخوه بطرس فاشتهر بالسيف أكثر من اشتهاره بالقلم. ومن مساعيها الحسنة بناء كنيسة القديس جرجس في بيروت للموارة وكانت صغيرة فكبرها بنفقتها ونفقة مطران بيروت حينئذٍ وهو المطران يوسف فاضل، وقد كتب على مذبح هذه الكنيسة: قد تمّ بناء هذا الهيكل المبارك بسعي الشيخ منصور اده. والمعلوم أنه عاونه على ذلك أخوه الشيخ بطرس وابن أخته الشيخ الياس الآتي ذكره. ثمّ توفي الشيخ منصور ببيروت سنة ١٧٦٩م وقبره في جانب الكنيسة المذكورة مكتوب عليه: قد درج هنا الشهير ذكره والجليل قدره الشيخ منصور اده الجليل التقوى والعبادة الذي بعد أن تمّ سعي حياته البارة بعمل هذه الكنيسة وجميع أعمال البر محبوباً من الله والناس انتقل بغتة إلى مقر الراحة من هذا العالم بتحسّر، وبكاه جميع القبائل وذلك في اليوم الخامس في شهر شباط سنة ١٧٦٩م، وتوفي أخوه الشيخ بطرس ببيت شباب سنة ١٧٨٦م.

وولد ليوسف اده المذكور سنة ١٧٤١م ولد سماه الياس وبرع بالكتابة والإنشاء، ولما توفي أبوه سنة ١٧٦٦م خلفه في رتبته وكتب في ديوان الأمير يوسف ابن الأمير ملحم الشهابي إلى أن رآه أحد عمّال الجزار عند الأمير يوسف فعجب من حداقته وطلبه من الأمير يوسف فاستكتبه إلى سنة ١٧٨٦م، وغضب الجزار وقتل على ميخائيل وبطرس السكروج كاتبه ثمّ على يوسف مارون وقتله وعيّن مكانه لكتابه الياس اده فأقام في خدمته مدّة راضياً عنه، ثمّ سخط عليه وأرسل جنوداً استاقوه إليه من الكنيسة يريد قتله، على أنه تمكّن بفصاحته وحداقته أن يستعطفه إليه فرضي عنه وأهداه محبرة من فضة، لكن المعلم الياس ما برح واجساً منه خائفاً على نفسه. وبعد مدّة استأذنه بأن يحضر إلى بيروت ليأخذ عياله إلى عكا فأذن له بأن يغيب شهراً وكان ذلك سنة ١٧٨٧م فأخذ يفكر بوسيلة للنجاة من شرك هذا الظالم وعوّل على الفرار إلى حلب، فسار إليها واختبأ في

الدار الأسقفية لطائفته وأقام هناك عدّة سنين، فحنّ إلى وطنه وانتهر فرصة محاربة نابوليون بوناپارت لعكا فرجع إلى وطنه ووجد الجزائر ضبطت أملاكه في بيروت وفي جملتها أربعة دور عند باب الدركة، فتوجّه إلى الجبل إلى بيت الدين فأكرمه الأمير بشير الكبير الشهابي ولكنّه لم يأمن على نفسه هناك من سخط الجزائر، فتوطّن مدّة في جهات جبيل مستخفياً إلى وفاة الجزائر سنة ١٨٠٤م. وبعد وفاته استخدمه الأمير بشير المذكور لكنّه عاد إلى بيروت يسعى في استرجاع أملاكه وأملاك أقاربه التي ضبطها الجزائر فاسترجع الأملاك التي كانت في الجبل بعدالة الأمير بشير، وأقام حينئذ مدّة ببيروت إلى أن بلغه كتاب من مصطفى آغا متسلم طرابلس وكان من أصدقائه بأن الملك اسماعيل الكردي صاحب حمص وحماه يطلبه ليكون كاتباً عنده، فتوجّه إلى حمص فرحب به الملك اسماعيل وأعزه ورأسه على كتبه ديوانه وأقام هناك خمس سنين. وفي سنة ١٨١٠م كانت نفرة بين يوسف باشا كنج والي دمشق والأمير بشير كادت تفضي إلى الحرب بينهما فأرسل الملك اسماعيل المعلم الياس آده ليسعى بالسلم بينهما ويسوي الخلاف فنجح بدرايته وأزال الخلاف، فكتب الأمير بشير إلى الملك اسماعيل يشني على مسعاه ويطلب منه المعلم الياس ليكون في ديوانه، فأرسله الملك اسماعيل وأكرم مثواه الأمير بشير وأعزه. ولكن غلت مراجل الحسد في قلوب أعدائه ونظرائه فسعوا به لدى الأمير بشير فتغيّر عليه وأمره أن يسكن بعيداً هو وعياله مبقياً له جعلاً سنوياً، فسكن بعيداً قرير العين إلى أن توفي بها سنة ١٧٢٧م وعمره خمس وثمانون سنة، ودفن أمام الكنيسة ونقش على مدفنه تاريخ من نظم الشيخ ناصيف اليازجي الذي كان يتردد ويتخرّج عليه بأدب اللغة وهو:

حكم الاله بما ارتضى واختار للفردوس عبده
والحال قال مؤرخاً هذا رضى الياس آده

وكان الياس آده شاعراً وله كثير من النظم ولا يخلو نظمه من أغلاط نحوية وخلل في أوزانه الشعرية ويعذر بذلك لأنّه لم يتخرّج بمدرسة بل كان يهتدي إلى النظم بالفطرة السليمة والسليقة الطبيعية.

ومنه قصيدة يمدح بها المطران جبرائيل كنيدر مطران حلب الماروني مطلعها:

أمنذُرُ ملك قد جاء للبشر أم طالع السعد وافى داحض الكدر
أم ضوء صبح يلاشي ظلمة دهمت أم البشير أتى في أطيب الخبر
إلى أن قال:

خذها إليك وإن كانت مقصرة فشأن مثلك ينفي العيب بالْعذر
واستر فاني تركت الشعر من زمن لشاغلي عنه غشى مقلة الفكر
ولما بلغ خبر وفاة الجزار إلى الأمير بشير وهو بحضرته فاقترح عليه أبياتاً
بديهة في موته فقال:

وافى السرور وصحّ ترجيح الأمل بهلاك عالج لا يعادله مثل
عين المآثم والمظالم والردى شرّ العوالم إن تفكر أو عمل
إلى أن قال:

لله دُرّك يا منون لقد بدت منك الحياة وطاب حكمك واعتدل
فاز الأنام وارخوه بمقصدي هلك الشقي وإلى جهنّم قد رحل
ومن نظمه تاريخ لوفاة بطرس ثابت:

لا تحزنوا يا آل قوم عشيرتي إنّ البقاء في الدهر ماضٍ فائت
الموت حتمٌ للبرية شاملٌ كل ابن أنشئ لا محالة مائت
وكفى يقين حيث تاريخي روى إني على إيمان بطرس ثابت

وتاريخ لوفاة منصوره امرأة بطرس المذكور:

إنّ التقية بالشرى قد أدرجت وسعت لتلك الغاية المأثوره

طوبى لنفس ارخوها ببرها ولجت لجنة ربها منصوره
ومن نكتة أنه مات صديق اسمه ابراهيم وله أخ اسمه يحيى لم يكن يحبه
فقال:

مات ابراهيم خلي آه وأسفي عليه
ليته قد كان يحيى ورحمة الله عليه

وله غير ذلك كثير طالع ترجمة الأب لويس شيخو له في المشرق لسنته الثانية
صفحة ٦٩٣ وصفحة ٧٣٦.

وقد نصّر الخوري ميخائيل فاضل البيروتي الأمير ابن الأمير حيدر الشهابي سنة
١٧٥٤م ثم نصّر البطريك يوسف اسطفان الأمير قاسم عمر شهاب وعائلته سنة
١٧٦٨م في غزير وقبلهم في الطائفة المارونية، ونصّر بعده الخوري أنطون القياي
البيروتي من أولاد الأمير ملحّم الأمير قاسم والأمير سيّد أحمد والأمير حيدر وتبعهم
غيرهم من آل شهاب وآل بلع حتّى أصبح أكثر هؤلاء الأمراء المقيمين بلبنان في
آخر هذا القرن السابع عشر نصارى وموارنة، فلزم ذكرهم وحسبانهم من أعيان
الموارنة. وكان من هؤلاء الأعيان أيضاً سمعان البيطار وهو ابن يعقوب بن سمعان
البيطار الذي ارتحل من قرية جاج وسكن بكفيا ورزق هناك ثلاثة بنين توفي اثنان
منهم وبقي الثالث واسمه يعقوب، ولما انسلخت ولاية الخوازنة عن القاطع وسلمت
إلى الأمراء اللمعيين وكان يعقوب معزوزاً عند الشيخ أبي نوفل حصن الخازن رغب
إليه أن يقيم بقرية غوسطا، فقدم إليها من بكفيا وولد له فيها سمعان صاحب
الترجمة، وكان عاقلاً كريماً حسن الإدارة يعتمد عليه في مهام الحكومة، سلّمه
الأمير يوسف الشهابي عمل البترون وجعله شيخاً به، فاهتمّ بعمران هذه البلاد
ونجاح سكّانها وأظهر غيرة عظيمة على الأمور الدينية وأقنع الأمير يوسف حتّى ملك
الرهبانية اللبنانية أديار حوب وكفيفان وميفوق وأنطوش جبيل وأنعم على رهبان دير
الحقلة بمزرعة مستيتا ودير مار دوميط البوار وكنيسة القديسة صوفيا هناك وبنى
كنيسة القديس بندليمون بقرية بجدرفل وحسن بناء كنيسة بسبينا وساعد أهل
البترون على بناء كنيستهم. وتوفي في مدينة عكا سنة ١٧٩٤م ودفن في ساحة
كنيستها وخلفه ابنه يعقوب البيطار بمداركة واستقامته وحسن ديّانته وغيرته. وكان

في هذا القرن أيضاً من الأعيان جرجس باز وعبد الأحد باز مديران لأولاد الأمير يوسف شهاب، لكن رأينا أن نرجئ أخبارهما إلى تاريخ القرن التاسع عشر.

الفصل الثاني

بطاركة الموارنة في القرن الثامن عشر

عد ٨١

البطريك جبرائيل البلوزاوي

ولد هذا البطريك بيلوزا إحدى قرى جبة بشري واتخذ الطريقة الرهبانية ورقاه البطريك جرجس البسبعلي إلى أسقفية حلب سنة ١٦٦٣م خلفاً للأسقف يوسف البلوزاوي الذي كان قد رقي إلى هذه الأسقفية سنة ١٦٥٠م، كما مرّ وأنشأ سنة ١٦٧٣م دير طاميش في جنوبي نهر الكلب وكان يسكنه متى عاد من زيارة أبرشيته الحلبية، ثم أنشأ سنة ١٧٠٠م دير مار اشعيا في أرض برمانا وأسس فيه الرهبانية المعروفة الآن بالرهبانية الأنطونية أو رهبان مار اشعيا، ووضع لها قانوناً أثبتته أولاً البطريك اسطفانوس الدويهي ثم أثبتته الكرسي الرسولي سنة ١٧٤٠م وقلماً يختلف عن قانون الرهبان اللبنانيين، وبقي مديراً أبرشية حلب المارونية مدة إحدى وأربعين سنة، وأكثر من مقتني الأملاك لدير طاميش حتى صار من أعظم الأديار حينئذ. ولما توفي البطريك اسطفانوس الدويهي في ٣ أيار سنة ١٧٠٤م أجمع أساقفة الملة المارونية على انتخابه بطريكاً في ١١ أيار من السنة المذكورة وثبته البابا أكليمينضوس الحادي عشر على يد قاصده الأب إيليا الكرمللي الافرنسي، وبقي بعد أن صار بطريكاً، كما كان أسقفاً عائشاً العيشة الرهبانية ناسكاً متقشفاً، على أن أيام بطريكته لم تكن طويلة لأنه توفي لرحمة الله في ٣١ من تشرين الأول سنة ١٧٠٥م، ودفن أمام معبد القديسة مارينا بقنوين.

ولم نجد أنه رقى إلى الأسقفية إلا ابن أخيه القس صافي البلوزاوي على أبرشية حلب في شهر تموز سنة ١٧٠٤م وسماه ميخائيل، وكان يسكن في دير طاميش حيث سكن عمه وهو أسقف، ثم إن المطران ميخائيل هذا تنزل لعجزه عن تدبير هذه الأبرشية وخلفه فيها سنة ١٧٢٥م القس جبرائيل فرحات الشهير ودعي جرمانوس وستأتي ترجمته.

عد ٨٢

البطريك يعقوب عواد الحصري

هو ابن الخوري يوحنا عواد من حصرون درس العلوم بمدرسة الموارنة برومة فبرع فيها، ولما عاد إلى وطنه جعله البطريك أسطفانوس الدويهي كاتباً له لمهارته في تعاطي الأعمال البطريركية ولفصاحته في تدوين الرسائل وتخرجه في السياسة، قام بما عهد البطريك به إليه أحسن قيام، ولذلك رقا هذا البطريك إلى الأسقفية على مدينة طرابلس سنة ١٦٩٨م، ولما توفي البطريك جبرائيل البلوزاوي في ٣١ تشرين الأول سنة ١٧٠٥م اجتمع الأساقفة في ٥ تشرين الثاني من السنة المذكورة فانتخبوه بطريكاً وثبته البابا اكليمنضوس الحادي عشر على يد قاصده الأب فرديندوس الكرمللي سنة ١٧٠٦م. على أن سلامة سريرة هذا البطريك وقلة تحذره أوقعته في عداوة كثيرين، واستمال أعداؤه وحساده أكثر مطارين الملة ففقدوا مجعاً وحكموا عليه بالعزل خلافاً للقوانين، واستدعوه إلى مجمعهم، وتقدم مقدّم الأساقفة فعزاه من الحلل الحبرية وأقاموه في دير لويزه كسروان محظوراً عليه الخروج منه، وانتخبوا بطريكاً مكانه المطران يوسف مبارك وعرضوا للكرسي الرسولي طالبين تثبيته، فلم يشأ البابا اكليمنضوس الحادي عشر أن يثبته بل أرسل الأب لورنسيوس حافظ الأرض المقدسة ليفحص عن حقيقة ما كان، فأتى إلى كسروان وجمع الأساقفة والسيد يوسف مبارك الذي انتخبوه بطريكاً وأخذ ما لزم من التقارير وأرسلها إلى الكرسي الرسولي وأتى بالبطريك إلى صيدا وأقامه بدير الفرنسيسيين هناك.

وقد عهد البابا اكليمنضوس الحادي عشر بهذه المهمة إلى مجمع نشر الإيمان

المقدّس، فاجتمع آباء المجمع بمجلس عام في ٢٠ آذار سنة ١٧١٣م فأبرزوا الحكم الآتي تلخيصه: «قد نظر آباء هذا المجمع بالوشايات الموردة على البطريك يعقوب عواد الأنطاكي وتبصّروا بكل ما يتعلّق بذلك في عدّة مجالس فوجدوا شهادات الشهود المقدّمة على البطريك باطلة ولا التحام ولا نظام لها، ثمّ تدبّروا الفحص الذي أجراه الأب الأكرم لورنسيوس الفاحص الرسولي وأمعنوا النظر في تقارير الشهود الذين أدّوا شهاداتهم بحضرته، وطالعوا أيضاً العرائض المرفوعة إلى الأب الأقدس من مطارنة وأساقفة وغيرهم في جبل لبنان، وأصغوا إلى ما قرره السيّد المطران جرجس بنيمين الإهدني الموكل من قبل المذكورين، وبعد مراعاة كل ما وجب مراعاته والامعان المدقق في كل هذه الأمور حكموا بأنّ كل ما قذف به البطريك يعقوب المذكور لا ثبات له ولا اعتماد عليه، ولاسيّما أنّ المطارين ما أمهلوه المهلة اللازمة ليحامي عن نفسه كما يقتضي العدل والصواب، ولذلك برروا ساحته لأنّه لم يثبت عليه ذنب يستحقّ شرعاً شيئاً من التأديب، وحكموا أيضاً أنّ المطارين والأساقفة لم يكن لهم حق ولا سلطة أن يحطّوه ويخلعوه من مقامه البطريكي، وأثبتوا رأي الأب لورنسيوس الفاحص الرسولي، وأرجعوا البطريك إلى بطريركيته محافظةً على شأنه وكرامته، على أنّه لما كان تقرر أنّ البطريك تنزل عن بطريركيته في تلك الفترة حكموا أنّه لا بدّ من الفحص في مجلس آخر عن صحّة هذا التنزّل وحذراً من أن يتأثّر على الكرسي الرسولي أو على الإيمان الكاثوليكي، أمر آباء المجمع أن يكون الأقدم بين المطارين وكيلاً وناظراً على البطريكية، ولا يحقّ لأحد أن يدعو هذا الوكيل بطريكاً ولا هو يسوغ له أن يطمع بالبطريكية لتدبيره شؤونها في تلك المدة، وفرضوا على الجميع الصمت عن هذه الأمور، وأمروا كاتب المجمع أن يترجم حكمهم هذا إلى العربية ويشهره في لبنان وغيره وفي ٤ نيسان سنة ١٧١٣ عرض الكردينال يوسف ساكريني رئيس مجمع نشر الإيمان حكم الكرادلة على الأب الأقدس فأثبته وأمر أن يكون العمل بموجبه.

وفي اليوم الثامن من أيار سنة ١٧١٣م عقد آباء مجمع نشر الإيمان مجلساً آخر عامّاً بحثوا فيه عن صحّة تنزل البطريك بعد إمعان النظر في التقارير المقدّمة بهذا الشأن من كل جهة واعتبار ما يلزم اعتباره حكموا بتأييد البطريك وإرجاعه إلى مقامه وكرسيه، وأن تردّ عليه كل حقوقه وأبرشيته، وعزلوا الوكيل الذي كانوا قد أقاموه في ٢٠ آذار وعزلوا أيضاً كل دخيل وغاصب للبطريكية، وأعلنوا أن

تنزل البطريك باطل. وكان قد تنزل مزيّن الأولى لما أعادوه إلى البطريكية في ١٣ آب سنة ١٧١١م على شرط تنزله عنها، والثانية في ١٤ من الشهر المذكور في دير حريصا بحضرة الفاحص الرسولي، وأبطلوا أيضاً الانتخاب المدعى به لبطريك آخر والوكالة له ولاشوهما كأنهما لم يكونا، وأمروا جميع المطارنة والأساقفة وجميع الاكليروس والشعب الماروني أن يعرفوا السيّد البطريك يعقوب عواد وحده بطريكاً حقيقياً وشرعياً على الملة المارونية جمعاء، وأن يهتموا بأن يمثل الجميع هذا الحكم وكل من خالف قولاً أو فعلاً هذه المراسيم سقط بالتأديب الذي سنّته القوانين المقدّسة على مثل هؤلاء المخالفين والحل منه محفوظ إلى الحبر الأعظم والمجمع المقدّس. وفي ٩ من شهر أيار عرض هذا الحكم على الأب الأقدس اكليمنضوس الحادي عشر فأثبته وأمر أن يكون العمل بموجبه.

وكتب البابا اكليمنضوس الحادي عشر بأثر ذلك براءة إلى المطارنة والأساقفة والاكليروس والأمراء والشعب الماروني مؤرخة في ٢ تموز سنة ١٧١٣م وتراها مثبتة في ذيل المجمع اللبناني المطبوع حديثاً صفحة ٢٩. فالحبر الأعظم بهذه البراءة قرظ الموارنة على ثباتهم الدائم في الإيمان الكاثوليكي وطاعتهم المستمرة للكرسي الرسولي، وأعرب عن شدّة انعطافه إلى هذه الملة ومحبّته لها وعظمة استيائه ممّا حدث عندهم أخيراً بدسائس بعض أصحاب المآرب المقلقين من عزلهم بطريكهم، وأوضح أنّه وجّه عنايته الخبرية لتدارك هذا الأمر الخطير ووكّل إلى آباء مجمع نشر الإيمان التحري بهذا الأمر. وبعد الفحص عن الدعوى بكل دقة حكموا بأنّ عزل البطريك كان مخالفاً للعدل وباطلاً من كل جهة وكذلك حكموا بأنّ تفرغه عن البطريكية باطل، فلهذا برروا ساحته وأعادوه إلى حقوق بطريكيته وعزلوا كل دخيل أياً كان وأثبت هو هذه الأحكام بسلطانه الرسولي وقال إنّ بعد صدور الحكم وصل إلى رومة القس أندراوس اسكندر بن سمعان الماروني من قبل المطران يوسف الريفوني ويده عرائض ورسائل من البطريك فطالعتها آباء المجمع بتأنّ فحكموا أنّ لا ثبات لها ولا اعتماد عليها وإنّما يلزم الاعتماد على الحكم السابق (هذه الفقرة الأخيرة لم نجدّها في براءة البابا المثبتة ترجمتها في ذيل المجمع اللبناني لكننا وجدناها في نسخة أخرى).

ولما كانت هذه الدعوى قد انتهت الآن كان أملاً وطيداً بأنكم تسارعون إلى طاعة أمرنا والعمل بأحكام المجمع المقدّس وتعرفون أنّ البطريك يعقوب هو

بطيريككم الحقيقي والشرعي وتقدّمون له الطاعة والتكريم، ومن المؤكّد عندنا أنّ الطاعة التي أثبتموها بدلائل كثيرة من قديم الزمان إلى الآن دون سائر الملل الشرقية هي الآن أكثر لزوماً وضرورة لاقتلاع الزوان الذي زرعه عدو بينكم الخ.

ولما شهرت براءة البابا وحكم الجمع المقدّس على الملة المارونية أذعن الجميع لها ورجع البطريك يعقوب إلى كرسيه ومقامه، ولكن ما برح بعض الخلاف والانقسام بين أبناء الملة ورؤسائها، ولذلك نرى البابا اكليمنضوس الحادي عشر وجه رسالة أخرى إلى البطريك والأساقفة والأمراء والشعب مؤرخة في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٧٢١م يدعوهم بها إلى إزالة بواغث الخلاف والسعي وراء السلام وتأليف الخواطر، وأرسل إليهم بهذه الرسالة الأب جبرائيل حوّا الراهب الحلبي اللبناني الذي كان برومة ليلغهم بركته ورغائبه بأكثر تفصيل، وهذه الرسالة تجد ترجمتها مثبتة في ذيل الجمع اللبناني صفحة ٤٢.

وعاش البطريك يعقوب بعد ذلك مكرماً مهابةً دائماً على عمل المبرّات والقيام بأعباء البطيركية أحق قيام، وأناباً العلامة السمعاني في مقدّمة المجلّد الأوّل من مكتبته الشرقية أنّ هذا البطريك عاونه كثيراً على وجدان الكتب الشرقية التي أحضرها إلى المكتبة الواتيكانية لا من لبنان فقط وليس من عند الموارنة وحدهم بل من دمشق وحلب وحمص ومصر أيضاً من عند الطوائف الأجنبية.

وأما الذين رقاهم البطريك يعقوب عواد إلى درجة الأسقفية فقد أخذنا أسماءهم عن سجلّات بطيركيتنا فهم:

الأوّل الخوري صافي الجميل من بكفيا رقاها سنة ١٧٠٦م وسمي الياس وتوفي في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧١٦م في دير مار عبدا هرهريا ودفن به.

الثاني الخوري باسيليوس باسيل البجاني من بيت شباب رقاها سنة ١٧١٠م إلى كرسي طرابلس وتوفي في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٣٦م، وجاء اسمه في الجمع اللبناني وإن لم يحضره لعجزه، وناب عنه القس ميخائيل العزيزي الطرابلسي المسّى غرسيه.

الثالث جبرائيل مبارك الغوسطاوي رقاها أخوه المطران يوسف الريفوني عندما تغلّب على البطيركية سنة ١٧١٣م إلى كرسي صيدا وتوفي في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٧٣٣م في ريفون.

الرابع الخوري سمعان عواد ابن أخي البطريك يعقوب رقاہ عمہ سنة ١٧١٦م إلى كرسي دمشق وكان متسلماً أبرشية صيدا وهو من آباء المجمع اللبناني.

الخامس القس عبدالله قرأ إلى الحلبي رقاہ سنة ١٧١٦م إلى كرسي بيروت وكان من آباء المجمع المذكور وتوفي في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٤٢م في زوق مصبح ونقلت جثته إلى دير لويظة وكان مديراً لدير حراش ورتب القانون لراہبات هذا الدير، وفي سنة ١٧٢٧م دخل إليه ثمانی عشرة راہبة.

السادس الخوري الياس محاسب من غوسطا رقاہ في ١٤ أيلول سنة ١٧١٧م إلى كرسي عرقا ودبر دير مار شليطا مقبس، وكان يزور المثن والجرد وجبيل والبترون والفتوح وكان من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٧ آب سنة ١٧٤٨م في دير مار شليطا المذكور.

السابع القس جبرائيل حوّا رقاہ سنة ١٧٢٣م إلى كرسي قبرص وتوفي برومة سنة ١٧٥٢م.

الثامن القس جبرائيل فرحات الحلبي رقاہ في ٢٩ تموز سنة ١٧٢٥م إلى كرسي حلب وسكن فيها وسمي جرمانوس وتوفي في ٩ تموز سنة ١٧٣٣م وستأتي ترجمته.

التاسع الخوري فرح الجميل من بكفيا رقاہ سنة ١٧٢٦م إلى كرسي جبيل وسمي فيلبوس وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ١٧ تموز سنة ١٧٧٤م في دير شويّا.

العاشر الخوري يوسف صالح الدويهي ابن أخي البطريك اسطفانوس الدويهي رقاہ في ٢٠ تشرين الأوّل سنة ١٧٢٨م إلى كرسي البترون ودعي اسطفانيوس وجعله نائباً بطريكاً ودبّر أبرشية بعلبك ومات في دير ريفون.

الحادي عشر الخوري يوسف ضرغام الخازن ابن أبي قانصوه الخازن رقاہ سنة ١٧٢٨م إلى كرسي غوسطا ثم صار بطريكاً.

الثاني عشر الخوري اغناطيوس شرايية رقاہ في ٢ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢م إلى كرسي صور وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٩ تشرين الأوّل سنة ١٧٤٧م، ويظهر أنّه كان يسكن في دير مار الياس بلوني ودير لويظة حيث توفي.

الثالث عشر الخوري يوحنا اسطفان رقاہ في ١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢م إلى كرسي اللاذقية وتسلم أبرشية بيروت وكان من آباء الجمع اللبناني وتوفي سنة ١٧٧٩م في عين ورقة.

الرابع عشر القس جبرائيل عواد بن عيسى أخي البطريرك رقاہ في ٢٦ تشرين الأول سنة ١٧٣٢م إلى كرسي عكا وهو من آباء الجمع اللبناني وتوفي في ٢٥ آذار سنة ١٧٦٣م.

الخامس عشر الخوري ميخائيل البلوزاوي الثاني بهذا الاسم رقاہ في كانون الثاني سنة ١٧٣٣م إلى كرسي بانياس وهو من آباء الجمع اللبناني.

السادس عشر هو القس جبرائيل حوشب رقاہ إلى كرسي حلب في ١ كانون الثاني سنة ١٧٢٢م وحضر إلى الجمع اللبناني فلم يصل إلا بعد نهايته فوقع عليه وعاد إلى حلب سنة ١٧٣٧م.

السابع عشر القس طوبيا ابن الشيخ أبي كنعان قيس الخازن رقاہ في ١ كانون الثاني سنة ١٧٣٣م إلى كرسي نابلس وسمي تارة مطران طرابلس وتارة مطران قبرص وهو من آباء الجمع اللبناني موقعاً مطران قبرص، وتسلم الوكالة على الكرسي البطريركي ثم صار بطريركاً.

وقد توفي البطريرك يعقوب عواد في ٩ شباط سنة ١٧٣٣م ودفن في كنيسة مار شليطا مقبس.

عد ٨٣

البطريرك يوسف ضرغام الخازن

هو ضرغام بن أبي قانصوه فياض بن أبي نوفل نادر الخازن وقد تزوج أولاً وولد له ولد اسمه ميلان، ثم توفيت زوجته فصار كاهناً، ثم رقاہ البطريرك يعقوب عواد سنة ١٧٢٨م إلى أسقفية غوسطا. ولما توفي البطريرك يعقوب المذكور في ٩ شباط سنة ١٧٣٣م اجتمع الأساقفة في ٢٣ من الشهر والسنة المذكورين لانتخاب خلف له، فاختر ستة منهم: المطران عبد الله قرألي مطران بيروت، واختار ستة آخرون الياس محاسب مطران عرقا، واختار اثنان اسطفانوس

الدويهي مطران البترون، وطال الخلاف بينهم وكان المطران يوسف ضرغام الخازن يحرضهم على الاتفاق ويلومهم على الخلاف ويبين لهم العثار الذي سيكون من تعمدهم رغائب بشرية وعدم اتفاقهم بروح الرب على من يرون به أهلية لتمجيد الله ونفع طائفهم، فأتم رأيهم أخيراً على انتخابه فانتخبوه بطريركاً في ٢٤ شباط سنة ١٧٣٣م في دير ريفون وثبته البابا اكليمنضوس الثاني عشر سنة ١٧٣٤م على يد موفده القس عبدالله ابن الحاج عون من عجلتون. وفي أ أيامه سلمت مدرسة عينطورا ومدرسة زغرنا إلى الآباء اليسوعيين بشروط بينها الأب الرئيس العام لجمعية الآباء المذكورين بوثيقتين الأولى بشأن مدرسة عينطورا مؤرخة في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤م، والأخرى بشأن مدرسة زغرنا مؤرخة في ١٠ كانون الأول سنة ١٧٣٥م. وسيأتي ذكر هاتين المدرستين بأكثر تفصيل. وفي أ أيامه أيضاً عقد المجمع اللبناني الشهير الذي هو دستور الأمور الروحية في طائفتنا إلى اليوم وسنفرد فصلاً برأسه للكلام في هذا المجمع. وفي أ أيامه أيضاً وبعنايته جدّد لويس الخامس عشر ملك فرنسا الحماية للموارنة بموجب براءة مؤرخة في ١٢ نيسان سنة ١٧٣٧م، إقتداءً بأبيه لويس الرابع عشر الذي كان قد جدّد لهم هذه الحماية ببراعة مؤرخة في ٢٨ نيسان سنة ١٦٤٩م إعتماً على الحماية التي بذلتها فرنسا للموارنة بموجب براءة القديس لويس التاسع ملك فرنسا عند شخوصه إلى قبرص وسورية سنة ١٢٤٩م.

وأما الكهنة الذين رقاهم البطريرك يوسف ضرغام الخازن إلى الأسقفية فلا نعرف منهم إلا اسطفان عواد السمعاني الذي كان مع خاله السيّد يوسف سمعان السمعاني في المجمع اللبناني وكان رقيباً فيه فرقاها البطريرك بعد ذلك إلى أسقفية أباميا. وقد عثرنا في السجلات البطريركية على رسائل من هذا المطران إلى البطريرك المذكور مؤرخة بعد المجمع المذكور، ولم نعر في هذه السجلات على أسماء من رقاها هذا البطريرك للأسقفية كما عثرنا على أسماء من رقاها غيره. ويظهر أنه من سنة ١٧٣٣م التي ارتقى فيها إلى البطريركية إلى سنة ١٧٣٦م التي عقد فيها المجمع اللبناني لم يسقف أحداً لأن جميع الأساقفة الذين وقّعوا على المجمع اللبناني كان سالفه البطريرك يعقوب عواد قد سقّفهم إلا المطران جبرائيل أسقف صارية فقد كان البطريرك اسطفانوس الدويهي قد رقاها كما رأيت وأما هل رقى البطريرك يوسف ضرغام بعد المجمع اللبناني غير اسطفانوس عواد المار ذكره فلا

نعلم ولم نجد في السجلات البطيركية أنه رقى اسقفاً آخر كما وجدنا أسماء من رقاها أسلافه وخلفاؤه. والله أعلم.

وتوفي البطيريك يوسف ضرغام في ١٣ أيار سنة ١٧٤٢م في دير ريفون ودفن في كنيسة النبي الياس في غوسطا.

عد ٨٤

البطيريك سمعان عواد

هو ابن أخي البطيريك يعقوب عواد رقاها عمّه إلى أسقفية دمشق سنة ١٧١٦م كما مرّ، وبعد وفاة البطيريك يوسف ضرغام الخازن اجتمع الأساقفة في عين ورقة فانتخبوه بطيريكاً فأبى قبول الانتخاب زهداً وتورعاً، فانتخبوا المطران الياس محاسب الغسطاوي أسقف عرقا، وكان المطران طويبا الخازن غائباً فلم يقبل انتخاب المطران الياس المذكور بل اتفق مع المطران جبرائيل من طائفة السريان فرقيا إلى الأسقفية كاهنين من قسوس دير لوزة وهما القس عبدالله حبقوق الذي توفي في ٧ آب سنة ١٧٥٨م بكفر صغاب والقس جرمانوس صقر من حلب فانتخباه بطيريكاً في دير لوزة. وأظنّ أنّ بعض المطارين المجتمعين في عين ورقة كانوا قد انتخبوا المطران طويبا حتى ساغ له أن يدعي البطيركية وينازع المطران الياس عليها وقدم كلّ من المنتخبين أي المطران الياس والمطران طويبا العرائض للحبر الأعظم طالباً لإثباته في البطيركية ووجه كلّ منهما موقفاً إلى رومة لمحاماة دعواه مصحوباً ببيّنات وأدلة على صحّة دعواه وسقوط دعوى خصمه منشأة من رجال فقهاء، فعين البابا بناديكتوس الرابع عشر بعضاً من كرادلة مجمع نشر الإيمان المقدّس ليجتمعوا أمامه ويفحصوا حجج كلّ منهما ويسمعوا تقارير كلّ من موفديهما، فظهر للكرادلة أنّ الانتخابين باطلان ويلزم إعلان بطلانهما، وكان الحبر الروماني متردداً واجساً من المصاعب التي تكون من قبل الفريقين واستشار الكردينال فشنسيوس بترا رئيس مجمع نشر الإيمان الذي كان يثق بعلمه وسعة إطلاعه على القوانين البيعية فأشار بإبطال الانتخابين، واستشار أيضاً العلامة السمعاني الذي كان موقناً بعلمه واستقامته ومخبرته في بني ملته فأشار بإيضاح بطلان الانتخابين واختيار

المطران سمعان عواد الذي كان الأساقفة قد انتخبوه فأبى، فعول الحبر الأعظم على ذلك وكتب براءة مؤرخة في ١٦ آذار سنة ١٧٤٣م موجهة إلى الأساقفة أبطل بها انتخاب المطران الياس والمطران طويبا وأمر بأن يكون المطران سمعان عواد بطريركاً، وحتم على المطارنة والأساقفة والاكليروس والأعيان والشعب أن يخضعوا لسلطته ويمثلوا أوامره، وصرح بأن انتخابه هذا البطريرك لا يقصد به تبطيل حقوق أساقفة الموارنة على انتخاب بطريركهم في ما يأتي من الزمان بل جلّ المقصد لإزالة المنازعات وإرجاع الهدوء والسلامة. وكتب رسالة إلى البطريرك سمعان يعلمه بانتخابه ويأمره أن يباشر السلطان البطريركي على كل مخالف، وأرسل هذه الأوامر الرسولية إلى الأب يعقوب من لوكا أحد رؤساء رهبان القديس فرنسيس، وأمره أن يتوجه بها إلى لبنان بمنزلة قاصد رسولي ويشهرها على رؤساء الملة المارونية، وخوّل كل سلطة لازمة لتنفيذها. فتوجه القاصد المذكور من القدس إلى كسروان ودعا إليه المطارنة والأساقفة وعلية الاكليروس والأعيان إلى دير حريصا فنشر عليهم أوامر عظيم الأحبار فأذعن جميعهم دون مخالف للأوامر الحبرية بملاء الرضى والطاعة المخلصة، وأجابوا أجمعين بما قاله آباء المجمع الحلكيدوني أنّ بطرس تكلم بلسان خليفته بناديكتوس الرابع عشر وأقبل جميعهم ينحنون أمام البطريرك سمعان مهنين له ومبدين عواطف الطاعة والسرور.

ورفع حينئذ البطريرك والأساقفة عرائض الطاعة والامتنان لأمر الأب الأقدس وأصبحها الاكليروس والأعيان بعرائض الشكر والثناء لقداسته، وعرض القاصد المذكور للبابا ولجمع نشر الإيمان مبيناً باندھاش ما رآه من شعائر الطاعة للكرسي الرسولي عند الموارنة، فبلغت هذه العرائض إلى رومة سنة ١٧٤٤م وكان البطريرك قد وكل إلى المونسنيور يوسف السمعاني أن ينوب عنه بالتماس التثبيت له من الحبر الأعظم فجمع امام الأحبار الكرادلة ومقدمي البلاط الواتيكاني والرؤساء والأعيان في ٣ تموز سنة ١٨٤٤م ونطق بخطبة يحق للموارنة أن يدوّنوها بالتبر ويخلدوا ذكرها ولا تتمالك من أن نورد بعض فقراتها وإن كنا أسلفنا ذكر بعضها. قال ونعم العلامة القائل:

«لا شك في أنّكم تعلمون جيّداً أنّ الموارنة هم مسيحيون سريان يختصون بالبطريركية الأنطاكية لأنهم يسكنون سوريا وسواحل فينيقيا وجبالها وفلسطين وقبرص ومصر وغيرها من الأمصار الشرقية، والسواد الأعظم منهم يقطنون في

لبنان، ولا يفوت علمكم أيضاً أنّه لما فشّت في أواخر القرن السابع بدعة القائلين إنّ في المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحداً وأفسدت سكان البطريركية الأنطاكية للموارنة رغبة في أن يصونوا ملتهم ويوقوها ذلك الفساد عزموا علي أن ينتخبوا لهم بطريكاً يثبت من الحبر الروماني ويستمدّ منه درع الرياسة. ولما مرّت قرون وأخذ السراكية أنطاكية وطرّدوا منها اللاتينيين الكاثوليكين فرّ هؤلاء اللاتينيون إلى جبل لبنان وقبلهم بطريك الموارنة بالترحاب والمؤانسة والوداد، فكتب إليه البابا اسكندر الرابع يشكره لذلك ويدعوه البطريرك الأنطاكي. وما برح بطاركة الموارنة يعرفون بهذا الاسم مع أنّهم نصبوا كراسيهم ثابتة في جبل لبنان. وقد كان الموارنة كلّ حين كما هم الآن كاثوليكين كلّ الكتلّة مرتبطين بالاتحاد بالكرسي المقدّس باذلين الطاعة والاحترام التام للحبر الروماني ولبطريركهم، ولكن من حيث هم بشر فليس يعجب أن يحدث بينهم أو إن حدث نقص بشري في شأن بطريركهم وربما يتذكّر بعضكم ما جرى في أيّام سالفنا السعيد الذكر اكليمينضوس الحادي عشر من عزل البطريرك يعقوب وما التحق بذلك الحبر الجليل من الإهانة العائدة أيضاً إلى حقوق الكرسي الرسولي... ولما تأكّد البابا برارة ذلك البطريرك وبرأته حكم برجوعه إلى كرسيه الذي حطّ عنه ظلماً فقدم الموارنة حينئذٍ دليلاً حديثاً على حسن طاعتهم وخضوعهم للكرسي الرسولي.

ونحمد الله على أنّه لم يصدر منهم في أيّام حبريتنا عزل بطريك لكنّه حدث حادث كدّرنا كدراً عظيماً وهو أنّه في سنة ١٧٤٢م انتقل إلى رحمة الله يوسف بطرس الخازن البطريرك، وعندما اجتمع المطارنة والأساقفة كالعادة لينتخبوا خلفاً له انقسموا إلى قسمين، فاختر بعضهم الياس مطران عرقا وبعضهم طوييا مطران قبرص». وأردف البابا كلامه بإخبارهم عن عرائض المنتخبين له وأرسال كل منهما موفداً إليه واختياره بعض كرادلة مجمع نشر الإيمان للفحص عن ذلك بحضرته وحكمهم ببطلان الانتخابين واستصوابهم تعيين بطريك غير المنتخبين وتصويبه العمل برأيهم إقتداءً ببعض أسلافه في حوادث كهذه ذكرها لهم وإصداره الأوامر بذلك إلى أن قال: «فهذا ما لزم إيضاحه لكم قبل تلاوة رسالة البطريرك الذي اخترناه ورسائل المطارنة والأساقفة الموارنة فمنها تحيطون علماً بما قد جرى». فتقدّم المونسنيور يوسف السمعاني فرفع إلى قداسته الرسائل المذكورة فدفعها البابا إلى كاتب البراءات الرسولية وأمر فتليت أولاً باللغة العربية ثمّ تليت ترجمتها اللاتينية.

وحيثُ استأنف قداسته الكلام فقال: «أفهمتم أنّها الإخوة المحترمون أنّه انتهى بعون الله القادر على كل شيء أمر انتخاب بطريك بكل سلامة وعلى النحو الذي ألهمنا الله إليه ... والمطرانان الياس وطوبيا المنتخبان قبلاً إلى البطريركية حالما سمعا بانتخابنا البطريرك سمعان عواد أذعنا وقدّما على الفور الطاعة والخضوع له وبيننا بذلك عظم طاعتهما لهذا الكرسي الرسولي، فلا غرو أنّ المطارنة والأساقفة والطائفة المارونية جمعاء يستحقون الشاء الجزيل، ولذلك نُجملهم من صميم فؤادنا بتلك المدائح السامية التي قرظهم بها أسلافنا الأبحار الرومانيون فقد شبههم بيوس الرابع بالألوف الكثيرة العدد التي لم تحن ركبها لباعال ... وأثبت هذا القول اكليمنضوس الثامن وزاد عليه بأنّ الموارنة قدّموا دائماً وفي كل حين الطاعة للكنيسة الرومانية أم سائر الكنائس ومعلمتهم، وشبّههم البابا بولس الخامس بالورد بين الأشوك. وقال في حقّهم أوربانوس الثامن لم يذبل بهاء الكرمل ولم ينقص مجد لبنان لأنّ بطريك الموارنة وأساقفتهم وكهنتهم وشعبهم يحترمون سلطان القديس بطرس ويكرمونه بشخص الخبر الروماني». وختم البابا خطبته بمنح التثبيت للبطريك فانبرى العلامة السمعاني ففاه في ذلك المحفل بخطبة شكر لقداسته معداً نعم الآباء وأسلافه على الملة المارونية ولا تسأل عمّا حوته تلك الخطبة من المعاني السامية والعبارات البليغة والأساليب الشائقة.

ثمّ أخذ البطريرك سمعان يتفانى بحراثة كرم الرب متجرّاً بالوزنات الخمس رابحاً أضعافها بجهاده غير ضنين بتعب أو نصب في سبيل نفع شعبه واقتياده إلى المراعي الخلاصيّة وتنكبه عن الضلال والاثم، مكدّاً مجدداً بالوعظ والانذار والتعليم. ولمّا رأى أنّ مصلحة شعبه تقضي عليه بالاغتراب هاجر وطنه وكرسيه في دير قنوين وأقام بدير مشموشه في الطرف الجنوبي من لبنان، فأنشأ هذا الدير وسلّمه إلى الرهبان اللبنانيين وتوفي به في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦م. ولهذا البطريرك عدّة تأليف والذي نعرفه منها كتاب «النجاة» يشتمل على مواعظ بليغة مؤثرة، وكتاب في «اللاهوت الأدبي» ويتبعه كتاب في أسرار الكنيسة سمّاه «خزانة الأسرار»، وكتاب في «حلّ المشاكل الواردة في الأسفار المقدّسة»، وكتاب «عنوانه زيارة الأسقف الصالح» ضمّنه إرشادات للأساقفة في زيارتهم لرعاياهم.

وأما الذين رقاهم إلى الأسقفية فهم:

الأول الخوري ميخائيل الصائغ رقاہ في ٢٨ شباط سنة ١٧٤٦م إلى أسقفية دمشق وكان يدبر أبرشية بلاد جبيل والبترون.

الثاني الخوري أنطون محاسب من غوسطا رقاہ إلى أسقفية عرقا سنة ١٧٤٨م وكان يدبر دير مار شليطا وأبرشية جبيل والبترون والفتوح وتوفي في ١٣ أيلول سنة ١٧٨٠م في الدير المذكور.

الثالث القس يواصاف الدبسي من بسكتنا رقاہ سنة ١٧٤٨م إلى كرسي صور ويسمى مطران عكا وتوفي في ٢٦ حزيران سنة ١٧٦٠ في دير مار ساسين بسكتنا.

الرابع القس بطرس عطايا من رهبان مار اشعيا وأصله من ساحل علما رقاہ سنة ١٧٤٩م على أبرشية طرابلس عاش خمسة أشهر وتوفي في ١٥ شباط سنة ١٧٥٠م في زميرين ببلاد الخواي.

الخامس الخوري يوسف اسطفان من غوسطا رقاہ في شهر آب سنة ١٧٥٠م إلى أبرشية بيروت وهو الذي صار بطريركاً.

السادس القس يمين الحاج بطرس من ساقية المسك من رهبان مار اشعيا رقاہ سنة ١٧٥٢ على بانياس ودعي بطرس.

السابع الخوري يوسف ابن الشيخ أبي نصار ياغي حبش من ساحل علما رقاہ سنة ١٧٥٥م إلى أبرشية صيدا وتوفي في ٢ شباط سنة ١٧٧٠ في دير مار جرجس علما.

الثامن الخوري يواكيم يمين من إهدن رقاہ في ٢٤ تموز سنة ١٧٥٥م وتوفي في ٢٦ حزيران سنة ١٧٨١ بزغرتا ودفن في كنيستها.

التاسع القس ارسانيوس عبد الأحد رقاہ في ٦ أيلول سنة ١٧٥٥م على أبرشية دمشق ودير حراش وسمي مطران بعلبك وتوفي نحو سنة ١٧٨٨ في دير الرهبان برومة ودفن فيه.

العاشر القس طوييا الراهب اللبناني ابن طريه ابن الشدياق ابن المطران إسحاق الشدراوي رقاہ ليكون وكيلاً على الكرسي البطريركي ودعي إسحاق باسم جدّه

ولم نجد تاريخ سنة ترقيته ولكن عثرنا على أنّه توفي بطرابلس في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٧٥٣ .

الحادي عشر القس جبرائيل صقر من حلب من الرهبان اللبنانيين رقاہ إلى الأسقفية سنة ١٧٥٢ وتوفي في ٥ كانون الأول سنة ١٧٥٣ في دير حراش وعمره ثمانون سنة وهو أخو المطران جرمانوس الذي رقاہ المطران طوبيا الخازن والمطران جبرائيل السرياني إلى الأسقفية مع القس عبد الله حبقوق لزيادة عدد الأساقفة المحازيين للمطران طوبيا، وكان ذلك في ٢٠ أيار سنة ١٧٤٢. وتوفي المطران جرمانوس صقر في ١٨ أيلول سنة ١٧٦٨ وتوفي البطريرك سمعان بدير مشموشه في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦ .

عد ٨٥

البطريرك طوبيا الخازن

هو ابن أبي كنعان قيس الخازن رقاہ البطريرك يعقوب عواد إلى أسقفية نابلس سنة ١٧٣٣م ودعي مطران قبرص، وبعد وفاة البطريرك يوسف ضرغام الخازن انتخبه بعض الأساقفة للبطريركية، وانتخب باقيهم المطران الياس محاسب فأبطل البابا بنادكتوس الرابع عشر إنتخابهما كما مرّ. ولما توفي البطريرك سمعان عواد في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦م اجتمع الأساقفة في ٢٨ منه وانتخبوه بطريركاً في كنيسة القديس يوسف بعينطورا وثبته البابا بنادكتوس الرابع عشر في ٢٧ آذار سنة ١٧٥٧م على يد موفده المطران ارسانيوس عبد الأحد الحلبي مطران بعلبك المار ذكره وكان يقيم في كسروان ولاسيما في دير مار روحانا البقيعة، وقد أنشأ هذا البطريرك دير القديس أنطونيوس في بقعاتا. أمّا الذين رقاہم إلى الأسقفية فهم:

الأول القس ارسانيوس شكري الحلبي رقاہ إلى أسقفية حلب في ٢٦ آذار سنة ١٧٦٢م وتوفي في شهر أيلول سنة ١٧٨٦م في دير عين شقيق حين اجتماع مجمع هناك سيأتي ذكره ونقلت جثته إلى دير لوزة.

الثاني الخوري ميخائيل فاضل البيروتي رقاہ في ١١ حزيران سنة ١٧٦٢م إلى

أسقفية صور وجعله نائباً للكرسي البطريركي ثم سلّمت إليه أبرشية بيروت سنة ١٧٨١م.

الثالث القس عبدالله الطرابلسي رقاہ إلى أسقفية عرقا سنة ١٧٦٢م وسكن في دير النبي الياس ببلوني مديراً بعض قرى كسروان وتوفي في الدير المذكور.

الرابع القس مبارك بن عبدالله مبارك من زوق مصبح رقاہ سنة ١٧٦٣م إلى أسقفية الرها ودعي جبرائيل ودبر أبرشية بعلبك وسكن دير ريفون وتوفي به سنة ١٧٨٨م بعد أن تنزل عن تدبير الأبرشية.

الخامس القس روفائيل الحاقلاني من زوق مصبح رقاہ إلى أسقفية طرابلس سنة ١٧٦٥م وسكن مطران دمشق أيضاً وتوفي في ٦ أيلول سنة ١٧٨٠م ودفن في دير لوزة.

وتوفي البطريرك طوبيا في ١٩ أيار سنة ١٧٦٦ في عجلتون ودفن في كنيسة السيدة بها المختصة بعائلته.

عد ٨٦

البطريرك يوسف اسطفان

هو أحد تلامذة مدرسة المواردة برومة درس بها اللغات والعلوم الكنسية فبرع وفاق أقرانه وارتقى إلى درجة الكهنوت المقدسة وتفانى بالغيرة على خلاص النفوس فرقاہ البطريرك سمعان عواد إلى أسقفية أبرشية بيروت سنة ١٧٥٠م وبعد وفاة البطريرك طوبيا الخازن في ١٩ أيار سنة ١٧٦٦م اجتمع الأساقفة فانتخبوه بطريركاً في ٩ حزيران من السنة المذكورة، ونال التثبيت من البابا اكليمنضوس الثالث في ٦ نيسان سنة ١٧٦٧م على يد موفده الأب عبد الأحد أنطونيوس من لوكا أحد رهبان القديس فرنسيس، وجعل إقامته بدير مار يوسف الحصن بغوسطا الذي كان قد أنشأه من ماله في عقار ورثه عن أبيه. وفي أيام هذا البطريرك قد تثبتت قسمة الرهبانية اللبنانية إلى بلدية وحلبية فقد كان هؤلاء الرهبان قد أجروا القسمة بينهم في أيام البطريرك سمعان إلا أنه بقيت منازعات بينهم عرض أمرها

لجميع نشر الإيمان المقدس فصدر أمر البابا اكليمنضوس الثالث عشر إلى البطر
يوسف اسطفان وإلى رئيس الرهبان الفرنسيين ومحافظ الأرض المقدسة أن ي
فيما بينهم من الخلاف ويزيلاه بما يريانه ملائماً، فاجتمع البطريرك والرئيس المذك
في دير حريصا في ٨ كانون الأول سنة ١٧٦٨م فدعيا الأب عمانوئيل
رشميا رئيس البلدين ومدبريه، والأب لويس الحلبي رئيس الحلبيين ومدبريه و
القسمه بينهما وأزالا الخلاف، ودوّنا صكاً بذلك وقع عليه الرئيسان الع
والمدبرون، وعرضا الأمر للكرسي الرسولي فأثبت البابا اكليمنضوس الرابع
هذه القسمه سنة ١٧٧٠م.

إنّ أهمّ الأحداث التي كانت في أيام هذا البطريرك هو أمر الراهبة حنة ع
المعروفة بهندية وانخداعه بقداستها وصحة إيمانها، ومحاماته عنها أوجبت الكر
الرسولي أن يطلبه إلى رومة ويربطه عن التصرف بسلطانه البطريركي، فالح
المذكورة كانت أصلاً من قرية بشري وهاجر أهلها إلى حلب فولدت بهذه الم
وانضوت إلى أخوية قلب يسوع التي أنشأها الآباء اليسوعيون بحلب، ولح
سيرتها وذكائها جعلت رئيسة لهذه الأخوية ودار في خلدها أن تنشئ ر
تعرف: «بقلب يسوع الأقدس»، ولم تز محلاً أكثر ملائمة لذلك من جبل لب
فحضرت سنة ١٧٥١م إلى كسروان صحبة أحد الآباء اليسوعيين فأقامت أولاً
دير حراش وأخذت تبحث عن محل يناسب مقصدها فاشتريت دير بكركي
الرئيس العام والمديرين لرهبة مار اشعيا بثلاثة آلاف وخمسة مئة قرش، و
المطران جرمانوس صقر الحلبي الساكن وقتئذ في دير حراش يعضدها ويعاونها
مشروعها، وكان لها أخ انضوى إلى جمعية الآباء اليسوعيين قاومها أولاً لخوفه
عدم نجاحها، ولما رأى تقدّمها في مسعاها عاونها وابتدأت سنة ١٧٥٢ في تو
بناء دير بكركي وإحكامه وإتقانه، ثم جمعت إليه شابات اهتمت بتثقي
وارشادهن في طريق الفضيلة والكمال، ثم ألبستهن الزيّ الرهباني فزاع سيط
الراهبة وكثرت راهباتها واشتهرن بحسن سيرتهن وتورعهن، وجمعت هندية
رهباناً وكلت إليهم تدبير أملاك الدير وقضاء مهامه الخارجية، ولما توفي المد
جرمانوس صقر معاضدها المذكور بذلت عنايتها في ترقية أحد رهبان ديرها
أسقفية حمص ودير بكركي القس ارسانيوس دياب سنة ١٧٦٨م وسُمّي جرمانو
وعظمت شهرة هندية حتى اعتدّها البعض قديسة وأكثر المؤمنون من ال

بالإحسانات على ديرها فزادت في بنائه وعزمت أن تبني كنيسة كبيرة في العرصة التي بين دير الرهبان إلى الغرب وسكن الراهبات إلى الشرق.

وفي سنة ١٧٧١م طلبت هندية من البطريك يوسف اسطفان ومطارين الطائفة تثبيت قانون رهبانيتها الذي كانت قد جمعته من قوانين بعض الرهبانيات، فأبى البطريك إجابة سؤالها إذ لم يكن لها إلا دير بكركي، فألح عليه بعض المطارين والأعيان وارتأوا أن يضاف إلى رهبانية هندية دير مار يوسف الحصن ودير مار جرجس علما وكان بهما راهبات عابدات، فحسن ذلك لدى البطريك وأضاف الديرين المذكورين إلى بكركي وأثبت القانون.

وسنة ١٧٧٧م داخل بعضهم الريب في صخرة إيمان هندية فرفعوا عرائض إلى البابا بيوس السادس والمجمع المقدس يدعون بها أنها تعلم ضللاً مخالفاً للإيمان القويم، فسأ البطريك وأكثر مطارينه هذا التشكي وغلب على أفكارهم أن ذلك دسائس مبغضين وأحجولات حاسدين فحاموها وزيقوا تلك الأقوال، فأرسل البابا قاصداً يبحث عن الحقيقة فحضر إلى بكركي وأجرى الفحص فكانت خلاصته تقريره: «لاني حضرت إلى بكركي وفحصت عن أحوال راهباته ومعتقدهن وسيرتهن وكذلك فحصت عن باقي جمهور الدير المنتمين إلى قانون قلب يسوع وكنت أخالني ألقى شبكتي في نهر متدفق بالفضائل فوجدت أني ملقيها في بحر متموج بالأعمال الصالحة وشعائر القداسة».

فشهادة هذا القاصد بعد فحصه زادت البطريك وبعض الأساقفة تمسكاً بهندية واعتباراً لصحة إيمانها وبرارتها فاندفعوا إلى الحماسة عنها، لكن المضادين لها ما انفكوا يثلبونها ويطعنون في استقامة معتقدها، وكثر مضادوها وانضم إليهم بعض راهبات ديرها فاضطر المجمع المقدس سنة ١٧٧٨م أن يرسل قاصداً آخر لإعادة الفحص عن تعليمها ولدى مطالعته كتاباً ألفته وسمته «اللاهوت السري» عثر به على ما يوجب الشك في صحة معتقدها فألها قالت فيه: «إن الإنسان الكاثوليكي إذا تناول القربان المقدس حاصلاً على النعمة المبررة اتحد بلاهوت المسيح اتحاد لاهوته بناسوته سنداً إلى قول الرسول (قرنثية فصل ٧ عد ١٧) «من التصق برّبنا كان معه روحاً واحدة». فعرض الفاحص ذلك للمجمع المقدس مع ما قرره له المضادون فأصدر البابا بيوس السادس أمراً مؤرخاً في ٢٥ حزيران سنة ١٧٧٩م

قاضياً بالغاء رهبانيتها وإبعادها وراهابتها عن ديرها بكركي، وموجباً اللوم الشديد على البطريرك لتغاضيه عنها ومحاماته لها، وأمر بتوزيع الراهبات في أديار كسروان التي للعابدات، وتعين لإقامة هندية الدير المعروف بدير سيدة الحلقة حيث قضت حياتها بالتوبة والورع وكانت وفاتها به سنة ١٨٠٢ م.

أمّا البطريرك فطلب القاصد منه الرجوع عن أوامر كان قد أصدرها محامة لهندية، وأن يوقع على صورة إقرار كان المجمع المقدّس قد أرسلها ليذيلها بتوقيعه فلم يشأ أن يوقع عليها كما كانت منشأة بل نقّحها وغيّر شيئاً فيها، وشكاه بعض خصومه أنّه التجأ إلى الدراع العالمي في هذه الأمور، ولما بلغ القاصد ذلك إلى المجمع المقدّس صدر أمر الحبر الروماني بأن يكون مربوطاً عن التصرف بسلطانه البطريركي وأن يشخص إلى رومة ليعطي جواباً عن محاماته لهندية وعن عصاوته برفضه التوقيع على صورة الإقرار المقدّمة له من القاصد الرسولي، وأقام السيّد ميخائيل الخازن مطران قيسارية ليكون مديراً للبطريركية ما دام البطريرك مربوطاً، فسارع البطريرك بالطاعة للأمر وسار إلى دير النبي الياس في الكرمل ليسافر من حيفا إلى رومة فاعترى البطريرك هناك مرض منعه من السفر.

فعظم القلق في الطائفة وكان حينئذ الشيخ سعد الخوري مديراً للأمير يوسف والي لبنان فجعله يكتب إلى البابا بيوس السادس رسالة يبرئ بها ساحة البطريرك من كل لائمة ويلتمس عوده إلى منصبه البطريركي. ورفع الشيخ سعد عرائض إلى البابا المشار إليه وإلى نيافة الكردينال رئيس المجمع المقدّس والمونسنيور بورجيا كاتب هذا المجمع والكردينال دبيرنس الفرنسي مذكراً لإياه بحماية فرنسة للموارنة والكردينال كرسيني جواباً له عن كتاب كان قد أرسله إليه توصية بالخوري يوسف تيان عند عوده من رومة إلى لبنان. وفي كل هذه العرائض كان الشيخ سعد يبرئ البطريرك من كل شائبة ومن كل مخالفة لأوامر الكرسي الرسولي، ويعتب لمعاملة البطريرك هذه المعاملة التي تكسر خاطر الطائفة وتحزن قلبها، وأوعز الشيخ سعد إلى الأساقفة ورؤساء الرهبانيات والأعيان ليرفعوا مثل هذه العرائض، وأرسل بها إلى رومة الخوري يوسف التيان المذكور وقد أثبت المعلم رشيد الشرتوني (في كتابه سلسلة بطارقة الموارنة نقلاً عن السجلات البطريركية) صور كل هذه العرائض وشفعها باثبات مرسوم الجواب من البابا بيوس السادس إلى الشيخ سعد الخوري باللاتينية وترجمته العربية مؤرخاً في ١٨ أيلول سنة ١٧٨٤ م مفتتحاً بقوله: «أيّها

الابن الحبيب والرجل الشريف والسلام والبركة الرسولية. لم يخامرنا ريب البتة في عنايتك أيها الابن العزيز والرجل الشريف بالمحافظة على الإيمان الكاثوليكي دون انثلام بل نشني عليك أطيب الثناء مقرين بأن إطفاء تلك النار البكرية كان خاصة باهتمامك ويعزى إليك إزالة ذلك القلق اعتماداً على مراسيمنا الصادرة سنة ١٧٧٩م، ولم يخطر لنا ببال أن نوجب اللوم على أخيها المحترم البطريرك يوسف اسطفان لالتجائه إليك واعتضاده بك ليتمكن من أن يقيم بحاجاته من المداخيل الزمنية لكرسيه البطريركية». ثم بين له أن ما أوجب اللوم على البطريرك إنما هو ما بلغه عنه أنه لم يشأ أن يوقع على صورة الإقرار المرسله إليه من المجمع المقدس وتأليفه بحسب هواه صورة مخالفة للمرسله إليه، كأنه قاض بدعواه، وأنه التجأ إلى حكام عالمين ولم يلتفت إليك أنت مدبر حاكمه المعلومة تقواك، وأنه لما كان أقر بغلظه نادماً عليه ووقع على صورة إقراره كما أرسلت إليه فؤض إلى قاصده الأسقف أنوش أن يحضر إلى كسروان ويرد البطريرك إلى كرسيه وحقوقه جزاء لطاعته وإجابة لالتماس جمهور الأساقفة ورغائب الطائفة وتوصاة الأمير يوسف الجليل والسامي الاقتدار وتوشله أي توصل الشيخ سعد.

أما صورة الإقرار الذي قدّمه البطريرك حينئذ إلى البابا بيوس السادس فقد ضمنتها في براءته المنفذة إلى مطارين الطائفة وأعيانها مؤرخة في ٢٨ أيار سنة ١٧٨٤م فنلخصها عن هذه البراءة: «أنا المدّون إسمي أدناه أقرّ وأعترف بغلطي واعتقادي الباطل بقدااسة حنة عجيبي راهبة دير بكركي وانخداعها وأقبل وأصادق على مرسوم المجمع المقدس الأول المؤرخ في ٢٥ حزيران سنة ١٧٧٩م والمثبت من سيدنا البابا بيوس السادس الكلي القدااسة (المتضمن تحريم تعليم هندية) ثمّ إنّي أقرّ وأعترف أنّ هندية المذكورة كانت مخدوعة بخبث واضح وأنّ تخيلاتها وأوحيتها ونبواتها التي كانت تتفاخر بها وجميع آرائها الحديثة المستغربة ولاسيما زعمها أنّ جسدها ونفسها يتحدان مع جسد المسيح ونفسه. فهذه كلها باطلة واختراعات وقحة ولا تخلو على الأقل من رائحة البدعة، ولهذا أنقض كل اعتقاد سلف مني بمثل هذه الخداعات والأوهام النفاقية وأبطل وألاشي كل فعل أظهرت به وشهرت شيئاً من هذه الأشياء ولاسيما منشوري المؤرخ في ١٧ أيار سنة ١٧٧٧م وكل ما صدر مني لتأييد مثل هذه الأشياء المرذولة، ثمّ أقبل وأقر واحترم المرسومين الآخرين المبرزين من مجمع نشر الإيمان المقدس والمثبتين من قداسته في تاريخ ٢٥ حزيران

سنة ١٧٧٩م أيضاً. وقد تضمن الأول منهما لإبطال وإلغاء الرهبانية التي أنشأتها الراهبة المذكورة تحت اسم أخوية قلب يسوع، والثاني يشتمل على الحكم المبرز علي بالمنع عن التصرف بكل سلطان بطريركي إلى أن يتحسن للأب الأقدس. واما نظراً إلى الأمر لي بأن أشخص إلى رومة لأجواب أمام قداسته عن ذنوبي السالفة فكنت قد أخذت في السفر فمنعتني أمراضه وأرسلت من يقرأ عذري ففقتني رافة الأب الأقدس من المثل بشخصي وها أنذا قابل بطيبة خاطر أن أبقى مربوطاً إلى أن يرى قداسته أن يحلني من هذا الرباط، وأقبل أن يكون السيد ميخائيل الخازن متصرفاً بالسلطان البطريركي ما دمت مقيماً بهذا الرباط».

ولما كان بعض مطارين الطائفة قد رفعوا إلى مجمع نشر الإيمان المقدس سنة ١٧٧٤م عدّة مشكلات وقعت بينهم وبين البطريرك وسأل البطريرك المجمع المذكور أن يصغي إلى تقريراته في هذه المشاكل، وأرسل روفائيل الحاقلااني مطران دمشق وكيلاً عنه إلى رومة، ولدى التبصر بحجج الفريقين حكم آباء هذا المجمع في ٢٢ آذار سنة ١٧٧٧م في هذه المشكلات كما سيأتي، فلذلك أضاف البطريرك إلى إقراره المذكور قوله: «لئنني أقبل وأطيع مسرعاً جميع مراسيم مجمع نشر الإيمان المقدس الصادرة في ٨ تموز سنة ١٧٧٤ ولاسيما المراسيم السبعة الصادرة منه في ٢٢ آذار سنة ١٧٧٧م».

فهذه المشكلات ومراسيم الأجوبة الصادرة بشأنها هي سبعة وهذا ملخصها: الأول أنّ البطريرك كان قد أجاز أكل الأطعمة المزفرة يوم الجمعة الواقع في اليوم التاسع بعد عيد جسد المسيح ونصح المجمع المقدس أن يبطل هذه الإجازة فعرض السؤال هل يلزم تكرار الأمر للبطريرك ليبطل هذه الإجازة فأجاب الآباء أن تتجدد مراسيم المجمع اللبناني (قسم ١ باب ٤ عد ٣ وعد ٥) حيث عينت في العدد الثالث الأصوام المفروضة وفي العدد الخامس رخص للبطريرك لضرورة عامة أن يجعل بدء صوم الرسل في ٢٥ حزيران وبدء صوم انتقال العذراء في ٧ آب وبدء صوم الميلاد في ١٣ كانون الأول. ونبه الطريرك أن لا يقدم على هذا الترخيص على إطلاقه بل في صوم واحد ومرة واحدة بحسب مقتضيات المكان والزمان والمسوغات.

وعرض السؤال الثاني هل يستطيع بطريرك الموارنة أن يمنح غفرانات كاملة دون

إذن الكرسي الرسولي في أيام معينة فأجاب الآباء لا يستطيع ويلزم القاصد أن يعلن ذلك للموارنة.

والسؤال الثالث هل للسيد البطريك أن يلزم أساقفة الأبرشيات بأن يأخذوا منه مناشير لزيارة أبرشياتهم، فأجاب الآباء لا يلتزم الأساقفة أن يأخذوا منشور الإجازة منه عندما يزورون أبرشياتهم بالحق المعتاد لهم.

والسؤال الرابع أيجب أن يعين مبلغ دراهم يدفعه الأساقفة كل سنة للسيد البطريك على سبيل العشور وبأي شروط. فأجاب الآباء أنه يلزم أن يعين مبلغ يدفعه الأساقفة كل سنة للبطريك وعينوا قدره ألفين وخمسمائة قرش كل سنة موزعة كما سيجيء. ويحق للبطريك أن يعطي مناشير لجمع العشور لكل من المطارين الموجودين مرة واحدة فقط بياناً لخضوعهم له، وكذلك المطارين الذين سيكونون عند دخولهم على الأبرشية لا غير. وأما المبلغ المعين فقيمه ٤٥٠ قرش على مطران طرابلس و ٣٥٠ على مطران حلب و ٣٠٠ قرش على كل من مطارين جبيل و بعلبك و بيروت و صور و صيدا و ٢٥٠ على كل من مطراني دمشق و قبرص مجموع ذلك قيمته ٢٥٠٠ قرش. وزادوا على ذلك أنّ هذا التعين يدوم ست سنين إلى أن يرى المجمع المقدس غير ذلك ويلزم كل مطران أن يطلب منشوراً من البطريك لحجاية العشور كل سنة ويدفع ما عليه للبطريك دفعتين. ومن تأخر عن الدفع بغير عذر مقبول حق للبطريك أن يرجع عليه بالمطالبة بحقوقه الأولى.

والسؤال الخامس أيجب للبطريك أن يعزل المطارنة من أبرشياتهم ويمنعهم من التصرف بسلطانهم أو يجري عليهم ما يخفف شأنهم أمام الشعب لدواع غير كافية ودون مشورة المطارين ولا إعلام الكرسي الرسولي فأجاب الآباء لا يحق للبطريك أن يعزل المطارين من أبرشياتهم أو يمنعهم من التصرف الكلي بسلطانهم دون مشورة مجمع المطارنة، وفي ما سوى ذلك له أن يؤدّبهم بحسب قوانين الكنيسة.

والسؤال السادس أيلزم الترخيص للرهبان بأن يجهلوا في الأبرشيات لجمع الإحسان. وكان الداعي بهذا السؤال أنّ مجمّعاً عقد بغوسطا نهى الرهبان عن الجولان بالأبرشيات لجمع الإحسان، فأجاب الآباء أن يلزم المحافظة على قوانين الرهبان وعلى ما دوّن في المجمع اللبناني (قسم ٤ باب ٢ عد ٨) حيث قيل وليس

للرهبان «أن يتسولوا أو يعيشوا راهباً أو عالمياً في سبيل السؤال بلا رخصة من الرئيس المحلي». وزاد الآباء على ذلك نصيح الأساقفة أن يتساهلوا في منح الإذن للرهبان بالتسول متى تحقق عندهم احتياجهم إليه، وللرهبان أن يعرضوا أمرهم للسيد البطريك إذا امتنع الأسقف ضدّ الصواب عن إعطائهم الإذن بالتسول.

والسؤال السابع أيقن للبطريك أي يقبل الكهنة أو الرهبان غير الخاضعين لرؤسائهم ويرتخص لهم بالذهاب إلى محل خلافاً لإرادة رؤسائهم فأجاب الآباء لا يحق له ذلك وفقاً لما تدوّن في المجمع اللبناني في قسم ٤ باب ٢ عد ٩ و ١١. فهذه خلاصة المراسيم التي قال البطريك في إقراره أنّه يقبلها ويطيعها.

وقال بعد ذلك: «فجميع هذه المراسيم وغيرها مهما كانت مما انتشر أو سوف ينشر من أوامر المجمع المقدّس لأجل تدبير الطائفة المارونية أعلن أنني أقبلها وأقرها وأقوم بتكميلها بدون مخالطة أو غش وأقدّم بكل خضوع إقرارى واعترافى هذا أمام قداسة سيّدنا البابا بيوس السادس وأبتهل إليه أن يحلّني من كل تأديب التحق بي ويردني إلى نعمته وحنانه ويقبلني كاهن نادم وتائب، ومتى تنازل وتقبل توبتي الصادقة يرّدني إلى التصرف بالسلطان البطريكي وإلى تدبير طائفتي قاصداً أن أظهر نفسي في الزمان المقبل ابناً خاضعاً وطائعاً للكرسي الرسولي وأثبت كل ما قدّمته بقسمي عليه وبخط يدي وختمي أمام شاهدين في ٨ آذار سنة ١٧٨٤م. والتوقيع يوسف بطرس اسطفان البطريك الأنطاكي والشاهدان على ذلك القس يوسف التيان مرسل رسولي والقس سمعان الصباغ مرسل رسولي.

ثمّ أردف البابا كلامه في براءته المذكورة المأخوذ عنها كل ما مرّ بقوله: «لا شك في أنّ من تاب حقيقة عن زلاته حقّ له أن ينال الغفران فلا هرون بعد توبته فقد كهنوته، ولا سمعان بعد ندامته على سقطته أضاع مقامه الأعلى الرسولي» ولذلك قد أمرنا الأسقف أنوش أن يسير سريعاً إلى كسروان ويردّ الأخ الموقر يوسف اسطفان إلى بطريكيته ويخوله مقامه السابق وسلطانه وجلّ رغائبنا أن تتخذوا ذلك برهاناً أكيداً على حبّنا الأبوي للطائفة المارونية وعربوناً لاعتبارنا لها لغيرتها على الإيمان الكاثوليكي وثباتها في الاحترام للسدة البطرسية في ٢٨ أيلول سنة ١٧٨٤م وهي السنة العاشرة لحبريتنا.

وأتم القاصد المذكور ما أمر به فدعا البطريرك من دير الكرمل وسار به إلى دير مار يوسف الحصن بغوسطا حيث كانت إقامته، فالتقاه أبناء الطائفة باحتفال عظيم شائق وبهجة وسرور فائق وشرع الأعيان والكهنة والأهلون يتقاطرون من كل فج لتهنئته وأقام البطريرك يوسف اسطفان مجدداً مكثراً في خير طائفته وحرارة كرم الرب وأرسل سنة ١٧٨٦م الخوري أنطون القيايالي البيروتي إلى باريس لطلب قنصلية فرنسة للشيخ غندور بن سعد الخوري، فتكثرت الملك لويس السادس عشر عليه بها. وسنة ١٧٨٩م أمر بتحويل دير عائلة مار أنطونيوس عين ورقة إلى مدرسة عامة إكليريكية للطائفة وكان قبلاً ديراً للعبادات، فصار بعداً معهداً علمياً رقى الطائفة في مدارج التقدم والفلاح، وأجدى عليها بكثيرين من البطارقة والأساقفة والعلماء كما سترى. وعقد مع مطارينه المجمع المعروف بمجمع عين شقيق أو مجمع وطا الجوز سنة ١٧٨٧م، ومجمع بكركي الأول سنة ١٧٩٠م. وسوف نلخص ما كان بهذين المجمعين.

وفي ١٢ نيسان سنة ١٧٩٣م ارتحل هذا البطريرك إلى دار البقاء في دير مار يوسف الحصن بغوسطا ودفن فيه وكان من العلماء الأعلام وله مؤلفات كثيرة وكانت عنده مكتبة جامعة تبذرت من بعده ونقل بعضها إلى دير بكركي. ومن مؤلفاته كتاب بديع في قداسة يوحنا مارون تراه مطبوعاً في كتاب «المحامة عن الموارنة»، ورسالة مطوّلة في تربية الأولاد كتبها لسكان أبرشية بيروت إذ كان مطراناً عليهم. وله بالسريانية عدّة فروض لتتلى في الكنائس أيام أعياد القديسين يعقوب وليمانوس تلميذي القديس مارون والثلاث مئة وخمسين شهيداً تلاميذه والقديس افرام السرياني وغيره. وله أيضاً عدّة منظومات من المعروفة بالأفراميات التي يترنّم بها في القدّاس منها أفرامية للقديس مارون، وأفراميات للرسولين بطرس وبولس والاثني عشر رسولاً. وله أيضاً طلبات لبعض القديسين يترنّم بها في مساء أعيادهم، ورتب للخدمة في القدّاس في أعياد كثيرين من القديسين، وهو الذي هذب الرتب في طائفتنا وألّف بعضها كرتبة منح الغفران الكامل والبركة البابوية ورتبة تبريك الماء يوم عيد القديسين بطرس وبولس ورتبة منح البركة بصورة العذراء المعروفة بسيدة الثوب، ألّفها وهو في الكرمل، ورتبة منح البركة بالصليب أيام الجمعة في الصوم ورتبة الاستعداد للميلاد لتسعة أيام قبل الميلاد ورتبة السجدة يوم عيد العنصرة إلى غير ذلك.

وأما الذين رقاهم إلى الأسقفية فهم:

الأول الخوري ارميا نجيم من غوسطا رقاہ إلى أسقفية الناصرة في ١٧ تشرين الأول سنة ١٧٦٧م وتوفي في ١٥ تشرين الأول سنة ١٧٧٥م في دير الحصن.

الثاني الخوري ميخائيل حرب الخازن من عجلتون رقاہ إلى أسقفية قيصريّة فلسطين في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٦٧م ثم دبر أبرشية دمشق والبطريركية مدّة منع البطريك يوسف أسطفان عن التصرف بها. وكانت وفاته في دير رام بودقن.

الثالث الخوري الياس الجميل الثاني بهذا الاسم رقاہ في ١٢ كانون الثاني سنة ١٧٦٨م إلى أسقفية قبرص وتوفي في ٦ أيلول سنة ١٧٧٩م في شويّا.

الرابع القس أنناسيوس الحاج موسى الشنيعي من غوسطا رقاہ في ٢٩ حزيران سنة ١٧٦٨م وتوفي في أيلول سنة ١٧٧٨م ودفن بدير الحصن بغوسطا.

الخامس القس ارسانيوس دياب الحلبي رقاہ إلى أسقفية حمص ودير بركري سنة ١٧٦٩م وسمي جرمانوس وتوفي سنة ١٧٩٩م بدير القمر ودفن في كنيسة التلّة.

السادس القس ارميا نجيم الثاني ابن أخت المطران ارميا نجيم الأول رقاہ إلى أسقفية الناصرة سنة ١٧٧٧م وكان نائباً بطريركياً وتوفي في ٢٧ آب سنة ١٧٧٩م ودفن بدير الحصن.

السابع القس بولس اسطفان أخوه رقاہ إلى أسقفية قورش ونيابة الكرسي البطريك في حزيران سنة ١٧٧٧م، ثم سلمت إليه أبرشية جبيل والبترون وتوفي بمدرسة عين ورقة سنة ١٨٠٨م.

الثامن القس يوسف نجيم أخو المطران ارميا نجيم الثاني رقاہ في ١١ تشرين الأول سنة ١٧٧٩م إلى أسقفية بيروت وتوفي في ٦ آب سنة ١٨٠٢م في دير مار جرجس علما.

التاسع القس يوحنا الحلو من غوسطا رقاہ إلى أسقفية عكا في ٦ آب سنة ١٧٨٨م وكان نائباً بطريركاً في الأشياء الزمنية وهو الذي انتخب بعداً بطريركاً.

العاشر الخوري يوسف التيان من بيروت رقاہ إلى أسقفية دمشق في ٦ آب سنة ١٧٨٦م وكان نائباً بطريركياً في الروحانيات ثم استقال من مطرانية دمشق وسلمت إلى المطران ميخائيل الحازن سنة ١٧٨٨م.

الحادي عشر الخوري دانيال الجميل رقاہ إلى أسقفية قبرص في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٧٨٦م وسمي فيلبوس وصار بعداً بطريركاً.

الثاني عشر الخوري جرجس يمين ابن المطران يواكيم من إهدن رقاہ إلى أسقفية طرابلس في ١٨ أيار سنة ١٧٨٧م وتوفي سنة ١٧٩٥م بزغرتا.

الثالث عشر الخوري جبرائيل كنيدر من حلب رقاہ إلى أسقفية حلب في ٩ أيلول سنة ١٧٨٧م وتوفي بها سنة ١٨٠٢م.

الرابع عشر القس اغناطيوس الحازن من عجلتون رقاہ إلى أسقفية نابلس في ٢٩ حزيران سنة ١٧٨٧م ثم سلمت إليه أبرشية طرابلس بعد وفاة المطران جرجس يمين إلى أن توفي سنة ١٨١٩م بعجلتون.

الخامس عشر القس فرنسيس مبارك رقاہ إلى أسقفية بعلبك بعد أن تخلى عنها المطران جبرائيل مبارك الثاني في ٢٦ آب سنة ١٧٨٧م ودعي بطرس وتوفي في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٨٠٨م في دير ريفون وفي أيامه رقي المونسنيور يوسف سمعان السمعاني العلامة الشهير في رومة إلى مطرانية صور في ٣١ تموز سنة ١٧٦١. وتوفي في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٧٦٨م.

البطريركان ميخائيل فاضل وفيلبوس الجميل

أمّا البطريرك ميخائيل فاضل فهو من بيروت وكان البطريرك طويلاً الخازن قد رقيه في ١١ حزيران سنة ١٧٦٢م إلى أسقفية صور وجعله نائباً بطريركياً إلى أن تسلم تدبير أبرشية بيروت سنة ١٧٨١م. ولما توفي البطريرك يوسف أسطفان في ٢٢ نيسان سنة ١٧٩٣م تأجل اجتماع الأساقفة لانتخاب بطريرك بسبب الطاعون الذي كان مستحوذاً تلك السنة في البلاد ولاسيما كسروان إلى أن اجتمعوا في ١٠ أيلول سنة ١٧٩٣م، فانتخبوا المطران ميخائيل فاضل وأرسل الخوري جرجس غانم البيروتي إلى رومة ليستمد له التثبيت ودرع الرئاسة من الحبر الروماني فلم يبلغ إليها إلا بعد وفاة هذا البطريرك التي كانت في ١٧ أيار سنة ١٧٩٥م في دير حراش ودفن به، على أنّ البابا بيوس السادس أراد احصاءه في مصاف البطاركة إذ قال بخطبته في الاجتماع المنعقد لذلك في ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦م: «ولما كانت غير الزمان لم تسمح لنا بأن نمنحه التثبيت وهو حي نمنحه إياه وهو ميت ونريد أن يحصى في سلسلة بطاركة الموارنة ولو أحرمته المنية قبول زينة درع الرئاسة». ولا نعلم أنه رقى أحداً إلى الأسقفية إلا الخوري جرمانوس قيس الخازن من عجلتون سنة ١٧٩٤م وهذا توفي في دير مار روحانا البقيعة سنة ١٨٠٥م.

وأمّا البطريرك فيلبوس الجميل فكان من بكفيا وكان البطريرك يوسف اسطفان قد رقيه إلى أسقفية قبرص في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٧٨٦م. وبعد وفاة البطريرك ميخائيل فاضل في ١٧ أيار سنة ١٧٩٥م اجتمع الأساقفة في دير بكركي في ١٢ حزيران في السنة المذكورة وكان الأساقفة تسعة فاتفقوا أن يرشحوا للبطريكية المطران يوحنا الحلو والمطران فيلبوس الجميل المذكور ويرمي السبعة الباقون القرعة. فمن حاز أربعة أصوات كان بطريركاً فوقعت الأربعة أصوات للمطران فيلبوس المذكور وثبته البابا بيوس السادس في ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦م على يد معتمده القس ارسانيوس القرداحي الراهب الحلبي اللبناني. وقبل أن يصل إليه درع الرئاسة عاجلته المنية في ١٢ نيسان سنة ١٧٩٦م في دير السيدة في بكركي حيث دفن.

ولا نعلم أنه رقى إلى الأسقفية سوى القس أقليمس الخازن من عجلتون على

أبرشية جبيل والبترون وسمي اسطفان. ولما كان ذلك مخالفاً للقوانين البيعية لأن مطران هذه الأبرشية كان حياً وهو المطران بولس أسطفان المذكور فعزل عنها. وبعد وفاة المطران جرمانوس الخازن السالف ذكره سلمت إليه أبرشية دمشق سنة ١٨٠٥م وتوفي في ٣١ كانون الأول سنة ١٨٢٩م في دير مار موسى بلوني ودفن به.

ثم رقى البطريرك فيلبوس الخوري ميخائيل فاضل إلى أسقفية بيروت وسمي أنطونيوس لكن تغلب عليه اسم المطران ميخائيل فاضل الثاني. وتوفي في ٦ تموز سنة ١٨١٩م.

وبعد وفاة البطريرك فيلبوس الجميل اجتمع الأساقفة في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦م في دير بكركي فانتخبوا المطران يوسف التيان مطران دمشق قبلاً والنائب البطريركي بطريركاً، فكان السادس بهذا الاسم وثبته البابا بيوس السادس في ٢٤ تموز سنة ١٧٩٧م على يد معتمده القس لويس بلييل الراهب اللبناني الذي رقاها إلى أسقفية قبرص سنة ١٧٩٨. ونرجى تكملة ترجمة هذا البطريرك إلى تاريخ القرن التاسع عشر.

الفصل الثالث

مشاهير العلم الموارنة في القرن الثامن عشر

نحسب هذا القرن قرن الذهب في طائفتنا لكثرة علمائها فيه ولوفرة ما خلفوه من التصانيف البديعة والتأليف النفيسة حتى أفادوا الغرب بتاريخ المشرق ونقلوا إليه ما لا يحصى من آثار الشرقيين وكتبهم وكانوا كمشكاة استنار بضوئها أهل المشرق بعلوم أهل الغرب ورقوا مواطنهم في مدارج العلم وشهد لهم علماء الغرب بالفضل واعتمدوا على ما أثبتوه إلى الآن وتفاخر بهم أبناء جلدتهم شاكرين لهم ما أجدوا عليهم به. والفضل في كل ذلك للعهد العلمي الذي

أنشأه لهم البابا غريغوريوس الثالث عشر فإن أكثر هؤلاء العلماء نبغوا منه وعنه أخذوا أنوار تعاليمهم النافعة وها نحن نأخذ بتدوين تراجم من عرفناه منهم وذكر ما علمناه من تأليفهم الغراء .

عد ٨٨

القس يوسف الباني الحلبي

هو يوسف بن القس جرجس الحلبي ارتحل أسلافه من قرية بان بجبل لبنان إلى حلب الشهباء فولد ونشأ بها وأرسل إلى رومة طلباً للتخرج بالعلوم في مدرسة الموارنة فنبغ وحاز قصبات السبق وارتقى إلى درجة الكهنوت وقال في حقّه القس جبرائيل فرحات (هو المطران جرمانوس فرحات لكثته كتب ما يأتي قبل تسقيفه) في مقدّمة تفسيره لرؤيا يوحنا: «الأب الفاضل والعالم العامل ذخيرة ملته المارونية وسراج الكنيسة الرومانية غذي بلبانها فترعرع وبني على أساسها فلم يتزعزع الذي ضاءت أشعة شهب علومه في أفق شهبائه حتى استعشت. وأرضع بني حلب مما حلب من فواق ثدي فضله حتى عاشت ونعشت وأفاض مما فاض من معارفه على الطلبة المستفيدين قاصيها ودانيها ودان لتنتيجة مقدّمات عمله الصادق بيانها بالفضل والتقدّم قاصيها ودانيها فأفادنا الدهر به ما كنا قبل نتمناه وجاد علينا بوجوده الرضى ما كان بغيره يأباه» .

وقد أنبأنا الأب جبرائيل المذكور بلسانه أنّه قصد أم المدائن ابتغاء التخرج بالعلوم فيها فأتقن معرفة اللغات وتضلع بعلوم الفلسفة واللاهوت وآب إلى حلب موطنه وكان يتقلّب بين أن ينفق بضاعته بترشيح الكلام أو أن يخلدها في بطون الأوراق بتوشيح الأقلام واعتمد على الثاني لأنّه يحيى بحياة الدهور والأزمان ولذلك ترجم إلى العربية عدّة من الكتب التي فاق معناها وراق مبنائها منها: كتاب «ميزان الزمان وقسطاس أبدية الإنسان» وقد طبع هذا الكتاب مرّات منها طبعة في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت وأردفه بترجمة كتاب «الكمال المسيحي» في ثلاثة أجزاء وهذا الكتاب أيضاً طبع مرّات. ثمّ كتاب «المعروف والمُعترف» في علم الدمة إلى غير ذلك في التأمّلات العقلية والرسائل الروحية. وقد عزا إليه القس جرجس منش الحلبي الماروني في ترجمة جرمانوس فرحات أربعة مجلّدات في تفسير الرسائل

وخمسة في تفسير الأنجيل وثمانية في تفسير العهد القديم، وقال إنّ فرحات صحّح هذه الترجمات. ذكرت هذه الرواية على عهده وما لا شكّ فيه وأشهر تأليفه كتاب: «العنوان العجيب في رؤيا الحبيب» وهو تفسير لكتاب رؤيا يوحنا الحبيب أحد أسفار العهد الجديد وأغوصها معنى وأعسرها بياناً انتقاه من تفسيرات الأب كورينلوسن الحجري اليسوعي مقتصراً منها ما أمكن اقتصاره وزائداً عليها ما رأى زيادته لازمة. وقد فرغ من هذا التأليف سنة ١٧١٣م وقد عنيت وأنا كاهن بطبع هذا الكتاب سنة ١٨٧٠م بالمطبعة العمومية الكاثوليكية التي قنيتها بمساعدة الخواجا رزق الله خضرا بعد أن عارضته كلمة فكلمة بالنسخة التي خطتها يد معربها القس جبرائيل فرحات المذكور وبنسخة أخرى أخذت عنها.

إنّ ترجمات القس يوسف الباني هذه قد عرّبها كلّها القس جبرائيل فرحات وأظنّ أنّه عني بذلك قبل أن صير أسقفاً على حلب مدعوّاً بجرمانوس سنة ١٧٢٥م. وقد ذكرت في كتابي «سفر الأخبار في سفر الأخبار» أنّ للقس يوسف الباني أيضاً ترجمة تفسير العهد الجديد إلى العربية والذي أراه الآن أنّ ترجمة تفسير هذه الأسفار إلى العربية عدا الرؤيا إنّما هي للأب بطرس فرماج اليسوعي معرّبة بقلم المطران جرمانوس فرحات. ولم أعثر إلى الآن على سنة وفاة الأب يوسف الباني ولا أشكّ في أنّه توفي بعد سنة ١٧١٣ التي فرغ فيها من تأليف كتابه في تفسير الرؤيا كما صرّح بذلك.

عد ٨٩

المطران جرمانوس فرحات

ولد هذا النابغة في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٧٠م من أسرة مطر التي ارتحلت من قرية حصرون بلبنان إلى حلب الشهباء فرّباه والداه بالتقوى والورع وتخرّج باللغة السريانية في مكتب الموارنة بحلب، ثمّ تعلّم اللغة الإيطالية ودرس التصريف والنحو على الشيخ سليمان الحلبي المعروف بالنحوي ثمّ اشتغل في علم المعاني والبيان والعروض والقوافي والبديع ثمّ أتقن الفلسفة واللاهوت على العلامة النحرير الحوري بطرس التولاوي الآتي ذكره. ولما أتى الأفاضل الثلاثة وهم جبرائيل حوا

وعبدالله قرألي ويوسف بن البتن من حلب إلى لبنان سنة ١٦٩٤م لتأسيس الرهبنة تبعهم جبرائيل فرحات بعد سنتين وانضمّ إلى المؤسسين المذكورين مجاهداً في طريقة النسك الرهبانية متفانياً بحب الله مضطرباً بالغيرة على خلاص النفوس عاكفاً على التأملات الروحية مجاهداً في الأعمال الصالحة مكتباً على التأليف والتصنيف ونظم الأشعار الروحية والأدبية متغزلاً فيها بحب الله والفضيلة ومريم العذراء وقد انتخبه اخوته الرهبان رئيساً عاماً على رهبانيتهم في ثلاثة مجامع متتالية أي من سنة ١٧١٦م إلى سنة ١٧٢٥م ويظهر من بعض قصائده أنّه زار ضريح الرسولين في رومة أم المدائن.

وفي ٢٩ تموز من السنة المذكورة رقاها البطريرك يعقوب عواد إلى أسقفية حلب المارونية ودعي جرمانوس فازداد غير وجهاداً في القيام بأعباء مقامه الثقيلة مثابراً على الوعظ والإرشاد دائماً على عمل المبرات غير منقطع عن التأليف والتصنيف والتعريب وغير تارك تأملاته وتقشفاته الرهبانية مصيراً نفسه كلاً للكل ليربح الكل للمسيح واعظاً شعبه بمثاله الصالح فوق وعظه بكلامه وخطبه البديعة والآخذة بمجامع القلوب الحاملة سامعيها على الفضيلة والراذعة لهم عن الرذيلة واستمرّ على ذلك سبع سنوات إلى أن دهمته المنية في ٩ تموز سنة ١٧٣٢م فسلبت من عصره حليته الفاخرة ودرته الباهرة وذهب لينال ثواب أعماله الصالحة ومبراته الوافرة لدى من لا يضيع أجر إسقاء كأس ماء فكيف يضيع أجر من قضى سنته كلها مجاهداً متفانياً بحبه وعمل مرضاته.

وأما ما صنف وألف وهذب وعرب فكثير منه في اللغة كتابه باب الاعراب عن لغة الاعراب وهو معجم اللغة العربية انتقاه من قاموس الفيروزبادي وغيره من المعجمات وقد طبع هذا الكتاب الشيخ الكونت رشيد الدحداح وزاد عليه واستدرك بعض كلمات عن المؤلف وسمى كتابه. «أحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب» وألحق المؤلف بمعجمه كتاباً في العوامل العربية سماه الفصل المعقود هذا به حذو ابن هشام الأنصاري في كتابه «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب». ومن تأليفه «كتاب بحث المطالب وحث الطالب» جمع به قواعد التصريف والنحو بأوجز عبارة وأوضح إشارة. وقد طبع هذا الكتاب مرات لتداول أيدي الطلبة له في أكثر المدارس إلى الآن. ومن طبعاته طبعة المعلم بطرس البستاني له ببيروت وقد ذيلها بحواشٍ كثيرة واستدرك على المؤلف ببعضها، على أنّ أكثر ما خطأه به

كان من غرور النساخ أو سهوهم وبعضه لم يصب بتخطئته به. وقد انتقدت بعض ما جاء في تلك الحواشي بكتيب ألفته في خلال إقامتي في مدرسة مار يوحنا مارون مدرّساً لتلامذتها هذا الكتاب، على أنّ هذا الكتيب لم أشهره حتى الآن. وللمؤلف كتاب بحث آخر أطول مما تتداوله أيدينا وأكثر بياناً وكان لدي نسخة من هذا المطوّل أخذت عن نسخة خطتها يد المؤلف واعتمدت عليها في كثير مما عارضت به المعلّم بطرس المذكور. ومن كتبه في اللغة كتابه الموسوم «المثلثات الدرية» اقتدى فيه بمثلثات قطرب المشهورة جمع بها نظماً الأسماء المختلفة المعاني باختلاف حركة أولها بين الفتحة والكسرة والضمة وشرحها شرحاً مسهباً روحياً وأديباً وعلمياً ومنها كتابه الموسوم «بيلوغ الأرب في علم البديع» جمع به أنواع الجنس والبديع مرصّعاً إيّاه بالشواهد من بديعيات من سلفوه وغيرها. ومنها كتاب وسمه «برسالة الفوائد في فن العروض» ولم يكن معلوماً قبلاً بين مؤلفاته ولا منضوداً بسلك منظوماته. ومنها كتاب «ديوانه الشهير» وقد طبع مرات ولكن قلماً نجد طبعة أو نسخة من هذا الديوان سلمت من خطأ النساخ وقد شرحه شرحاً مسهباً الخوري ارسانيوس الفاخوري الغزي.

وله في الروحيات والدينيات تعريب ترجمات القس يوسف الباني المذكور وهي ترجمات كتاب «ميزان الزمان» وكتاب «الكمال المسيحي» ثلاثة أجزاء وكتاب «المُعترف والمُعترف، وكتاب «تفسير رؤيا يوحنا» و«تعريب ترجمات الأب بطرس فرماج اليسوعي في تفسيرات العهد الجديد في عدّة أجزاء». وللمؤلف أيضاً تعريب ترجمة أسفار العهد الجديد إلى العربية عن النسخة السريانية المعروفة بالبيسطة فأنّه أصلح تلك الترجمة العربية ونقّحها وطبق بينها وبين الأصل السرياني ثمّ رتب منها الفصول التي تتلى كل يوم في القدّاس من الأناجيل ورسائل بولس الرسول. وفي طبعتي الأخيرة لهذين الكتابين زدت في مطابقة تلك الفصول مع النسخة السريانية حتى يمكن القارئ أن يعتمد على أنّ الترجمة العربية هي طبق ما في النسخة السريانية البسيطة. وكذلك فعل الخوري يوسف العلم رئيس كهنتنا ببيروت في كتابه «أقرب الوسائل في تفسير الرسائل» حيث جعل كلام الرسول بالعربية مطابقاً للأصل السرياني. ولصاحب الترجمة أيضاً تعريب الكتاب المعروف «بريش قريان» مشتملاً على فصول من نبوات الأنبياء وكتاب «أعمال الرسل» و«رسائل بولس الرسول» تقرأ في الصلوات في الكنائس أيام الأعياد وبعض آحاد السنة. وهو الذي

رتب كتاب «السكساري» أي تراجم القديسين وعربه وأصلحه كما تتداوله الأيدي الآن، إلا أنّ كثرة الأيدي التي نسخته أوقعت به كثيراً من الخطأ. والتقدم في صناعة النقد في هذه الأيام كشفت لنا عن أغلاط كانت تظن في أيامه صواباً ولذلك تراني في مطاوي كلامي في هذا التاريخ نبهت إلى ما رأيته في هذا الكتاب من الخطأ في ما حملني مساق تاريخي على الكلام فيه، وفي عزمي ان قدرني الله أن أنقح هذا الكتاب وأطبعه حرصاً عليه من غفلة النساخ وتيسيراً لاقتنائه.

وله أيضاً كتاب: «ديوان البدع» جمع فيه أكثر البدع التي نشأت في بيعة الله وشيئاً من التنفيذ لبعضها. وله أيضاً كتاب وسمه بـ «فصل الخطاب في صناعة الوعظ والخطابة» وهو بديع في نوعه ويغني عن كتاب فصاحة في بعض أقسامه، وهذا الكتاب قد طبعه جماعة من البروتستانت ولم يخلوه من حذف وتحريف فأمر الطبيب الذكر البطريرك بولس مسعد بطبعه فطبع في مطبعة الرهبان اللبنانيين في دير طاميش سنة ١٨٦٧م عن نسخة بخط المؤلف وأمرني بتصحيح طبعه فأطعت الأمر وزدت عليه مقدّمة طبع في أوله. وله أيضاً بعض صلوات سريانية لتتلى في الكنائس أيام بعض الأعياد إلى غير ذلك مما لم يخطر على ذاكرتي الآن. وقد ذكر القس جرجس منش الحلبي الماروني في ترجمته التي نشرتها مجلة الشرق في سنتها السابعة تأليف وتصحيحات وترجمات أخرى كثيرة والظاهر من مؤلفاته واعراباته واقتطافاته وترتيباته ومن الكتب الكثيرة التي ترى بخط يده المباركة أنّه لم يصرف ساعة من زمانه إلّا في خدمة الخالق والاجداء بالفوائد على الخلائق رحمنا الله بصلواته ومنّ علينا بأمثاله ببركاته.

عد ٩٠

الأب بطرس مبارك

ولد هذا العلامة بقرية غوسطا في نحو سنة ١٦٦٠م وتخرّج باللغات والعلوم في مدرسة المواردنة برومة فحاز قصبات السبق على أقرانه وأتقن من اللغات سبعة: العربية والسريانية واللاتينية واليونانية والعبرانية والإيطالية والفرنسية. ولما رجع إلى الشرق سنة ١٦٨٥م رقاہ البطريرك اسطفانوس الدويهي إلى درجة الكهنوت وأعادته إلى رومة وكيلاً له، وسلم إليه بعض كتبه ليهتم بترجمتها ونشرها. ويظهر أنّه ترجم منها إلى

اللاتينية كتاب «نسبة الموارنة» وكتاب «رد التهم عنهم» و«سلسلة بطاريكتهم» إذ نرى العلامة السمعاني والعلامة لكويان يستشهدان بكلام الدويهي مأخوذاً عن هذه الترجمة. وإلى ذلك أشار الدويهي في رسالته إلى الخوري بطرس المذكور إذ أرسل إليه إجابة لطلبه ترجمة حياته ليثبتها في صدر الكتاب، وقد مرّ ذكر هذه الرسالة في ترجمة الدويهي. وبعد عوده من الشرق دعاه أمير توسكانا وأقامه على طبع الكتب الشرقية ثم أقيم مدرّساً للعلوم المقدّسة وبيع أموالاً لم يرد أن ينفقها إلا في سبيل الخير لملّته إرضاءً لله فأنشأ مدرسة في عينطورا وشري لها من العقار ما يقوم ريعه بنفقة اثني عشر تلميذاً ثم سلّم تديرها إلى الآباء اليسوعيين الذين ضوى إلى جمعيتهم رغبة في الزهد والانقطاع عن العالم. وإليك ملخص ما قاله المجمع اللبناني (صفحة ٥٤٨ الطبعة الحديثة) إنّنا ننشي خير الثناء على تلك النية التقوية الجديرة بالرجل المتورع ولدنا الحبيب الأب بطرس مبارك أحد الآباء اليسوعيين وأحد تلامذة مدرستنا الرومانية ومن كهنة طائفتنا وهو الذي مع ما أحرزه عند الجمهور من الشهرة علماً وتقى لم ينس شعبه ولا بيت أبيه بل نظر في خير أبناء ملّته فبنى لهم على عهدنا مدرسة في سورية بقرية عينطورا وأجرى عليها الرزق ووكل تديرها إلى المرسلين اليسوعيين معلقاً على ذلك بعض شروط خيفة أن يلتم بطائفتنا المارونية شيء من الضرر في المستقبل. وقبل الأب رتز رئيس الرهبانية اليسوعية هذا التسليم بشروطه وذيلّه وأثبتته بصك شرعي مؤرخ في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤م وسنجمي على ذكر هذه المدرسة. وأقام بعد ذلك الأب مبارك مجدداً في إتيقان الفضائل والكمال الرهباني عاكفاً على عمل الميزات متفانياً بالغيرة على مجد الله مكتباً على تأليف الكتب النافعة وترجمتها إلى أن توفاه الله لرحمته سنة ١٧٤٢م.

وأما ما ألفه وترجمه فنعلم منه ترجمته من السريانية إلى اللاتينية لمجلّدين من تأليف القديس افرام السرياني وألحق بترجمته مقدّمات بديعة دالّة على طول باعه ووفرة إطلاعه وترجم قسماً من المجلّد الثالث من التأليف المذكور ولم يكمله بل أتمّه المطران اسطفانوس عواد السمعاني الآتي ذكره وألف مقالات ناقش بها يوحنا كوكليوس دلبرون في النوافير (رتب القدّاس) الشرقية. وله مقالة مسهبة في الرد على ريناودوسيوس في كلامه على بعض النوافير المنسوبة إلى بعض ذوي البدع وانسربت بين كتب الموارنة وليس فيها شيء يخالف المعتقد الكاثوليكي. وقد ذكر

له هذه المقالة المطران اسطفانوس عواد السمعاني في كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية (صفحة ٨٢ كتاب ٤٣) وقال إنّ هذه المقالة لم تطبع بعد. ولبطرس مبارك أيضاً ما ذكرناه من ترجمة كتب البطريرك اسطفانوس الدويهي العربية إلى اللاتينية وقد وضع المطران اسطفانوس عواد السمعاني ترجمة بطرس مبارك ونشرها باللاتينية في المطبعة الوايكانية ونأسف لعدم اطلاعنا على هذه الترجمة إذ لا بدّ أنها اشتملت على ذكر ما لا نعلمه من سيرة هذا الأب العالم العامل الذي يتفاخر به اليسوعيون ويحسبونه من كبار علمائهم وعلى كتب أخرى له فاتنا العلم بها.

عد ٩١

المطران جرجس بنيمين والخورى اندراوس اسكندر

أما المطران جرجس فهو ابن سركيس عبيد من إهدن تخرّج بدرس اللغات والعلوم في مدرسة الموارنة برومة وصير كاهناً ثم رقاہ البطريرك اسطفانوس الدويهي إلى أسقفية إهدن في ٢٧ آب سنة ١٦٩٠م ويسمى المطران جرجس بنيمين واشتهر بغيرته على خلاص النفوس بعلومه ولاسيما مواظله حتى لقب «الكاروز». وأنشأ بقرية زغرنا مدرسة وكنيسة وعيّن لهما دخلاً كافياً لنفقة معلمين، ثم سلّم المدرسة إلى الآباء اليسوعيين بناءً على أن يقيموا بها معلّمين ويمارسون أعمال الرسالة في كنيسة زغرنا كما سيجيء في الكلام على هذه المدرسة. واعتزل الأسقفية وانضوى إلى جمعية الآباء المذكورين وأقام بمدرسة طائفنا برومة مشغولاً بتمرين طلبتها على عمل الرسائل والقاء المواظ وإليك ما قاله آباء المجمع اللبناني بحقه: «ونثني ثناءً حسناً على غيره الأخ المحترم المطران جرجس بنيمين الاهدني الطائر السمعة علماً وعظماً بكلمة الله، وكفى به رجلاً أنّه اعتزل مقام الحبرية اتضاعاً منه وانتظم في سلك الرهبانية اليسوعية الجليلية، وأقام بإذن رؤسائه بمدرسة طائفنا المارونية الرومانية حيث كان فيها طالباً، وهناك هو باذل قصارى جهده في تمرين الطلبة الذين أتقنوا معرفة الطقوس وفن الترتيل واللغتين السريانية والعربية على الوعظ وأعمال الرسالة المقدّسة، وهو إذ كان مطراناً أنشأ في قرية زغرنا مدرسة وكنيسة وعيّن لهما دخلاً كافياً لمعاش معلّم، وتوطيداً لدعائم هذه المدرسة. ولتقائناً لإدارتها عهد بتدبيرها إلى

الآباء اليسوعيين». ونعرف له من التأليف كتاباً بالعربية اشتمل على تفنيد كل البدع المشهورة ولا نعلم الآن متى كانت وفاته لكننا نعلم أنه كان حياً في ٣٠ أيلول سنة ١٧٣١م إذ زار بيت العذراء بلوراتا وأعطى حينئذ تقريراً في شأن هذا البيت.

وأما الخوري اندراوس اسكندر فقد ولد ونشأ بجزيرة قبرص ودرس اللغات والعلوم في مدرسة الموارنة برومة ونبغ فيها وبرع ثم رقي إلى درجة الكهنوت وسُمّي خوري الكنيسة البطريركية، واستخدمه الأحرار الأعظمون في جمع الكتب القديمة الشرقية إلى مكتبة الواتيكان، ونرى العلامة السمعاني ذاكراً كتباً كثيرة فيها مبيناً أنَّ الخوري اندراوس اسكندر القبرصي جلبها إلى هذه المكتبة، وفاز بمرتبة صكاك أو مسجل رسولي من الطبقة الأولى، وأقيم معلماً للغة العربية في المدرسة الكلية المعروفة في رومة بمدرسة السايانسا أي الحكمة وأستاذ اللغات الشرقية وترجماتها لدى الكرسي الرسولي ومجمع نشر الإيمان المقدس ونعرف من تأليفه مقالة في ترجمة القديس مارون وثبات الموارنة الدائم في الإيمان الكاثوليكي بالإيطالية ومقدمات علقها على كتاب القداس بموجب رتبة طائفتنا الذي طبع تحت مناظرته سنة ١٧١٧م برومة.

ومن مبراته وقفه كل ما أحرزه من المال على مواطنيه الموارنة سكان جزيرة قبرص بموجب وصيته المدونة في ذيل المجمع اللبناني صفحة ٧٢ من الطبعة الحديثة وملخصها: «إنَّ الخوري اندراوس اسكندر الماروني الصكاك الرسولي من الطبقة الأولى... لما رأيت الحاجة الروحية في أبناء طائفتي المارونية سكان جزيرة قبرص وطني العزيز عمدت أن أعيضهم عما لم أستطع عمله بنفسي لإقامتي برومة بخدمة الكرسي الرسولي قياماً بما توجبه علي ندوري التي أهرزتها بمدرسة الموارنة برومة، فتركت مبلغ ستمائة ريال روماني بباريس تحت يد رئيس الرسائل العام لليسوعيين في هذه المدينة، وإرادتي هي أن يصرف ربع هذا المبلغ في بدل راتب سنوي لتلميذ ماروني قبرصي يتعلم في مدرسة عينطورا تحت نظارة الآباء اليسوعيين، وإذا تعذر وجود تلميذ ماروني قبرصي فيصرف الربع المذكور عندئذٍ لمرسل في جزيرة قبرص من تلامذة مدرسة رومة أو مدرسة عينطورا أو من إحدى الرهبانيات المارونية يقيم هناك لتعليم الأحداث ومزاولة أعمال الرسالة وإذا تعذر هذا أيضاً فأريد أن يصرف الربع المذكور في شراء أثاث وأنية مقدسة توزع على كنائس قبرص المارونية بمعرفة مطران الجزيرة المذكورة، وإذا بطلت مدرسة عينطورا لداع ما فأريد أن يحفظ هذا

الريع من رأس المال بيد الرئيس العام المذكور ويدفع الريع كل سنة إلى رئيس مدرسة الموارنة برومة ليصرفه بمعرفة وكيل السيّد البطريك في سبيل حاجات كنائس قبرص لمعاش معلّم أو مرسل فيها أو لشراء آنية مقدّسة لها واسأل السيّد البطريك ومطران قبرص الماروني أن يتوفرا بتنفيذ وصيّتي هذه على الأوجه المبينة فيها. ولما كنت قد شريت ستة محلات في رومة بمبلغ سبعمائة واثنين وستين ريال دخلها كل سنة ثمانية عشر ريالاً رومانياً فأريد أن أحفظ لنفسني هذا الدخل ما دمت حياً، ومتى مت فوكيل السيّد البطريك يستلم الدخل وينفقه حسنة اثني عشر قداساً عن نفسي ونفس والدي في كنيسة مدرسة الموارنة برومة، منها أربعة قداسات في أعياد القديس، مارون وأحد الشعانين وانتقال العذراء والقديس يوحنا الإنجيلي، والثمانية الباقية تقدّس في آحاد وأعياد على اختيار رئيس المدرسة، وما فضل عن حسنة القداسات يرسله وكيل البطريك لمعاش تلميذ أو كاهن ماروني يقيم بقبرص لمباشرة التعليم والرسالة وإذا تعلّد ذلك فيشرى بقيمة الدخل أثاث لكنائس قبرص. وأريد أن يحفظ ذكر دائم لوثيقتي هذه فتحفظ نسخة منها بمدرسة الموارنة وأخرى عند رهبان الموارنة في دير القديسين بطرس ومرشلين، وأخرى عند وكيل السيّد البطريك، ونسخة في خزانة البطريكية. دوّن في ١٥ آب سنة ١٧٣٤م والتوقيع الخوري اندراوس اسكندر القبرصي الماروني، وشهود هذه الوثيقة جرجس بنيمين مطران إهدن سابقاً، الأب يواصاف دبسي رئيس دير القديسين بطرس ومرشلين. اشعيا جاماتي الدمشقي الماروني ميخائيل لويس دي لوقا الماروني من قبرص» ولم نعر إلى الآن على ما ينبئنا في أي سنة توفي بعد تاريخ وصيته هذه.

عد ٩٢

العلامة الشهير الخوري بطرس التولاوي

ولد هذا العلامة سنة ١٦٥٧م ونشأ بقرية تولا ببلاد البترون من بيت زيتو ورجما كان الصحيح من بيت زيتون، وقد ذكر هو نسبه في مقدّمة كتاب تأملاته فقال إنّهُ عبدالله بن بطرس بن اسحق التولاوي البتروني، وأرسله البطريك جرجس البسبلي إلى مدرسة الموارنة برومة سنة ١٦٦٨م لاقتباس العلوم إذ كان عمره إحدى عشر سنة، فتخرّج بهذه المدرسة بالعلوم والفنون فنبغ وفاق أقرانه وعاد إلى لبنان

حائزاً شهادة الملقنة سنة ١٦٨٢م، فراقه فيها البطريرك اسطفانوس الدويهي إلى درجة الكهنوت على مذهب كنيسة العذراء بدير قنوين الكرسي البطريركي، ثم أرسله سنة ١٦٨٥م إلى حلب واعظاً ومعلماً فاشتهر فيها بعلومه وذكائه حتى كان العلماء المسلمون أنفسهم يجلبونه ويتهيئون به يستفتونه في مسائل فقهية أيضاً، لأنه درس الفقه الإسلامي وكان فيه من المبرزين المجتهدين. ويروون عنه عدة فتاوى بديعة كان يعتمد في بعضها على علم الطبيعيات الذي كان بارعاً فيه، ونما عرف قداسه وتقواه فكان يقصده القاصي والداني للاستفادة بمشورته الصالحة وللإغتراف من كنز علومه، ورقاه المطران جبرائيل البلوزاوي مطران حلب وقتئذ إلى مقام خوري بردوط ورأسه على كهنة حلب سنة ١٦٩٨م وأقام مدرسة مسيحية لا تنحط عن مدارس حلب الإسلامية الشهيرة في ذلك العصر، وتعلم له كثيرون فنبغوا واشتهروا وعدوا من علماء النصارى المشاهير منهم العلامة المطران جرمانوس فرحات الذي رأيت ترجمته، والمطران عبدالله قرألي مطران بيروت والمطران جبرائيل حوا مطران قبرص، والقس عبد المسيح لبنان، والقس عطالله ونده، والشماس عبدالله زاهر، والخوري نيقولاوس الصائغ الملكيان الكاثوليكيان، ومكرديج الأرمني وغيرهم من العلماء المسيحيين الحلبيين في ذلك العصر.

وكان مع ذلك مدمناً الوعظ وارشاد النفوس مشهوراً فيهما بالفصاحة والبلاغة تغص الكنائس بالمتقاطرين لسماع وعظه من كل ملّة، ويقصده لينعم بارشاده كل من رغب في الخلاص والتقوى، وهو لا يبرح مكباً على التأليف والتصنيف. فنعرف من تأليفه بالعربية كتاب «المنطق» مشهوراً باسمه وكتاب غراماطيق للغة السريانية وكتاب «مجموع المجامع المارونية» و«مجموعة دعوى المرسلين» و«ترجمة القديس يوحنا الكمبيسي» و«أخبار المجمع التريدنطي» و«رسالة في عبادة الوردية» وكتاب «ردّ على قضايا الروم الخمس» و«ترجمة تأملات توما الكمبيسي» و«تعريب أعمال المجمع التريدنطي» وكتاب «مواعظه» في مجلدين و«كتاباً في الالهيات أو علم ما وراء الطبيعة» و«كتاباً في الطبيعيات» و«كتاباً في اللاهوت الاعتقادي» في خمسة أجزاء وكتاباً سماه «مرآة النفوس في عمل الرياضات الروحية» إلى غيرها من كتب مواعظ وتأملات روحية ومقالات ورسائل وفتاوى في الفقه الكنسي والعالمي. وأدرسته المنية في سنة ١٧٤٥م ومضى ينال ثواب جهاده ومبزاته خالداً في الجنان.

ترجمة العلامة يوسف سمعان السمعاني

كان من الأسرة السمعانية عدّة مشاهير في هذا العصر منهم المطران يوسف شمعون السمعاني، رقاہ البطريرك اسطفانوس الدويهي إلى أسقفية طرابلس في ١٤ تموز سنة ١٦٧٥م، وتوفي في ١١ كانون الأول سنة ١٦٩٥م، وهو عم صاحب الترجمة، وله تأليف في علم الدّمة. ومنهم البطريرك يعقوب عواد والبطريرك سمعان عواد المار ذكرهم. والذي فاق كل من تقدّمه أو اشتهر بعده من هذه الأسرة وغيرها إنّما هو العلامة المونسنيور يوسف سمعان السمعاني رئيس أساقفة صور حلية دهره وفريد عصره، ونأخذ ترجمة هذا النابغة المنقطع النظير عن سجل حرر عند موته وحفظ في خزانة كنيسة القديس بطرس الكبرى برومة صندوق ٢٢ رزمة ٢٧، استنسخ لنا نسخة منه المرحوم الخوري يوسف السمعاني عند وجوده برومة بداعي الجمع الفاتيكاني سنة ١٨٦٩م مصادقاً عليها أنّها طبق الأصل المحفوظ في الكنيسة المذكورة من الأب أنريكوس دي بليني أحد الخوارنة الموظفين بهذه الكنيسة، ومتسلّمّي خزائنها فكلّامنا في ترجمة هذا العلامة وتعداد مؤلفاته هو ترجمة هذا السجل.

ولد يوسف سمعان السمعاني السرياني الماروني في طرابلس الشام (هو من حصرون ولكن فريق من سكان هذه القرية يصرفون مدّة من السنة في حي بطرابلس يسمى حارة الحصارنة من زمان مديد) في ٢٧ تموز سنة ١٦٨٧م من أسرة حسيية ورباه منذ حدائته تربية تقوية عمّه يوسف السمعاني مطران طرابلس، وكان رجلاً ورعاً مشهوراً بعلمه وأرسله صغيراً عمره ثماني سنين إلى مدرسة المواردة برومة فبرع بالعلوم الإلهية والبشرية براعة دلّت على ما سيكون له من رفيع المقام بين العلماء، ولمّا أتمّ دروسه واستعدّ للرجوع إلى وطنه عهد إليه البابا اكليمنطوس الحادي عشر أن يصنع فهرساً لاتينياً للكتب الشرقية المخطوطة التي كان نسيبه الياس السمعاني رئيس كهنة الكنيسة الأنطاكية قد أرسلها عن قرب إلى المكتبة الواتيكانية وان يلخّص فحاويها، فأتّم ما عهد إليه به الحبر الروماني بأحسن أسلوب وعلّق على الكتب المذكورة حواشي نفيسة وكثيرة موعبة بالفقاهة والفوائد جعلت البابا يراه أهلاً لأن يعين مترجماً للكتب العربية والسريانية والكلدانية التي في

المكتبة الواتيكانية، وأقامه على ذلك في ١٠ آذار سنة ١٧١٠م. وفي ٤ تموز في السنة المذكورة نال رتبة الملقنة في الفلسفة واللاهوت ثم سمي مستشاراً في اللجنة التي أقامها البابا المذكور لاصلاح الأسفار المقدسة التي يستعملها الشرقيون. وفي سنة ١٧١٥م أرسله الكرسي الرسولي إلى الشرق لإجابة لطلب نسييه يعقوب بطرس عواد بطريرك أنطاكية للتفتيش على الكتب المخطوطة الشرقية فأتى منها إلى رومة بكتب وافر العدد من كل ناحية من سورية ومصر وكان منها مادة غزيرة نوضع مؤلفه الشهير الموسوم بالمكتبة الشرقية الاكليمنضوسية الواتيكانية.

وفي ٣٠ من شهر أيلول سنة ١٧٣٠ سمّاه البابا اكليمنضوس الثاني عشر حافظاً ثانياً للمكتبة الواتيكانية، ثم في ٣ من كانون الثاني سنة ١٧٣٩م خلف كرلوس ما بولي مطران حمص في الرئاسة على هذه المكتبة، فمكف بغيرة لا يعرفها ملل على إتمام هذه الخطوة إلى حين وفاته مجدداً على العلم بفوائد لا تقدّر، تدلنا على ذلك المؤلفات الكثيرة التي ألفها أو جعل غيره من العلماء يؤلفونها. وكان منذ ١٢ كانون الأول سنة ١٧١٣م قد سمي اكليريكياً ذا جعل في كنيسة زعيم الرسل الكبرى برومة ثم رقي إلى درجة الكهنوت في ٢١ تموز سنة ١٧١٩م خادماً النفوس في هذه الكنيسة إلى أن سمي في ١٦ كانون الأول سنة ١٧٣٨م قانونياً في جملة الكهنة القانونيين فيها، ثم عين مستشاراً في مجمع نشر الايمان المقدس في مشاغل الكنائس الشرقية، وفي المحاماة عن الإيمان الكاثوليكي ونشره، وسمّاه البابا اكليمنضوس الثاني عشر في جوقه خدام غرفته camèriere سنة ١٧٣٢م ثم سمّاه سنة ١٧٣٥م في جوقه رؤساء غرفته Prelat Domestique مع الترخيص باستعمال التاج والعكاز، وقد أرسله البابا المذكور قاصداً إلى طائفته لاصلاح التهذيب البيعي فعقد مجعماً بلبنان لم يسمع بمثله في الشرق منذ قرون وأتم ما قصده البابا على أحسن مما كان ينتظر، ثم سمّاه كرلوس الرابع ملك نابولي وصقلية وهو ملك إسبانيا أيضاً باسم كرلوس الثالث مؤرخاً لمملكة نابولي سنة ١٧٣٩م. وفي السنة الثامنة نال أن يحسب من أعيان هذه المملكة كالمولودين فيها.

وكان البابا بناديكطوس الرابع عشر كثيراً ما يستشيريه وأدخله في عداد المستشارين في مجمع الفحص المقدس، فعاون هذا المجمع بكتاباته المتواترة التي كادت تكون في كل يوم وسمّاه البابا اكليمنضوس الثالث عشر عضواً في الديوان المعروف بديوان التوبة في ٢٤ أيلول سنة ١٧٥٩م، ثم سمّاه مهرداراً أي حافظ

الحنتم في ١ شباط سنة ١٧٦١م، ثم رقي إلى مطرانية صور في ١ كانون الأول سنة ١٧٦٦م ولما كان قد بلغ من العمر إلى الحادية والثمانين صرفها في ممارسة الفضائل والجهاد واكتساب محبة الجميع واعتبارهم رقد بالرب في ٣١ كانون الأول سنة ١٧٦٨م برومة متزوداً بالأسرار المقدسة التي طلبها، ودفن في كنيسة القديس يوحنا الإنجيلي بمدرسة الموارنة ونقش على صفيحة ذكراً لهذا الرجل ملخص ما روينا من ترجمته».

عد ٩٤

مؤلفات السمعاني

إنّ ما سنذكره في هذا الفصل أيضاً هو مترجم عن السجل الواتيكانى السابق ذكره «مؤلفات يوسف سمعان السمعاني مطران صور التي طبعت إلى الآن».

المكتبة الشرقية الاكليمنضوسية الواتيكانية وهي تشتمل على ذكر الكتب المخطوطة السريانية والعربية وتنسيقها وترجمة كل مؤلف من مؤلفيها وتراها مقسمة في أربعة مجلدات المجلد الأول في المؤلفين السريان الكاثوليكين طبع برومة في مطبعة نشر الإيمان سنة ١٧١٩م، المجلد الثاني في المؤلفين السريان المونوفيزيتيين أي أصحاب الطبيعة الواحدة، المجلد الثالث في المؤلفين السريان النساطرة، المجلد الرابع في السريان النساطرة ومقالة في السريان أصحاب الطبيعة الواحدة.

كتاب في استعمال كهنة الروم أو غيرهم من الكهنة الشرقيين سر التثبيت، طبع برومة بمطبعة القاعة الرسولية سنة ١٧٢٥م.

التاريخ الشرقي لبطرس الراهب المصري قد ترجم هذا الكتاب أولاً ابراهيم الحاقلي من العربية إلى اللاتينية، ثم أعاد ترجمته يوسف السمعاني وألحق به أربع مقالات، طبع بالبندية سنة ١٧٣١م.

مونولوجيون أي سنكساري الروم نشر أولاً باليونانية بأمر الملك باسيلوس ثم طبع باليونانية واللاتينية مقسوماً إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يشتمل على قصص القديسين في أيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني، والقسم الثاني على قصصهم في كانون الأول وكانون الثاني وشباط، وهذا القسم ترجمه البابا اكليمنضوس الحادي

عشر قبل ارتقائه إلى الحبرية العظمى، والقسم الثالث يشتمل على قصصهم في الأشهر الستة الباقية وهذا القسم ترجمه يوسف سمعان السمعاني وأعاد النظر في ترجمة القسمين السابقين، وطبع باوربان سنة ١٧٢٧م.

مؤلفات القديس افرام السرياني اليونانية ترجمها يوسف سمعان السمعاني إلى اللاتينية في ثلاثة مجلدات، وعلّق عليها مقدّمات وحواشي وفهرستاً لجميع مؤلفات القديس افرام المطبوعة أو المخطوطة الموجودة في المكتبات. طبعت هذه الترجمة برومة بمطبعة الواتيكان سنة ١٧٣٢ وسنة ١٧٤٧م.

مقالة له قدّمها إلى الكردينال انبيل رئيس أساقفة البانو في القديسين بونيفاشيوس وريدمتون وأوطيخوس الكاهن الشهيد طبعت برومة ١٧٤٨م.

غرامطيق أي كتاب نحو اللغة اليونانية طبع باوربان في جزئين.

تأين لفريدريك أغوستوس الثاني ملك بولونيا ألقاه في كنيسة القديس اكليمينضوس برومة في ٢٢ أيار سنة ١٧٣٣م وطبع بمطبعة الواتيكان.

تأين ألقاه في كنيسة الواتيكان الكبرى في ٢٢ شباط سنة ١٧٣٠م في جناز البابا بناديكتوس الثالث عشر وطبع برومة سني ١٧٣٢.

خطبة في انتخاب الحبر الروماني ألقاها للكرادلة الكليسيّ السموّ في كنيسة الواتيكان الكبرى وطبعت سنة ١٨٤٠م.

براءة رسولية باسم البابا أكليمينضوس الثاني عشر أثبت بها نظام تدبير المكتبة الواتيكانية والمحافظة على كتبها وكان السمعاني رئيس المكتبة المذكورة قد جمع قوانين هذا النظام وطبعت بالمطبعة الواتيكانية سنة ١٧٣٩م.

أعمال المجلس البابوي الذي عقده البابا بناديكتوس الرابع عشر في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م لتثبيت سمعان بطرس عواد بطريكاً على أنطاكية مع رسالة منفذة من البطريرك والأساقفة إلى امام الأخبار المشار إليه طبعت في مطبعة نشر الإيمان المقدّس سنة ١٧٤٤م.

أعمال المجلس البابوي الذي عقده البابا بناديكتوس الرابع عشر في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧٤٢م لتثبيت انتخاب بطرس ورتبت بطريكاً على أرمينيا وكيليكيا ومنحه درع الرئاسة، طبعت في مطبعة مجمع نشر الإيمان المقدّس سنة ١٧٤٢م.

أعمال المجلس البابوي الذي عقده البابا بناديكتوس الرابع عشر في ٢٨ آذار سنة ١٧٥٧ لتثبيت البطريرك طويبا الخازن في بطريركية الموارنة الأنطاكية وإيلائته درع الرئاسة، طبعت بمطبعة نشر الإيمان المقدس سنة ١٧٥٧م.

قوانين وفرائض الرهبان السريان الموارنة اللبنانيين أنشأها هذا العلامة بالعربية واللاتينية وعلق في فاتحتها رسالة عربية إلى الرئيس العام والرهبان ضمّنها الكلام على أصل رهبانية القديس أنطونيوس الكبير في سورية وجبل لبنان وانتشارها فيهما. طبعت برومة.

وله رسالة عربية إلى الرئيس العام والرهبان المنسوين إلى القديس أشعيا في أصل الرهبان في جبل لبنان طبعت برومة سنة ١٧٤١م.

وله رسالة إلى الرئيس والراهبات الملكيات الباسيليات في أصل الراهبات الباسيليات بسورية وجبل لبنان طبعت برومة بمطبعة مجمع نشر الإيمان سنة ١٧٦٤م.

كلندريات الكنيسة كلّها يشتمل على أسماء القديسين وصورهم وأيام أعيادهم مأخوذة عن التماثيل والصور والكتب القديمة المخطوطة طبع برومة من سنة ١٧٥٠ إلى سنة ١٧٥٥م في ستة مجلّدات بقطع ربع.

مجموعة المؤرخين الإيطاليين مأخوذة عن كتب مخطوطة في المكتبة الواتيكانية وغيرها من المكتبات علّق عليها مقدّمات وحواشي طبعت برومة سنة ١٧٥١ إلى سنة ١٧٥٣م في أربع مجلّدات قطع ربع، وفيها شروح وافية في تاريخ مملكتي نابولي وصقلية.

مكتبة الناموس الشرقي الكنسي والمدني في خمسة مجلّدات: المجلّد الأوّل يشتمل على مجموعة لقوانين كنيسة الروم طبع برومة سنة ١٧٦٢م قطع ربع، المجلّد الثاني يشتمل على دستور الحقوق المدنية في كنيسة الروم طبع برومة سنة ١٧٦٢م بالقطع المذكور، المجلّدات الثالث والرابع والخامس تشتمل على حاشية على دستور الحقوق البيعية والمدنية في كنيسة الروم طبع برومة سنة ١٧٦٣ وسنة ١٧٦٤ وسنة ١٧٦٩م بالقطع المذكور.

وله رسالة عربية إلى الرئيس العام والرهبان الروم الملكيين الباسيليين في أصل

أديار الرهبان الباسيليين وانتشارها في الكبادوك وسورية وجبل لبنان، طبعت بمطبعة مجمع نشر الإيمان سنة ١٧٥٨م.

وله أيضاً ما يأتي ذكره من المؤلفات المخطوطة بعضها كان كاملاً وبعضها مبتدئاً فيه، فأبادها حريق وقع في غرفة مكتبته وفي مكتبة اسطفانوس عواد السمعاني مطران حماة في المخادع التي بجانب المكتبة الواتيكانية في ٣٠ آب سنة ١٧٦٨م.

المجلد الخامس من المكتبة الشرقية يشتمل على الترجمات السريانية والعربية للأسفار المقدسة. المجلد السادس في كتب السريان البيعية. السابع في مجموعات المجامع السريانية. الثامن في مجموعات المجامع العربية. التاسع في ترجمات كتب المؤلفين اليونان إلى السريانية والعربية. العاشر في المؤلفين العرب النصارى. الحادي عشر والثاني عشر في المؤلفين المسلمين.

تكملة مؤلفه كلندريات الكنيسة كلها: المجلد السابع في كلندريات اليونان والروم. المجلد الثامن في الكلندريات القديمة عند السريان والوارنة واليعاقبة والنساطرة. التاسع في الكلندريات القديمة عند الأرمن. العاشر في الكلندريات القديمة عند المصريين والأحباش. الحادي عشر والثاني عشر في الكلندريات القديمة عند اللاتينيين.

وقد أتم مؤلفه مجموعة المؤرخين الإيطاليين المطبوعة في أربعة مجلدات بالمجلدات الآتية: المجلد الخامس والسادس في المؤلفين القدماء من مملكتي نابولي وصقلية. المجلدات السابع والثامن والتاسع والعاشر تشتمل على ما بين أحوال نابولي وصقلية ويلها بيان أحوال غيرهما من نواحي إيطاليا كمملكة لمبردية وأمريات رومة وسيولانو وتوسكانا وغيرها.

وله مؤلف آخر في صور القديسين وذخائرهم: المجلد الأول في صور القديسين الفسيفسية (أي المنقوشة بالفسيفساء) والمصوّرة أو المنحوتة المحفوظة في الكنائس القديمة في الشرق والغرب. الثاني في صور القديسين المحفوظة في الكتب القديمة اللاتينية واليونانية والكتب الشرقية. الثالث في صور سيدنا يسوع المسيح. الرابع في صور العذراء أم الله المكرّمة في الشرق والغرب. الخامس في الأماكن المقدسة بفلسطين وفي ذخائر سيدنا يسوع المسيح والعذراء القديسة. إنّ قسماً من المجلد

الأول من هذا التأليف أشهره يوحنا بوتاريوس في مقالة نيقولاوس اليماني في أخربة لاتران المطبوعة سنة ١٧٥٦م من صفحة ١٣٥ إلى صفحة ٢٠١، وقسم آخر كبير من هذا التأليف نجا من الحريق وهو محفوظ بيد ورثة السمعاني المؤلف.

وله أيضاً تأليف وترجمة مجمع الموارنة اللبناني الذي عقده البطريرك يوسف الخازن وأساقفة ورؤساء الموارنة سنة ١٧٣٦ بجبل لبنان برئاسة السمعاني القاصد الرسولي من قبل البابا اكليمنضوس الثاني عشر، وقد أنشأه بالعربية وترجمه إلى اللاتينية. والنسخة اللاتينية التي أثبتها البابا بنادكتوس الرابع عشر محفوظة في خزانة أوراق مجمع نشر الإيمان المقدس. والنسخة العربية التي عورضت بالأصل فوجدت مطابقة له نجت من الحريق وهي بيد ورثة السمعاني.

وله أيضاً أوخاليجيون الكنيسة الشرقية وهو يشتمل على الطقوس ورتبة القدياس والفروض البيعية ورتب الأسرار والتكريسات والبركات مضافاً إليها شروح من علماء شرقيين وغربيين غير مطبوعة قبلاً. وهذا التأليف مقسوم إلى سبعة كتب: الأول في أوخاليجيون السريان المارونية. الثاني في أوخاليجيون الكنيسة السريانية اليعقوبية. الثالث في هذه الرتب في الكنيسة السريانية النسطورية. الرابع فيها في الكنيسة الملكية. الخامس فيها في الكنيسة الأرمنية. السادس فيها في كنيسة القبط المصرية. السابع فيها في كنيسة الأحباش.

وله أيضاً مؤلف في مجامع الكنيسة الشرقية مقسوم في ستة مجلدات وأكثرها لم يشهر قبلاً كله أو بعضه وهو مأخوذ عن كتب شرقية مخطوطة: المجلد الأول في مجامع الكنيسة السريانية المارونية. الثاني في مجامع الكنيسة الكلدانية النسطورية. الثالث في مجامع السريان اليعاقبة. الرابع في مجامع الأقباط. الخامس في مجامع الأرمن. السادس في مجامع الروم والالبانيين والروتانيين.

وله أيضاً تسعة كتب في التاريخ الشرقي: الكتاب الأول في السريان الموارنة. الثاني في الروم الملكية. الثالث في الدروز والنصيرية. الرابع في المسلمين. الخامس في القبط. السادس في السريان اليعاقبة. السابع في الأحباش. الثامن في السريان النساطرة. والتاسع في الأرمن.

وله تسعة كتب في تاريخ سورية القديمة والحديثة: الكتاب الأول في وصف سورية بالإيجاز. الثاني في فلسطين. الثالث في فينيقيا. الرابع في سورية وسورية

الجوفة وسورية الفراتية. الخامس في ما بين النهرين. السادس في آشورية أي بلاد الآشوريين وهي العراق. السابع في كيليكيا. الثامن في العربية أي بلاد العرب. التاسع في جزيرة قبرص. ثم لأنّ الكتابين الثامن والتاسع وقسماً من الكتب نجت من الحريق وهي بيد ورثة السمعاني.

وله أيضاً مقالة لاهوتية في صحّة الرسامات التي يياشرها أساقفة مصر ومقالات أخرى وتقارير ومباحث في مواد شتى وحل مشاكل موردة من نصارى الشرق ومحوّلة إليه من مجمع نشر الإيمان المقدّس ومجمع الفحص، ولم تزل أصولها محفوظة في خزائن المجمعين المذكورين ولو جمعت لتألف منها عدّة مجلّدات ضخمة.

وله أيضاً غراماطيق سرياني مطوّل ألفه بالعربية ووضع عليه الحركات السريانية نجاً من الحريق وهو باقي عند الورثة، وله أيضاً كتاب منطق بالعربية نجاً من الحريق وهو بيدهم أيضاً.

وله أيضاً كتاب في الالهيات أي علم ما وراء الطبيعة بالعربية وكتاب لاهوت اعتقادي بالعربية وكتاب في تفسير الآيات الغامضة في العهدين القديم والحديث. ولهذه المؤلفات عدّة نسخ باقية إلى الآن. «هذا ختام ما جاء في السجل الواتيكاني».

ومن كتبه الأخير وهو تفسير الآيات الغامضة الخ. مخطوطة في مكتبة بطريركية الموارنة ولا أعلم لماذا أغفل كاتب السجل المذكور ذكر كتب أخرى للسمعاني ولا نشك في أنّه مؤلّفها. منها فهرست الكتب الشرقية القديمة المخطوطة في المكتبة الواتيكانية الذي ألفه بمعاونة ابن أخته اسطفانوس عواد السمعاني. ومنها كتابه في البطريركيات الأربع وبتاركتها الذي ألفه بالعربية بمعاونة البطريرك سمعان عواد وهما يدرسان معاً برومة. ولهذا الكتاب الأخير عدّة نسخ ومنها كتاب في اللاهوت الأدبي ألفه بالعربية موسوماً بشرح الوصايا العشر ونسخته الأصلية في مكتبة الرهبان الموارنة برومة.

وقد أشار السمعاني في بعض كتبه الباقية إلى بعض كتبه المفقودة فقال في كتابه كلنديات الكنيسة (مجلّد ١ صفحة ٣٠١): «وتركت جانباً طبع هذا الكتاب لأشتغل في تكملة بعض كتب كنت قد بدأت فيها أخصّها: «كتاب سورية القديمة والحديثة» وكتاب «تاريخ الجامع» وكتاب «رتب نصارى الشرق»

الذين انقسموا منذ قرون إلى سريان وملكية وأرمن وقبط ولأشغل أيضاً بما يتعلق بتاريخ إيطاليا وفقهاؤها وسأشهر عن قرب فهرستاً دالاً على ذلك». إلى أن قال بعد ذلك إنه يلزمه أن يتم كتابه كلندريات الكنيسة ليتفرغ لجمع المواد اللازمة لكتابته في صور القديسين. وقال في آخر كتابه التاريخ الشرقي: «وكان في عزمي أن ألحق بذلك تاريخ بطاركة السريان الملكية والموارنة والنساطرة وتاريخ الأرمن والجركس والأحباش ولكن رأيت أن سلسلة تاريخية مدققة لا يمكن إلحاقها بتاريخ للخلفاء والسلاطين والمسلمين لكنني لتكلمة ما عزمت عليه سوف أستعين بالكتب السريانية والعربية المأتمني بها حديثاً إلى المكتبة الواتيكانية. ولما كان طابع هذا التاريخ يلج عليّ بتكملة طبعه أجلت إلى وقت آخر تكلمة هذا التاريخ الشرقي». وقد أشار إلى تأليف أخرى في المجلد الأول من المكتبة الشرقية إذ قال: «والمجلد الرابع سوف يشتمل على ذكر المؤلفين اليونان واللاتينيين وغيرهم المترجمة مؤلفاتهم إلى السريانية سواء كانوا كاثوليكين أم من أولي البدع... وسلسلة البطاركة السريان الموارنة والملكية واليعاقبة والنساطرة مأخوذة عن الكتب المخطوطة بالمكتبة الواتيكانية». فأعجب بهذا الرجل الذي يعجز رجل وإن مغرماً، بالمطالعة عن أن يقرأ في حياته ما ألفه هو في أوقات فراغه من باقي أعماله.

عد ٩٥

اعتبار الأخبار الأعظمين للعلامة السمعاني

يدلنا على علو منزلة هذا النابغة العلامة حقيقة عند الأخبار الأعظمين الذين كانوا في أيامه ما أولوه إياه من المناصب الرفيعة والوظائف العالية المتقدم ذكرها، وما أجלוه به من التقاريط المشرفة، فنرى البابا اكليمنضوس الثاني عشر قد عنون رسالته المؤرخة في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م التي أقامه بها قاصداً من لدنه لعقد المجمع اللبناني بهذا العنوان: «إلى الابن الحبيب يوسف سمعان السمعاني أحد رؤساء بلاطنا ولحنينا وجليسنا الملازم لنا». وقال في حقّه في براءته إلى البطريرك يوسف الخازن المؤرخة في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م: «إننا موجهون إليك بعاطفة الحب وفقاً لطلبك منا قاصداً من قبلنا وهو الابن الحبيب يوسف سمعان السمعاني الموماً إليه من له في مدينتنا الشريفة هذه ذكر طنان مذ عدّة سنين

لاشتهاره بالتقى والدراية والعلم والخبرة بشؤون الشرقيين خصوصاً طائفته». وقال في رسالته إلى الأساقفة بهذا الخصوص في التاريخ المذكور: «قد تعجلنا إنفاذ أمرنا إلى الابن الحبيب يوسف سمعان السمعاني حافظ مكتبتنا الرسولية الواتيكانيّة وأحد رؤساء بلاطنا المشهود له بالصلاح وسداد الرأي والخبرة بشؤون الشرقيين خصوصاً طقوس طائفته المعروف عندنا بغير ذلك من الصفات الجليلة والعزير عليكم والمحجب إليكم». وترى مثل ذلك وأعظم منه في براءة البابا بناديكتوس الرابع عشر في تثبيت الجمع اللبناني المطبوعة في كتاب هذا الجمع.

وقد عثرنا في كتاب المطران اسطفانوس عواد السمعاني فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية على رسالة من البابا بناديكتوس الرابع عشر إلى العلامة السمعاني لم تكن نعرفها ولا رأينا ذكرها في أحد الكتب إلى الآن فأحببنا أن نثبت ترجمتها في كتابنا هذا إحياءً لذكرها وبياناً لما كان عند الأحرار الأعظمين من علو المنزلة ورفيع الشأن لهذا العلامة المنقطع النظر. ذلك أنّه بعد عقد الجمع اللبناني وسفر السمعاني إلى رومة وسوس بعض أصحاب المآرب المنحرفة إلى البطريرك يوسف ضرغام الخازن وبعض الأساقفة في أن يعترضوا على هذا الجمع ويمنعوا تثبيت الكرسي الرسولي له مدّعين خاصة أنّ فصل الرهبان عن الراهبات في الأديار تحول دونه صعوبات وعقبات، وأنّ لسكنى الأساقفة كل في أبرشيته غوائل ومضارّ والأولى أن يستمروا على ما كانوا عليه من الإقامة جميعاً عند البطريرك، وأرسل المعارضون إلى رومة الخوري ميخائيل الغزيري والخوري الياس سعد البجاني تلميذي مدرسة الموارنة في رومة وأصبحوهما بعرائض الشكوى من رسوم الجمع اللبناني في ما ذكر ومن تصرّفات السمعاني في قصادته، وشاركهم في هذا الاعتراض والتشكي البطريرك كيرلس تاناس بطريرك الملكية الكاثوليكيين، فبلغ الموفدان إلى رومة وأكثر من التشكي والطعن بالسمعاني، فجمع البابا بناديكتوس الرابع عشر كرادلة مجمع نشر الإيمان وبعد إمعان النظر في رسوم الجمع وفي اعتراضات المعارضين أثبت أعمال الجمع وكلاً من رسومه في براءته المؤرخة في ١٠ أيلول سنة ١٧٤١م والمثبتة في ذيل الجمع اللبناني. ورغبة في تطيب قلب السمعاني وبياناً لأنّ المطاعن التي لَقَّحها خصومه تعود عليهم بالعار، وأرسل إليه الرسالة الآتية التي ترجمناها بما أمكن من الدقة:

«إلى الابن الحبيب يوسف سمعان السمعاني معلّم بلاطنا الرسولي وأستاذ التبليغ

في كلا ديوانينا ورئيس خدام غرفتنا ونجينا الملائم لنا من البابا بناديكتوس الرابع عشر.

«أيها الابن الحبيب السلام والبركة الرسولية. إنَّ ما نعتقده بكم من كرم الأخلاق والتقوى والرغبة في تقدّم الفنون والعلوم المقدّسة خاصّة ليس بحديث عندنا بل قد مضى عليه نحو من ثلاثين سنة، فقد عرفناكم بذلك مذ كنّا في المقامات الصغيرة قبل ارتقائنا إلى السدّة الرسولية والمتاعب الشاقّة التي قاسيتها في خدمة هذا الكرسي الرسولي والحصل الحميدة التي ما فتئتم تزادون تجمّلاً بها جعلتنا ننزلكم أرفع منزلة من التوقير عندنا، لا إذ نحن في رومة فقط بل إذ كنّا مقيمين خارجاً عنها أيضاً، ولكي نبدي انعطافنا إليكم نقول إنّ الطيّب الذكر كرلوس مايولي رئيس أساقفة حمص (رئيس المكتبة الوايكانية قبل السمعاني) الرجل الشهير بعلومه وخدماته للكرسي الرسولي كان يخبرنا وهو حيّ عن تصرّفكم معه مدّة طويلة بالرفقة واللطف مثنيّاً على فقاهاتكم بكل فن وحكمتكم وتقوّة سيرتكم وحسن خلوصكم ولطف معاشرتكم له، وأبحاثه معكم إلى أن خلفتم كرلوس المذكور بمرتبة قانوني في كنيسة القديس بطرس الكبرى برومة وبالرئاسة على المكتبة الوايكانية، فمرى بكم مثلاً لذلك الرجل الشهير ونحبكم كما كنا نحبه ويضاف إلى ذلك ما تبدّلونه من الجهد الذي يكاد خاصّة لا يصدّق ومن العناية التي لا توصف منذ سنين متطاولة في المشاغل الشرقية خاصّة خدمة لجامع إخواننا المحترمين كرادلة الكنيسة الرومانية المقدّسة في مجمع الفحص المقدّس العام ضدّ شرّ أولي البدع، ومجمع نشر الإيمان المقدّس، وما برحتم تثبتون بذلك ما لكم من الخبرة الثامّة والحكمة الوفرة والعناية الكبرى حتى يتولانا السرور العظيم لرؤيتنا أنكم غائمون الثناء والشكر من الجميع.

ثمّ إنّ ما شهرتموه من المجلّدات الكثيرة في المكتبة الشرقية وفي غيرها من العلوم والفنون قد أكسبكم عند القبائل القاصية أيضاً اسماً عظيماً وشهرة لا تمحوها الأيّام والدهور وقد شملنا مزيد السرور عندما علمنا ونحن في مقام الكرادلة في بونونيا أنّ سالفنا السعيد الذكر البابا اكليمنضوس الثاني عشر وقبله سالفنا الطيّب الذكر البابا اكليمنضوس الحادي عشر قد أرسلاكم إلى أصقاع الشرق لتجمعوا الكتب المخطوطة يونانية وسريانية وعربية وغيرها من اللغات، ثمّ عهد إليكم البابا اكليمنضوس الثاني عشر بالقصادة الرسولية إلى طائفتكم المارونية بطلب مجمع نشر الإيمان المقدّس

لاصلاح ما طرأ على تهذيب طائفتكم من الخلل بجمع إقليمي يعقده هناك الإخوة المحترمون بطريرك هذه الطائفة وأساقفتها، ولما ارتقينا إلى هذه المنصة الرسولية السامية وكنا مهتمين باثبات هذا الجمع وتأييده بالسلطان الرسولي ساءنا كثيراً ما بلغنا من أنه أولاً نشأت اعتراضات ومحاورات في بعض الأمور المتضمنة في الجمع. ثانياً أنه انتشرت كتابات مخطوطة بل مطبوعة أيضاً لا تشتمل على إيضاح براهين تلك الاعتراضات والمحاورات أو حجج كاتبيها بل على الطعن والقذف والتنديد مقصوداً بها بجسارة الحطة بقدركم ومقامكم وشخصكم وقد أذاعوها وتداولتها الأيدي. فبعد أن بحثنا عن هذه الأمور وظهرت لنا حقيقتها جلياً أصدرنا براءة مؤرخة في أول أيلول من هذه السنة أثبتاً فيها كل ما يلزم بيانه في هذا الشأن وأثبتنا فيها الجمع المذكور بسلطاننا الرسولي وأثبتناه كل التأييد، ورأينا من الصواب والانصاف أن نمحو كل وصمة التحقت باسمكم من الكتابات المذكورة وأن ننزل التأديب بمؤلفيها وأن نعلن أنها تستحق أن تحرق بالنار لا أن تشر. ولهذا نبذنا العريضة التي قدمها أحد الموفدين وبعض الحازيين له باسم أخواننا المحترمين يوسف بطرس بطريرك الموارنة الأنطاكي، واسم كيرلس بطريرك الروم الملكيين الأنطاكي وربما كان اسمها مزوراً وجل ما حملنا على رذل هذه العريضة هو اشتغالها على الشكوى من أعمالكم والمقاومة لآرائكم. والطعن بكم، ونجلكم بالثناء والمدائح الرسولية ونعلن أنكم تستحقون خير الجزاء ونصرح بأنكم أحسنتم كل الإحسان في تصرفكم بقصادتكم في الجمع المذكور وأحكمتم بدعوته وأتممت كل شيء فيه بحسب رغائب الكرسي الرسولي وطبقاً لمقامه السامي، ولما يؤول إلى شرف الطائفة المارونية ونفعها.

فواظب إذاً أيها الابن الحبيب على مساعدك المشكورة ومتابعك المبرورة وعلى ما اعتدت عليه من الخدمات الصادقة للكرسي الرسولي لتتفاضل في استيهال المحبة الأبوية التي نخصك بها، ومرغوبنا أن تكون متيقناً أننا نتوقع كل فرصة ووسيلة موافقة لنبدي لك عواطف اعتبارنا وعاطر ثنائنا وخالص تجيلنا وشكرنا وعربوناً على ذلك نهديكم بركتنا الرسولية مكررة. دؤن برومة في جانب كنيسة مريم الكبرى ممهوراً بختم الصياد ١٤ أيلول سنة ١٧٤١م وهي السنة الثانية لحبريتنا.

المطران اسطفانوس عواد السمعاني

هو ابن أخت العلامة يوسف سمعان السمعاني تخرّج باللغات والعلوم والفنون بمدرسة الموارنة برومة وارتقى درجة الكهنوت وشهد المجمع اللبناني مع خاله سنة ١٧٣٦م، وكان رقيباً فيه ثم رقاہ البطريرك يوسف ضرغام الخازن إلى الأسقفية على اباميا. والذي نعرفه من مؤلفاته كتاب في شرح أعمال الشهداء الغربيين والشرقيين لأوسابيوس القيصري في مجلدين بقطع كامل وكتاب «فهرست الكتب المخطوطة الشرقية في المكتبة الماديشية في فيرانسا» وقد استشهدنا بهذا الكتاب مرات كثيرة وهو كتاب بديع حقاً اشتمل على ذكر خمس مئة وسبعة وثلاثين كتاباً وعلى تراجم أكثر مؤلفيها وعلى فحوى كل منها، وقد أتحفنا بإيراد حواش كثيرة معلقة على بعض الكتب ولاسيما على كتاب الأناجيل الأربعة القديم جداً المخطوط سنة ٥٨٦م، وكان في الكرسي البطريركي الماروني سنين متطاولة، وعلّق عليه البطارقة وغيرهم حواشي نافعة جداً استدللنا بها على أمور لم يكن سبيل بغيرها إلى معرفتها، ولم نعلم كيف انتقل هذا الكتاب إلى المكتبة المذكورة. وله أيضاً كتاب «فهرست للكتب التي بمكتبة كيجي» في رومة. وله أيضاً «فهرست الكتب المخطوطة التي في المكتبة الواتيكانية» ألّفه مع خاله العلامة السمعاني في ثلاثة مجلدات وهو بديع أيضاً. وقد أشار إليها في مقدّمات كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية المار ذكره. وله كتاب «محاماة عن القديس يوحنا مارون» ألّفه بالإيطالية ولم يعرفه باسمه وقد ترجم بعضه أو أكثره إلى اللغة العربية وطبع في المقالات المطبوعة في كتاب المحاماة عن الموارنة. وله أيضاً ترجمة التاريخ السرياني لابن العبري إلى اللغة اللاتينية وألحق به حواشي كثيرة الإفادة وكان يشاء طبعه كما روى عن نفسه في كتاب فهرست الكتب الشرقية بالمكتبة الماديشية صفحة ١٩٧ حث قال بعد ذكر هذا الكتاب وتفصيل ما اشتمل عليه: «وقد ترجمنا إلى اللاتينية كنز الحكمة الشرقية هذا وذيلناه بحواش وسوف نطبعه إن وفق الله رغبة في تقدّم العلوم». ولا نعلم أنّه طبعه وله أيضاً تكملة ترجمة المجلد الثالث من كتب القديس أفرام السرياني إلى اللاتينية.

ومن شاء أن يعلم علو منزلة هذا العلامة عند علماء الغرب فليطالع الذيل الذي

علّقه طابع كتاب الفهرست المذكور في آخره حيث أبان ما للمؤلف من طول الباع وسعة الإطلاع والخبرة الكملية بتاريخ الشرق والذكاء المتوقّد والثبات الذي لا يعروه ملل في الأعمال العلمية والفقاهة الذي قلّ أن يكون له نظير فيها، والفضل الجزيل الذي كان له على العلم والعلماء. وقد ذكر له أكثر تأليفه التي أشرنا إليه وزاد على ذلك أنّه كان في عزمه أن يعود ثانية إلى فيرنسا ووعد بأنّه سوف يدوّن فهرساً آخر لجميع الكتب الشرقية الكائنة في باقي مكتبات هذه المدينة، وأنّه كان قد نظم الكتب الشرقية الوافرة العدد التي جمعها جبرائيل ماركيو العلامة في مكتبته الشهيرة وأنشأ لها فهرساً وذّبله بحواشيه وملاحظاته، وأضاف إليه مقالة أبان فيها أنّ القديس مارون الوارد ذكره في كتاب القُدّاس السرياني لم يكن مبتدع بدعة المشيئة الواحدة وأنّ أوّل من لُقّق هذه التهمة إنّما هو سعيد بن البطريق وفند زعمه وقد توفي هذا العلامة في سنة ١٧٨٢م.

عد ٩٧

يوسف لويس السمعاني وابن أخيه القس سمعان السمعاني

أمّا يوسف لويس السمعاني فهو ابن أخي العلامة يوسف سمعان السمعاني ولد ونشأ بقرية حصرون وتخرّج باللغات والعلوم والفنون بمدرسة الموارنة برومة إذ كان عمّه وابن عمّته المطران اسطفانوس عواد فيها، وبرع واشتهر وعيّنّه البابا بناديكوس الرابع عشر معلّماً للغات الشرقية والطقوس في الكلية الرومانية المعروفة بالسابانسا (أي الحكمة)، وله مؤلفات كثيرة نعرف منها باللاتينية مؤلفه المعروف بها بالكوديكس لينورجيكوس أي كتاب رتب القُدّاس والطقوس الدينية في ثلاثة عشر مجلّداً بقطع الربع، وكان نادر الوجود حتى بيعت النسخة منه بثلاثة آلاف فرنك كما قال من طبعوه حديثاً، واستجلبنا نسخة منه لمكتبتنا بست وعشرين ليرا فرنسية. وله أيضاً كتاب في تاريخ بطاركة الكلدان والنساطرة وكتاب في الكنائس واحترامها وحمايتها طبع برومة سنة ١٧٦٦م، ومقالات في الاتحاد والاشترك الكنسي وفي قوانين التوبة القديمة وفي مجمع الأبرشية. وله أيضاً ترجمة شحيم (أي كتاب فروض) السريان في أربعة مجلّدات وترجمة كتاب قُدّاس الكلدان إلى اللاتينية. وله أيضاً شرح على كتاب يوحنا موريوس في الرسامات عند اللاتين

وعند الشرقيين طبع برومة سنة ١٧٥٦م. ويظهر من رسالة كتبها إلى البطريرك يوسف ضرغام الخازن مصونة في السجلات البطريركية إذ كان كاهناً.

وأما القس سمعان السمعاني فهو أبن أخي يوسف لويس المار ذكره ولد بحصرون أيضاً ودرس العلوم في مدرسة الموارنة ونبغ فيها وانضوى إلى جمعية الرهبان الحلبيين اللبنانيين الموارنة وارتقى إلى درجة الكهنوت والذي نعرفه من تأليفه كتاب «فهرست للكتب المخطوطة الشرقية الكائنة في المكتبة النانية» في بادوا وكتاب «تاريخ العرب قبل ظهور الإسلام» و«كتاب في الكرة الفلكية». كل ذلك في اللغة اللاتينية.

عد ٩٨

غير هؤلاء من علماء الموارنة

الخوري ميخائيل الغزيري

من علماء الموارنة في القرن الثامن عشر الخوري ميخائيل الغزيري الطرابلسي أصله من غزير ونزح أهله إلى طرابلس وتفقّه بالعلوم بمدرسة الموارنة برومة ورقي إلى درجة الكهنوت وكان في المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م نائباً عن باسيلوس مطران طرابلس ويسمى غرسيه نسبة إلى عائلته. وقد وصف في هذا المجمع بأستاذ الفلسفة واللاهوت ونعرف من تأليفه كتاباً جزيلاً الفائدة اشتمل على «فهرست للكتب العربية في مكتبة اسكوريالي بإسبانيا» وهو مجلدان بقطع نصف نعلم أنّ منه نسختين في لبنان الواحدة كانت في مكتبة البطريركية الموارنة والثانية كانت في مكتبة الطيّب الذكر المطران نعمة الله الدحداح ونظّمها نقلت إلى مكتبة خليفته المطران بولس مسعد. وكان الخوري ميخائيل المذكور مع الخوري الياس سعد البجاني قد أرسلوا إلى رومة للاعتراض على بعض رسوم المجمع اللبناني والطعن بالعلامة السمعاني وقد رأيت من كلام البابا بناديكتوس الرابع عشر ما كان من النبذ لهذا الطعن.

اسطفانوس ورد ابن الخوري ابراهيم

المعلوم عندنا بالتقليد أنّه من قرية كفرحورا بالزاوية وأبنائه في بعض الكتب منسوباً إلى حلب وقد درس العلوم واللغات بمدرسة الموارنة برومة وارتقى إلى درجة لكهنوت وصار خورياً في صيدا، وشهد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م وكان كاتب أسرار المجمع. ونعرف له من التأليف كتاب «مواعظ» وكتاب «نزهة العباد» بالعربية ورسالة إلى أبناء ملته لنجدها مثبتة في كتاب تاريخ الكنيسة الأنطاكية السريانية المارونية في صفحة ٨١٩ إلى صفحة ٨٥١.

الخوري أنطون القياسي

ولد ببيروت في أواسط القرن الثامن عشر ودرس العلوم بمدرسة الموارنة برومة ورقى إلى درجة الكهنوت وصار خورياً ببيروت ونعرف من تأليفه كتاباً ردّ فيه مطاعن القس يوحنا عجمي الملكي الكاثوليكي المار ذكره على الملة المارونية وقد طبع كتابه هذا في كتاب «الحمامة عن الموارنة». ومن طالع هذا الكتاب قضى بأن مؤلفه كان ضليعاً بالتاريخ وغيره من العلوم.

القس عيسى الجاماتي

ولد ونشأ بدمشق وتخرّج بالعلوم بمدرسة الموارنة برومة ونعرف من تأليفه كتاباً في «نسبة الموارنة وردّ التهم الواردة عليهم» بالعربية.

القس يوحنا اليازنجي

ولد بحلب ونعرف من تأليفه كتاباً في «الحمامة عن الموارنة» والعلماء الذين ذكرناهم في هذا الفصل لم نعثر إلى الآن على ما ينبتنا بسنة مولدهم أو سنة وفاتهم أو جميع تأليفهم وترك الآن البحث عن ذلك إلى وقت آخر أو لأحد العلماء بعدنا.

الفصل الرابع

الجامع التي عقدتها رؤساء الموارنة في هذا القرن

عد ٩٩

الجامع اللبناني

إنّ أهمّ الجامع التي عقدتها رؤساء الموارنة في هذا القرن وأكملها وأعظمها إنّما هو المجمع الذي عقده في دير السيدة بلويزة سنة ١٧٣٦م، وكان العلامة السمعاني قاصداً فيه من قبل البابا اكليمنضوس الثاني عشر، فإنّ البطريرك يوسف ضرغام الخازن وأساقفته وعلية الاكليس الماروني والأعيان والأتقياء لما رأوا أنّه قد تدرّج إلى التهذيب البيعي بعض أشياء نادرة عن وضعه وبهائه الأولين رفعوا إلى الحبر الأعظم البابا اكليمنضوس الثاني عشر وإلى مجمع نشر الإيمان المقدّس عرائض مؤرخة بين أواخر تموز وأوائل آب سنة ١٧٣٤م التمسوا بها بالخاح أن يبعث إليهم السيّد يوسف سمعان السمعاني ليترأس من قبل الكرسي الرسولي على مجمع يعقدونه لاصلاح التهذيب البيعي وسد ما اعتور عليه من الخلل وردّه إلى بهائه القديم فكتب السيّد البطريرك عريضة إلى امام الأحبار بهذا الصدد مؤرخة في ٢٨ تموز سنة ١٧٣٤م وكتب هو وأساقفته عريضة بهذا المعنى إلى مجمع نشر الإيمان المقدّس وكذلك كتب البطريرك إلى بعض الكرادلة ورفع الرئيس العام على الرهبان اللبنانيين، ومدبروه الأربعة، عريضة بهذا الشأن لقداسته.

فاجتمع آباء مجمع نشر الإيمان وأصدروا قراراً في ٢٤ تموز سنة ١٧٣٥م بلزوم إجابة بطريرك الموارنة وأساقفته إلى طلبهم عقد مجمع طائفي وارسال السيّد السمعاني إليهم، لذلك، وإثباتاً لهذا القرار أصدر البابا اكليمنضوس الثاني عشر براءة رسولية مؤرخة في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م إلى العلامة السمعاني ينصبه

قاصداً من قبله إلى طائفته ليعقد الجمع بحضرته، وأبرز براءة أخرى مؤرخة في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م إلى السيّد البطريرك بها يجيبه إلى طلبه عقد الجمع وتوجيه السيّد السمعاني إليه لهذه الغاية وأصبحها براءة أخرى إلى رؤساء أساقفة الموارنة وأساقفتهم بهذا المعنى، وأرسل مجمع نشر الإيمان رسائل مؤرخة في ١٠ كانون الأوّل سنة ١٧٣٥م إلى البطريرك والأساقفة وإلى الرئيس العام على الرهبان اللبنانيين ومجمعهم بالمعنى الموماً إليه، وترى هذه البراءات والرسائل مثبتة في صدر أعمال هذا المجمع المطبوعة حديثاً.

ووصل السيّد السمعاني إلى بيروت في أواخر حزيران ونروي ما كان إلى نهاية المجمع ملخصاً عن عريضة رفعها إلى البابا اكليمنضوس الثاني عشر بتاريخ ١٧ كانون الثاني سنة ١٧٣٧م قال: «شيعوني من بيروت إلى جبل لبنان محفوفاً بمظاهر الفرح والإجلال الخارقة العادة بصفة كوني قاصداً من قبلكم وتناولوا بواجب الاحترام المراسيم الحبرية والرسائل المنفذة إليهم من ذوي النيافة كرادلة الكنيسة الرومانية، وقرئت باللاتينية والعربية على مسمع الجم الغفير من الاكليس والشعب، وأنّ العبارة لتضيق عن وصف شعائر التقى والعبادة الحارة التي اقبلوا بها هدية بركتكم الرسولية ونودي بانعقاد مجمع إقليمي لمرور ستة أسابيع أي في الخامس عشر من آب عيد انتقال العذراء في دير قنوين، إلّا أنّه روى يتعدّر على كثيرين الحضور إلى قنوين المجاورة لجيش والي طرابلس فأمرنا أن يكون الاجتماع في كسروان التي يتولاها مشايخ مسيحيون. وبعد انطلاقنا إلى كسروان اختلفت الآراء إذ كان بعضهم يؤثر هذا المكان وبعضهم غيره إلى أن أجمعوا جميعاً على اختيار دير لوزية. ولكن وفاء برغبة السيّد البطريرك والمشايخ ذوي قرابته رأينا أن نعقد بعض جلسات ابتدائية وخصوصية في دير ريفون الذي اعتاد البطريرك أن يقيم فيه لأنّه لبس فيه الاسكيم الرهباني، وفيه رقي إلى الأسقفية، ثمّ إلى البطريركية. ولما كان قد نشأ بين البطريرك والأساقفة بعض مسائل تتعلق بتوزيع الميرون وولاية وسلطة كل منهم وتعدّر البحث في هذه المسائل بدير ريفون دون قلق بسبب اضطراب هاجه بعض المشايخ أقرباء البطريرك، فرأيت مع بعض الرؤساء الأفاضل وجوب انطلاقنا من دير ريفون إلى دير لوزية مجانية للمنازعات ولقد تيسّر لنا ذلك لأنّ المخالفين أنفسهم غيروا رأيهم وبدلوا جهدهم في حمل البطريرك على أن يتدارك العثار الناتج من الخصام فاعتمد البطريرك فجأة إلى المسير إلى دير لوزية مع ذوي

ليقرّر هناك الأمور التي شرع في فحصها، وأصدر البطريك أمراً باستئناف المذاكرات في السابع والعشرين من أيلول وحكم باتّفاق الآراء بعقد الجمع لمرور ثلاثة أيّام في دير لوزية. وفي تلك المجالس التي استغرقت ثلاثة أيّام متتالية كان اشتغال الأساقفة واللاهوتيين مقصوراً على تذليل المشاكل وتوثيق عرى الإثّفاق وتأليف الخواطر. وفي آخر الأمر تمّ لنا بحوله تعالى افتتاح الجمع بما أمكن من السرعة يوم الأحد آخر أيلول سنة ١٧٣٦م، وكان فيه عدا البطريك ورؤساء الموارنة أربعة من أساقفة الطوائف الشرقية والرئيسان العامان للرهبان اللبنانيين ورهبان مار اشعيا وعشرة من المرسلين اللاتينيين وقدرهم من خوارنة وخدمة كنائس وجمهور غفير من القسوس والرهبان وثلاثون من المشايخ الحازنيين، وإثنا عشر من الحبيشيين، وسبعة من وجهاء العوام. واستمرّ انعقاد الجمع ثلاثة أيّام وانحلّ في ثاني تشرين الأوّل والخواطر معقودة على أتمّ الوفاق، ولم يبقَ هناك إلّا أمني مقدّسة وآراء سديدة وأعمال مبرورة ووقعوا جميعاً على أعمال الجمع وأخضعوا كل ما أثبتوه وأقرّوه لسلطانك لتبدله وتهذبه وتثبته، وقد عوّلت أن أبادر بعد انحلال الجمع إلى تفقّد الكنائس والأديار لأفقه كهنة الرعايا في واجباتهم وأضع للرهبان والراهبات القوانين اللازمة، وأحضّ الأساقفة على الاجتهاد بتدبير الإكليروس والعامّة بحسب رسوم الجمع المذكور وأنشأت رسالات وأقمت فيها تلاميذ مدرستنا المارونية أو رهبان دير رومة في أبرشيات صور وصيدا وبيروت وجبيل والبترون وطرابلس وقبرص، وأمرت بفتح المدارس في الأديار لأجل تهذيب الأحداث، وقد خصصت لسكنى الراهبات على حدّة أربعة أديار وهي دير مار الياس الرأس ودير مار جرجس الرومية ودير سيدة الحقلّة ودير مار عبدا هرهريا، وسعيت بنقل الراهبات من دير مار الياس بلونه ودير مار أنطونيوس بقعاتا حيث كانت الراهبات مقيمات بجوار سكن الرجال إلى غيرها من اديرة النساء. وأمّا القلق الذي أثاره بعض الرؤساء والمشايخ بسبب تجديدهم تهذيب الأديار والكنائس والخلاف على مسائل بيعية بين الرؤساء والسيد البطريك وبين العامّة والإكليروس وما يلزم لذلك من العلاج كل ذلك قد بسطته بالتطويل في رسائلي إلى مجمع نشر الإيمان المقدّس». فهذا ما لحّصناه من عريضة السمعاني لقداسته البابا اكليمنضوس الثاني عشر في ١٧ كانون الثاني سنة ١٧٣٧ رغبة في ما حوته من الفوائد.

وقد أثبت البابا بناديكتوس الرابع عشر قوانين الجمع اللبناني وأحكامه برمتها

ببراءته المؤرخة في ١ أيلول سنة ١٧٤١ وترى هذه البراءة مثبتة في آخر ذيله المعلق على النسخة المطبوعة حديثاً سنة ١٩٠٠م والمجمع المذكور مقسوم إلى أربعة أقسام: الأول في الإيمان الكاثوليكي وفيه خمسة أبواب. الثاني في الأسرار وفيه أربعة عشر باباً. الثالث في الخدام والقسوس والرؤساء وفيه ستة أبواب. الرابع في الكنائس والمدارس والأديار والترتيبات الجمعية وفيه سبعة أبواب وهو الدستور العام للملّة المارونية وإليه المرجع في أمورها الروحية والبيعية.

عد ١٠٠

مجمع بقعاتا

عقد رؤساء الموارنة عدّة مجامع أخرى في هذا القرن لم يكن لها أهمية المجمع اللبناني ولا أبهته ولم يكن فيها ممثل للكرسي الرسولي ولم يشهدها المرسلون وأساقفة غيرهم من الطوائف كالمجمع اللبناني، وأوّل هذه المجمع مجمع بقعاتا عقده البطريرك طوبيا الخازن في ٢٥ آب سنة ١٧٥٦م في دير القديس أنطونيوس في بقعاتا من كسروان، وكان الغرض من عقده بذل العناية للعمل برسوم المجمع اللبناني وكان المجتمعون فيه عدا البطريرك فيلبوس مطران قبرص واسطفانوس مطران بعلبك وجبرائيل مطران الرها وأنطونيوس مطران جبيل ويوسف اسطفان مطران بيروت. وقد فرضوا فيه تسعة عشر رسماً أكثرها مما كان قد رسم في المجمع اللبناني وحثّموا بوضعه في العمل ووزعوا الأبرشيات على المطارين عملاً برسم هذا المجمع.

عد ١٠١

مجمع غوسطا

عقد هذا المجمع البطريرك يوسف اسطفان في ١٦ أيلول سنة ١٧٦٨م بحضرة الأب لويس رئيس رهبان القديس فرنسيس وكان جلّ الغرض من عقده لإصلاح بعض العادات في الطائفة والتشدد في حفظ رسوم المجمع اللبناني وكان حينئذ اختلاف بين البطريرك المذكور وعمّه المطران يوحنا اسطفان على دير عين ورقة فكتب آباء المجمع إلى المطران يوحنا يدعونه إليه وأرسلوا إليه المطران يواصاف

الدبسي مطران صور والمطران ميخائيل الخازن فحضر، وبعد سماع ما أورده من الحجج لجهة دير عين ورقة وأسقفية بيروت حكموا أنّه بعد تنزّله عن أبرشية بيروت وعن رئاسة دير عين ورقة لابن أخيه البطريرك لم يبقَ له حق بالعود إليهما، لكنهم سألو البطريرك أن يبيحه الإقامة في دير عين ورقة مدّة حياته ولا يحقّ له أن يبيع شيئاً من أملاك هذا الدير إلّا بإذن السيّد البطريرك. وكان خلاف في الطائفة بداعي خدامة بعض الرهبان في الرعايا فحكموا أن لا يستخدم الرهبان في الرعايا إلّا لضرورة، وفرضوا بعض قوانين تتعلّق بالرهبان وأديارهم على ما في الجمع اللبناني إلى غير ذلك في مجلسين ١٦ و ١٧ أيلول سنة ١٧٦٨م.

وفي ١٨ أيلول عقد المجلس الثالث وبلغ البطريرك والأساقفة خبر وفاة المطران جرمانوس صقر الحلبي بدير بكركي فحزنوا عليه، ومما حكموا به في هذا المجلس لا يرقى أحد إلى الكهنوت إلّا بعد الفحص عن علمه وسيرته، وحتّموا على أبناء الطائفة أن لا يزوّجوا بناتهم لغير أبناء ملّتهم ولو كانوا كاثوليكين إلّا برخصة من مطرانهم ولداع لازم (نظرٌ هذا أصل العادة الجارية إلى الآن بين الموارنة والملكية الكاثوليكين وهي أنّ الأنسة المطلوبة للزواج لشخص من إحدى الملتين يلزم رخصة مطرانها)، وجدّدوا إطلاق التأديب على من يلتجئون إلى الحكام العالمين بما يمسّ الحرية الكنسية. وفي المجلس الرابع الذي عقد في ٢٠ أيلول أقرّوا أن لا تعطى الوظائف البيعية بسبيل الارث وحتّموا بأن ترعى جميع رسوم الجمع اللبناني بكل تدقيق، واتّفقوا على رفع عريضة إلى الحبر الروماني ليأمر بطبع هذا الجمع، وأن لا يختلط كهنة الموارنة بكهنة غير الكاثوليكين في الجنازات وغيرها. وفي المجلس الخامس الذي عقد في ٢١ أيلول جرى البحث في العشور وأجمعوا على أنّ كل أسقف يجبي العشور في أبرشيته بموجب دفتر ثمّ يدفعه إلى السيّد البطريرك.

وادّعى في المجلس المذكور المطران روفائيل الحاقلاني بالولاية على أبرشية طرابلس لأنّ البطريرك طوبيا الخازن رقه إلى كرسيها، فأجاب على ذلك الخوري جرجس يمين بالوكالة عن المطران يواكيم يمين أنّ البطريرك طوبيا الخازن لما ورّع الأبرشيات في مجمع بقعاتا سلّمه أبرشية طرابلس فحكم الجمع أنّ الحق للمطران يواكيم بالولاية على هذه الأبرشية. وفي هذا المجلس أيضاً أثبت البطريرك قسمة الأبرشيات بموجب براءة البابا بناديكتوس الرابع عشر وارشاد الجمع المقدّس فكان

في أبرشية صور وصيدا المختصة بالبطريرك المطران ارميا نجيم أسقف الناصرة وفي بيروت المطران أنثاسيوس الشنعي ولكن ولي على المدينة المطران ميخائيل فاضل وبعد وفاته تعود إلى مطران أبرشية بيروت، وفي أبرشية قبرص المطران الياس الجميل وفي دمشق المطران ارسانيوس عبد الأحد، ولكن ولي على عجلتون المطران ميخائيل الخازن ما دام حياً ويتبعه دير الرومية، وبعد وفاته يرجع ذلك إلى مطران دمشق، وولي على بسكنتا المطران يواصاف الدبسي ويتبعها عين القبو وقعفرين وزبوغا ما دام حياً وبعد موته ترد إلى أبرشية دمشق، وولي على بعلبك المطران جبرائيل مبارك وعلى بلاد جبيل والبترون المطران أنطون محاسب، وعلى طرابلس المطران يواكيم يمين وتتبعها جبة بشري ما دام حياً وبعد موته ترد إلى مطران جبيل والبترون، وولي على حلب المطران ارسانيوس شكري، والذين وقّعوا على هذا الجمع البطريرك يوسف اسطفان وميخائيل مطران بابل ويواصاف مطران عكا وميخائيل فاضل مطران صور وجبرائيل مبارك مطران بعلبك ورميا مطران الناصرة وارسانيوس شكري مطران حلب وميخائيل الخازن مطران قيسارية وارسانيوس عبد الأحد مطران دمشق والياس الجميل مطران قبرص والخورى جرجس يمين بالوكالة عن المطران يواكيم يمين ورئيس الفرنسيين وغيرهم من الافرنج.

عد ١٠٢

مجمع ميفوق

عقد هذا الجمع بأثر توقيف البطريرك يوسف اسطفان وما كان من القلق في الطائفة بسبب الراهبة حنة عجمي المعروفة بهندية فأمر البابا بيوس السادس بعقده وناب فيه عنه قاصده الأب بطرس مورثا وكان من شهوده من المطارين المطران ميخائيل الخازن الذي أقيم نائباً عن البطريرك في مدة إيقافه، ويواكيم يمين مطران طرابلس، وميخائيل فاضل مطران بيروت، وجبرائيل مبارك مطران بعلبك، وروفاثيل الحاقلاني مطران دمشق، وأنطون محاسب مطران جبيل برئاسة الأب مورثا القاصد الرسولي. وافتتح هذا الجمع في ٢٠ تموز سنة ١٧٨٠م بدير السيدة في ميفوق.

وعقد المجلس الأول في ٢١ تموز سنة ١٧٨٠م وتعيّن فيه أصحاب الوظائف، وعقد المجلس الثاني في ٢٣ تموز وافتتحه القاصد الرسولي بخطبة نفيسة ثمّ تليت الأوامر الرسولية وأجوبة البطريرك يوسف اسطفان التي كان قد رفعها إلى مجمع نشر الإيمان وصرّح آباء المجمع بقبول قصادة القاصد الرسولي وجأهروا بالطاعة والامتثال للأوامر الرسولية فرداً فرداً وهي الأوامر التي مرّ ذكرها أيضاً في ترجمة البطريرك يوسف أسطفان، وأولها إبطال ما كان البطريرك قد حلّله من تناول المأكّل المفزعة يوم الجمعة عيد قلب يسوع. والأمر الثاني أن ليس للبطريرك أن يمنح غفراناً كاملاً إلاّ بإذن صريح من الحبر الروماني. الثالث أنّ الأساقفة لا يلتزمون أن يأخذوا منشوراً من السيّد البطريرك لزيارة رعاياهم. والرابع تثبيت المبلغ الذي تقرّر أن يدفعه كل من المطارين كل سنة إلى البطريرك بدل العشور وقدره ألفان وخمسمائة غرش موزّعة على الأبرشيات كما مرّ في ترجمة البطريرك يوسف اسطفان، وتقرّر أنّ للبطريرك أن يعطي مناشير لجبايتها مرّة واحدة لكل من الأساقفة إشارة إلى تعلّقهم به وخضوعهم له، ثمّ بعد مراجعة البطريرك بهذا الخصوص تقرّر أنّ كل أسقف يطلب كل سنة من البطريرك منشوراً لجباية العشور. ثمّ قرّروا في هذا المجلس أيضاً أن تبقى كراسي الأبرشيات ثمانية كما رسم في المجمع اللبناني ويحقّ للسيّد البطريرك أن يرقّي كهنة إلى الأسقفية شرفاً وعتياً حدود الأبرشيات كما ذكرها البابا بناديكطوس الرابع عشر في براءته لتقسيم الأبرشيات.

وعقد المجلس الثالث في ٢٤ تموز وقرروا فيه وجوب الامتثال لباقي الأوامر الرسولية المذكورة أعني الأمر الخامس لا يحقّ للبطريرك أن يكفّ الأساقفة عن التصرف برعاياهم دون مشورة مجمع الأساقفة. السادس يسمح للربان أن يخدموا الرعايا لدى الحاجة إليهم. السابع لا يحقّ للبطريرك أن يقبل الكهنة والربان الذين يعصون أمر رؤسائهم ويلتجئون إليه إلاّ بموجب ما رسم المجمع اللبناني في قسم ٤ باب ٢ عد ٩. والثامن لا يحقّ للبطريرك أن يسمح بأن يقام في كنائسنا مذهب يقدّس عليه كهنة غير كاثوليكين أو يعيّن موضع يدفنون فيه موتاهم في مقابر طائفتنا. التاسع لا يجوز لكهنة طائفتنا أن يتصرفوا بحقوق كهنة الملكيين الكاثوليكين أو أن يحلّلوا موانع الزواج لهم ومثل ذلك لا يجوز للأساقفة الملكيين ولا لغيرهم أن يتدخّلوا في قضاء اللوازم الروحية لأبناء ملتنا. وأمّا في الاعتراف فيحقّ لكهنة طائفتنا المصرفين بسر التوبة أن يعرفوا ويحلّلوا كل من طلب

أن يعترف عندهم بمقتضى الإذن القديم الممنوح لكهنة الموارنة. العاشر يلزم أن يعين كل من الأساقفة فاحصاً للكهنة وقيمه في أبرشيته بموجب رسم المجمع اللبناني. الحادي عشر لا يسوغ للبطريرك أن يقبل هدايا لتوزيع الزيوت المقدسة. الثاني عشر قد تفاوض آباء المجمع في محل إقامة البطريرك وأجمع رأيهم أن يكون هذا المحل دير بكركي بصفة دير تابع لدير قنوين الكرسي البطريركي. الثالث عشر قرروا أنه يلزم البطريرك أن يعقد مجعاً مع أساقفته كل ثلاث سنين مرة. الرابع عشر حتموا أن ينهي البطريرك عن أن يدون في مناشيره للذكر المؤبد أو يكتب في سنة كذا من حيرتنا تشبهاً بالخبر الروماني. الخامس عشر ارتأوا أن يتفق البطريرك والمطارين على اداء العشور والتحليل. السادس عشر بحثوا في ما إذا كان يحق للبطريرك أن يرقى إلى درجة الكهنوت من رعايا الأساقفة بغير علمهم وأن يحلهم من التأديبات أو ينزلها بهم دون علم رؤسائهم، وكان الكرادلة قد أجلبوا الجواب على هذا المشكل إلى أن يرد من القاصد الرسولي إفادات بنجلي الأمر فيها. السابع عشر كان من الأسئلة المرفوعة للكرسي الرسولي هل يحق للبطريرك أن يطلب دراهم إسعافاً لكرسيه من خوارنة الرعايا والأديار فارتأى الكرادلة أن الكهنة المرتقين حديثاً والأديار المحدثه يلتزمون أن يعطوا ما يعطيه الكهنة القدماء والأديار السابقة البناء وأنه يلزم تقرير مبلغ معين. الثامن عشر هل يجوز للبطريرك أن يؤدب الكهنة المزلين بعقوبات ثقيلة كالحبس والضرب فأجاب الكرادلة أنه يلزم القاصد الرسولي أن يعلمهم بتفاصيل الواقع، وأن ينصح البطريرك أن يسلك مع الكهنة ولاسيما الأساقفة بأكثر دعة وأن يتحاشى القسوة، وقرّر آباء هذا المجمع أن يسألوا البطريرك والأساقفة أن لا يعاملوا الكهنة المزلين بالضرب والوثاقات والغرامات، وإذا لم يرتدعوا عن زلاتهم أطلقوا عليهم التأديبات البيعية. التاسع عشر لما كان البطريرك أكثر عدد الأساقفة والرعايا خلافاً لرسم المجمع اللبناني أجاب الكرادلة بأنه يلزم القاصد الرسولي أن يصرح للبطريرك نيابة عن مجمع نشر الإيمان المقدس أن يقتصر على ما رسم في المجمع اللبناني. العشرون لما كان البطريرك قد وضع كتاباً للقداس غير المستعمل قبلاً وفرض ثلاثة أيام صوم قبل عيد قلب يسوع وأباح في هذا العيد أكل اللحم والأطعمة المزفرة ارتأى الكرادلة بأن يرعى في ذلك رسم المجمع اللبناني بالدقة. وأبطل آباء المجمع ما أحدثه البطريرك يوسف اسطفان وأبطلوا أيضاً عيد قلب يسوع لأنه فرضه دون

مشورتهم وبغير استئذان الكرسي الرسولي، وأمروا أن يعيد لذكر الحبل بلا دنس بسيدتنا مريم العذراء في جميع الطائفة. الحادي والعشرون قد أمر أيضاً أن يزال المذبح الذي أقيم فوق قبر المطران جرمانوس صقر على الأقل أن يرفع القنديل المعلق عليه فرفعه النائب البطريركي وأزال المذبح. فهذه هي أوامر المجمع المقدس التي ضمنها في رسالته المؤرخة في ١٥ آب سنة ١٧٧٤م، وقد قبل الأساقفة جميعهم بالطاعة والامتثال، وكان المجمع المقدس قد أرسل إليهم براءتين من البابا بيوس السادس مؤرختين في ١٧ تموز سنة ١٧٧٩م، تشتمل الأولى منهما على نبذ انخداع الراهبة هندية وكذب أوحيتها وبطلان وهما باتحاد المسيح بها وتحريم كتبها وتعاليمها والتأديب لها ولنائبها كاترينا، فقبل الأساقفة بالاحترام هذه الأوامر ونقلها النائب البطريركي بموجب منطوقها. والبراءة الثانية فحواها إلغاء رهبانية هندية وإخراج الراهبات من الأديار الأربعة التابعة لقانونها وهي دير بكركي ودير سيدة البزاز ودير مار جرجس علما ودير مار يوسف الحصن، فقرر الأساقفة ذلك وأتمه النائب البطريركي كما مرّ وعيّنوا دير بكركي لسكنى البطريرك، وأشهبوا أمر قداسته بالسكوت المطلق عن غوايات هندية وأعمالها وأبطلوا أخوية قلب يسوع التي كانت هندية قد أنشأتها، وقبلوا المرسوم الثالث المتضمن طلب البطريرك يوسف اسطفان ليشخص إلى رومة ليجاوب عن بعض أعماله تحت طائلة الحرم إن أبى الحضور، ومنعه عن كل تولّ بطريركي وأسقفي وإبقاء القسوسية الخ. واختار الأساقفة المطران ميخائيل الخازن ليكون نائباً بطريركياً ما دام البطريرك ممنوعاً وقبلوا وارتضوا بما رسم على المطران جرمانوس دياب من الأمر بتأديبه وتكذيب نفسه في كل ما كتبه وصنعه مساعدة لهندية، ونفذ النائب البطريركي كل ما ذكر. إلا أن الأساقفة رفعوا عريضة إلى الكرسي الرسولي يسألون بها أن يوفدوا أسقفاً أو أسقفين إلى أديار مار جرجس علما وسيدة البزاز ومار يوسف الحصن ليفحصوا عن حال هذه الأديار ويعرضوا أمرها إلى النائب البطريركي، ومن لا يريد من رهبانها القسوس أن ينتقلوا إلى دير آخر لزمهم أن يخلعوا الاسكيم ويلبسوا زي الكهنة العالمين، وإن كانوا شمامسة لزمهم أن يلبسوا الشالات ويستقيموا في أديارهم بالتقوى والورع. وأمّا الراهبات اللواتي لا يردن الخروج من أديارهنّ إلى أديار أخرى قانونية فيمكن إبقاؤهنّ في أماكنهنّ على شريطة أن يخلعن أثواب رهبانية هندية ويلبسن كالعابدات، والرئيسات اللائي كنّ في هذه الأديار يعزلن

ويقام غيرهنّ ويتجدد انتخابهنّ كل ثلاث سنين، ويمنع قبول بنات أو نساء مرشحات للرهبانية في هذه الأديار. وأمّا الراهبات اللواتي كنّ بيكركي ومضين إلى أهلهنّ بحلب أو لبنان فحكم آباء المجمع أن يعطين من مداخيل الدير ما يعشن به بما يفضل عن النفقة اللازمة للدير، وبعد موتهنّ يرجع كل ما لهنّ إلى الدير. وقد أكثر الآباء التفتيش على كتب هندية فلم يجدوا شيئاً منها فقرّروا أن ترسل مناشير حرم في كل الطائفة حتى من كان عنده شيء منها يقدمه إلى النائب البطريك ومن كان له علم بها يعرض الأمر له. وفي المجلس الخامس والأخير أقرّ الآباء بعض قوانين أكثرها من متضمنات المجمع اللبناني.

عد ١٠٣

مجمع عين شقيق

لما كان البطريك يوسف اسطفان قد رجع إلى البطريكية عقد هذا المجمع في ١٦ أيلول سنة ١٧٨٧م في كنيسة السيدة بعين شقيق من كسروان بموجب أمر البابا بيوس السادس، وكان في المجمع الأساقفة والرؤساء العامون للرهبانيات الثلاث والشيخ غندور ابن الشيخ سعد الخوري مأموراً من الكرسي الرسولي أن يكون مساعداً ومؤيداً لاجتماع المجمع وتنفيذ الأوامر الرسولية. وقد شهدته أيضاً المشايخ الخوازنة والحبيشية وبيت الخوري صالح وبيت الظاهر وبيت الدحداح ومشايخ العاقورة ومشايخ جبّة بشري وغيرهم من أعيان الملة، فقدّم المشايخ المذكورون عريضة إلى المجمع وجهوها إلى الشيخ غندور الخوري ترى صورتها مثبتة في كتاب «سلسلة بطارقة الموارنة» للمعلّم رشيد الشرتوني صفحة ٦٤ التمسوا بها أن يكون مقام الأساقفة في الكرسي البطريك مع السيّد البطريك موردين لذلك حججاً كثيرة. وسأل الشيخ البطريك والأساقفة أن يتقبلوا هذا الالتماس فتلوه في المجلس الأول وأجلوا الجواب عليه إلى المجلس الثاني، وسأل البطريك الأساقفة ما يرون بهذا الشأن فحسن عندهم قبول الالتماس على شرط أن يدوّن المشايخ صكاً يتعهدون به بأنهم لا يتعرّضون للأساقفة ولا يتدخلون بترقيتهم ولا بتدبير الأمور الروحية، فتعهد المشايخ بعدم التعرّض كما طلب منهم فقبل البطريك والأساقفة التماسهم في

المجلس الثاني وقدم المشايخ في المجلس الثالث الشكر لهم وتعهدوا بأن تجرى الانتخابات من ذلك الحين فصاعداً طبقاً لرسم المجمع اللبناني.

وطلب أهل جبّة بشري أن يكون لهم مطران يسوسهم وحدهم منفصلاً عن مطران جبيل والبترون فحكم في المجلس الرابع بعدم التمكن من إجابة طلبهم لخالفته نصّ المجمع اللبناني. وفي المجلس الخامس ادّعى رهبان مار اشعيا أنّ دير بكركي يخصّهم فردّ آباء المجمع دعواهم لأنّه ثبت لهم بعد الفحص أنّ الرهبان المذكورين باعوا الدير المذكور وقبضوا ثمنه. وفي المجلس السادس عرض القس روفائيل مسابكي اللبناني للمجمع الالتماس أن ينظر بأمر المعاش لراهبات دير بكركي الحلبيات فتقرّر أن تعطى كل راهبة عشرين قرشاً في السنة. وفي المجلس السابع تلي تعهد المشايخ بأنّهم لا يعارضون البطريك ولا الأساقفة في أمور الانتخابات وغيرها فقبل المجمع هذا التعهد. وفي المجلس الثامن تقرّر أن تكون هندية في دير مار الياس غزير (ثم نقلت لدير الحقلّة كما مرّ) وكاترينا في دير مار الياس بلوني، ورسموا أيضاً أن تكون الأديار التي كانت لراهبات هندية خاضعة لمطارين الأبرشيات التي هي فيها. وفي المجلس التاسع أقرّوا لإصدار نشرتين: الأولى تتضمن بعض رسوم في تهذيب الرهبان والراهبات القانونيين. والثانية في تهذيب حوارنة الرعايا والشعب. وفي المجلسين العاشر والحادي عشر قرّروا بعض أمور أخرى لإصلاح شؤون الطائفة وأن يلتمسوا من الكرسي الرسولي تفويض السيّد البطريك بمنح الغفرانات الكاملة.

والذين وقعوا على هذا المجمع هم البطريك يوسف اسطفان، وميخائيل فاضل مطران بيروت، وجبرائيل مبارك مطران بعلبك، وجرمانوس دياب مطران حمص، وبولس اسطفان مطران قورش، والمطران يوسف نجيم، ويوحنا الخلو مطران عكا، ويوسف التيان مطران دمشق. على أنّ قرار هذا المجمع بأن يسكن المطارين مع البطريك لم يقبله المجمع المقدّس لخالفته لرسم المجمع اللبناني ولم يثبت أيضاً هذا المجمع المعروف بمجمع وطا الجوز حيث كنيسة سيدة عين شقيق.

عد ١٠٤

مجمع بكركي الأول

التأم هذا المجمع بأمر البابا بيوس السادس أيضاً بدير بكركي سنة ١٧٩٠م وكان قاصد البابا فيه المطران جرمانوس آدم الملكيّ الكاثوليكي والداعي لعقده العناية بتهديب الكليس وإتمام الأساقفة وغيرهم فروضهم كما رسمها المجمع اللبناني، والفحص عن بعض أحكام كان بعض الأساقفة قد أبرزها، وعن بعض دعاوى موردة على بعضهم وإبطال مجمع عين شقيق وخاصّة فصل أديار الرهبان عن أديار الراهبات.

قد عقد المجلس الأول من هذا المجمع في اليوم الثالث من كانون الأول سنة ١٧٩٠م بحضوره البطريرك يوسف اسطفان والمطران جرمانوس آدم القاصد الرسولي، وتليت في هذا المجلس براءة البابا الآمرة بعقد المجمع وأوامر المجمع المقدّس وصار الامتثال لها لإجماع الآراء، وصرّح الآباء بقبول رسم المجمع اللبناني في شأن قسمة الأبرشيات كما أثبتتها البابا بناديكتوس الرابع عشر، وقرروا أن يكون حقوق انتخاب الأساقفة للسيد البطريرك والأساقفة لا للحكام العالميين، ويحق لكل أهل أبرشية أن يقدّموا مرشحين أو ثلاثة للسيد البطريرك أو يظهرها رضاهم بمن ينتخبه. وبحث في المجلس الثاني في تعيين مقر ثابت لإقامة البطريرك وأرجئ القرار إلى مجلس آخر لاستيفاء المداولات بذلك. وفي المجلس الثالث نظر في دعوى المشايخ بيت أبي نصيف الخازن على أن ينتخبوا مطران طرابلس، وفي ما اتّهم به المطران جرجس بنيمين أنّه ترقى إلى الأسقفية بالسيمونية أي الرشوة فحكم ببراءته من هذه التهمة وبأنّ انتخابه كان مطابقاً للقوانين. ولما لم يحضر المشايخ المذكورون لتقديم دعواهم فأرجئ الحكم بها إلى المجلس التالي. وفي المجلس الرابع أبرز هؤلاء المشايخ صكّاً من البطريرك يعقوب عواد يخوّلهم الحق أن ينتخبوا مطران عرقا ثمّ صكّاً آخر من البطريرك يوسف اسطفان فحواه أنّ هذا الحق يبقى إذا أبطل مجمع عين شقيق الذي قضى بإقامة المطارين عند البطريرك. وحيث أنّ هذا المجمع أبطل فعاد حقّهم إليهم فأجابهم القاصد أنّ صكّ البطريرك يعقوب لا يفيدهم لأنّه كان قبل المجمع اللبناني ومثله صكّ البطريرك يوسف اسطفان لأنّه وإن أبطل مجمع عين شقيق

فالمجمع اللبناني لم يطل وهو ألقى مثل هذه الحقوق فحكم الآباء بسقوط دعوى المشايخ وثبوت المطران جرجس بنيمين على أبرشية طرابلس.

وفي المجلس الخامس بحث في أنطوش دير القمر إذ كان الرهبان الحلبيون قد ادّعوا بأنّه ملكهم فقرّر السيّد البطريك أنّه سلّم هذا الأنطوش إلى الرهبان المذكورين وقدر أهل دير القمر أنّهم لا يتعرّضون للرهبان بملكهم بل يطلبون أن يتقيّد الرهبان بخدمتهم الروحية فحكم المجمع كذلك. وفي المجلس السادس حكم بأن يقيم كل أسقف بأبرشيته، وأنّ لكل أسقف أن يتصرّف بماله الخاص به من ملك ثابت أو منقول، وأمّا ما يخلفه الأساقفة نواب البطريك في مدّة نيابتهم فيخصّ الكرسي البطريكي وحكم أيضاً بأنّ تلامذة المدرسة الرومانية يكونون خاضعين لمطران أبرشيتهم كباقي خوارنة الرعايا وأنّ كلّاً من الأساقفة يهتم بتعيين كاهن أهل لفحص المرشحين إلى الدرجات المقدّسة.

وفي المجلس السابع بحث في سكنى الرهبان والراهبات معاً فتلي أمر الكرسي الرسولي المؤرّخ في ١٢ حزيران سنة ١٧٩٠م وسأل القاصد آباء المجمع أن يبيّنوا رأيهم بذلك، فأجاب السيّد البطريك والأساقفة أنّهم يرون هذا لازماً وأنّه يجب منع كل اشتراك بين الرهبان والراهبات إلّا في الأمور الروحية. وتليت رسالة من السيّد يوسف سمعان السمعاني للبطريك بهذا المعنى فحثّوا بأن يهتم كل من الأساقفة بالعمل بموجبها. ثمّ بحث في أمر راهبات عينطورا التابعات لقانون القديس فرنسيس سالاسيوس وثبت لدى آباء المجمع أنّهم ملتزمات بحفظ الطقوس الماروني وخاضعات للسيّد البطريك، ثمّ بحث في شأن مدرسة عينطورا ونظر في الصك الذي دوّنه رئيس الرهبان اليسوعيين العام للبطريك فظهر من ذلك أنّه يحقّ للسيّد البطريك أن يطلب مداخيل هذه المدرسة ويهتم بتنفيذ إرادة الواقفين.

وفي المجلس الثامن دوّنت بطلب القاصد الرسولي الرسوم الآتي ذكرها لتكون بمنزلة شريعة لا يحلّها أحد في ما بعد. الأوّل إنّ تفسيح السيّد البطريك من شريعة الإنقطاع عن المأكّل المزفرة يوم الجمعة عيد قلب يسوع يكون باطلاً ويلزم الانقطاع. الثاني: أنّ السيّد البطريك لا يسوغ له أن يمنح غفراناً كاملاً إلّا بتفويض الكرسي الرسولي. الثالث أنّ الأسقف لا يفتقر عند زيارة أبرشيته إلى منشور من السيّد البطريك ويلزمه أخذ هذا المنشور عند جباية العشور. الرابع أنّه لمّا كان السيّد

البطريك قد ادعى بأن مبلغ العشور الذي تقرر له كان تقريره لست سنين وقد انقضت فيحق له أن يضع ترتيباً حديثاً لذلك، أجابه القاصد أن هذا يستلزم مراجعة المجمع المقدس، ثم ادعى البطريك أنه يحق له أن يزور بنفسه أو بوكيله كلاً من الأبرشيات كل ثلاث سنين مرة فأجابه القاصد أن زيارة الأبرشيات تحقق له كما قال، وأما أخذه العشور فلا يحق له أن يحدث به شيئاً بعد أن عين الكرسي الرسولي المبلغ السنوي الذي يجب أدائه. الخامس أنه لما كان قد تقرر قبلاً أن ليس للسيد البطريك أن يعزل أحداً من الأساقفة عن أبرشيته قرر السيد البطريك أنه محافظ على هذا الرسم وعلى أنه لا ينكر على الرهبان جمع الحسنات، ولا يأذن لأحد منهم أن يذهب إلى مكانٍ ضدّ خاطر رؤسائه، فقبل المجمع تقرير البطريك وجعله من رسومه.

وفي المجلس التاسع أضافوا رسوماً أخرى منها. أولاً أن كل منتدب إلى الدرجة الأسقفية يلزمه أن يدفع ستين قرشاً فقط تعويضاً عن ربح المدخول المعين على سبيل الإحسان للكرسي البطريكي ونحوه البطريك. ثانياً أنه يحق للسيد البطريك أن يجمع العشور من أبرشية فرغ كرسيها إلى أن يقام أسقف لها. ثالثاً أن لا يؤخذ شيء قطعاً من المتقدمين إلى الدرجات المقدسة. رابعاً أن كل من ترقى إلى الدرجات المقدسة من العالمين والقانونيين يلزم أن يرقبه مطران الأبرشية أو تكون ترقيته بإذنه. خامساً يحظر على الرهبان تحت طائلة الرباط أن يؤزعو سرّ التوبة على العالمين إلا بإذن صريح من أسقف الأبرشية. سادساً لا ييني الرهبان ديراً إلا بإذن السيد البطريك وأسقف الأبرشية وعين حينئذ نائبان أو وكيلان للسيد البطريك وهما المطران يوحنا الحلو والمطران يوسف النتيان.

وأصدر آباء المجمع الحكم النهائي في أن يكون دير بكركي مقراً ثابتاً للبطريك وأن تختص به أملاكه الثابتة وغير الثابتة ورسموا الشروط الآتية: الأول أن يقيم البطريك دائماً في هذا الدير لا يبارحه إلا لداع صوابي وإذا غاب عنه لزم أن يبقى فيه وكلاؤه وأن يعنى بينائه وإصلاحه ملكه. الثاني أن يدفع كل سنة مائتي قرش للمطران جرمانوس دياب ما دام حياً ولكل راهبة من راهبات هذا الدير خمسة وثلاثين غرشاً كل سنة ما دمن في قيد الحياة، وقرروا أن يسألوا الحبر الروماني إثبات قرارهم هذا.

وفي المجلس العاشر جدّدوا قبول كل ما رسم في المجمع اللبناني وأوصوا بمطالبة

رسومه والسلوك في أحكامهم على موجبها، ولم يزدوا عليها إلا تكرار النهي عن الربا إلا لسبب ربح متعطل أو ضرر ناتج عن القرض، وحتموا أن لا يؤخذ على كل قرش من القرض إلا أربع بارات على الكثير في مدة السنة كاملة.

وفي المجلس الحادي عشر شددوا الحتم على الكهنة أن يعلموا التعليم المسيحي كل أحد وعيد وأن يقدموا القداسات كما تعطى حسناتها وأن يحفظ في حق الولاية على الأوقاف ما رسمه المجمع اللبناني.

وفي المجلس الثاني عشر أعيدت تلاوة أعمال هذا المجمع وقبلها الآباء وتعهدوا بالعمل بها ووقع عليها البطريرك يوسف اسطفان والمطران جرمانوس آدم القاصد الرسولي وجرجس بنيمين مطران طرابلس ويوسف التيان النائب البطريركي ويوحنا الحلو مطران عكا والنائب البطريركي وبطرس مبارك مطران بعلبك وبولس اسطفان مطران جبيل والبترون وفيلبوس الجميل مطران قبرص وجرمانوس دياب مطران حمص والمطران يوسف نجيم، ثم القس عمانوئيل الرشماني المدير اللبناني بالنيابة عن جبرائيل مطران حلب، والخوري مارون العضم بالنيابة عن ميخائيل الخازن مطران دمشق، والخوري يوسف شرف الخازن بالنيابة عن ميخائيل فاضل مطران بيروت، والقس ميخائيل صاجاتي كاتب المجمع وجبرائيل الحاج موسى كاتب المجمع. أخذنا كلامنا في هذا الفصل ملخصاً عن أعمال هذه المجمع في السجلات البطريركية.

الفصل الخامس

بعض أديار الموارنة ومدارسهم وكنائسهم المنشأة في القرن الثامن عشر

عد ١٠٥

نذكر أولاً الأديار التي أنشأها الرهبان اللبنانيون والحلبيون أو سلّمت إليهم في هذا القرن، لمّا تكاثرت عدد الرهبان وضاق دير مار اليشاع عن سكناهم جميعاً وكانوا قد تركوا مرت مورا ياهدن ذهب بعضهم إلى قرية رشميا، وكانت هناك عائلة مارونية تقيّة تعرف ببيت أبي صابر وقد بنوا كنيسة على إسم القديس يوحنا المعمدان فسلموها إلى الرهبان، وأضافوا إليها عقاراً وقفوه عليهم على شريطة أن يعلم الرهبان أولاد القرية، فأنشأوا دير مار يوحنا رشميا سنة ١٧٠٦م، ثمّ لأنّ الخوري صالح الخوري وأولاده من رشميا وقفوا عليهم عقارات أنشأوا بها دير مار أنطونيوس سير قريباً من رشميا سنة ١٧٠٧م.

وقد ذكرنا قبلاً قدم دير مار قزحيا وشهرته وقيام أساقفة به، وكان منهم أخيراً فيه المطران عبدالله حبقوق ولمّا توفي خلفه في هذا الدير المطران يوحنا حبقوق فسلمه إلى الرهبان سنة ١٧٠٨م فزادوا في بنائه واقتنوا له أملاكاً كثيرة حتى أصبح على ممر الأيام أكبر أديار الموارنة وأشهرها. وقد مرّ أنّ الشيخ سلهب الحاقلاقي أنشأ سنة ١٦٨٢م دير السيدة بلويزة في خراج زوق مصبح وجعله لسكنى الرهبان العباد وترهب فيه ولده القس اغناطيوس ثمّ سلم هذا الدير إلى الرهبان سنة ١٧٥٧م، ووقع في القسمة بين الرهبان اللبنانيين والحلبيين في نصيب الحلبيين ومثله دير مار بطرس كريم التين في قاطع بيت شباب الذي كان المطران يوحنا حبقوق المذكور قد

سَلَّمه إلى الرهبان سنة ١٧١٢م، وكان البابا اكليمنضوس الحادي عشر قد وهب لهؤلاء الرهبان دير القديسين بطرس ومرشليونس برومة على يد أحدهم القس جبرائيل حوا سنة ١٧٠٧م، فإنّ هذا البابا قد أرسل القس المذكور إلى مصر إلى أحد أساقفة القبط الذي كان قد أظهر ارتياحه لاعتناق الإيمان الكاثوليكي فنجح القس جبرائيل بمساعده واستردّ الأسقف المذكور إلى حظيرة الإيمان القويم فكافأه البابا بأن وهب الدير المذكور لرهبانيته، ثم جعلوه مدرسة للرهبان سنة ١٧٢٥م. وأثبت البابا اكليمنضوس الثاني عشر قوانين هذه المدرسة إلى أن باعوها بأمر البابا بناديكتوس الرابع عشر سنة ١٧٥٣م، وشروا بضمها محلاً آخر برومة حذاء دير مار بطرس في السلاسل وجعلوه ديراً ومدرسة لهم على إسم القديس أنطونيوس أبي الرهبان، وقد وقع بالقسمة بين اللبنانيين والحليين في نصيب الحليين، وهو قائم إلى الآن وقد زاده المرحوم المطران أمبروسيوس نطين الدرعوني بناءً وإتقاناً وأنشأ له عقارات وأبنية للاستجار حتى كان الآن أغنى أديارهم.

وفي سنة ١٧١٢م أنشأ بعض أناس أتقياء دير مار الياس الرأس في جانب عينطورا ثم سَلَّم إلى الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٣٦م، وخَصَّه السمعاني بسكنى الراهبات سنة ١٧٣٧م إثر الجمع اللبناني كما هو ظاهر من تقريره للبابا اكليمنضوس الثاني عشر، وكان المطران جبرائيل البلوزاوي قد بنى دير طاميش سنة ١٦٧٣م ثم سَلَّم إلى الرهبان سنة ١٧٢٧م، وأنشأ البطريرك سمعان عواد دير مشموشة ثم سَلَّمه الرهبان وتوفي به في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦م، ووهبهم الشيخ شاهين موسى الحاقلاني دير مار يوسف البرج سنة ١٧٤٦م بموجب صك أثبته مؤلف النبذة التاريخية في المقاطعة الكسروانية صفحة ١٦٨، ثم أنشأ الرهبان اللبنانيون دير مار أنطونيوس حوب سنة ١٧٤٩م، ونراه منضمّاً إلى الأديار التي ملكهم إياها الأمير يوسف شهاب سنة ١٧٦٥م كما سيأتي، ودير مار موسى الحبشي بالمتن سنة ١٧٥٣م، ودير مار جرجس الناعمة سنة ١٧٥٣م، ودير مار ميخائيل بناييل سنة ١٧٥٦م، ودير مار ساسين بسكننا للراهبات سنة ١٧٥٦م، ودير مار مارون بيرسنيين سنة ١٧٦٠م.

وفي سنة ١٧٦٥م ملكهم الأمير يوسف شهاب حاكم الجبل دير السيدة في ميفوق وما تبعه من العقارات القريبة إليه ودير مار قبريانوس في كفيفان وما تبعه، وأنطوش جليل وما تبعه من العقار، وسلمهم كنيسة المدينة ودير مار أنطونيوس

بحوب في جوار تنورين، وتبعه كنيسة مار دوميط وعقار عين الراحة، وكانت هذه الهبة للقس أقليمس المزرعاني الرئيس العام للرهبانية ومديرها القس عمانوئيل الرشمانى والقس مرقس الكفاعي والقس يعقوب البشراى والقس جرمانوس الديرانى وكان ذلك بعناية الشيخ سعد الخورى والشيخ سمعان البيطار.

وفي سنة ١٧٦٦م سلم الشيخ منصور يوسف الدحداح إلى هؤلاء الرهبان أيضاً دير سيدة المعونات المعروف بدير البنات قرب جبيل، وسلمهم صكاً به كما كان تسلمه من الأمير يوسف شهاب ليجددوه ويتولوا عليه.

وكان هؤلاء الرهبان قد أنشأوا قبل ذلك دير مار الياس الكحلونية بالمتن سنة ١٧٦٢م، ودير مار أنطونيوس البادوي المعروف بدير النبع في قاطع بيت شباب سنة ١٧٨٥، ودير مار عبدا معاد سنة ١٧٩٥م.

وأما الأديار التي أنشأها وتسلمها رهبان مار اشعيا في هذا القرن فهي:

الأول دير مار اشعيا بناء المطران جبرائيل البلوزاوي كما مرّ. وأرسل إليه سنة ١٧٠٠م أربعة قسوس من دير طاميش وتبعهم بعد ذلك القس بطرس عطايا من ساحل علما، والقس يواصف من عرمون كسروان، والقس سمعان عريض من قتاله. ولما رأى البطريرك اسطفانوس الدويهي رغبتهم في إنشاء رهبانية أثبت رسومهم وقانونهم، وكذلك خلفاؤه جبرائيل البلوزاوي ويعقوب عواد ويوسف ضرغام الخازن إلى أن أثبت الكرسي الرسولي قانون هذه الرهبانية سنة ١٧٤٠م.

الثاني دير مار الياس غزير وقد ذكرنا قبلاً إنشاء المشايخ الحبيشية وأهل غزير له ثم سلموه إلى رهبان مار اشعيا أي إلى القس سليمان رئيس رهبان مار اشعيا بموجب صك مؤرخ سنة ١٧١٢م وصادق عليه من البطريرك يعقوب عواد.

الثالث دير مار عبدا المشتمر سلمه البطريرك يعقوب عواد إلى القس عطالله كريكر من بيت شباب وكان هناك كنيسة وحارة فقط من أيام البطريرك الدويهي.

الرابع دير مار الياس أنطلياس سلمه البطريرك يعقوب عواد إلى الرهبان المذكورين سنة ١٧٢٢م بموجب صكين.

الخامس دير مار سركيس إهدن ذكرنا أنشاءه قبلاً، وكان يخص عائلة بيت

الدويهي من إهدن فسّلمه إلى الرهبان بولس يوسف الدويهي والخورى بولس والخورى أنطون والخورى حبيب جميعهم من بيت الدويهي سنة ١٧٢٩م.

السادس دير مار جرجس ضبيه المعروف بدير عوكر سلّمه البطريك يوسف ضرغام الخازن إلى القس ابراهيم يواصاف الرئيس العام سنة ١٧٤٠م.

السابع دير مار يوحنا القلعة سلّمه الأمير يوسف مراد أبي اللع إلى رئيس الرهبان المذكورين الأب سمعان عريض من قتاله وسلّمهم صكاً به يقال فيه إنّه أجاز رئيس عام الرهبانية الأنطونية أن يبنى ديراً في محل بيروت العتيقة فأنشأ الرئيس العام المذكور والقس ابراهيم عون المدوّن اسمه على باب كنيسة هذا الدير سنة ١٧٤٨م.

الثامن دير مار روكس زهر الحسين وقف أرضه آل قانصوه الخازن وبناه دير المطران بطرس الحاج من بكفيا، وكان من هذه الرهبة وكان ذلك سنة ١٧٦٢م. التاسع دير مار بطرس القطين سلّمه إلى الرهبة المطران جبرائيل عواد سنا سنة ١٧٦٠م.

العاشر دير مار سمعان عين القبو سلّمه المطران يواصاف البسكنتاوي سنا ١٧٦٩م إلى الرئيس العام القس ابراهيم عون.

الحادي عشر دير مار أنطونيوس بعدا أنشأه بيت ياغي من قرية بعدا قاصدين أن تدخل بناتهم في الرهبانية كبيت اسطفان وبيت الخازن وبيت آصاف وبيت صفير ولم يكن في الدير إلاّ معبد صغير للتقديس وبعض غرف حقيرة وكان ذلك سنة ١٧٦٤م في أيام البطريك طوبيا الخازن.

الثاني عشر دير مار أنطونيوس البادوي جزين أقامه الرهبان المذكورون بإذن البطريك يوسف اسطفان ومطران الأبرشية ارميا مطران الناصرة لسكنى الراهبات به وأخذ الرهبان بينائه.

الثالث عشر دير مار أدنا الفتوح اتفق الأمراء الشهابيون والمشايخ الحبشود والقس طوبيا عون رئيس الرهبة العام أن يبنوا ديراً على إسم مار أدنا في مقاطع الفتوح وأرسل الرئيس العام القس سلوانس جوده فرم أولاً الكنيسة القديمة التي كانت هناك وأذن له بطرس مبارك مطران الأبرشية والبطريك يوسف اسطفان أد

يخدم أبناء الطائفة القاطنين في تلك الناحية فعاون الأب نعمة الله الغزيري القس سلوانس جوده وأنشأ هذا الدير وكان ذلك سنة ١٧٩٢م .

فهذه هي أديار الرهبان الأنطونيين التي أنشئت في هذا القرن وأما الأديار التي أنشئت لغير هؤلاء الرهبان فمنها دير مار يوحنا البقيعة بعرامون كسروان ذلك أنه في سنة ١٧٠٥م حدثت مشاجرة في دير سيد الحقلة بين الرئيس والقس سمعان والقس افرام من عرامون فخرج القسّان من الدير المذكور وبهذا الطاعة لرئيسهما ثم أعطاهما أبو عون صوباط قطعة أرض في البقيعة وشرط عليهما أن يبنيا في القطعة المذكورة محلاً يتعلّم به أولاد قرية عرامون وما جاور الدير. قال مؤلف النبذة التاريخية في كسروان: لاني طالعت الصك الذي حرّره أبو عون ثم انضمّ راهبان آخران من دير مار عبدا هريريا إلى القسيسين المذكورين فشروا المحل حيث الدير الآن من الشيخ نادر أبي النصر الخازن بخمسة قروش وربع، وأخذوا سنة ١٧٢٥م ببناء الدير. وفي سنة ١٧١٨م جدّد الحوري يوسف حبيش (الذي رقي بعداً إلى الأسقفية) دير مار جرجس علما وجعله لسكنى الراهبات.

وسنة ١٧٢٦م تكرّست كنيسة هذا الدير وجدد رهبان مار اشعيا بناء دير بكركي الذي باعوه بعداً إلى الراهبة هندية.

وسنة ١٧٤٠م جدّد الحاج أبو رزق نطين وابنه القس يوحنا من درعون دير مار يوسف الحرف بجانب درعون. وفي سنة ١٧٤٤م كان إنشاء دير الزيارة بعينطورا بعناية الأب أنطونيوس رئيس رسالة اليسوعيين في سورية، فقد شرى محل الدير من الشيخ أبي شروان موسى بن طريه الخازن بثمن قدره ألف وتسعمائة قرش دفع ثلثي المبلغ مما جمعه من الإحسان ومن الطالبات الدخول في الدير، والثلث الباقي من الثمن وهبه الشيخ المذكور للدير لأنّه كان له ابنة وشقيقة انتظمتا في سلك الطالبات، وهذا ظاهر من سجل الدير وصك الشراء المؤرّخ في ٧ حزيران سنة ١٧٤٤م. وبعد التمام الراهبات في الدير رأى الأب أنطونيوس المذكور أن يستسرن بقانون راهبات الزيارة الذي ألفه القديس فرنسيس سالس وأن يكون معرفته أحد الآباء اليسوعيين، واستماح الإذن بذلك من السيّد البطريك وأساقفة الطائفة فأجازوا ذلك بشرط أن تبقى الراهبات حافظات الطقس الماروني. وفي سجل الدير صك الإجازة هذا مصرحاً فيه أن تبقى الراهبات خاضعات لسلطان بطريك الطائفة دون

غيره من الأساقفة ومستيسرات بقانون القديس فرنسيس المذكور وحافظات الطقس الماروني وموقع عليه من البطريك سمعان عواد وبعض المطارين.

وفي سنة ١٧٤٩م أنشأ الشيخ عاد بن صخر الخازن الدير المعروف بدير سيدة البراز في كسروان للعبادات واتبعت قانون الراهبة هندية قبل إلغاء رهبانيتها. وقد جاء في النبذة التاريخية في كسروان أنه في سنة ١٧٦٤م جدد الشيخ نمر بن أبي نصيف نوفل الخازن دير مار الياس بلوني وهو من أديار كسروان التي جددت بعد خرابه، لكننا نعلم أن هذا الدير كان قبل هذا التاريخ لأنه في سنة ١٧٣٧م نقل السمعاني الراهبات منه إلى الأديار التي خصّها بالراهبات كما أوضح في تقريره للبابا اكليمنضوس الثاني عشر.

ونحو هذا الزمان أنشأ الشيخ عبد السلام بن عبد الملك الخازن دير مار موسى في القرية المذكورة، وأنشأ البطريك طوبيا الخازن الذي توفي سنة ١٧٦٦م دير مار أنطونيوس بقعاتا بكسروان، وقد أنشأه وهو مطران لأنّ السمعاني نقل الراهبات منه إلى الأديار التي خصّها بالراهبات كما مر. وفي السنة المذكورة كان أنشأ دير السيدة بمستيتا في بلاد جبيل ذلك أنّ الخوري بطرس ديب رئيس دير سيدة الحقللة زار اتفاقاً في جبيل الأمير يوسف الشهابي حاكم لبنان وكانت له ابنة اعتراها مرض أعى الأطباء شفاؤه فاستأذن الشيخ سمعان البطار الأمير ليدخل الخوري إلى مخدع ابنته ليصلي عليها علّ الله ينعطف بصلاته إلى برئها. فدخل وصلى عليها فأنعم الله بشفائها فطابت نفس الأمير وزال غمّه، ودخل الشيخ سمعان على الأمير يهنئه بابلال ابنته من المرض، فحدّثه الأمير بما يكافئ الخوري فأجابه أنّ هذا درويش راغب عن أموال الدنيا فإن لاقى لدى مولاي وهبه قطعة أرض يحرثها مع جماعته، فحسن كلامه للأمير وأمر أن يعطى الأرض المسماة مستيتا كلّها ودوّن الشيخ سمعان صكّاً بها باسم الأمير للخوري. وشرط عليه الشيخ سمعان أن يبني فيها ديراً على اسم السيدة فأخذ الخوري في بناء الكنيسة وبعض غرف بجانبها وكان الأمير يوسف المذكور أنعم على رهبان دير سيدة الحقللة بدير مار دوميط البوار بفتوح كسروان، ومحل القديسة صوفيا بأرض الصفرا هناك ثمّ حكم البطريك يوسف اسطفان بفصل دير البوار عن دير الحقللة.

وفي سنة ١٧٦٦م أيضاً أقام البطريك يوسف اسطفان في دير مار يوسف

الحصن بغوسطا الذي كان قد أنشأه من ماله في محل خصّه من متروكات والده.

وفي سنة ١٧٦٩م بنيت فيه كنيسة على إسم القديس يوسف البتول باحسان لويس الخامس عشر ملك فرنسا سيأتي ذكرها في جملة الكنائس.

وفي سنة ١٧٨١م استأثرت رحمة الله بالشيخ ميلان ابن البطريرك يوسف ضرغام الخازن وكان قد وقف كل ما يملكه على إنشاء دير السيدة ببقولش لأنّه لم يكن له ولد، وبأشر بناء الدير وإعداده ليجمع إليه راهبات. وعاجلته المنية قبل أن يتم بناء الدير وخلفه في إتمام مشروعه ابن عمّه الخوري يوسف شرف بن كسروان الخازن فأكمل بناء الكنيسة سنة ١٧٨٣م. وفي سنة ١٧٩٧م بنى الخوري موسى ديب رئيس دير الحقللة الدير المعروف بدير العفص في محل وقفه أقرباؤه.

أمّا الأديار التي أنشأها الأجانب في كسروان خاصّة فهي دير مار أنطونيوس حريصا بناه رهبان القديس فرنسيس في محل وقفه عليهم الشيخ سنتو بن فياض الخازن منذ سنة ١٦٨١م، ودير القديس فرنسيس للكبوشيين، وكانوا قد حضروا إلى غزير وأقاموا أولاً في دير مار الياس غزير للموارنة باذن البطريرك كما مرّ ثمّ أعطاهم الأمير حيدر شهاب والي لبنان قبواً من سراي الأمراء العسافيين وأبشروا في بناء ديرهم المذكور سنة ١٧١٢م. ثمّ دير الخلّص المعروف بالكريم للأرمن فأنه في سنة ١٧٠٧م حضر أربعة شبّان أرمن من حلب إلى لبنان فدخل منهم راهبان في رهبانية اللبنانيين في دير قزحيا واثنان حضرا إلى كسروان، فوهبهما الشيخ صخر بن أبي قانصوه الخازن محل هذا الدير بغوسطا سنة ١٧١٦م، فترهبّا به وأسسّا رهبانية الأرمن تابعين قانون رهبان القديس أنطونيوس اللبنانيين ثمّ سكن بطاركة الأرمن في هذا الدير إلى أن وقف عليهم الشيخ شرف دهام الخازن محل دير السيدة بيزمار فأخذوا ببناء هذا الدير سنة ١٧٤٩م وجعلوه كرسياً لبطاركتهم ومدرسة لاكليرسهم.

ومن هذه الأديار دير سيدة البشارة في جانب زوق مكاييل للملكيين الكاثوليكين فإنّ ثمان عذارى حليبات من هذه الطائفة حضرنّ إلى لبنان بقصد الرهبانية والتجّانّ إلى الآباء اليسوعيين المقيمين حيثنّ بعينطورا فساعدوهنّ على بناء هذا الدير في محل وهبه لهنّ الشيخ موسى الخازن سنة ١٧١٩م، ومنها دير مار ميخائيل بزوق مكاييل للرهبان الملكيين الكاثوليكين الخناوين بنوه في محل وهبه لهم الشيخ موسى بن طرييه الخازن سنة ١٧٤٧م، ثمّ دير سيدة النياح أنشأه الرهبان

الملكيون الكاثوليكيون بنفقة ابراهيم خير الدمشقي كما هو مسطر في التاريخ المنقوش على باب كنيسة هذا الدير، ووهبهم المحل لبنائه أولاد أبي خطار فاضل الخازن سنة ١٧٥٣م، ثم دير سيدة النجاة في الشرفة حذا درعون بناه الخوري يوسف مارون الطرابلسي. ولما فرّ ميخائيل جروه بطريك السريان الكاثوليكين من ماردین إلى لبنان سلّمه الموارنة الدير المذكور لسكناه سنة ١٧٨٣م.

عد ١٠٦

مدارس الموارنة المنشأة في هذا القرن

مدرسة عينطورا

أنبأنا العلامة الدويهي أنّ الآباء اليسوعيين كان أول سكناهم في لبنان سنة ١٦٥٣م، وقد أبانوا هم في إحدى رسائلهم المعروفة بالرسائل المعمرة أنّ الأب لمبر ورفيقه الذين سافروا إلى سورية سنة ١٦٥٣م ثارت على سفينتهم ريح شديدة ألقتها في محل قريب من عينطورا فأخذهم أهل المحل إلى الشيخ أبي نوفل نادر الخازن حاكم ذلك المحل حينئذ، ولما عرف أنّهم مرسلون أنزلهم عنده وأكرمهم وأمر ببناء دار ومعبد لهم في محل من أملاكه بعينطورا، وكان يتردد إليهم ويلطفهم ويساعدهم وهم يطنبون مدحه في رسالتهم المذكورة.

وجاء في الجمع اللبناني صفحة ٥٤٨ ما ذكرناه في ترجمة الأب بطرس مبارك وهو أنّ هذا الأب الورع العالم بنى لأبناء ملّته على عهد ذلك الجمع مدرسة بقرية عينطورا وأجرى عليها الأرزاق ووكل تديرها إلى المرسلين اليسوعيين معلقاً ذلك على بعض شروط خشية أن يلتم بأبناء ملّته شيء من الضرر في المستقبل، فالمدرسة التي بناها الأب مبارك لم تكن محل اليسوعيين الذي بناه لهم الشيخ نادر الخازن بل كانت قرية منه أو ملاصقة له. وقد ذكر الجمع اللبناني الصك الذي دوّنه الأب فرنسيس رتز رئيس اليسوعيين العام عند استلامه هذه المدرسة وهذا ملخصه عن ذيل هذا الجمع صفحة ٦٧.

«فرنسيس رتزر رئيس الرهبانية العام. لما كان بعض أفاضل الموارنة قد أسسوا مدرسة اكليريكية بقرية عينطورا التابعة أبرشية بيروت (هذا كان قبل الجمع اللبناني) وقد طلبوا أن تكون إدارتها بيد مرسلي جمعيتنا فأجابهم سالفنا إلى طلبهم ونصب رئيساً عليها الأب أنطون ماريانكي ونحن نثبت هذا الأمر الذي ينطبق على روح رهبانيتنا ونحكم ونجزم بأسطرننا هذه أن يستمر قائماً ثابتاً إلى ما شاء الله. ونعلن أنّ من نية المؤسسين الفضلاء أن يقبل في هذه المدرسة من طلبة الموارنة ولا ينفي غيرهم من طلبة باقي الطوائف وخصوصاً القبط والكلدان بشرط أنّ عدد هؤلاء لا يتجاوز ربع الطلبة، ونأمر وننهي نهياً جازماً رؤساء جمعيتنا ووكلائها ألا يصرفوا أرزاقها ومداخيلها إلى غير وجهه وأن لا يجسروا على تخصيصها بالرسالات أو صرفها في أي سبيل خيري أياً كان. ونريد أن تبقى هذه الإدارة بيد وكيل الرسالات الشرقية في باريس ووكيل معاوية فرنسة المستقر هنا برومة بحيث أنّ مداخيل هذه المدرسة لا تختلط مع مجموع المداخيل الخاصة بالرسالات المذكورة وترسل إلى رئيس المدرسة على حدة، وإذا نزلت كارثة توجب نقل المدرسة من موقعها فحرصاً على نية المؤسسين نأمر بالألا تنقل إلى ما وراء حدود سورية أو إلى حيث لا يوجد موارنة ونأمر أن تبقى مداخيلها وأرزاقها في حالة نقلها ثابتة على حكمها كأنّ مركزها لم يتبدّل. وإذا ترك رجال جمعيتنا الرسالات السورية واضطروا إلى الخروج من سورية فتبقى إدارة أرزاق المدرسة وتديرها بيد من حكم الرئيس بأهليته للقيام بمقامه إلى أن يرى الرئيس العام القائم وقتئذٍ من يجب تسليم الإدارة إليه في مدّة غياب المرسلين وينبغي أن ترد إليهم لحال رجوعهم إلى سورية ولو قرر رؤساء الجمعية وجوب التخلي عن إدارة هذه المدرسة فعملاً بنية المحسنين التي أوضحوها لنا نعلن أنّ على الرئيس العام في هذه الحال أن يعهد بالمدرسة وبنائها ومداخيلها وكل ما يعرف بها إلى أشخاص آخرين يرى فيهم الجدارة. لذلك مع التوفّر على رعاية الشروط الآتفة الذكر بحيث أنّ المداخيل والأرزاق تخصص وتصرف في سبيل قيام هذه المدرسة وحفظها إلى ما شاء الله وإذا تعدّر الحصول على ما ذكر فتقوم مقامها مدارس صغيرة ينشئها بطريرك الموارنة في بلاد طائفته على ما يرى. وبياناً لصحة ما تقدّم وقّعنا على هذا الصك بخط يدنا وخاتمتنا برومة في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤».

وبقي الآباء اليسوعيون يدبرون هذه المدرسة بحسب الشروط المذكورة نحواً من أربعين سنة ولما ألغيت جمعيتهم سنة ١٧٧٣ استولى البطريك يوسف اسطفان بطريك الموارنة على هذه المدرسة ومدرسة زغرتا الآتي ذكرها ثم تحولت جميع أديار اليسوعيين في الشرق إلى الرهبان العازريين بموجب براءة من البابا بيوس السادس مؤرخة في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٨٣، وأمر من لويس السادس عشر ملك فرنسا مؤرخ في ٢١ كانون الأول من السنة المذكورة. ففي سنة ١٧٩٢ أقام رئيس العازريين الدعوى على هذه المدرسة وطلب تسليمها إليه كباقي أديار اليسوعيين فسلمها البطريك يوسف اسطفان إلى جمعيتهم طمعاً بأن يستحصلوا المبلغ الذي كان باقياً لهم عند إلغاء جمعية اليسوعيين وضبط في بنك باريس، وعلى الشروط التي مع اليسوعيين فلم يقبل العازريون هذه الشروط إذ أدخلوا بها فتسلم البطريك ما كان يخص المدرسة وتسلموا هم ما كان يخص اليسوعيين.

مدرسة زغرتا

جاء في المجمع اللبناني صفحة ٥٤٩ ما ذكرناه في ترجمة المطران جرجس بنيمين الاهدني وهو أن هذا الأسقف إذ كان مطراناً بسورية قد أنشأ في قرية زغرتا من أبرشية طرابلس مدرسة وكنيسة وعيّن لها دخلاً كافياً لمعاش معلّم وتوطيداً لدعائم هذه المدرسة قد عهد بتدبيرها إلى الآباء اليسوعيين الذين انضوى إلى جمعيتهم معتزلاً الأسقفية، وشرط عليهم أن يعلموا من يؤمنهم من الأحداث من القرى الدانية أصول السريانية والعربية إمّا بأنفسهم وإمّا بواسطة معلّم يؤدون له أجرته، وأن يشرحوا التعليم المسيحي للشعب أيتام الآحاد والأعياد كما يتبيّن من الصك الذي دوّنه الأب فرنسيس رتز رئيس اليسوعيين المار ذكره وهذا ملخص هذا الصك أيضاً.

«فرنسيس رتز رئيس الرهبانية اليسوعية العام. لما كان حضرة الأب جرجس بنيمين الماروني مطران إهدن سابقاً وأحد أبناء جمعيتنا الآن قد بنى وهو أسقف داراً بجانب كنيسة السيدة في زغرتا وخصّص لهذه الدار من الحقول والعقارات الجارية على ملكه ما يفي بمعاش معلمين وإقامة مدرسة لتأديب الشبان في التقى والعلم، ولما كان سالفنا الأب ميخائيل تمبوريني عملاً بنية الأب بنيمين الواقف ووفاءً بالرغبة

التي أهداها خطأ خلفه مطران إهدن وبقية الوجهاء والسراة في زغرنا وإهدن في أن يشاهدوا هذه المدرسة خاضعة لديونا بطرابلس ويروا مرسلينا يمارسون أعمال الرسالة في كنيسة السيدة بزغرنا قد عهد بتدبير هذه المدرسة وإدارة أملاكها إلى رؤساء ديرنا القائمين وقتئذ، فنحن نثبت ونقرر بأسطرننا هذه النافذة أبداً حكم سالفنا في مدرسة زغرنا والرسالة في الكنيسة القائمة بجانبها، ونحتّم ونجزم بأن يستمر هذا الحكم ثابتاً في المستقبل ونعلن أنّ نية المؤسس التي أوضحها لنا إنما هي أن يتّخذ من المعلمين بمقدار ما تحتّم مداخليل هذه المدرسة ويتحتّم عليهم أن يشربوا الأحداث الآتية إليهم من كل طائفة التقى والعلم دون طلب أجره، أمّا اختيار المعلمين فيجب أن يكون بيد رئيس المدرسة أو معتمد من قبله وللرئيس السلطان على عزلهم ونصب غيرهم وتعيين رواتبهم والنظر بما يراه عائداً على الطلبة بمعظم الفائدة. ونعلن أيضاً أنّ مدبري هذه المدرسة لا يكلفون بأداء الحساب عن إدارة أرزاقها إلا لرؤساء الجمعية وأنّ هذه الأرزاق تكون مخصّصة على الدوام ومعروفة بالمدرسة ولو اقتضت الحال أن تنقل إلى محل آخر، وبعد الحصول على الإذن الصريح من لدن الرئيس القائم وقتئذ. وننهي نهياً مشدداً هؤلاء الرؤساء والمديرين وكل من نيظ بهم إدارة شؤونها ونحظر عليهم بقوة الطاعة المقدّسة أن لا يقدموا على بيع أملاك هذه المدرسة الثابتة أو تبديلها ونريد أن يصرف كل الاجتهاد في الحرص على منقولاتها وأن لا تحول مداخليلها إلى وجوه أخرى ولو كانت للخير، وأن لا تخلط مع مجموع مداخليل باقي الأديار بل أن تكتب في دفتر مخصوص وتنفق في سبيل قيام المدرسة بكل أمانة. وإذا عرض ما ألجا رجال جمعيتنا إلى الخروج من سورية دون أمل عود قريب فنريد تبعاً لنية المؤسس أن ترجع هذه المدرسة مع كل ما تملكه إلى يد مطران إهدن وأكابرها بكل أمانة وأن تسلم إليهم بما عليها من التكاليف مع هذا الشرط وهو أنّه إذا عاد مرسلونا بعد مدّة أية كانت إلى سورية يعتبر أن قد ردت المدرسة إليهم بمجرد رجوعهم. وكذلك إذا أراد الرئيس العام أن يتخلّى عن تدبير هذه المدرسة وإدارتها لدواع صوابية فعملاً بنية المؤسس ترد وتسلم مع أرزاقها إلى يد السيّد مطران إهدن وسراتها بما عليها من التكاليف. وبياناً لصحّة ما ذكر كتبنا هذا الرقيم موقعاً عليه بخط يدنا ومهوراً بخاتمتنا برومة في ١٠ كانون الأوّل سنة ١٧٣٥م. فرنسيس رتر. وبعد إلغاء الرهبانية اليسوعية سنة ١٧٧٣م ردّت مدرسة زغرنا إلى مطران إهدن بحسب هذه الوثيقة.

مدرسة عين ورقة

يظهر أنّ العناية الربانية قد تداركت الطائفة المارونية بأعداد خليفة لمدرسة رومة قبل سقوطها فإنّ رجال جمهورية فرنسة عند دخولهم إلى رومة في آخر هذا القرن الثامن عشر ضبطوا مدرسة الموارنة فيها وباعوها إلى بعض العلمانيين وكان الله سبحانه قد ألهم البطريرك يوسف اسطفان أن يحوّل دير عائلته المعروف بعين ورقة إلى مدرسة عامّة للطائفة. فقد مرّ أنّ القس خيرالله اسطفان بنى دير عين ورقة سنة ١٦٩٠م وارتقى هذا القس بعد ذلك إلى الأسقفية ودعي جرجس، وأقام بهذا الدير وخلفه بعده عدّة أساقفة من هذه العائلة وأقاموا غالباً بهذا الدير وجمعوا إليه راهبات واستمرّ هذا الدير كذلك إلى أن عاد البطريرك يوسف اسطفان إلى البطريركية بعد توقيفه عنها فحينئذٍ حوّل دير عين ورقة إلى مدرسة إكليريكية عامّة للطائفة المارونية بتحريضات الشيخ غندور سعد الخوري الذي كان حينئذٍ قنصلاً لفرنسة ببرت. وله رسالتان إلى البطريرك يوسف اسطفان بهذا الشأن أثبتتهما المعلم رشيد الخوري الشرتوني في كتابه سلسلة بطاركة الموارنة الذي طبعه سنة ١٩٠١م وهما ناطقتان بما كان لهذا الرجل الهمام من الحمية والغيرة على طائفته المارونية والعناية بخيرها ونفعها. وقد حمل البطريرك على هذا المشروع الخيري ابن أخيه المطران يوسف اسطفان إذ كان بعد شماساً ثم صير كاهناً وأسقفاً ورئيساً لهذه المدرسة وله عليها أيادي بيضاء في نجاحها وتقدّمها. وقد أنشأ البطريرك المذكور سنة ١٧٨٩م صكاً مطوّلاً يبيّن فيه تحويل هذا الدير إلى مدرسة إكليريكية عامّة ووضع فيه نظامها وأخصّ قانون تلامذتها وشرح حقوق كل أبرشية مارونية على إدخال طلبة منها إليها إلى غير ذلك، وكتب إعلاماً وجهه إلى خلفائه من البطاركة الأنطاكيين وإلى مطارين الرعايا القائمين وقتئذٍ وإلى الشيخ غندور سعد القنصل الفرنسي ببيروت والمشايخ الخوازنة والحبيشية والدحاحة وكل مشايخ الطائفة وأعيانها القيمين حينئذٍ ومن يخلفهم ناشدهم بهذا الإعلام أن يسعفوا ويؤيّدوا بأنظارهم وإحسانهم ومحاماتهم مشروعه المذكور العائد إلى خير طائفتهم جيلاً بعد جيل، وطلب أن يوقعوا على إعلامه المذكور بخطوطهم وأختامهم بياناً على رضاهم بهذا الأمر الخيري وقبولهم المحاماة عنه والمساعدة له وهذا الإعلام مؤرّخ في ١٤ كانون الثاني سنة ١٧٨٩م.

ونبغ من هذه المدرسة كثيرون من الرؤساء الأماجد والعلماء الأفاضل حتى كان في القرن التاسع عشر أكثر بطارقة الطائفة ومطارينها وكهنتها الأجلاء المشتهرين من تلامذة هذه المدرسة وسيأتي ذكر كثيرين منهم. وفي جملة الأساقفة من تلامذتها كاتب هذا التاريخ الحقير ومن هذه المدرسة خاصة اثبت علوم اللغتين العربية والسريانية بين نصارى سورية وغيرها من العلوم والفنون.

عد ١٠٧

كنائس الموارد المنشأة في هذا القرن

إنّ الكنائس التي أنشأها الموارد أو جدّدوها في هذا القرن الثامن عشر كثيرة وليس من تعدادها كبير فائدة يستوجب صرف زمان في البحث عنها ولذلك نقتصر على أن نذكر منها ما عرفناه بأقل كلفة.

ومن المعلوم أنّ كل ما ذكرناه في الفصلين السابقين في الأديار والمدارس أنشئ في كل منها كنيسة أو معبد وهي تربو على ستين ديراً ومدرسة ونعلم مما سواها كنيسة سيده الوردية بزوق مصبح أنشأها كاهنان من هذه البلدة الخوري فرح والخوري رزق الله الزوقيان سنة ١٧٠٨م كما يظهر من تاريخ نقش عليها من نظم الخوري نقولا الصائغ الملكي الكاثوليكي وكنيسة القديس يعقوب المقطع بدلبتا شرع بينائها الخوري يعقوب الحصري جد الطيّب الذكر البطريرك يوحنا الحاج سنة ١٧٢٢م.

وفي سنة ١٧٦٣م أنشأ أبو عبدالله الرامي وأقاربه كنيسة مار الياس النبي بفالوغا كما يظهر من التاريخ المنقوش على بابها وهو: «أنشأ هذا الهيكل المبارك على إسم القديس مار الياس وكان المعني فيه أبو عبدالله أنطونيوس ابن المرحوم الخوري جرجس بن حبيب الرامي وبقيّة عائلته وكان يومئذ على الكرسي الأنطاكي مار طويلا الخازن الكلي الغبطة وكان المتولي في الحكم جناب الأمير شديد المحترم سنة ١٧٦٣م». وسنة ١٧٦٥م بنيت الكنيسة الكبيرة في دير سيده الحقة في أيام رئاسة الخوري بطرس ديب والقس يوحنا باسيل من معراب.

وفي سنة ١٧٦٩م أنشئت كنيسة مار يوسف الحصن بقرية غوسطا بإحسان لويس الخامس عشر ملك فرنسة فكان البطريرك يوسف اسطفان الذي أنشأ هذا

الدير في محل ورثه عن أبيه كما مرّ. استمدّ هذا الإحسان من الملك المشار إليه فأنعم به عليه ويظهر أنّ مهندسين فرنسيين وضعوا هندسة هذه الكنيسة فحنية مذابحها خاصّة بديعة وعلى مثلها بنى المطران يوسف أبو رزق رئيس مدرسة عين ورقة حنية كنيسة هذه المدرسة التي أنشأها في القرن التالي كما سيجيء.

ونحو هذا الزمان أو قبله بنيت كنيسة القديس جرجس القديمة للموارنة في بيروت وكانت صغيرة فسعى بتكبيرها الشيخ منصور اده وأخوه الشيخ بطرس بنفقة المطران يوسف فاضل مطران الأبرشية ونفقة الشيخين المذكورين ومعاونة وجوه الموارنة بالمدينة واستمرّت هذه الكنيسة هي الكاتدرائية المارونية ببيروت إلى سنة ١٨٩٤م التي بها احتفلت نهار أحد الشعانين بالقداس الأوّل في الكاتدرائية الجديدة على اسم القديس جرجس أيضاً وكنت قد بدأت في بنائها سنة ١٨٨٤م وأنفقت عليها نحو مليونين من القروش كما سيأتي.

وفي سنة ١٧٨٩م وقف يزبك خيرالله وأخواه يوحنا ومنذر قطعة أرض في مزرعة الحصين التابعة قرية غباله بالفتوح بنيت فيها كنيسة على اسم السيدة وهي المعروفة الآن بسيدة الشقيف وكان بهذا المحل خربة كنيسة قديمة مشهورة بعمل العجائب.

المقالة الثانية عشرة

تاريخ الموارنة في القرن التاسع عشر

الفصل الاول

حكام الموارنة واعيانهم

عد ١٠٨

حكام الموارنة في هذا القرن

من بعد اواسط القرن الثامن عشر الى سنة ١٨٦٠م كان حكام لبنان موارنة. فإن الامراء الشهابيين في هذه المدة الذين تولوا لبنان اي اولاد الامير يوسف والامير بشير وغيرهم كانوا موارنة، ولما قسم لبنان الى قائمقاميتين مارونية ودرزية كان على قائمقامية الموارنة اولاً الامير حيدر اسماعيل ابي اللمع ثم خلفه بعد وفاته الامير بشير احمد ابي اللمع الى ان كانت الحرب الاهلية سنة ١٨٦٠م، وكان للموارنة في نظام لبنان المعمول به الآن أربع قائمقاميات في اربع اعمال وهي البترون مع جبة بشري وزاوية طرابلس ثم كسروان مع الفتوح وبلاد جبيل ثم المتن مع قاطع بيت شباب وساحل بيروت ثم جزين مع ما يليها، ينصب فيها اربعة قائمقامين من الموارنة من الامراء وغيرهم واكثر المديرين في هذه القائمقاميات هم موارنة، ومنهم عدة مديرين في قائمقامية الشوف. واما في زحلة والكورة فلا مدير لهم فيها لصغرهما وان كان من الموارنة جماعة كبيرة فيهما.

واما الاعيان الموارنة في هذا القرن فقد تكاثروا عديدهم وربما على ما تتمحله

حالتهم و ثروتهم، فالأمراء الشهابيون في لبنان صاروا جميعاً نصارى موارنة إلا قلائل منهم اتبعوا طقس الملكيين الكاثوليكين او الملكيين غير المتحدين، وكذلك الامراء اللمعيون إلا نفرأ منهم اتبعوا طقس الملكيين الكاثوليكين، وازداد ايضاً كثيراً عدد المشايخ الخازنيين والحبيشيين وآل ظاهر وآل دحداح ومشايخ جبة بشري وآل أبي صعب وآل هاشم، وهؤلاء كانوا دائماً ما برحوا موارنة قحاً. ولكن زيادة عددهم وتوفر احتياجات المعيشة والملبس والأثاث في هذا العصر آلت بكل هذه الأسر الشريفة الى الانحطاط وضيق ذات اليد في عيال كثيرة منهم، وقل من بقي يتمكن من أن يعيش كما يقتضيه شرف اصلهم. وزاد في الطين بلة انتشار روح الحرية في هذا العصر فحمل الاهلين على ازدراء سلطتهم وانكار وجاهتهم وعدم رعاية شرف اصلهم، فنار اهل كسروان على مشايخهم الخوازنة وطردهم من اوطانهم واعتدوا على حاصلات املاكهم حتى قتلوا نفرأ منهم، فذهب ذلك بمجاثمتهم وجشمتهم اضراً وخسائر، وانتشرت هذه الروح في باقي اعمال لبنان فانحطت مهابة الامراء ايضاً وباقي المشايخ لا الموارنة فقط بل غيرهم ايضاً من اية طائفة كانوا. وعندنا ان هذه الخطة في مقام شرفاء البلاد أضرت بها كثيراً إذ كثر رؤساء القوم، ولا مشاحة انه حيث كثر الرؤساء كثر الخلاف ولم تستقم الحال. وبعد أن كانت سلطة البلاد تنحصر برأي كم وجيه من هذه الاسر امسينا ألعوبة، فتعددت آراؤنا بقدر تعداد افرادنا، على اننا لا ننكر ان بعض الجهلة من هذه الأسر تسبب بهذا الانحطاط بأعمالهم التي لم تنطبق على واجبات الحق والعدل والشرف، ولم يكن من جهة العقلاء من يتدارك غوائل عمل الجهلاء فأفضت الحال الى ما تراها فيه الآن والله في خلقه غايات لا تدرك.

وكان من اعيان الموارنة في اواخر القرن الثامن عشر واولل التاسع عشر الشيخ جرجس باز ابي شاكراً من دير القمر وأخوه عبد الأحد، وكانا مدبري اولاد الامير يوسف شهاب والتمسا لهم سنة ١٧٩٢م من الامير حيدر والأمير قعدان والي لبنان حينئذ أن يؤجرهم بلاد جبيل فأجروهما اياها بستين ألف قرش كل سنة، وكان جرجس باز حازقاً خبيراً بأساليب السياسة استمال الى مخدميه اعيان البلاد واصحاب المناصب فيها حتى آثروهم على الاميرين الواليين واستهانوا بهما، وأصبحتا عاجزين عن ادارة البلاد وجباية المال الاميري منها، فأشار عليهما بعض اصحابهما ان يسلما الولاية الى اولاد الامير يوسف حذراً من ان يستردها الامير بشير الكبير،

فراسلا جرجس باز بذلك، فأرسل أخاه عبد الاحد إلى الجزار ومعه مائة ألف قرش فأرسل الجزار خلع الولاية إلى اولاد الامير يوسف وابقى عبد الاحد رهناً على ما بقي من المال، فلبس اولاد الامير يوسف الخلع وساروا مع جرجس باز إلى دير القمر. ولما تغلب الامير بشير على اولاد الامير يوسف واخذ الولاية من الجزار سار جرجس باز بمخدوميه إلى جبيل ولم يلبث الجزار أن تغير على الامير بشير سنة ١٧٩٤م وكتب إلى اولاد الامير يوسف أن يحضروا لديه ليوليهم فحضروا من جبيل إلى ساحل بيروت، فأرسل لهم الخلع فسار احدهم الامير حسين إلى دير القمر ومعه مدبره جرجس باز وسار احدهم الامير سعد الدين إلى جبيل، إلا ان الجزار تغير سنة ١٧٩٥م على اولاد الامير يوسف وعزلهم من الولاية وولى الامير بشير، فأراد ان ينتقم من اولاد الامير يوسف فعارضه بذلك جرجس باز مدير الامراء، وتمكن في سنة ١٧٩٨م أن يرّد الولاية إلى اولاد الامير يوسف، لكن اوقفهم الجزار عن المسير إلى لبنان بسبب قدوم العساكر الفرنسية إلى اسكندرية ثم إلى عكا. وبعد أن ارتحل الفرنسيين عن عكا خلع على الاميرين حسين وسعد الدين ابني الامير يوسف وسيرهما إلى لبنان وابقى اخاهما الامير قاسم رهناً عنده، فتوجه جرجس باز مع الامير حسين من جهة البقاع واخوه عبد الاحد مع الامير سعد الدين من جهة اقليم الخروب وطاردا الامير بشير حتى اضطر إلى الخروج من لبنان بدعوة سميت الاميرال الانكليزي له لمقابلة الصدر الاعظم في غزة، ولما عاد الامير بشير إلى لبنان ومال السواد الاعظم من اهله إلى إعادة الولاية إليه بقي جرجس باز معارضاً بما قدر عليه من التدابير إلى أن وقع الصلح، على أن يتولى اولاد الامير يوسف بلاد جبيل والامير بشير باقي البلاد، واقام جرجس باز في دير القمر عند الامير بشير في اوج الوجاهة واخوه عبد الاحد في جبيل ويده زمام الحكومة.

ولما توفي الجزار ونصب ابراهيم باشا مكانه وبلغ إلى دمشق ارسل إليه الامير بشير جرجس باز بمائة فارس فأمر الوزير أن تلتقيه قواد العساكر والاعيان ودخل جرجس باز عليه فأكرمه وأجلّه وكان يستشيريه في مهامه، وعظمت منزلة جرجس باز واخيه عند اعيان البلاد ولم يكن لهما ميل إلى الامير بشير بل كانا يصنعان افعالاً تسوءه، فأضمر لهما السوء واتفق مع اخيه الامير حسن على اغتيالهما ووافقهما على ذلك المشايخ اليزبكية الدروز وساروا مع الامير حسن إلى جبيل في ٥ ايار سنة ١٨٠٧م، واحاطت جماعة بعبد الاحد باز في داره فألقى نفسه من

شباك فقتله من كانوا اسفل، وفي النهار المذكور استدعى الامير بشير الشيخ جرجس باز اليه ولما جلس بحضرته خرج الامير واغلق الباب وامر بعض الدروز أن يدخلوا ويقتلوه فدخلوا عليه وخنقوه.

وكان من اعيان الموارنة في هذا القرن المشايخ بنو ابي صعب فأبو صعب هو جرجس ابن الخوري بطرس بن يونان ابي سليمان من المتين وكان له اربعة اولاد اسعد والياس وغالب ونصيف وقد أقام بخدمة الامير يوسف شهاب واشترى املاكاً في جبيل وارثل اليها، ولما نزع المقدمون بنو الشاعر من تولا سنة ١٧٧٠م اشترى ابو صعب دارهم في تلك القرية، ثم شري بعض مزارع في جنوبي جبة بشري واستوطن احدهما المعروفة بمزرعة الحاج حسن وتعرف الان بمزرعة بيت ابي صعب، وعاون مشايخ جبة بشري على طرد المتاولة منها. وقد اشتهر ابنه اسعد بفراسته وشجاعته في وقائع عديدة في ايام الامير يوسف واولاده والامير بشير الكبير. وتوفي ابو صعب جرجس سنة ١٧٩٤م واستمر ابنه اسعد يزداد شهرة في بسالته في خدمة الامير بشير الى أن توفي سنة ١٨٢٣م وله ابنان جرجس ويوحنا، وسنة ١٨٣٤م دعا الامير امين ابن الامير بشير شهاب يوحنا المذكور لخدمته وجعله رئيس كتابه، وسافر سنة ١٨٤٠م معه ومع الامير بشير والده الى مالطة، فتعلم هناك اللغة الايطالية ثم سافر معهما الى الآستانة سنة ١٨٤١م فتعلم التركية وأتقن اصول الخط العربي فنبغ فيها ورجع الى بيروت سنة ١٨٤٩م كاتباً عربياً في خدمة مصطفى باشا الشكودري، ثم استدعاه وامق باشا والي ايالة صيدا واعزه وجعله ترجماناً لطائفته عنده، ولما تولى الامير بشير احمد ابي اللمع قائممقامية النصارى سنة ١٨٥٤م جعله رئيس كتابه وقربه اليه. وسنة ١٨٥٥م أنعم عليه وامق باشا بلقب بك فكتب له الامير ولأقاربه الأخ العزيز مثل باقي مشايخ لبنان، وتزوج يوحنا زيجة اولى بنت يوسف فرنسيس نادر من المشايخ بيت الخازن، وخدم متصرفية لبنان مدات بوظيفة رئيس القلم العربي في مدة داود باشا وفرنكو باشا ورستم باشا وتوفي من سنين وكان شاعراً وله ديوان كبير.

وأما اخوه جرجس فقد اشتهر بالشجاعة في المواقع التي كانت بين النصارى والدروز سنة ١٨٤١م، وفي سنة ١٨٤٣م اختير عضواً لديوان الامير حيدر اسماعيل قائممقام النصارى، وعزل سنة ١٨٥١م ثم اعاده الامير حيدر الى وظيفته سنة ١٨٥٣م، ولما تولى الامير بشير احمد قربه اليه وبقي في خدمته الى أن توفي

سنة ١٨٥٨م، وكان ابنه اسعد والياس في عضوية مجلس ادارة لبنان على التعاقب في نظام لبنان الحالي عدة سنين.

عد ١٠٩

يوسف بك كرم

هو ابن الشيخ بطرس كرم حاكم اهدن وما يليها. ولد بإهدن سنة ١٨٢٥م على ما نعلم ونشأ على روح الدين والتقوى وحب الشرف وطلب المعالي وأقام له ابوه من اهتم بتعليمه اللغة العربية والفرنسية ومبادئ العلوم، وتعلم علم السلاح من اطلاق رصاص وضرب سيف على الشيخ عماد الهاشم العاقوري الشهير وبرع في ذلك ولو كان للنصارى حظ في الجندية في الممالك المحروسة وتجنّد لكان للسلطنة فيه قائد من اعظم قواد هذا العصر كما سترى من ذكر اعماله. وفي نحو السنة العشرين من سنة نصبه الامير حيدر اسماعيل قائممقام النصارى حاكماً على اهدن اقطاع ابيه واسرته وله في مدة حكومته هذه اعمال تذكر فتشكر من اجراء عدالة وعفاف نفس ومحافظة على آداب، ورعاية دين وتدريب شبان على محبة الدولة والوطن، مقرأ كل ذلك بصلاح سيرة وورع وايمان حيي وغيره على الدين والادب. وقد تفرر بحبه الطهارة حتى يمكن أن يقال عنه انه في حياته كلها ما نظر الى وجه امرأة نظراً يؤاخذ عليه، وقد عاش نحو عشرين سنة في مدن اوربا كباريس ونابولي والناس تتعجب من فضيلته هذه، ورؤساء الدين يجعلونه مثلاً للطهر ويحثون على الاقتداء به. ومع ما كان عليه من الوجاهة وسعة اليد استمر متبتلاً حياته كلها.

وكان قد عزم في سنة ١٨٥٩م أن يجمع كهنة علماء ويوقف املاكه عليهم ويعيش معهم مثابراً على اعمال الرسالة الدينية والروحية، وقد كاشفني بهذا ورغب الي ان انضم اليهم وانا كاهن معلم في مدرسة القديس يوحنا مارون، فأجبتة أن يلزم الثاني بفحص دعوته لأنني أرى ان المقتدرين مثله على نفع عباد الله في الزمنيات قليلون جداً، وأما الكهنة المقتدرون على الرسالة فكثيرون، وعليه ارى ان الله يدعو لنفع عباده بالزمنيات بالاولى. كنا في هذا الحديث مساء بداره باهدن

السنة المذكورة، وفي اليوم التالي وردت الاخبار المنبئة بحصول وقعة بين النصارى والدروز في قرية بيت مري فرأيته شبت فيه نار الغيرة وهبت عاصفة الحمية والوطنية واخذ يستدعي مشايخ جبة بشري والزاوية ووجوههما لاجتماع في قرية بان حيث خطب فيهم مبيناً ما يلزم عمله والاحتياط به وقاية من غوائل الحال المستقبل، وكأنه ناظر بذكائه ما كان بعداً، ولدى اجتماعي به ثانية أهدت له أن الله يدعوه لغير الرسالة. فقال حينئذ: (لتكن مشيئة الله).

ولما انتشبت الحرب الاهلية بين النصارى والدروز سنة ١٨٦٠م ارسل صكوك املاكه الكثيرة الى بيروت يرهنها عند من يدفع له ثلاثمائة الف غرش لينفقها في المجاهدة النصارى، وقام في نحو اربع مائة شاب اختارهم من جبة بشري وصحبه في سيره كثيرون الى أن بلغ بكفيا مجتمعاً اليه نحو الف مقاتل، فورد له رسالة من قنصل افرنسة الكونت دي نيتي فوليو يمنعه فيها من التقدم الى بلاد الدروز لئلا يثبت ان النصارى معتدون، فأجابه ان الجميع يعلمون ان الدروز ابتدأوا القتال وما انفكوا يجددونه وما نحن إلا مدافعون عن نفوسنا واخوتنا، فأرسل القنصل اليه ثانية يقول قد اتفقت انا وقناصل الدول وخورشيد باشا على ان دولته يمنع الدروز عن كل عمل عدواني وانا أوقفكم في محلكم، وإذا لم تقفوا في بكفيا حيث انتم كان النصارى جميعاً مسؤولين بمملككم. فأجابه قد امتثلت الامر وان كنت على يقين ان الدروز لا يقفون عن القتال ولكني إذا شعرت بأقل حركة منهم اسرعت للحال الى المدافعة. وبعد ارسال الجواب ورد الخبر ان الدروز والعرب وغيرهم محاصرون زحلة فهبّ البك برجاله طلق العنان، ولكنه لما اطل على زحله رأى النار تشتعل في بيوتها ثم التقى بالفارين منها فعاد الى المروج ثم الى جونية جاعلاً لها مركز المدافعة متجشماً نفقات لا تقدر على رجاله وعلى كثير من الفارين. وقد بقي بجونية مع رجاله الى ان وفد فؤاد باشا والعساكر الفرنسية الى بيروت فسماه فؤاد باشا وكيل قائممقامية النصارى وأظهر له المحبة والايانس، وقدره الفرنسيون ووكلاء الدول حق قدره وكان الجنود الفرنسيون يسمونه يوسف الاول، ولكنه اختلف اخيراً مع قسم من كبارائهم لنصحهم لهم بترك بعض مظاهرات تعود على شأنهم بالانحطاط وعلى البلاد بالضرر، واستمر على وكالة القائممقامية الى أن سمي داود باشا متصرفاً للبنان. وأراد داود باشا أن يستعمل كرم بك في احدى قائممقاميات لبنان لعلمه بما له من نفوذ الكلمة وما للشعب من الهوس به، لكن البك كان يعلم بما كان من

المفاوضات بالآستانة من شأن متصرف جبل لبنان، وانه سمي اجنبياً على سبيل الاختبار مدة ثلاث سنين، وإذا لم ينجح فيها استبدل بحاكم وطني كما كانت فرنسا والنمسا وروسيا تبتغي، ولذلك ابى قبول اية وظيفة كانت. ولما كثر الإلحاح عليه بقبول منصب شرط أن يستقيل منه متى أراد تخلصاً فسمي بقائمقامية (كانت حينئذ تسمى مديرية) جزين فاستقال منها في اليوم الثالث كشرطه وسار الى داره بإهدن.

وسمي الأمير مجيد شهاب قائمقاماً على كسروان والبترون (جعلاً بعدئذ قضاءين) ورغب في أن يتفق مع يوسف بك كرم وكاشفه بذلك على يد بطريركية الموارنة فأبى البك إلا الاعتزال عن كل خدمة للحكومة، فوجس داود باشا من هذا الاعتزال وشكا الامر الى فؤاد باشا فكتب الى كرم بك أن يحضر اليه طلق العنان (كما في اصل الرسالة) فأسرع بالحضور الى بيروت دون ابطاء، ولما قابل فؤاد باشا امره أن يبقى حيث كان في الثكنة العسكرية، فبقي فيها مكرماً وبعد ايام صحبه فؤاد باشا معه مسافراً الى الآستانة في آخر سنة ١٨٦١م.

وأقام بالآستانة مكرماً مطلقاً له أن يتوجه حيث شاء إلا سورية وعين له راتب شهري، وانتقل بعد مدة الى قرية برنابا بجوار ازمير منتظراً نهاية مدة الاختبار بمرور ثلاث سنين، ولكن عند نهايتها في سنة ١٨٦٤م كان بعض عمال فرنسا قد غير افكار رجال وزارتها في شأن طلب حاكم وطني، فعدلوا الى تجديد ولاية داود باشا. ولدى اجتماع سفراء الدول عند ناظر الخارجية بالآستانة تقرر هذا التجديد ولما عرف يوسف بك بذلك سار مسرعاً من برنابا الى ميناء طرابلس ثم الى زغرتا فبلغها في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٦٤، فاهتز لبنان له وأمه الناس افواجاً من كل انحاء لبنان، ورأى داود باشا ان لا قوة كافية له لكتبته فلجأ الى بطريرك الموارنة واعدأ أن يسترضي الدولة عن يوسف بك وينيله كل ما يبتغي بحيث أن يكتب له كتاباً يبين فيه انه يريد الإقامة بوطنه خاضعاً للشرعية والنظام، وبعد الإلحاح على البك بذلك كتب له كما رغب وأجابه الباشا مؤمناً له ومبدياً كل انعطاف اليه.

صنع داود باشا هذا وسافر سنة ١٨٦٥م الى الآستانة عالماً انه لا تستقيم له حال إلا أن يذل كرم أو يعده عن البلاد، وعرض الامر على الباب العالي مدعياً انه لا وسيلة له في حكم لبنان إلا بأن يستريح من كرم، واستعد لحربه واتى بفرقة

من الدراغون الى لبنان، وبعد عوده من الآستانة قبض في آخر السنة المذكورة على بعض انسباء كرم واصحابه قاصداً تهيججه، وأتى وأقام بصحراء جونية يصبحه العسكر اللبناني والدراغون وفريق من العسكر العثماني، وعلم يوسف بك بما وراء الاكمة فأتى بجمهور من سكان شمالي لبنان غالبهم من اهل السلامة لا من اهل الحرب إذ كان مقصده ابداء مظاهرة تحمل الباشا على الصلح. وبلغ البك في حشدته في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٦٦م الى دير مار دوميط البوار وبينما كان يسمع القداس اطل بعض فرسان الدراغون على رجال البك وناوشهم القتال فشب نار الحرب، وتقدم البك برجاله الى المعاملتين فزادت نار الحرب تسعراً وقتل من الطرفين عدة قتلى، وأتى بعض الكسروانيين من جهة غزير لانجاد الكرنيين فصدتهم العسكر الذي كان في غزير وعاد البك برجاله الى زغرتا.

ان في ما كان ليوسف بك كرم في الاحداث الآتي ذكرها موعظة فعالة ووزاعاً شديداً في ردع كل فرد من رعايا الحكومات عن أن يجسر ولاسيما في هذه الايام على أن يعاند السلطة العظمى ولو مهما كان متبوعاً او كان مزيناً به من الشجاعة والبسالة، حتى ولو كان معتقداً بأنه يخالف عمال الحكومة لا رأسها فالحكومة ترى العصيان على عمالها عصياناً عليها كما كان لهذا الرجل، فإنه بعد انكسار رجاله في المعاملتين كتب الى عمال الباب العالي بسورية والى قناصل الدول ببيروت يقيم الحجة على انه متشبث بالطاعة للمتبوع الاعظم ولا يريد العصيان ولا محاربة عسكر الدولة العلية، على انه لا بد له من المدافعة عن نفسه وأرفاقه إذا ارسل داود باشا العساكر عليه، فأخذ داود باشا يبين لهم ان ترك كرم في هذه الحال حطة في شأن الحكومة ولا يستقيم لها حال إلا باذلاله وابعاده، ويتعهد بكتبته بأقرب آن وبأيسر وسيلة، فأجيب الى طلبه بتوجيه العسكر ثانية اليه فأرسل العسكر اللبناني ونحو ثلاثة آلاف مقاتل من جنود المملكة فقام البك من زغرتا الى بنشعي ومعه نحو اربعمائة رجل فتبع العسكر آثارهم واضطربت نار الحرب ساعات وفي آخرها رجع عسكر داود باشا مدحورين الى طرابلس، وكسب الكرميون شيئاً كثيراً من سلاحهم استعانوا به على حربهم في مواقع اخرى.

فاتسع خرق هذه الفتنة وامسى ضربة لازب أن تنتصر الحكومة اعلاء لشأنها فجمع داود باشا نحو ثمانية آلاف مقاتل وسيرهم على كرم وهو في قرية سبعل واصحابه لا يبلغون خمسمائة رجل، فتلظت نار الوغى بين الفريقين من الصباح

حتى المساء، وبات كل من المتحاربين متحفزاً للقتال، وعند الصباح رأى كرم انه لم يبق لرجاله بارود فصرف جمهوراً منهم ليذهبوا في سبيلهم ومضى بمن بقي الى داره في اهدن ثم عمد الى الاختباء ومعه نحو خمسة عشر رجلاً فدخل العسكر اهدن وحرق داره.

وكان كرم يغير مخبأه وقد كبسه مرات رجال الحكومة وكان يتملص منهم سالماً ظافراً فكبسه مرة مدير بشري ومعه نحو مائتي رجل وكان في خربة بيته بإهدن ومعه سبعة رجال بدد بهم حشد المدير. وكان مرة في وادي النسر في منعطف لبنان من جهة بعلبك فجمع قائمقام بعلبك حشداً كبيراً من جنود وغيرهم نحو الف رجل وقصدوه في مخبئه فهب اليهم بسبعة رجاله فلم يجسروا ان يدنوا منه بل ولّوا هاربين. واحتاطه مرة في نبع جوعيت نحو ألف رجل فانحدر امامهم في وادي النهر لجهة مزارا فأقاموا له كميناً على الطريق التي بين سبل ومزارا واتبعه الرجال على ضفتي الوادي، ولما بلغ الكمين وايقن أن لا مناص له صاح بأصحابه وكانوا نحو خمسة عشر رجلاً: سيوفكم يا أبطال واستل سيفه ومشى على القوم المشتبكين في الطريق وحوله رجاله فارتاع الكامنون وانحسروا من طريقه واجتاز بينهم ومضى.

واخيراً سمعت نفسه الاختفاء فهت متظاهراً على نبع جوعيت وتألّب اليه نحو ثلاثمائة شاب من نخبة رجاله، فسار بهم في وسط البلاد لا يعترضه احد بل رحب به الجم الغفير مازاً بجبة بشري وبلاد البثرون وجبيل وكسروان الى أن بلغ بكفيا في أواسط كانون الثاني سنة ١٨٦٧م والعسكر اللبناني يتبعه عن بعد ولم يتحرش لقتاله إلا في الوادي الفاصل بين كسروان والقاطع، وقبل ان ينتهي القتال بلغ الى البك وفد من قبل القنصل الفرنسي العام يعرض عليه أن يكون مظللاً بحماية فرنسا ويسافر اليها بضمائنها وأن يلتقيه الى بطيركية الموارنة، ذلك ان داود باشا رأى اتساع الخرق على الراقع فلجأ الى قنصل فرنسا بهذه الوسيلة فأذعن البك لوساطة القنصل وعاد الى بكركي وجاء القنصل اليها.

وشهر القنصل اعلان حماية فرنسا لكرم على الجمهور وقبل البك هذه الحماية وأن يسافر الى فرنسا تحت رايتها وبارح بكركي قاصداً بيروت للسفر منها الى مرسلية فاجتمعت في بكركي ألوف مؤلفة ورافقه اكثرهم الى بيروت وغصت

الطرق بالملاقين له من بكركي الى بيروت وكان لدخوله الى بيروت ملتقى قل أن يسبق له نظير وسافر منها الى مرسيليا في شهر شباط سنة ١٨٦٧م.

وسار من مرسيليا الى جزائر الغرب حيث اقام مدة وجعل له عاهل فرنسة جعلاً سنوياً ألف ليرة فرنسية ثم استأذن بعدها بالحضور الى باريس فشخص اليها، ولما لم ير من وزير خارجيتها ما يوافق مصلحته خرج منها الى البلجيك ثم اتى الى رومة فأقام بها مدة وصرف مدة اخرى في كورفو وعاد الى نابولي فتوطنها مدة طويلة. وفي سنة ١٨٨٧م بلغ الباب العالي انه يسعى ليأخذ الجنسية الايطالية فوجس من ذلك، وكنت تلك السنة برومة فأوعز اليّ سفير دولتنا العلية أن أقنعه بالعدول عن ذلك فعند مبارحتي رومة عرجت الى نابولي وكاشفته بما قيل عنه فحقق لي ان ما عزي اليه من اتخاذه جنسية ايطاليا لم يخطر له ببال وانه لو شاء أن يغير جنسيته العثمانية لأمكنه أن يتخذ جنسية دولة اخرى لكنه حافظ ويريد أن يحافظ ما دام حياً على صبغته العثمانية، وانه كرر قيام الحجة مراراً على انه ما قصد البتة أن يخرج من طاعة السلطان الأعظم، بل ان كل ما عمله لم يكن إلا مدافعة عن نفسه من ظلم خصمه داود باشا. واستشهد جريدة الجوائب التي كانت في مدة حربه مع داود باشا تجد في اثبات هذه الحقيقة اي انه لم يكن عاصياً على الدولة بل على داود باشا، ولما بلغت الى الآستانة العلية وعرضت ما قاله لي على فخامة الصدر الاعظم كامل باشا أسمعني انه إذا اراد كرم نصّبه قائمقاماً او متصرفاً ايضاً على احدى مدن سورية خارجاً عن لبنان، فكاشفته بذلك فاجابني انه يابى كل خدمة ويؤثر ان يقضي ما بقي من حياته في الغرب. وهكذا كان، فإنه توفي بنابولي سنة ١٨٨٨م ودفن في احدى مدافنها ولم يحتّط. وبعد نحو خمسة عشر شهراً ارسل البكوات ابناء اخيه من يأتي برفاته الى موطنه فعجب كل من حضر من بقاء جثته سالمة من الفساد وقد آتت بها الى اهدن وشاهدها خلق كثير لا يحصى بريئة من الفساد والتغير ويعزو الجمهور ذلك الى فضيلة طهارته التي حافظ عليها في حياته كلها بشهادة كل من عرفه في المشرق والمغرب.

الفصل الثاني

بعض مشاهير العلم من الموارنة

عد ١١٠

المعلم بطرس البستاني

هو بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن ابي شديد بن محفوظ بن ابي محفوظ البستاني (كذا ذكر نسبه في كتابه دائرة المعارف). ولد بقرية الدبية باقليم الخروب سنة ١٨١٩م ودرس مبادئ العربية والسريانية على الخوري ميخائيل البستاني ثم ارسله نسيبه المطران عبدالله البستاني مطران صور وصيدا الى مدرسة عين ورقة، فتلقى فيها آداب اللغة العربية ثم اللغات السريانية والايطالية واللاتينية ثم العلوم الفلسفية واللاهوتية والشرعية الكنسية والتاريخ والجغرافية والحساب، وأراد البطريرك يوسف حبش أن يرسله الى رومة للتكامل بعلومه فلم ترض أمه اذ كان ابوه توفي فعين معلماً في المدرسة المذكورة وبقي فيها الى سنة ١٨٤٠م، حين حضرت مراكب الدول الى ثغور سورية لاعانة الدولة العلية على اخراج الحكومة المصرية منها فاستخدمه الانكليز ترجماناً، وتعرف حينئذ ببعض القسوس الاميريكان فكان يعلمهم العربية ويعزب لهم الكتب التي ينشرونها، فتمكنت علاقات المودة بينه وبينهم حتى شايهم وتابعهم على مذهبهم. وفي سنة ١٨٤٦م انشأ الدكتور فان ديك مدرسة بعيه وجعله معلماً فيها وأقام على ذلك سنتين وألف اذذاك كتابه الموسوم بـ«كشف الحجاب في علم الحساب» ثم قدم الى بيروت فعين ترجماناً في قنصلية اميركا بها وعكف على التأليف والترجمة ودرس في اثناء ذلك اللغتين العبرانية واليونانية وعاون الدكتور سميث الاميريكي على ترجمة الاسفار المقدسة الى العربية، فوضعا ترجمة اكثرها ثم توفي سميث فأتم الدكتور فان ديك هذه الترجمة المشهورة وألف المعلم بطرس حينئذ معجمه الموسوم

بـ«محيط المحيط». وانشأ في سنة ١٨٦٠م نشرة سماها «نفيير سورية». وسنة ١٨٦٣م انشأ ببيروت مدرسة سماها «المدرسة الوطنية» تخرج بها كثيرون من الطلبة وانعمت عليه الحضرة السلطانية بوسام الشرف مكافأة لخدمته. وكان ولده سليم رئيساً للمدرسة تحت إدارة والده ويدرس بها الطبيعيات والتاريخ والصف الاول في اللغة الانكليزية، ولما فرغ من معجمه محيط المحيط اقتطف منه مختصراً سماه «قطر المحيط». وفي سنة ١٨٧٠م انشأ مجلة علمية ادبية سياسية سماها «الجنان» وعهد بإدارتها وانشائها إلى ولده سليم، فكان له بها مقالات كثيرة جريزة الفائدة ثم انشأ جريدة اسبوعية سماها «الجنة» ونشرة يومية سماها «الجنينة».

وكان قد وعد في آخر محيط المحيط بتأليف معجم لأسماء الاعلام المشاهير ثم رأى أن يتوسع في مشروعه هذا فأخذ في تأليف مؤلفه الشهير المعروف بـ«الدائرة المعارف» جامعاً فيه تراجم الاعلام من سلاطين وملوك وعلماء واعيان ومدن واعمال ومقالات في العلوم والفنون على اختلاف مواضيعها، فشرع فيه سنة ١٨٧٥م يعاونه به ابنه سليم وبعض الكتاب، فأكمل ستة مجلدات وتوفي في بدء السابع، فأنتم ابنه سليم السابع والثامن وتوفي قبل شروعه في التاسع فأصدر أبنائه الباقيون الجزء التاسع بمعاونة ابن عمهم سليمان خطاط البستاني الذي اخذ في اتمام هذا التأليف النافع مع نجيب ونسيب ابني المترجم، فصدر منه الجزء العاشر والحادي عشر، ومأخوذ في تأليف الثاني عشر. وتوفي المعلم بطرس في اول أيار سنة ١٨٨٣م بعد أن قضى حياته كلها خادماً للعلم. وله من التأليف ما سبقت الاشارة اليه وكتاب مسك الدفاتر وكتاب مفتاح المصباح في الصرف والنحو. وقد طبع كتاب «بحث المطالب» للمطران جرمانوس فرحات وذيله بحواش كثيرة وخطأه في بعضها لاعتماده على نسخ غير صحيحة، فانتقدت تلك الحواشي بكتاب لم يطبع. وللمترجم خطب ومواعظ كثيرة وأبنته ورثاه بعد موته عدة من مشاهير قطرنا وفاضت الجرائد العربية وغيرها بالثناء والاسف على فقده. ومن أحب الاطلاع على ذلك فليطالع المجلد السابع من دائرة المعارف في كلمة دائرة وكتاب مشاهير القرن التاسع عشر لجرجي افندي زيدان. وبعد وفاته عاد ابناءؤه وبعض بناته الى المذهب الكاثوليكي في الطقس الماروني وقد حافظ هو في حياته على طائفته المارونية بأيماله ومساعيه وكان ينوي العود الى المذهب الكاثوليكي لو لم يعاجله الموت بغتة وكذلك كان لابنه سليم.

عد ١١١ فارس الشدياق

هو فارس بن يوسف بن منصور بن جعفر شقيق بطرس الملقب بالشدياق من سلالة المقدم رعد بن خاطر الحصري الماروني الذي تولى جبة بشري في القرن السابع عشر. ولد بعشقوت من كسروان سنة ١٨٠٤م وانتقل والداه الى الحدث في ساحل بيروت سنة ١٨٠٩م وتخرج اولاً بشيء من العلوم في مدرسة عين ورقة. وتوفي والده وهو صبي فأتقن صناعة الخط وكان ينسخ الكتب لنفسه ولغيره بالاجرة، ثم سار الى مصر وفيها اتقن الدروس العربية وتولى كتابة جريدة «الوقائع» المصرية ثم سافر الى مالطة سنة ١٨٣٤م وأقام بها اربع عشرة سنة يدرس في مدرسة المرسلين الاميركان ويعرب ما يطبع في مطبعتهم. واخذ في التأليف والتصنيف. وفي جملة ما ألفه هناك كتابه الذي سماه: «الواسطة في معرفة احوال مالطة». وفي سنة ١٨٤٨م طلبته جمعية ترجمة الاسفار المقدسة بلندرا من حاكم مالطة ليعاونها في ترجمة الاسفار الى العربية، فعاونها بتعريب هذه الترجمة وتنقيحها وضبطها فكانت احسن الترجمات من حيث اللغة العربية. وعاد بعد فراغه من هذه الترجمة الى باريس فاجتمع بصديقه وابن وطنه الشيخ رشيد الدحداح نزيل باريس حينئذ، وكان الشيخ رشيد قد طالع كتاب المترجم الموسوم بـ«الفرياق» واخبرني انه لامه وعته على تخطيطه به حدود الادب والحشمة واقترح عليه أن يكتب كتاباً آخر يصلح به ما فرط منه بالفرياق فأخذ حينئذ بتأليف كتابه الموسوم بـ«كشف الخبا عن احوال اوربا» وصف به تلك البلاد وصفاً دقيقاً محكماً بعبارة فصيحة رقيقة وقضى مدة طويلة متجولاً بأوروبا بزيته العربي. وأتقن اثناء ذلك اللغتين الانكليزية والفرنسية وتزوج بسيدة انكليزية لم تلد له اولاداً وقال حماية دولة انكلترا. واتفق ان احمد باشا باي تونس زار فرنسا وهو فيها وأجزل عطايه لفقرائها فنظم له المترجم قصيدته الشهيرة ومطلعها:

زارت سعاد وقلبي اليوم متبول فما الرقيب بغير النشر مدلول
وما سعاد وقد زارت باسكن من ظباء وجرة تهديها مطافيل

ونشأها مثل قلبي لم يزل خلقاً وزندها اخرس الدملاج مجدول

وارسلها اليه الى تونس فأرسل الباى يستقدمه اليه على سفينة حربية فتعجب المترجم لهذه الدعوة وقال لعمرى ما كنت أحسب ان الدهر ترك للشعر سوقاً رائجة. وأقام بتونس يدون بها جريدة «الرائد التونسي».

ومن جملة نظمه قصيدة مدح بها السلطان عبد المجيد ابان الحرب بينه وبين دولة روسيا تزيد على المائة والثلاثين بيتاً قال في مطلعها:

الحق يعلو والصلاح يعمُر والزور يحق والفسادُ يدمُر
ومنها من كان من بين الورى سلطانه عبد المجيد فإنه لمظفر
من جوهر الاخلاص صور ذاته رب قدیر كيف شاء يصور
ولاه امر الدين والدنيا معا فهو الامام الحاكم المتأمر

فسرّت جلالة السلطان بهذه القصيدة واوزت اليه بالقدوم الى الآستانة، وكان قد شخص الى تونس فولاه الباى احسن منصب فأسلم وشي أحمد فارس الشدياق فطلبه الصدر الاعظم من الباى فقدم الى الآستانة فتولى تصحيح الطباعة العامرة سنين.

وفي سنة ١٢٧٧هـ (سنة ١٨٦١م) انشأ جريدة «الجوائب» الشهيرة وأجاد في انشائها وسبكها فأقبل عليها الجمهور وكثر المشتركون فيها في الهند وفارس والعراق وبلاد العرب ومصر وسورية والمغرب، واقتطف ابنه سليم منها كتاباً يسمى «منتخبات الجوائب» وقضت الاحداث بالغاء الجوائب سنة ١٨٨٤م وما زال عاكفاً على التأليف والتصنيف الى آخر ايامه. وسار قبل وفاته الى مصر فلقي بها كل تجلة واکرام من الخديوي ووزرائه وكبراء القوم وعلمائهم، ونعلم عن رسالة كتبها الى احد انسابائه انه كان ينوي العود الى لبنان موطنه ليموت بين اهله ومواطنيه وابناء ملته، فألجئ الى العود الى الآستانة حيث وافته المنية، وأوصى أن تنقل جثته الى لبنان ويدفن بالقرب من ابنائه فدفنت في الحازمية على مقربة من الحدث موطنه سنة ١٨٨٧م.

اما مؤلفاته فمنها:

- ١- «سر الليال في القلب والابدان» وهو كتاب في اللغة قصد به بيان مدلولات الاسماء والافعال من قلبها او تبديل بعض أحرفها وكشف اسرار معانيها واستدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ او مثل. طبع بالآستانة سنة ١٢٨٤هـ وقد اهدى إلي نسخة منه عند وجودي بالآستانة بمعية الطيب الذكر البطريق بولس مسعد سنة ١٨٦٧م.
- ٢- «الجاموس على القاموس» انتقد به الفيروزبادي في قاموسه المحيط ضمنه افادات كثيرة لغوية، وترجمات صاحب القاموس وصاحب العباب والصباح والمحكم ولسان العرب، وانتقد القاموس من جهة عبارته وخطته ومعاني الفاظه واشتقاقها الى غير ذلك.
- ٣- «كشف الخبا عن فنون اوروبا» وتقدم ذكره.
- ٤- «الواسطة في احوال مالطة» وتقدم ذكره ايضاً.
- ٥- «اللفيف في كل معنى ظريف» جمع فيه كلمات مفيدة وحكماً مأثورة وأمثالاً وحكايات ونكتاً لغوية.
- ٦- «غنية الطالب ومنية الراغب» في التصريف والنحو.
- ٧- «الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية» و«المحاورة الانسية في اللغتين العربية والانكليزية».
- ٨- «السند الراوي في الصرف الفرنسي».
- ٩- «الساق على الساق في ما هو الفرياق». يريد بالفرياق فارس الشدياق وليته لم يكتب هذا الكتاب لأنه أورد به الفاظاً وحكايات وعبارات اراد بها المجون، لكنها تجاوزت حدود الأدب ويأبى الاديب مطالعتها. ولم يكن له من المفيد في هذا الكتاب إلا جمعه الالفاظ المترادفة ومجموعات اسماء كل موضوع على حدة كأسماء الآلات والمأكولات والمشروبات والمفروشات والحلى والجواهر واوصاف الرجال والنساء الى غير ذلك

عد ١١٢

الكونت رشيد الدحداح

هو ابن الشيخ غالب بن سلوم الدحداح ولد سنة ١٨١٣م في قرية عرامون بكسروان وأحسن والداه تربيته فأقاما له الشماس نهرا مراد (هو الذي صار بعداً المطران نقولا مراد) معلماً فكان يهذه ويعلمه مع اخويه خليل وعباس (الذي ارتقى الى اسقفية دمشق وسمي نعمة الله) ثم ارسله والده الى مدرسة عين ورقة فتعلم بها اصول العربية والايطالية ثم دخل مدرسة بزار للارمن الكاثوليكين فأتقن اللغة التركية. وفي سنة ١٨٣٨م ادخله الامير امين ابن الامير بشير الكبير في كتبة ديوان أبيه فأقام هناك سنتين ولما ابعد الامير بشير الى مالطة رجع الشيخ رشيد الى بيته بعرامون ولما تولى عمر باشا لبنان سنة ١٨٤٢م قُرب اليه الشيخ رشيد وولاه نظارة البكاليك بلبنان فلم يمكث طويلاً إلا وكان ما دفعه الى ترك هذه النظارة. وفي تلك الاثناء قبض بعض خصومه على رسول له كان قد سيره الى البطريرك يوسف حبش برسائل ذات بال، فنزل ببعض اقاربه ورجالهم الى غزير فأنفذ رسوله واسترد رسائله وكان حينئذ ما مر ذكره من القتال بين المشايخ الحبيشية والدحداحة فاضطر أن يفرّ ويختبئ الى أن ظهر بين الساعين بنصب الامير اسعد قعدان شهاب والياً على لبنان، وعين مدبراً لاعماله سنة ١٨٤٣م. ولما لم يقبل عمر باشا تولية الامير اسعد تشتت شملهم وفر الشيخ رشيد الى صيدا حيث أقام سنتين منصباً على درس الفقه وتوسطت سفارة فرنسة لدى الباب العالي فصار الصفح عن المشايخ آل الدحداح فرجعوا الى اوطانهم ورجع الشيخ رشيد الى عرامون.

ولما عاد الشيخ مرعي الدحداح من مرسيليا الى لبنان صحب معه حين عودته الى مرسيليا الشيخ رشيد وجعله كاتباً في محل تجارته وزوجه ابنته مرتا. وفي سنة ١٨٥٢م ترك محل تجارة عمه وأنشأ محلاً تجارياً بفرنسة ثم محلاً في انكلترا، واستدعى اخاه الشيخ سلوماً ليعاونه بتجارته. وكان مع انهماكه في المشاغل التجارية يعكف آونة الفراغ منها على التأليف والتصنيف فطبع سنة ١٨٤٩م «قاموس المطران جرمانوس فرحات» بعد أن هذبه وزاد عليه وسمى كتابه «احكام باب الاعراب عن لغة الاعراب». ثم طبع ديوان الشيخ عمر بن الفارض مع شرحين عليه احدهما للشيخ عبد الغني النابلسي والثاني للشيخ حسن البوريني جامعاً

بينهما. ثم انشأ في باريس جريدته المشهورة «برجيس باريس» و«أنيس المجلس». وله فيها المقالات الخطيرة الرنانة. ومما نشره فيها قصيدة رنانة في العاهل نابوليون الثالث مطلعها:

ماذا على الممتطي أعلى ذرى الدول حتى يفوق كرام الأعصر الأوّل

ونشر أيضاً مجموعة اشعار حكيمة لأشهر شعراء العرب سماها «طرب المسامع في الكلام الجامع». وقد تقرب الى سمو باي تونس فجعله ترجماناً له في مدة زيارته لفرنسة، وسعى له بقرض عاد على الباي بمنافع فتكرّم عليه بمبلغ عظيم جعله له مكافأة على اتعابه. وللشيخ رشيد في مدحه قصيدته اللامية المشهورة ومطلعها:

بانت سعادتنا والفتح مكفولُ باسم المليك فلا تلهيك عطبول

وفي سنة ١٨٦٤م عاد الى فرنسة واستوطن باريس وامتلك قصراً في الشانزليزا حل به سنة ١٨٧٦م الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد والمطرانين يوحنا الحاج وبطرس البستاني وشقيقه الخوري نعمة الله والخوري يوحنا الحبيب، وهذا الكاتب، الى غيرنا من الخدم والحشم. وفي تلك السنة انعم عليه السعيد الذكر البابا ييوس التاسع بلقب كونت روماني، وعلى بكر انجالة وسلالته من بعده. وفي سنة ١٨٧٥م اشترى بلدة دينار على شاطئ بحر المانش وأجال فيها يد العمارة وواصل اليها السكة الحديدية فصارت كبيرة وزادت قيمتها على ثمنها اضعافاً كثيرة فصارت ثروة طائلة.

ومن منشوراته ومؤلفاته أيضاً كتاب «فقه اللغة» لأبي منصور الثعالبي طبعه بباريس سنة ١٨٦١م ثم طبع بمصر سنة ١٢٨٤هـ بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٨٨٥م في بيروت. وكتاب عنوانه «قمطرة طوامير» ضمنه مقالات ادبية وفوائد لغوية. وله كتاب كبير في عدة مجلدات لم يطبع سماه «السيار المشرق في بوار المشرق» نقل عنه نتفاً في كتابه قمطرة طوامير. وقد تلا عليّ المجلد الثاني منه سنة ١٨٧٥م إذ كنت بباريس فعجبت منه كثيراً وهو في العرب ومن تنصر منهم ومناظرات مع علماء التفسير من المسلمين وكلام في ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه. وله أيضاً رسالة في فن المناظرات نحو خمسين صفحة عنوانها: «تروح البال في

القلم والمال». وقد أدركته المنية في ٥ أيار سنة ١٨٨٩م وهو في السادسة والسبعين من عمره الذي صرفه في خدمة الدين والعلم والاعمال الخطيرة.

عد ١١٣

ابراهيم بك النجار

هو ابن خليل النجار من دير القمر ولد سنة ١٨٢٢م بدير القمر ولما شخص الدكتور كلوط بك رئيس اطباء العساكر المصرية الى لبنان ورأى افتقار اهله الى اطباء نال من محمد علي باشا الرخصة بقبول بعض شبان سوريين يدرسون الطب في مدرسة قصر العيني بمصر، فانتخب الامير بشير الكبير ابراهيم بك المذكور وأرسله الى هذه المدرسة سنة ١٨٣٧م، فتلقي الدروس الطبية فيها بجد ونجاح حائزاً قصبات السبق بين أقرانه ونال الشهادة المعتادة في سنة ١٨٤٢م، واستأذن بالعود الى بلاده فأذن له به لكنه سافر من اسكندرية الى ازمير ليعود الى لبنان. وإذ كان الامير بشير الكبير انتقل حينئذ الى الآستانة فآثر أن يسير اليها قبل عوده الى لبنان ليشاهد من ربي بنعمته ويقضي الوتر بزيارة عاصمة السلطنة. فسار وقبله الامير بشير بالبشاشة والاكرام وامر بافراد منزل له في داره وكان في تلك الاثناء أن توفق الى اخراج حصاة من رجل رومي وزن الحصاة خمسة واربعين درهماً فكان ذلك وسيلة لتعريفه بباريس الأطباء بالآستانة. ونال من كلية الطب الدكتوراه بعد الامتحان، واقام مدة في الآستانة يمارس المعالجات مع اطباء المدرسة وأتقن في هذه المدة اللغتين التركية والفرنسية. ثم عين في جملة الاطباء العسكريين براتب كافٍ، فأقام على ذلك اربع سنين وانعمت عليه الحضرة السلطانية برتبة سرهزار اي رئيس ألف، وأمرت بأن تكون خدمته في الآستانة العلية، فاسترحم أن يعفى من الخدمة في دار السعادة فصدرت الارادة بأن يكون طبيباً أولاً للعساكر ببيروت، فباشر صنعته للعساكر وعامة الناس بنجاح وشهرة لا ينساها الكثيرون، ويتذكرون ما كان عليه من اللطف والرقّة ودماثة الاخلاق وحب عمل الخير وفصاحة اللسان. وله من التأليف كتاب: «مصباح الساري ونزهة القاري» طبعه على نفقته ببيروت سنة ١٢٧٢هـ (سنة ١٨٥٨م) تكلم فيه عن اسفاره والسلطين العثمانيين الى السلطان

عبد المجيد خان، ووصف الآستانة ورتب الدولة ودخلها وخرجها. وله أيضاً كتاب سماه: «هدية الأحباب وهداية الطلاب» تكلم فيه في بعض المبادئ الطبيعية. وتوفي سنة ١٨٦٠م ولم نظفر بمعرفة سنة وفاته.

الفصل الثالث

بطاركة الموارنة ومن رقوهم الى الاسقفية في هذا القرن

عد ١١٤

البطريرك يوسف التيان

فرغنا من كلامنا في تاريخ القرن الثامن عشر على بطاركة الموارنة بذكر وفاة البطريرك فيلبوس الجميل وانتخاب البطريرك يوسف التيان خلفاً له في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦م وتثبيت البابا بيوس السادس له في ٢٤ تموز سنة ١٧٩٧م. ونقول الآن ان يوسف التيان ولد ببيروت وأرسله البطريرك يوسف اسطفان الى مدرسة الطائفة برومة فتخرج بها باللغات والعلوم السامية، وفاق اقرانه ورقي الى درجة الكهنوت. وفي سنة ١٧٨٤م أجمع رأي البطريرك يوسف اسطفان ومطارين الطائفة واعيانها على أن يرسلوه الى رومة نائباً عن الطائفة لقضاء حاجاتها ولاسيما عود البطريرك يوسف اسطفان الى مقامه البطريركي الذي كان قد وقف عنه. وفي خزان اوراق البطريركية المارونية رسالة من الشيخ سعد الخوري الى الكردينال كرسيني جواب له عن رسالة أوصاه بها بالخوري يوسف التيان. فالشيخ المذكور يجيبه عنها بأنه عند وصول الخوري المشار اليه الى لبنان أبدى له كل مساعدة احتراماً لتوصاة نيافته ولاستحقاق هذا الكاهن نظراً الى اخلاقه وعلومه وسلوكه فانه جذب اليه محبة الجميع. ويكفي بياناً لذلك ان طائفتنا المارونية لم تجد اجدر منه للنيابة عنها امام الكرسي الرسولي فانتدب لذلك باجماع الرأي وبشكر لعناية نيافته

التي جعلت مدرستنا تربي اشخاصاً نظيره وليت جميع تلامذتها يكونون مثله . فأتّم الخوري يوسف التيان وفادته الى رومة وقضى وطر الطائفة على احسن حال وبأسرع زمان وعاد الى لبنان مصحوباً بالأوامر الرسولية لرد البطريرك الى مقامه وكرامته ..

وفي ٦ آب سنة ١٧٨٦م رقاہ البطريرك يوسف اسطفان الى الاسقفية على دمشق فدبر هذه الابرشية سنتين ثم استقال منها وجعل نائباً بطريركاً في الروحيات، وسلمت ابرشية دمشق الى المطران ميخائيل الخازن سنة ١٧٨٨م. ولما توفي البطريرك فيلبوس الجميل اجتمع الاساقفة في دير بكركي فانتخبوا المطران يوسف التيان بطريركاً في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦م، فأرسل القس لويس بلبيل الراهب اللبناني (الذي صار بعداً اسقفاً على قبرص سنة ١٧٩٨م) الى الحبر الروماني مستمداً التثبيت فأناله إياه البابا بيوس السادس في ٢٤ تموز سنة ١٧٩٧م، فأقام يدبر البطريركية بغيره لا يدانيها ملل متحملاً هذا العبء الثقيل طامعاً بالاجر المؤبد.

وفي سنة ١٧٩٩م كانت مناقشة بينه وبين المطران جرمانوس آدم الملكي الكاثوليكي مدارها على السلطة المطلقة للحبر الروماني على الاساقفة ولو مجتمعين، فكتب البطريرك الى المطران ثلاث رسائل بيّن بها صراحة صحة آرائه ورهن رأي معارضه، وقد جمعت الرسائل الثلاث مع بعض شروح في كتاب لم يطبع واعرف منه نسختين احدهما في مدرسة مار يوحنا مارون طالعتها سنة ١٨٥٧م وأنا مدرس لتلامذه هذه المدرسة والأخرى في البطريركية في بكركي.

ان البطريرك يوسف التيان كان يؤثر العيشة بالنسك والزهد والانفراد على اعباء البطريركية ويرغب في العزلة متفرغاً لعبادة الله ومسؤولاً عن نفسه لا عن نفوس الطائفة جمعاء، وزاد في اضرام رغبته هذه معاكسة بعض الاساقفة لبعض رغائبه الخيرية واستمالوا اليهم بعض اصحاب الامر فاغتنم هذه الفرصة وسيلة لنوال بغيته فاستقال من البطريركية سنة ١٨٠٩م ولزم العيشة النسكية في دير القديس يوحنا مارون (الذي صير بعد ذلك مدرسة)، وفي دير قنوين. ويروون عنه في نسكه اخباراً معمرة يقتدي بها الى أن أدركته المنية في دير قنوين في ٢٠ شباط سنة ١٨٢٠م ودفن في مدفن البطارقة اسلافه حذاء مغارة القديسة مارينا. وقد تلا على المرحوم المطران بولس مطران طرابلس تاريخاً لوفاته بها، وقال اليّ إنه من نظم اسعد

الشدياق فحفظه عنه وهو مخمساً:

يا' شعب مارون الجليل المنقذ بالله ما للترب نشرأ قد شذي
فأجابهني مسترجعاً بتعوذ هذا ضريح العالم الفرد الذي
أضحت به أحبارنا تتباهى

فسطا المنون على ذخيرة ملكنا وخبا بهذا الرمس معدن سبكنا
من حق من احشائنا ان يسكننا يوسف فريد العصر بطيركنا
فخر الأئمة مجدها وبهاها

فالدرس مندرس الطريقة بعده إذ خص في علم الحقيقة وحده
ولنشره في العمر افنى جهده وبكت له العليا تندب بعده
حزناً كييعقوب وتصرخ اها

سهم المنية صح فيه رشقها وبدمع أعينها السخية شرفها
وبظلمة دجناء أمسى شرفها والبيعة الغراء أظلم أفقها
وجدا وقد ارخت غاب ضياها

١٨٢٠

وأما الاساقفة الذين رقاهم التيان فهم:

١- القس يوسف بلبيل من ساقية المسك رقاها الى اسقفية قبرص في ١٢ آذار سنة ١٧٩٨ ودعي عبدالله، وتوفي سنة ١٨٤٢ بكريسيه المعروف بدير مار شليطا بقرنة شهوان ودفن هناك.

٢- الحوري جرمانوس ثابت من بيروت رقاها في ٨ ايار سنة ١٨٠٠ الى الاسقفية على الكرسي البطريركي وبلاد جبيل والبترون وكان اخا البطريرك لأمه. ولما كانت ترقيته الى الاسقفية ببلاد جبيل والبترون مخالفة للقوانين لأن مطرانها

٤٦١

بولس اسطفان كان حياً امر الكرسي الرسولي بعزل المطران جرمانوس عن هذه الابرشية ورد المطران بولس اليها ولكن لما توفي المطران بولس انتخب المطران جرمانوس لتدبير هذه الابرشية فسلمها اليه البطريك يوحنا الحلو في ١٠ آذار سنة ١٨١٠م فديرها الى أن توفي في ١٤ حزيران سنة ١٨٣٣م في مدرسة مار يوحنا مارون ودفن فيها.

٣- القس جرمانوس حوا من حلب رقاہ الى اسقفية هذه المدينة في ١ تموز سنة ١٨٠٤م ثم توفي في ١٣ حزيران سنة ١٨٢٧م.

٤- الخوري انطون الخازن من درعون رقاہ في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٠٥م الى اسقفية الناصرة ثم تسلم ابرشية بعلبك سنة ١٨٠٨م وتوفي في ١٨ شباط سنة ١٨٥٨م في دير بقلوش ودفن في كنيسة.

عد ١١٥

البطريك يوحنا الحلو

أصله من قرية غوسطا بكسروان انضوى الى احدى الرهبانيات ورقي الى درجة القسوس ثم رقاہ البطريك يوسف اسطفان في ١٦ آب سنة ١٧٨٧م الى اسقفية عكا وجعله نائباً بطريكيّاً في الزمانيات. وعند انتخاب البطريك فيلبوس الجميل كان المطارين تسعة فاتفقوا على ترشيح المطران يوحنا الحلو والمطران فيلبوس الجميل ويقترح السبعة الباقون فمن أصابته أربعة أصوات كان البطريك. فكانت الاصوات الاربعة للمطران فيلبوس الجميل فكان هو البطريك كما مرّ. وبعد ان استقال البطريك يوسف التيان من البطريكية اجتمع الاساقفة في دير القديس يوسف بعينطورا فانتخبوا المطران يوحنا الحلو بطريكاً في ٨ حزيران سنة ١٨٠٩م وطلب تثبيته من الكرسي الرسولي. ولما كان البابا بيوس السابع ممسكاً في سافونه بسبب الاضطهاد الذي جرى عليه أثبت انتخابه هناك في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨١٠م، وكتب الى رئيس مجمع نشر الايمان أن يعلمه ذلك مؤجلاً تسليم الدرع

والاحتفالات المعتادة الى زمن آخر، ولما عاد البابا الى رومة سنة ١٨١٤م أنفذ اليه درع الرئاسة واعمال التثبيت في ١٩ كانون الاول من السنة المذكورة. واما من كان موفد هذا البطريرك الى الحبر الروماني فأرى فيه اختلافاً فروى الطيب الذكر البطريرك بطرس بولس مسعد في الدر المنظوم ان موفده الذي نال التثبيت على يده إنما هو القس ارسانيوس القرداحي. ويؤخذ عن بعض اوراق في سجل البطريركية ان موفده كان القس يوسف السمعاني الحصري. ولا وقت لي الآن لأحقق اي الروايتين أحق بالاتباع. ومما كان في ايام هذا البطريرك من الامور الهامة انتقاله للسكنى بدير قنوين منذ سنة ١٨١١م، واخذه في اصلاح املاكه واحواله بعد أن كان مهملاً لسكنى البطارقة في كسروان، ثم تحويل دير مار يوحنا مارون بكفري مدرسة خاصة لأبرشية جيل والبترون سنة ١٨١٢م، وجعل دير مار مارون الرومية بكسروان مدرسة عامة للطائفة سنة ١٨١٧م، وعقد مجمع لوزيه سنة ١٨١٨م. وقد ذهب للقاء ربه ونيل اجر جهاده في ١٢ أيار سنة ١٨٣٢م في دير قنوين ودفن في حائط الكنيسة الشمالي في مدفن صنعه لنفسه.

واما الذين رقاهم هذا البطريرك الى الاسقفية فهم:

١- الخوري خيرالله اسطفان ابن اخي البطريرك يوسف اسطفان رقاہ في ١٨ شباط سنة ١٨١٠م الى اسقفية قورش ورئاسة مدرسة عين ورقة، وكان بعد البطريرك يوسف التيان أعلم اساقفتنا في عصره واشدهم غيرة وحمية، وكان له اليد الطولى في اقناع عمه البطريرك وعائلته بجعل ديرهم عين ورقة مدرسة للطائفة، وهو الذي عني بتحسين احوالها ونجاح تلامذتها وجعلته غيرته يتحمل المشاق في سبيل خير المدرسة والطائفة حتى اضطر أن يخبئ مدة، واستمر مجاهداً الى أن أدركته المنية في دير مار روحانا البقيعة في ٤ تشرين الثاني سنة ١٨٢٣م وأرّخ احد الشعراء وفاته بقوله:

لما رأيت المدرسة تنعي وفوها يشتكي
لفراق يوسف حبرها ذاك الغيور الناسك

ناديتها خنساء لن يلقي بكاؤك صخر
ورأيت عظم مصابها ارخت غابت شمسك

سنة ١٨٣٢

٢- الخوري اسطفان الدويهي الاهدني رقاہ في ١٩ آذار سنة ١٨١٠م الى اسقفية عرقا وجعله نائباً له في الزمنيات، ثم اسقтал من هذه النيابة وسلمت اليه اسقفية اهدن سنة ١٨١٣م واستمر عليها الى سنة ١٨٤٤م حين أدركته المنية وكان من تلاميذ مدرسة الموارنة برومة.

٣- الخوري مارون العضم من زوق ميكائيل رقاہ في ٨ تشرين الثاني سنة ١٨١٤م اسقفاً على حماہ وجعله نائباً له في الروحيات ودعي يوحنا مارون، وتوفي بزوق مكابيل سنة ١٨٢٣م ودفن في كنيسة مار دوميط في القرية المذكورة.

٤- القس انطونيوس زوين من يحشوش رقاہ في ٤ آب سنة ١٨١٤م الى اسقفية صور وجعله نائباً في الزمنيات، وتوفي في ٢٣ نيسان سنة ١٨٤٨م بدير حراش ودفن في كنيسة سيدة بكركي العليا حذاء جدارها الجنوبي.

٥- الخوري عبدالله البستاني من الدية رقاہ في ١٥ آب سنة ١٨١٩م الى اسقفية صيدا بمنزلة نائب فيها عن البطريرك لانها كانت ابرشية البطريرك، ثم صير اسقفاً شرعياً عليها في ٢٥ ايار سنة ١٨٣٧م، واخذ البطريرك يدبر ابرشية جبيل كابرشية خاصة له وتوفي المطران عبدالله البستاني في ٦ تشرين الثاني سنة ١٨٦٦م.

٦- الخوري بطرس ابو كرم من بسكنتا في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٨١٩م على ابرشية بيروت وتوفي ببسكنتا في ١٥ كانون الثاني سنة ١٨٤٤م وهو من تلامذة مدرسة عين ورقة وله كتاب رد على «يونسكين والبروتستانت».

٧- الخوري يوسف جوان من ساحل علما رقاہ في ٣ كانون الثاني سنة ١٨٢٠م الى اسقفية طرابلس وهو الذي خلفه في البطريركية بعد وفاته.

٨- الخوري يوحنا نصر الناصري رقاہ في ١٨ تشرين الاول سنة ١٨٢٠م الى اسقفية الناصرة وسمي جبرائيل وتولى القضاء للنصارى بلبنان وتوفي بغزير سنة ١٨٣٨م ودفن في كنيسة السيدة فيها.

وقد رقي في ايام البطريك يوحنا الحلو الاب لويس غندلفي العازاري القاصد الرسولي الى الاسقفية، ولكن رقاہ اليها البطريك يوسف التيان سنة ١٨١٦م وتوفي سنة ١٨٢٥م بدير مار يوسف بعينطورا.

عد ١١٦

البطريك يوسف حبيش

هو يعقوب ابن الشيخ جوان حبيش من ساحل علما بكسروان وتخرج بالعلوم بمدرسة عين ورقة ورقاه المطران انطون الخازن الى درجة الكهنوت في ٢٦ حزيران سنة ١٨١٤م على كنيسة مار جرجس بدير علما ودعي يوسف، ثم رقاہ البطريك يوحنا الحلو الى اسقفية طرابلس في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٢٠م ولما توفي البطريك يوحنا الحلو في ١٢ أيار سنة ١٨٢٣م اجتمع الاساقفة في دير قنوين وانتخبوه بطريكاً في ٢٥ ايار من تلك السنة، ونال التثبيت ودرج الرئاسة من البابا لاوون الثاني عشر على يد وكيله القس باسيليوس ودروسون من رهبان الارمن الكرميين، فكان عاقلاً حازماً طاهراً دبر البطريكية اثنتين وعشرين سنة احسن تدبير واقدسه، وكان اول بطريك من مدرسة عين ورقة وافرغ جهده في نجاح هذه المدرسة وتقديمها في العلوم، وعني بتحويل دير مار عبدا هريريا مدرسة عمومية للطائفة المارونية سنة ١٨٣٠م، وكذا فعل بدير مار سركيس وباخوس بقرية ريفون سنة ١٨٣٢م، ثم جعل مدرسة الموارنة التي كانت بعينطورا ديراً للمرسلين اللبنانيين سنة ١٨٤٠م. ولما كانت الحرب الوطنية بين النصارى والدروز سنة ١٨٤١م كابد من جرائها اتعاباً وخسائر لا تقدر. واشتهر بكرمه على الفارين والمعوزين ولما تجددت هذه الحرب سنة ١٨٤٥م كانت سبباً لموته كمدأ وحزناً فتوفاه الله في ٢٣ أيار سنة ١٨٤٥م المذكورة في دير الديمان الذي انشأه فوق

وادي قديشا حيث دير قنوين ودفن في كنيسة قنوين في مدفن سالفه البطريرك
يوحنا الحلو.

اما الذين رقاها الى درجة الاسقفية فهم:

- ١- القس نقولا موسى من جزين الراهب الانطونياني رقاها الى اسقفية طرابلس في
٢ آذار سنة ١٨٢٦م ودعي بولس، وسكن اولاً في دار الامير عبدالله شهاب
بغزير ثم انشأ لنفسه كرسياً في قرية كرم سدة من جبة بشري كمله سنة
١٨٤١م، ودبر ابرشية طرابلس سبعا واربعين سنة ونيفاً وتوفي في ٢٨ ايلول
سنة ١٨٧٣م.
- ٢- القس بولس اروتين الحلبي رقاها الى اسقفية حلب في ١٣ أيار سنة ١٨٢٩م
وتوفي بها في ٢٦ نيسان سنة ١٨٥١م.
- ٣- الخوري يوحنا رزق من جزين تلميذ مدرسة عين ورقة رقاها الى اسقفية قورش
ورئاسة المدرسة المذكورة في ٣ أيار سنة ١٨٢٩م مع المطران بولس اروتين
المذكور وسمي يوسف وتوفي في ٦ ك ٢ سنة ١٨٦٥م وقد جدد اكثر بناء
مدرسة عين ورقة وزاد في املاكها.
- ٤- الخوري يوسف الخازن من عجلتون رقاها الى اسقفية دمشق في ٦ نيسان سنة
١٨٣٠م وهو الذي خلفه بعد وفاته.
- ٥- الخوري نقولا جوان حبيش اخو البطريرك رقاها الى اسقفية حماه ودير مار
جرجس علما في ٢٨ اذار سنة ١٨٤١م ودعي فيلبوس وتوفي في ٨ شباط
سنة ١٨٥٧م في دير علما المذكور.
- ٦- الخوري بولس مسعد من عشقوت رقاها الى اسقفية طرسوس مع اخيه المطران
فيلبوس في ٢٨ آذار سنة ١٨٤١م وجعله نائباً له في الروحانيات وكاتباً
لاسراة ومراسلاته مع الاوروبيين واعتمد عليه في مشاغله.
- ٧- القس طويلا عون الراهب اللبناني من معلقة الدامور رقاها في يوم واحد مع
اخيه والمطران بولس مسعد الى اسقفية عكا ثم سلمت اليه ابرشية بيروت سنة
١٨٤٥م وتوفي في ٢ نيسان سنة ١٨٧١م ودفن بكرسيه الذي انشأه بعين

سعادة لسكناه وجدد ووسع بناء القلاية الاسقفية في بيروت، واقتنى املاكاً وافرة لكrsيه ساعدتنا بعد خلافتنا له سنة ١٨٧٢م على المشروعات التي قمنا بها بعون الله.

واما الخوري روفائيل غنطوس كوبا الحلبي الماروني فقد رقاہ الكرسي الرسولي برومة الى اسقفية ليفورنو في ١٠ تموز سنة ١٨٣٤م وتوفي هناك في ٣ ك^٢ سنة ١٨٤١م.

٨- الخوري يوسف جعجع من بشري تلميذ عين ورقة وخوري الموارنة بدمشق رقاہ في ٢٦ ك^١ سنة ١٨٤٣م الى اسقفية قبرص وتوفي في ١ تشرين الاول سنة ١٨٨٤م.

٩- الخوري نقولا مراد من عرامون بكسروان التمس البطريك في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٨٤١م من البابا غريغوريوس السادس عشر أن يرقه الى الاسقفية ليقبى يرقى تلاميذ الموارنة المتعلمين برومة الى الكهنوت، فرقاہ الكردينال يعقوب فرنسوني رئيس مجمع نشر الايمان في ٥ ت^٢ سنة ١٨٤٣م الى اسقفية اللاذقية، ثم توفي في ٢٧ ك^١ سنة ١٨٦٣م بدير الرهبان الحلبيين برومة ودفن فيه ثم نقلت جثته الى مقبرة القديس لورنسيوس برومة.

عد ١١٧

البطريك يوسف الخازن

هو الشيخ شاس بن راجي بن بولس الخازن من عجلتون تخرج بالعلوم بمدرسة عين ورقة وارتقى الى درجة الكهنوت ثم رقاہ البطريك يوسف حبيش الى اسقفية دمشق في ٦ نيسان سنة ١٨٣٠م فساس الابرشية بالدعة والحلم والمثل الصالح ولما توفي البطريك يوسف حبيش في ٢٣ أيار سنة ١٨٤٥م بدير الديمان. اجتمع الاساقفة في دير ميفوق وانتخبوه بطريكاً في ١٨ آب سنة ١٨٤٥م وارتأوا أن يتوجهوا الى دير الديمان ليشهروا انتخابه ويرقوه المقام البطريكي هناك، وكان اكثر الاعيان والمشايخ في بلاد جبيل والبترون وجبة بشري يؤثرون المطران بولس مسعد النائب البطريكي على المنتخب ولم يكونوا يعلمون ان الانتخاب قد تم. فأقبل

حشد كبير من اهل بشري الى الديمان بعد وصول المطارين اليه قاصدين عمل مظاهرات يحملون المطارين بها على انتخاب من يؤثرون، ومن شيمة الجمهور أن لا يقف على حد ما يختطه لهم العقلاء فاتصل بعض الجبهة الى اهانة بعض المطارين والكهنة والخدم فقام المطارين من الديمان وأتوا الى كسروان وهناك اكملوا حفلة الترقية للبطريرك وكتبوا الى الحبر الروماني يسألون تثبيت منتخبهم، فاثبتته البابا غريغوريوس السادس عشر في ١٩ ك^٢ سنة ١٨٤٦م على يد وكيله المطران نقولا مراد، وعاد في الصيف الى دير كرسية في الديمان فاستقبله الجميع ولاسيما أهل بشري بالاجلال والاحتفاء، ولقيهم البطريرك بحنان ابوي فكان حلم البطريرك وطاعة الاهلين متساوين باستحقاق المدح والثناء. ودبر هذا البطريرك الطائفة بروح الرب والدعة والمحبة الأبوية نيفاً وتسع سنين وانتقل الى لقاء ربه ونيل الثواب لفضائله في ٣ من تشرين الثاني سنة ١٨٤٥م في الديمان ودفن في الضريح الذي دفن به سالفاه البطريرك يوحنا الحلو والبطريرك يوسف حبيش.

ولم يرق هذا البطريرك الى الاسقفية إلا كاهنين الاول القس اقليموس الخازن رقاہ في ٢ نيسان سنة ١٨٤٨م الى اسقفية دمشق خلفاً له ودعي اسطفان وتوفي في ٨ ك^١ سنة ١٨٦٨م والثاني القس بولس جرجس مطر من حلب رقاہ الى اسقفية هذه المدينة في ٢٨ ايلول سنة ١٨٥١م وسمي يوسف.

عد ١١٨

البطريرك بولس مسعد

هو بولس بن مبارك مسعد من عشقوت يتصل نسبه بالشدياق خاطر الحصري حاكم جبة بشري، ولد بولس سنة ١٨٠٦م في قرية عشقوت وأرضعه والداه لبن التقى والبراة وتخرج بالعلم مدة على العالم الفاضل الخوري انطون عريضة من بشري إذ كان يعلم بعض الطلبة في مدرسة الموارنة في عينطورا، ثم دخل مدرسة عين ورقة واتقن فيها اللغات السريانية والعربية والايطالية واللاتينية وبعض العلوم ولما رأى البطريرك يوسف حبيش ما من الله به عليه من الذكاء وتوقد الذهن والتقى أرسله الى رومة ليتم سائر علومه الكنسية في مدرسة مجمع

نشر الايمان المقدس اذ كانت هذه المدرسة تقبل بعض الطلبة الموارنة وتنفق عليهم مما بقي من الدخل لمدرسة الموارنة برومة فأكمل في هذه المدرسة دروسه الفلسفية واللاهوتية وما يلحق بها وفاق على أقرانه محرزاً رضى رؤسائه وعجبهم مما جمّله الله به من الذكاء والتقى، وارتقى الى درجة الكهنوت وعاد الى لبنان سنة ١٨٣٠م فأمسكه البطريرك يوسف حبيش عنده وجعله كاتبه وسلم اليه كل اوراقه اللازم حفظها، واعتمد عليه في مشاغله كلها وكان مجيباً الى رغائب البطريرك مجتهداً في خدمته اميناً على اسراره فزاد توقيير البطريرك له وعظم ميل الناس اليه ومحبتهم له، فرقاه البطريرك في ٢٨ آذار سنة ١٨٤١م الى اسقفية طرسوس شرفاً وجعله نائباً له في الروحيات مكافأة له، فزاد جهاداً في خدمته وإخلاصاً وأمانة لخدمته، فكان للبطريرك يوسف حبيش كاليد اليمنى الى أن انتقل هذا البطريرك الى حياة الابرار في ٢٣ ايار سنة ١٨٤٥م.

ولما اجتمع الاساقفة في ميفوق لانتخاب خلف له كان المترجم مرشح أكثريتهم ومحل آمال غالب الأعيان والوجوه على ان حالة البلاد القلقة حينئذ بسبب الحرب بين النصارى والدروز جعل الاساقفة يتحازون وهو مقدمهم الى انتخاب المطران يوسف الخازن أملاً بأن جاه أقرباه وسلطتهم حينئذ تعاون على ظفر النصارى فانتخبوه وابقى المطران بولس مسعد على نيابته الى أن توفاه الله في ٣ ت ٢ سنة ١٨٥٤م فاجتمع الاساقفة في بكركي وانتخبوا صاحب الترجمة بالصوت الحى واجماع الرأي خلفاً في ١ ت ٢ في السنة المذكورة، وأرخ المرحوم مارون النقاش وفاة السلف وانتخاب الخلف بقوله:

في أفق كرسي انطاكية عجب
بدّر توارى وبدّر فوق سدت
ان غاب ذاك واضنانا بغيبته
قد ناب هذا وأشفانا بنوبته
دعا الله لذاك المصطفى خلفاً
ارخت بولس مختار لدعوتيه

سنة ١٨٥٤

ونال التثبيت ودرع الرئاسة من البابا بيوس التاسع في ٢٣ آذار سنة ١٨٥٥م على يد وكيله القس امبروسيو نطين الدرعوني الراهب الحلبي اللبناني واقام يدبر

الطائفة بحكمة وسداد وغيره، وعقد في سنة ١٨٥٦م مجمعا طائفيًا في دير بكركي سنأتي على ذكره. واشتهر في سنة ١٨٦٠م بحنانه على الفارين من جنوب لبنان لسبب احداث لبنان وإنفاقه عليهم مبالغ طائلة على اختلاف طوائفهم وعقب ذلك الاحداث المعروفة بحوادث يوسف بك كرم فاشتهر فيها بحكمته ودرأته وحسن سياسته.

وقد سافر سنة ١٨٦٧م الى رومة لدعوة الخبر الروماني له للاحتفاء بالعيد القرني للمقديسين الرسولين بطرس وبولس وعلان تطويب بعض الشهداء، وكنت بخدمته في سفره، وبعد عودتنا منه شهرت كتابي الموسوم بـ«سفر الاخبار في سفر الاخبار» جمعت فيه تاريخ المدن التي مررنا او أقمنا بها، واستوعبت شرح الجفلات التي كانت بأمر المدائن حينئذ ووضعت ثلاث نبد تاريخية: الاولى في رومة والرومانيين والثانية في تاريخ فرنسا والثالثة في القسطنطينية ومن ملك فيها من الملوك والسلاطين. وقد سافر البطريرك من رومة الى باريس وتشرف بمقابلة نابوليون الثالث ونال من مكارمه كل تجلّة وتكريم وكنت في جملة حاشيته بهذه المقابلة، ثم سار الى القسطنطينية وغمرته حينئذ ومن كان بمعيته من الاساقفة والكهنة نعم السلطان الاعظم السلطان الغازي عبد العزيز خان فأنعى بالمشول لديه على البطريرك وحاشيته وهذا الحقيق في جملتهم، فكان ذلك في ١١ ايلول سنة ١٨٦٧م حين تلا البطريرك دعاء حميمًا لجلالته بالعربية وترجمة فرنكو افندي (الذي سمي بعدئذ حاكمًا للبنان) الى التركية. ولما كان قد سبق التكرم على البطريرك بالوسام المجيدي من الطبقة الاولى ولم تكن العادة أن يعطى البطارقة وقتئذ من هذا الوسام تكريم جلالته على البطريرك بحقة عطوس من حجر ثمين مرصع بالالماس تساوي نحو اربعمائة ليرة، واحسن الى المطرانين بطرس البستاني ويوحنا الحاج وبولس افندي حوا الذي كان بمعية غبطته والكونت رشيد الدحداح بالوسام المجيدي من الرتبة الثالثة، وعلى الخوارنة نعمة الله الدحداح ويوحنا حبيب وهذا الكاتب ويوسف افندي حوا وسمعان افندي مسعد بهذا الوسام من الرتبة الرابعة، وعلى جبرائيل الشمالي خادم غبطته وبطرس يوحنا الخوري (الذي صار بعد كاهنًا بهذا الاسم) وخليل يوسف (هو الخوري بطرس مارون) من الرتبة الخامسة ولم يكن لاحد البطارقة قبل هذا البطريرك ما كان من التجلة والتكريم له في الآستانة، فقد أعد له ولحاشيته دار من فخر الدور فيها لنزوله وأقيم فيها معبد مخصوص بأمر من الصدر الاعظم لمباشرة

الفروض الدينية وعينت عربتان واربعة فرسان للسير بجمعة غبطته ودفع من النفقة لمصروف غبطته ما زاد عليها كثيراً، بعد الاقامة بهذه الضيافة السلطانية ثلاثة وعشرين يوماً، وما ادراك ما الضيافة السلطانية! وسافر غبطته من الآستانة عائداً الى لبنان في ٢٣ ايلول سنة ١٨٦٧م وبلغ طرابلس في غرة تشرين الاول ثم صعد الى دير كرسية بالديمان ولا حاجة الى ذكر ما كان من الملتقى الشائق والاحتفاء الرائق لغبطته بطرابلس ولبنان، وقد استمر على الكرسي البطريركي نحو ست وثلاثين سنة. وقد أدركته المنية في ١٨ نيسان سنة ١٨٩٠م وله من العمر نحو خمس وثمانين سنة وكان هذا البطريرك متسامياً بالفضائل والعلوم وقد خدمته نحو سبع عشرة سنة منها خمس سنين مدرساً لتلامذة المدرسة البطريركية المعروفة بمدرسة مار يوحنا مارون حيث كان يصرف كل سنة اشهرأ، وكنت اقضي لديه في الديمان مدة العطلة واثنتا عشرة سنة كنت فيها كاتبه وامين اسراره وملازماً له في اشغاله فعرفته حق المعرفة وسبرت فضائله العميقة، فكان من الطهارة في اعلى درجاتها بل ربما كان حريصاً على عفته اكثر مما يجب الحرص، وكان من الورع والزهد في اقصى غايتها وكذلك كان في سائر الفضائل، وكان يعترف عندي مرات فأحقق امام الله اني كنت أتلبك لأجد له مادة للحل. واما من حيث العلوم فكان بارعاً في كثير منها ولا سيما في اللاهوت ومعرفة القوانين البيعية والتاريخ وخاصة ما تعلق منه بالطوائف الشرقية ولا سيما طائفتنا المارونية فهو استاذي به، ولكنني حتى الآن بمعزل عن لحاقه، وقد تفرد بقوة ذاكرته فقد اتفق مرات أن يذكرني بأمر طالعتها من سنين عديدة ويهديني الى محلها فأجدها كما قال.

واما مؤلفاته فمنها كتابه الموسوم بـ«الدر المنظوم رداً على المسائل والأجوبة المعروضة الى البطريرك مكسيموس مظلوم» مع الملحق به وقد طبع هذا الكتاب بدير طاميش سنة ١٨٦٣م بعد أن عهد اليّ بتنقيح بعض عباراته وكنت احب أن افصل فيه الفوائد التي لا تتعلق بموضوع الجدل في حواش اعلقها على ذيل الكتاب فلم يسمح لي بذلك خشية أن لا يحسن الطابعون تعليق تلك الحواشي. وله ايضاً كتاب في انبثاق الروح القدس من الآب والابن رد فيه على فتح الله مراش الحلبي فأفحمه واعتنق الايمان الكاثوليكي. وهذا الكتاب طبع برومة وقد جمع شتات اوراق الكرسي البطريركي في هذه القرون الاخيرة فكان منه سجل كبير كأنه خزانة دراري. وله نبذة في تاريخ الاسرة الخازنية ومقالة في دوام بتولية العذراء ومقالات

كثيرة في المدافعة عن حقوق الطائفة في بعض الاديار وعن الجمع اللبناني وعن حقوق البطريركية الى غير ذلك. وقد كان يجمع مواد لتكملة تاريخ الدويهي من سنة ١٧٠٤م الى ايامه، واعلم انه جمع اكثر المواد اللازمة لهذا التأليف وكان ينتظر فقط بعض افادات من حلب وقد سأله مرات وانا بخدمته ان يدفع لي تلك المواد لأنتم ما اعدتها له بارشاده فلم يسمح الوقت بذلك، وبعد أن رقاني الى اسقفية بيروت كنت ارجوه أن يسلم تلك المواد لاحد ليصنعها ويجعل له فهرساً فقط وكان يسوفني بذلك الى ان قال لي في آخر ايامه رحمه الله انه ما عاد يعلم اين وضع تلك المواد لكننا نجدها بعد موته في المكتبة او في خزائن الاوراق.

اما الذين رقاها الى الاسقفية:

- ١- الخوري يوسف المريض من زوق مكاييل رقاها في ١٨ ايار سنة ١٨٥٦ الى اسقفية عرقا وجعله نائباً روحياً وتوفي بغتة في ٢٣ ت^٢ سنة ١٨٨٦م.
- ٢- الخوري بطرس نادر البستاني من الدية رقاها في ٢٨ ايلول سنة ١٨٥٦م الى اسقفية عكا وجعله اولاً معاوناً لعمه المطران عبدالله البستاني المار ذكره وبعد وفاته سنة ١٨٦٦م سلم اليه ابرشية صور وصيدا الى أن فاضت روحه الذكية وذهبت لتنال اجر جهادها في ٢ من ت^٢ سنة ١٨٩٩م.
- ٣- الخوري بطرس مسعد اخوه رقاها الى اسقفية حماة شرفاً في ٢٧ شباط سنة ١٨٥٩م وجعله نائباً زمنياً له وتوفي بغتة سنة ١٨٨٥م.
- ٤- الخوري يوحنا الحاج من دلبتا رقاها في ١٥ آب. سنة ١٨٦١م الى اسقفية بعلبك وهو الذي خلفه في البطريركية وسيجيء ذكره.
- ٥، ٦، ٧- في ١١ شباط سنة ١٨٧٢م رقى الخوري نعمة الله الدحداح الى اسقفية دمشق والخوري يوسف فريفر الى اسقفية اللاذقية شرفاً ورقاني انا الحقيير الى اسقفية بيروت، وتوفي المطران نعمة الله في ٣ تشرين سنة ١٨٩٠م والمطران يوسف فريفر في ٨ شباط سنة ١٨٨٩م.
- ٨- الخوري اسطفان عواد رقاها في ١٥ ك^١ سنة ١٨٧٨م الى اسقفية طرابلس.
- ٩، ١٠- في ١٥ آب سنة ١٨٨٢م رقى الخوري يوسف جبرائيل الزغبى الى اسقفية قبرص والخوري يوسف سركيس مسعد ابن عمه الى اسقفية عكا شرفاً.

١١- الخوري بولس حكيم من حلب رقاہ في ١٦ تموز سنة ١٨٨٥م الى اسقفية هذه المدينة.

١٢ الى ١٥- في ١٤ ك' سنة ١٨٨٩م رقي الخوري يوحنا حبيب الى اسقفية الناصرة شرفاً والخوري الياس الخويك الى اسقفية عرقا شرفاً ونائباً روحياً والخوري يوسف نجم على عكا نائباً زمنياً والخوري بولس مسعد ابن اخيه على حماہ شرفاً وسلمت اليه بعد وفاة المطران نعمة الله الدحداح ابرشية دمشق سنة ١٨٩٠م. وتوفي المطران يوحنا حبيب في ٤ حزيران سنة ١٨٩٤م واما المطران امبروسيوس نطين الدرعوني فرقاہ الكردينال فرانكي رئيس مجمع نشر الايمان المقدس سنة ١٨٧٥م باجازة البطريرك.

عد ١١٩

البطريرك يوحنا الحاج

هو ابن الخوري يعقوب الحاج من قرية دلبتا ولد بها سنة ١٨١٨م ويتصل نسبه بالشدياق خاطر الحصري المذكور مراراً ودخل مدرسة عين ورقة سنة ١٨٣٠م، واتقن فيها اللغات السريانية والعربية واللاتينية والاطالية ثم العلوم الرياضية والفلسفية واللاهوتية فنبغ في جميعها، وقد رقي الى درجة الكهنة واتقن علم الفقه وتولى القضاء اولاً برفقة الخوري يوحنا حبيب، فكانا يقضيان في دعاوى النصارى خارجاً عن المحكمة. وبعد أن استقال الخوري يوحنا حبيب من القضاء في محكمة قائممقامية النصارى في ١٣ ت' سنة ١٨٥٥م عهد اليه بالقضاء فيها، وكان مثلاً للعفة والاستقامة والامانة، ولما كان من الحرب الاهلية سنة ١٨٥٩م وسنة ١٨٦٠م وجرى الصلح على طريقة مضى ما مضى تمنع من التوقيع على صلح الصلح ولم يثن عزمته وعد ولا وعيد. وفي ١٥ آب سنة ١٨٦١م رقاہ البطريرك بولس مسعد الى اسقفية بعلبك خلفاً للمرحوم المطران انطون الخازن فتاجر بوزناته احسن تجارة وربح بها. ولم يكن لسالفه كرسي يقيم به بل كان مسكنه دير بقلوش المختص بأسرته، ولم يقن لكرسي الابرشية عقاراً ولا خلف مالا فأخذ الاسقف الحديث يجد في انشاء كرسي

لأبرشيته فشرى املاكاً وافرة ووقفه الله حتى أصبح كرسي بعلبك اغنى كراسي اسقفيات الموارنة وبنى لسكناه في قرية عرامون محلاً كافياً لاقامته به مع حاشيته، ولسكنى جمهور من التلامذة الاكليريكيين مع معلميه. وبعد انتخابه بطريركاً خص الكرسي البطريركي ببعض الاملاك التي شراها ووقف بعضها الآخر على انشاء مدرسة عليا اكليريكية تقام بجانب البطريركية، وبقي لكرسي بعلبك ما يقوم بنفقة اسقفها، ومدرسة اكليريكية على سعة. وقد سافر مع البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٦٧م الى رومة وباريس والأستانة العلية كما مر. ولما توفي الطبيب الذكر البطريرك بولس مسعد في ٢٨ نيسان سنة ١٨٩٠م خلفه مطران بعلبك الغيور ونال التشييت ودرع الرئاسة على يد قاصده المطران الياس الحويك. ومن اعماله الخطيرة في بطريركيته تجديد دير بكركي على طراز حديث حتى اصبح كقصر يعزله النظر، وقد سعى نائبه المطران الياس الحويك بارشاده، فنال تجديد مدرسة الموارنة برومة بفضل السعيد الذكر البابا لاوون الثالث عشر، ونال ايضاً من فضل حكومة فرنسة ثمانية كراسي لثمانية تلاميذ موارنة يتعلمون بمدرسة سان سولبيس بباريس على نفقة حكومة فرنسة، واشترى في القدس داراً للموارنة يقيم بها نائب بطريركي يعتني بشؤون ابناء الطائفة المقيمين والمترددين الى هناك.

وقد نال من وسامات الشرف من عواطف سلاطيننا العظام الوسام المجيدي من الرتبة الثالثة حين زيارته جمعية البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٦٧م، ثم الوسام المجيدي من الرتبة الاولى اثر ارتقائه الى البطريركية، ثم العثماني الاول سنة ١٨٩٨م، وتوفاه الله في ٢٦ ك^١ سنة ١٨٩٨م ودفن في كنيسة كرسيه في بكركي.

اما الذين رقاهم إلى الاسقفية فهم:

- ١- الخوري نعمة الله سلوان احد المرسلين اللبنانيين رقاها الى اسقفية قبرص في ١٢ حزيران سنة ١٨٩٢م.
- ٢- وفي النهار نفسه رقى ابن اخته الخوري يوحنا مراد الى اسقفية بعلبك خلفاً له.

- ٣- الخوري فرنسيس الشمالي احد المرسلين اللبنانيين رقاہ الى اسقفية حلب في ٢٦ ك^١ سنة ١٨٩٢م ودعي جرمانوس وتوفي سنة ١٨٩٥م.
- ٤- الخوري ارسانيوس انطون يوسف دياب من حلب رقاہ الى اسقفية هذه المدينة في ٢٢ آذار سنة ١٨٩٦ ودعي يوسف.
- ٥- وفي النهار المذكور نفسه رقي القس يوسف دريان الراهب الحلبي اللبناني من عشقوت الى اسقفية طرسوس شرفاً.
- ٦- الخوري بولس راجي عواد من حصرون رقاہ الى اسقفية الناصرة في ٢٤ ايلول سنة ١٨٩٦م.
- ٧- وفي النهار المذكور نفسه رقي الخوري يوسف اسطفان رئيس مدرسة عين ورقة الى اسقفية قورش ورئاسة هذه المدرسة.

عد ١٢٠

البطريرك الياس الخويك

هو الياس بن الخوري بطرس الخويك ولد بقرية حلتا من عمل البترون في كانون الاول سنة ١٨٤٣م تخرّج اولاً بتعلم بعض اصول اللغتين السريانية والعربية في مدرسة مار يوحنا مارون، ثم دخل مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير وأتقن فيها اللغات اللاتينية والفرنسية والايطالية وبعض الرياضيات والفصاحة. ولما رآه البطريرك بولس مسعد متوقد الذهن ورع السيرة قوي الصحة ارسله الى مدرسة مجمع نشر الايمان المقدس برومة ليتم علومه فأقام بها الى سنة ١٨٧٠م حائزاً قصبات السبق على اقرانه في الدروس الفلسفية واللاهوتية ونال رتبة الملفان في الفلسفة واللاهوت ورقى الى درجة الكهنوت وعاد الى لبنان سنة ١٨٧٠م، فأقامه البطريرك بولس مسعد استاذاً لتلامذة مدرسة مار يوحنا مارون. ولما رقاني الى اسقفية بيروت سنة ١٨٧٢م سألته أن يكون لي كاتباً فأسرّ ان في نيته أن يجعله كاتباً له مكاني وكذلك صنع، فانه اتخذ الخوري الياس كاتباً وأميناً على اسراره فخدمه خدمة النصوص المتيقظ واحرز ثقته كاملة، وقام بأعباء وظيفته أحسن قيام،

فأحبه الجميع وقدره حق قدره وعظم البطريرك منزلته لديه وتفاني هو بخدمة رئيسه وطائفته بالاستقامة والنزاهة والدراية فرقاها البطريرك في ١٤ ك^١ سنة ١٨٨٩م الى اسقفية عكا مع المطارين يوحنا حبيب ويوسف نجم وبولس مسعد وجعله نائباً له في الروحيات فواصل خدمته الصادقة له الى وفاته. ولما انتخب المطران يوحنا الحاج الى مقام البطريركية سنة ١٨٠٩م ارسله الى رومة موفداً اياه الى الحبر الروماني يطلب التثبيت ودرع الرئاسة فناله له من لدنه، وبقي ساعياً بتجديد المدرسة المارونية برومة فغنم بذلك بنعمة البابا لاوون الثالث عشر. وسار الى فرنسة فأُنعمت حكومتها بتعيين ثمانية كراسي لثمانية تلاميذ موارنة من الابرسيات الثماني يتعلمون على نفقتها في مدرسة سان سوليبس بباريس وعاد الى لبنان سنة ١٨٩٢م معرجاً الى الآستانة حيث نال من تعطفات مولانا الاعظم احسن رعاية واحسن اليه بالوسام المجيدي من الرتبة الثانية والى مدرسة الموارنة برومة بعشرة آلاف فرنك، ثم سافر ثانية فشهد المجمع الاورشليمي في اورشليم سنة ١٨٩٣م مع المطارين اسطفان عواد ونعمة الله سلوان ويوحنا مراد وهذا الحقيق. ثم سرنا جميعاً «إلا المطران نعمة الله» الى رومة لتهنئة البابا لاوون الثالث عشر بيوبيله الكهنوتي، وبعد قضاء فرض التهنئة نيابة عن الطائفة استمر المطران الياس في رومة يكمل مسعاها بتجديد المدرسة المارونية ثم سار الى فرنسة للاستعانة على هذا الغرض فدعاه الحبر الروماني ليشترك مع باقي البطاركة الشرقيين في مداولة قداسته معهم في شأن الكنائس الشرقية، وشرى حينئذ برومة المحل اللازم للمدرسة بما تكرم به امام الاحبار وما انعمت به الحضرة السلطانية وما جمعه المترجم وعاد الى لبنان وشرى داراً للبطريركية في القدس الشريف. وإذ لم تستقم إدارة المدرسة كما يحب الحبر الاعظم استدعى المطران الياس الى رومة وعهد اليه بادارتها واصلاح شؤونها وبقي هناك الى ٢٧ ك^١ سنة ١٨٩٨م إذ بلغه نعي المثلث الرحمة البطريرك يوحنا الحاج فسافر الى لبنان وبلغ الى بيروت ثم الى بركري في ٥ ك^٢ سنة ١٨٩٩م.

وفي اليوم التالي وهو ٦ من ك^٢ عيد الغطاس اجتمعنا في الكنيسة وقدمنا الابهالات لله ليلهم ما به مجده وخير الطائفة واقترع فأصابته القرعة ليكون بطريركنا. وفي الاحد التالي ٩ من الشهر المذكور اتمنا حفلة الترقية الى المنصب البطريركي وشمل الطائفة جمعاء مزيد البهجة والسرور بانتخابه واستبشروا بالخير

والفلاح بعنايته، وعكف على تدير شؤون الطائفة بخيرها بغيره لا تعرف الملل معلماً بأقواله ومثاله عاملاً بكلية جهده ويشهد له الجميع حتى خصومه بالطهارة والقداسة والورع وصلاح النية والرغبة في كل خير لطائفته ولجميع الناس، وكاد ينجز الصرح العظيم الذي انشأه لكرسيه على مقربة من دير قنوين وسماه جديدة قنوين، وسيكون بعد تمامه عن قرب ان شاء الله افسح من الصرح الذي جددته سالفه في دير بكركي، فإياه تعالى نسال أن يطيل عمره ويفيض عليه القوة من العلاء لخير الدين الكاثوليكي ونفع شعبه، ولم يرق الى الاسقفية الى الآن إلا الحوري بولس بصبوص رقاها الى اسقفية صيدا سنة ١٩٠٠م وسلم اليه تدير أبرشية صور ايضاً.

الفصل الرابع

ما عقده اساقفة الموارنة من المجمع في القرن التاسع عشر

عد ١٢١

مجمع لوزة

في اوائل تشرين الثاني سنة ١٨١٦م أنفذ البابا بيوس السابع براءة الى البطريرك يوحنا الحلو واساقفة الموارنة مفتوحة بقوله: «لما كانت الكنيسة كلها» وارسل اليهم مجمع نشر الايمان المقدس صحبة القس يوسف السمعاني المدبر الاول في رهبانيته الحلبية مرسوماً جل ما تضمنه الامر لهم بعقد مجمع طائفي يشتون فيه منع الرهبان والراهبات عن السكنى في دير واحد وتعيين اديار لكل فريق منهم وتعيين محل يقيم به البطريرك وكراسي دائمة لكل اسقف في ابرشيته. فاجتمع البطريرك والاساقفة في دير السيدة بلوزة برئاسة السيد يوسف لويس غندلفي القاصد الرسولي. وعقد المجمع الاول في ١٣ من نيسان سنة ١٨١٨م فأقاموا عرساً في وسط الكنيسة وضعوا فوقه كتاب الاناجيل الطاهرة والصليب الكريم وجلس المجتمعون حول العرش المذكور كل بحسب رتبته ومقامه، وبعد استمداد عون الروح

القدس تليت براءة البابا ومرسوم الجمع المقدس وأخذ الآباء في البحث أولاً في منع سكنى الرهبان والراهبات في دير واحد، فحتموا بلزوم هذا الاقتراح وعينوا لسكنى الراهبات سبعة أديار وهي: دير مار عبدا هرهريا، ودير سيدة الحلقة، ودير مار شليطا مقبس، ودير مار جرجس علما، ودير مار الياس بلوني، ودير مار جرجس بحردي الجديد. وعينوا لسكنى الرهبان العباد ستة أديار وهي: دير السيدة بمسيتا، ودير مار دوميط بغدراس، ودير مار روحانا بالبقية، ودير مار سركيس بريفون، ودير مار انطونيوس ببقعاتا، ودير مار جرجس بحردي القديم. وعينوا للعبادات خمسة أديار وهي: دير مار يوسف الحرف، ودير مار يوسف الحصن، ودير مار موسى بلوني، ودير مار انطونيوس بالكيسة، ودير السيدة بشوتا. وجعلوا دير مار جرجس بالرومية مدرسة اكليزيكية عامة للطائفة، وسموها مدرسة مار مارون يتعلم فيها الطلبة الغراماطيق السرياني والنحو والصرف العربي وآداب هذه اللغة، ثم يرسلون الى مدرسة عين ورقة فيتعلمون المنطق والفصاحة والفلسفة واللاهوت النظري والادبي وارتأوا ان لا يقبل طلبة في عين ورقة لدرس اللغة السريانية والعربية وآداهما، بل يدرس تلامذتها العلوم من الفصاحة والمنطق فصاعداً، ولبت رأيهم هذا صار فعلاً. فالأصلح كثيراً أن تكون هذه المدارس الصغيرة ابتدائية وتكون مدرسة واحدة كبرى للعلوم السامية يجتمع فيها التلامذة الاكليزيكيون من كل الطائفة.

ثم صير آباء الجمع في دير مار يوحنا بذكريت مدرسة خاصة بأبرشية قبرص خاضعة لمطران هذه الابرشية، وحتموا أن يكون سلوك الرهبان في اديارهم على ما خطه لهم الجمع اللبناني، وأن تسير الراهبات بموجب القانون الذي وضعه لهن المطران عبدالله قرألي ما عدا اقامة الصلاة نصف الليل فقد عفاهن منها، واما العبادات فيتدبرن بحسب قانون سيولفونه لهن.

وقد حتموا ايضاً أن لا يقام رئيس لأديار الراهبات بل ينصب الاسقف وكيلاً لتدبير املاك الدير يديرها على مأثور رئيسة الدير ووكيلتها كما هو مرسوم بالجمع اللبناني، وأن تكون دراهم الدير مسلمة الى الرئيسة والوكيلة لا الى وكيل الاملاك، وانه يلزم تقديم حساب الدخل والخرج كل سنة لاسقف الابرشية، وأن تجتمع الراهبات مرة كل ثلاث سنين وينتخب الرئيسة ومن دونها من اصحاب الوظائف في الدير، وأن يكون مرشدهن كاهناً ورعاً متقدماً بالسن مشهوراً بالعلم والسياسة الصالحة، ولا يسمع وكيل الاملاك اعترافهن إن كان كاهناً، ولا يعترض

المرشد في شيء من أمورهنّ الروحية. وحتّموا بالخصوص أن يكون وكيل على املاك دير حراش وأن يتعين لراهباته أبّ روعي اي مرشد حسب قانونهنّ، وأمروا اخيراً أمراً جازماً تحت طائلة الحرم المحفوظ حلّه للاسقف بأن لا يترهب رجل في اديار الراهبات او العابدات ولا يسكن هناك راهب البتة ولو كان كاهناً إلا الوكيل والمرشد وأن لا يدخل احد اديارهن إلا بموجب رسم الجمع اللبناني. واما إقامة الصلاة في الخورس في اديار الراهبات القانونية فقد عفوهن منها لعدم معرفتهن اللغة السريانية الى أن يتعلمن هذه اللغة، وأمروا أن تصلي الراهبات في الشبية والمسبحة ولا يسمح أن يقيم الصلاة في كنائسهن الرهبان او الكهنة من اية رتبة كانوا، وحتّموا بأن لا تطلب دراهم من المرشحات الفقيرات لئلا يكون فقرهن سبباً مانعاً من دعوتهن الى الرهبانية، وأذنوا للرهبان المقيمين في اديار الاساقفة والمدارس بأكل اللحم لتكون المساواة في المائدة.

وكان لبعض العيال دعاوى على بعض الاديار والكنائس فعين آباء الجمع قضاة في هذه الدعاوى السيد يوسف لويس غندلفي القاصد الرسولي والسيد يوسف التيان المستقيل من البطريركية المطران يوحنا مارون العضم لينظروا في الدعاوى المذكورة ويحكموا بها ويعرضوا حكمهم على الجمع المقدس ليرى إذا كان مطابقاً للقوانين، وقد اقام هؤلاء القضاة بدير مار شليطا وحكموا بعدة دعاوى.

وقد نصب آباء الجمع وكلاء على اديار الراهبات الخوري يوسف اصاف في دير مار عبدا هريريا، والخوري موسى ديب في دير سيدة الحقلّة، والخوري فرنسيس شلالا بدير مار شليطا مقبس، والخوري اسطفان الخازن في دير السيدة ببقلوش، والخوري يواكيم نجيم في دير مار جرجس بعلماء، والقس جرمانوس بدير مار الياس بلوني، والخوري حزقيال بدير مار جرجس بحردق. وأقاموا رؤساء على اديار الرهبان القس انطونيوس التحومي بدير مستيتا، والقس الياس بدير مار دوميط، والخوري موسى زوين بدير مار روحانا، وامر ابدال هؤلاء الوكلاء والرؤساء او عزلهم منوط برأي مطران الابرشية وهو يسهر على تصرفهم حتى إذا كانوا متغافلين او مذنبين عزلهم.

اما المجلس الثاني فمعهده في ١٤ نيسان سنة ١٨١٨م وكان البحث فيه عن كراسي البطريرك والمطارين وصوبوا اقامة البطريرك يوحنا في كرسيه قنوبين، وامروا

أن يكون دار الكنيسة في حلب مسكناً لاسقفها، ومدرسة مار يوحنا مارون مسكناً لاسقف جبيل والبترون، ودير مار سرقيس وباخوس بريفون مقاماً لاسقف بعلبك، ودير مار انطونيوس بيقعاتا كرسياً لابرشية دمشق، ومدرسة قرنة شهوان كرسياً لابرشية قبرص، ودير مار يوحنا بقتاله كرسياً لابرشية بيروت. واما مطران طرابلس فارتأوا أن يبقى حيث هو حيث ريثما يتسنى له الإقامة في محل صالح لسكناه في الابرشية، وابرشية صور وصيدا كانت وقتئذ ابرشية البطريرك. ومنعوا أخيراً جولان الرهبان للتسول في المدن والقرى إلا أن يكونوا مصحوبين بمناشير من رؤسائهم او من السيد البطريرك او من الاساقفة، ومن خالف فالاسقف يربطه ان كان كاهناً وينزع ثوبه الرهباني ان كان راهباً بسيطاً يأخذ ما جمعه. وختموا مجمعهم بقولهم: قد قبلنا كل ما تدون بهذه الرسوم ووقعنا عليه بأختامنا. وبلي ذلك تواقع البطريرك يوحنا الحلو ويوسف لويس غندلفي القاصد الرسولي، والبطريرك يوسف التيان المتنازل عن البطريركية، ويوحنا مارون مطران حماه، واغناطيوس الخازن مطران طرابلس، واسطفان الخازن مطران دمشق، وميخائيل فاضل مطران بيروت، وعبدالله بلبل مطران قبرص، وجرمانوس ثابت مطران جبيل والبترون، وانطونيوس الخازن مطران بعلبك، ويوسف اسطفان مطران قورش، وسمعان زوين مطران صور، والنائب البطريركي.

وقد رفع آباء الجمع اعمال مجمعهم الى البابا بيوس السابع ملتجئين اثباتها فاثبتها البابا في براءته المؤرخة في ٢٠ ايار سنة ١٨١٩م المتبدية «لما ظهر لنا». وفي جملة ما ضمنها اياه اطراؤه الموارنة لشباتهم على التشبث الدائم بعرى الايمان الكاثوليكي المقدس، كما كان قد اثنى عليهم كثيراً في براءته التي اصدرها لعقد هذا الجمع سنة ١٨١٦م انتهى ملخصاً عن نسخة من اعمال هذا الجمع في خزائن الكرسي البطريركي.

عد ١٢٢

مجمع بكركي الاخير

قد عقد الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٥٦م مجمعا في بكركي سماه المجمع البلدي وكان مأموراً به من البابا بيوس التاسع، وترأس عليه

نيابة عن قداسته السيد بولس برونوفي القاصد الرسولي، فدعا البطريرك الاساقفة والرؤساء العامين للرهبانيات الثلاث المارونية وبعض الاعيان ورؤساء المرسلين اللاتينيين، وكان هو قد آلف رسوم هذا المجمع واعدها لتتلى في مجالسه. وبعد اجتماع المدعوين عقدوا ثلاثة مجالس في ١١ و ١٢ و ١٣ من شهر نيسان بحضرة القاصد الرسولي. وفي المجلس الاول خطب البطريرك وعدد المجامع التي عقدها بطاركة الموارنة واساقفتهم من مجمع البطريرك سرقيس الرزي سنة ١٥٩٦ الى مجمع لويزه سنة ١٨١٨م المار ذكره فكانت اثني عشر مجعاً ذكرنا اكثرها وزدنا عليها مجمع البطريرك ميخائيل الرزي سنة ١٥٨٠، وهذا المجمع مطّول يفوق باقي المجامع المارونية إلا المجمع اللبناني. وقد افرغ مؤلفه جهده في نظامه وجعله مطابقاً للمجمع اللبناني مؤيداً له إلا في بعض الامور التي اقتضى العصر تبديلها او تلطيفها. منها مثلاً اعياد كنائس القرى التي فيها كنائس كثيرة فعفا من البطالة فيها إلا عيد الكنيسة الكبرى فيها. وبعد ختام المجمع وقع عليه من شهوده وضم الى كتاب وارسل الى رومة ليثبتته الكرسي الرسولي، والحق البطريرك في آخره بعض رسائل الأبحار الأعظمين المتعلقة بالموارنة فلم يثبتته الكرسي الرسولي ولم ينهذه الى الآن.

الفصل الخامس

الأديار والكنائس والمدارس التي أنشأها الموارنة في القرن التاسع عشر

عد ١٢٣

الاديار مساكن البطريك والاساقفة

دير الكرسي البطريكي

منذ اواسط القرن الخامس عشر اخذ بطاركة الموارنة السكنى بدير قنوين القديم واول من انتقل اليه البطريك يوحنا الجاجي الذي توفي سنة ١٤٤٥، وما زال خلفاؤه يسكنون هذا الدير الى ايام البطريك يوسف ضرغام الخازن الذي ارتقى الى البطريكية سنة ١٧٣٣م، فأقام بكسروان واقام خليفته البطريك سمعان عواد مدة في دير مشموشة ثم خلفه البطريك طوبيا الخازن ثم البطريك يوسف اسطفان ثم البطاركة ميخائيل فاضل وفيلبوس الجميل ويوسف التيان فأقاموا بكسروان. وتقرر في مجمع بكركي سنة ١٧٩٠م أن يكون دير بكركي مقراً ثابتاً للبطريك، ولكن بعد أن رقي البطريك يوحنا الحلو الى البطريكية سنة ١٨٠٩م جعل سكناه مذ سنة ١٨١١م في دير قنوين، واخذ في اصلاح املاكه واسترداد ما اخذ منها، واثبت مجمع لويزه انتقاله اليه واكمل احسان حال هذا الدير البطريك يوسف حببش الذي ارتقى الى البطريكية سنة ١٨٢٢م، إلا انه لما كان دير قنوين صعب المسالك ويتعاضم الحرّ فيه ايام الصيف انشأ هذا البطريك بعض مساكن في المحل المعروف

بالديمان وصاروا يصرفون به مدة الصيف ويقضون مدة الشتاء بكسروان. وكان كذلك في ايام البطريك يوسف الخازن والبطريك بولس مسعد، ولما ارتقى البطريك يوحنا الحاج الى البطريكية بذل المساكن التي كانت بالديمان بغيرها في محل قريب منه وجدد دير بكركي وجعله على الطراز الجديد، فكان صرحاً قل له النظر بلبنان، وهو الآن سكن بطاركتنا مدة الشتاء ولما تسلم كرسي البطريكية بطريكتنا الحالي أخذ في إنشاء صرح آخر على مقربة من الديمان وقنوين وكاد بناؤه يتم وسيكون بعد تمامه أكبر وأفسح من دير بكركي، وسماه جديدة قنوين يقضي به البطريك مدة الصيف.

الأديار كراسي المطارين

كان مطارنة طائفنا يقيمون في المحابس والمناسك او مع البطريك في دير واحد يعيشون عيشة مشتركة ويرسلهم البطريك لزيارة الابريشيات غير مقيد بأن يرسل الى كل ابرشية من ارتقى الى كرسيها، واستمروا على ذلك الى أن عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م فحتم ان يقيم كل اسقف في ابرشيته وبين رعيته، فلم يتيسر للحال أن ينشئ الأساقفة ادياراً في ابرشياتهم لسكنائهم فيها بل قطن كل منهم بدير اراده او كان مختصاً بأقاربه، فلم ير أعيان الطائفة ذلك ملائماً لشأن الطائفة وانتظام احوالها. ولما عقد المجمع المعروف بمجمع عين شقيق سنة ١٧٨٦م قدم المشايخ والاعيان رسالة الى الشيخ غندور الخوري الذي كان في المجمع يسألونه بها ان يسعى مع آباء المجمع ليقرروا وجوب سكنى الاساقفة مع البطريك في كرسيه، وارتضى آباء المجمع بالاجابة لطلبهم، ولما رفعت اعمال هذا المجمع الى الخبر الروماني رفض هذا الامر ونبذه وامر أن تكون اقامة الاساقفة كل في ابرشيته طبقاً لرسم المجمع اللبناني، فعاد الاساقفة الى السكنى بأحد الاديار، ثم عينت الاديار التي يقيم بها كل من المطارين في مجمع لوزة المار ذكره المنعقد سنة ١٨١٨م كما مر. إلا ان مطارين طائفنا اخذوا ينشئون كراسي لسكنائهم مذ سنة ١٨٣٥م، فلم ينته القرن التاسع عشر إلا انشأ كل منهم ديراً لسكناه وبعضهم بنى ايضاً معهداً علمياً لتربية اكليس ابرشيته على النحو الآتي بيانه.

كرسي طرابلس

لما ارتقى المطران بولس موسى لاسقفية طرابلس سنة ١٨٢٦م كان يسكن بغزير في دار الامير عبد الله شهاب فكان يتوجه لزيارة ابرشيته ثم يعود الى مأواه المذكور، على انه في سنة ١٨٣٥م اخذ في بناء دير لسكنائه واختار كنيسة مار يعقوب الكائنة بين قريتي كرم سدة وكرفو، فأنشأ هناك ديراً على اسم القديس انطونيوس البادوي لانه استعان على البناء بمال كان لكنيسة هذا القديس في كفرزينا، وكان ينوي بناء مدرسة اكليريكية ايضاً فلم تساعد الحال عليها الى أن ارتقى الى هذه الاسقفية خليفته المطران اسطفان عواد فزاد كثيراً على ما بناه سالفه وجعله مدرسة اكليريكية لابرشيته وادخل اليها بعض التلامذة.

كرسي ابرشية قبرص

عين آباء مجمع لوزة مدرسة قرنة شهوان اي دير مار شليطا مقاماً لمطران قبرص، وسكن هناك المطران عبد الله بليبل الى حين وفاته سنة ١٨٤٢م ولما خلفه المطران يوسف جعجع سنة ١٨٤٣م شرع في بناء دير لكرسيه على مقربة من دير مار شليطا المذكور، واتم القسم الاسفل اقبية فسيحة متينة وسكنها الى حين وفاته سنة ١٨٨١م. ولما خلفه المطران يوسف الزغبى سنة ١٨٨٢م بنى على الاقبية مساكن وصيّر لها مدرسة عالية اكليريكية سيأتي ذكرها في جملة المدارس. ولما توفي خلفه المطران نعمة الله سلوان مطران قبرص جدد بعض البناء وغير بعضه ليكون اكثر صلاحية لسكنى التلامذة واقامة مطران الابرشية.

كرسي ابرشية بيروت

عين آباء مجمع لوزة دير مار يوحنا بقتاله مقاماً لمطران بيروت، وكان المطران بطرس ابو كرم يقيم تارة فيه وطوراً ببيروت او قرى الابرشية او بيته في بسكنتا،

ولما توفي سنة ١٨٤٤م وسلمت أبرشية بيروت الى سالفنا المطران طوبيا عون سنة ١٨٤٥م اقام مدة بيروت ثم اخذ بإنشاء محل لسكنائه في مزرعة عين سعادة التابعة لبيت مري في عقار وقفه عليه عساف ماضي من المحل المذكور، ثم زاد على ما بناه بعض غرف لسكنى تلامذة اكليريكيين ادخل صفاً منهم بحياته، وجدد ببيروت المحلة المعروفة بالقلاية لسكنائه مدة الشتاء والربيع، وقنى لكرسيه املاكاً يكفي ريعها للنفقة عليه وعلى حاشيته والتلامذة. ولما دعاني الله لأخلفه في هذه الأبرشية زدت في عين سعادة عدة غرف واصلحت البناء السابق. ولما انتقضت بعض الغرف بالقلاية لبناء الكنيسة الكبرى انشأت فوق ما بقي منها محلاً لاشغال الأسقفية والاجتماعات احتفالية على اني نقلت الصف الاكليريكي من مدرسة عين سعادة الى مدرسة الحكمة التي انشأتها ببيروت وسيأتي ذكرها في جملة المدارس، وزدت في عقارات الكرسي زيادة تذكر وشريت املاكاً كثيرة بجوانب المدرسة خصصتها بها.

كرسي أبرشية صور وصيدا

كان المطران عبدالله البستاني يسكن بعض قلاي في مشموشه، وبعد أن ارتقى ابن اخيه المطران بطرس الى كرسي عكا معاوناً له في حياته وخلفاً بعد موته شرى في بيت الدين المحل المعروف بالمقصف مسكن الامير بشير الكبير مدة الصيف وجعله كرسياً له، ثم شرى المقصف الآخر المعروف بمقصف الامير امين ابن الامير بشير المذكور والقناة الموصلة الماء الى سراي بتدين، والمقصفين المذكورين، وعقارات أخرى كثيرة هناك، وفي مزرعة بكفيا وغيرها، وخص كل ذلك بكرسيه فكان بهذه الابرشية مقر لأساقفتها له من الدخل ما يكفي لإنشاء مدرسة اكليريكية. وكان في عزم المثلث الرحمة المطران بطرس المذكور أن ينشئها فلم تساعده الحال على ذلك وخاصة لانه كان يرغب في وفاء الدين الذي اضطر اليه في شراء ما مرّ من العقارات، وقد اخذ خليفته المطران بولس بصبوص في إنشاء هذه المدرسة في مقصف الامير امين المذكور.

كرسي أبرشية بعلبك

كان المطران انطون الخازن الذي دبر هذه الأبرشية أكثر من خمسين سنة يقيم في دير بقلوش الخاص بأسرته الخازنية، ولما توفي سنة ١٨٥٨م وارتقى الى هذا الكرسي المطران يوحنا الحاج سنة ١٨٦١م اخذ يجهد نفسه في انشاء كرسي لأبرشيته فوفقه الله الى ذلك بأقرب وقت وشرى عقارات كثيرة، ثم ابتاع دار قعدان بك الخازن بعرامون واخذ يبني محلاً لسكنائه ومدرسة اكليريكية لأبرشيته، فكلل الله عمله بالنجاح ولما ارتقى الى البطريركية سنة ١٨٨٩م ورقى ابن اخته المطران يوحنا مراد الى اسقفية بعلبك خلفاً له اتم ما كان خاله قد أنشأه، ولكن لم يتيسر له الى الآن ادخال صف اكليريكي الى المدرسة.

كرسي أبرشية دمشق

كان المطران اسطفان الخازن الاول يسكن في دير عائلته ببلوني ولما خلفه المطران يوسف الخازن سكن في دير البشارة بزوق مكاييل، ولما صير بطريركاً سنة ١٨٤٥م ورقى الى أسقفية دمشق المطران اسطفان الخازن الثاني سنة ١٨٤٨م سكن بدير مار موسى بلوني، وبعد أن توفي سنة ١٨٦٨م خلفه المطران نعمة الله الدحداح سنة ١٨٧٢م وسكن في محل المرسلين اللبنانيين بعينطورا، وبعد وفاته سلمت أبرشية دمشق سنة ١٨٩٠م الى المطران بولس مسعد اسقفها الحالي، فهم بإنشاء كرسي لهذه الأبرشية فوفقه الله الى بناء هذا الكرسي في أعلى قرية ريفون مجتمعاً كل ما يلزم لإقامة اسقف وحاشيته وبعض التلامذة ايضاً.

عد ١٢٤

المدارس التي انشأها الموارنة في هذا القرن

مدرسة عين ورقة

حوّل البطريرك يوسف اسطفان دير عائلته عين ورقة مدرسة اكليزيكية عامة للطائفة سنة ١٧٨٩م وادخل اليها صفّاً من الطلبة سنة ١٧٩٢م وترأس عليها الخوري خيرالله اسطفان، فصرف عنايته في نجاحها ولما رقي الى الاسقفية ازدادت المدرسة رونقاً وتقدماً الى أن رزئت بوفاته سنة ١٨٢٣م فقيض الله لها بعده المطران يوسف رزق الجزيني الذي رقاہ البطريرك يوسف حبيش الى اسقفية قورش ورئاسة هذه المدرسة سنة ١٨٢٩م، فغير كثيراً من ابنيها وانشأ كنيسة لها الشهيرة واستمر مترأساً عليها الى أن دعاه ربه اليه سنة ١٨٦٥م. ورأس من بعده الخوري يواكيم اسطفان ثم الخوري بولس اسطفان واخيراً الخوري يوسف اسطفان الذي رقاہ البطريرك يوحنا الحاج الى اسقفية قورش ورئاسة المدرسة سنة ١٨٩٦م فزاد بمدة رئاسته كثيراً في ابنية المدرسة واملاكها وحسن حالتها وهو رئيسها وينوي تجديد ابنية في هذه المدرسة التي عم نفعها لهذه الامصار، ومن تلامذتها انبعثت انوار العلوم الدينية في هذه الاقطار قبل كل ما سواها من المدارس الشرقية ونبغ منها رؤساء وعلماء كثيرون فمن تلامذتها بطاركتنا يوسف حبيش ويوسف الخازن وبولس مسعد ويوحنا الحاج، ومطارين طائفتنا عبدالله البستاني وبطرس ابو كرم وجبرائيل الناصري ويوسف رزق ونقولا مراد ويوسف جعجع ويوسف المريض ويوحنا حبيب وبطرس البستاني ويوسف مسعد ونعمة الله سلوان وانا الخقيق، ومن الكهنة الأجلاء يوسف الرزي الواعظ الشهير ويوحنا الصائغ المسمى الاسطنبولي ويوسف الصوري وفرنسيس زوين ويوحنا البزمري وارسانيوس ويوسف الفاخوري الى غيرهم. ومن العلماء المشاهير الشيخ بشارة الخوري والشدياق شاهين المزرعاني والمعلم بطرس البستاني واللغوي الشهير فارس الشدياق الى غيرهم.

مدرسة مار يوحنا مارون

جدد دير مار يوحنا مارون بكفرحي بعد اندراسه البطريرك يوسف اسطفان وأسكن به رهباناً عباداً الى أن جعله البطريرك يوحنا الحلو سنة ١٨١٢م مدرسة خاصة بابرشية جبيل والبترون ولم يكن لها من الدخل إلا ما يقوم بأود نحو عشرة تلاميذ، واستمر كذلك الى ايام البطريرك بولس مسعد حين جعل الخوري يوسف فريفر رئيساً عليها فجدد قسماً كبيراً من بنائها، ولما رقاها البطريرك الى اسقفية اللاذقية وجعله نائباً له في ابرشية جبيل والبترون ورئيساً للمدرسة لم يأل جهداً في انماء دخل هذه المدرسة وتكثير املاكها وتوسيع ابنيتها واتقانها وجمع تلامذة عالمين فيها زيادة على الاكليريكيين، فحسنت حالها وانتظمت امورها وبعد وفاته سنة ١٨٨٩ عهد برئاستها الى المونسنيور بطرس ارسانيوس من كور فزاد في مساكنها وما برح مهتماً في نجاحها ونظامها.

مدرسة مار مارون الرومية

كان تجديد دير مار مارون الرومية بكسروان سنة ١٦٩٦م عني بتجديده الخوري جرجس صفير وأخوه ناضر الى أن ارتأى آباء مجمع لويظة المنعقد سنة ١٨١٨م أن يجعلوه مدرسة اكليريكية عامة للطائفة فصير كذلك، إلا ان قلة الدخل لهذه المدرسة قصرت عدد تلامذتها على عشرة: ثمانية من ابرشيات الطائفة الثماني واثنين من عائلة بيت صفير ولم تزل حالتها كذلك.

مدرسة مار عبدا هرهريا

مرّ ان هذا الدير أنشأه القس يوسف اصاب سنة ١٦٥٥م وسكن فيه رهبان وراهبات عابدات، وعين في مجمع لويظة سنة ١٨١٨م من جملة الاديار التي خصت بسكنى الراهبات، ثم اهتم البطريرك يوسف حبيش بجعله مدرسة اكليريكية

عامّة للطائفة المارونية. وكان لهذه المدرسة املاك وافرة ودخل جزيل وقد زادها رئيسها الخوري يوسف بن حاتم اصف، وكان بناؤها غير صالح فأخذ من خمس سنين يجدد بناءها على الطراز الحديث. وقد نبغ من هذه المدرسة اساقفة وكهنة فضلاء وعلماء أجلاء. فمن تلامذتها الاساقفة المرحوم المطران جرمانوس الشمالي والمطران بولس عواد والمطران بولس بصبوص. ومن الكهنة رئيسها والخوري يوسف العلم وغيرهما. ومن علمائها اسطفان اصف ويوسف الياس باخوس وغيرهما.

مدرسة ريفون

مرّ في تاريخ القرن السابع عشر ان دير ريفون أنشأه القس سليمان مبارك سنة ١٦٥٠م وكان يسكنه رهبان عباد، وعين في مجمع لويزه مقاماً لمطران بعلبك، ثم حسن للبطريرك يوسف حبيش أن يجعله مدرسة اكليريكية للطائفة سنة ١٨٣١م ولكن لما لم يكن لها من الدخل إلا ما يقيم بعشرة تلاميذ اقتصر فيها على هذا العدد، وقد جدد بناءها وحسنه الخوري فرنسيس مبارك وزاد فيه كنيسة ظريفة، وتوفي هذا الرئيس سنة ١٨٧٢م.

مدرسة الحكمة

كل ما مرّ ذكره من المدارس انشئ لتهديب الاكليريكيين وتعليمهم ولم يكن في طائفتنا مدرسة لتعليم الشبان العالميين، ولما دعاني الله بوافر سخائه لا باستحقاقي الى اسقفية بيروت كان اول اهتمامي انشاء هذه المدرسة للعالميين، واشرت الى ذلك في اول خطبة القيتها في هذه المدينة واخذت استعد لذلك وابحث عن محل يوافق هذا الغرض فشريت عدة قطع من الارض في المحلة المعروفة بالغابة سنة ١٨٤٧م وأخذت في البناء مستعيناً على ذلك بثمان معمل حرير بشملان كان المرحوم سالفني قد شراه فبعته الى الخواجة يوحنا فريج بمائتي ألف غرش وبثمان نصف قرية كفريا بالبقيع الغربي كان المرحوم سالفني قد شراه فبعته الى الخواجة يوسف سرسق بمائتي

ألف غرش ايضاً، بعد أن كاشفت بهذا البيع السيد البطريرك ومجمع نشر الايمان المقدس. وابتدأت في البناء السنة المذكورة بنوع انني أنجرت سنة ١٨٧٥م قسماً كبيراً منه وادخلت الطلبة اليه في اول ت^٢ من هذه السنة، وواصلت السعي في تكملة هذه المدرسة فوهبني الله التوفيق فكان اكثر البناء القائم الآن مع الكنيسة كاملاً في آخر سنة ١٨٧٨م. فمزيد اهتمامي بهذا المشروع وللقائي الخطب في كنيسة بيروت الكبرى مدة الصوم مع الانقطاع والصوم سببت لي مرض احتقان الدماغ سنة ١٨٧٥م، ولولا براعة النطاسي الشهير الدكتور سوكة الفرنسي لكنت من يومئذ في الابدية. ولما بللت من مرضي أشار عليّ بالسفر الى اوروبا فعملت بمشورته وسرت الى رومة اولاً ونلت حظوة كبرى بعيني السعيد الذكر البابا بيوس التاسع والمثلث الرحمة الكردينال فرنكي رئيس مجمع نشر الايمان المقدس، فدفعت إليّ نيافته كتب توصاة الى فرنسة لمساعدتي بمشروعي المذكور، وكنت قد أرسلت الخوري يوسف الزغبى والخوري لويس زوين الى فرنسة للتكمل بعلومهما ومعاونتي بعد عودهما على إدارة المدرسة، فسلمت إليهما كتب التوصاة فجمع أحدهما الخوري لويس من فرنسة نحو عشرين ألف فرنك والخوري يوسف الزغبى هذا القدر من بلجيكا وانكلترا فأوقفتهما بعد ذلك عن السؤال، فكان الداخل لهذا المشروع نحو اربعمائة الف قرش من ثمن العقارات المذكورة ومائتي ألف قرش ونيف من الإحسانات المشار إليها، وما كلفت أحداً من أبناء أبرشيتي أو غيرها لدفع شيء، ولا سألت بنفسي شيئاً من احد في اوروبا، ولا اعلم كيف بارك الله هذا العمل المقصود منه وجهه الكريم ونفع القريب حتى كان مجمل ما صرفته في هذه المدرسة من نفقة البناء والأثاث وشراء العقارات وتعمير مساكن للأجرة نحو ثلاثين ألف ليرة فرنسية الى الآن. وفي هذه المدرسة وجوانبها الآن نحو مائة ألف ذراع أرض. ولها من البيوت والمساكن ما يؤجر بنحو خمسة عشر الف غرش في السنة وكل هذه العقارات والبيوت خصصتها بالمدرسة مفروزة عن الاملاك المعروفة بالكرسي الاسقفي لنفقة الاسقف وحاشيته وخدمه، وقد نجحت والحمد الله هذه المدرسة ولا ينقص تلامذتها في كل سنة عن ثلاثمائة طالب السواد الاعظم منهم داخلون، وقد نبغ منها كهنة علماء وخطباء وشعراء وكتّاب وكنت ارسلت اخي الخوري بولس بعد اتمام دروسه في مدرسة عين ورقة الى باريس سنة ١٨٧٥م للتكمل في دروسه ومراعاة ادارة المدارس في اوروبا، فعاد إليّ سنة ١٨٨٠م

وعهدت اليه بادارة هذه المدرسة ورئاستها فأتم ذلك بما يرضي الله ويعزيني عن
اتعابي، فإياه تعالى أسأل أن يتيح لهذه المدرسة التوفيق والنجاح لمجد الله الاعظم
وخير سكان هذه الامصار الشرقية بمنه وكرمه وشفاعة القديس يوسف شفيعها.

مدرسة قرنة شهوان ومدرسة غزير

أشرت انفاً اني ارسلت الخوري يوسف الزغبى والخوري لويس زوين الى فرنسا
للتكامل بالعلوم ومعاونتي في مدرسة الحكمة بعد عودهما ثم عهدت اليهما بجمع
شيء من الاسعاف لها فجمعاً ما ذكرته انفاً فأوقفتها عن الجمع وبقي كل منهما
مدة بعد ذلك في اوروبا، فيظهر ان الله بارك مساعيها واتاح لهما التوفيق فشرى
الخوري لويس زوين بعد عوده دار الامير منقذ شهاب في غزير وزاد عليها وجعلها
مدرسة على اسم مار لويس معدة لقبول طلبة عالميين واكليريكيين، وكذلك صنع
الخوري يوسف جبرائيل الزغبى فانه بعد عوده من اوروبا سنة ١٨٨٢م وارثائه الى
اسقفية قبرص بنى طبقة عليا فوق الطبقة السفلى التي كان المطران يوسف جمع
قد أنشأها وجعلها مدرسة اكليريكية وعالمية. ولما توفي المطران المذكور وخلفه
المطران نعمة الله سلوان سنة ١٨٩٢م زاد بعض البناء في هذه المدرسة وحسن بعضه
وجرّ إليها الماء من منبع في بحر صاف، وما برحت هذه المدرسة ناجحة موفقة وكان
لي في هاتين المدرستين تعزية كبرى إذ كان إنشاء مدرسة الحكمة سبباً لإنشاء
مدرستين أخريين.

مدرسة المحبة في عرامون ومدرسة العريمة

اما مدرسة المحبة فأنشأها بعرامون الخوري جبرائيل شباط سنة ١٨٦٧م واستعان
على إنشائها بإحسانات جمعها من اوروبا بأسفاره اليها وهي تقبل طلبة داخليين
قليلين وخارجيين، ولقلة دخلها لم تنجح كثيراً لكنها دامت من حين تأسيسها الى
الآن. وبعد وفاة الخوري جبرائيل مؤسسها يدبرها الآن اخوه يوسف شباط.

واما مدرسة العريمة فقد أنشئت سنة ١٨٦٥م بما وقفه المرحوم المطران نقولا
مراد المتوفي برومة سنة ١٨٦٣م، ثم بما وقفه أخوه همام مراد من العقارات والنقود،

وابتاع دار الشيخ منصور الدحداح في اسفل عرامون وبني فيها كنيسة على اسم القديس نيقولاوس، وجعل بعده الولاية على هذه المدرسة لمجمع الايمان المقدس والرئاسة لمن ينتخبه من أقربائه ولم ينجح هذه المشروع الى الآن وقل من دخل هذه المدرسة من التلامذة.

المدرسة الوطنية

نذكر هذه المدرسة في جملة المدارس التي أنشأها الموارنة لأن منشئها ماروني أصلاً وهو المعلم بطرس البستاني، وقد افتتحها سنة ١٨٦٣ وجعلها تحت إدارة ابنه سليم الذي كان يعلم بها العلوم والصف الاول في اللغة الانكليزية، وتخرج بها كثيرون من الموارنة ايضاً ولم تكن تتعرض لتلامذتها في امر دينهم بل كانت ترسلهم لقضاء فروضهم الدينية في كنائس طوائفهم ودامت خمس عشرة سنة وقد اقفلت لما فتحت ابواب مدرسة الحكمة سنة ١٨٧٥م.

المدارس الرهبانية

اما الرهبانيات الثلاث في طائفتنا فكان رؤساؤها يخصصون ديراً من اديارهم لتعليم المرشحين للكهنة فيه، وكان رؤساء الرهبانية اللبنانية يخصصون احياناً ديرين او ثلاثة اديار لهذا التعليم فكان كذلك دير قزحيا وكفيفان والقطارة وميفوق والناعمة. والآن اكبر مدرسة لرهبانهم في دير نسبيه بغوسطا وقد شروا من بضع سنين داراً في بيروت وجعلوها سكناً لنحو اثني عشر راهباً يتلقون الدروس السامية في المدرسة الكلية للآباء اليسوعيين بهذه المدينة. واما الرهبان المعروفون بالانطونيانيين فيعلمون قسوسهم في أحد اديارهم كدير القلعة في بيت مري الى أن جعل القس عمانوئيل البعدياتي دير مار اشعيا في برمانا مدرسة للمرشحين من هؤلاء الرهبان للكهنة، وعززها اذ هو الآن الرئيس العام للرهبانية. واما الرهبان الحلبيون فديرهم برومة هو مدرسة لهم وقد زاد بناءها وأتمى دخله المطران امبروسيوس نطين الدرعوني

وزادها نظاماً في هذه السنين الاخيرة الأب لويس الخازن رئيسها وكانوا يعلمون المعدين للدخول في هذه المدرسة مبادئ اللغات والعلوم في دير مار اليشاع بجانب بشري.

مدرسة المرسلين اللبنانيين

لما شرى الطيب الذكر المطران يوحنا حبيب وهو كاهن دير المخلص بالكريم وقفه على المرسلين اللبنانيين ليكون كرسياً لجمعيتهم ومدرسة للمرشحين للانضمام اليها، وكان كذلك، إلا انه حسن لآباء جمعيتهم حيناً ما أن يقيموا تلامذتهم في المحل الخاص بهم بعينطورا ثم وجدوا في ذلك بعض المصاعب فأرجعوا تلامذتهم الى الكريم فينقص عددهم او يزيد بالنسبة الى عدد الطالبين المنضوين اليهم ويعلمونهم من اللغات السريانية والعربية والفرنسية واللاتينية والعلوم الاكليريكية السامية.

ان ذكر انشاء كل هذه المدارس عند الموارنة في هذا القرن يبين صريحاً النهضة العلمية في الطائفة ولاسيما ان راعيت ان اكثرية التلامذة في المدارس التي يديرها الآباء اليسوعيون والعزاريون والمرسلون المعروفون بإخوة التعليم المسيحي وغيرهم من شبان الموارنة. فالرغبة في تعليم الآباء اولادهم هي عامة وشاملة حتى تراها جاوزت الحدود ولو رغب عامة الناس وأواسطهم في تعليم اولادهم الصنائع والحرف لكان هذا أولى واصح بمصلحتهم ومصلحة البلاد.

عد ١٢٥

اديار الرهبان اللبنانيين المنشأة بهذا القرن

ذكرنا في تاريخ القرن الثامن عشر ما أنشأه هؤلاء الرهبان من الأديار فيه ونذكر الآن ما أحدثوه في القرن التاسع عشر فقد بنوا دير مار مارون عتاية ببلاد جبيل سنة ١٨١٤م، ودير مار سركيس وباخوس بقرية قرطبا سنة ١٨١٥م، وفي سنة ١٨٤٩م فصلوا بعض املاك عن دير قزحيا وأقاموا بها ديرين: الاول على اسم

مار انطونيوس في الجديدة وخصوا به املاك قرحيا التي كانت بمارشينا ونهر جرعت وكفرياشيت، والثاني دير مار جرجس عشاش وخصوا له الاملاك التي كانت لقرحيا في المحل المذكور وأنشأوا سنة ١٨٤٦م دير مار روكس بجانب عجلتون وأخذوا بينائه سنة ١٨٦٥م وفصلوا قسماً من املاك دير مشموشه سنة ١٨٤٩م وأنشأوا به اولاً دير مار تقلا بريمات ثم نقلوا هذا الدير الى بحنين وسموه باسم دير المخلص. واخذوا في هذه السنة ايضاً في بناء دير مار يوحنا بقبيع من قرى المتن الجنوبي وأنشأوا دير مار شليطا بالقطاره من بلاد جليل سنة ١٨٥٢م وجعلوه مدرسة مدة ما ثم اهتموا دير مار جرجس بحنين من قرى عكار سنة ١٨٥٣م، ودير مار يعقوب النصيبي بالحصن من بلاد البترون سنة ١٨٦٢م. وفصلوا قسماً آخر من املاك قرحيا وخصوه بدير مار سمعان بقرب ايطو وجعلوه مسكناً للراهبات، وفصلوا عن دير قرحيا ايضاً املاكه بقرية بصرما بالكورة وبعض املاكه بقرية بشنين بالزاوية واقاموا بها ديراً على اسم سيدة النجاة ببصرما سنة ١٨٧٦م، وجعلوا المدرسة التي كانت لهم بساقية المسك ديراً على اسم مار ميخائيل سنة ١٨٨٢م، واخذوا في سنة ١٨٨٠م بينون ديرهم بنسبه بقرية غوسطا على اسم سيدة النصر وهو من اكبر أديارهم، ويعلمون فيه الآن المرشحين من الراهبات للكهنة. وقد احدثوا في هذا القرن من المدارس لتعليم الاولاد القراءة والخط واصول الديانة مدرسة بيان من قرى بشري سنة ١٨٠٦م، وزادها القس افرام جعجع البشري في مدة رئاسته لها بناء واملاكاً. ومدرسة العبادية سنة ١٨٣٠م فوقف بعض الامراء اللمعيين عليهم بعض العقار وشرط عليهم اقامة مدرسة وقسوس بها يخدمون موارد هذه القرية ويعلمون اولادهم. وأنشأوا سنة ١٨٣٧م مدرسة رأس المتن، وسنة ١٨٣٩م مدرسة الشبانية، وسنة ١٨٥٥م مدرسة غباله. واحداث الأب عمانوئيل المتيني مدرسة المتين ولهم مدرسة في حمانا واخرى في بسكنتا، ومدرسة الفريكة ومدرسة كفرحيال قرب قرطبة انشأها القس دانيال الحديثي، ومدرسة في بصا بجوار تنورين واخرى في وادي جزين ومدرسة في صغبين، وأنشأوا مدرسة حديثة في بدادون. هذا عدا مدرسة عجلتون التي انشأوها في القرن الثامن عشر سنة ١٧٥١م، ومدرسة وادي شحرور التي احدثوها سنة ١٧٨٥م بعقار وقفه بعض الامراء الشهابيين. ولهم من القناتيش انطوش جليل احدثوه سنة ١٧٦٢م، وانطوش زحله سنة ١٧٦٩م، وانطوش دير القمر سنة ١٧٨٢م، وانطوش معلقة زحله سنة ١٨٠٨م، وانطوش يافا

سنة ١٨٥٥م، وأنشأوا فيها كنيسة في هذه السنين الاخيرة، وانطوش بعلبك أنشأوه سنة ١٨٥٧م، وانطوش ابلح سنة ١٨٦٠م، وانطوش مجدلون سنة ١٨٦٨م.

عد ١٢٦

اديار الرهبان الانطونيين المنشأة بهذا القرن

ذكرنا في تاريخ القرن الثامن عشر ما انشأوه فيه من الاديار فنذكر هنا ما احدثوه منها في القرن التاسع عشر:

- ١- دير مار دوميط برومية اشترى محله وبعض العقار له القس ابراهيم عون ثم استأذن القس يوسف الشباي والقس تادروس جباره البطريرك يوحنا الحلو بأن بنيا هناك ديراً فأقاما الجهة الجنوبية منه سنة ١٨١٨م وبنى بعدهما القس بولس الحمانى الجهة الشمالية والغربية والكنيسة كما يظهر من خط على باب مقعد الدير المذكور وكان رهبان دير القلعة يذهبون الى رومية فيشتغلون في بناء هذا الدير الاسبوع كله ويعودون مساء الاحد الى ديرهم.
- ٢- دير مار الياس بالكنيسة اتفق رئيس عام هذه الرهبانية ومدبروها على بناء دير بالكنيسة واستأذنوا المطران يوسف جعجع مطران الابرشية بانثائه فاهتم به القسوس شاول وغريغوريوس والياس الذين كانوا من هذه القرية وخصوا به بعض املاك كانت لدير مار دوميط رومية ودير مار سمعان بعين القبو.
- ٣- دير مار يوسف بحرصاف اخذ في انشائه القس فيلبوس الحاج بطرس من بكفيا سنة ١٨٥١م، لكنه بقي حقيراً الى أن ترأس عليه القس لويس الحاج بطرس ثم صار مدبراً في رهبانيته فأفرغ جهده بتوسيع بناء هذا الدير وتأسيسه وشراء عقارات له، وبنى فيه كنيسة ظريفة واستعان على ذلك ببعض الاحسانات.
- ٤- دير مار نوهرا القنزوح اخذ بانثائه القس برنردوس الغزيري سنة ١٨٦٤م بعد الاستئذان من البطريرك بولس مسعد والمطران يوحنا الحاج اسقف الابرشية ثم اكمل بناءه القس فرنسيس المدبر ابن اخي القس برنردوس المذكور.

٥- دير مار سرقيس بكفردلاقس هو دير صغير على مقربة من زغرنا اهتم بانشائه في هذا القرن القس انطون الحلبي، فانه شري عقارات باسم هذا الدير وسلمها الى القس تيموتاوس الاهدني فأخذ في بناء بعض قلالي ثم بنى القس انطونيوس الاجبي الكنيسة.

٦- دير المخلص بقرية عين العلق أنشأه سنة ١٨٧٠ القس يوسف البعداتي الرئيس العام وعهد بينائه الى القس يشوع الشباني واخيه القس ابراهيم فنياه وشريا له املاكاً.

٧- دير مار مارون الرويس في شننغير ابتاع ارضه القس مرقس الشننغيري والقس بولس الغزيي وتعدر عليهما نقد الثمن فدفعه القس فيلبوس الحثوني الدليتاوي الانطونياني، واجاز الرئيس العام والمديرون أن يكون ديراً وأن يتسلمه القس فيلبوس المذكور، وأعطوه صكاً بذلك مؤرخاً في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٨٧٤م.

ولهذه الرهبانية عدة اناطيش:

١- انطوش زحله طلب القس ابراهيم عون المذكور قطعة ارض في زحله من الامير بشير قيديه اللامي وبنى فيها كنيسة وبعض مساكن وعهد اليه مطران الابرشية بخدمة النفوس هناك، وقد احترقت الكنيسة المذكورة مراراً آخرها سنة ١٨٨٢م مصادفة.

٢- انطوش قب الياس أنشأه القس. توما مدلج الرئيس العام في قطعة ارض وهبه اياها الامير سيد احمد شهاب ثم باعه أرضاً فسيحة وكرماً، فأرسل رهباناً يحرقونها ثم بنى هناك كنيسة على اسم ايليا النبي وبنى بجانبها بعض مساكن.

٣- انطوش قرنايل أنشأه الرئيس العام على هذه الرهبانية إذ ساله الامير يوسف مراد اللامي أن يبنى هناك كنيسة على اسم قديس ذي بطش وشجاعة فبناها على اسم ايليا النبي، ورغب الامير الى اهله أن يعتنقوا الدين الكاثوليكي في الطقس الماروني فنصر القس صامويل والقس يوسف حفيديه الامير بشير والد

- الامير سعيد بيت مري، والامير على والد الاميرين يوسف ومحمود علي.
- ٤- انطوش شملان بنى الامير حيدر الشهابي كنيسة هناك اولاً ثم وقف عليها عودتين لمعاش الكاهن الذي يخدمها، ثم وقفت امرأته اكثر املاكها على الرهبان، وكان القس يوسف البعدياتي يخدم دارهما فزاد هذا الوقف املاكاً بشرائه لها، وبنى مساكن يقيم بها الرهبان سنة ١٨٢٨م، وقد صيّر الرهبان هذا الانطوش مد بضع سنين ديراً.
- ٥- انطوش حوش حالا في قائممقامية بعلبك أنشأه احد القسوس إذ شرى هناك ارضاً سنة ١٥٤٨م وبنى كنيسة على اسم القديس روكس وألحق بها بعض مساكن.
- ٦- انطوش قرنة الحمرا كان أنشأه الرئيس العام القس ابراهيم البسكنتاوي واتفق مع مدبري الرهبة واستأذنوا البطريرك يوسف حبش سنة ١٨٢٧ بأن يبنوا مدرسة بقرنة الحمراء من قاطع بيت شباب، فأذن لهم وسلموا العناية بها الى القس يمين البجاني فبنى بعض المساكن ثم بنى الكنيسة القس جبرائيل من برمانا وقد صيّر هذا الانطوش ديراً منذ بعض سنين.
- ٧- انطوش قرنة شهوان اهتم بإنشائه القس شاول من الكنيسة الرئيس العام ليكون مدرسة للأولاد، فرخص له بذلك البطريرك يوسف حبش والمطران عبدالله بلبيل، فوكل الرئيس العام باتمام ذلك الى القس زكريا من عائلة بيت جباره.
- ٨- انطوش بحنس كان لإنشاؤه سنة ١٨٥٢ في ارض وقفها رجل مستحسب اسمه يعقوب من القرية المذكورة شارطاً أن يبنى الرهبان فيها انطوشاً. وأن يقوموا بأوده ما دام حياً، فقبل القس فيلبوس الحاج بطرس الرئيس العام شرطه وأقام على اتمام ذلك القس يوسف البعدياتي.
- ٩- انطوش ترسييس أنشئ سنة ١٨٢٧ فان الموارنة المتوطنين بترسييس وادنا رفعوا عريضة للبطريرك يوسف حبش سائلين أن يرسل اليهم كاهناً لخدمتهم الروحية فأرسل اليهم القس فرنسيس جعاره الغزيي فأقام على خدمتهم. وفي سنة ١٨٥٦م أمر البطريرك بولس مسعد الرئيس العام القس بطرس الغزيي أن يرسل كاهناً من رهبانه لخدمة اهل ترسييس الموارنة واعطاهم صكاً باختصاصهم بالرسالة بكليكييا اي ترسييس وادنا ومرسين وأمرهم أن

بينوا كنيسة بترسيس فبنوها بمالهم وبعض الاحسان وما برح الرهبان يخدمون بها.

١٠- انطوش اسكلة طرابلس بني سنة ١٨٥٥ بأمر البطريرك بولس مسعد للقس بطرس الغزيري الرئيس العام الذي اشترى هناك داراً وارضاً، واهتم الرهبان ببناء كنيسة ومساكن فيها واقام بعض قسوسهم يخدمون الموارنة هناك الى الآن.

١١- انطوش بسكتنا أنشئ سنة ١٨٥٧ باهتمام القس سلوانس البسكتناوي وأذن الرئيس العام والمديرين فبنى فيها بعض قلالي وشري بعض العقار، وابتدأ في بناء الكنيسة وعاجله الموت فأكملها بعده القس بطرس كرم البسكتناوي.

عد ١٢٧

الاديار التي انشأها الرهبان الحلبيون وغيرهم في هذا القرن

١- دير مار دوميط بفيطرون اخذ الرهبان الحلبيون اللبنانيون بإنشائه سنة ١٨٥٤ لكن الذي كمل هذا الدير وجعله انما هو القس سابا دريان العشقوتي الذي استمر على رئاسة هذه الرهبانية سنين كثيرة، وجعله مدرسة ابتدائية يتعلم بها الرهبان المرشحون للدخول الى مدرستهم برومة.

٢- دير مار سرقيس وباخوس بعشقوت أنشأه القس سابا العشقوني الرئيس العام المذكور وشري له املاكاً.

٣- دير مار اليشاع في جبة بشري بناه الرهبان المذكورون في المحل المسمى مزرعة نهرا بين بشري وبقاع كفرا لسكنائهم بدلاً من دير مار اليشاع القديم في الوادي المقدس فلما كان الدير القديم صعب المسالك بنوا هذا الدير لسكنائهم تاركين الدير القديم على ما كان عليه.

٤- مدرسة عبيه رغب في إنشائها المرحوم المطران بطرس ابو كرم مطران بيروت فكتب الى القس جناديوس الزوقي الرئيس العام حينئذ على الرهبان المذكورين والى مدبري الرهبانية مظهراً رغبته فيها ومعيناً الشروط اللازمة لذلك، فأجابه الرئيس والمدبرون في ٥ اذار سنة ١٨٣٧ مصرحين بالاجابة الى رغبته

والاستشارة بالشروط التي ذكرها، وهي أن يكون من رهبانهم ثلاثة قسوس يخدمون الرعية في عبيه ويكون احدهم مقيداً بتعليم اولاد القرية مجاناً.

في سنة ١٨٣١م وقفت ارملة الشيخ بشاره جفال الخازن وشقيقته دارهما في في زوق مكايل واملاكهما وكل ما يتعلق بهما على دير بني هناك وقبل البطريرك يوسف حبش ووقفهما وكرس دارهما ديراً على اسم سيدة البشارة، وفوض البطريرك بالولاية على هذا الدير الى المطران يوسف الخازن مطران دمشق وجعله مسكناً لراهبات يستسرن بقانون راهبات الزيارة.

وفي سنة ١٨٧٨م انشأ المطران بطرس مسعد كنيسة على اسم القديسين الرسولين بطرس وبولس بقرية عشقوت وبني حذاءهما بعض غرف، وشرى لها بعض املاك لتكون مدرسة يتعلم بها اولاد القرية وغيرهم اذا امكن.

عد ١٢٨

بعض الكنائس المنشأة للموارنة في هذا القرن

إن تعداد كل الكنائس التي أنشئت للموارنة في القرن التاسع عشر امر طويل ممل قليل الفائدة، ولذلك اقتصر على ذكر الكنائس التي قدرني الله على بنائها في بيروت واهتممت أن تبني بالقرى التابعة ابرشيتها. ففي سنة ١٨٧٤ ساعدني الله على بناء كنيسة مار مارون بحي القيراط في ارض اشتريتها من المرحوم نعم افندي قيقانو وفرغت من بنائها وتجهيزها سنة ١٨٧٥م وكانت النفقة عليها نحو مائتين وخمسين الف قرش، وفي سنة ١٨٧٨م انشئت بعون الله كنيسة القديس يوسف بمدرسة الحكمة السابق ذكرها وكانت نفقتها في جملة النفقة على المدرسة المذكورة.

وفي سنة ١٨٨٢م بنيت بعون الله كنيسة القديس ميخائيل رئيس الملائكة بحي الرميل وكان في محلها كنيسة على اسم هذا القديس بنيت سنة ١٨٣١م بأمر ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر، فان الكنيسة كانت في الكوارثينا حيث حلت عساكر ابراهيم باشا ولما رأى ان النساء يضطرون أن يمررن بين العساكر الى الكنيسة أمر الخوري ميخائيل ابي كرم أن يشتري لرعيته قطعة ارض

خارجة عن الكوارتينا وهو يني كنيسة الرعية على قياس كنيستهم القديمة، فذهب الخوري الى الامير حيدر احمد بشملان فوهب قطعة الارض حيث الكنيسة الآن وشرط أن يقدم قداس كل سنة على نيته، ودفع ابراهيم باشا قيمة ثمن الارض الفين وخمسمائة قرش، وأشغل عسكره ببناءها على هيئة الكنيسة القديمة طولاً وعرضاً وعلواً، ثم زيد على هذا البناء في ما بعد سوق مسقوف بالاخشاب، فهدمت البناء القديم واقمت البناء الجديد وكمل بعون الله سنة ١٨٨٣م وكانت نفقته نحو مائة وستين ألف قرش.

في سنة ١٨٨٤م شرعت ببناء كنيسة مار جرجس الكاتدرائية فإن الكنيسة القديمة كانت قد أمست تضيق على ابناء الطائفة ومجالاتها حرجة، فأخذت بإنشاء هذه الكنيسة حدا القلاية مسكن الاسقفية وكنت قد صورت كنيسة مريم الكبرى برومة بكل أجزائها فجعلت كنيستنا على هيئتها ما أمكن، وأتاح الله لي رجلاً ايطالياً يسمى يوسف ماجيوري خبير بهيئات الكنائس ونقوشها أقمته على ذلك الى أن يسر الله الفراغ من العمل سنة ١٨٩٤م، ودشنتها باقامة القداس الاول فيها احد الشعانين من السنة المذكورة، وقد بلغ ما أنفقته عليها نحو مليونين من القروش.

وفي سنة ١٨٩٤م عنيت بأن صيرت الدار التي كنت قد اشتريتها من الخواجات ابناء كميد مدرسة للبنات مزيداً عليها طبقة ثالثة ومصلحاً فيها ما يلزم اصلاحه، واستحضرت اليها اربع راهبات من رهبانية العائلة المقدسة، وأخذن في التعليم فيها. وبعد خمس سنوات وجسن بأن البناء غير ثابت وتركن السكنى فيها فاضطرت الى هدمه وبناء اربع دور هناك معدة للاجرة. وسنة ١٩٠١م اخذت في بناء كنيسة ايليا النبي في رأس بيروت، فان الكنيسة التي بنيت هناك في ايام المرحوم سالفنا المطران طويلاً أمست لا تسع الموارنة سكان ذلك الحي.

ومنذ السنة السالفة اي سنة ١٩٠٣م قد كان الفراغ من البناء الخارج وهمنا الآن في تكميل ما يلزم بداخلها، وقد بلغت النفقة عليها الى الآن نحو ثلاثمائة ألف قرش، وكل هذه النفقات على الكنائس لم أثقل على أحد بشيء منها بل جميعها من دخل عقارات كنيسة مار جرجس الكبرى التي ساعدني الله على زيادتها كثيراً وإثماء دخلها.

وأما الكنائس التي اهتمت بإنشائها بالقرى فهي كنيسة القديس يوسف في

قرية حريك وكنيسة مار ميخائيل في قرية الشياح، وكنيسة مار عبدا بقرية رومية، وكنيسة مار ميخائيل بقرية رمحالا، وكنيسة القديس سركيس وباخوس في بحنس. ومن الكنائس الصغيرة التي اهتمت بها وأقامت ببعض نفقتها كنيسة بلبل وكنيسة عيناب وكنيسة المريجيات. وقد انشأ الشيخ عقل شديد واولاده كنيسة السيدة العذراء بالمتين وخولتهم حق الولاية عليها. وانشأ شهدان هكل الغريب كنيسة على اسم العذراء ايضاً في معلقة الدامور وفقنا الله الى كل ما به مجده الاعظم وخير النفوس.

عد ١٢٩

ذيل في زيادات عثرنا عليها أو انتبهنا إليها بعد الطبع

١ - أوردنا في صفحة ١٥٠ في ذكر الخلاف الذي كان بين الموارنة واليعاقبة شهادة ابن العبري في كتابه تاريخ الدول لسنة ٧٨٥ وله شهادة أخرى أكثر صراحة وبياناً وهي قوله في تاريخه السرياني (صفحة ٢٧٠ و ٢٧٤) حيث يشكو من أنّ الخلكيدونيين يضايقونهم أشدّ الضيق بإرشاد رهبان مارون ويقول: «وأخذ رهبان مارون الذين في منبج وحمص يظهرون قسوتهم فهدموا كثيراً من الكنائس والأديار ولما كان جماعتنا (أي اليعاقبة) يشكون إلى هرقل لم يكن يستجيبهم وإنما إله النعمة أرسل العرب لينقدونا من الروم ولكن لم ترجع كنائسنا إلينا» بل أمر الخليفة أن تبقى بيد كل فريق الكنائس التي يدهم.

٢ - في صفحة ١٥١ أثبتنا هذا الخلاف بين الموارنة واليعاقبة بذكر الجدل الذي كان بين بني مارون وأساقفة اليعاقبة بحضرة الخليفة معاوية سنة ٦٥٩ وإفحام الموارنة أساقفة اليعاقبة. وفاتنا أن نستشهد في هذا المقام برسالة رهبان القديس مارون إلى اليعاقبة وجواب هؤلاء لهم على تلك الرسالة بالتقريع لهم على تمسكهم بالجمع الخلكيدوني ورسالة البابا لاون الكبير وكنا قد أثبتنا الرسالة والجواب في المقالة الأولى من هذا التاريخ عدد ٥ مأخوذين عن نسخة فوتوغرافية عن الأثر الذي في المتحف البريطاني ١٢١٥٥ صفحة ١٦٣.

٣ - في صفحة ١٥٤ عدد ٢١ فُتدنا ما يُعزى إلى تيموتاوس القسطنطيني من الطعن بالموارنة بأنهم ينكرون الجامع الرابع والخامس والسادس مبينين أنّ تيموتاوس

هذا كان في أوائل القرن السادس فلا تصلح شهادته على إنكار الموارنة المجمعين الخامس والسادس بل هي مزادة على كتابه ويثبت أنه لا وجود لكلامه في نسخة كتابه التي طبعها كوتيلاريوس. ففي هذه السنة ١٩٠٦ نشر الأب برغوار أحد الآباء الصعوديين في الآستانة كتاباً في الكنيسة البيزنطية أفرد فيه فصلاً للكلام في الطائفة المارونية فطعن بهم وأورد لذلك شهادة القديس جرمانس بطريك القسطنطينية خليفة تيموتاوس المذكور فرددنا قول الأب برغوار المذكور مبينين أنّ ما قاله القديس جرمانس هو: «ويصنع ذلك من يسمون موارنة فإنّ دير هؤلاء الكائن في جبال سورية وكثيرون منهم ينكرون المجمع السادس بل الخامس والرابع أيضاً. ولا مراء بأنّ كلام القديس جرمانس هذا منتحل عن الكلام المعزوّ إلى خليفته تيموتاوس وذاك بطلانه ظاهر فلا قوة لكلام هذا. وألحقنا برّدنا هذا استشهادنا بأثر المتحف البريطاني المشار إليه آنفاً وهو يثبت لا ترد على أنّ الموارنة كانوا يدافعون عن المجمع الرابع لا ينكرونه.

إنّ الأب برغوار المذكور استشهد لطحنه بالموارنة توادورس أبي كارا ولدى إمعان النظر في ذلك وجدنا أنّ كلمة ماروني التي يستند عليها ليست لأبي كارا بل وجدت في مخطوط في القرن الثامن عشر. ولما طبع الأب قسطنطين الباشا خطبة أبي كارا التي فيها العبارة المحكى عنها وخشي أن يمس إحساسات الموارنة فبدل كلمة ماروني بمونرتيليتي فأثبتنا في ردّنا على الأب المذكور أنّ كلمة ماروني المدخلة في خطبته المذكورة لا أصل لها في كلامه ولم توجد إلا في المخطوط الذي كتب في القرن الثامن عشر لأننا تفحصنا نحن وغيرنا تأليف أبي كارا التي طبعها الأب مين في المجلد ٩٧ من مكتبة الآباء الذين كتبوا باليونانية. فلم نجد أثراً لكلمة ماروني بل وجدناه يصحّح بأنّ سرجيوس وبيرس وقورش الخ. هم الذين ابتدعوا بدعة المشيئة الواحدة ولا ذكر في كلامه لمارون أو الموارنة مع أنّ سياق كلامه كان يقتضي ذلك لو كان هو الذي كتب كلمة ماروني في هذا المحل وكان في القرن الثامن عشر يوحنا عجمي الملكي الكاثوليكي قد طعن بالموارنة سنداً إلى هذه الكلمة. ونظن أنه أخذها عن المخطوط المذكور آنفاً لأنّ يوحنا المذكور هو من جون في جنوب لبنان القريبة من دير المخلص حيث يوجد المخطوط المذكور الذي اعتمد عليه الأب قسطنطين الباشا. وقد ردّ الأب انطون القياسي البيروتي طعن عجمي بإسهاب وتفصيل وترى ردّه في كتاب المحاماة عن الموارنة المطبوع حديثاً.

